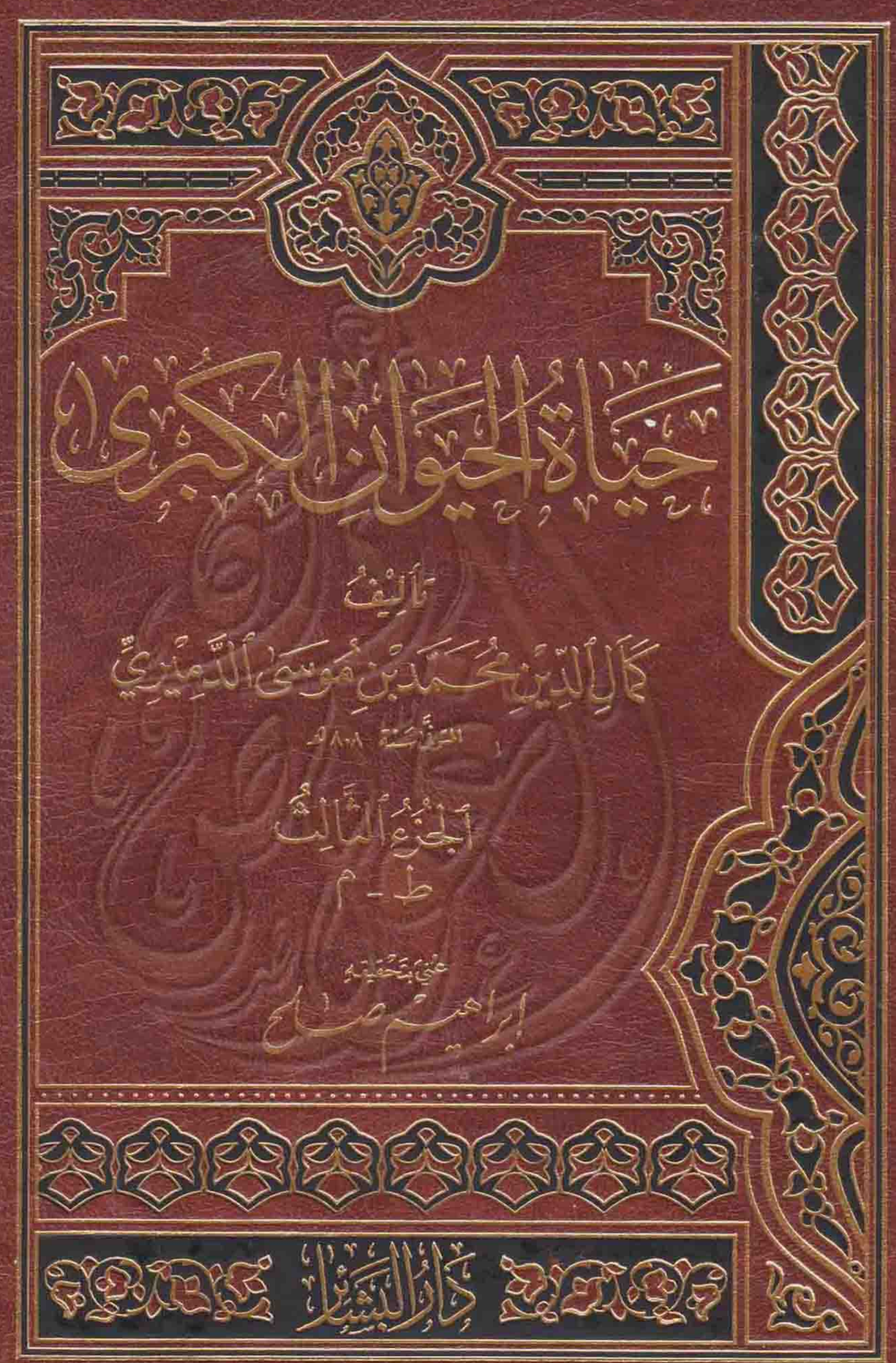

حياة الحيوان الكبرى
تأليف
كمال الدين محمد بن موسى الدميري
المتوفى سنة ٨٠٨ هـ
الجزء الثالث
ط - م
عني بتحقيقه
إبراهيم صالح
دار البشائر




حياة الحيوان الكبرى

العنوان : حياة الحيوان الكبرى

تأليف : كمال الدين محمد بن موسى الدميري

تحقيق : إبراهيم صالح

الجزء : الثالث

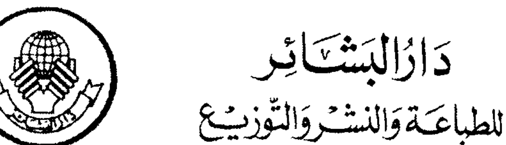
عدد الصفحات : ٧٥١ صفحة

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

التنضيد والإخراج : زياد ديب السروجي

بسم الله الرحمن الرحيم



دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كرجية حداد

هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩

ص. ب ٤٩٢٦ سورية - فاكس ٢٣١٦١٩٦

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار لا تعني بالضرورة تَبَنِّي الأفكار الواردة فيها ؛ وهي تُعَبِّر عن آراء واجتهادات أصحابها .

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



تأليف

كمال الدين محمد بن موسى الدميري

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

الجزء الثالث

ط - م

عُني بتحقيقه

ابراهيم صالح

دار البشائر


بسم الله الرحمن الرحيم



بابُ الطَّاءِ المُهْمَلَةِ

٥٦٥ طَامِرُ بنُ طامِرٍ : البُرْغُوثُ ، والخَسِيسُ من النَّاسِ ؛ وَيُقَالُ للخامِلِ الذي لا يُعْرَفُ : هُوَ طامِرُ بن طامِرٍ .

٥٦٦ الطَّاوُوسُ : طائِرٌ مَعْرُوفٌ ، وتَصْغِيرُهُ طُوَيْسٌ بعدَ حَذْفِ الزَّوائِدِ .

وَكُنْيَتُهُ[١] : أَبُو الحُسْنِ ، وَأَبُو الوَشْيِ .

وَهُوَ في الطَّيْرِ كَالفَرَسِ في الدَّوابِّ عِزّاً وَحُسْناً .

وفي[٢] طَبْعِهِ العِفَّةُ ، وَحُبُّ الزَّهْوِ بنَفْسِه ، والخُيَلاءُ ، والإِعْجَابُ بِرِيْشِهِ ، وَعَقْدُهُ لِذَنَبِهِ كَالطَّاقِ ، لا سِيَّما إِذا كانَتِ الأُنْثَى ناظِرَةً إِلَيْهِ .

والأُنْثَى تَبيضُ بَعْدَ أَنْ يَمْضِي لَها من العُمْرِ ثلاثُ سِنينَ ، وفي ذَلِكَ الأَوانِ يَكملُ رِيشُ الذَّكَرِ ، وَيَتِمُّ لَوْنُهُ ؛ وَتَبِيضُ الأُنْثَى مَرَّةً واحِدَةً في السَّنَةِ ، اثْنَتَيْ عَشرةَ بَيْضَةً ، وَأَقَلَّ وَأَكْثَرُ ، ولا تَبِيضُ مُتَتابِعاً .

وَيَسْفِدُ في أَيَّامِ الرَّبيعِ ، وَيُلْقِي رِيْشَهُ في الخَرِيفِ كَما يُلْقِي الشَّجَرُ وَرَقَهُ ، فإِذا بَدَأَ طُلُوعُ الأَوراقِ في الشَّجَرِ طَلَعَ رِيْشُهُ .

وَهوَ كَثِيرُ العَبَثِ بالأُنْثَى إِذا حَضَنَتْ ، وَرُبَّما كَسَرَ البَيْضَ ؛ وَلِهَذِهِ العِلَّةِ يُحْضَنُ بَيْضُهُ تَحْتَ الدَّجاجِ ، وَلا تَقْوَى الدَّجاجَةُ على حَضْنِ أَكْثَرَ من بَيْضَتَيْنِ منهُ ، وَيَنْبَغِي أَنْ تُتَعاهَدَ الدجاجة بِجَمِيعِ ما تَحْتاجُ إِلَيْهِ من الأَكْلِ والشُّربِ ، مَخافَةَ أَنْ تَقُومَ عنهُ فَيُفْسِدَهُ الهَواءُ .

---

(١) المرصّع ١٣٨ و ٣٣٧ و ٣٦٨ .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٩٧ .

وَالفَرْخُ الذي يخرجُ من حَضْنِ الدَّجاجَةِ يَكُونُ قَليلَ الحُسْنِ ، ناقِصَ الخَلْقِ ، وناقِصَ الجُثَّةِ ، وَمُدَّةُ حَضْنِهِ ثَلاثُونَ يَوْماً ؛ وَفَرْخُهُ يَخرجُ من البَيْضَةِ كَالفَرُّوجِ كاسِياً كاسِباً .

● وقد أَحسن الشَّاعِرُ في وَصْفِهِ ، حَيْثُ قَالَ[1] : [من الرجز]

سُبْحَانَ مَن مِنْ خَلقهِ الطَّاوُوسُ طَيْرٌ على أَشْكَالِهِ رَئِيسُ
كَأَنَّهُ في نَقْشِهِ عَرُوسُ في الرِّيْشِ مِنْهُ رُكِّبَتْ فُلُوسُ[2]
تُشْرِقُ في داراتِهِ شُمُوسُ في الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بَنْفَسَجٌ يَمِيْسُ أَو هُوَ زَهْرٌ حُزَمٌ يَنُوسُ[3]

وَأَعْجَبُ الأُمُورِ أَنَّهُ مع حُسْنِهِ يُتَشاءَمُ بِهِ ؛ وَكَأَنَّ هَذَا ـ واللهُ أَعلمُ ـ أَنَّهُ لَمَّا كان سَبَباً لِدُخُولِ إِبْلِيسَ الجَنَّةَ ، وخُرُوجِ آدَمَ مِنْها ، وَسَبَباً لِخُلُوِّ تِلْكَ الدَّارِ من آدَمَ مُدَّةَ دَوامِ الدُّنْيَا ، كُرِهَتْ إِقامَتُهُ في الدُّورِ بِسَبَبِ ذَلِكَ .

● حُكِيَ[4] أَنَّ آدَمَ لَمَّا غَرَسَ الكَرْمَةَ ، جَاءَ إِبْلِيسُ فَذَبَحَ عَلَيْها طاوُوساً فَشَرِبَتْ دَمَهُ ، فلمَّا طَلَعَتْ أَوراقُها ذَبَحَ عَلَيْها قِرْداً فَشَرِبَتْ دَمَهُ ، فلمَّا طَلَعَتْ ثَمَرَتُها ذَبَحَ عَلَيْها أَسَداً فَشَرِبَتْ دَمَهُ ، فلمَّا انْتَهَتْ ثَمَرَتُها ذَبَحَ عَلَيْها خِنْزِيراً فَشَرِبَتْ دَمَهُ ؛ فَلِهَذَا شارِبُ الخَمْرِ تَعْتَرِيهِ هَذِهِ الأَوْصَافُ الأَرْبَعَةُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلَ ما يَشْرَبُها وَتَدِبُّ في أَعْضائِهِ يَزْهُو لَوْنُهُ وَيَحْسُنُ كَمَا يَحْسُنُ الطَّاوُوسُ ، فإذا جاءَت مبادِىءُ السُّكْرِ لَعِبَ وَصَفَّقَ وَرَقَصَ كَمَا يَفْعَلُ القِرْدُ ، فإذا قَوِيَ سُكْرُهُ جاءَتِ الصِّفَةُ الأَسَدِيَّةُ فَيَعْبَثُ وَيُعَرْبِدُ وَيَهْذِي بِما لا فائِدَةَ فِيهِ ، ثُمَّ يَتَقَعَّصُ كَمَا

---

(١) الأَشطار ليحيى بن عليّ المنجّم ، في معجم الأُدباء ٦/ ٢٨٢٦ وديوانه ٢٠٩ (ضمن أربعة شعراء عباسيين) . وبلا نسبة في ثمار القلوب ٢/ ٦٩٧ .

(٢) في أ ، ب : كأَنَّه في نفسه عروس × .

(٣) في ط : × أَو هو زهر حرم يبيس .

(٤) المستطرف ٢/ ٤٩٧ .

يَتَقَعَّصُ الخِنْزِيرُ ويَطْلُبُ النَّوْمَ وَتَنْحَلُّ عُرَى قُوَّتِهِ .

● **فائِدَةٌ** : طاووس بن كَيْسَان[١] : فَقِيهُ اليَمَنِ ، كان اسْمُهُ ذَكْوَانَ ، فَلُقِّبَ بطاوُوس ، لأَنَّهُ كان طاووسَ القُرَّاءِ والعُلَمَاءِ ؛ وَقِيلَ : اسْمُهُ طاووس ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

كَانَ رَأْساً في العِلْمِ والعَمَلِ ، من سَاداتِ التَّابِعين ، أَدْرَكَ خَمسينَ صَحابِيّاً من أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ .

وَسَمِعَ ابن عَبَّاسٍ ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ ، وجابِرَ بن عبدِ اللهِ ، وعبدَ اللهِ بن الزُّبَيْرِ .

وَرَوَى عنهُ مُجَاهِدٌ ، وعَمرو بن دِينار ، وعَمرُو بن شُعَيْبٍ ، ومحمَّد بن شِهاب الزُّهري ، وآخَرُونَ .

● قَالَ ابْنُ الصَّلاحِ في « رِحْلَتِهِ » : رَوَيْنا عن الزُّهْرِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ[٢] :

قَدِمْتُ على عَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوانَ ، فَقَالَ : من أَيْنَ قَدِمْتَ يا زُهْرِيُّ ؟ قُلْتُ : من مَكَّةَ . قَالَ : فَمَنْ خَلَّفْتَ بِها يَسُودُ أَهْلَها ؟ قَال : قُلْتُ : عَطاءَ بن أَبي رَباح . قَالَ : فَمِنَ العَرَبِ أَمْ من المَوالِي ؟ قُلْتُ : من المَوَالِي . قَال : فَبِمَ سادَهُمْ ؟ قُلْتُ : بِالدِّيانَةِ والرِّوايَةِ .

فَقَالَ : إِنَّ أَهْلَ الدِّيانَةِ والرِّوايَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَسُودوا النَّاسَ .

فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ اليَمَنِ ؟ قُلْتُ : طاوُوسُ بن كَيْسَان . قَالَ : فَمِنَ العَرَبِ أَمْ من المَوالِي ؟ قُلْتُ : من المَوالِي . قَالَ : فَبِمَ سادَهُمْ ؟ قُلْتُ : بِمَا سادَهُمْ بِهِ عَطاءٌ . قَالَ : مَن كان كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَسُودَ النَّاس .

---

(١) ترجمته في : طبقات ابن سعد ٨/ ٩٧ وحلية الأولياء ٤/ ٣ وتاريخ صنعاء ٣٥٧ ووفيات الأعيان ٢/ ٥٠٩ وسير أعلام النُّبلاء ٥/ ٣٨ وتهذيب الكمال ١٣/ ٣٥٧ والوافي بالوفيات ١٦/ ٤١٢ وغربال الزمان ١٠٠ .

(٢) الخبر في : تاريخ دمشق ٤٧/ ٤١٢ ومختصره ١٧/ ٧٠ وتهذيب الكمال ٢٠/ ٨١ وسير أعلام النُّبلاء ٥/ ٨٥ والطبقات السَّنيّة ١/ ١٣٦ .

قَالَ : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ مِصْرَ ؟ قُلْتُ : يَزِيدُ بن أَبي حَبيبٍ . قَالَ : فَمِنَ العَرَبِ أَمْ من المَوَالِي ؟ قُلْتُ : من المَوَالِي . فَقَالَ كَمَا قَالَ في الأَوَّلين .

ثُم قَالَ : فمن يَسودُ أَهْلَ الشَّامِ ؟ قُلْتُ : مَكْحُولٌ الدِّمشقيُّ . قَالَ : فَمِنَ العَرَبِ أَمْ من المَوالِي ؟ قُلْتُ : من المَوالِي ، عَبْدٌ نُوبيٌّ ، أَعْتَقَتْهُ امرأَةٌ من هُذَيل ، فَقَالَ كَمَا قَالَ .

ثُمَّ قَالَ : فمن يَسودُ أَهْلَ الجَزيرَةِ ؟ قُلْتُ : مَيمون بن مِهْران . قَالَ : فَمِنَ العَرَبِ أَمْ من المَوالِي ؟ قُلْتُ : من المَوَالِي ، فَقَالَ كَمَا قَالَ .

ثُم قَالَ : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلُ خُراسانَ ؟ قُلْتُ : الضَّحَّاكُ بن مُزاحِمٍ . قَالَ : فَمِنَ العَرَبِ أَمْ من المَوالِي ؟ قُلْتُ : من المَوَالِي ، فَقَالَ كَمَا قَالَ .

ثُمَّ قَالَ : فَمَنْ يُسُودُ أَهْلَ البَصْرَةِ ؟ قُلْتُ : الحَسَنُ بن أَبي الحَسَنِ . قَالَ : فَمِنَ العَرَبِ أَمْ من المَوالِي ؟ قُلْتُ : من المَوالِي .

قَالَ : وَيْلَكَ فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الكُوفَةِ ؟ قُلْتُ : إِبراهِيمُ النَّخعيُّ . قَالَ : من العَرَبِ أَمْ من المَوالِي ؟ قُلْتُ : من العَرَبِ . قَالَ : وَيْلَكَ يا زُهريُّ ، فَرَّجْتَ عَنِّي ، والله لَيسودنَّ المَوالِي على العَرَبِ حتَّى يُخْطَبَ لَها على المَنَابِرِ ؛ وإِنَّ العَرَبَ تَحْتَها . قَالَ : قُلْتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّما هُوَ أَمْرُ اللهِ وَدِيْنُهُ ، فَمَنْ حَفِظَهُ سَادَ ، وَمَنْ ضَيَّعَهُ سَقَطَ(١) .

● وَلَمَّا(٢) وَلِيَ عُمر بن عبدِ العزيز الخِلافَةَ ، كَتَبَ إِلَيهِ طاوُوسُ : إِنْ

---

(١) قال الإمام الذَّهبيُّ في السِّير ٥/ ٨٥ : الحكاية منكرة ، والوليد بن محمَّد المُوَقِّري [راوي الخبر] واهٍ ، فلعلَّها تمَّت للزُّهريّ مع أَحد أَولاد عبد الملك ؛ وأَيضاً ففيها : مَن يسودُ أَهل مصر ؟ قلت : يزيد بن أَبي حبيب ، وهو من الموالي ؛ فيزيد كان ذاك الوقت شابّاً لا يُعرفُ بعدُ . والضَّحَّاك ، فلا يَدري الزُّهريُّ مَن هو في العالم ، وكذا مكحول يصغر عن ذلك .

(٢) وفيات الأَعيان ٢/ ٥٠٩ .

أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ خَيْراً كُلُّهُ ، فاسْتَعْمِلْ أَهْلَ الخَيْرِ . قَالَ عُمرُ : كَفَى بِها مَوْعِظَةً .

● وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، بِسَنَدِهِ عن طاوُوس ، أَنَّهُ قَالَ[1] : بَيْنَا أَنا بِمَكَّةَ ، اسْتَدْعَانِي الحَجَّاجُ فأَتَيْتُهُ ، فأَجْلَسَنِي إِلى جانِبِهِ ، وَأَتْكَأَنِي على وِسادَةٍ ، فَبَيْنَما نَحْنُ نَتَحَدَّثُ إِذْ سَمِعَ صَوْتاً عالياً بِالتَّلْبِيَةِ ، فَقَالَ : عليَّ بالرَّجُلِ ؛ فأُحْضِرَ ، فَقَالَ لَهُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : من المُسْلِمِينَ ؛ فَقَالَ : إِنَّما سَأَلْتُكَ عن البَلَدِ والقَوْمِ . قَالَ : من أَهْلِ اليَمَنِ ؛ فَقَالَ : كَيْفَ تَرَكْتَ محمَّد بن يُوسف ؟ ـ يَعْنِي أَخاهُ ، وَكَانَ والِياً على اليَمَنِ ـ فَقَالَ : تركته جسيماً وسيماً ، لبّاساً حريراً ، ركاباً خرّاجاً ولاّجاً . فقال : إنما سألتك عن سيرته . فقال : تَرَكْتُهُ غَشُوماً ظَلُوماً ، مُطِيعاً لِلْمَخْلُوقِ ، عاصِياً لِلْخَالِقِ . قَالَ : أَتَقُولُ فِيهِ هَذَا ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَكانَهُ مِنِّي ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَتَراهُ بِمَكانِهِ مِنْكَ أَعَزَّ من مَكانِي من رَبِّي ، وَأَنَا مُصَدِّقٌ نَبِيَّهُ ﷺ ووافِدُ بَيْتِهِ ؟ فَسَكَتَ الحَجَّاجُ وَذَهَبَ الرَّجُلُ من غَيْرِ إِذْنٍ .

قال طاووس : فَتَبِعْتُهُ ، فَقُلْتُ : الصُّحْبَةَ ؛ فَقَالَ : لا حُبّاً ولا كَرامَةً ، أَلَسْتَ صاحِبَ الوِسادَة الآنَ ، وَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ يَسْتَفْتُونَكَ في دِينِ اللهِ ؟ قُلْتُ : إِنَّهُ أَميرٌ مُسَلَّطٌ ، أَرْسَلَ إِليَّ فأَتَيْتُهُ ، كَمَا فَعَلْتَ أَنْتَ . قَالَ : فَمَا ذَاكَ الاتِّكَاءُ على الوِسَادَةِ في رَخاءِ بالٍ ؟ هَلاَّ كان لك من واجِبِ نُصْحِهِ ، وقَضَاءِ حَقِّ رَعِيَّتِهِ بوَعْظِهِ ، والحَذَرِ من بَوائِقِ عَسْفِهِ ، وَتخلِّي نَفسكَ من سَاعَةِ الأُنْسِ به ، ما يُكَدِّرُ عَلَيْكَ تِلْكَ الطُّمَأْنِينَةِ ؟ قُلْتُ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَسْأَلُكَ الصُّحْبَةَ . فَقَالَ : غفَرَ اللهُ لَكَ ؛ إِنَّ لِي مَصْحُوباً شَديدَ الغَيْرَةِ عليَّ ، فَلَوْ أَنِسْتُ بِغَيْرِهِ رَفَضَنِي ؛ ثُمَّ تَرَكَنِي وَذَهَبَ .

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ .

● وَفِي « تارِيخ ابْنِ خلِّكان »[1] : عن عَبْدِ الله الشَّاميّ ، قَالَ : أَتَيْتُ طاوُوساً ، فَخَرَجَ إِليَّ شَيْخٌ كَبيرٌ ، فَقُلْتُ : أَنْتَ طاوُوسٌ ؟ فَقَالَ : أَنا ابْنُهُ ؛ فَقُلْتُ : إنْ كُنْتَ ابْنَهُ ، فإِنَّ الشَّيْخَ قد خرِفَ . قَالَ : إِنَّ العالِمَ لا يَخْرَفُ . فَدَخلْتُ عَلَيْه ، فقَالَ : أَتُحِبُّ أَنْ أَجْمعَ لَكَ التَّوْراةَ والإِنْجيلَ والزَّبُورَ والفُرْقَانَ في مَجْلِسي هَذَا ؟ قُلْتُ : نَعم . فقَالَ : خَفِ اللهَ مَخَافَةً لا يَكُونُ عِنْدَكَ شَيْءٌ أَخْوَفُ منهُ ؛ وَارجهُ رَجاءً هُوَ أَشَدُّ من خَوْفِكَ إِيَّاهُ ، وأَحِبَّ لأَخِيكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ .

● وَقالَتِ[2] امرأَةٌ : ما بَقِيَ أَحَدٌ إلاَّ فَتَنْتُهُ إلاَّ طَاوُوساً ، فإِنِّي تَعَرَّضْتُ لَهُ ، فَقَالَ لِي : إِذا كان وَقتُ كَذَا فَتَعالَيْ ؛ قَالَتْ : فَجِئْتُ ذَلِكَ الوقت ، فَذَهَبَ بي إِلى المَسْجِدِ الحَرامِ ، وَقَالَ : اضْطَجِعِي ؛ فَقُلْتُ : هَا هُنا ؟ فقَالَ : الذي يَرانَا هَا هُنا يَرانا في غَيْرِهِ ؛ فَتَابَتِ المَرْأَةُ .

● وَقَالَ : لا يَتِمُّ نُسُكُ الشَّابِّ حَتَّى يَتَزَوَّجَ .

● وَكَانَ[3] طاوُوسُ يَقُولُ : ما مِنْ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ ابْنُ آدَمَ إِلاَّ أُحْصِيَ عَلَيْه ، حَتَّى أَنِينُهُ في مَرَضِهِ .

● وَقَالَ[4] : لَقِيَ عيسى بن مريم عليه السلام إِبْلِيسَ ، فَقَالَ : أَما عَلِمْتَ أَنَّهُ لا يُصِيبُكَ إِلاَّ ما قُدِّرَ لَكَ ؟ قَالَ : نعم . قَالَ إِبْلِيسُ : فارْقَ إِلى ذُرْوَةِ هَذَا الجَبَلِ ، وَتَرَدَّ مِنْها ، فانْظُرْ أَتَعِيشُ أَمْ لا ؟ فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ : أَما عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ قَالَ : لا يَخْتَبِرُني عَبْدِي ، فإِنِّي أَفْعَلُ ما شِئْتُ ؛ إِنَّ العَبْدَ لا يَبْتَلِي

---

(١) لم يرد هذا الخبر في وفيات الأعيان . وهو في حلية الأولياء ٤/ ١١ وتهذيب الكمال ١٣/ ٣٦١ .

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٥١٠ .

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٤ .

(٤) تاريخ صنعاء ٣٧١ وحلية الأولياء ٤/ ١٢ وتهذيب الكمال ١٣/ ٣٦٨ .

رَبَّهُ ، ولَكنَّ اللهَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ ؟ قَالَ طاوُوسٌ : فَخَصَمَهُ .

● وَكَانَ يَقُولُ[1] : صَاحِبِ العُقَلاءَ تُنْسَبْ إِلَيْهِم ، وإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ .

● وَرَوَى أَبُو داود الطَّيالسيّ[2] ، عن زَمعةَ بن صالِحٍ ، عن ابْنِ طاووس ، عن أَبيهِ ، أَنَّهُ قَالَ : من لَمْ يَدْخُلْ فِي وَصِيَّةٍ ، لَمْ تَنَلْهُ بَلِيَّةٌ ؛ وَمَنْ لَمْ يَتَوَلَّ القَضَاءَ بَيْنَ النَّاسِ ، لَمْ يَنَلْهُ جَهْدُ البَلاءِ .

● وَرَوَى أَحمد عنهُ في كِتابِ « الزُّهْدِ »[3] أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ المَوْتَى يُفْتَنُونَ في قُبُورِهم سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، فَكانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُطْعَمَ عَنهُم تِلْكَ الأَيَّامِ .

● قَالَ : وَكَانَ من دُعاءِ طاوُوس : اللَّهُمَّ ارزُقْنِي الإِيْمانَ والعَمَلَ ، وَمَتِّعْنِي بِالمالِ والوَلَدِ .

● وَرَوَى عنهُ الحافِظُ أبو نعيم وغيرُهُ ، أَنَّهُ قَالَ[4] : كان رَجُلٌ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنينَ ، فَمَرِضَ ، فَقَالَ أَحَدُهم : إِمَّا أَنْ تُمَرِّضُوهُ وَلَيْسَ لَكُمْ من مِيراثِهِ شَيْءٌ ، وإِمَّا أَنْ أُمَرِّضَهُ وَلَيْسَ لِي من مِيْراثِهِ شَيْءٌ ؟ فقَالُوا : مَرِّضْهُ وَلَيْسَ لَكَ من مِيراثِهِ شَيْءٌ ؛ فَمَرَّضَهُ حَتَّى مَاتَ ، وَلَمْ يَأْخُذْ من مِيراثِهِ شَيْئاً ، فَأُتِيَ إِلَيْهِ في النَّومِ فقَالَ لَهُ : ائْتِ مَكانَ كَذَا وَكَذَا ، فَخُذْ منهُ مِئَةَ دِينارٍ ؛ فَقَالَ في نَوْمِهِ : أَفِيها بَرَكَةٌ ؟ فَقَالَ : لا ؛ فَأَصْبَحَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لامْرَأَتِهِ ، فَقَالَتْ : خُذْها ، فإِنَّ من بَرَكَتِها أَنْ تَكْتَسِي مِنْها وَتَعِيشَ ؛ فأَبَى ؛ فَلَمَّا أَمسىٰ أُتِيَ لَهُ في النَّوْمِ فقَالَ لَهُ : ائْتِ مَكانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ منهُ عَشْرَةَ دَنانيرَ ؛ فَقَالَ : أَفِيها بَرَكَةٌ ؟ قَالَ : لا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لامْرَأَتِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ مَقالَتِها الأُولى ، فأَبَى أَنْ يَأْخُذَها ؛ فأُتِيَ لَهُ

---

(١) حلية الأَولياء ٤/ ١٣ ووفيات الأَعيان ٢/ ٥١١ وتهذيب الكمال ١٣/ ٣٦٨ .

(٢) وأَبو نعيم في حلية الأَولياء ٤/ ١٣ .

(٣) ليس في الزُّهد للإمام أَحمد ، وهو في حلية الأَولياء ٤/ ١١ .

(٤) حلية الأَولياء ٤/ ٧ ـ ٨ وتهذيب الكمال ١٣/ ٣٦٥ .

في اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ ، فقَالَ لَهُ : ائْتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ دِيْناراً . قَالَ : أَفِيه بَرَكَةٌ ؟ قَالَ : نَعَم ؛ فَذَهَبَ فَأَخَذَ الدِّيْنارَ ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلى السُّوقِ ، فإذا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حُوتينِ ، فقَالَ لَهُ : بِكَمْ هُما ؟ فقَالَ : بِدِيْنَارٍ ؛ فَأَخَذَهُما منهُ بالدِّيْنارِ ، وَانْطَلَقَ بِهِما إِلى منزله ، فَشَقَّ بُطونَهُما ، فَوَجَدَ فيهِما دُرَّتَيْنِ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُما .

قَالَ : فَبَعَثَ المَلِكُ يَطلبُ دُرَّةً لِيَشْتَرِيَها ، فَلَمْ تُوْجَدْ إلاّ عِندهُ ، فَبَاعَها بوَقْرِ ثَلاثِينَ بَغْلاً ذَهَباً ؛ فلمَّا رآها المَلِكُ قَالَ : ما تَصْلُحُ هَذِهِ إلاَّ بأُخْتٍ ، اطْلُبُوا أُخْتَها ، وإِنْ أَضْعَفْتُمْ ثَمَنَها ، فجاؤُوا إِلَيْه ، فَقَالُوا لَهُ : أَعِنْدَكَ أَخْتُها ، وَنَحْنُ نُعْطِيكَ ضِعْفَ ما أَعْطَيْناكَ ؟ قَالَ : وَتَفْعَلُونَ ؟ قَالُوا : نعم ؛ فأَعْطاهُم إِيَّاها بِضِعْفِ ما أَخَذُوا بِهِ الأُوْلَى .

● تُوفِّيَ طاوُوس وهو ابْنُ بِضْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، حاجّاً بمكة ، قبل يوم التروية بيوم ، وصلّىٰ عليه هِشام بن عبد الملك وهو أَمير المؤمنين ، وَذَلِكَ في سَنَةِ سِتٍّ وَمِئَةٍ ؛ وَحَجَّ أَرْبَعِينَ حِجَّةً ، وَكَانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ ، رَحمهُ اللهُ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ لَحْمِ الطَّاوُوسِ ، لِخُبْثِ لَحْمِهِ . وَقِيلَ : يحل لأَنَّهُ لا يَأْكُلُ المُسْتَقْذراتِ واللُّحُومِ ؛ وَعَلى الوَجْهَيْنِ يَصِحُّ بَيْعُهُ ، إمَّا لِحِلِّ أَكْلِهِ ، وإِمَّا للتَّفَرُّجِ على لَوْنِهِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « الصَّيْدِ » أَنَّ أَبَا حَنيفة قَالَ : لا يُقْطَعُ سَارِقُ الطُّيُورِ ، لأَنَّ أَصْلَها على الإِباحَةِ . وَخَالَفَهُ الشَّافعيُّ ومالكٌ وأَحمد وغيرُهم في ذَلِكَ .

الأَمْثَالُ: قَالُوا : « أَزْهَى من طَاوُوسٍ »[١] ، و « أَحْسَنُ من طَاوُوسٍ »[٢] .

---

(١) الميداني ١/ ٣٢٧ وحمزة ١/ ٢١٣ والزمخشري ١/ ١٥١ وثمار القلوب ٢/ ٦٩٦ .

(٢) الميداني ١/ ٢٢٨ وحمزة ١/ ١٣٤ و ٢/ ٤٤٧ والزمخشري ١/ ٦٦ والحيوان ٢/ ٢٤٤ وثمار القلوب ٢/ ٦٩٦ .

● قَالَ الجَوهريُّ : وَقولُهم[١] : « أَشْأَمُ من طُوَيْسٍ » : وَهوَ مُخَنَّثٌ كان بِالمَدِيْنَةِ ، قَالَ : يا أَهْلَ المَدِيْنَةِ ، تَوَقَّعُوا خُرُوجَ الدَّجَّالِ ما دُمْتُ حَيَّاً بَيْنَ ظَهْرانَيْكُمْ، فإذا مِتُّ فقد أَمِنْتُمْ؛ لأَنِّي وُلدت في اللَّيْلَةِ التي مَاتَ فِيها النَّبيُّ ﷺ ، وَفُطِمْتُ في اليَوْمِ الذي مَاتَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَبَلَغْتُ الحُلُمَ في اليَوْمِ الذي قُتِلَ فِيهِ عُمر ، وَتَزَوَّجْتُ فِي اليَوْمِ الذي قُتِلَ فِيهِ عُثْمانُ ، وَوُلِدَ لِي في اليَوْمِ الذي قُتِلَ فِيهِ عليٌّ .

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلِّكان »[٢] : أَنَّ سُلَيْمَانَ بنَ عَبْدِ المَلِكِ ، كَتَبَ إِلى عامِلِه بِالمَدِيْنَةِ : أَنِ احْصِ المُخَنَّثِيْنَ قِبَلك ؛ فَوَقعَتْ على الحَاءِ نُقْطَةٌ ، فَأَمَرَ بِالمُخَنَّثِيْنَ فَخُصُوا ، وَخُصِيَ طُوَيْسٌ من جُمْلَتِهِمْ ، فَلَمَّا خَصَوهُم أَظْهَرُوا الفَرَحَ بِذَلِكَ ، حَتَّى قَالَ أَحَدُهم[٣] : ما كَانَ أَغْنانا عن سِلاحٍ لا نُقاتِلُ بِهِ . وَقَالَ آخَرُ ـ وهو طُوَيْسٌ ـ : أُفٍّ لَكُمْ ، ما سَلَبْتُمُونِي إِلاَّ مِيْزَابَ بَوْلِي[٤] . ا هـ .

● وَكَانَ طُوَيْسٌ اسْمُهُ طاوُوس ، فَلَمَّا تَخَنَّثَ جَعَلُوهُ طُوَيْساً ، وَيُسَمَّى[٥]

---

(١) الصحاح « طيس » ٣/ ٩٤٥ والميداني ١/ ٣٩٠ والفاخر ١٠٤ وحمزة ١/ ٢٣٥ والعسكري ١/ ٥٣٨ والزمخشري ١/ ١٨٢ وثمار القلوب ١/ ٢٥٦ ووفيات الأَعيان ٣/ ٥٠٧ .
وترجمة طويس في : الأَغاني ٣/ ٢٧ ـ ٤٣ والفاخر ١٠٤ والأَوائل للعسكري ٢/ ١٦١ والميداني ١/ ٢٥٨ والزمخشري ١/ ١٠٩ ووفيات الأَعيان ٣/ ٥٠٦ وثمار القلوب ١/ ٢٥٦ واللسان والتاج « طوس » .

(٢) الخبر لم يرد في وفيات الأَعيان ، وهو في أَخبار المُصَحِّفين ٦٩ وتصحيفات المحدّثين ١/ ٧٢ وشرح ما يقع فيه التصحيف ١/ ٥٥ ـ ٥٦ (دمشق) و ٤٣ (القاهرة) والتنبيه على حدوث التصحيف ١٠ والأَغاني ٤/ ٢٧٤ ومحاضرات الراغب ١/ ١٠٨ وكتب الأَمثال .

(٣) هو نومة الضُّحى . (حمزة) .

(٤) هو قول نسيم السحر (حمزة) . فأَما طويس فقد قال : ما عملتم شيئاً ، فبالخصاء استكملنا الخُناث . (حمزة) . وعند أَبي أَحمد العسكري في شرح ما يقع : هذا الختان الأَكبرُ .

(٥) وقيل : يُكنىٰ بأَبي عبد النعيم .

بعَبْدِ النَّعيْمِ ، وَقَالَ في نَفْسِهِ[1] : [من مجزوء الرمل]

إِنَّنِـــي عَبْـــدُ النَّعِيْـــمِ أَنـــا طَـــاوُوسُ الجَحِيْـــمِ
وَأَنَـــا أَشْـــأَمُ مَـــن يَمْـ ـشِـي علـى ظَهْـرِ الحَطِيـمِ
أَنـــا حَـــاءٌ ثُـــمَّ لامٌ ثُـــمَّ قَـــافٌ حَشْـــوُ مِيْـــمِ

عَنَى بقَوْلِه : حَشْوُ مِيمٍ : اليَاءَ ، لأَنَّكَ إِذا قُلْتَ « مِيمٌ » وَقَعَتْ بَيْنَ المِيمَيْنِ يَاءٌ ، يُرِيدُ : أَنَّهُ حَلَقِيٌّ . وَأَرادَ بِالحَطِيْمِ : الأَرْضَ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَنا أَشْأَمُ النَّاسِ .

تُوفِّيَ طُوَيْسٌ في سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ من الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ .

الخَواصُّ[2] : لَحْمُ الطَّاووسِ عَسِرُ الهَضْمِ ، رَدِيءُ المِزاجِ ، وَأَجْوَدُهُ الحَدِيثُ ، يَنْفَعُ المَعِدَةَ الحارَّةَ ؛ وَسَلْقُهُ قَبْلَ طَبْخِهِ بِالخَلِّ يَدْفَعُ ضَرَرَهُ ، وَهُوَ يُولِّدُ كَيمُوساً غَلِيظاً ، يُوافِقُ الأَمْزِجَةَ الحَارَّةَ .

وَقَدْ كَرِهَتِ الحُكَماءُ لُحُومَ الطَّواوِيسِ ، وَقَالُوا : إِنَّها أَغْلَظُ لُحُومِ جَمِيعِ الطُّيُورِ ، وأَعْسَرُها انْهِضاماً ؛ وَيَجِبُ أَنْ يُذْبَحَ وَيَبِيتَ مُثَقَّلاً ، وَيُطْبَخَ وَيُنْضَجَ ؛ وَيُمْنَعُ مِنْهُ أَصْحابُ التَّرَفُّهِ وَالرَّفاهِيَّةِ ، فَإِنَّهُ من أَغْذِيَةِ أَصْحَابِ الرِّياضَةِ .

قَالَ ابْنُ زُهْرٍ في « خواصِّهِ » : إِنَّ الطَّاوُوسَ إِذا رَأَى طَعاماً مَسْمُوماً ، أَوْ شَمَّ رَائِحَتَهُ ، فَرِحَ وَنَشَرَ جَناحَيْهِ ، وَرَقَصَ ، وَبَانَ مِنْهُ السُّرُورُ .

وَمَرارَتُهُ : إِذا سُقِيَ مِنْها المَبْطُونُ بِالسَّكَنْجَبِينَ وَالمَاءِ الحارِّ ، أَبْرَأَهُ .

وَنُقِلَ عن هِرمس : أَنَّ مَرَارَتَهُ إِذا شُرِبَتْ بِخَلٍّ ، نَفَعَتْ من لَدْغِ الهَوام .

---

(١) الأَبيات في الميداني ، وعنه ينقل المؤلِّف . وعدا الثَّالث في اللِّسان والتَّاج « طوس » .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٧٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨١ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٩٥ وتذكرة داود ١/ ٢٢٩ .

لَكِنْ قَالَ صاحِبُ « عَيْنِ الخَواصِّ » : قَالَتِ الحُكَمَاءُ وأَطهورس : إنَّ مَرارَةَ الطَّاوُوسِ إنْ سُقِيَ مِنْها إنْسَانٌ جُنَّ . قَالَ : وَقَدْ جَرَّبْتُهُ .

وَقَالَ هِرمس : إنْ خُلِطَ دَمُ الطَّاوُوسِ بالأَنْزَروتِ والمِلْحِ ، وَطُلِيَ بِهِ القُرُوحُ الرَّدِيئَةُ الرَّطْبَةُ التي يُخَافُ مِنْها الأَكَلَةُ ، أَبْرَأَها .

وَزِبْلُهُ : إنْ طُلِيَ بِهِ الثَّآلِيْلُ ، قَلَعَها .

وَعِظامُهُ : إذا أُحْرِقَتْ وَسُحِقَتْ ، وَطُلِيَ بِها الكَلَفُ ، أَبْرَأَتْهُ بإِذْنِ اللهِ تَعالَى .

التَّعبيرُ[١] : الطَّاووسُ : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ على التِّيْهِ والعُجْبِ بِالحُسْنِ والجَمالِ لِمَنْ مَلَكَهُ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ على النَّمِيْمَةِ والغُرُورِ والكِبْرِ ، والانْقِيَادِ إلى الأَعْدَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعَمِ ، والخُرُوجِ من النَّعِيْمِ إلى الشَّقَاءِ ، وَمِنَ السَّعَةِ إلى الضِّيْقِ .

وَرُبَّما تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ على الحَلْيِ والحُلَلِ ، وَالتَّاجِ ، والأَزْوَاجِ الحِسَانِ ، والأَوْلادِ المِلاحِ .

وَقَالَ المَقْدِسيُّ : الطَّاوُوسُ في المَنامِ : امْرَأَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ ذَاتُ مَالٍ وَجَمالٍ ، لَكنَّها مَشْؤُومَةُ النَّاصِيَةِ .

وَالذَّكَرُ من الطَّواوِيسِ : مَلِكٌ أَعْجَمَيٌّ ؛ فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يُؤاخِي الطَّواوِيسَ ، فإِنَّهُ يُؤاخِي مُلُوكَ العَجَمِ ، وَيَنالُ مِنْهُمْ جارِيَةً نَبَطِيَّةً .

وَقَالَ أَرطامِيدورس : الطَّواوِيْسُ في الرُّؤْيا : تَدُلُّ على أَقْوامٍ صِباحِ الوُجُوهِ ، ضِحَاكِ السِّنِّ .

وَقِيلَ : الطَّاوُوس امرأَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ غَيْرُ مُسْلِمَةٍ ؛ واللهُ أَعلمُ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩١ وتفسير الواعظ ٢٩٨ .

٥٦٧ **الطَّائِرُ** : واحِدُ الطُّيُورِ ، وَالأُنْثَى طائِرَةٌ ، وَهِيَ قَلِيْلَةٌ ؛ وَجَمْعُ الطَّيْرِ : أَطْيَارٌ وَطُيُورٌ .

وَالطَّيَرَانُ : حَرَكَةُ ذِي الجَناحَيْنِ في الهَوَاءِ بجَناحَيْه . قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام : ٣٨] أَي : في الخَلْقِ ، والرِّزْقِ ، والحَيَاةِ ، وَالمَوْتِ ، والحَشْرِ ، والمُحاسَبَةِ ، وَالاقْتِصاصِ من بَعْضِها لِبَعْضٍ ، كَمَا تَقَدَّمَ ؛ فإذا كان يَفْعَلُ هَذَا بالبَهائِمِ ، فَنَحْنُ أَحْرَى ، إذ نَحْنُ مُكَلَّفُونَ عُقَلاء ؛ وَقِيلَ : أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ في التَّوْحِيْدِ والمَعْرِفَةِ . قَالَهُ عَطاءٌ .

وَقَوْلُهُ : بِجَناحَيْهِ ، تَأْكِيدٌ ، وإِزَالَةٌ للاسْتِعَارَةِ المُتَعاهَدَةِ في هَذِهِ اللَّفْظَةِ ؛ فَقَدْ يُقالُ : طَائِرٌ لِلنَّحْسِ وَالسَّعْدِ .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ[١] : الغَرَضُ من ذِكْرِ ذَلِكَ : الدِّلالَةُ على عِظَمِ قُدْرَةِ اللهِ ، وَلُطْفِ عِلْمِه ، وَسَعَةِ سُلْطانِه ، وَتَدْبيرِه تِلْكَ الخَلائِقَ المُتفاوِتَة ، والأَجْنَاسَ المُتَكَاثِرَةَ الأَصْنافِ ؛ وَهُوَ حافِظٌ لِما لَها وَمَا عَلَيْها ، وَمُهيمنٌ على أَحْوالِها ، لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عن شَأْنٍ .

● رَوَى أَحمدُ[٢] بإسنادٍ صَحيحٍ ، عن أَنسٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « طَيْرُ الجَنَّةِ كَأَمْثَالِ البُخْتِ ، تَرْعَى في شَجَرِ الجَنَّةِ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَذِهِ الطَّيْرَ لَناعِمَةٌ : قَالَ ﷺ : « آكِلُها أَنْعَمُ مِنْها ـ قَالَها ثلاثاً ـ وإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْها » .

وَرَواهُ التِّرمذيُّ[٣] بنحوِ هَذَا اللَّفْظِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ حَسَنٌ .

● وَرَوَى البَزَّارُ عن ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلى

---

(١) الكشَّاف ٢/ ١٧ .

(٢) في المسند ٣/ ٢٢١ .

(٣) التِّرمذيّ (٢٥٤٢) .

الطَّيْرِ في الجَنَّةِ فَتَشْتَهِيه ، فَيَجِيءُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيّاً » .

● وَفِي أَفرادِ مُسلم[1] ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوامٌ ، أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ » .

وَقَالَ النَّوويُّ : قِيلَ : مِثْلُها في رِقَّتِها وَضَعْفِها ، كَالحَدِيثِ الآخَرِ : « أَهْلُ اليَمَنِ أَرَقُّ قُلُوباً وَأَضْعَفُ أَفْئِدَةً » .

وَقِيلَ : في الخَوْفِ والهَيْبَةِ ، لأَنَّ الطَّيْرَ أَكْثَرُ الحَيْوانِ خَوْفاً وَفَزَعاً ، كَمَا قَالَ تَعالَى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وَكَأَنَّ المُرادَ : قَوْمٌ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الخَوْفُ ـ كَمَا جَاءَ عن جَمَاعاتٍ من السَّلَفِ ـ من شِدَّةِ خَوْفِهِمْ .

وَقِيلَ : المُرادُ : مُتَوَكِّلُون .

وَقِيلَ : الطَّائِرُ ما تَيامَنْتَ بِهِ ، أَوْ تَشَاءَمْتَ بِهِ ، وَأَصْلُهُ في ذِي الجَناحِ .

وَقَالُوا : طائِرُ اللهِ لا طائِرُكَ ؛ فَرَفَعُوهُ على إِرادَةِ : هَذَا طائِرُ اللهِ ؛ وَفِيهِ مَعْنَى الدُّعاءِ .

وَطَائِرُ الإِنْسَانِ : عَمَلُهُ : الذي قُلِّدَهُ ؛ وَقِيلَ : رِزقهُ .

وَالطَّائِرُ : الحظُّ من الخَيْرِ والشَّرِّ ؛ وَقَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء : ١٣] قِيلَ : حَظُّهُ .

وَقَالَ المُفَسِّرُونَ : ما عَمِلَ من خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، أَلْزَمْناهُ عُنُقَهُ ، فَلِكُلِّ امْرِىءٍ حَظٌّ من الخَيْرِ والشَّرِّ ، قد قَضاهُ اللهُ تَعالَى ، فَهُوَ مُلازِمٌ عُنُقَهُ .

وإِنَّما قِيلَ لِلْحَظِّ من الخَيْرِ والشَّرِّ : طائِرٌ ، لِقَوْلِ العَرَبِ : جَرَى لَهُ الطَّائِرُ

---

(١) مسلم (٢٨٤٠) ومسند أحمد ٢/ ٣٣١ .

بِكَذَا من الشَّرِّ ، على طَرِيقِ الفَأْلِ .

● وَفِي « سُنَنِ أَبي داوُد »(١) وَغَيْرِها ، عن أَبي رَزِينٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الرُّؤْيا على جَناحِ طائِرٍ ما لَمْ تُعَبَّرْ ، فإذا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ » . قَالَ : وَأَحْسَبُهُ قَالَ : « وَلا تُعَبِّرْها إلاَّ عَلَى ذِي وُدٍّ أَوْ ذِي رَأْيٍ » .

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلِّكان »(٢) أَنَّ مُوْسَى بن نُصَيْرٍ أَميرَ بلاد المَغْرِبِ ، وَفَدَ على الوَلِيْدِ بن عَبْدِ المَلِكِ بَعْدَ أَنْ فتَحَ الغَرْبَ إلى البَحْرِ المُحِيْطِ ، إلى طُلَيْطِلَةَ التي تَحْتَ بَناتِ نَعْشٍ ، فأَخْبَرَهُ بالفَتْحِ ، وَقَدِمَ مَعَهُ بمائِدَةِ سُلَيْمانَ بن داودٍ عَلَيْهِما السَّلامُ التي وُجِدَتْ في طُلَيْطِلَةَ ، وكانَتْ مَصُوغَةً من الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَعَلَيْها طَوْقُ لُؤْلُؤٍ وَطَوْقُ ياقُوتٍ وَطَوْقُ زُمُرُّدٍ ، وَكَانَ قد حَمَلَها على بَغْلٍ قَوِيٍّ ، فَمَا سَارَ إلاَّ قَلِيلاً حَتَّى تَفَسَّخَتْ قَوائِمُهُ لِعِظَمِها ؛ وَقَدِمَ مَعَهُ أَيْضاً بِتِيْجَانِ مُلُوكِ اليُونانِ مُكَلَّلَةً بالجَواهِرِ ، وثَلاثِينَ أَلف رَأْسٍ من الرَّقِيقِ .

● قَالَ(٣) : وَكَانَ اليُونانُ ـ وَهُمْ أَهْلُ الحِكْمَةِ ـ يَسْكُنُونَ بلادَ المَشْرِقِ قَبْلَ الإسْكَنْدَرِ ، فَلَمَّا ظَهَرَتِ الفُرْسُ ، وَزَاحَمَتِ اليُونانَ على ما بأَيْدِيْهِمْ من المَمَالِكِ ، انْتَقَلُوا إلى جَزِيْرَةِ الأَنْدَلُسِ ، لِكَوْنِها طَرَفاً من آخِرِ العمارَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَها ذِكْرٌ ولا مَلَكَها أَحَدٌ من المُلُوكِ المُعْتَبَرَةِ ، ولا كانَتْ عامِرَةً كُلَّها ؛ وَكَانَ أَوَّلُ من عَمَّرَها واختطَّ فِيها أَنْدَلُس بن يافِث بن نُوح عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَسمِّيتْ باسْمِهِ ، وَلَمَّا عُمِّرَتِ الأَرْضُ بَعْدَ الطُّوفانِ ، كانَتْ صُورَةُ المَعْمُورِ مِنها عِنْدَهُم علىٰ شَكْلِ طائِرٍ ، رَأْسُهُ المَشْرِقُ ، وَذَنَبُهُ المَغْرِبُ ، وَجَناحاهُ الشّمالُ والجُنُوبُ ، وَبَطْنُهُ ما بَيْنَهُما ؛ فَكَانُوا يَزْدَرُونَ المَغْرِبَ لِنِسْبَتِهِ إلى أَخَسِّ أَجْزاءِ

---

(١) أبو داود (٥٠٢٠) والتّرمذيّ (٢٢٧٨) وابن ماجه (٣٩١٤) .

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ٣٢٩ .

(٣) وفيات الأعيان ٥/ ٣٢٣ .

الطَّائِرِ .

وَكَانَ اليُونانُ لا يَرَوْنَ فَناءَ الأُمَمِ بالحُرُوبِ ، لِما فِيهِ من الإضْرارِ ، والاشْتَغَالِ عن العُلُومِ التي أَمْرُها عِنْدَهُم أَهَمُّ الأُمُورِ ؛ فَلِذَلِكَ انْحازُوا من بَيْنِ يَدَيْ الفُرْسِ إلى الأَنْدَلُسِ ، فَعَمَرُوها ، وَشَقُّوا أَنْهارَها ، وَبَنَوا المعاقِلَ ، وَغَرَسُوا الجِنانَ والكُرُومَ ، وَمَلَؤُوها حَرْثاً وَنَسْلاً ، فَعَظُمَتْ وَطَابَتْ ، حَتَّى قَالَ قائِلُهم لَمَّا رَأَى بَهْجَتها : إنَّ الطَّائِرَ الذي صُورَةُ العَمَارَةِ على شَكْلِهِ ، وَكَانَ المَغْرِبُ ذَنَبَهُ ، كان طاوُوساً ؛ لأَنَّ مُعْظَمَ جَمالِهِ في ذَنَبِهِ .

وَلَمَّا كَمَّلَتِ اليُونانُ عمارَةَ جَزِيْرَةِ الأَنْدَلُسِ ، جَعَلُوا دَارَ الحِكْمَةِ وَالمُلْكِ فِيها مَدِيْنَةَ طُلَيْطِلَةَ ، لأَنَّها وَسَطُ البِلادِ .

قِيلَ[1] : إنَّ الحِكْمَةَ نَزَلَتْ من السَّمَاءِ على ثَلاثَةِ أَعْضاء : عَلَى أَدْمِغَةِ اليُونانِ ، وَأَيْدِي أَهْلِ الصِّيْنِ ، وأَلْسِنَةِ العَرَبِ .

● وفي « كِفايَةِ المُعْتَقِدِ » لِشَيْخِنا الإمامِ العارِفِ جَمالِ الدِّيْنِ اليافعيّ رحمهُ اللهُ[2] : أَنَّ الشَّيْخَ العارِفَ بِاللهِ تَعالَى عُمر بن الفارِضِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى ، دَخَلَ في أَيَّام بدايَتِهِ مَدْرَسَةً بِدِيارِ مِصْرَ[3] ، فَوَجَدَ شَيْخاً بَقّالاً يَتَوَضَّأُ من بِرْكَةِ مَاءٍ فِيها ، وُضُوءاً بغَيْرِ تَرْتِيبٍ ، فقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ، أَنْتَ فِي هَذَا السِّنِّ ، وَفِي مِثْلِ هَذَا البَلَدِ ، ولاَ تُحْسِنُ الوُضُوءَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يا عُمر ، ما يُفْتَحُ عَلَيْكَ بِمِصْرَ ؛ فَجَاءَ إِلَيْهِ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يا سَيِّدِي ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ يُفْتَحُ عَلَيَّ ؟ قَالَ : بِمَكَّةَ ؛ فَقَالَ لَهُ : يا سَيِّدِي ، وَأَيْنَ مَكَّةَ ؟ فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٣٢٥ .

(٢) طبقات الصُّوفيّة للمناوي ٢/ ٤٩٠ عن كفاية المعتقد أيضاً ١٩٠ وحياة الحيوان .

(٣) هي المدرسة السيوفيّة ، بباب الزُّهومة بالقاهرة ، وعلى بابها كان الشَّيخ أبو الحسن عليّ البقَّال يبيع البقول ، يَتستَّرُ بذلك حتَّى لا يعرفه أحدٌ ، ويُظهر الجهل لئلاَّ يعكف عليه النَّاس . (المناوي ٢/ ٤٨٩) .

نَحْوَها ؛ فَكُشِفَ لَهُ عَنْها ، وأَمَرَهُ الشَّيْخُ بالذَّهابِ إِلَيْها في ذَلِكَ الوَقْتِ ، فَوَصَلَ إِلَيْها في الحَالِ ، وَأَقامَ بِها اثْنَتَيْ عَشرةَ سَنةً ، فَفُتِحَ عَلَيْهِ ، وَنَظَمَ فِيها دِيْوانَهُ المَشهور ؛ ثُم بَعْدَ مُدَّةٍ سَمِعَ الشَّيْخَ المَذْكُورَ يَقُولُ : تَعالَ يا عُمرَ ، احْضَرْ مَوْتِي ؛ فَجَاءَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : خُذْ هَذَا الدِّيْنارَ فَجهِّزني بِهِ ، ثُمَّ احمِلْنِي وَضعْنِي في هَذَا المَكانِ ـ وَأَشارَ بِيَدِهِ إِلى مَكانٍ في القَرافَةِ ، وَهُوَ المَوْضِعُ الذي دُفِنَ فِيهِ ابْنُ الفارِضِ ـ ثُمَّ انْتَظِرْ ما يَكُونُ من أَمْرِي .

قَالَ : فَعَايَنْتُهُ وَلَمْ أَزَلْ مُعايِناً لَهُ حَتَّى فَرَغْتُ من تَجْهِيْزِهِ ، ثُمَّ حَمَلْتُهُ وَوَضَعْتُهُ فِيهِ ، وَوَقَفْتُ ، فإِذا أَنَا بِرَجُلٍ قد نَزَلَ من الهَواءِ ، فَصَلَّيْنا عَلَيْهِ ، ثُمَّ وَقَفْنا نَنْتَظِرُ ما يَكُونُ من أَمْرِهِ ، وإِذا الجَوُّ قد امْتَلأَ بِطُيُورٍ خُضْرٍ ، فَجَاءَ طائِرٌ كَبيرٌ فابْتَلَعَهُ ، ثُمَّ طَارَ ؛ فَتَعَجَّبْتُ مِنْهُ ، فَقَال لِي ذَلِكَ الرَّجُلُ : لا تَعْجَبْ من هَذَا ، فإِنَّ أَرْواحَ الشُّهَداءِ في حَواصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَرْعَى في الجَنَّةِ وَتَأْوِي إِلى قَنادِيلَ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ العَرْشِ .

قَالَ شَيْخُنا : أُولَئِكَ شُهَدَاءُ السُّيُوفِ ؛ وَأَمَّا شُهَدَاءُ الصَّفْوَةِ ، فَأَجْسَادُهُم أَرْواحٌ .

وَقَدْ تَكَلَّمْتُ على مَقامِ المَحَبَّةِ في آخِرِ الجُزْءِ الثَّامِنِ من كِتابي « الجَوْهَرِ الفَرِيْدِ » في نَحْوَ خَمْس كَرارِيسَ ، فَلْيُنْظَرْ هُناكَ ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ .

● **فُرُوعٌ مَنْثُورَةٌ** : مِنْها : لو مَلَكَ الإِنْسَانُ طائِراً ، أَوْ صَيْداً ، وَأَرادَ إِرْسَالَهُ من يَدِهِ ؛ فَوَجْهانِ ، أَحَدُهُما : أَنَّهُ يَجُوزُ ، وَيَزُولُ مُلْكُهُ عَنْهُ ، كَمَا لو أَعْتَقَ عَبْداً ؛ واختارَهُ ابْنُ أَبي هُرَيْرَةَ .

وَالثَّانِي : لا يَجُوزُ ذَلِكَ ؛ واخْتارَهُ الشَّيْخُ أَبو إِسحاق والقَفَّال والقاضِي أَبُو الطَّيِّبِ ، وَهُوَ الأَصَحُّ في « الرَّوْضَةِ » و« الشَّرْحِ » . وَلَوْ فَعَلَهُ عَصى ، ولَمْ يَخْرُجْ عن مُلْكِهِ بالإِرْسَالِ ، لأَنَّهُ يُشْبِهُ سَوائِبَ الجاهِلِيَّةِ ، كَمَا تَقَدَّمَ في « بابِ

الصَّادِ المُهْمَلَةِ » ؛ وَقِياساً على ما لو سَيَّبَ دابَّةً .

قَالَ القَفَّالُ : والعَوامُّ يُسَمُّونَهُ عِتْقاً وَيَحْتَسِبُونَهُ ، وَهُوَ حَرامٌ ؛ وَيَنْبَغِي الاحْتِرازُ عن ذَلِكَ ؛ لأَنَّ الطَّائِرَ المُخَلَّى يَخْتَلِطُ بالطُّيُورِ المُباحَةِ ، فَيأْخُذُهُ الآخِذُ ظَنّاً أَنَّهُ قد مَلَكَهُ وَهُوَ لا يَمْلِكُهُ ، فَيَكُونُ سَبَباً لِوُقُوعِ أَخِيهِ المُؤْمِنِ في المَحْظُوراتِ .

واخْتار صاحِبُ « الإيْضَاح » وَجْهاً ثَالِثاً : وَهُوَ إِنْ قَصَدَ بعِتْقِهِ التَّقَرُّبَ إِلى اللهِ تَعالَى ، زَالَ مُلْكُهُ عَنْهُ ، وإِلاَّ فَلا ، وإِنْ قُلْنا بالوَجْهِ الأَوَّلِ ، فإِنَّهُ يَعُودُ بالإِرْسَالِ إِلى ما كَانَ عَلَيْهِ في الأَصْلِ من حُكْمِ الإِباحَةِ ؛ وَإِنْ قُلْنا بالوَجْهِ الثَّانِي ، وَهُوَ الأَصَحُّ كَمَا تَقَدَّمَ ، لَمْ يَجُزْ لِمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ مُلْكُ الغَيْرِ أَخْذُهُ ؛ وَيُعْرَفُ كَوْنُهُ مُلْكاً لِلْغَيْرِ بكَوْنِهِ مَخْطُوماً ، أَوْ مَقْصُوصَ الجَناحِ ، أَوْ مُقَرَّطاً ، أَوْ فِيهِ جَلاجِلُ ، أَوْ مَوْسوماً ، أَوْ مَخْضُوباً ، أَوْ غَيْر ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى المُلْكِ ؛ فإِنْ شَكَّ في كَوْنِهِ مَمْلُوكاً فالأَصْلُ الحِلُّ .

فإِنْ قَالَ المُرْسِلُ عِنْدَ إِرْسَالِهِ : أَبَحْتُهُ لِمَنْ يَأْخُذُهُ ، جَازَ اصْطِيَادُهُ .

وإِنْ قُلْنا بالوَجْهِ الثَّالِثِ ، فَهَلْ يَحِلُّ اصْطِيَادُهُ ؟ فَوَجْهانِ : أَحَدُهُما : نَعم ؛ لأَنَّهُ قد عَادَ إِلى حُكْمِ الإِباحَةِ ، وَلأَنّا لو مَنَعْنا اصْطِيَاده لأَشْبَهَ سَوائِبَ الجاهِلِيَّةِ ؛ وَهَذَا هُوَ الأَصَحُّ في « الرَّوْضَةِ » ، وَالثَّانِي : المَنْعُ ، كَالعَبْدِ إِذا عتقَ ، فإِنَّهُ لا يُسْتَرَقُّ ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصَّ هَذَا الوَجْهُ بما إِذا أَعْتَقَهُ مسلم ؛ فإِن أعتقه كافِرٌ جَازَ اصْطِيَادُهُ قَطْعاً ، لأَنَّ عِتْقَهُ لا يَصِحُّ ، وَيُسْتَرَقُّ عَتِيقُهُ .

● وَمِنْها : اعْلَمْ أَنَّ الإمامَ الرَّافعيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى قد أَطْلَقَ القَوْلَ بِمَنْعِ الإِرْسَالِ ؛ وَلا بُدَّ من اسْتِثْناءِ صُوَرٍ : **الأُولَى** : أَنَّهُ إِذَا كان الطَّائِرُ مُعْتاداً العَدْوَ ، فإِنَّهُ يَجُوزُ إِرْسَالُهُ في المُسَابَقَةِ . **الثَّانِيَةُ** : إِذا كان لِلطَّائِرِ فَرْخٌ يُخْشَى عَلَيْهِ المَوْتُ بِحَبْسِ الطَّائِرِ عَنْهُ ، فَيَنْبَغِي هُنا القَطْعُ بوُجُوبِ الإِرْسَالِ ، لأَنَّ الفَرْخَ حَيْوانٌ مُحْتَرَمٌ ، فَيَجِبُ السَّعْيُ في صِيانَةِ رُوحِهِ ؛ وَقَدْ صَرَّحَ الأَصْحَابُ بِوُجُوبِ

تَأْخِيرِ الحامِلِ وَإِمْهالِها ، إذا وَجَبَ عَلَيْها الرَّجْمُ أَوِ القَصَاصُ لأَجْلِ إرضَاعِها الوَلَدَ ؛ وَجَزَمَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدَ الجُوَيْنِيّ ، بِتَحْرِيمِ ذَبْحِ الحَيوانِ المَأْكُولِ إذا كان حامِلاً لِغَيْرِ مَأْكُولٍ ؛ وَعَلَّلَهُ بِأَنَّ في ذَبْحِهِ ما لا يَحِلُّ ذَبْحُهُ ، وَهُوَ الحَمْلُ ؛ وَقَدْ أَطْلَقَ ﷺ ظَبْيَةٌ شَكَتْ أَنَّ لَها خِشْفَيْنِ : أَي وَلَدَيْنِ ـ ولا يعرف الطرف الأول ـ بالغابَةِ .

فَفِي إِطْلاقِهِ ﷺ إِيَّاها دَلِيلٌ عَلَى الوُجُوبِ ، لأَنَّ ما كَانَ مَمْنُوعاً مِنْهُ لَمْ يُنْسَخْ ؛ ثُمَّ جَوَّزَ في بَعْضِ الأَحْوالِ ، فَجَوازُهُ دَلِيلُ وُجُوبِهِ ، كَالنَّظَرِ إِلى العَوْرَةِ فِي الخِتانِ ؛ وَلَمَّا كان الإِرْسَالُ مَمْنُوعاً منهُ لِكَوْنِهِ سائِبَةً ثُمَّ جُوِّزَ في بَعْضِ الأَحْوَالِ ، كان دَلِيلَ الوُجُوبِ .

الثّالثة : إذا كان مَعَهُ طائِرٌ أَوْ حَيوانٌ ، وَلَيْسَ مَعَهُ ما يَذْبَحُهُ بِهِ ، ولا ما يُطْعِمُهُ ، فإِرْسَالُهُ واجِبٌ ، لِيَسْعَى في طَلَبِ رِزْقِهِ .

الرَّابِعَةُ : إذا أَرادَ الإِحْرَامَ ، فإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الإِرْسَالُ .

● **فائِدَةٌ** : وَرَوَى ابْنُ بَشْكَوال ، بِسَنَدِهِ إِلى أَحمد بن محمد العَطَّار ، عن أَبيهِ ، قَالَ :

كَانَ لَنا جَارٌ فَأُسِرَ ، وَأَقَامَ فِي الأَسْرِ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَأَيِسَ أَنْ يَرَى أَهْلَهُ .

قَالَ : فَبَيْنَما أَنا ذَاتَ لَيْلَةٍ أُفَكِّرُ فِيمَنْ خَلَّفْتُ من صِبْيَانِي وَأَبْكِي ، إذا أَنا بِطَائِرٍ سَقَطَ فَوْقَ حائِطِ السِّجْنِ ، يَدْعُو بِهَذا الدُّعَاءِ .

قَالَ : فَتَعَلَّمْتُهُ من الطَّائِرِ ، ثُمَّ دَعَوْتُ اللهَ بِهِ ثَلاثَ لَيالٍ مُتتابِعَاتٍ ، ثُمَّ نِمْتُ فَما اسْتَيْقَظْتُ إِلاَّ وَأَنا فِي بَلَدِي ، فَوْقَ سَطْحِ دَارِي .

قَالَ : فَنَزَلْتُ إِلى عِيَالِي ، فَسُرُّوا بِي بَعْدَ أَنْ فَزِعُوا مِنِّي ، لَمّا رَأَوني وَرأَوا ما بِي من تَغَيُّرِ الحَالِ وَالهَيْئَةِ ، ثُمَّ إِنِّي حَجَجْتُ من عامِي ، فَبَيْنَما أَنا أَطُوفُ وَأَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ ، إذا أَنا بشيخٍ قد ضربَ يدهُ علىٰ يَدي ، وقال لي : من أَين

لكَ هذا الدُّعاءُ ، فإنَّ هذا الدعاءَ لا يَدْعُو بهِ إلاَّ طائرٌ ببِلادِ الرُّومِ مُتَعَلِّقٌ بالهَواءِ ؟ فَحَدَّثْتُهُ بِقِصَّتِي ، وَبما جَرَى عَلَيَّ ، وأنِّي كُنْتُ أَسِيْراً بِبلادِ الرُّومِ ، وَتَعَلَّمْتُ الدُّعَاءَ من الطَّائِرِ ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ ؛ فَسَأَلْتُ الشَّيْخَ عن اسْمِهِ ، فَقَالَ : أَنَا الخَضِرُ . وَهُوَ هَذَا الدُّعاءُ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، يَا مَنْ لا تَراهُ العُيُونُ ، وَلا تُخالِطُهُ الظُّنُونُ ، وَ لا يَصِفُهُ الواصِفُونَ ، ولا تُغَيِّرُهُ الحَوادِثُ وَلا الدُّهُورُ ، يَعْلَمُ مَثَاقِيلَ الجِبَالِ ، وَمَكايِيلَ البِحارِ ، وَعَدَدَ قَطْرِ الأَمْطَارِ ، وَعَدَدَ وَرَقِ الأَشْجَارِ ، وَعَدَدَ ما يُظْلِمُ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَيُشْرِقُ عَلَيْهِ النَّهارُ ؛ وَلا يُوارِي منهُ سَماءٌ سَمَاءً ، ولا أَرْضٌ أَرْضاً ، ولا جَبَلٌ إلاَّ يَعْلَمُ ما فِي وَعْرِهِ وَسَهْلِهِ ، وَلا بَحْرٌ إلاَّ يَعلمُ ما فِي قَعْرِهِ وَسَاحِلِهِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ خَيْرَ عَمَلِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ من عادانِي فَعادِهِ ، وَمَنْ كادَنِي فَكِدْهُ ، وَمَنْ بَغَى عليَّ بِهَلَكَةٍ فَأَهْلِكْهُ ، وَمَنْ أَرادَنِي بِسُوءٍ فَخُذْهُ ، واطْفِىءْ عَنِّي نَارَ من أَشَبَّ لِي نارَهُ ، وَاكْفِنِي هَمَّ من أَدْخَلَ عَلَيَّ هَمَّهُ ، وأَدْخِلْنِي في دِرْعِكَ الحَصِيْنَةِ ، واسْتُرْنِي بِسَتْرِكَ الواقِي .

يَا مَنْ كَفَانِي كُلَّ شَيْءٍ ، اكْفِنِي ما أَهَمَّنِي من أَمْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، وَصَدِّقْ قَوْلِي وفِعْلِي بالتَّحْقِيقِ ، يا شَفِيقُ يا رَفِيقُ ، فَرِّجْ عَنِّي كُلَّ ضِيْقٍ ، وَلا تُحَمِّلْنِي ما لا أُطِيْقُ ؛ أَنْتَ إِلهِي الحَقُّ الحَقِيقُ .

يا مُشْرِقَ البُرْهَانِ ، يا قَوِيَّ الأَرْكَانِ ، يَا مَنْ رَحْمَتُهُ في كُلِّ مَكانٍ ، وَفِي هَذَا المَكَانِ ، يَا مَنْ لا يَخْلُو مِنْهُ مَكانٌ ؛ احْرُسْنِي بعَيْنِكَ التي لا تَنامُ ، واكْنُفْنِي في كَنَفِكَ الَّذِي لا يُرامُ ؛ إِنَّهُ قد تَيَقَّنَ قَلْبِي أَنَّ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ ، وأَنِّي لا أَهْلَكُ وَأَنْتَ مَعِي يا رَجائِي ، فارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ ، يا عَظِيْماً يُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ ،

يا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ ، أَنتَ بحاجتي عَليمٌ ، وَعَلَى خَلاصِي قَدِيرٌ ، وَهُوَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ ، فامْنُنْ عَلَيَّ بِقَضَائِها يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ ، وَيَا أَجْوَدَ الأَجْوَدِين ، وَيَا أَسْرَعَ الحاسِبين ، يَا رَبَّ العالَمِينَ ؛ ارْحَمْنِي وارْحَمْ جَمِيعَ المُذْنِبينَ من أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لنا كما استجبت لهم برحمتك ، عجل علينا بفرج من عندك ، بجودكَ وكرمكَ وارتفاعكَ فِي عُلُوِّ سَمائِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، إِنَّكَ على ما تَشَاءُ قَدِيرٌ ؛ وَصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خاتمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَهَذَ الدُّعَاءُ رَوى « الطَّبرانيُّ » بإِسْنادٍ صَحيحٍ قِطْعَةً منهُ ، عن أَنَسٍ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بأَعْرابيٍّ ،وَهُوَ يَدْعُو في صَلاتِهِ وَيَقُول : يَا مَنْ لا تَراهُ العُيُونُ ، ولا تُخالِطُهُ الظُّنُونُ ، وَلا يَصِفُهُ الواصِفُونَ ، وَلا تُغَيِّرُهُ الحوادِثُ ، ولا يَخْشَى الدَّوائِرَ ، يَعْلَمُ مَثاقِيلَ الجِبالِ ، وَمَكايِيْلَ البحارِ ، وَعَدَدَ قَطْرِ الأَمْطَارِ ، وَعَدَدَ وَرَقِ الأَشْجَارِ وَعَدَدَ ما أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ النَّهارُ ، ولا يُوارِي منهُ سَماءٌ سَماءً ، ولا أَرْضٌ أَرْضاً ؛ ولا بَحْرٌ إلاَّ يَعْلَمُ ما فِي قَعْرِهِ ، وَلا جَبَلٌ إلاَّ يَعْلَمُ ما فِي وَعْرِهِ ؛ اجْعَلْ خَيْر عُمُرِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَواتِمَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ .

فَوَكَّلَ رِسُولُ اللهِ ﷺ بالأَعرابيِّ رَجُلاً ، فَقَالَ : « إذا فَرَغَ من صَلاتِهِ فَائْتِنِي بِهِ » ، فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ أَتَاهُ بِهِ ، وَقَدْ كان أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ذَهَبٌ من بَعْضِ المعادِنِ ، فَلَمَّا أَتَى الأَعرابيُّ وَهَبَ لَهُ الذَّهَبَ ، وَقَالَ : « مِمَّنْ أَنْتَ يَا أَعرابيُّ ؟ » قَالَ : من بَنِي عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ ، فَقَالَ ﷺ : « هَلْ تَدْرِي لِمَ وَهَبْتُ لَكَ هَذَا الذَّهَبَ ؟ » قَالَ : لِلرَّحِمِ التي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ يا رَسُولَ اللهِ . قَالَ ﷺ : « إِنَّ لِلرَّحِمِ حَقّاً ، وَلَكِنْ وَهَبْتُ لَكَ الذَّهَبَ لِحُسْنِ ثَنائِكَ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

التَّعْبِيرُ : الطَّائِرُ : العَمَلُ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء : ١٣] . وَرُبَّما دَلَّ الطَّائِرُ المَجْهُولُ على الإِنْذارِ والمَوْعِظَةِ ، لِقَوْلِه تَعالَى : ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس : ١٩] فَمَنْ حَسُنَ طائِرُهُ في المَنامِ ، حَسُنَ عَمَلُهُ ، وَأَتاهُ رَسُولٌ بِخيرٍ .

ومن رأى معه طائراً متوحّشاً ، دميم الخَلقِ ، رُبما كان عملهُ سيِّئاً ، أَو أَتاه رسولٌ بِشرٍّ .

وَأَمَّا عُشُّ الطَّائِرِ : فإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الزَّوْجَةِ ، والحَدِّ الذي يَقِفُ العارِفُ عِنْدَهُ ؛ وَرُؤْيَةُ العُشِّ لِلْمَرْأَةِ الحامِلِ وِلادَةٌ ؛ وَالعُشُّ ما يَكُونُ في شَجَرَةٍ ؛ فإِذا كان في حائِطٍ أَوْ كَهْفٍ أَوْ جَبَلٍ ، فإِنَّهُ وَكْرٌ ، والوَكْرُ يَدُلُّ عَلَى دُورِ الزُّناةِ ، أَو مَساجِدِ المُتَعَبِّدِينَ والمُنْقَطِعِينَ .

وَأَمَّا بَيْضُ الطَّائِرِ : فإِنَّهُ دَالٌّ على الأَوْلادِ من الأَزْواجِ والإِماءِ ؛ وَرُبَّما دلَّ على القُبُورِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ البَيْضُ عَلَى بيضِ الأَسِنَّةِ ، أَوِ الخُوذِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على الاجْتِماعِ بالأَهْلِ والأَقارِبِ والأَحْبابِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على جَمْعِ الدَّراهِمِ والدَّنانِيرِ وادِّخارِها .

وَالرِّيْشُ مَالٌ في التَّأْوِيلِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ عَلَى شِراءِ قِمَاشٍ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على الجاهِ ، لأَنَّهُ يُقَالُ : فُلانٌ طائِرٌ بِجَناحِ غَيْرِهِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على النَّبْتِ من الزَّرْعِ .

وَالمِخْلَبُ : نُصْرَةُ المُخاصِمِ ، كَمَا أَنَّهُ لِلطَّائِرِ عُدَّةٌ وَجُنَّةٌ .

وَالمِنْقَارُ : عِزٌّ وَجَاهٌ عَرِيضٌ ، لِمَنْ مَلَكَهُ فِي المَنامِ .

وَأَمَّا الزِّبْلُ : فَزِبْلُ الطَّائِرِ المَأْكُولِ : مَالٌ حَلالٌ ؛ وَمَا لا يُؤْكَلُ : مَالٌ حَرامٌ .

وَالذَّرَقُ : كُسْوَةٌ لاشْتِبَاهِهِ في الثَّوْبِ ، وَرُبَّما دَلَّ ذَرَقُ الطَّائِرِ الكاسِرِ ، كَالنَّسْرِ والعُقَابِ ونَحْوِهما ، على الخِلَعِ من المُلُوكِ وَالأَكابِرِ .

فَهَذَا قَوْلٌ جَلِيٌّ فِيما ذُكِرَ من الطُّيُورِ ، وَفِيما سَيَأْتِي ، وعلى هَذَا فَقِسْ بِفَهْمِكَ وَحِذْقِكَ ، تُصِبْ إن شَاءَ اللهُ تَعالَى ، واللهُ المُوَفِّقُ .

٥٦٨ **الطَّبْطَابُ** : طائِرٌ لَهُ أُذُنانِ كَبيرَتانِ[١] .

٥٦٩ **الطَّبُّوعُ** : القَمْقَامَةُ[٢] ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ القافِ » .

٥٧٠ **الطَّثْرَجُ** : النَّملُ . قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[٣] ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في« بابِ النُّونِ » .

وَقَالَ غَيْرُهُ : صِغارُ النَّمْلِ .

٥٧١ **الطُّحَنُ** : دُوَيْبَّةٌ . قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[٤] وَغَيْرُهُ .

● قَالَ الزَّمخشَرِيُّ في « رَبِيعِ الأَبْرارِ »[٥] : هِيَ دُوَيْبَّةٌ تُشْبِهُ أُمَّ حُبَيْنٍ ، يَجْتَمِعُ إِلَيْها الصِّبْيَانُ وَيَقُولُونَ : اطْحَنِي لَنا ؛ فَتَطْحَنُ بِنَفْسِها الأَرْضَ ، حَتَّى تَغِيْبَ فِيْها .

٥٧٢ **الطِّرستوجُ** : حُوتٌ بَحْرِيٌّ ، إذا أُدْمِنَ أَكْلُهُ أَوْرَثَ العَيْنَ غِشَاوَةً[٦] .

٥٧٣ **طَرغلوذِس** : يَعْرِفُهُ أَهْلُ الأَنْدَلُسِ ، وَيُسَمُّونَهُ : الضُّرَّيْسَ : بِضَادٍ مُعْجَمَةٍ مَضْمُومَةٍ ، وَرَاءٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، وَيَاءٍ ساكِنَةٍ مَنْقُوطَةٍ باثْنَتَيْنِ من

---

(١) القاموس والتَّاج « طبب » ، والتَّكملة ١/ ١٩٣ .

(٢) الطَّبُّوع . دويبَّةٌ ذات سمٍّ ، أَو هي من جنس القِردان ، لِعَضَّتِهِ أَلَمٌ شديدٌ . (التاج « طبع ») .

(٣) الصِّحاح « طثرج » ١/ ٣٢٧ .

(٤) الصِّحاح « طحن » ٦/ ٢١٥٧ .

(٥) ربيع الأَبرار ٥/ ٤٧٠ .

(٦) عن مفردات ابن البيطار ٣/ ١٠٢ .

تَحْتِها ، وَسِينٍ مُهْمَلَةٍ[1] .

قَالَ الرَّازِي[2] : في « كِتابِ الكَافِي » : هُوَ عُصْفُورٌ صَغِيرٌ ، أَصْغَرُ من جَمِيعِ العَصَافِيرِ ؛ لَوْنُهُ رَماديٌّ وَأَحْمَرُ وأَصْفَرُ ، وَفِي جَناحَيْهِ رِيشٌ ذَهبيٌّ ، وَمِنْقارُهُ دَقيقٌ ، وَفِي ذَنَبِهِ نُقَطٌ بِيْضٌ ، [لَهُ حَرَكاتٌ] مُتواتِرَةٌ ، وَهُوَ دائِمُ الصَّفِيرِ ، وأَجْوَدُهُ السَّمِينُ .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ .

وَلَهُ **خاصِيَّةٌ** عَجِيبَةٌ في تَفْتِيْتِ الحَصَا المُتَكَوِّنِ في المَثَانَةِ ، وَمَنْعِ ما لَمْ يَتَكَوَّنْ .

٥٧٤ الطِّرفُ : بِكَسْرِ الطَّاءِ : الكَرِيمُ من الخَيْلِ . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هُوَ نَعْتٌ لِلذَّكَرِ خاصَّةً .

٥٧٥ الطَّغامُ والطَّغامَةُ : بِفَتْحِ الطَّاءِ ، وَالغَيْنِ المُعْجَمَةِ : أَرذالُ الطَّيْرِ والسِّبَاعِ ؛ وَهُما أَيْضاً أَرْذَالُ النَّاسِ ، الواحِدُ والجَمْعُ في ذَلِكَ سَواءٌ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[3] .

٥٧٦ الطِّفْلُ : وَلَدُ[4] كُلِّ وَحْشِيَّةٍ ، والمَوْلُودُ من بَنِي آدَمَ ؛ والجَمْعُ أَطْفالٌ .

وَقَدْ يَكُونُ الطِّفْلُ واحِدَاً وَجَمْعاً ، مِثْلَ الجُنُبِ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور : ٣١] .

---

(١) الصَّوابُ أَنَّ راءَهُ مهملةٌ مفتوحةٌ مشدَّدةٌ . (ابن البيطار ٣/١٠٥) وفيه : وأَمَّا الضُّرَّيْس فهو الطَّيهوج . وانظر ما مضى « الضُّرَّيس » .

(٢) النَّقل عن ابن البيطار ، عن الرَّازي . (المفردات ٣/١٠٢) .

(٣) وعنه اللِّسان « طغم » ٤/٢٦٧٧ .

(٤) عن الصِّحاح « طفل » ٥/١٧٥١ .

وَالمُطْفِلُ : الظَّبْيَةُ مَعَها طِفلُها ، وَهِيَ قَرِيبَةُ عَهْدٍ بالنِّتاجِ ، وَكَذَلِكَ النَّاقَةُ ؛ والجَمْعُ : المَطَافِيلُ . قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ(١) : [من الطويل]

وإِنَّ حَدِيْثاً مِنْكِ لو تَبْذُلِيْنَهُ ... جَنَى النَّحْلِ في أَلْبانِ عُوذٍ مَطافِلِ
مَطافِيلَ أَبْكارٍ حَدِيثٍ نِتاجُها ... تُشَابُ بِماءٍ مِثْلِ مَاءِ المَفَاصِلِ

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الآخَرِ(٢) : [من الوافر]

فَيَا عَجَباً لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلاً ... أُلَقِّمُهُ بِأَطْرافِ البَنانِ
أُعَلِّمُهُ الرِّمايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا اسْتَدَّ ساعِدُهُ رَمانِي
أُعَلِّمُهُ الفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ ... فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوافِي ... فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

٥٧٧ **ذُو الطُّفْيَتَيْنِ** : حَيَّةٌ خَبِيْثَةٌ ؛ وَالطُّفية : خُوصَةُ المُقْلِ في الأَصْلِ ، وَجَمْعُها طُفىً ، فَشُبِّهَ الخَطَّانِ اللَّذانِ على ظَهْرِ الحَيَّةِ بِخُوصَتَيْنِ من خُوصِ المُقْلِ(٣) .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَفِي « كِتابِ العَيْنِ »(٤) : الطُّفْيَةُ : حَيَّةٌ لَيِّنَةٌ خَبِيْثَةٌ ؛ وَأَنْشَدَ يَقُولُ(٥) : [من البسيط]

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٤٠ ـ ١٤١ وشرح أَشعار الهذليين ١/ ١٤١ .
(٢) الأَبيات بلا نسبة في الميداني ٢/ ٢٠٠ . ونُسب الثَّاني مع أَبياتٍ أُخر في بيان الجاحظ ٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ إلى معن بن أَوس وبمفرده له في الأَمثال والحكم للرَّازي ١١٤ . وهو في الاشتقاق ٤٩٧ و ٥٤٣ وفصل المقال ٤٢٠ لمالك بن فهم الأَزدي . وقال في اللِّسان « سدد » بعد إنشاد البيت : قال ابن برّي : هذا البيت ينسب إلى معن بن أَوس ، قاله في ابن أُختٍ له ، وقال ابن دريد [= في الاشتقاق] هو لمالك بن فهم الأَزديّ ، وكان اسم ابنه سَليمة رماه بسهمٍ فقتله . ورأَيته في شعر عقيل بن عُلَّفة يقوله في ابنه عملّس .
(٣) عن النِّهاية ٣/ ١٣٠ .
(٤) العين ٧/ ٤٥٧ .
(٥) البيت بلا نسبة في اللِّسان والتَّاج « طفي » . ونسبه الجوهري في الصِّحاح « طفا » =

وَهُـمْ يُـذِلُّـونَهـا مـن بَعْـدِ عِـزَّتِهـا   كَمَا تَذِلُّ الطُّفَى من رُقْيَةِ الرَّاقِي

وَكَذَلِكَ قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه أَيْضاً .

● وَفِي « الصَّحيحينِ »[1] وَغَيْرِهِما من حَدِيثِ ابنِ عُمر وعائِشَةَ رضي الله تعالى عنهم ، أَنَّ النبي ﷺ قَالَ : « اقْتُلُوا من الحَيَّات ذَا الطُّفْيَتَيْنِ والأَبْتَرَ ، فإِنَّهُما يَسْتَسْقِطَانِ الحَبَالَى ، وَيَلْتَمِسَانِ البَصَرَ » .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلام النَّوويُّ : قَالَ العُلَمَاءُ : الطُّفْيَتانِ : الخَطَّانِ الأَبْيَضَانِ على ظَهْرِ الحَيَّةِ . وَالأَبْتَرُ : قَصِيرُ الذَّنَبِ .

وَقَالَ النَّضرُ بن شُمَيْلٍ : هُوَ صِنْفٌ من الحَيَّاتِ ، أَزْرَقُ ، مَقْطُوعُ الذَّنَبِ ، لا تَنظرُ إِلَيْهِ حامِلٌ إلاّ أَلْقَتْ ما فِي بَطْنِها غالِباً .

وَذَكَرَ مُسْلِمٌ في رِوايَتِه عن الزُّهْرِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : نَرَى ذَلِكَ من سُمِّها .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : يَلْتَمِسَانِ البَصَرَ : فَفِيهِ تَأْوِيْلانِ : أَصَحُّهما أَنَّهُما يَخْطِفانهِ وَيَطْمِسَانِهِ بِمُجَرَّدِ نَظَرِهما إِلَيْه ، لِخاصِّيَّةٍ جَعَلَها اللهُ تَعالَى في بَصَرِهِما إِذا وَقَعَ عَلَى بَصَرِ الإِنْسَانِ ؛ وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ في رِوايَةِ مُسْلِمٍ « يَخْطِفَانِ البَصَرَ » .

وَالثَّانِي : أَنَّهُما يَقْصِدَانِ البَصَرَ بِاللَّسْعِ والنَّهْشِ .

قَالَ العُلَمَاءُ : وَفِي الحَيَّاتِ نَوْعٌ يُسَمَّى النَّاظِرَ : إِذا وَقَعَ بَصَرُهُ على عَيْنِ إِنْسَانٍ ، مَاتَ من سَاعَتِهِ .

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ القُرطبيُّ : ظاهِرُ هَذَا أَنَّ هذينِ النَّوْعَيْنِ من الحَيَّاتِ ، لَهُمَا من الخاصِّيَّةِ ما يَكُونُ عنها ذَلِكَ .

= ٦/٢٤١٣ ، إلى الهذلي ، وليس هو في ديوان الهذليّين ولا في شرح أَشعار الهذليّين .

(١) البخاري ٤/٩٧ و ٩٨ و ٩٩ ومسلم (٢٢٣٢ و ٢٢٣٣) وأَبو داود (٥٢٥٢ و ٥٢٥٣) والتّرمذيّ (١٤٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٥) ومسند أَحمد ٢/٩ و ١٢١ و ٣/٤٥٢ .

وَلا يُسْتَبْعَدُ هَذَا ، فَقَدْ حَكَى أَبُو الفَرَجِ ابنُ الجَوزيّ في كِتابِهِ المُسَمَّى « بِكَشْفِ المُشْكِلِ » كَمَا فِي الصَّحِيْحَيْنِ : أَنَّ بِعِراقِ العَجَمِ أَنْواعاً من الحَيَّاتِ ، تُهْلِكُ الرَّائِي لَها بِنَفْسِ رُؤْيَتِها ، وَمِنْها ما يُهْلِكُ بِالمُرُورِ على طَرِيْقِها .

٥٧٨ الطِّلْحُ : بِالكَسْرِ : القُرادُ . وَسيأتي إِن شاء الله تعالى لفظ « القُرادِ » في « بابِ القافِ » .

● قَالَ كَعْبُ بن زُهَيْرٍ[١] : [من البسيط]

وَجِلْدُها من أُطُومٍ لا يُؤَيِّسُهُ طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ المَتْنَيْنِ مَهْزُولُ

أَي : لا يُؤَثِّرُ القُرادُ في جِلْدِها لِمَلاستهِ . قَالَهُ في « نِهايَةِ الغَرِيبِ »[٢] .

٥٧٩ الطِّلا : بِكَسْرِ الطَّاءِ[٣] : الوَلَدُ من ذَواتِ الظِّلْفِ ؛ وَالجَمْعُ : أَطْلاءٌ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا : « كَيْفَ الطِّلا وأُمُّهُ »[٤] . يُضْرَبُ لِمَنْ ذَهَبَ هَمُّهُ ، وَحَلا لِسانُهُ .

٥٨٠ الطَّلِيُّ : بِالفَتْحِ : الصَّغِيرُ من أَوْلادِ المَعْزِ ؛ وإِنَّما سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ يُطْلَى : أَيْ تُشَدُّ رِجْلاهُ بِخَيْطٍ إِلى وَتَدٍ ، وَجَمْعُهُ طِلْيانٌ ، مِثْلُ رَغِيفٍ ورِغْفَانٍ[٥] .

٥٨١ الطُّمْروقُ : بِفَتْحِ الطَّاءِ[٦] : الخُفَّاشُ . حَكَاهُ ابْنُ سِيْدَه .

---

(١) ديوانه ١٠ (الهامش) .
(٢) النِّهاية ٣/ ١٣١ .
(٣) بل هو بفتح الطَّاء . (القاموس والتَّاج والصِّحاح واللِّسان) .
(٤) الميداني ٢/ ١٦٤ والعسكري ٢/ ١٦٠ . وقائله ابن لسان الحُمَّرَة . (الميداني ٢/ ٥٦ « غَرثانُ فاربُكوا له ») .
(٥) عن الصِّحاح « طلا » ٦/ ٢٤١٤ .
(٦) بل هو بضمِّ الطَّاء . (المخصّص ٨/ ١٦٦ واللِّسان « طمرق » ٤/ ٢٧٠٣) .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « حَرْفِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ » .

٥٨٢ **الطِّمْلُ والطِّمْلالُ** ، والأَطْلَسُ : الذِّئْبُ[١] . كَمَا تَقَدَّمَ لَفْظُهُ في « بابِ الذَّالِ المُعْجَمَةِ » .

٥٨٣ **الطُّنْبُورُ** : نَوْعٌ من الزَّنابيرِ ذَواتِ الإِبَرِ ، وَهُوَ يَأْكُلُ الخَشَبَ[٢] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « الزُّنْبُورِ » في « بابِ الزَّايِ المُعْجَمَةِ » .

قَالَ شَيْخُ الإِسلامِ النَّوويُّ في « شَرْحِ المُهَذَّبِ » : وَيُسْتَثْنَى من ذَواتِ الإِبَرِ : الجَرادُ ، فإِنَّهُ حَلالٌ قَطْعاً ، وَكَذَا القُنْفُذُ على الصَّحِيحِ .

٥٨٤ **الطُّورانيُّ** : قَالَ الجاحِظُ[٣] : إِنَّهُ نَوْعٌ من أَنْواعِ الحَمامِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ « الحَمامِ » في « بابِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ » .

٥٨٥ **الطُّوبالَةُ** : النَّعْجَةُ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُها في « بابِ النُّونِ » . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٤] .

٥٨٦ **الطُّوَّلُ** : بِضَمِّ الطَّاءِ ، وَتَشْدِيدِ الواوِ : طَائِرٌ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٥] وَغَيْرُهُ .

٥٨٧ **الطُّوطِي** : قَالَ حُجَّةُ الإِسلامِ أَبو حامد الغَزاليُّ ، في أَوَّلِ البابِ الثَّانِي ، في عِلْمِ الكَسْبِ[٦] : إِنَّهُ البَبَّغَاءُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « البَبَّغاء » في « بابِ الباءِ المُوَحَّدة » .

---

(١) اللِّسان والتَّاج « طمل » .

(٢) لم أَقف على حقيقته ، والعُهدة عليه .

(٣) الحيوان ٢/ ١٧٧ و ٣/ ١٤٤ و ٧/ ٦٦ .

(٤) وعنه اللِّسان « طبل » ٤/ ٢٦٤٠ .

(٥) المخصّص ٨/ ١٤٣ .

(٦) إحياء علوم الدِّين ٢/ ٦٠ .

٥٨٨ **الطَّيْرُ** : جَمْعُ طائِرٍ ، مثلُ صاحِبٍ وَصَحْبٍ ؛ وَجَمْعُ الطَّيْرِ : طُيُورٌ وَأَطْيَارٌ ، مِثْلُ فَرْخٍ وفُروخٍ وأَفْراخٍ .

وَقَالَ قُطْرُب : الطَّيْرُ أَيْضاً قد يَقَعُ على الواحِدِ[1] .

فائِدَةٌ : قَالَ اللهُ تعالىٰ لِخَليلِهِ إبراهيم ﷺ : ﴿ **فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ** ﴾ [البقرة : ٢٦٠] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : أَخَذَ طاوُوساً وَنَسْراً وَغُراباً ودِيْكاً .

وَقِيلَ : أَخَذَ حَماماً وَغُراباً وَدِيْكاً وَبَطَّةً .

وَقَالَ مُجاهِد وَعَطَاء وابْنُ جُرَيْجٍ : أَخَذَ طاوُوساً وَدِيْكاً وَحَماماً وَغُراباً .

وَقيلَ : كانَتِ الطُّيورُ بَطَّةً خَضْراءَ ، وَغُراباً أَسْوَدَ ، وَحَمامةً بَيْضاءَ ، وَدِيْكاً أَحْمَرَ .

قيلَ : وَفَائِدةُ حَصْرِهِ بِأَربعةٍ : أَنَّ الطَّبائِعَ أَربَعةٌ ، وَالغَالبُ عَلَى كلِّ وَاحِدٍ من هَذِهِ الطُّيورِ طَبْعٌ مِنها ، فأُمِرَ بِقَتْلِ الجَمِيْعِ ، وَخَلْطِ لُحومِها بَعْضِها ببعْضٍ ، وَكَذَلِكَ خَلْطِ دِمَائِها وَرِيشِها ، ثُمَّ دَعاهُنَّ بَعْدَ أَن فَرَّقَ أَجزاءَهُنَّ عَلى رُؤوسِ الجبالِ ، وقِيلَ : بَل أَمْسَكَ الرُّؤوسَ عِنْدَهُ ، فاجْتَمَعَتِ الأَجْزاءُ وَأَتَيْنَ سَعْياً إِلى رُؤوسِهِنَّ ، وَأَحْيَاهُنَّ الله تَعالَى كَمَا شَاءَ بِقُدْرَتِهِ .

وَفيهِ إِيْمَاءٌ إِلى أَنَّ إِحيَاءَ النَّفْسِ بالحيَاةِ الأَبَدِيَّةِ ؛ إِنَّمَا يَتأَتَّى بِإِماتَةِ الشَّهَوَاتِ وَالزَّخَارِفِ التي هِيَ صِفَةُ الطَّاووسِ ، وَالصَّوْلَةِ المَشهْورِ بِهَا الدِيْكُ ، وَخِسَّةِ النَّفْسِ وَبُعْدِ الأَمَلِ المَوْصُوفِ بِهمَا الغُرَابُ ، وَالتَّرَفُّعِ وَالمُسارَعَةِ للهَوَى الموَصوفِ بِهما الحَمَامُ .

وإِنَّما خَصَّ الطَّيْرَ ، لأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلى الإِنسَانِ ، وَأَجمَعُ لِخواصِّ الحَيَوانِ .

---

(١) عن الصِّحاح « طير » ٢/ ٧٢٧ .

وَجَمَعَ بَيْنَ مَأكولَي اللَّحْمِ وَضِدِّهما ؛ وَبَيَنَ مَمقُوتَين وَهُمَا الطَّاووسُ وَالغُرَابُ ، وَمَحبُوبَين وَهُمَا الدِّيْكُ والحَمامُ ؛ وَبَيْنَ ما يُسْرِعُ الطَّيرانَ كَالَحمامِ والغُرابِ ، وَبَيْنَ ما لا يَسْتَطِيْعُهُ إلاَّ قَلِيْلاً وَهُمَا الدِّيْكُ وَالطَّاوُوسُ ؛ وَبَيْنَ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ الذَّكَرُ من الأُنْثَى وَهُما الطَّاوُوسُ والدِّيْكُ ، وَمَا لا يَتَمَيَّزُ إلاَّ لِلْعارِفِ كَالحَمامِ ، وَمَا يَعْسُرُ تَمييزهُ كَالغُرابِ .

● وَمَا أَحْسَنَ قول ابنِ السَّاعاتِي[1] : [من الكامل]

وَالطَّلُّ في سِلْكِ الغُصُونِ كَلُؤْلُؤٍ رَطْبٍ يُصافِحُهُ النَّسِيْمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ يَقْرَأُ والغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرِّيْحُ يَكْتُبُ والغَمامُ يُنَقِّطُ

وَهُوَ تَقْسِيمٌ بَدِيعٌ .

وَالطَّيْرُ الذي يَأْتِي في كُلِّ سَنَةٍ إِلى جَبَلٍ بِصَعِيدِ مِصْرَ ، يُسَمَّى : بُوقير . وَقَدْ تَقَدَّمَ في « حَرْفِ البَاءِ » .

● **فائِدَتانِ** : **الأُوْلَى** : رَوَى الشَّافعيُّ ، عن سُفْيان بن عُيَيْنَةَ . عن عُبَيْدِ اللهِ ابن أَبي يَزِيد ، عن سِباع بن ثَابت ، عن أُمِّ كُرْزٍ ، قَالَتْ[2] : أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « أَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مَكِناتِها » . وَفِي رِوايَةٍ « فِي وُكُناتِها » .

وَهَذا بَعْضُ حَدِيثٍ رَواهُ « أَحمدُ » و« أَصْحابُ السُّنَنِ » و« الحاكِمُ » و« ابْنُ حِبَّان » .

قَالَ : فَالْتَفَتَ سُفْيَانُ إِلى الشَّافِعِيِّ وَقَالَ : يَا أَبا عَبْدِ اللهِ ، ما مَعْنَى هَذَا ؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إِنَّ عِلْمَ العَرَبِ كان فِي زَجْرِ الطَّيْرِ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُم إِذا أَرادَ سَفَراً ، خَرَجَ من بَيْتِهِ ، فَيَمُرُّ عَلَى الطَّيْرِ في مَكانِهِ ، فَيُطَيِّرُهُ ، فَإِذا أَخَذَ يَمِيناً مَرَّ

---

(١) ديوانه ٢/ ٤ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٩٦ .

(٢) مسند أحمد ٦/ ٣٨١ وأبو داود (٢٨٣٥) ومستدرك الحاكم ٤/ ٢٣٧ وابن حبَّان (٦١٢٦) والنِّهاية ٤/ ٣٥٠ .

في حاجَتِهِ ، وإِنْ أَخَذَ يَساراً رَجَعَ ؛ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « أَقِرُّوا الطَّيْرَ على مَكِناتِها » .

قَالَ : فكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يُسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيُفَسِّرُهُ على نَحْوِ ما فَسَّرَهُ الشَّافِعِيُّ .

● قَالَ أَحمدُ بن مُجاهِدٍ : سَأَلْتُ الأَصْمَعِيَّ عن تَفْسِيرِ هَذَا الحَدِيثِ ، فَقَالَ مِثْلَ ما قَالَ الشَّافِعِيُّ .

قَالَ : وَسَأَلْتُ وِكَيْعاً ، فَقَالَ : إِنَّما هُوَ عِنْدَنا على صَيْدِ اللَّيْلِ ؛ فَذَكَرْتُ لَهُ قَوْلَ الشَّافعيِّ ، فاسْتَحْسَنَهُ ، وَقَالَ : ما ظَنَنْتُهُ إِلاَّ على صَيْدِ اللَّيْلِ .

وَرَوَى البَيهَقِيُّ في « سُنَنِهِ » أَنَّ إِنْساناً سَأَلَ يُونُسَ بن عبد الأَعلى عن مَعْنَى « أَقِرُّوا الطَّيْرَ في مَكِناتِها » فَقَالَ : إِنَّ اللهَ تَعالَى يُحِبُّ الحَقَّ ؛ إِنَّ الشَّافعيَّ قَالَ في تَفْسِيرِهِ كَذَا ، وَذَكَرَ ما تقَدَّمَ عَنْهُ .

قَالَ : وَكَانَ الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ نَسِيجَ وَحْدِهِ في هَذِهِ المَعانِي .

قَوْلُهُ : نَسِيْجَ وَحدِه ، هوَ بالإِضافَةِ ؛ وَوَحدِه : مَكْسُورُ الدَّالِ .

قَالَ ابْنُ قُتيبَةَ : وَأَصْلُهُ أَنَّ الثَّوْبَ الرَّقِيقَ النَّفِيسَ ، لا يُنْسَجُ على مِنوالِهِ غَيْرُهُ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ نَفِيساً عُمِلَ على مِنْوالِهِ عِدَّةُ أَثْوابٍ ؛ فاسْتُعِيرَ ذَلِكَ لِكُلِّ كَرِيمٍ من الرِّجالِ . انتهى .

قَالَ الصَّيْدلانيُّ في « شَرْحِ المُخْتَصَرِ » : المَكِنَةُ : بِكَسْرِ الكافِ : مَوْضِعُ القَرارِ والتَّمَكُّنِ .

قَالَ : وَفِي مَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ أَقْوالٌ : **أَحَدُها** : النَّهْيُ عن الصَّيْدِ لَيْلاً . **ثانيها** : ما تَقَدَّمَ عن الشَّافعيِّ . **ثَالِثُها** : قال أَبُو عُبيد القاسم بن سَلام : أَقِرُّوها على بَيْضِها التي احْتَضَنَتْها ؛ وَأَصْلُ المُكْنِ بَيْضُ الضَّبِّ .

قَالَ الصَّيْدلانيُّ : فعَلَى هَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المُفْرَدُ : المُكْنَةُ ، بِتَسْكِينِ

الكافِ ، كَتَمْرَةٍ وَتَمْراتٍ . انتهى .

● **الفائِدَةُ الأُخْرَى** : الطِّيَرَةُ : بِكَسْرِ الطَّاءِ ، وَفَتْحِ اليَاءِ المُثَنَّاةِ تَحْت : التَّشاؤُمُ بالشَّيْءِ . قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف : ١٣١] أَيْ شُؤْمُهُم جاءَ من قِبَلِ اللهِ تَعالَى ، وَهُوَ الذي قَضَى عَلَيْهِم بِذَلِكَ وَقَدَّرَهُ .

وَيُقالُ : تَطَيَّرَ طِيَرَةً ، وَتَخَيَّرَ خِيَرَةً ؛ وَلَمْ يَجِىءْ من المَصَادِرِ هَكَذَا غَيْرُهُما . انتهى[١] .

وَكَانَ ذَلِكَ يَصُدُّهُمْ عن مقاصِدِهم ، فَنَفاهُ الشَّرْعُ وَأَبْطَلَهُ بِقَوْلِه[٢] : « لا طِيَرَةَ ، وَخَيْرُها الفَأْلُ » . قِيلَ : يا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا الفَأْلُ ؟ قَالَ ﷺ : « الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُها أَحَدُكُمْ » . وَفِي رِوايَةٍ قَالَ : « يُعْجِبُنِي الفَأْلُ ، وأُحِبُّ الفَأْلَ الصَّالِحَ » .

وَكانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِالسَّوانِحِ والبَوارِحِ ، فَيُنَفِّرُونَ الظِّبَاءَ والطُّيُورَ ، فإِنْ أَخَذَتْ ذَاتَ اليَمِينِ تَبَرَّكُوا بِهِ وَمَضَوْا في أَسْفارِهِمْ وحَوائِجِهم ، وإِنْ أَخَذَتْ ذات الشِّمالِ رَجَعُوا عن ذَلِكَ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرُ : « الطِّيرةُ شِرْكٌ » أَيْ اعْتِقَادُ أَنَّها تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ .

وإِنَّما اشْتَقُّوا الطِّيَرَةَ من الطَّيْرِ ، لِسُرْعَةِ لُحُوقِ البَلاءِ ـ على اعْتِقادِهم ـ كَمَا يُسْرِعُ الطَّيْرُ في الطَّيَرانِ .

وَأَمَّا الفَأْلُ : فَمَهموزٌ ، وَيَجُوزُ تَرْكُ هَمْزِهِ ؛ وَقَدْ فَسَّرَهُ النَّبيُّ ﷺ بالكَلِمَةِ الصَّالِحَةِ والحَسَنَةِ ؛ والغَالِبُ أَنَّهُ يَكُونُ فِيما يَسُرُّ ، وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا يَسُوءُ ؛ وأَمَّا

---

(١) عن النِّهاية ٣/ ١٥٢ .

(٢) البخاري ٧/ ٢٧ ومسلم (٢٢٢٣ ـ ٢٢٢٤) وابن ماجه (٣٥٣٦ ـ ٣٥٣٨) ومسند أحمد ٢/ ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٤٠٦ و ٤٥٣ و ٥٢٤ .

الطِّيَرَةُ فإنَّها لا تكُونُ إلاَّ فِيما يَسُوءُ .

قَالَ العُلَمَاءُ : إنَّما أَحَبَّ الفَأْلَ ، لأَنَّ الإنْسَانَ إذا أَمَّلَ فَضْلَ اللهِ تَعالَى ، كان على خَيْرٍ ؛ وإذا قَطَعَ رَجاءَهُ من اللهِ تَعالَى كان عَلَى سُوءٍ ؛ والطِّيَرَةُ فِيها سُوءُ ظَنٍّ ؛ وَتَوَقُّعُ البَلاءِ .

وَفِي الحَدِيثِ(١) : « قَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ، لا يَسْلَمُ مِنَّا أَحَدٌ من الطِّيَرَةِ والحَسَدِ وَالظَّنِّ ، فَما نَصْنَعُ ؟ قَالَ ﷺ : « إذا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ ، وإذا حَسَدْتَ فلا تَبْغِ ؛ وإذا ظَنَنْتَ فلا تُحَقِّقْ » . رَواهُ الطَّبرانيُّ وابْنُ أَبي الدُّنْيا .

وَسَيَأْتِي إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى الكَلامُ على الطِّيَرَةِ في « بابِ اللاَّمِ » في « اللَّقْحةِ » أَيْضاً .

قَالَ في « مِفْتاحِ دَارِ السَّعادَةِ » : واعْلَمْ أَنَّ التَّطَيُّرَ إنَّما يَضُرُّ مَن أَشْفَقَ مِنهُ وَخَافَ ، وَأَمَّا مَن لَمْ يُبالِ بِهِ وَلَمْ يَعْبَأْ بِهِ ، فَلا يَضُرُّهُ أَلْبَتَّةَ ، لا سِيَّما إنْ قَالَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ما يُتَطَيَّرُ بِهِ ، أَوْ سَماعِهِ : اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إلاَّ طَيْرُكَ ، وَلا خَيْرَ إلاَّ خيرُكَ ، وَلا إلَهَ غيرُكَ ؛ اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إلاَّ أَنْتَ ، ولا يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ إلاَّ أَنْتَ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِكَ .

وَأَمَّا من كان مُعْتَنِياً بِها ، فَهِيَ أَسْرَعُ إلَيْهِ من السَّيْلِ إلى مُنحدرِهِ ، وَقَدْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الوَساوِسِ فِيمَا يَسْمَعُهُ وَيَراهُ ، وَيَفْتَحُ لَهُ الشَّيْطَانُ فِيها من المُناسَبَاتِ البَعِيْدَةِ وَالقَرِيْبَةِ ، ما يُفْسِدُ عَلَيْهِ دِيْنَهُ ، وَيُنَكِّدُ عَلَيْهِ مَعِيْشَتَهُ . انتهى .

● وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الحَكَمِ(٢) : لَمَّا خَرَجَ عُمر بن عبد العزيزِ من المَدِيْنَةِ ،

---

(١) عن النِّهاية ٣/ ١٥٢ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٣٢ . والرّجل القائل له : هو مزاحم مولى عمر ، ولم يكن لخميّاً ! .

قَالَ رَجُلٌ من لَخْمٍ : تَطَيَّرْتُ ، فإِذا القَمَرُ في الدَّبَرانِ ، فكَرِهْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ ، فقُلْتُ : أَلا تَنْظُرُ إِلى القَمَرِ ، ما أَحْسَنَ اسْتِواءَهُ في هَذِهِ اللَّيْلَةِ ! فنَظَرَ عُمرُ فإِذا هُوَ في الدَّبَرانِ ، فقَالَ : كَأَنَّكَ أَرَدْتَ أَن تُعْلِمَنِي بِأَنَّهُ في الدَّبَرانِ ؟ إِنَّا لا نَخْرُجُ بِشَمْسٍ ولا بِقَمَرٍ ، وَلَكِنَّا نَخْرُجُ باللهِ الواحِدِ القَهَّارِ .

● قَالَ « ابْنُ خلِّكان »[١] : وَمِنْ قَبِيحِ ما وَقَعَ لأَبِي نُواسٍ ، أَنَّ جَعْفَرَ بن يَحْيَى البَرْمَكِيَّ بَنى داراً اسْتفْرَغَ فِيها جُهْدَهُ ، فَلَمَّا كَمُلَتْ وانْتَقَلَ إِلَيْها ، صَنَعَ فِيها أَبُو نُواسٍ قَصِيدَةً امْتَدَحَهُ بِها ، أَوَّلُها[٢] : [من الطويل]

أَرَبْعَ البِلَى إِنَّ الخُشُوعَ لَبادِي ... عَلَيْكَ وإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وِدادِي
سَلامٌ على الدُّنْيا إِذا ما فُقِدْتُمُ ... بَنِي بَرْمَكٍ مِن رائِحِينَ وغَادِي

فَتَطَيَّرَ مِنْها بَنُو بَرْمَكٍ ، وَقَالُوا : نَعَيْتَ لَنا أَنْفُسَنا يا أَبا نُواسٍ . فَمَا كانَتْ إِلاَّ مُدَيْدَةٌ حَتَّى أَوْقَعَ بِهِمُ الرَّشِيدُ ، وَصَحَّتِ الطِّيَرَةُ .

● وَذَكَرَ الطَّبريُّ والبَغداديُّ وابْنُ خلِّكان وغيرُهم[٣] : أَنَّ جَعْفَرَ بن يَحْيَى البَرْمَكِيَّ لَمّا بَنَى قَصْرَهُ ، وَتَناهَى بنيانه ، وَكَمُلَ حسنه ، وعَزَمَ علىٰ الانْتِقَالِ إِلَيْهِ ، جَمَعَ المُنَجِّمِينَ لاخْتِيارِ وَقْتٍ يَنْتَقِلُ فِيهِ إِلَيْهِ ، فاخْتَارُوا لَهُ وَقْتاً في اللَّيْلِ ، فَخَرَجَ في ذَلِكَ الوَقْتِ والطُّرُقُ خالِيَةٌ والنَّاسُ هادِئُونَ ، فَرَأَى رَجُلاً قائِماً يَقُولُ[٤] : [من الوافر]

تُدَبِّرُ بِالنُّجُومِ وَلَسْتَ تَدْرِي ... وَرَبُّ النَّجْمِ يَفْعَلُ ما يَشَاءُ

---

(١) لم يرد هذا الخبر في وفيات الأعيان . وهو في ديوان أَبي نوَّاس ١/ ١٥٦ ، والمنازل والدِّيار ١٣٨ .

(٢) ديوانه ١/ ١٥٢ و ١٥٥ .

(٣) لم يرد الخبر في تاريخ الطَّبري ، وهو في التَّذكرة الحمدونيَّة ٩/ ٣٢١ وبمعناه في وفيات الأعيان ١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

(٤) البيت بلا نسبة في مصدر الخبر . وروايته في الوفيات : × . . . ما يريدُ .

فَتَطَيَّرَ وَوَقَفَ ، دعا بالرَّجُلِ ، وَقَالَ لَهُ : أَعِدْ ما قُلْتَهُ ؛ فَأَعادَهُ ، فَقَالَ : ما أَرَدْتَ بِهَذَا ؟ قَالَ : ما أَرَدْتُ بِهِ مَعنىً من المَعانِي ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ عَرَضَ لِي وَجَاءَ على لِسانِي ، فأَمَرَ لَهُ بِدَنانِيرَ ، وَمَضَى لِوَجْهِهِ وَقَدْ تَنَغَّصَ سُرُورُهُ ، وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ ؛ فَلَمْ يَكُنْ إِلاَّ قَليلٌ حَتَّى أَوْقَعَ بِهِمُ الرَّشِيدُ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ قَتْلِهِ في « بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ » في « العقاب » .

● وَفِي « التَّمهِيدِ » لابْنِ عَبْدِ البَرِّ : من حَدِيثِ المَقْبريّ ، عن ابْنِ لَهِيْعَةَ ، عن ابْنِ هُبيرَةَ ، عن أَبي عَبْدِ الرَّحمنِ الحُبُليّ ، عن عَبْدِ اللهِ بن عُمر رضي الله تعالى عنهما ، عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ رَجَعَتْهُ الطِّيَرَةُ عن حاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ » . قَالُوا : وَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ ﷺ : « أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُم : اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ ، وَلا خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ ، ولا إِله غَيْرُكَ ؛ ثُمَّ يَمْضِي لِحاجَتِهِ » .

● **تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ** : جَزَمَ الإمامُ العَلاَّمَةُ القاضِي أَبُو بَكر ابن العربيّ في « الأَحكامِ » في سُورَةِ المائِدَةِ ، بِتحريمِ أَخْذِ الفَأْلِ من المُصْحَفِ ؛ وَنَقَلَهُ القَرافيُّ عن الإمامِ العَلاَّمَةِ أَبي الوَلِيدِ الطُّرْطُوشيّ .

وَأَقَرَّهُ وَأَباحَهُ ابْنُ بَطَّةَ ، من الحنابِلَةِ ؛ وَمُقْتَضَى مَذْهَبِنا كَراهَتُهُ .

● وَحَكَى الماوَرديُّ في « كِتابِ أَدَبِ الدِّيْنِ والدُّنْيا »(١) : أَنَّ الوَلِيدَ بن يَزِيد بن عَبْدِ المَلِكِ تَفاءَلَ يَوْماً في المُصْحَفِ ، فَخَرَجَ لَهُ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ [إبراهيم : ١٥] فَمَزَّقَ المُصْحَفَ وَأَنْشَأَ

---

(١) أَدب الدُّنيا والدِّين ٥٠٠ ـ ٥٠١ والأَغاني ٧/ ٤٩ ومروج الذَّهب ٤/ ٥٣ ـ ٥٤ وأَمالي المرتضى ١/ ١٣٠ والنُّجوم الزَّاهرة ١/ ٢٩٩ . وثمة مزيد تخريج في ديوان الوليد ٤٧ .

يَقُولُ[1] : [مِنَ الوافِرِ]

أَتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ   فَهَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
إذا ما جِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ   فَقُلْ يَا رَبِّ مَزَّقَنِي الوَلِيدُ

فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ أَيَّاماً يَسِيرَةً حَتَّى قُتِلَ شَرَّ قِتْلَةٍ ، وَصُلِبَ رَأْسُهُ على قَصْرِهِ ، ثُمَّ عَلَى أَعْلَى سُورِ بَلَدِهِ ؛ كَمَا تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ » في لَفْظِ « الإِوَزِّ » .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : رَوَى « التِّرمِذيُّ » و « ابْنُ ماجَه » و « الحاكِمُ » وَصَحَّحُوهُ[2] ، عن أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمر بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّير ، تَغْدُو خِماصاً وَتَرُوحُ بِطاناً » .

مَعناهُ : تَذهبُ أَوَّلَ النَّهارِ ضامِرَةَ البُطُونِ من الجُوعِ ، وَتَرْجِعُ آخِرَ النَّهارِ مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ من الشِّبَعِ .

قَالَ الإِمامُ أَحمد : لَيْسَ فِي هَذَا الحَدِيثِ دَلالَةٌ عَلى القُعُودِ عن الكَسْبِ ، بَلْ فِيهِ ما يَدُلُّ على طَلَبِ الرِّزْقِ ؛ وَإِنَّما أَرادَ ـ واللهُ أَعلمُ ـ لو تَوَكَّلُوا على اللهِ في ذَهابِهِمْ وَمَجِيئِهِم وَتَصَرُّفِهِم ، وعَلِمُوا أَنَّ الخَيْرَ بِيَدِهِ وَمِنْ عِنْدِهِ ، لَمْ يَنْصَرِفُوا إِلاَّ سالِمِينَ غانِمِينَ ، كَالطَّيْرِ تَغْدُو خِماصاً وَتَرُوحُ بِطاناً ، لَكِنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ على قُوَّتِهِم وَكَسْبِهِم ، وَهَذَا خِلافُ التَّوَكُّلِ .

● وَفِي « الإِحياء » في أَوائِلِ « كِتابِ أَحْكامِ الكَسْبِ »[3] : قِيلَ لأَحمد : ما تَقُولُ في الَّذِي يَجْلِسُ في بَيْتِهِ أَو مَسْجِدِهِ وَيَقُولُ : لا أَعْمَلُ شَيْئاً حَتَّى يَأْتِيَنِي

(١) ديوانه ٤٥ .
(٢) التّرمذيّ (٢٣٤٤) وابن ماجه (٤١٦٤) وابن حبّان (٧٣٠) ومستدرك الحاكم ٤/ ٣١٨ .
(٣) إحياء علوم الدِّين ٢/ ٥٨ .

رِزْقِي ؟ فَقَالَ أَحمد : هَذَا رَجُلٌ جَهِلَ العِلْمَ ؛ أَما سَمِعَ قَوْلَ النبيِّ ﷺ[(١)] : « إِنَّ اللهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي » ؟ وَقَوْلَهُ حَيْثُ ذَكَرَ الطَّيْرَ : « تَغْدُو خِماصاً وَتَرُوحُ بِطاناً » ؟ وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَّجِرُونَ فِي البَرِّ والبَحْرِ ، وَيَعْمَلُونَ في نَخِيْلِهِمْ ، وَالقُدْوَةُ بِهِم .

● **مَسْأَلَةٌ « لَوْ أَوْصَى لِلْمُتَوَكِّلِينَ »** : أَفْتَى ابْنُ عَبَّاسٍ بِأَنَّ ذَلِكَ يُصْرَفُ لِلزُّرَّاعِ ، فَإِنَّهُمْ يَحْرثُونَ وَيُضَيِّعُونَ البَذْرَ في الأَرْضِ ، فَهُمْ مُتَوَكِّلُونَ على اللهِ تَعَالَى ؛ وَيَدُلُّ لَهُ ما رَوَى البَيْهَقِيُّ في « الشُّعَبِ »[(٢)] وَالعَسْكَرِيُّ في « الأَمْثَالِ » : أَنَّ عُمرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ لَقِيَ ناساً من أَهْلِ اليَمَنِ ، فَقَالَ : مَن أَنْتُم ؟ قَالُوا : مُتَوَكِّلُون . قَالَ : كَذَبْتُمْ ، إِنَّما المُتَوَكِّلُ رَجُلٌ أَلْقَى حَبَّهُ في التُّرابِ ، وَتَوَكَّل على رَبِّ الأَرْبابِ .

وَبِهَذَا أَفْتَى بَعْضُ فُقَهاءِ بَيْتِ المَقْدِسِ قَدِيماً .

وَقَالَ الإِمامان الرَّافعيُّ وَالنَّوويُّ في تَفْضِيلِ بَعْضِ الاكْتِسَابِ على بَعْضٍ ؛ واحْتَجَّ مَن فَضَّلَ الزِّراعَة بِأَنَّها أَقْرَبُ إِلى التَّوَكُّلِ .

● وَفِي « الشُّعَبِ » أَيْضاً[(٣)] : عن عَمرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيّ ، أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، أُرْسِل ناقَتِي وأَتَوَكَّلُ ؟ قَالَ ﷺ : « اعْقِلْها وَتَوَكَّلْ » . وَسَيَأْتِي إِن شاء الله تعالى في « بابِ النُّونِ » .

وَقَالَ الحَلِيميُّ : يُسْتَحبُّ لِكُلِّ من أَلْقَى فِي الأَرْضِ بَذْراً ، أَنْ يَقْرَأَ بَعْدَ الاسْتِعاذةِ ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٣] الآية ، ثُمَّ يَقُولَ : بَلِ اللهُ الزَّارعُ وَالمُنْبِتُ والمُبْلِغُ ؛ اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وارزُقنا ثَمَرَهُ ،

---

(١) البخاري ٤/ ٢٣٠ ومسند أَحمد ٢/ ٥٠ .

(٢) ليس في شعب الإيمان ، ولا في جمهرة الأَمثال للعسكريّ .

(٣) شعب الإيمان ٢/ ٨٠ والتّرمذيّ (٢٥١٧) وحلية الأَولياء ٨/ ٣٩٠ .

وَجَنِّبْنا ضَرَرَهُ ، وَاجْعَلْنا لأَنْعُمكَ من الشَّاكِرِينَ .

وَقالَ أَبُو ثَوْرٍ : سَمِعْتُ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يَقُولُ : نَزَّهَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَرَفَعَ قَدْرَهُ ، فَقَالَ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ في التَّوكُّلِ على أَحْوَالٍ شَتَّى : مُتَوَكِّلٌ على نَفْسِهِ ، أَو عَلَى مالِهِ ، أَو عَلَى جاهِهِ ، أَوْ عَلَى سُلْطانِهِ ، أَو عَلَى صِناعَتِهِ ، أَو عَلَى غَلَّتِهِ ، أَو عَلَى النَّاسِ ؛ وَكُلٌّ مُستندٌ إلى حِيٍّ يَمُوتُ ، أَو إلى ذاهِبٍ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ ، فَنَزَّهَ اللهُ تَعالَى نَبِيَّهُ ﷺ عن ذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَكَّلَ على الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ .

وَقَالَ الإمامُ العَلاَّمَةُ شَيْخُ الشَّرِيْعَةِ والحَقِيْقَةِ أَبو طالِب المَكِّيّ ، في كِتابه « قُوتِ القُلُوبِ »[1] : اعْلَمْ أَنَّ العُلَماءَ باللهِ تَعالَى لَمْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ لأَجْلِ أَنْ يَحْفَظَ عليهم دُنْيَاهُمْ ، وَلا لأَجْلِ تَبْليغِهم رِضاهُمْ ومُرَادَهُم ، وَلا لِيَشْتَرِطُوا عَلَيْهِ حُسْنَ القَضاءِ بِمَا يُحِبُّونَ ، وَلا لِيُبَدِّلَ لَهُمْ جَرَيَانَ أَحْكَامِهِ عَمَّا يَكْرَهون ، وَلا لِيُغَيِّرَ لَهُمْ سابقَ مَشِيئَتِهِ إلى ما يَعْقِلُونَ ، وَلا لِيُحَوِّلَ عَنْهُمْ سُنَّتَهُ التي قد خَلَتْ في عِبادِهِ ، من الابْتِلاءِ وَالامْتِحانِ والاخْتِبَارِ ، بَلْ هُوَ جَلَّ وَعَلاَ أَجَلُّ فِي قُلُوبِهِمْ من ذَلِكَ ، وَهُمْ أَعْقَلُ عَنْهُ وَأَعْرَفُ بِهِ من هَذَا ؛ فَلَو اعْتَقَدَ عارِفٌ باللهِ أَحَدَ هَذِهِ المَعانِي مَعَ اللهِ في تَوَكُّلِهِ ، لَكَانَ عَلَيْهِ كَبِيرَةً تُوجِبُ عَلَيْهِ التَّوْبَةَ ، وَكَانَ تَوَكُّله مَعْصِيَةً ؛ وَإِنَّما أَخَذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلى أَحْكامِهِ كَيْفَ جَرَتْ ، وَطَالَبُوا قُلُوبَهُمْ بِالرِّضَا كَيْفَ أُجْرِيَ . ا هـ .

● **فائِدَةٌ** : عن كَعْبِ الأَحْبَارِ ، قَالَ : إِنَّ الطَّيْرَ تَرْتَفِعُ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً ، ولا تَرْتَفِعُ فَوْقَ هَذَا ؛ وَفَوْقَ الجَوِّ السّكاكُ ؛ والجَوُّ هُوَ الهَواءُ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ .

التَّعْبِيرُ : الطَّائِرُ في المَنامِ : رِزْقٌ لِمَنْ حَواهُ ؛ لِقَوْلِ الشَّاعِرِ : [من الطويل]

---

(١) قوت القلوب ٢/ ٧٢ ـ ٧٣ .

وَمَا الرِّزْقُ إلا طَائِرٌ أَعْجَبَ الوَرَى فَمُـدَّتْ لَـهُ مـن كُـلِّ فَـنٍّ حَبـائِـلُ

وَسَعادَةٌ وَرِئاسَةٌ .

وَقِيلَ : الطُّيُورُ السُّودُ : تَدُلُّ على السَّيِّئَاتِ ، والطُّيُورُ البِيْضُ : تَدُلُّ على الحَسَناتِ .

وَمَنْ رَأَى طُيُوراً تَنْزِلُ عَلَى مَكانٍ وَتَرْتَفِعُ ، فإِنَّها مَلائِكَةٌ .

وَرُؤْيَةُ ما يَسْتَأْنِسُ بالإِنْسَانِ من الطُّيُورِ ، دَلِيلٌ على الأَزْواجِ والأَوْلادِ ؛ وَرُؤْيَةُ ما لا يَأْنَسُ بالآدميِّ من الطَّيْرِ ، دَلِيلٌ على مُعاشَرَةِ الأَضْدَادِ والأَعْجَامِ .

وَرُؤْيَةُ الكاسِرِ من الطَّيْرِ في المَنَامِ ، شَرٌّ وَنَكَدٌ وَمَغارِمُ .

وَرُؤْيَةُ الجارِحِ المُعْلَم ، عِزٌّ وَسُلْطانٌ ، وَفوائِدُ ، وأَرْزاقٌ .

وَرُؤْيَةُ المَأْكُولِ لَحْمُهُ ، فائِدَةٌ سَهْلَة .

وَرُؤْيَةُ ذِي الأَصْواتِ ، قَوْمٌ صَالِحُونَ .

وَرُؤْيَةُ المُذَكَّرِ رِجالٌ ، والمُؤَنَّثِ نِسَاءٌ .

وَرُؤْيَةُ المَجْهُولِ من الطَّيْرِ قَوْمٌ غُرَباءُ .

وَرُؤْيَةُ ما فِيهِ خَيرٌ وَشَرٌّ ، فَرَجٌ بَعْدَ شِدَّةٍ ، وَيُسْرٌ بَعْدَ عُسْرٍ .

وَرُؤْيَةُ ما يَظْهَرُ باللَّيْلِ ، دَلِيلٌ على الجَراءَةِ وَشِدَّةِ الطَّلَبِ والاخْتِفَاءِ .

وَرُؤْيَةُ ما لَيسَ لَهُ قِيْمَةٌ إذا صَارَ لَهُ قِيْمَةٌ في المَنامِ ، فإِنَّها تدل على الرِّبَا وَأَكْلِ المَالِ بِالباطِلِ ، وَبِالعَكْسِ .

وَرُؤْيَةُ ما يَظْهَرُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ ؛ فإِنْ رَآهُ قد ظَهَرَ في غَيْرِ أَوانِهِ ، كان ذَلِكَ دَلِيلاً على وَضْعِ الأَشْيَاءِ في غَيْرِ مَحَلِّها ، أَوْ عَلَى الأَخْبَارِ الغَرِيبَةِ ، وَالخَوْضِ فِيما لا يَعْنِي .

فَهَذا قَوْلٌ كُلِّيٌّ في أَنْواعِ الطَّيْرِ ، مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَسيأتي ، فافْهَمْ ذَلِكَ وَقِسْ عَلَيْهِ .

تَتِمَّةٌ : قَالَ المُعَبِّرُونَ : كَلامُ الطَّيْرِ كُلُّهُ صَالِحٌ جَيِّدٌ ؛ فَمَنْ رَأَى الطَّير يُكَلِّمُهُ ، ارْتَفَعَ شَأْنُهُ ، لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النَّمل : ١٦] .

وَكَرِهَ المُعَبِّرُونَ صَوْتَ طَيْرِ المَاءِ وَالطَّاوُوسِ والدَّجاجِ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ هَمٌّ وَحُزْنٌ وَنَعْيٌ ؛ وَزِمارُ الظَّلِيمِ ـ وَهُوَ ذَكَرُ النَّعامِ ـ قَتْلٌ من خادِمٍ شُجاعٍ ؛ فإِنْ كَرِهَ صَوْتَهُ ، فإِنَّهُ غَلَبَةٌ من خادِمٍ . وَهَدِيرُ الحَمامِ ، امرأَةٌ قارِئَةٌ لِكِتابِ اللهِ تَعالَى . وَصَوْتُ الخُطَّافِ ، مَوْعِظَةٌ من رَجُلٍ واعِظٍ . واللهُ أَعلم .

● **خاتِمَةٌ** : قَالَ ابْنُ الجَوزيّ في « كِتابِ أُنْسِ الفَرِيدِ وَبُغْيَةِ المُرِيْدِ » : قَالَ ابن عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : في القُرْآنِ عَشْرَةُ أَطْيَارٍ سَمَّاها اللهُ تَعالَى بِأَسْمائِها : البَعُوضَةُ في « البَقَرَةِ » ، وَالغُرابُ فِي « المائِدَةِ » ، وَالجَرادُ في « الأَعرافِ »[1] ، والنَّحْلَةُ في « النَّحْلِ » ، والسَّلْوَى في « البَقَرَةِ » و « طه »[2] ، والنَّمْلَةُ في « النَّمْلِ » ، والهُدهدُ فِيها أَيْضاً ، والذُّبابُ في « الحجِّ » ، والفَراشُ في « القارِعَةِ » ، والأَبابِيلُ في « الفِيلِ » فَهَذِهِ عَشْرٌ .

● **وَمِنَ الأَحْكَامِ المُتَعَلِّقَةِ بِالطَّيْرِ** : أَنَّ من فَتَحَ قَفَصاً عل طائِرٍ ، وَهَيَّجَهُ فَطَارَ . قَالَ الماوَرديُّ : يَضْمَنُهُ بالإِجماع لأَنَّهُ أَلجأَهُ إِلى ذَلِكَ ؛ وإِنِ اقْتَصَرَ على الفَتْح ، فَفِيه ثَلاثَةُ أَقْوالٍ : **أَحَدُها** : يَضْمَنُهُ مُطْلَقاً . **والثَّاني** : لا يَضْمَنُهُ مُطْلَقاً . **والثَّالِثُ** : وَهُوَ الأَظْهَرُ : إِنْ طَارَ في الحَالِ ضَمِنَهُ ، وإِنْ وَقَفَ ثُمَّ طَارَ فَلا ، لأَنَّ طَيَرانَهُ في الحَالِ ، دَلِيلٌ على أَنَّهُ بِتَنفيرِهِ حَصَلَ ذَلِكَ ؛ وَأَمَّا طَيَرانُهُ

(١) والقمر : ٧ .
(٢) والأعراف : ١٦٠ .

بَعْدَ الوُقُوفِ ، فَهُوَ أَمارَةٌ ظاهِرَةٌ على أَنَّهُ طَارَ باخْتِيَارِهِ ، لأَنَّ لِلطَّائِرِ اخْتِيَاراً .

فإِنْ كَسَرَ الطَّائِرُ في خُرُوجِهِ قَارُورَةً ، أَوْ أَتْلَفَ شَيْئاً ، أَوِ انْكَسَرَ القَفَصُ بخُرُوجِهِ ، أَوْ وَثَبَتْ هِرَّةٌ كانَتْ حاضرةً عِنْدَ الفَتْحِ ، فَدَخَلَتْ فَأَكَلَتِ الطَّائِرَ ، لَزِمَهُ الضَّمانُ ، واللهُ أَعلمُ .

● **طَيْرُ العَراقِيبِ** : طَيْرُ الشُّؤْمِ عِنْدَ العَرَبِ ، وَكُلُّ ما تَطَيَّرَتْ بِهِ سَمَّتْهُ بِذَلِكَ .

● **طَيْرُ المَاءِ** : كُنْيَتُهُ أَبُو مِنْجَلٍ[١] ، وَيُقَالُ لَهُ : ابْنُ المَاءِ ، وَبَناتُ المَاءِ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُهُ في آخِرِ « بابِ المِيمِ » .

الحُكْمُ : قَالَ الرَّافعيُّ : إِنَّهُ حَلالٌ بَجميعِ أَنْواعِهِ إِلاَّ اللَّقْلَقُ ، فإِنَّهُ يُحَرَّمُ أَكْلُهُ على الصَّحِيحِ .

وَحَكَى الرُّويانيّ في طَيْرِ المَاءِ وَجْهَيْنِ عن الصَّيْمَرِيّ ؛ وَالأَصَحُّ ما قَالَهُ الرَّافعيّ ، وَيَدْخُلُ فِيهِ البَطُّ والإِوَزُّ وَمَالِكُ الحَزِينُ .

قَالَ أَبُو عاصم العِباديّ : وَهِيَ أَكْثَرُ من مِئَةِ نَوْعٍ ، ولا يُدْرَى لأَكْثَرِها اسْمٌ عِنْدَ العَرَبِ ؛ فإِنَّها لَمْ تَكُنْ بِبِلادِهِمْ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى الكَلامُ على « مالِكٍ الحَزِينِ » في « بابِ المِيمِ » .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[٢] : « كَأَنَّ على رُؤوسهم الطَّيْرَ » . بِالنَّصْبِ ، لأَنَّهُ اسْمُ

---

(١) المرصّع ٣٠٤ و ٣٦٨ . وعبارةُ ابن الأَثير : أَبو مِنْجَل : ضَرْبٌ من طير الماءِ ، له مِنْقارٌ طويلٌ كأَنَّهُ منجلٌ . **قلت** : وعلى هذا فليس الأَمر على إِطلاقه ، كما ذكرهُ المؤلِّف أَعلاه ! .

(٢) الميداني ٢/١٤٦ والعسكري ٢/١٤٣ والزمخشري ٢/٢٠١ وأَبو عبيد ١٥١ وأَمثال أَبي عكرمة ٩٢ .

كَأَنَّ : أَي على رَأْسِ كُلِّ واحِدٍ الطَّيْرُ يُرِيدُ صَيْدَهُ فَلاَ يَتَحَرَّكُ ، يُضْرَبُ لِلسَّاكِنِ الوادِعِ .

وَهَذِهِ كَانَتْ صِفَةُ مَجالِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَساؤُهُ ، كَأَنَّما على رؤوسهم الطَّيْرُ ؛ يريد أَنَّهم يسكتون فلا يتكلمون ؛ والطَّير لا تسقط إلاّ علىٰ ساكن .

وقال الجوهريّ[1] : وقولهم : كأَنّما على رؤوسهم الطَّير : إذا سَكَنُوا من هَيْبَتِهِ ؛ وَأَصْلُهُ أَنَّ الغُرابَ إذا وَقَعَ على رَأْسِ البَعِيرِ ، لِيلقطَ مِنْهُ الحَلَمَةَ والحَمْنانَةَ ، فَلا يُحَرِّكُ البَعِيرُ رَأْسَهُ ، لَئِلاَّ يَنْفِرَ عَنْهُ الغُرابُ .

٥٨٩ الطِّيْطَوى[2] : قَالَ أَرْسطاطالِيس في « كِتابِ النُّعُوتِ » : إِنَّهُ طائِرٌ لا يُفارِقُ الآجامَ وَكَثْرَةَ المِياهِ ، لأَنَّ هَذَا الطَّائِرَ لا يَأْكُلُ شَيْئاً من النَّبْتِ وَلا من اللُّحُومِ ، وإِنَّما قُوتهُ مِمَّا يَتَوَلَّدُ في شاطِىءِ الغِياضِ والآجامِ من دُودِ النَّتْنِ .

وَهَذَا الطَّائِرُ تَطْلُبُهُ البُزاةُ عِنْدَ مَرَضِها ، لأَنَّ البازِي أَكْثَرُ ما يُصِيبُهُ من الأَمْراضِ بِسَبَبِ الحَرارَةِ في كَبِدِهِ ؛ فإذا عَرَضَ لَهُ ذَلِكَ طلب الطِّيْطَوَى وَأَكَلَ كَبِدَهُ فَيَبْرَأُ .

وَقَدْ يَطمئِنُّ الطِّيْطَوَى وَيَصِيحُ ، وَلا يَنْفُرُ من مَوْضِعِهِ ، إلاَّ إذا طَلَبَهُ البازِي هَرَبَ وَغَيَّرَ مَوْضِعَهُ ؛ فإذا كان في اللَّيْلِ هَرَبَ وَصَاحَ ، وَهُوَ فِي النَّهارِ إذا هَرَبَ لَمْ يَصِحْ ، وَكَمَنَ في الحَشِيْشِ .

● وَذَكَرَ الثَّعْلبيّ والبغويّ وغَيرُهما في تَفْسِيرِ « سُورَةِ النَّملِ » عِنْدَ قَوْلِهِ تعالَى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [النَّمل : ١٦] : سَمَّى صَوْتَ الطَّيْرِ

---

(١) الصِّحاح « طير » ٢/٧٢٨ .

(٢) في القاموس « طوط » : الطِّيطوى ـ كنينَوَى ـ : ضربٌ من القطا ، أَو غيره . وكذا في اللِّسان « طيط » ٤/٢٧٣٩ .

مَنْطِقاً ، لِحُصُولِ الفَهْمِ بِهِ كَمَا يُفْهَمُ من كَلامِ النَّاسِ .

● وَقَالُوا : قَالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ وفَرْقَدُ السَّبْخيّ[1] : مَرَّ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السَّلامُ على بُلْبُلٍ فَوْقَ شَجَرَةٍ ، يُحَرِّكُ ذَنَبَهُ وَرَأْسَهُ ، فَقَال لأَصْحابِهِ : أَتَدْرُونَ ما يَقُولُ هَذَا البُلْبُلُ ؟ قَالُوا : لا يا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : يَقُولُ : أَكَلْتُ نِصْفَ تَمْرَةٍ ، فَعَلَى الدُّنيا العَفاء .

وَمَرَّ بِهُدْهُدٍ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَقُولُ : إِذا نَزَلَ القَضَاءُ عَمِيَ البَصَرُ .

وَفِي رِوايَةِ كَعْبٍ أَنَّهُ يَقُولُ : مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ .

والفاخِتَةُ تَقُولُ : يَا لَيْتَ هَذَا الخَلْقَ ما خُلِقُوا ، وَلَيْتَهُمْ إِذْ خُلِقُوا عَلِمُوا لِماذا خُلِقُوا ، وَلَيْتَهُمْ إِذْ عَلِمُوا لِماذا خُلِقُوا عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا .

والصُّرَدُ يَقُولُ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى ، مِلْءَ سَمائِهِ وَأَرْضِهِ .

وَالسَّرَطَانُ يَقُولُ : اسْتَغْفِرُوا اللهَ يا مُذْنِبِينَ .

وَصَاحَتِ طِيْطَوى عِنْدَهُ ، فَأَخْبَرَ أَنَّها تَقُولُ : كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ ، وَكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ .

وَقَالَ : إِنَّ الخُطَّافَ يَقُولُ : قَدِّمُوا خَيْراً تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ .

وَالوَرِشَانُ يَقُولُ : لِدوا لِلْمَوْتِ وابْنُوا لِلْخَرابِ .

وَالطَّاووسُ يَقُولُ : كَمَا تَدِيْنُ تُدانُ .

وَالحَمامَةُ تَقُولُ : سُبْحَانَ رَبِّي المَذْكُورِ بِكُلِّ لِسانٍ .

وَالدُّرَّاجُ يَقُولُ : الرَّحْمَنُ على العَرْشِ اسْتَوَى .

وَإِذا صاحَتِ العُقابُ تَقُولُ : البُعْدُ عن النَّاسِ رَاحَةٌ ؛ وَفِي رِوايَةٍ : البُعْدُ

---

(١) ينظر بعض هذا في المستطرف ٢/ ٥٢٦ .

من النَّاسِ أُنْسٌ .

وإذا صاحَ الخُطَّافُ ، قَرَأَ الفاتِحَةَ إلى آخِرِها ، وَيَمُدُّ صَوْتَهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة : ٧] كَمَا يَمُدُّ القارِىءُ .

وَالبَازِي يَقُولُ : سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ .

وَالقُمْرِيُّ يَقُولُ : سُبْحَان رَبِّي الأَعْلَى ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ يَقُولُ : يا كَرِيمُ .

وَالغُرابُ : يَلْعَنُ العَشَّارَ وَيَدْعُو عَلَيْهِ .

وَالحِدَأَةُ تَقُولُ : كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ اللهُ .

والقَطَاةُ تَقُول : مَن سَكَتَ سَلِمَ .

وَالبَبَّغاءُ يَقُولُ : وَيْلٌ لِمَنْ كانَتِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّهِ .

وَالزُّرْزُورُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رِزْقَ يَوْمٍ بِيَوْمٍ يا رَزَّاقُ .

وَالقُنْبَرَةُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ الْعَنْ مُبْغِضِي مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ .

وَالدِّيْكُ يَقُولُ : اذْكُرُوا اللهَ يا غافِلِينَ .

وَالنَّسْرُ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، عِشْ ما شِئْتَ فإِنَّكَ مَيِّتٌ .

وَفِي رِوايَةٍ : أَنَّ الفَرَسَ تَقُولُ إِذا الْتَقَى الجَمْعَانِ : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ .

وَالحِمَارُ : يَلْعَنُ المَكَّاسَ وَكَسْبَهُ .

وَالضِّفْدَعُ يَقُولُ : سُبَحانَ رَبِّيَ الأَعْلَى .

التَّعبيرُ : الطِّيْطوي في المَنامِ : امرأَةٌ ، قَالَهُ ابْنُ سِيرين(١) .

---

(١) ينظر تعبير الرُّؤيا ٩١ وتفسير الواعظ ٢٤ . ففيهما خبرٌ طريفٌ عن ابن سيرين في تأويل الطّيطوي .

وَمِنْ خَواصِّهِ : أَنَّ لَحْمَهُ يَعْقِلُ البَطْنَ ، وَيَزِيدُ في الباهِ .

٥٩٠ الطَّيهوجُ : بِفَتْحِ الطَّاءِ : طائِرٌ شَبِيهٌ بِالحَجَلِ الصَّغِيرِ ، غَيْرَ أَنَّ عُنُقَهُ أَحْمَرُ ، وَمِنْقارُهُ وَرِجْلاهُ حُمْرٌ ، مِثْلُ الحَجَلِ ، وَمَا تَحْتَ جَناحَيْهِ أَسْوَدُ وأَبْيَضُ ، وَهُوَ خَفيفٌ مِثْلُ الدُّرَّاجِ[1] .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ .

الخَواصُّ[1] : لَحْمُ الطَّيْهُوجِ كَثِيرُ الحَرارَةِ والرُّطُوبَةِ ؛ قَالَهُ يُوحَنَّا ، وَقِيلَ : مُعْتَدِلٌ . **قُلْتُ** : وَهُوَ الصَّوابُ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ في الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ في الهَضْمِ ، وَأَجْوَدُهُ السَّمِينُ الرَّطْبُ الخَرِيفيُّ . يَنْفَعُ لِلزِّيَادَةِ في الباهِ وَيَعْقِلُ البَطْنَ قَالَهُ القَزْوِينيُّ[2] ؛ لَكِنَّهُ يَضُرُّ بِمَنْ يُعالِجُ الأَثْقَالَ ؛ وَيَدْفَعُ ضَرَرَهُ طَبْخُهُ في الهَرائِسِ ، وَهُوَ يُوَلِّدُ دماً مُعْتَدِلاً ، وَيُوافِقُ الأَمْزِجَةَ المُعْتَدِلَةَ من الصِّبْيَانِ ؛ وأَجْوَدُهُ ما أُكِلَ في زَمَنِ الرَّبِيعِ ، لا سِيَّما في البِلادِ الشَّرْقِيَّةِ .

وَالطَّيْهُوجُ والدُّرَّاجُ والحَجَلُ ، مُتَقارِبَةٌ في تَرْتِيبِ الأَغْذِيَةِ فِي الاعْتِدَالِ واللَّطافَةِ ؛ والطَّيْهُوجُ أَوَّلاً ، ثُمَّ الدُّرَّاجُ ثُمَّ الحَجَلُ .

وَتَقَدَّمَ في « الضَّادِ » أَنَّهُ الضُّرَّيْسُ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٥٩١ بِنْتُ طَبَقٍ وأُمُّ طَبَقٍ : السُّلَحْفاةُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُها في « بابِ السِّيْنِ » .

وَقِيلَ : هِيَ حَيَّةٌ عَظِيْمَةٌ ، من شَأْنِها أَنْ تَنامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ تَسْتَيْقِظَ في اليَوْمِ السَّابِعِ ، فَلا تنفخُ في شَيْءٍ إِلاَّ أَهْلَكَتْهُ .

---

(١) عن مفردات ابن البيطار ٣/ ١٠٥ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٢ وتذكرة داود ١/ ٢٣٣ . وينظر ما مضى « الضُّرَّيس » .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٧٩ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ النَّوْعَيْنِ في بابَيْهِما ؛ وَمِنْهُ قِيلَ للدّاهِيَةِ : إِحْدَى بَناتِ طَبَقٍ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهم[١] : [من الرَّجز]

قَـدْ طَـرَقَـتْ بِبَكْـرِهـا أُمُّ طَبَـقْ

الأَمْثَالُ : قَالُوا[٢] : « جَاءَ فُلانٌ بِإِحْدَى بَناتِ طَبَقٍ » . يُضْرَبُ للرَّجُلِ يَأْتِي بالأَمْرِ العَظِيمِ .

---

(١) الشَّطر لخلف الأَحمر ، في ثمار القلوب ١/ ٤١٢ والمرصّع ٢٣٠ وربيع الأَبرار ٥/ ١٩٠ وبيان الجاحظ ٤/ ٩٧ وتعازي المدائني ١٣٥ واللِّسان « طبق » « طرق » والميداني ٢/ ١١٠ .

(٢) الميداني ١/ ١٦٥ وأَبو عبيد ٣٤٨ والزمخشري ٢/ ٣٦ وفصل المقال ٤٧٧ .

بابُ الظَّاءِ المُعْجَمَةِ

٥٩٢ **الظَّبْيُ** : الغَزالُ ؛ وَالجَمْعُ أَظْبٌ وظِباءٌ وَظُبِيٌّ ؛ والأُنْثى ظَبْيَةٌ ؛ والجَمْعُ ظَبَيَاتٌ بِالتَّحريكِ وظِباءٌ ؛ وأَرْضٌ مَظْباةٌ : أَي كَثيرةُ الظِّباءِ .

● وَظَبْيَةُ : اسْمُ امْرَأَةٍ تَخْرُجُ قَبْلَ الدَّجَّالِ تُنْذِرُ المُسلمينَ بِهِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه(١) .

قَالَ الكَرْخِيُّ : الظِّباءُ : ذُكورُ الغِزلانِ ، والأُنثى الغَزالُ .

قَالَ الإِمامُ : وَهذا وَهْمٌ ، فإِنَّ الغَزالَ وَلَدُ الظَّبْيَةِ إِلى أَن يَشْتَدَّ وَيَطلعَ قَرْناهُ .

قَالَ الإِمامُ النَّوويُّ : الذي قَالَهُ الإِمامُ هُوَ المُعتمدُ .

وقَوْلُ صاحِبِ « التَّنْبيهِ » : فإِنْ أَتْلَفَ ظَبْياً ماخِضاً ؛ قَالَ النَّوويُّ : صَوابُهُ ظَبْيَةً ماخِضاً ؛ لأَنَّ الماخِضَ : الحامِلُ ؛ ولا يُقالُ في الأُنْثَى إِلاَّ ظَبْيَةٌ ، والذَّكَرُ ظَبْيٌ .

وَجُمِعَتِ الظَّبْيَةُ عَلَى ظِباءٍ ، كَرَكْوَةٍ ورِكاءٍ ، لأَنَّ ما كانَ على فَعْلَةٍ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ ـ من المُعْتَلِّ ، فَجَمْعُهُ مَمدودٌ ؛ ولَمْ يُخالِفْ هَذَا إِلاَّ القَرْيَةَ ، فإِنَّها جُمِعَتْ على قُرى على غَيرِ قِياسٍ ، فجَاءَ مُخالِفاً للبابِ فلا يُقاسُ عليه . قَالَهُ الجَوْهَريُّ(٢) .

● وَتُكنى الظَّبْيَةُ(٣) : أُمَّ الخِشْفِ ، وأُمَّ شادِنٍ ، وَأُمَّ الطَّلا .

---

(١) اللِّسان « ظبا » ٤/ ٢٧٤٤ .

(٢) الصحاح « قرا » ٦/ ٢٤٦٠ .

(٣) المرصع ١٥٥ و ٢١١ و ٢٣٢ و ٣٦٨ .

● والظِّباءُ مختلفةُ الأَلوانِ ، وَهيَ ثلاثةُ أَصنافٍ : صِنْفٌ يُقالُ لَهُ : الآرامُ ، وهي ظِباءٌ بِيضٌ خالِصَةُ البَياضِ ، الواحِدُ منها رِيْمٌ ، وَمَساكِنُها الرِّمالُ ؛ ويُقالُ : إِنَّها ضَأْنُ الظِّباءِ ، لأَنَّها أَكْثَرُ لُحُوماً وشُحُوماً .

وَصِنْفٌ يُسَمَّى العُفْرَ ، وَأَلونُها حُمْرٌ ، وهِيَ قِصارُ الأَعناقِ ، وَهِيَ أَضْعَفُ الظِّباءِ عَدْواً ، تَأْلَفُ المَواضِعَ المُرتفعَةَ من الأَرْضِ ، والأَماكِنَ الصُّلْبَةَ ؛ قَالَ الكُمَيْتُ[١] : [من الطَّويل]

وَكُنَّا إِذا جَبَّارُ قَوْمٍ أَرادَنا بِكَيْدٍ حَمَلْناهُ عَلى قَرْنِ أَعْفَرا

يَعني : نَقْتُلُهُ وَنَحْملُ رَأْسَهُ على السِّنانِ ، وكانَتِ الأَسِنَّةُ فِيما مَضَى من القُرُونِ .

وَصِنْفٌ يُسَمَّى الأُدْمَ ، طِوالُ الأَعْناقِ والقَوائِمِ ، بِيْضُ البُطُونِ .

وتُوصَفُ الظِّباءُ بحِدَّةِ البَصَرِ ، وهي أَشَدُّ الحيوانِ نُفوراً .

● وَمِنْ كَيْسِ الظَّبْيِ[٢] : أَنَّهُ إِذا أَرادَ أَنْ يدخُلَ كِناسَهُ ، يَدخُلُ مُسْتَدْبِراً ، وَيَسْتَقْبِلُ بِعَيْنَيْهِ ما يَخافُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَخِشْفانِهِ ؛ فإِنْ رَأَى أَنَّ أَحَداً أَبْصَرَهُ حينَ دُخُولِهِ ، لا يَدْخُلُ وإِلاَّ دَخَلَ .

وَيَسْتَطيبُ الحَنْظَلَ وَيَلْتَذُّ بِأَكْلِهِ ، ويَرِدُ البَحْرَ فَيَشربُ من مائِهِ المُرِّ الزُّعاقِ .

● قالَ ابْنُ قُتيبةَ[٣] : وَلَدُ الظَّبْيَةِ أَوَّلَ سَنَةٍ : طَلا ـ بِفَتْحِ الطَّاءِ ـ وَخِشْفٌ ـ بِكَسْرِ الخاءِ المُعْجَمَةِ ـ ثم في السَّنَةِ الثَّانيةِ جَذَعٌ ، ثمَّ في الثَّالثَةِ ثَنِيٌّ ، ثُمَّ

---

(١) ديوانه ١/ ١٨٣ والميدانيّ ١/ ٢١٣ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٥٠ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٣٥ .

(٣) هذا قول الثَّعالبيّ في فقه اللُّغة ٩٦ وليس ابن قتيبة .

لا يَزالُ ثَنِيّاً حَتَّى يَمُوتَ .

● وَذَكَرَ « ابنُ خلّكان »(١) في ترجمة جعفر الصَّادق ، أَنَّه سَأَلَ أَبا حَنيفةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : ما تَقولُ في مُحْرِمٍ كَسَرَ رَباعِيَّةَ ظَبْيٍ ؟ فَقَالَ : يا ابْنَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ لا أَعلمُ ما فِيهِ . فَقالَ : إِنَّ الظَّبْيَ لا يَكُونُ رَباعِيّاً ، وَهُوَ ثَنِيٌّ أَبَداً . كَذا حَكاهُ كَشاجِمُ في « كتاب المَصايدِ والمَطارِدِ »

● وَقَالَ الجَوهريُّ في مادَّةِ « س ن ن » في قولِ الشَّاعِرِ في وَصفِ الإِبِلِ(٢) : [من الطويل]

فَجَاءَتْ كَسِنِّ الظَّبْيِ لَمْ أَرَ مِثْلَها ... سَنَاءَ قَتيلٍ أَوْ حَلُوبَةَ جائِعِ

أَي هي ثَنِيَّاتٌ ، لأَنَّ الثَّنِيَّ هُوَ الذِي يُلْقي ثَنِيَّتَهُ ؛ والظَّبْيُ لا تَنْبُتُ لَهُ ثَنِيَّةٌ قَطُّ ، فهوَ ثَنِيٌّ أَبَداً .

● قَالَ(٣) : وَقالَ ابْنُ شُبرمة : دخلتُ أَنا وأَبُو حَنيفة على جعفر بن محمَّد الصَّادق ، فقلتُ : هذا رجلٌ فقيهٌ من العراقِ ؛ فقالَ : لَعلَّهُ الذي يَقيسُ الدِّيْنَ برَأْيِهِ ، أَهُوَ النُّعمانُ بن ثابت ؟ قالَ : ولم أَعلمْ باسْمِهِ إلاَّ ذَلِكَ اليَوم ؟ فَقالَ لَهُ أَبُو حَنيفة : نَعم ، أنا ذلك ، أَصْلَحَكَ اللهُ . فَقالَ لَهُ جَعفر : اتَّقِ اللهَ ، ولا تَقِسِ الدِّيْنَ برَأْيِكَ ، فإِنَّ أَوَّلَ من قَاسَ برَأْيِهِ إِبليسُ ، إذ قَالَ : ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [ص : ٧٦] فأَخطأَ بقياسِهِ فَضَلَّ ؛ ثمَّ قَالَ له : أَتُحْسِنُ أَن تقيسَ رأْسَكَ من جَسَدِكَ ؟ قَالَ : لا . قَال جَعفرُ : فأَخبرْني لِمَ جَعَلَ اللهُ المُلُوحَةَ في العَيْنَيْنِ ،

---

(١) وفيات الأَعيان ١/ ٣٢٨ والمصايد والمطارد ٢٠٢ .

(٢) البيت في الصِّحاح « سنن » ٥/ ٢١٤٠ بلا نسبة . وهو وبعده آخر في اللِّسان « سنن » ٣/ ٢١٢١ ، لأَبِي جرول الحُشَميّ ، واسمه هند ؛ رثى رجُلاً قُتل من أَهل العالية ، فَحُكِّمَ أَولياؤُهُ فِي دِيَتِهِ ، فأَخذُوها كلَّها إِبلاً ثُنيانا .
ورِوايتُه في ط : × شفاء عليل . . .

(٣) وفيات الأَعيان ١/ ٤٧١ والموفّقيات ٧٦ ـ ٧٨ .

والمَرارَةَ في الأُذنين ، والماءَ في المِنْخَرين ، والعُذُوبَةَ في الشَّفَتَيْنِ ، لأَيِّ شَيءٍ جَعلَ اللهُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لا أَدري . قال جعفر : إنَّ اللهَ تَعالَى خَلَقَ العَينين فَجعَلَهُما شَحْمَتَيْنِ وَخَلَقَ المُلُوحَةَ فِيهما مَنّاً منهُ على ابْنِ آدمَ ، ولولا ذَلِكَ لَذابَتا فَذَهَبَتا ؛ وَجَعلَ المَرارَةَ في الأُذُنين مَنّاً منه عليه ، ولولا ذَلكَ لَهَجَمَتِ الدَّوابُّ فأَكَلَتْ دِماغَهُ ؛ وَجَعلَ المَاءَ فِي المِنْخَرَيْنِ ليصعَدَ منهُ النَّفَسُ ويَنْزِلَ ، ويجدَ منه الرِّيْحَ الطَّيِّبَةَ من الرِّيْحِ الرَّديئةِ ؛ وَجعلَ العُذُوبَةَ في الشَّفَتَين ليجدَ ابنُ آدم لَذَّةَ المَطْعَمِ وَالمَشْرَبِ .

ثمَّ قَالَ لأَبِي حَنيفةَ : أَخبِرْني عن كلمةٍ أَوَّلُها شِرْكٌ وآخِرُها إِيمانٌ ؟ قَالَ : لا أَدري . قَال جعفرُ : هي كلمةُ « لا إِلهَ إِلاَّ الله » فلو قَالَ : لا إِله ، ثمَّ سَكَتَ كان شِرْكاً .

ثمَّ قالَ : وَيْحَكَ ، أَيُّما أَعْظَمُ عندَ اللهِ إِثْماً ، قَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللهُ بغيرِ حَقٍّ ، أَو الزِّنا ؟ قالَ : بل قَتْلُ النَّفْسِ . قَالَ جعفر : إِنَّ اللهَ تَعالى قد قَبِلَ في قَتْلِ النَّفْسِ شَهادَةَ شاهِدَيْنِ ، ولَمْ يقبلْ في الزِّنا إِلاَّ شهادَةَ أَربعةٍ ، فأَنَّى يَقومُ لَكَ القِياسُ ؟ .

ثم قالَ : أَيُّما أَعظمُ عندَ اللهِ ، الصَّوْمُ أَوِ الصَّلاةُ ؟ قالَ : الصَّلاةُ . قَالَ : فما بالُ الحائِضِ تَقْضي الصَّوْمَ ولا تَقْضِي الصَّلاةَ ؟ اتَّقِ اللهَ يَا عبدَ اللهِ ، ولا تَقِسِ الدِّيْنَ بِرَأْيِكَ ، فإِنَّا نَقِفُ غداً وَمَنْ خالَفَنا بينَ يَدَي اللهِ ، فنقولُ : قال اللهُ ، وقالَ رَسولُ اللهِ ؛ وَتَقولُ أَنتَ وأَصْحابُك : سَمِعْنا وَرَأَيْنا ، فَيَفعلُ اللهُ بِنا وبِكُم ما يَشاءُ .

وَالجَوابُ في أَنَّ الزِّنا لا يُقْبَلُ فيه إِلاَّ أَربعةٌ طَلَباً للسَّتْرِ ؛ وفي أَنَّ الحائِضَ لا تَقْضِي الصَّلاةَ ، دَفْعاً للمَشَقَّةِ ، لأَنَّ الصَّلاةَ مُتكَرِّرَةٌ في اليومِ واللَّيلةِ خمسَ مرَّاتٍ ، بِخِلافِ الصَّومِ فإِنَّه في السَّنَةِ مَرَّةً . واللهُ أَعلمُ .

● وَجعفرُ الصَّادقُ : هُوَ جَعفر بن محمَّد الباقِرِ بن عليّ زَين العابِدين بن الحُسين بن عليّ بن أَبي طالب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم أَجمعين .

وَجعفر : أَحَدُ الأَئِمَّةِ الاثْنَي عَشَرَ على مَذْهَبِ الإماميَّةِ ، من ساداتِ أَهْلِ البَيْتِ ؛ وَلُقِّبَ الصَّادقَ لِصِدْقِهِ في مَقالَتِه ؛ وَله مَقالٌ في صَنْعَةِ الكِيْمياءِ والزَّجْرِ والفَأْلِ .

● وَتَقَدَّمَ في « باب الجِيم » في « الجَفْرَةِ » عن ابن قُتيبة أَنَّه قال في كِتابه «أَدب الكاتِبِ»[1] : إِنَّ كِتابَ الجَفْرِ جِلْدُ جَفْرَةٍ، كَتَبَ فِيهِ الإِمامُ جَعفر الصَّادقُ لأَهْلِ البَيْتِ كلَّ ما يَحتاجُونَ إِلى عِلْمِهِ ، وكلَّ ما يَكونُ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ .

وكذا حَكَاهُ ابنُ خلّكانَ عنهُ أَيضاً ، وكثيرٌ من النَّاس يَنسبونَ كِتابَ الجَفْرِ إِلى عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وهو وَهْمٌ ؛ والصَّوابُ أَنَّ الذي وَضَعَهُ جَعفرُ الصَّادقُ كما تقدَّمَ .

● وَأَوصى جعفر ابنَه مُوسى الكاظِم ، فَقال[2] : يا بُنيَّ : احفظْ وَصِيَّتي تَعِشْ سَعيداً ، وَتَمُتْ شَهيداً .

يا بُنَيَّ : إِنَّ من قنعَ بما قُسِمَ لَهُ اسْتَغْنَى ، وَمَن مَدَّ عَينيه إِلى ما في يَدِ غيرِهِ ماتَ فقيراً ، ومَن لم يَرْضَ بما قَسَمَ الله له اتَّهَمَ الله في قَضائِه ، وَمَنِ استَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَعْظَمَ زلَّةَ غَيْرِهِ ، وَمَنِ اسْتعظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غيرِهِ .

يا بُنَيَّ : من كَشَفَ حِجابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوراتُ بَيْتِهِ ، وَمَن سَلَّ سَيْفَ البَغْي قُتِلَ بهِ ، وَمَنِ احْتَفَرَ لأَخيه بِئْراً سَقَطَ فِيها ، وَمن داخَلَ السُّفَهَاءَ حُقِّرَ ، وَمَن خالَطَ العُلماءَ وُقِّرَ ، وَمَن دَخلَ مَداخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ .

يا بُنَيَّ : قُلِ الحَقَّ لَكَ أَو عليكَ ، وَإِيَّاكَ والنَّميمةَ فإِنَّها تَزرعُ الشَّحناءَ في

---

(١) بل قاله في « تأويل مختلف الحديث » وقد مضى هذا القول في « الجفرة » ١/ ٦٤٢ .
(٢) سير أَعلام النُّبلاء ٦/ ٢٦٣ وتهذيب الكمال ٥/ ٨٩ وحلية الأَولياء ٣/ ١٩٥ .

قُلوبِ الرِّجالِ .

يا بُنَيَّ : إذا طَلبتَ الجُودَ فَعَلَيْكَ بِمعادِنِه .

● وَرُوي أَنَّهُ قيلَ لِجعفر الصَّادِقِ : ما بالُ النَّاسِ في الغَلاءِ يَزْدادُ جُوعُهم بخلافِ العادَةِ في الرُّخصِ ؟ فقالَ : لأَنَّهم خُلِقُوا من الأَرْضِ ، وهم بَنُوها ؛ فإِذا أَقْحَطَتْ أَقْحَطُوا ، وإِذا أَخْصَبَتْ أَخْصَبُوا .

● وُلد جَعفر رحمةُ اللهِ تَعالى عليه سنة ثَمانين من الهِجرةِ ، وقيل : سنةَ ثلاثٍ وثمانين ؛ وتُوفِّي سنةَ ثمانٍ وأَربعين ومئة[1] .

● وفي الحديثِ[2] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ هو وَأَصحابُه ؛ وَهُم مُحْرِمونَ ، بِظَبْيٍ حاقِفٍ[3] في ظِلِّ شَجَرَةٍ ، فقال : « يا فُلانُ » ـ لِأَحَدِ أَصحابِهِ ـ « قِفْ هَا هُنا حتَّى يَمُرَّ النَّاسُ ، لا يُرِيبُهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ » أَي لا يَتَعَرَّضْ لهُ .

● وفي « المستدرك »[4] عن قَبيصةَ بن جابرٍ الأَسَديّ ، قالَ : كنتُ مُحْرِماً ، فرأَيتُ ظَبْياً ، فَرَمَيْتُهُ فأَصَبْتُهُ فَماتَ ، فَوَقَعَ في نَفْسِي من ذلكَ شيءٌ ، فأَتيتُ عمر أَسْأَلُهُ ، فَوَجَدْتُ إِلى جَنْبِهِ رَجُلاً أَبيضَ رَقيقَ الوَجْهِ ، وإِذا هو عبدُ الرَّحمن بن عَوْف ، فسأَلتُ عُمر ، فالتَفَتَ إِلى عبدِ الرَّحمن فَقالَ : تَرى شاةً تكفِيهِ ؟ قال : نَعم ؛ فأَمَرَني أَن أَذْبَحَ شاةً .

فلمَّا قُمْنا من عِنْدِهِ ، قال صاحِبٌ لي : إِنَّ أَميرَ المؤمنين لم يُحْسِنْ أَن يُفتيَكَ حتَّى سأَلَ الرَّجُلَ . فَسمعَ عُمر بعضَ كلامِهِ ، فَعَلاهُ بِالدِّرَّةِ ضَرْباً ، ثمَّ

---

(١) ترجمته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ آبائِهِ فِي : حِلية الأَولياء ٣/ ١٩٢ ووفيات الأَعيان ٣/ ٣٢٧ وتهذيب الكمال ٥/ ٧٤ وسير أَعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥ والوافي بالوفيات ١١/ ١٢٦ والأَئِمَّة الاثنا عشر ٨٥ .

(٢) مسند أَحمد ٣/ ٤١٨ و ٢٥٢ والموطأ ١/ ٣٥١ والنَّسائيّ (٢٨١٨) .

(٣) حاقف : نائِمٌ ، قد انحنى في نومه . (النِّهاية ١/ ٤١٣) .

(٤) المستدرك ٣/ ٣١٠ .

أَقبلَ عليَّ لِيَضْرِبَنِي ، فقلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنِّي لم أَقُلْ شَيئاً إِنَّما هو قالَه . فتَرَكَني ثم قال : أَردتَ أَن تَقتلَ الحَرامَ ، وَتَتَعَدَّى في الفُتْيا .

ثمَّ قال : إنَّ في الإِنسانِ عشرةَ أَخْلاقٍ : تِسْعَةٌ حَسَنَةٌ ، وواحِدٌ سَيِّئٌ ، فَيُفْسِدُها ذَلِكَ السَّيِّئُ ؛ ثمَّ قال : إِيَّاكَ وعَثَراتِ اللِّسانِ .

● وَحَكى المُبَرِّدُ[1] ، عن الأَصمعيِّ ، أَنَّه قال : حُدِّثْتُ أَنَّ رَجُلاً نظرَ إِلى ظَبْيَةٍ تَرِدُ الماءَ ، فقالَ لهُ أَعرابيٌّ : أَتحبُّ أَن تكونَ لكَ ؟ قَالَ : نَعم ؛ قال : فأَعْطني أَربعةَ دراهمَ حتَّى أَرُدَّها إِليكَ . فأَعطاهُ ، فخَرجَ يَمْحَصُ في أَثَرِها ، فَجَدَّتْ وَجَدَّ حتّى أَخَذَ بقَرْنَيْها ، فأَعطاهُ إِيَّاها وهو يقولُ : [من الرجز]

وَهْيَ على البُعْدِ تُلَوِّي خَدَّها ... تُرِيغُ شَدِّي وَأُرِيغُ شَدَّها
كَيْفَ تَرى عَدْوَ غُلامٍ رَدَّها ... وَكُلَّما جَدَّتْ تَراني عِنْدَها

● وَذَكر « ابْنُ خلّكان »[2] : أَنَّ كُثَيِّرَ عَزَّةَ دخلَ يوماً على عبدِ الملِكِ بن مَروان ، فقالَ لهُ عبدُ الملِكِ : هل رَأَيْتَ أَحداً أَعْشَقَ منكَ ؟ قال : نعم ؛ بَيْنا أَنا أَسيرُ في فَلاةٍ إِذا أَنا برجلٍ قد نَصَبَ حِبالَةً ، وهو جالِسٌ ، فقلتُ لهُ : ما أَجْلَسَكَ هَا هُنا ؟ فقالَ : أَهْلَكني وقَوميَ الجُوعُ ، فَنَصَبْتُ حِبالَتي هَذِهِ لأُصيبَ لَهُمْ شَيْئاً وَلِنَفْسِي ؛ فقلتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ أَقَمْتُ معكَ ، أَتَجْعَلُ لِي جُزءاً من صَيْدِكَ ؟ قالَ : نعم .

فَبينَما نحنُ كذلكَ ، إِذ وَقَعَتْ ظَبْيَةٌ في الحِبالَةِ ، فَبَدَرَنِي إِليها فَحَلَّها وَأَطْلَقَها ؛ فَقُلتُ : ما حَمَلَكَ على ذلكَ ؟ قال : رَقَّ قَلْبي لَها لِشَبَهِها بِلَيْلَى ؛ وَأَنْشَدَ يَقولُ[3] : [من الطويل]

---

(١) الكامِل ٢/ ١٠١٢ ونثر الدُّرِّ ٦/ ٥٣٧ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٣/ ٥٥ و ٧/ ٣٤٣ .

(٢) وفيات الأَعيان ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨ ومصارع العشاق ٢/ ٦٢ والشعر والشعراء ١/ ٥٠٩ ـ ٥١٠ وزهر الآداب ١/ ٣٥٣ ومعاهد التنصيص ٢/ ١٤٦ .

(٣) البيتان في مصادر الخبر بلا نسبة . وَهُما في ذيل الأَمالي ٦٣ وسمط اللآلي ١/ ٣٨٠ =

أَيَا شِبْهَ لَيْلَى لا تُراعِي فإِنَّني   لَكِ اليَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصَديقُ
أَقُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُها مِن وَثاقِها :   فَأَنْتِ لِلَيْلَى ما حَيِيتُ طَليقُ

● وفي كتاب « ثمار القُلوب » للثَّعالبيِّ ، في البابِ الثَّالث عَشَرَ منه[1] :

أَنَّ المَلِكَ بَهرامَ جُور لمْ يكنْ في العَجَمِ أَرْمى منهُ؛ ومن غَريبِ ما اتَّفَقَ لَهُ، أَنَّهُ خَرجَ يوماً يَتَصَيَّدُ على جَمَلٍ، وَقَد أَرْدَفَ جارِيةً يَعْشَقُها، فَعَرَضَتْ لَهُ ظِباءٌ، فقالَ للجاريَةِ : في أَيِّ مَوضعٍ تُريدينَ أَن أَضَعَ السَّهْمَ من هذهِ الظِّباءِ ؟ فقالَتْ : أُريدُ أَن تُشَبِّهَ ذُكْرانَها بإِناثِها وإِناثَها بذُكْرانِها ؛ فَرمى ظَبْياً ذَكَراً بِنَشَّابَةٍ ذاتِ شُعْبَتَيْنِ فَاقْتَلَعَ قَرْنَيْهِ ، وَرَمى ظَبْيَةً بِنَشَّابَتَيْنِ أَثْبَتَهُما في مَوْضِعِ القَرْنَيْنِ ؛ ثم سأَلَتْهُ أَن يَجمعَ ظِلْفَ الظَّبْيِ وَأُذُنَهُ بِنَشَّابَةٍ واحِدَةٍ ؛ فَرَمى أَصْلَ أُذُنِ الظَّبْيِ بِبُنْدُقَةٍ ، فلمَّا أَهْوَى بِيَدِهِ إِلى أُذُنِه لِيَحُكَّ ، رَماهُ بنَشَّابَةٍ ، فَوَصَلَ أُذُنَهُ بظِلْفِه ؛ ثم أَهْوى إِلى الجاريَةِ مع هَواهُ لَها ، فَرَمى بِها إِلى الأَرضِ ، وَأَوْطَأَها الجَمَلَ ، بِسَبَبِ ما اشْتَطَّتْ عليهِ ، وقالَ : ما أَرادَت إِلاَّ إِظْهارَ عَجْزي ؛ فلم تَلبثْ إِلاَّ يسيراً وماتَتْ .

● **فصلٌ** : يَلتحقُ بهَذَا النَّوعِ غَزالُ المِسْكِ[2] : ولَوْنُهُ أَسْوَدُ ، وَيُشْبِهُ ما تَقَدَّمَ في القَدِّ ، وَدِقَّةِ القَوائمِ ، وَافْتراقِ الأَظْلافِ ؛ غيرَ أَنَّ لِكُلٍّ منهما نابَيْنِ أَبْيَضَيْنِ خَفيفينِ خارِجَيْنِ من فِيهِ في فَكِّهِ الأَسْفَلِ ، قائِمَيْنِ في وَجْهِهِ كَنابِ الخِنْزيرِ ، كُلُّ واحدٍ منهما دُونَ الفِتْرِ .

وَيُقالُ : إِنَّهُ يُسافرُ من التُّبَّتِ إِلى الهندِ ، فَيُلقي ذلكَ المِسْكَ هُناكَ ، فيكونُ رَديئاً .

= للمجنون . وهما في ديوانه ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(١) ثمار القلوب ١/ ٣٠٣ وعيون الأخبار ١/ ١٧٨ وربيع الأبرار ٤/ ٢٢٥ والبيزرة ٢٩ والمستطرف ٢/ ٦١ وغرر ملوك الفرس ٥٤٢ واسم الجارية فيه : آزا ذوار الصَّنَّاجة .

(٢) مروج الذهب ١/ ١٨٨ ـ ١٨٩ وعجائب المخلوقات ٢٥٠ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣٥ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٥٥ ـ ١٥٦ وتذكرة داود ١/ ٢٩٧ .

وَحَقيقةُ ذَلكَ المِسْكِ ، دَمٌ يَجتمعُ في سُرَّتِها في وَقْتٍ مَعلومٍ من السَّنَةِ ، بمنزلَةِ الموادِّ التي تَنْصَبُّ إلى الأَعْضاءِ ، وَهَذِهِ السُّرَّةُ جَعَلَها اللهُ تعالى مَعْدِناً للمِسْكِ ، فهيَ تُثمرُ كلَّ سَنَةٍ ، كَالشَّجَرَةِ التي تُوتي أُكُلَها كُلَّ حينٍ بإِذنِ رَبِّها ؛ وإذا حَصَلَ ذلكَ الوَرَمُ ، مَرِضَتْ لَهُ الظِّباءُ إلى أن يَتَكامَلَ .

وَيُقالُ : إِنَّ أَهْلَ التُّبَّتِ يَضربونَ لَها أَوْتاداً في البَرِّيَّةِ ، تَحْتَكُّ بِها لِيسقُطَ عِنْدَها .

● وَذكرَ القَزوينيُّ في « الأَشكالِ » : أَنَّ دابَّةَ المِسْكِ تَخرجُ من الماءِ ، كَالظِّباء تَخرجُ في وَقْتٍ مَعْلُومٍ ، والنَّاسُ يَصيدونَ منها شيئاً كثيراً ، فَتُذْبَحُ فَيُوجدُ في سُرُرِها دَمٌ وَهُوَ المِسْكُ ، ولا يُوجَدُ له هُناكَ رائِحَةٌ حتَّى يُحْمَلَ إلى غيرِ ذلكَ الموضِعِ من البِلادِ . انتهى . وهذا غَريبٌ ، والمعروفُ ما تَقَدَّمَ .

● وَفي « مُشْكِلِ الوَسيطِ » لابْنِ الصَّلاحِ : عن ابْنِ عقيل البَغداديِّ ، أَنَّ النَّافِجَةَ في جَوْفِ الظَّبْيَةِ ، كَالأَنْفِحَةِ في جَوْفِ الجَدْيِ ؛ وَأَنَّهُ سافَرَ إلى بِلادِ المَشْرِقِ حتَّى حَمَلَ هذِهِ الدَّابَّةَ إلى بلادِ المَغْرِبِ ، لِخِلافٍ جَرَى فِيها .

وَنَقلَ في « كتابِ العِطْرِ » لَه عن عليّ بن مَهديّ الطَّبري ، أَحَدِ أَئِمَّةِ أَصْحابِنا : أَنَّها تُلْقِيْها من جَوْفِها كَما تُلْقِي الدَّجاجَةُ البَيْضَةَ . انتهى .

قلتُ : والمشهورُ أَنَّها لَيْسَتْ مُودَعَةً في الظَّبْيَةِ ، بل هِيَ خارِجَةٌ مُلْتَحِمَةٌ في سُرَّتِها كَما تَقَدَّمَ . واللهُ أَعلمُ .

● وَيَدلُّ على طهارة المِسْكِ ما رواهُ « مُسلم »[1] عن أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « كانَتِ امْرأَةٌ من بَني إسرائيلَ قَصيرةٌ ، تَمْشِي مع امْرأَتَيْنِ طَويلَتَيْنِ ، فاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ من خَشَبٍ ، وخاتَماً من ذَهَبٍ [مُغْلَقٍ مُطْبَقٍ] وَحَشَتْهُ مِسْكاً ، والمِسْكُ أَطْيَبُ الطِّيْبِ ، فَمَرَّتْ بينَ المرأَتين فلم يعرفوها ،

---

(١) مسلم (٢٢٥٢) ومسند أَحمد ٣/ ٦٨ .

فقالَت بيَدِها هَكذا ـ وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ » .

● قَالَ النَّوويُّ : دَلَّ الحديثُ على أَنَّ المِسْكَ أَطْيَبُ الطِّيْبِ وأَفْضَلُهُ ، وَأَنَّهُ طاهرٌ يَجوزُ اسْتِعْمالُهُ في البَدَنِ والثَّوبِ ، ويَجوزُ بَيْعُهُ ، وَهَذَا كُلُّهُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ .

وَنَقَلَ أَصحابُنا عن الشِّيعةِ فِيهِ مَذْهباً باطِلاً ، وَهم مَحجوجونَ ، بِإِجْماعِ المُسلمين ، وبالأَحاديثِ الصَّحيحةِ ، فِي اسْتِعْمالِ النَّبيِّ ﷺ وَاسْتِعْمَالِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم .

قالَ أَصحابُنا وغَيرُهم : هوَ مُستثنى من القاعِدَةِ المَعروفَةِ : أَنَّ ما أُبِيْنَ من حَيٍّ فَهوَ مَيْتَةٌ .

قالَ : وأَما اتِّخاذُ المرأَةِ القَصيرَةِ رِجْلَيْنِ من خَشَبٍ ، حتَّى مَشَتْ بينَ الطَّويلَتَينِ فلمْ تُعْرَفْ ؛ فَحُكْمُهُ في شَرْعِنا أَنَّها إِن قَصَدَتْ بهِ مَقْصُوداً صَحيحاً شَرْعِيّاً ، لِتَسْتُرَ نَفْسَها لِئَلاَّ تُعْرَفَ فَتُقْتَصَدَ بالأَذَى ونحوِ ذلكَ ، فَلا بَأْسَ بهِ ؛ وإِنْ قَصَدَتْ بِهِ التَّعاظُمَ ، أَوِ التَّشَبُّهَ بالكامِلاتِ ، وتَزْويراً على الرِّجَالِ وغَيرِهم ، فهوَ حَرامٌ .

● **فائِدَةٌ** : رَوى « الدَّارقطنيّ » وَالطَّبرانيُّ في « معجمه الأَوسط » ، عن أَنس بن مالك ، والبَيهقيُّ في « شُعبهِ » عن أَبِي سَعيد الخُدريِّ ، قَالَ[1] : مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ على قوم قد صادُوا ظَبْيَةً ، وَشَدُّوها إِلى عَمودِ فُسْطاطٍ ، فقالت : يا رَسولَ اللهِ ، إِنِّي وَضَعْتُ ، وَلِي خِشْفانِ ، فاسْتَأْذِنْ لِي أَنْ أُرْضِعَهُما ثم أَعودَ إِليهم ؛ فَقَالَ ﷺ : « خَلُّوا عنها حتَّى تأتيَ خِشْفَيْها تُرضِعُهما وتأتي إِليكم » . قالوا : وَمَنْ لنا بذلكَ يا رَسولَ اللهِ ؟ فَقَالَ ﷺ : « أَنا » . فأَطلقُوها ، فَذَهَبَتْ فأَرْضَعَتْهُما ، ثم عادَت إِليهِم ، فأَوْثَقُوها ، فَقَالَ ﷺ :

---

(١) وَأَبو نعيم في دلائل النُّبوَّة ٣٧٥ ـ ٣٧٦ (٢٧٣) و(٢٧٤) والقشيريّ في تاريخ الرَّقَّة ١٤٩ وابن عساكر في تاريخ دمشق (السِّيرة ٢/ ٣٧٨) .

« أتبيعُونيها ؟ » قَالُوا : هيَ لكَ يا رَسولَ اللهِ ؛ فَخَلُّوا عنها ، فأَطْلَقَها .

وَفي روايةٍ عن زَيْد بن أَرقم ، قَالَ : لمَّا أَطْلَقَها رسولُ اللهِ ﷺ رأَيْتُها تَسِيْحُ في البَرِّيَّةِ وهي تَقولُ : لا إِلهَ إلاَّ الله ، محمَّد رسولُ اللهِ .

● وَرَوى « الطَّبرانيُّ »[1] عن أُمِّ سَلَمَةَ ، قالت : كان رَسولُ اللهِ ﷺ في الصَّحراءِ ، فإِذا مُنادٍ يُنادِي : يا رَسولَ اللهِ ؛ فَالْتَفَتَ فَلَم يَرَ أَحداً ، ثم الْتَفَتَ فإِذا ظَبْيَةٌ مُوثوقَةٌ ، فقالت : ادْنُ مِنِّي يا رسولَ اللهِ ، فَدَنَا منها ، فَقالَ : « ما حاجَتُكِ ؟ » فَقَالَتْ : إِنَّ لي خِشْفَيْنِ في هَذَا الجَبَلِ ، فَحُلَّنِي حتَّى أَذْهَبَ فأُرضِعَهُما ، ثمَّ أَرجِعَ إِليك ؛ فَقالَ ﷺ : « وَتَفْعَلينَ ؟ » قالَتْ : عَذَّبَنِي اللهُ عذابَ العَشَّارِ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ ، فأَطْلَقَها ، فَذَهَبَتْ ، فأَرْضَعَتْ خِشْفَيْها ، ثمَّ رَجَعَتْ ، فأَوْثَقَها ، وانْتَبَهَ الأَعرابيُّ فَقالَ : أَلَكَ حاجَةٌ يا رَسولَ اللهِ ؟ قَالَ : « نَعم ، تُطْلِقُ هذِهِ » . فأَطْلَقَها ، فَخَرَجَتْ تَعْدُو وتقولُ : أَشهدُ أَن لا إِلهَ إلاَّ الله ، وأَنَّكَ رسولُ اللهِ » .

● وفي « دلائِلِ النُّبوَّةِ للبَيهقيِّ » عن أَبي سَعيدٍ ، قالَ : « مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بِظَبْيَةٍ مَربوطةٍ إِلى خِباءٍ ، فقالت : يا رَسولَ اللهِ ، حُلَّني حتَّى أَذهبَ فأُرْضِعَ خِشْفَيَّ ، ثم أَرجعَ فَتَربطَني ؛ فَقالَ ﷺ : « صَيْدُ قَوْمٍ ، وَرَبيطَةُ قَوْمٍ » فَأَخَذَ عَلَيْها فَحَلَفَتْ لَهُ ، فَحَلَّها ، فما مَكَثَتْ إِلاَّ قليلاً حتَّى جاءَت وقد نَفَضَتْ ما في ضَرْعِها ، فَرَبَطها رسولُ اللهِ ﷺ ثم أَتى إِلى خِباءِ أَصْحابِها فَاسْتَوْهَبَها منهم ، فَوَهَبُوها له ، فَحَلَّها ، ثم قال ﷺ : « لو عَلِمَتِ البَهائِمُ من المَوْتِ ما تَعْلَمونَ ، ما أَكَلْتُمْ مِنها سَميناً أَبَداً » .

● وفي ذلكَ يقولُ صالحُ الشَّافعيُّ من قَصيدةٍ لهُ : [من الطويل]

وَجَاءَ امرُؤٌ قد صادَ يَوْماً غَزالَةً ... لَها وَلَدٌ خِشْفٌ تَخَلَّفَ بِالكَدى

---

(١) المعجم الكبير ٢٣/ ٣٣١ رقم (٧٦٣) والشفا للقاضي عياض ٣٨٣ (٨١٢) .

فَنــادَتْ رَســولَ اللهِ والقَــوْمُ حُضَّــرٌ   فَــأَطْلَقَهــا والقَــوْمُ قــد سَمِعُــوا النِّـدا

وَسَيأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى قي « العُشَراء » بَيْتانِ آخرانِ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُها بجميعِ أَنْواعِها .

وَوَقَعَ لجماعةٍ من الأَصحابِ أَنَّهم قالوا : يجبُ على المُحْرِمِ في قَتْلِ الظَّبْيِ عَنْزٌ ؛ كَذَا قالَهُ الإمامُ ، وارْتَضاهُ الرَّافعيُّ ، وَصَوَّبَهُ النَّوويُّ . وهوَ وَهْمٌ ، فإِنَّ الظَّبْيَ ذَكَرٌ ، والعَنْزَ أُنْثى ؛ فَالصَّوابُ أَنَّ فِي الظَّبْيِ ثَنِيّاً .

وَأَمَّا المِسْكُ فطاهرٌ ، وَكَذا فَأْرَتُهُ في الأَصَحِّ ؛ لكنَّ شَرْطَ طَهارَتِها ، انْفِصالُها حَالَ حَياةِ الظَّبْيَةِ .

وَقَيَّدَ المحامليُّ في « كِتابِ اللُّبابِ » المِسْكَ بالظَّبْيِ ، فقالَ : والمِسْكُ من الظَّبْيِ طاهِرٌ : أَي المسكُ المأخوذُ من الظَّبْيِ ، احترزَ بذلكَ عن المِسْكِ التُّبَّتيِّ المأخوذِ من الفَأْرَةِ ، الآتِي ذِكْرُها في « بابِ الفاء » إن شَاءَ اللهُ تَعالَى ، وهو نَجَسٌ ؛ وَيُستدلُّ به على مَنْعِ أَكْلِها ، إِذْ لو كانَتْ مَأْكولَةً لالْتَحَقَ مِسْكُها بِمِسْكِ الظَّبْيَةِ .

والطِّبِّيُّونَ يُسَمُّونَ المِسْكَ التُّبَّتِيِّ : المِسْكَ التُّركيَّ ، وهو عندَهم أَجودُ المِسْكِ ، وأَغلى ثَمَناً ؛ وَيَنبغي التَّحرُّزُ من استِعمالِهِ لِنَجاسَتِهِ .

وَسَيأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الفاء » ما قالَهُ الجاحِظُ في فَأْرَةِ المِسْكِ .

وَنقلَ الشَّيْخُ أَبو عمرو بن الصَّلاح عن القَفَّالِ الشَّاشِيّ : أَنَّ فَأْرَةَ المِسْكِ ـ يَعْنِي النَّافِجَةَ ـ تُدبغُ بِما فيها من المِسْكِ فَتَطهرُ طَهارَةَ المَدبوغاتِ .

وَذكرَ بعضُ شُرَّاح « غُنية ابن سُريج » أَنَّ الشَّعرَ الذي على فَأْرَةِ المِسْكِ ـ يَعني النَّافِجَةَ ـ نَجَسٌ بلا خِلافٍ ، لأَنَّ المِسْكَ يَدبغُ ما لاقاهُ من الجلدِ المُحاذي له فيطهرُ ، وما لَمْ يُلاقِهِ من أَطرافِ النَّافِجَةِ نَجَسٌ .

وَهذا الذي قالَهُ ظاهرٌ ، إلاَّ قوله : إنَّ شَعْرَها نَجَسٌ بلا خِلافٍ ، فليسَ بِظاهرٍ ، لأَنَّ في طَهارَةِ الشَّعرِ تَبعاً للجلدِ المدبوغِ خِلافاً عندَنا ؛ وهي رِوايةُ الرَّبيعِ الجِيزيّ عن الشَّافعيِّ ، واختارَهُ السُّبكيّ وغيرُهُ ، وَصَحَّحَهُ الأُستاذُ أَبو إسحاق الإسفرايني والرُّويانيّ وابنُ أَبي عُصرون وغيرُهم ، كما تَقَدَّمَ في « بابِ السِّينِ المُهملةِ » في الكَلامِ على « السِّنْجابِ » .

● وَذَكَرَ « الأَزرقيُّ »[1] في تَعظيمِ صَيْدِ الحَرَمِ عن عبدِ العزيز بن أَبي رَوادٍ :

أَنَّ قَوْماً انْتَهوا إلى ذِي طُوى ونَزَلُوا بها ، فإذا ظَبْيٌ من ظِباءِ الحَرَمِ قد دَنا منهم ، فأَخَذَ رجلٌ منهم بقائمةٍ من قَوائِمِهِ ، فقالَ لَهُ أَصحابُه : وَيْلَكَ ، أَرْسِلْهُ ؛ فجعلَ يَضحكُ ، وَأَبى أَن يُرْسِلَهُ ، فَبَعَرَ الظَّبْيُ وَبَالَ ، ثمَّ أَرْسَلَهُ .

فنامُوا في القائِلَةِ ، فانْتَبَهَ بعضُهم فإذا هُوَ بِحَيَّةٍ مُنْطَوِيَةٍ على بَطْنِ الرَّجُلِ الذي أَخَذَ الظَّبْيَ ، فقالَ لهُ أَصحابُه : وَيْحَكَ ، لا تَتَحَرَّكْ ؛ فلمْ تَنزلِ الحَيَّةُ عنهُ حتَّى كان منهُ من الحَدَثِ مثلَ ما كَانَ من الظَّبْيِ .

● ثم رَوى عن مُجاهدٍ ، قَالَ[1] : دَخلَ مَكَّةَ قَوْمٌ تُجَّارٌ من الشَّام في الجاهليَّةِ بعدَ قُصَيّ بن كِلاب ، فَنزلوا بذي طُوى تحتَ سَمُراتٍ يَستظِلُّونَ بها ، فاخْتَبَزُوا على مَلَّةٍ لهم ، ولم يَكُنْ مَعهم أَدَمٌ ، فقامَ رَجلٌ منهم إلى قَوْسِهِ ، فَوضَعَ عليها سَهْماً ، ثم رَمى بهِ ظَبْيَةً من ظِباءِ الحَرَمِ ، وَهِيَ حَوْلَهُم تَرعى ، فقامُوا إليها فَسَلَخُوها وَطَبَخُوها لِيَأْتَدِمُوا بها ، فبينَما هم كذلكَ وَقِدْرُهُمْ على النَّارِ تَغْلي بها ، وبعضُهم يَشْوي ، إذ خَرَجَتْ من تحتِ القِدْرِ عُنُقٌ من النَّارِ عَظيمةٌ ، فأَحرقَتِ القَوْمَ جَميعاً ، ولم تحرقْ ثِيابَهم ، ولا أَمتعَتَهم ، ولا السَّمُراتِ التي كانُوا تَحْتَها .

---

(١) أَخبار مكَّة لِلأَزرقيّ ١٤٥ .

الأَمثالُ : قالُوا : « آمَنُ من ظِباءِ الحَرَمِ »[1] . وقالوا : « تَرْكَ الظَّبْيِ ظِلَّهُ »[2] . وهو كقولِهم : « تَرَكَهُ تَرْكَ الغَزالِ ظِلَّهُ »[2] . يُضْرَبُ للرَّجُلِ النَّفُورِ ؛ وَظِلُّهُ : كِناسُهُ الذي يَسْتَظِلُّ بِهِ من شِدَّةِ الحَرِّ ، وهو إذا نُفِّرَ منهُ لا يَعودُ إِلَيْهِ أَبَداً . وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الغين » أيضاً .

الخواصُّ :[3] قَالَ ابنُ وَحْشِيَّةَ : قَرْنُهُ : يُنْحَتُ وَيُبَخَّرُ بِهِ البَيْتُ ، يَطردُ الهوامَّ .

ولِسانُهُ : يُجَفَّفُ في الظِّلِّ ، وَيُطعَمُ للمَرأَةِ السَّلِطَةِ ، تَزُولُ سَلاطَتُها .

وَمرارَتُهُ : تُقْطَرُ في الأُذُنِ الوَجِعَةِ ، يَزولُ وَجَعُها .

وَبَعْرُهُ وَجِلْدُهُ : يُحْرَقانِ ويُسْحَقانِ وَيُجْعَلانِ في طَعامِ الصَّبيِّ ، فيأْكُلُهُ فَينشأُ ذَكِيّاً فَصيحاً ، حافِظاً ذَلِقاً .

وَمِسْكُهُ : يُقَوِّي البَصَرَ ، وَيُنَشِّفُ الرُّطوباتِ ، ويُقَوِّي القَلْبَ والدِّماغَ ، وَيَجْلُو بياضَ العينِ ، وَيَنفعُ من الخَفَقانِ ، وهو تِرياقٌ للسُّمومِ ، إلاَّ أَنَّه يُورثُ تَصغيرَ الوَجْهِ .

وَمن **خَواصِّ المِسْكِ** : أَنَّ اسْتِعمالَهُ في الطَّعامِ يُورثُ البَخْرَ .

● **فَصلٌ** : المِسْكُ حارٌّ يابسٌ ، وأَجودُهُ الصُّغْديُّ المَجلوبُ من تُبَّتٍ ، إلاَّ أَنَّهُ يَضُرُّ بالأَدْمِغَةِ الحارَّةِ ، وَدَفْعُ ضَرَرِهِ اسْتعمالُهُ بالكافُورِ ؛ وَتُوافقُ رائحتُه الأَمزجَةَ البارِدَةَ والشُّيوخَ .

---

(١) الميدانيّ ١/ ٨٧ وحمزة ١/ ٦٩ والزَّمخشريّ ١/ ٩ وثمار القلوب ١/ ٦٠٤ .

(٢) الميدانيّ ١/ ١٢١ والعسكريّ ١/ ٢٦٠ وَالزَّمخشريّ ٢/ ٢٤ وأَمثال مؤرج ٤٥ وَأَمثال أَبي عبيد ١٧٩ وفصل المقال ٢٦٧ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٥١ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٣٥ .

قَالَ الرَّازي : لحمُ الظَّبْيِ حارٌّ يابسٌ ، وهو أَصلحُ لُحُومِ الصَّيْدِ ؛ وَأَجودُهُ الخِشْفُ .

وهو نافعٌ للقُولَنْجِ والفالِجِ والأَبْدانِ الكَثيرَةِ الفُضُولِ ، لكنَّهُ يُجَفِّفُ الأَعضاءَ ؛ وَيَدْفَعُ ضَرَرَهُ الأَدهانُ والحَوامِضُ ، وهوَ يُوَلِّدُ دَماً حارّاً ، وَأَصْلَحُ ما أُكِلَ في الشِّتَاءِ .

● **فائِدَةٌ** : نَوافِجُ التُّبَّتِيِّ نوعٌ رِقاقٌ ، والجرجاريُّ[1] ضِدَّهُ في الرِّقَّةِ والرَّائِحَةِ ، والقونويُّ[1] مُتوسِّطٌ بَيْنَهما ، والصَّنوبريُّ[1] دُونَ ذلكَ ؛ ويُجْلَبُ في قَوارير مُتَفَرِّقاً في نَوافِجِهِ ؛ وَكُلَّما بَعُدَ حَيوانُهُ عن البَحْرِ ، وَرَعى السُّنْبُلَ ، كان مِسْكُهُ أَلَذَّ وَأَذْكَى .

التَّعبيرُ[2] : الظَّبْيُ في المَنامِ : امْرَأَةٌ حَسناءُ عربيَّةٌ ، فَمَن رَأَى أَنَّهُ يَملكُ ظَبيةً بصيدٍ ، فإِنَّهُ يَملكُ جاريةً بِمكرٍ وَخَديعةٍ ، أَو يَتزوَّجُ امْرَأَةً .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ ذَبَحَ ظَبْيَةً ، افْتَضَّ جاريةً .

وَمَنْ رَمَى ظَبْيَةً لغيرِ الصَّيْدِ ، فإِنَّهُ يَقْذِفُ امرأَةً .

وَمَنْ رَمَى ظَبْيَةً ، وَكانَ عَزْمُهُ الصَّيْدُ ، نالَ مالاً من امرأَةٍ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّه صادَ ظَبْياً ، أَصابَتْهُ لَذَاذَةٌ في الدُّنيا .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ أَخذَ ظَبْياً ، نالَ مِيراثاً وخَيْراً كَثيراً .

وَمَنْ رأى أَنَّهُ سَلَخَ ظَبْيَةً ، فَجَرَ بامرأَةٍ .

وَمَنْ رأَى ظَبْياً وَثَبَ عليْهِ ، فإِنَّ امْرَأَتَهُ تَعْصِيهِ في جَميعِ أُمورِهِ .

وَقَالَ جاماسب : من رَأَى أَنَّهُ يَمْشِي في أَثَرِ ظَبْيٍ ، زَادَتْ قُوَّتُهُ ؛ وَمَهْمَا

---

(١) في أ : والحرجاوي . . . والغزنويّ . . . والصويريّ .

(٢) تعبير الرُّؤيا ١٨٣ وتفسير الواعظ ٢٨٢ .

مَلَكَ الإنسانُ من قُرونِ الظِّباءِ أَو شُعورِها أَو جُلودِها ، فهيَ أَموالٌ من قِبَلِ النِّساءِ .

خاتِمةٌ : المِسْكُ في المَنامِ : حَبيبٌ أَو جاريَةٌ ؛ وَمَنْ حَمَلَ المِسْكَ من اللُّصوصِ فإِنَّهُ يُمْسَكُ ، لأَنَّ الرَّائِحَةَ الذَّكِيَّةَ تَنِمُّ على صاحِبِها وحامِلِها ، وَتُفْشِي سِرَّهُ .

وَيدلُّ أَيضاً على المالِ ، لأَنَّهُ أَكثرُ ثَمَناً من الذَّهَبِ وَغَيرِهِ ؛ وَيَدُلُّ على طِيْبِ عَيْشٍ ، وَخَبَرٍ طَيِّبٍ يَرِدُ على من شَمَّهُ أَوْ مَلَكَهُ ؛ وَيَدُلُّ على بَراءَةِ المُتَّهَمِين .

وَقيلَ : هو وَلَدٌ ؛ وقيلَ : هُو امرأَةٌ ؛ وَاللهُ تَعالَى أَعلمُ .

● **فائِدَةٌ** : رَأَيْتُ في « مُخْتَصَرِ الإِحْياءِ » للشَّيْخ شَرَفِ الدِّين ابن يُونس ، شارح « التَّنبيه » في « بابِ الإخلاصِ » : أَنَّ من أَخْلَصَ للهِ تَعالَى في العملِ ، ولَمْ يَنْوِ بِهِ مُقابِلاً ، ظَهَرَتْ آثارُ بَرَكَتِهِ عليهِ وعلى عَقِبه إِلى يَوْمِ القِيامَةِ .

كَمَا قِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا أُهبِطَ آدمُ علَيْهِ السَّلامُ إِلى الأَرْضِ ، جاءَتْهُ وُحُوشُ الفَلاةِ تُسَلِّمُ عليْهِ وتَزُورُهُ ، فكانَ يَدْعُو لكلِّ جِنْسٍ بما يَليقُ بِهِ ، فجاءَتْه طائفةٌ من الظِّباءِ ، فَدَعا لَهُنَّ ، وَمَسَحَ على ظُهورِهِنَّ ، فَظَهَرَ فيهنَّ نَوافِجُ المِسْكِ ؛ فلمَّا رأَى بَواقِيها ذَلِكَ قُلْنَ : من أَينَ هَذَا لَكُنَّ ؟ فَقُلْنُ : زُرْنَا صَفِيَّ اللهِ آدَمَ ، فَدَعا لنا ، وَمَسَحَ على ظُهُورِنا .

فَمَضَى البَواقِي إِلَيْهِ ، فَدَعا لَهُنَّ ، وَمَسَحَ على ظُهُورِهِنَّ ، فَلَمْ يَظهرْ بِهِنَّ من ذَلكَ شَيْءٌ ، فقلنَ : قد فَعَلْنا كَمَا فَعَلْتُنَّ ، فَلَمْ نَرَ شَيئاً مِمَّا حَصَلَ لَكُنَّ ! فَقيلَ : أَنْتُنَّ كان عَمَلُكُنَّ ، لِتَنَلْنَ كما نَالَ إِخْوانُكنَّ ، وأُولئِكَ كان عَملهنَّ للهِ مِن غيرِ شَيْءٍ ، فَظَهَرَ ذَلكَ في نَسْلِهِنَّ وَعَقِبِهِنَّ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ . انتهى .

وَهَذِهِ من زِياداتِهِ على « الإِحْياءِ » .

وَقَدْ تَكَلَّمْنا على الإِخْلاصِ والرِّيَاءِ في « كِتابِ الجَوْهَرِ الفَريدِ » في الجُزْءِ الرَّابعِ ، فَلْينظُرْ هُناكَ .

٥٩٣ الظَّرِبانُ : بفَتْحِ الظَّاءِ المُشالَةِ ، مِثل القَطِران[١] : دُوَيْبَّةٌ فَوْقَ جَرْوِ الكَلْبِ ، مُنْتِنَةُ الرِّيْحِ ، كَثِيرَةُ الفَسْوِ ، وَقَدْ عَرَفَ الظَّرِبانُ ذَلِكَ من نَفْسِهِ فَجَعَلَ ذَلكَ سِلاحاً لَهُ ، كَمَا عَرَفَتِ الحُبارَى ما فِي سَلْحِها من السِّلاحِ إِذا قَرُبَ الصَّقْرُ منها .

كذلكَ الظَّرِبانُ يَقصدُ جُحْرَ الضَّبِّ وفِيهِ حُسُولُهُ وَبَيْضُهُ ، فيأْتي أَضْيَقَ مَوْضِعٍ فِيهِ ، فَيَسُدُّهُ بذَنَبِه ، وَيُحَوِّلُ دُبُرَهُ إِلَيْه ، فلا يَفْسُو ثَلاثَ فَسْواتٍ حَتَّى يُغْشَى عَلى الضَّبِّ ، فَيَأْكُلُهُ ، ثم يُقيمُ في جُحْرِهِ حَتَّى يَأْتيَ على آخِرِ حُسُولِهِ .

وَتَزْعُمُ الأَعرابُ أَنَّها تَفْسُو في ثَوْبِ أَحَدِهِمْ إِذا صَادَها ، فلا تَذْهَبُ رائِحَتُهُ حتَّى يَبْلَى الثَّوْبُ .

● **فائِدَةٌ** : سَأَلَ أَبو عليّ الفارسيّ أَبَا الطَّيِّبِ أَحمد بن الحُسينِ المُتَنَبِّي الشَّاعر ، وَكَانَ مُكْثِراً من نَقْلِ اللُّغَةِ ، كَمْ لَنَا من الجَمْعِ على وَزْنِ فِعْلى ؟ فَقَالَ في الحالِ : حِجْلى وَظِرْبى . قالَ أَبو عليّ : فَطَالَعْتُ كُتُبَ اللُّغَةِ ثَلاثَ لَيالٍ ، فلَمْ أَجِدْ لَهُما ثَالِثاً[٢] . وَقَدْ تقدَّمَ هذا في « بابِ الحَاءِ المُهملةِ » .

● وَالظَّرِبانُ على قَدرِ الهِرَّةِ والكَلْبِ القَلَطِيِّ ، وَهوَ مُنْتِنُ الرِّيحِ ظاهِراً وباطِناً ، لَهُ صِماخانِ بغيرِ أُذُنين ، قَصيرُ اليَدَين ، وفيهما بَراثِنُ حِدادٌ ، طَويلُ الذَّنَبِ ، ليسَ لِظَهْرِهِ فَقارٌ ولا فِيهِ مفصَلٌ ، بل عَظْمٌ واحِدٌ من مَفْصَلِ الرَّأْسِ إِلى

---

(١) ثمار القلوب ١/ ٦١٧ والفاخر ٣٠٠ والحيوان ٦/ ٣٧١ و ٧/ ٣٣ و ١/ ٢٤٨ والميدانيّ ٢/ ٨٥ و ٣٥٧ والعسكريّ ٢/ ١٠٥ والزَّمخشريّ ١/ ٢٧٢ و ٣٨٦ ومجالس العلماء ٢٦٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١١٨ .

(٢) وقد وجد الدَّماميني لهما ثالثاً ، وهي لفظة « مِعْزىٰ » . وانظر ما كتبه في هامش المخصص ٨/ ١٥٦ـ١٥٧ الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى .

مَفْصلِ الذَّنَبِ ؛ وَرُبَّما ظَفِرَ النَّاسُ بِهِ فَيَضربُونَهُ بالسُّيوفِ ، فَلا تَعملُ فِيهِ ، حتَّى تُصيبَ طَرَفَ أَنْفِهِ ، لأَنَّ جِلْدَهُ مثلُ القِدِّ في الصَّلابَةِ .

● وَمِنْ[1] عادَتِهِ أَنَّهُ إذا رأَى الثُّعْبانَ ، دَنا منهُ وَوَثَبَ عليْهِ ، فإذا أَخَذَهُ تَضاءَلَ في الطُّولِ حتَّى يَبقى شَبيهاً بقطعةِ حَبْلٍ ، فَيَنْطَوِي الثُّعبانُ عليه ، فإذا انْطَوى عليهِ نَفَخَ ، ثمَّ زَفَرَ زَفْرَةً يَتَقَطَّعُ منها الثُّعبانُ قِطَعاً قِطَعاً ؛ وَلَهُ قُوَّةٌ في تَسَلُّقِ الحِيْطَانِ في طَلَبِ الطَّيْرِ ، فإذا سَقطَ نَفَخَ بَطْنَهُ ، فَلا يَضُرُّهُ السُّقُوطُ .

● وَيَتَوَسَّطُ[2] الهَجْمَةَ من الإِبلِ فَيَفْسُو فيها ، فَتَتَفَرَّقُ تِلكَ الإِبلُ كَتفَرُّقِها من مَبْرَكٍ فيهِ قِردانٌ ، فَلا يَرُدُّها الرَّاعِي إلاَّ بجهدٍ ؛ وَلِهَذَا سَمَّتْهُ العَرَبُ : مُفَرِّقَ النَّعَمِ ، وَهو كثيرٌ بِبِلادِ العَرَبِ ؛ وَالهَجْمَةُ : مِئَةٌ من الإِبلِ .

وَحُكْمُهُ : تَحريمُ الأَكْلِ ، لاسْتِخْباثِهِ ، وَلا يَدْفَعُ ذلكَ قولُ ابنِ قُتيبة : العَرَبُ تَصِيْدُ الظَّرِبانَ فَيَفْسو في أَكمامِهِم ؛ لأَنَّهم لا يُسَمُّونَ صَيْداً إلاَّ المَأْكُولَ .

الأَمْثالُ : قَالُوا[3] : « فَسَا بَيْنَهُمُ الظَّرِبانُ » إذا تَقاطَعَ القَوْمُ . قَالَ الشَّاعِرُ[4] : [من الطويل]

---

(١) هذه صفات النِّمس لا الظَّربان ! ! . وانظر الحيوان ٤/ ١٢٠ ـ ١٢١ وثمار القلوب ٢/ ٦٢٧ « ثعابين مصر » .

(٢) الحيوان ١/ ٢٤٨ وثمار القلوب ١/ ٦١٧ ومجالس العلماء ٢٦٢ .

(٣) الصِّحاح « ظرب » ١/ ١٧٤ واللِّسان والتَّاج . ويُقالُ : أَفسى من ظربان . (الميدانيّ ٢/ ٨٥ والعسكريّ ٢/ ١٠٥) ويُقال : أندس من ظربان . (الميدانيّ ٢/ ٣٥٧ وحمزة ١/ ٣٣٠ و ٢/ ٣٩١ والزَّمخشريّ ١/ ٣٨٦) .

(٤) البيت لعبد الله بن الحجَّاج الثَّعلبيّ ، في الأَغاني ١٣/ ١٦٦ وأَنساب الأَشراف ٧/ ٤٨١ واللِّسان وَالتَّاج « ظرب » . وهو بلا نسبة في الصِّحاح « ظرب » .
وكثير : هو كثير بن شهاب المذحجي ، ضربه الشَّاعر بحديدةٍ على وجهه ، فَشَبَّهَ ضَرْبَتَهُ في وجهه بالخطِّ الذي في وجه الظّربان .

أَلا أَبْلِغـا قَيْسـاً وَخِنْـدِفَ أَنَّنـي ضَـرَبْـتُ كَثيـراً مَضْـرِبَ الظَّـرِبـانِ

٥٩٤ الظَّلِيمُ : ذَكَرُ النَّعامُ ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ النُّونِ » .

وَكُنْيَتُهُ[١] : أَبو البَيْضِ ، وَأَبو ثَلاثين ، وأَبو الصَّحارى .

وَجَمْعُهُ : ظِلْمانٌ ، كَوَليدٍ وَوِلْدانٍ ؛ قَالَ زُهيرٌ[٢] : [من الوافر]

مِنَ الظِّلْمانِ جُؤْجُؤُهُ هَواءُ

وَقَالَ تَعالى : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الإنسان : ١٩] .

وَنَظيرُهُما : قَضيبٌ وَقِضْبانٌ ، وَعَريضٌ وَعِرْضانٌ ، وَفَصيلٌ وفِصْلانٌ ؛ ذَكَرَ سيبويهِ هذهِ الأَلْفاظُ سِوى الوِلْدانِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ قَليلٌ .

وَحَكى غَيْرُهُ : القَرِيُّ ـ وهو مَجْرى المَاءِ ـ وَالجَمْعُ قِرْيانٌ ، وَسَرِيٌّ ، وَسِرْيانٌ ، وَصَبِيٌّ وَصِبْيَانٌ ، وَخَصِيٌّ وَخِصْيانٌ .

● **خاتِمَةٌ** : يُقالُ : عارَّ الظَّليمُ ، يَعارُّ عِراراً ـ بِكَسْرِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ ـ وَهوَ صَوْتُهُ .

● قال « ابْنُ خلّكان » وَغَيْرُهُ[٣] : وَمنهُ أُخِذَ اسْمُ عِرارٍ ؛ وَهُوَ عِرارُ بن عَمرو بن شَأْسٍ الأَسَديّ ، الذي قالَ فيهِ أَبُوهُ[٤] : [من الطويل]

---

(١) المُرَصَّع ٨٩ و ١١٣ و ٢١٩ و ٣٦٨ .

(٢) ديوانه ٦٣ . وصدره : كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْها فَوْقَ صَعْلٍ × .

(٣) لَمْ يَقُل ابنُ خلّكان هَذَا ، وَإِنَّما هُو من قولِ الجَوْهَرِيِّ في الصِّحاح « عرر » ٢/٧٤٣ فقد ضبط عِراراً بكسر العين . وَأَمَّا عَرار بن عمرو بن شَأْس فهو بفتح العين ـ كسحاب ـ كما ضبطه الزَّبيديّ في التَّاج ، وكذا اللِّسان « عرر » .

(٤) الخبر والبيتان في : وفيات الأَعيان ٤/٤١٨ والشِّعر والشُّعراء ١/٤٢٥ وطبقات ابن سلام ١/١٩٩ ـ ٢٠٠ ومعجم الشُّعراء ٢٢ ومن اسمه عمرو ١١٦ والأَغاني ١١/١٩٦ ـ ١٩٨ وأَمالِي القَالِي ٢/١٨٨ ـ ١٨٩ وشرح الحماسَةَ للمرزوقيّ ١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢ والصِّحاح واللِّسان والتاج « عرر » .

أَرادَتْ عِـراراً بـالهَـوَانِ وَمَـنْ يُـرِدْ عِـراراً لَعَمْـرِي بـالهَـوانِ فَقَـدْ ظَلَـمْ
فـإِنَّ عِـراراً إِنْ يَكُـنْ غَيْـرَ واضِـحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

وَكَانَ والِدُهُ له امْرأَةٌ من قَوْمِهِ ، وابْنُهُ عِرارٌ هَذَا كان من أَمةٍ ، وَكانَ قد وَقَعَ بينَ عِرارٍ وبينَ امرأَةِ أَبيهِ عَداوَةٌ ، فاجْتهدَ أَبُوه عَمرٌو على أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِه فَلَمْ يُمْكِنْهُ ، فَطَلَّقَها ثم نَدِمَ .

وَكَانَ عِرارٌ فَصيحاً عاقِلاً ؛ تَوَجَّهَ عن المُهَلَّبِ بن أَبي صُفْرَة إِلى الحَجَّاج بن يُوسف الثَّقفيِّ رَسُولاً في بعضِ فُتوحِهِ ، فلمّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْه لَمْ يَعْرِفْهُ ، وازْدَراهُ ، فلمَّا اسْتَنْطَقَهُ أَبانَ عن فَضْلٍ ، وَأَعْرَبَ إِلى أَنْ بَلَغَ الغايَةَ ؛ فَأَنْشَدَ الحجَّاجُ مُتَمَثِّلاً :

أَرادَتْ عِـراراً بِـالهَـوانِ وَمَـنْ يُـرِدْ عِـراراً لَعَمْـري بِـالهَـوانِ فَقَـدْ ظَلَـمْ
(البيتين)

فقَالَ عِرارٌ : أَيَّدَكَ اللهُ ، أَنا عِرارٌ ؛ فَأُعْجِبَ بِهِ وَبِذَلِكَ الاتِّفاقِ .

● **قلتُ** : وَهَذِهِ الحِكايَةُ نَظيرُ ما رَواهُ الدِّيْنَوَرِيُّ في « المُجالسةِ » وَقالَهُ الحَريريُّ في « الدُّرَّةِ »[1] :

أَنَّ عُبَيْدَ بنَ شَرْيَةَ الجُرْهُمِيَّ عاشَ ثلاثمئة سنةً ، وأَدْرَكَ الإِسْلامَ فَأَسْلَمَ ، وَدخلَ على مُعاويةَ بن أَبي سُفيان بِالشَّامِ وهو خَليفَةٌ ، فَقَالَ لَهُ : حَدِّثْنِي بِأَعْجَبِ ما رَأَيْتَ . قالَ : مَرَرْتُ ذاتَ يَوْمٍ بِقَوْمٍ يَدفنُونَ مَيِّتاً لَهم ، فلمَّا انْتَهَيْتُ إِليهم اغْرَوْرَقَتْ عَيْنايَ بِالدُّمُوعِ ، فَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ : [من البسيط]

---

(١) المجالسة ٣/ ١٤٤ ودرَّة الغوَّاص ١٩٦ ـ ١٩٧ والمعمّرون ٥٠ ونزهة الأَلباء ٢٨ وعيون الأَخبار ٢/ ٣٠٥ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٥٨٢ ـ ١٥٨٣ والميدانيّ ١/ ١٧ والفاخر ٢٣٥ والمستجاد ٢١٠ ـ ٢١٢ وتاريخ دمشق ٤٥/ ٤٤ ـ ٤٥ ومختصره ١٦/ ٣٨ ـ ٣٩ ووفيات الأَعيان ٤/ ٤١٧ وثَمرات الأَوراق ٣١٣ ـ ٣١٤ والزَّمخشريّ ١/ ٣٠٥ .

يَـا قَلْـبُ إِنَّـكَ مـن أَسْمَـاءَ مَغْـرُورُ   فاذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعَنْكَ اليَوْمَ تَذْكِيْرُ
قَدْ بُحْتَ بالحُبِّ ما تُخْفِيهِ مِنْ أَحَدٍ   حَتَّى جَرَتْ لَكَ أَطْلاقاً مَحَاضِيْرُ
فَلَسْتَ تَدْرِي وَما تَدْرِي أَعاجِلُها   أَدْنَـى لِـرُشْـدِكَ أَمْ مـا فِيـهِ تَـأْخِيـرُ
فَـاسْتَقْـدِرِ اللهَ خَيْـراً وارْضَيَـنَّ بِـهِ   فَبَيْنَمَـا العُسْـرُ إِذْ دارَتْ مَيَـاسِيْـرُ
وَبَيْنَمـا المَـرْءُ فـي الأَحْيَـاءِ مُغْتَبِـطٌ   إِذا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الأَعاصيرُ[1]
يَبْكِـي الغَـريـبُ عليـهِ لَيْـسَ يَعْـرِفُـهُ   وَذُو قَـرابَتِـهِ فـي الحَـيِّ مَسْـرُورُ

قَالَ : فَقَالَ لِي رجلٌ : أَتعرفُ مَن يَقولُ هذه الأَبياتِ ؟ قلتُ : لا واللهِ ، إِلاَّ أَنِّي أَرْوِيها منذُ زَمانٍ ؛ فَقَالَ : وَالذي تَحْلِفُ بِهِ ، إِنَّ قائِلَها صاحِبُنا الذي دَفَنَّاهُ آنِفاً السَّاعَةَ ، وَأَنْتَ الغَرِيبُ الذي تَبْكِي عليهِ وَلَسْتَ تَعْرِفُهُ ؛ وَهَذَا الذي خَرَجَ من قَبْرِهِ ، أَمَسُّ النَّاسِ بِهِ رَحِماً ، وَهُوَ أَسَرُّهُم بِمَوْتِهِ كَمَا وَصَفَ .

فَعَجِبْتُ لِمَا ذَكَرَهُ من شِعْرِهِ ، وَالذي صارَ إِلَيْهِ من قَوْلِه ، كَأَنَّهُ يَنظرُ من مَكانِهِ إِلى جَنازَتِهِ ، فقلتُ : « إِنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ »[2] ، فَذَهَبَتْ مَثَلاً .

فَقَالَ لهُ مُعاويةُ : لَقَدْ رَأَيْتَ عَجَباً ، فَمَنِ المَيِّتُ ؟ قَالَ : هُوَ عِثْيَرُ بنُ لَبيدٍ العُذْريُّ .

* * *

(١) في هامش ب : × إِذ صار فِي الرَّمس . . .
(٢) أَوَّل من قَالَهُ سيِّدُنا أَبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . الميدانيّ ١/ ١٧ ونضرة الإغريض ٤٥٩ والمحاسن والمساوىء ١/ ١١٩ . وعزاه العسكري في الجمهرة ١/ ٢٠٧ : إِلى رسول اللهِ ﷺ .

بابُ العَيْنِ المُهْمَلَةِ

٥٩٥ العاتِقُ : قَالَ الجوهريُّ[١] : هو فَرْخُ الطَّائِرِ فوقَ النَّاهِضِ . يُقالُ : أَخَذْتُ فَرْخَ قَطاةٍ عاتِقاً ؛ وَذَلكَ إذا طَارَ وَاسْتَقَلَّ .

قَالَ أَبو عُبيدٍ : نُرى أَنَّهُ من السَّبْقِ ، كَأَنَّهُ يَعْتِقُ ، أَي يَسْبِقُ . ا هـ .

وَقالَ ابْنُ سِيْدَه[٢] : العاتِقُ : النَّاهِضُ من فَرْخِ القَطا ؛ وَهُوَ أَوَّلُ ما يَنْحَسِرُ رِيْشُهُ الأَوَّلُ وَيَنْبُتُ لهُ رِيْشٌ جَديدٌ .

وَقيلَ : العاتِقُ من الحَمامِ : ما لَمْ يُسِنَّ وَيَسْتَحْكِمَ ؛ وَالجَمْعُ عُتَّقٌ .

والفَرَسُ العَتيقُ : الرَّائِعُ الكَريمُ ؛ وامْرَأَةٌ عَتِيْقَةٌ : أَي جَميلةٌ كَريمَةٌ .

● وفي « صحيح البُخاريِّ »[٣] عن ابنِ مَسعودٍ ، أَنَّهُ كان يقولُ فِي سُورَةِ « بَنِي إِسرائِيل » و« الكَهْف » و« مَرْيم » و« طه » و« الأَنْبياءِ » : « إِنَّهُنَّ من العِتاقِ الأُوَلِ ، وَهُنَّ من تِلادِي » .

أَرادَ بالعِتاقِ : جَمْعَ عَتيقٍ ؛ وَالعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ شَيْءٍ بَلَغَ الغايَةَ في الجُودَةِ : عَتيقاً ؛ يُريدُ تَفضيلَ هذهِ السُّوَرَ ، لِمَا تَتَضَمَّنُ من ذِكْرِ القَصصِ وَأَخْبارِ الأَنبياءِ وَأَخْبارِ الأُمَمِ . والتِّلادُ : ما كَانَ قَدِيماً من المالِ ؛ يُريدُ : أَنَّها من أَوائِلِ السُّوَرِ المُنْزَلَةِ في أَوَّلِ الإِسْلامِ ، لأَنَّها مَكيَّةٌ ، وَأَنَّها من أَوَّلِ ما قُرِىءَ وَحُفِظَ من القُرآنِ .

---

(١) الصِّحاح « عتق » ٤/ ١٥٢١ والمخصَّص ٨/ ١٥٨ .

(٢) وعنه اللِّسان « عتق » ٤/ ٢٧٩٨ .

(٣) البخاريُّ ٥/ ٢٢٣ و ٢٤٠ و ٦/ ١٠١ والنِّهاية ٣/ ١٧٩ . وسورة بني إسرائيل : هي سورة الإسراء .

٥٩٦ **العاتِكُ** : الفَرَسُ ؛ والجَمْعُ : العَواتِكُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[١] [من الرجز]

نُتْبِعُهُمْ خَيْلاً لَنَا عَوَاتِكا في الحَرْبِ جُرْداً تَرْكَبُ المَهالِكا

● **فائِدَةٌ** : رَوى عبدُ الباقي بن قانِع في « معجمه » والحافظ أَبو طاهر أَحمد بن محمَّد بن أَحمد السِّلَفيّ ، من حَديثِ سِيانَةَ بن عاصِم السُّلمي ـ وَسيانةُ : بسينٍ مُهملةٍ ، ثمَّ ياءٍ مُثَنَّاةٍ من تَحت ، وبعدَ الأَلِفِ نُونٌ ، ثُمَّ هاءٌ[٢] : لَهُ صُحْبَةٌ ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ حُنينٍ[٣] : « أَنا ابْنُ العَواتِكِ من سُلَيْمٍ » .

● العَواتِكُ[٤] : ثَلاثُ نِسْوَةٍ من بَني سُلَيْمٍ ، كُنَّ من أُمَّهاتِ النَّبيِّ ﷺ ؛ إِحداهُنَّ : عاتِكَةُ بنتُ هِلال بن فالِج بن ذَكْوان السُّلَمِيَّة ، وَهِيَ أُمُّ عبدِ مَناف بن قُصَيّ ؛ وَالثَّانِيَةُ : عاتِكَةُ بنتُ مُرَّةَ بن هِلال بن فالِج السُّلَمِيَّةُ ، وَهِيَ أُمُّ هاشِم بن عبدِ مَناف ؛ وَالثَّالِثَةُ : عاتِكَةُ بنتُ الأَوْقَصِ بن مُرَّةَ بن هِلال السُّلَمِيَّةُ ، وَهِيَ أُمُّ وَهْبٍ أَبي آمِنَةَ أُمِّ النَّبيِّ ﷺ .

فالأُولى من العَواتِكِ عَمَّةُ الثَّانِيَةِ ، وَالثَّانِيَةُ عَمَّةُ الثَّالِثَةِ ؛ وَبَنُو سُلَيْمٍ تَفْخَرُ بِهَذِهِ الوِلادَةِ .

وَلِبَنِي[٤] سُلَيْمٍ مَفاخِرُ أُخرى ، **منها** : أَنَّها أَلَّفَتْ مع رَسولِ اللهِ ﷺ يومَ فَتْحِ مَكَّةَ : أَي شَهِدَ مَعَهُ منهم أَلْفٌ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدَّمَ لِواءَهُم يَوْمَئِذٍ على الأَلْوِيَةِ ، وَكَانَ أَحمرَ ، **ومنها** : أَنَّ عمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ كتبَ إِلى أَهْلِ

---

(١) الشَّطران للعجَّاج في ديوانه ٨٣ (عزَّة حسن) و ١/ ١٢٨ (سطلي) .

(٢) هذا خطأٌ محضٌ . صوابُه : سَيابَة ـ بفتْحِ السِّيْنِ المُهْمَلَة وبعدها ياء آخر الحروف ، وبعد الأَلف باء موحدة . (الاستيعاب ٢/ ٦٩١ وأُسد الغابة ٢/ ٤٩٥ والإصابة ٣/ ١٩٣ (رقم ٣٦٣٤) والإكمال ٥/ ١٤ وتوضيح المشتبه ٥/ ٢٧١ .

(٣) الحديث في مصادر التَّرجمة ، والصِّحاح واللِّسان والتَّاج « عتك » والنِّهاية ٣/ ١٧٩ .

(٤) الصِّحاح واللِّسان والتَّاج والنِّهاية .

الكُوفةِ والبَصْرَةِ وَمِصْرَ والشَّام : أَنِ ابْعَثُوا إِليَّ من كُلِّ بَلَدٍ أَفْضَلَهُ رَجُلاً ؛ فَبَعَثَ أَهْلُ الكُوفَةِ عُتْبَةَ بن فَرْقَدٍ السُّلَمِيّ ، وَبَعَثَ أَهْلُ الشَّـامِ أَبا الأَعْوَر السُّلَميَّ ، وَبَعَثَ أَهْلُ البَصرةِ مُجاشِع بنِ مَسعود السُّلميّ ، وَبَعَثَ أَهْلُ مِصْرَ مَعْنَ بن يَزيد السُّلميَّ .

كَذَا قالَه جَماعةٌ ، وَالصَّوابُ[1] : أَنَّ بَنِي سُلَيْمٍ كانُوا يومَ الفتح تِسْعَمِئَةً ، فقالَ لهمُ النَّبيُّ ﷺ : « هَلْ لَكُمْ في رَجُلٍ يَعدلُ مِئَةً فَيُوفِّيكُم أَلْفاً ؟ » قالُوا : نَعم ، فَوَفَّاهُمْ بالضَّحَّاكِ بن سُفيان وَكانَ رئيسَهم . وإِنَّما جَعَلَهُ عليهم لأَنَّ جميعَهم من قَيْسِ عَيْلان .

٥٩٧ **عِتاقُ الطَّيْرِ** : هِيَ الجَوارِحُ . قَالَهُ الجَوْهَريُّ[2] .

٥٩٨ **العَتَلَةُ** : هِيَ النَّاقَةُ التي لا تَلْقَحُ ، فهيَ أَبَداً قَوِيَّةٌ . قالَهُ أَبُو نَصر[3] .

وَسَيأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى لَفْظُ « النَّاقَةِ » في « بابِ النُّونِ » .

٥٩٩ **العاضِهُ والعاضِهَةُ** : حَيَّةٌ يَمُوتُ الذي تَلْسَعُهُ من ساعَتِهِ[4] .

وَقَد تقدَّمَ لَفْظُ « الحَيَّةِ » في « بابِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ » .

٦٠٠ **العاسِلُ** : الذِّئْبُ ؛ والجَمْعُ : العُسَّلُ والعَواسِلُ ، والأُنْثى عَسْلَى[5] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ لفظُ « الذِّئْبِ » في « بابِ الذَّالِ المُعجمةِ » .

٦٠١ **العاطُوسُ** : دابَّةٌ يُتَشَاءَمُ بِها[6] .

---

(١) أُسد الغابة ٣/ ٤٧ « ترجمة الضَّحَّاك بن سفيان العامريّ » .

(٢) الصِّحاح « عتق » ٤/ ١٥٢١ .

(٣) الصِّحاح « عتل » ٥/ ١٧٥٨ .

(٤) اللِّسان والتَّاج والصِّحاح « عضه » .

(٥) الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « عسل » .

(٦) اللِّسان والتَّاج « عطس » .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُها في « بابِ الفاء » في « الفاعوس » .

٦٠٢ **العافِيَةُ** : كُلُّ طالِبِ رِزْقٍ ، من إِنْسَانٍ أَو بَهيمةٍ أَو طائِرٍ ؛ مَأْخُوذٌ مِن : عَفَوْتُهُ ، إذا أَتَيْتُهُ أَطْلُبُ مَعروفَهُ[1] .

● **فائِدَةٌ** : في الحَديثِ[2] : « مَنْ أَحْيَا أَرْضاً مَيتةً فَهيَ لَهُ ، وَمَا أَكَلَتِ العافِيَةُ مِنْها فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ » .

وَفي رِوايةٍ : « العَوافي » وَهيَ جَمْعُ عافِيَةٍ .

رَواهُ « النَّسائيُّ » و« البَيهقيُّ » وَصَحَّحَهُ « ابْنُ حِبَّانَ » من رِوايَةِ جابرِ بن عبد الله .

● وفي « صحيح مُسلم » من رِوايَةِ الزُّهريِّ ، عن سَعيد بن المُسَيّب ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ[3] : « تَتْركونَ المَدينةَ على خَيْرِ ما كَانَتْ ، لا يَغْشاها إلاَّ العَوافِي ـ يُريدُ السِّباعَ والطَّيْرَ ـ ثم يخرجُ راعِيانِ من مُزَيْنَةَ يُريدانِ المَدينةَ ، يَنْعِقانِ بِغَنَمِهما ، فَيَجِدانِها وَحْشاً ، حتَّى إِذا بَلَغا ثَنِيَّةَ الوَداعِ خَرَّا على وَجُوهِهِمَا » .

قالَ الإِمامُ النَّوويُّ : المُختارُ أَنَّ هَذَا التَّرْكَ للمَدينَةِ يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ ، عندَ قِيام السَّاعَةِ ؛ وَيُوَضِّحُهُ قِصَّةُ الرَّاعِيَيْنِ من مُزَيْنَةَ فإِنَّهما يَخِرَّانِ على وُجُوهِهِما حينَ تُدْرِكُهما السَّاعَةُ ، وَهُمَا آخِرُ من يُحْشَرُ ؛ كَما ثَبَتَ في « صحيح البُخاريّ » . انتهى .

وَقَالَ القاضِي عِياضٌ : هَذَا مِمَّا جَرى فِي العَصْرِ الأَوَّلِ وَانْقَضَى ، وَهُوَ من مُعْجِزاتِهِ ﷺ ، فَقد تُرِكَتِ المَدينةُ على أَحْسَنِ ما كانَتْ ، حِينَ انْتَقَلَتِ الخِلافَةُ

---

(١) الصحاح « عفا » والنهاية ٣/ ٢٦٦ .
(٢) التّرمذيّ (١٣٧٩) وابن حبّان (٥٢٠٥) ومسند أَحمد ٣/ ٣٠٤ و ٣٣٨ .
(٣) البخاريُّ ٢/ ٢٢٢ ومسلم (١٣٨٩) ومسند أَحمد ٢/ ٢٣٤ .

مِنْها إِلى الشَّامِ والعِراقِ ، وَذَلكَ الوَقْتُ أَحْسَنُ ما كانَتْ للدِّيْنِ والدُّنْيَا ؛ أَمَّا الدِّيْنُ فَلِكَثْرَةِ العُلَماءِ بِها ، وَأَمَّا الدُّنْيَا فَلِعَمارَتِها وغَرْسِها واتِّساعِ حَالِ أَهْلِها .

قَالَ : وَذَكَرَ الأَخبارِيُّونَ في بَعضِ الفِتَنِ التي جَرَتْ بالمدينةِ وَخافَ أَهلُها ، أَنَّهُ رَحلَ عَنْها أَكثرُ النَّاسِ ، وَبَقِيَتْ ثِمارُها أَوْ أَكْثَرُها للعَوافِي ، وَخَلَتْ مُدَّةً ، ثم تَراجَعَ النَّاسُ إِلَيْها .

قَالَ : وَحالُها اليومَ قَريبٌ من هذا ، وَقَد خَرِبَ أَطْرافُها .

٦٠٣ **العائِذُ** : بالذَّالِ المُعْجمةِ : النَّاقَةُ التي مَعها وَلَدُها ؛ وَقِيلَ : النَّاقَةُ إِذا وَضَعَتْ ، وَبَعْدَ ما تَضَعُ أَيَّاماً حَتَّى يَقْوَى وَلَدُها[١] .

وَفِي الحَديثِ[٢] : « أَنَّ قُريشاً خَرَجَت لِقِتالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعها العُوذُ المَطافِيلُ » . وَهِيَ جَمْعُ عائِذٍ ؛ يُريدُ أَنَّهم خَرَجُوا بذَواتِ الأَلْبانِ من الإِبلِ ، لِيَتزَوَّدُوا بأَلْبانِها ، ولا يَرْجِعُوا حَتَّى يُناجِزُوا محمَّداً وَأَصْحابَهُ في زَعْمِهِم .

وَوَقَعَ في « نِهايَةِ الغَريب »[١] : أَنَّ العُوذَ المَطافيل : يُريدُ بِها النِّساءَ والصِّبْيَانَ .

وإِنَّما قِيلَ للنَّاقَةِ : عائِذٌ ، وَإِنْ كان الوَلَدُ هُوَ الذي يَعوذُ بها ، لأَنَّها عاطفةٌ عَليهِ ، كَما قَالُوا : تِجارَةٌ رابِحَةٌ ، وإِنْ كانَتْ مَرْبُوحاً فِيها ، لأَنَّها في مَعْنى نامِيَةٍ وزاكِيَةٍ ؛ وَكَذَلِكَ عِيْشَةٌ راضِيَةٌ ، لأَنَّها في مَعْنَى صالِحَةٍ .

٦٠٤ **العَبْقَصُ والعُبْقُوصُ** : دُوَيْبَّةٌ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٣] .

٦٠٥ **العَبُورُ** : الجَذَعَةُ من الغَنَمِ أَوْ أَصْغَرُ ؛ وَعَيَّنَ اللِّحيانيُّ ذلكَ الصِّغَرَ ، فقالَ : هيَ بعدَ الفَطْمِ ، وَهِيَ التي لَمْ تُجَزَّ عامَها ؛ والجَمْعُ :

---

(١) النِّهاية ٣/٣١٨ .

(٢) البخاريّ ٣/١٧٩ ومسند أحمد ٤/٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٩ .

(٣) اللِّسان « عبقص » ٤/٢٧٨٨ .

عَبائِرٌ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه أَيضاً[1] .

٦٠٦ **العُتْرُفانُ** : بِضَمِّ العَيْنِ : الدِّيْكُ[2] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ لفظُ « الدِّيْكِ » في « بابِ الدَّالِ المُهملةِ » .

● قَالَ عَدِيٌّ بن زَيْدٍ[3] : [من الطويل]

ثَـلاثَـةَ أَحـوالٍ وَشَهْـراً مُحَـرَّمـاً ... تُضِـيءُ كَعَيْـنِ العُتْـرُفـانِ المُحـارِبِ

٦٠٧ **العَتُودُ** : بِفَتْحِ العَيْنِ : الصَّغيرُ من أَولادِ المَعْزِ ، إِذا قَوِيَ وَرَعى وَأَتى عليهِ حَوْلٌ ؛ وَالجَمْعُ : أَعْتِدَةٌ وَعِدَّانٌ ، وأَصْلُهُ عِتْدانٌ فأُدْغِمَ[4] .

● رَوى « مسلمٌ »[5] عن عُقبة بن عامِرٍ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَعْطاهُ غَنَماً يَقْسِمُها بينَ أَصْحابِهِ ، فبقيَ عَتُودٌ ، فَقَالَ : « ضَحِّ بِهِ أَنْتَ » .

قَالَ البَيهقيُّ وسائِرُ أَصْحابنا : كانَت هذهِ رُخْصَةً لِعُقْبَةَ بن عامرٍ خاصَّةً ، كَأَبي بُرْدَةَ هانىء بن نِيارٍ البَلَويّ[6] .

● وَرَوى البَيهقيُّ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لِعُقْبَةَ بن عامِرٍ : « ضَحِّ بِها أَنْتَ ، ولا رُخْصَةَ لأَحَدٍ فِيها بَعْدَكَ » .

● وفي « سُنَنِ أَبي داود »[7] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَخَّصَ في مثل ذلكَ لِزَيْدِ بن خالِدٍ » .

---

(١) اللِّسَان « عبر » ٤/ ٢٧٨٣ .
(٢) يُقالُ للدِّيْكِ : العُتْرُفَانَ وَالعُتْرُفُ ، والعُتْرُسَانُ والعُتُرُسُ . (اللِّسان « عترف ») .
(٣) ديوانه ١١٨ .
(٤) النِّهاية ٣/ ١٧٧ واللِّسان « عتد » .
(٥) مسلم (١٩٦٥) .
(٦) مسلم (١٩٦١) وَأَبو داود (٢٨٠٠ _ ٢٨٠١) .
(٧) أَبو داود (٢٧٩٨) .

فَالَّذين خُصُّوا بذلكَ ثلاثةٌ : أَبو بُرْدَةَ ، وَعُقْبَةُ بن عامِرٍ ، وَزَيْدُ بن خالِدٍ .

٦٠٨ **العُثَّةُ** : بِضَمِّ العَيْنِ ، وَتَشْدِيْدِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ : دُوَيْبَّةٌ تَلْحَسُ الثِّيابَ والصُّوفَ ؛ والجَمْعُ : عُثٌّ وَعُثَثٌ ؛ وَأَكثرُ ما تكونُ في الصُّوفِ[١] .

وَقالَ في « المُحكمِ »[١] : هِيَ دُوَيْبَّةٌ تَعْلَقُ بالإِهابِ تَأْكُلُهُ . هَذَا قولُ ابنِ الأَعرابيِّ .

وَقالَ ابنُ دُرَيْدٍ[٢] : العُثُّ ـ بغيرِ هاءٍ ـ دُوَيْبَّةٌ تَقَعُ في الصُّوفِ ؛ فدلَّ هَذَا عَلى أَنَّ الجَمْعَ عُثٌّ .

وَقالَ ابنُ قُتيبةَ[٣] : إِنَّها دُوَيْبَّةٌ تأْكُلُ الأَديمَ . وَغايَرَ بينَها وبينَ الأَرَضَةِ .

وَقَالَ الجَوهريُّ[٤] : العُثَّةُ : السُّوسَةُ التي تَلْحَسُ الصُّوفَ .

وَحُكْمُها : تَحريمُ الأَكْلِ .

الأَمثالُ : قَالُوا[٥] : « عُثَيْثَةٌ تَقْرِمُ جِلْداً أَمْلَساً » . يُضْرَبُ للرَّجلِ يَجتهدُ أَن يُؤَثِّرَ في الشَّيءِ ، فلا يَقدرُ عليهِ . قالَهُ الأَحْنَفُ بن قَيْسٍ لحارِثَةَ بن بَدْرٍ لَمَّا طَلَبَ من عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ أَنْ يُدْخِلَهُ في الحُكُومَةِ .

● وَفي « الفائِقِ » أَنَّ الأَحْنَفَ قالَهُ لِرَجلٍ هَجاهُ ، كَما قِيلَ[٦] : [من المتقارب]

فَإِنْ تَشْتُمونا على لُؤْمِكُمْ فَقَدْ تَقْرِمُ العُثُّ مُلْسَ الأَدَمْ

---

(١) اللِّسان « عثث » ٤/ ٢٨٠٥ .

(٢) الجمهرة ١/ ٨٣ .

(٣) أَدب الكاتب ٢١٥ .

(٤) الصِّحاح « عثث » ١/ ٢٨٧ .

(٥) الميدانيّ ٢/ ٢٩ والعسكريّ ٢/ ٥٤ والزَّمخشريّ ٢/ ١٥٨ والصِّحاح واللِّسان والتَّاج « عثث » والنِّهاية ٣/ ١٨١ .

(٦) البيت للمخبّل ، في الميدانيّ .

٦٠٩ **العَثَمْثَمَةُ** : الشَّديدَةُ من النُّوقِ ؛ والذَّكَرُ عَثَمْثَمٌ . وَالعَثَمْثَمُ : الأَسَدُ . قالَهُ الجوهريُّ[١] ؛ قَالَ : وَيُقالُ ذلكَ من ثِقَلِ وَطْئِهِ ؛ قالَ الرَّاجزُ :

[من الرجز]

خُبَعْثِنٌ مِشْيَتُهُ عَثَمْثَمُ

٦١٠ **العُثْمانُ** : بِضَمِّ العَيْنِ ، وإِسْكانِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ ، وَبالميمِ وَالنُّونِ ، بينَهما أَلِفٌ : فَرْخُ الحُبارَى ، وَفَرْخُ الثُّعبانِ ، وَالحَيَّةُ أَو فَرْخُها[٢] .

٦١١ **العَثَوْثَجُ** : بثاءَيْنِ مُثَلَّثَتَيْنِ مَفتوحَتَينِ ، بينَهما واوٌ ، وأَوَّلُهُ عَيْنٌ ، وَآخِرُهُ جِيْمٌ : البَعيرُ الضَّخْمُ[٣] .

٦١٢ **العُجْرُوفُ** : بِضَمِّ العَيْنِ : دُوَيْبَّةٌ ذاتُ قوائِمَ طِوالٍ ؛ وقيلَ : هيَ النَّملةُ الطَّويلةُ الأَرْجُلِ[٤] .

٦١٣ **العِجْلُ** : وَلَدُ البَقَرَةِ ، والجَمْعُ : العُجُولُ ؛ وَيُقالُ في المُفْرَدِ أَيضاً : عِجَّوْلٌ ـ بِكَسْرِ [العينِ] ، وَتَشْديدِ الجِيمِ مَفتوحةً ؛ وَالجَمْعُ : العَجاجِيْلُ ، وَالأُنْثَى : عِجْلَةٌ ؛ وَبَقَرَةٌ مُعْجِلٌ : أَي ذاتُ عِجْلٍ .

● **فائِدَةٌ** : قيلَ : سُمِّيَ عِجْلاً ، لاسْتِعْجالِ بَني إِسرائيلَ عِبادَتَهُ ! وكانَت مُدَّةُ عِبادَتِهِم لَهُ أَربعينَ يَوْماً ، فَعُوقِبُوا في التِّيْهِ أَرْبعينَ سنةً ، فَجَعلَ اللهُ كُلَّ سنةٍ في مُقابلةِ يَوْمٍ .

● وَرَوى أَبو مَنصور الدَّيلميّ في « مسندِ الفردوسِ » من حَديثِ حُذيفة بن

---

(١) الصِّحاح « عثم » ٥/١٩٧٩ . والشطر فِيهِ بِلا نسبةٍ ، وَكَذَا في اللِّسان والتَّاج « عثم » .

(٢) اللِّسان « عثم » ٤/٢٨٠٩ .

(٣) في اللِّسان « عثج » ٤/٢٨٠٥ : والعَثَوثَجُ ، والعَثَوْجَجُ : البعيرُ الضَّخم السَّريع ، المجتمع الخَلق .

(٤) اللِّسان « عجرف » عن ابنِ سِيْدَه .

اليَمانِ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لِكُلِّ أُمَّةٍ عِجْلٌ ، وَعِجْلُ هذِهِ الأُمَّةِ الدِّيْنارُ والدِّرْهَمُ » .

● قالَ حُجَّةُ الإِسلامِ الغَزاليُّ : وَكانَ أَصْلُ عِجْلِ قَوْمِ مُوسى ، من حِلْيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ .

● وَقَالَ الجَوهريُّ[1] : قَالَ بَعضُهم في قولِهِ تَعالى : ﴿ عِجۡلٗا جَسَدٗا ﴾ [طه : ٨٨] أَي من ذَهَبٍ أَحمر . ا هـ .

● وَالسَّبَبُ[2] في عِبادَةِ بَني إِسرائيلَ العِجْلَ : أَنَّ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وَقَّتَ الله تعالى له ثلاثينَ ليلةً ثُمَّ أَتَمَّها بِعَشْرٍ ، فلمَّا عَبَرَ بهمُ البَحْرَ في يَومِ عاشُوراءَ بعدَ مَهلكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، مَرُّوا على قَومٍ لهم أَوثانٌ يَعبدُونَها من دُونِ اللهِ تعالى على تَماثيلِ البَقَرِ .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : وَكانَ ذَلِكَ أَوَّلُ شأنِ العِجْلِ ، فَقَالَ بَنو إِسرائيلَ لمَّا رأَوْا ذلكَ : ﴿ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا ﴾ أَي تِمْثالاً نَعْبُدُهُ ﴿ كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ [الأَعراف : ١٣٨] ولم يَكنْ ذَلكَ شَكّاً من بَني إِسرائِيلَ في وَحْدانِيَّةِ الله تعالى ، وإِنَّما مَعناهُ : اجعلْ لَنا شَيئاً نُعَظِّمُهُ وَنتَقَرَّبُ بتَعْظِيْمِهِ إِلى اللهِ ؛ وَظَنُّوا أَنَّ ذَلكَ لا يَضُرُّ الدِّيانَةَ ؛ وَكَانَ ذلك لِشِدَّةِ جَهْلِهِمْ ، كَمَا قالَ الله تعالى : ﴿ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾ [الأَعراف : ١٣٨] .

وَكَانَ مُوسَى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وَعَدَ بَني إِسرائيلَ وهم بمصرَ أَنَّ اللهَ إِذا أَهْلَكَ عَدُوَّهم ، أَتاهم بِكِتابٍ فيه بَيانُ ما يَأْتُونَ وَمَا يَذَرُونَ ؛ فلمَّا فَعَلَ الله ذلك لَهم ، سأَلَ مُوسى رَبَّهُ الكِتابَ ، فَأَمَرَهُ بِصَوْمِ ثَلاثِيْنَ يَوْماً ، فَلَمَّا تَمَّتِ الثَّلاثُونَ أَنْكَرَ خَلوفَ فَمِهِ ، فاسْتاكَ بِعُودِ خَرُّوبٍ ـ وقيلَ : أَكَلَ من لِحاءِ شَجَرَةٍ ـ فَقالت

---

(١) الصِّحاح « جسد » ٢/ ٤٥٧ وفيه : أَي أَحمر من ذهبٍ .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٩٨ وتاريخ الطَّبريّ ١/ ٤٢١ .

له الملائِكَةُ : كُنَّا نَشُمُّ من فيكَ رائِحَةَ المِسْكِ ، فأَفْسَدْتَها بالسِّواكَ ؛ فأَتَمَّها بِعَشْرٍ ؛ فلمَّا مَضَتْ ثَلاثُونَ ، كانت فِتْنَتُهُم في العَشْرِ التي زادَها .

وَكانَ[1] السَّامِرِيُّ من قوم يَعبدُونَ البَقَرَ ، وَكانَ قد أَظْهَرَ الإِسْلامَ وفي قَلْبِهِ من حُبِّ عِبادَةِ البَقَرِ شَيْءٌ ، فَابْتَلى اللهُ بِهِ بَني إسرائيلَ ، فقَالَ لَهُم السَّامِرِيُّ ـ واسْمُهُ مُوسى بن ظَفَرٍ : ائْتُونِي بِحُلِيِّ بَني إسرائِيلَ ؛ فَجَمَعُوهُ لَهُ ، فاتَّخَذَ لَهُمْ منهُ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ ، وَأَلْقَى فِي فَمِهِ قَبْضَةً من تُرابِ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ ، فَتَحَوَّلَ عِجْلاً جَسَداً حَيّاً ، لَحْماً وَدَماً ، لَهُ خُوارٌ ـ وَهُوَ صَوْتُ البَقَرِ ـ كَذا قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ والحَسَنُ وقَتادةُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ التَّفسيرِ ؛ وَهُوَ الأَصَحُّ كما في البَغويِّ وغيرِهِ .

وقيلَ : كان جَسَداً مُجَسَّداً من ذَهَبٍ لا رُوحَ فيهِ ، وكان يُسْمَعُ منهُ صَوْتٌ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ ما خَارَ إلاَّ مَرَّةً واحِدَةً ، فَعَكَفَ عليهِ القَوْمُ لِلعِبادَةِ من دُونِ اللهِ تعالى يرقُصُونَ حولَهُ وَيَتَواجَدُون .

وَقِيلَ : إِنَّهُ كان يَخُورُ كَثِيراً ، كُلَّما خَارَ سَجَدُوا لَهُ ، وإذا سَكَتَ رَفَعُوا رُؤُوسَهُم .

وَقَالَ وَهْبٌ : كان يُسْمَعُ منهُ الخُوارُ ولا يَتَحَرَّكُ .

وَقَالَ السُّدِّيُّ : كان يَخُورُ وَيَمْشِي .

وَالجَسَدُ : بَدَنُ الإِنْسانِ ، ولا يُقالُ لِغَيرِهِ من الأَجسامِ المُتَغَذِّيَةِ جَسَدٌ ؛ وَقَدْ يُقَالُ لِلجِنِّ : أَجْسَادٌ .

فَكانَ عِجْلُ بَني إسرائيلَ جَسَداً يَصِيحُ كَما تَقَدَّمَ ، وَلا يَأْكُلُ ولا يَشْرَبُ ؛

---

(١) تاريخ الطَّبريّ ١/ ٤٢٤ .

قال اللهُ تعالى : ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة : ٩٣] أي حُبَّ العِجْلِ .

وَقالَ تَعالَى عن إبراهِيمَ عَلَيه السَّلامُ : ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذَّاريات : ٢٦] .

قَالَ قَتادةُ : كان عامَّةَ مالِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلامُ البَقَرُ ، وَاخْتارَهُ سَميناً زِيادةً في إكْرامِهِمْ .

وَقَالَ القُرطبيُّ : العِجْلُ في بعضِ اللُّغاتِ : الشَّاةُ . ذَكَرَهُ القُشيريُّ .

وَكَانَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِضْيافاً ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ وَقَفَ للضِّيافَةِ أَوْقافاً تُمْضيها الأُمَمُ على اخْتِلافِ أَدْيانِها وأَجْناسِها .

قالَ عَونُ بن شَدَّاد : مَسَحَ جِبريلُ عليْهِ السَّلامُ العِجْلَ بِجَناحِهِ ، فقامَ مُسْرِعاً حتَّى لَحِقَ بأُمِّهِ .

● وَمِمَّا يُحْكَى من محاسِنِ القاضِي محمَّد بن عبد الرَّحمن ، المعروف بابنِ قُرَيْعَةَ البغداديّ[1] ؛ وَوفاتُهُ سنةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وثلاثمئة[2] :

أَنَّ العبَّاسَ بن المُعَلَّى الكاتِبَ كَتَبَ إِلَيْه : ما يَقُولُ القاضِي ـ وَفَّقَهُ اللهُ تَعالَى ـ في يَهوديٍّ زَنى بِنَصْرانِيَّةٍ ، فَوَلَدَتْ وَلَداً جِسْمُهُ للبَشَرِ وَوَجْهُهُ لِلبَقَرِ ، وَقد قُبِضَ عليهما ؛ فَمَا يَرى القاضي فيهما ؟ فكتَبَ الجَوابَ بَديهاً : هذا من أَعْدَلِ الشُّهُودِ على المَلاعِينِ اليَهُودِ ، بِأَنَّهم أُشْرِبُوا حُبَّ العِجْلِ في صُدُورِهِم حتَّى خَرَجَ من أُيورِهم ، وأَرى أَن يُناطَ برأسِ اليَهوديِّ رَأْسُ العِجْلِ ، وَيُصْلَبَ على عُنُقِ النَّصرانِيَّةِ الرَّأْسُ مَعَ الرِّجْلِ ، وَيُسْحَبا على الأَرْضِ ، وَيُنادَى عليهما : ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النُّور : ٤٠] والسَّلامُ .

---

(١) ترجمته في : تاريخ بغداد ٣/ ٥٥٠ ووفيات الأَعيان ٤/ ٣٨٢ وسير أَعلام النُّبلاء ١٦/ ٣٢٦ والوافِي بالوفيات ٣/ ٢٢٧ .

(٢) الخبر في ابن خلّكان والسِّير .

● **فائِدَةٌ أُخرى** : نَقَلَ القُرطبيُّ عن أَبي بَكر الطُّرطوشيِّ رَحِمَهما اللهُ تعالى[1] : أَنَّهُ سُئِلَ عن قومٍ يَجتمعُونَ في مَكانٍ يَقْرَؤُونَ شَيئاً من القُرآنِ ، ثم يُنْشِدُ لهم مُنْشِدٌ شيئاً من الشِّعْرِ ، فَيَرْقُصُونَ وَيَطربُونَ ، ويَضربُونَ بالدُّفِّ والشَّبَّابَةِ ؛ هل الحُضُورُ معهم حَلالٌ أَم لا ؟ فأَجابَ : مَذْهَبُ السَّادَةِ الصُّوفيَّةِ : أَنَّ هَذَا بَطَالَةٌ وَجَهالَةٌ وَضَلالَةٌ ، إلى آخِرِ كَلامِهِ .

قُلتُ : وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّهُ أَجابَ بلفظٍ غيرِ هذا ، وهو أَنَّهُ قالَ :

مَذْهَبُ الصُّوفيَّةِ بَطالَةٌ وَجَهالَةٌ وَضَلالَةٌ ، وما الإِسْلامُ إِلاَّ كِتابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسولِهِ ﷺ ؛ وأَمَّا الرَّقْصُ والتَّواجُدُ ، فأَوَّلُ من أَحْدَثَهُ أَصْحابُ السَّامِرِيِّ ؛ لَمَّا اتَّخَذَ لَهم عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ ، قامُوا يَرقُصُونَ حولَهُ وَيَتَواجَدُونَ ، فهو دِيْنُ الكُفَّارِ وَعُبَّادُ العِجْلِ ؛ وإِنَّما كان مَجْلِسُ النَّبيِّ ﷺ مع أَصْحابِهِ كَأَنَّمَا على رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ من الوَقارِ .

فَيَنْبَغي للسُّلطانِ وَنُوَّابِهِ أَنْ يَمْنعوهم من الحُضُورِ في المَساجِدِ وغيرِها ، ولا يَحِلُّ لأَحَدٍ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، أَنْ يَحضرَ معهم ، ولا يُعينَهم على باطِلِهم ؛ هَذَا مَذْهَبُ مالِكٍ والشَّافعيِّ وأَبي حَنيفة وأَحمد وغيرِهم من أَئِمَّةِ المُسلمينَ .

● **فائدةٌ أُخرى**[2] : رُوي أَنَّهُ كان في بَني إِسْرائِيلَ رَجُلٌ غَنِيٌّ ، وَلَهُ ابنُ عَمٍّ فَقيرٌ ، لا وارِثَ لَهُ سِواهُ ؛ فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ مَوْتُهُ قَتَلَهُ لِيَرِثَهُ ، وَحَوَّلَهُ إِلى قريةٍ أُخْرَى ، فَأَلْقاهُ بِفِنائِها ، ثُمَّ أَصبحَ يَطلبُ بثأْرِهِ ، وَجَاءَ بناسٍ إِلى مُوسى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فادَّعى عليهمُ القَتْلَ ، فَسَأَلَهُمْ مُوسى فجَحَدُوا ، فاشْتَبَهَ أَمْرُ القَتيلِ على مُوسى .

---

(١) المستطرف ٢/ ٤٩٩ .

(٢) البداية والنِّهاية ٢/ ١٦٥ .

قَالَ الكلبيُّ : وذلكَ قبلَ نُزولِ القَسامَةِ في التَّوراةِ ، فسأَلُوا موسى أَنْ يَدْعُوَ اللهَ لِيُبَيِّنَ لهم ذلكَ ، فدَعا الله ، فأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يُعْلِمَهُمْ أَنَّ اللهَ يَأْمُرُهُم أَنْ يَذْبَحُوا بَقَرَةً .

● وَرُوِيَ(١) أَنَّهُ كان في بَني إِسرائيلَ رجلٌ صالِحٌ ، ولهُ طِفْلٌ لَهُ عِجْلَةٌ ، فأَتى بها إِلى غَيْضَةٍ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ هذِهِ العِجْلَةَ لابْني حتَّى يَكبرَ ؛ وَماتَ الرَّجُلُ ، فصارَتِ العِجْلَةُ في الغَيْضَةِ عَواناً ، وَكانَتْ تَهربُ من كُلِّ من رآها .

فَلَمَّا كَبُرَ الابْنُ ، وَكانَ بارّاً بأُمِّه ، كان يَقْسِمُ اللَّيْلَ ثلاثةَ أَثْلاثٍ ، يُصَلِّي ثُلُثاً ، وَيَنامُ ثُلُثاً ، وَيَجلسُ عندَ رَأْسِ أُمِّهِ ثُلُثاً ؛ وَكَانَ إِذا أَصْبَحَ انْطلَقَ فاحْتَطَبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَأَتَى به السُّوقَ فَيَبيعُهُ بِمَا شَاءَ اللهُ ، ثمَّ يَتَصَدَّقُ بثُلُثِهِ ، وَيَأْكُلُ بثُلُثِه ، وَيُعْطِي أُمَّهُ ثُلُثَهُ ؛ فقالَتْ أُمُّهُ لَهُ يَوْماً : إِنَّ أَباكَ وَرَّثَكَ عِجْلَةً ، اسْتَوْدَعَها اللهَ في غَيْضَةِ كذا وكذا ، فانْطَلِقْ وادْعُ إِلَهَ إِبراهيمَ وإِسماعيلَ وإِسحاقَ ويَعقوبَ أَنْ يَرُدَّها عليكَ ، وعَلامَتُها أَنَّكَ إِذا نَظَرْتَ إِلَيْها يُخَيَّلُ لكَ أَنَّ شُعاعَ الشَّمْسِ يَخْرُجُ من جِلْدِها ، وَكانَتْ تُسَمّي المُذْهَبَةَ ، لِحُسْنِها وَصُفْرَتِها .

فَأَتَى الفتَى الغَيْضَةَ ، فَرَآها تَرْعَى ، فَصاحَ بها وَقَالَ : أَعزمُ عليك بإِلَهِ إِبراهيم وإِسماعيل وإِسحاق ويَعقوب أَنْ تأتي ؛ فأَقْبَلَتْ تَسْعَى حَتَّى قامَت بينَ يَديهِ ، فقَبَضَ على عُنُقِها وَأَقْبَلَ يَقُودُها ، فتَكَلَّمَتِ العِجْلَةُ بإِذْنِ اللهِ تعالى وَقالَت : أَيُّها الفَتى البارُّ بوالِدَتِهِ ، ارْكَبْنِي فإِنَّ ذلكَ أَهْوَنُ عليكَ . فَقَالَ الفَتى : إِنَّ أُمِّي لَمْ تَأْمُرْنِي بذلكَ ، ولكن قالت : خُذْ بعُنُقِها . فقالَت : وإِلَهِ بَني إِسرائيلَ ، لو رَكِبْتَنِي لَما قَدرتَ عليَّ أَبَداً ؛ فانْطَلِقْ فإِنَّكَ لو أَمَرْتَ الجَبَلَ أَنْ يَنْقَلِعَ من أَصْلِهِ وَيَنْطَلِقَ معكَ لَفَعَلَ لِبرِّكَ بأُمِّكَ .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/١٠٨ ـ ١١٣ .

فَسَارَ الفَتى بها إلى أُمِّه ، فقالَتْ له : إنَّكَ فَقيرٌ لا مالَ لكَ ، وَيَشُقُّ عليْكَ الاحْتِطَابُ بالنَّهارِ والقِيامُ باللَّيْلِ ، فانْطَلِقْ فَبِعْ هذِهِ البَقَرَةَ . قالَ : بكَمْ أَبيعُها ؟ قالَتْ : بثَلاثَةِ دَنانيرَ ، ولا تَبِعْ بغَيْرِ مَشورتي . وَكَانَ ثَمَنُ البَقَرَةِ إذْ ذاكَ ثلاثَةَ دَنانِيرَ ؛ فانْطَلَقَ بها إلى السُّوقِ ، فَبَعَثَ اللهُ إلَيْهِ مَلَكاً لِيُرِيَ خَلْقَهُ قُدْرَتَهُ ، وَلِيَخْتَبِرَ الفَتى كيفَ بِرُّهُ بوالِدَتِهِ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيماً خَبيراً . فَقَالَ لَهُ المَلَكُ : بكمْ تَبيعُ هذِهِ البَقَرَةَ ؟ قَالَ : بثَلاثَةِ دَنانِيرَ ، وَأَشترطُ عليكَ رِضا والدَتي ؛ فقالَ لَهُ المَلَكُ : فإنِّي أُعْطِيكَ سِتَّةَ دَنانير ، وَلا تَسْتَأْمِرْ والِدَتِكَ . فَقَالَ الفَتى : لو أَعْطَيْتَنِي وَزْنَها ذَهَباً لم آخُذْهُ إلاّ بِرِضا والِدَتي . ثم إنَّ الفَتى رجعَ إلى أُمِّه وأخبرَها بالثمن : فقالت له : ارْجع وَبِعْها بسِتَّةِ دَنانيرَ على رِضاً مِنِّي . فانْطَلَقَ بها إلى السُّوقِ ، فأَتاهُ المَلَكُ فقَالَ لَهُ : أَسْتَأْمَرْتَ أُمَّكَ ؟ فقالَ له الفَتى : إنَّها أَمَرَتْنِي أَنْ لا أُنْقِصَها عن سِتَّةِ دنانيرَ على أَنْ أَسْتَأْمِرَها ؛ فَقَالَ لهُ المَلَكُ : فإنِّي أُعطيكَ اثنَي عَشَرَ ديناراً على أَنْ لا تَسْتَأْمِرَها ؛ فأَبى الفَتَى ، وَرَجَعَ إلى أُمِّهِ فأَخبرَها بذلكَ ، فقالت له : إنَّ الذي يَأْتِيكَ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَميٍّ لِيُجَرِّبَكَ ، فإذا أَتاكَ فَقُلْ لَهُ : أَتَأْمُرُنا أَنْ نَبيعَ هَذِهِ أَمْ لا نَفْعَلَ ؟ فَقَالَ لَهُ المَلَكُ : اذهبْ إلى أُمِّكَ وَقُلْ لَها : أَمْسِكِي هَذِهِ البَقَرَةَ ، فإنَّ مُوسَى يَشْتَرِيها منكِ لِقَتيلٍ من بَني إسرائيل ، فلا تَبيعيها إلاّ بملءِ مَسْكِها ذَهَباً ـ أَي جِلْدِها دَنانير ـ فأَمْسَكُوها وَقَدَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على بَني إسرائيل ذَبْحَ تلكَ البَقرةِ بعَيْنِها مُكافأَةً لهُ على بِرِّهِ بأُمِّهِ ، فَضْلاً منهُ وَرَحْمَةً ، فَما زَالُوا يَسْتَوْصِفُونَ حتَّى وَصَفَ لهم تِلْكَ البَقَرَةَ بعَيْنِها .

● واخْتلفَ العُلماءُ في لَوْنِها ؛ فقالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : شَديدةُ الصُّفْرَةِ .

وَقالَ قَتادةُ : لَوْنُها صافٍ . وَقال الحسنُ البَصريُّ : الصَّفْراءُ : السَّوداءُ .

وَالأَوَّلُ أَصَحُّ ، لأَنَّهُ لا يُقالُ : أَسْوَدُ فاقِعٌ ؛ وإنَّما يُقالُ : أَصْفَرُ فاقِعٌ ،

وَأَسْوَدُ حالِكٌ ، وَأَحْمَرُ قانٍ ، وَأَخْضَرُ ناضِرٌ ، وَأَبْيَضُ يَقَقٌ للمُبالَغَةِ .

فلمَّا ذَبَحُوها ، أَمَرَهم اللهُ أَن يَضربُوا القَتيلَ بِبَعْضِها .

واخْتُلِفَ في ذلكَ البعضِ ، فقالَ ابنُ عبَّاسٍ وَجُمهورُ المُفسِّرينَ : ضَرَبُوهُ بِالعَظْمِ الذِي يَلي الغُضْرُوفَ ، وَهُوَ المُقْبِلُ .

وَقالَ مُجاهِدٌ وسعيد بن جُبيرٍ : بِعُجْبِ الذَّنَبِ ، لأَنَّهُ أَوَّلُ ما يُخْلَقُ وآخِرُ ما يَبْلَى وَيُرَكَّبُ عليهِ الخَلْقُ .

وَقالَ الضَّحَّاكُ : بِلِسانِها ، لأَنَّهُ آلَةُ الكَلامِ .

وَقَالَ عِكْرِمَةُ والكَلبيُّ : بِفَخْذِها الأَيمنِ ؛ وَقيلَ : بِعُضوٍ مِنْها لا بِعَيْنِه . فَفعَلُوا ذلكَ ، فقامَ القَتيلُ حَيّاً بِإذنِ اللهِ تَعالى ، وَأَوْداجُهُ تَشْخَبُ دَماً ، وَقَالَ : قَتَلَنِي فُلانٌ ؛ ثمَّ سَقطَ وَماتَ مَكانَهُ ، فَحُرِمَ قاتِلُهُ المِيْراثَ .

وفي الخبرِ : « ما وَرِثَ قاتِلٌ بعدَ صاحِبِ البَقَرَةِ » .

واسْمُ القَتيلِ عامِيل . قالَهُ البَغَويُّ وغيرُه .

● قَالَ الزَّمخشريُّ وغيرُه[1] : رُوِيَ أَنَّه كان في بَني إسرائيلَ شَيخٌ صالِحٌ لَهُ عِجْلَةٌ ، فأَتى بها الغَيْضَةَ وَقالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَها لابْني حَتَّى يَكْبُرَ ، فَكَبرَ الوَلَدُ وَكَانَ بارّاً بِأُمِّهِ ، فَشَبَّتْ وَكانَت من أَحْسَنِ البَقَرِ وَأَسْمَنِهِ ، فَساوَمُوها اليَتيمَ وأُمَّه حتَّى اشْتَرَوها بِمِلْءِ جِلْدِها ذَهَباً ، وَكانَتِ البَقَرَةُ إذا ذَاكَ بِثَلاثَةِ دَنانيرَ .

● وَذَكَرَ الزَّمخشريُّ وغيرُهُ[1] : أَنَّ بَني إسرائيلَ كانُوا طَلَبُوا البَقَرَةَ المَوصُوفَةَ أَربعِيْنَ سنةً .

● وَفي الحَديثِ[2] عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « لو اعْتَرَضُوا أَيَّ بَقَرَةٍ كانَتْ ،

---

(١) الكشَّاف ١/ ٢٨٩ .

(٢) الكشَّاف ١/ ٢٢٨ .

فَذَبَحُوها لَكَفَتْهُمْ ، ولكنَّهم شَدَّدُوا على أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عليهم » .
والاسْتِقْصَاءُ شُؤْمٌ .

● وعن(١) بَعْضِ الخُلفاءِ ، أَنَّهُ كَتبَ إلى عامِلِه : أَنْ يَذهبَ إلى قَومٍ فَيَقْطَعَ أَشْجارَهُم ، وَيَهدِمَ دُورَهم ، فكتبَ إِلَيْهِ : بِأَيِّهما أَبْدأُ ؟ فقلب : إن قُلتُ لكَ بقَطْعِ الشَّجَرِ سأَلْتني بأيِّ نَوعٍ منها أبدأُ ؟

● وعن(١) عُمر بن عبد العَزيز رحمه اللهُ تعالى ، أَنَّهُ كَتبَ إلى عامِلِه قَالَ : إذا أَمَرْتُكَ أَنْ تُعطيَ فُلاناً شاةً ، سَأَلْتني : أَضَأْنٌ أَم مَعزٌ ؟ فإِنْ بَيَّنْتَ لَكَ قُلْتَ : أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثى ؟ فإِنْ أَخْبَرتُكَ قلتَ : أَسوداءُ أَم بَيضاء ؟ فإذا أَمَرْتُك بِشَيءٍ فلا تُراجِعْنِي فِيه .

تَتِمَّةٌ فِيما يَتَعلَّقُ بهَذِهِ الفائِدة من الأَحكام : إذا وُجِدَ قَتيلٌ في مَكانٍ وَلَمْ يُعرفْ قاتِلُهُ ، فإنْ كانَ ثَمَّ لَوْثٌ على إنْسانٍ ـ وَاللَّوْثُ : ما يَغْلُبُ على القَلْبِ صِدْقُ المُدَّعِي ـ بأَنِ اجتَمَعَ جماعَةٌ في بَيْتٍ أَوْ صَحْراءَ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عن قَتيلٍ ، يَغلبُ على الظَّنِّ أَنَّ القاتِلَ منهم ؛ أَوْ وُجِدَ قَتيلٌ في مَحَلَّةٍ أَوْ قَريةٍ ، كُلُّهم أَعْداءُ القَتيلِ ، لا يُخالِطُهم غيرُهم ، فَيَغْلُبُ على القَلْبِ أَنَّهم قَتَلُوهُ ؛ وادَّعَى الوَلِيُّ ، فَيَحْلِفُ المُدَّعِي خَمسينَ يَميناً عَلَى من يُدَّعَى عَلَيْهِ ، فإِنْ كان الأَولياءُ جَماعةً تُوَزَّعُ الأَيْمانُ عليهم ، ثمَّ بعدَ الأَيْمانِ تُؤْخَذُ الدِّيَةُ من عاقِلَةِ المُدَّعَى عليْه إِنِ ادُّعِيَ عَلَيْهِ قَتْلُ خَطَأٍ ؛ وإن ادُّعيَ عليه قَتْلُ عَمْدٍ ، فَمِنْ مالِهِ ، وَلا قَوَدَ على قَوْلِ الأَكْثَرينَ .

وَقَالَ عُمرُ بن عبد العَزيزِ : يَجِبُ القَوَدُ ، وَبهِ قالَ مالِكٌ وَأَحمدُ .

وإِنْ لَمْ يَكُنْ لَوْثٌ ، فَالقَوْلُ قَوْلُ المُدَّعَى عَلَيهِ مع يَمِينِهِ .

وَهَلْ يَحلفُ يَميناً واحِدَةً أَم خَمسينَ يَميناً ؟ قَولان : أَحَدُهُما : يَميناً

---

(١) الكشاف ١/٢٢٨.

واحِدَةً كما في سائِرِ الدَّعاوى ، والثَّانِي : خَمسينَ يَميناً ، تَغْلِيْظاً لأَمْرِ الدَّمِ .

وعندَ أَبي حَنيفةَ : لا حُكْمَ لِلَّوْثِ ، ولا يَبْتَدئُ بِيَمينِ المُدَّعي ، بل إِذا وُجِدَ قَتيلٌ في مَحَلَّةٍ أَوْ قَرْيَةٍ ، يَخْتارُ الإِمامُ خَمسينَ رَجُلاً من صُلَحَاءِ أَهْلِها ، وَيُحَلِّفُهُمْ أَنَّهم ما قَتَلُوهُ ، ولا يَعرِفُونَ لَهُ قاتِلاً ، ثمَّ يَأْخُذُ الدِّيَةَ من سُكَّانِها .

وَالدَّليلُ على البَدَاءةِ بِيَمينِ المُدَّعي عندَ وُجُودِ اللَّوْثِ ، ما رَوَى الشَّافعيُّ في « مُسنَدِه »[1] عن سَهل بن أَبي حَثْمَةَ : أَنَّ عبْدَ اللهِ بن سَهل وَمُحَيِّصَةَ بن مَسعودٍ خَرَجَا لِخَيْبَرَ ، فَتَفَرَّقَا لِحاجَتِهِما ، فَقُتِلَ عبدُ اللهِ بن سَهْل ، فَانْطَلَقَ مُحَيِّصَةُ بن مَسعودٍ ، وَعبدُ الرَّحمن أَخُو القَتيلِ ، وَحُوَيِّصَةُ بن مَسْعُودٍ ، إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ قَتْلَ عبدِ الله بن سَهْلٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تَحْلِفُونَ خَمسينَ يَميناً وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صاحِبِكُمْ ؟ » فَقَالُوا : يا رسُولَ اللهِ لَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَحْضُرْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « فَتُبْرِئُكُم يَهُودُ بِخَمْسِينَ يَميناً » . فَقَالُوا : يا رَسولَ الله ، وَكَيْفَ نَقْبَلُ أَيْمانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ ؟ فَزَعَمَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ عَقَلَهُ من عِنْدِهِ .

قالَ البَغَويُّ في « معالم التَّنزيلِ » : وَجْهُ الدَّليلِ من الحَدِيثِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بَدَأَ بأَيْمانِ المُدَّعِينَ لِقُوَّةِ جانِبِهم باللَّوْثِ ، وَهُوَ أَنَّ عبدَ اللهِ بن سَهْل وُجِدَ قتيلاً في خَيبر ، وكانَتِ العَداوَةُ ظاهِرَةً بَيْنَ الأَنْصارِ وَبينَ أَهْلِ خَيْبَرَ ، وَكَانَ يَغلبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهم قَتَلُوهُ ؛ وَاليَمينُ أَبداً تكُونُ حُجَّةً لِمَنْ يَقْوَى جانِبُهُ ، وَعندَ عَدَمِ اللَّوْثِ يَقْوى جانِبُ المُدَّعى عَلَيهِ ، حيثُ أَنَّ الأَصْلَ بَراءَةُ ذِمَّتِهِ ، فَكَانَ القَوْلُ قَوْلَهُ مع يَمِيْنِهِ . انتهى .

الخَواصُّ : قَالَ القَزوينيُّ[2] : خِصْيَةُ العِجْلِ : تُجَفَّفُ وَتُشْرَبُ بَعْدَ حَرْقِها ، تُهَيِّجُ البَاهَ ، وَتُعينُ على كَثْرَةِ الجِماعِ حتَّى يَرى عَجَباً .

---

(١) البخاريُّ ٨/ ١١٩ ـ ١٢٠ ومسلم (١٦٦٩) والسِّيرة النَّبويَّة ٢/ ٣٥٥ والمُوَطَّأ ٨٧٧ وأُسد الغابة ٣/ ٢٧٠ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٤٧ .

وَقَضيبُ العِجْلِ : إذا جُفِّفَ ، وَأُجيدَ سَحْقُهُ ، وَاسْتَفَّ منهُ إِنْسَانٌ وزنَ درهمٍ ، فإِنَّهُ يُمَكِّنُ الشَّيْخَ العاجِزَ من افْتِضاضِ البِكْرِ ؛ فإِنْ سُحِقَ وأُلْقِيَ على البَيْضِ النِّيمبرِشْت ، وَتَحَسَّى منهُ ، فإِنَّهُ يَزيدُ في الباهِ زِيادةً لَمْ يَرَ مِثْلَها .

وَقَالَ غَيْرُهُ : خِصْيَةُ العِجْلِ : تُجَفَّفُ وَتُشْرَبُ مَسْحُوقَةً ، تُهَيِّجُ الباهَ وَتُنْعِظُ ، وَتُعينُ على كَثْرَةِ الجِماعِ .

وَقَضِيبُهُ إذا أُحْرِقَ وَسُحِقَ وَشُرِبَ ، نَفَعَ من وَجَعِ الأَسْنانِ ؛ وإِذا شُرِبَ مع السَّكَنْجَبين مَنَعَ الطُّحالَ .

التَّعبيرُ(١) : العِجْلُ في المَنامِ : وَلَدٌ ذَكَرٌ ؛ وَإذا كان مَشْوِيّاً ، فهوَ أَمْنٌ من الخَوْفِ ، لِقِصَّةِ إبراهيم ﷺ . قَالَ تَعالى : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ إِلى قَوْلِه : ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ [هُود : ٦٩ ـ ٧٠] .

● **خاتمةٌ** : بَنُو عِجْلٍ : قَبيلةٌ كَبيرةٌ من العَرَبِ شَهيرةٌ ، يُنْسَبُونَ إِلى عِجْلِ ابن لُجَيْمٍ ـ بِضَمِّ اللاَّمِ ، وَفَتْحِ الجِيمِ ـ وَكَانَ عِجْلٌ المَذْكُورُ يُعَدُّ من الحَمْقَى(٢) ، من أَجْلِ أَنَّهُ كان لَهُ فَرَسٌ جَوادٌ ، فقيلَ لهُ : إِنَّ لِكُلِّ فَرَسٍ جَوادٍ اسْماً ، فَمَا اسْمُ فَرَسِكَ ؟ فَقالَ : لَمْ أُسَمِّهِ بَعْدُ ؛ فَقيلَ لَهُ : سَمِّهِ ؛ فَفَقَأَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، ثمَّ قالَ : سَمَّيْتُهُ الأَعْوَرَ ؛ وَفِيهِ قَالَ بعضُ شُعراءِ العَرَبِ(٣) : [من الطَّويل]

رَمَتْنِي بَنُو عِجْلٍ بِداءِ أَبِيْهِمُ ... وَهَلْ أَحَدٌ في النَّاسِ أَحْمَقُ من عِجْلِ
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عارَ عَيْنَ جَوادِهِ ... فَسَارَتْ بِهِ الأَمْثَالُ في النَّاسِ بِالجَهْلِ

يُقالُ : عارَ عَيْنَهُ ـ بِالمُهْمَلَةِ ـ إذا فقَأَها .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧٩ .

(٢) عيون الأخبار ٢/ ٤٣ والميداني ١/ ٢١٧ والعسكري ١/ ٣٩٠ وحمزة ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥ والزَّمخشريّ ١/ ٨٣ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٣/ ٢٤٧ و ٧/ ٢٥ وشرح نهج البلاغة ١٨/ ١٦١ .

(٣) البيتان لجرثومة العنزي ، في الميداني والعسكري والزَّمخشريّ وحمزة .

٦١٤ **العَجَمْجَمَةُ** : الشَّديدَةُ من النُّوقِ ، قَالَ الجَوهريُّ : مِثْلُ العَثَمْثَمَةِ[١] ؛ وَأَنْشَدَ : [من الرجز]

بَاتَ يُبَارِي وَرِشَاتٍ كَالقَطَا عَجَمْجَماتٍ خُشُفاً تَحْتَ السُّرَى

٦١٥ **أُمُّ عَجْلان** : طائِرٌ مَعروفٌ ، قَالَه الجَوهريُّ[٢] .

٦١٦ **العَجُوزُ**: الأَرنبُ، والأَسدُ، والبَقَرَةُ، والثَّورُ، والذِّئبُ، والذئبة، والرَّخَمُ، والرَّمَكَة، والضَّبُعُ، وعانَةُ الوَحشِ، والعَقربُ، والفَرَسُ، والكَلْبُ، [وَالنَّاقَة][٣] .

٦١٧ **عَدَسْ** : البَغْلُ ؛ سَمَّوْهُ بِزَجْرِهِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[٤] : [من الرجز]

إذا حَمَلْتُ بِزَّتِي على عَدَسْ عَلَى الذي بَيْنَ الحِمارِ والفَرَسْ
فَما أُبالِي مَن عَدا وَمَنْ جَلَسْ

وَعَدَسْ : زَجْرُ البَغْلِ ؛ قَالَ يَزِيدُ بن مُفَرِّغٍ[٥] : [من الطويل]

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمارَةٌ نَجَوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

٦١٨ **العُذْفُوطُ** : بِالضَّمِّ : دُوَيْبَّةٌ بَيْضَاءُ ناعِمَةٌ يُشَبَّهُ بِها أَصابِعُ الجَوارِي[٦] .

٦١٩ **العُرْبُجُ** : كَلْبُ الصَّيْدِ . قَالَهُ في « المدخل »[٧] .

---

(١) الصِّحاح « عجم » ٥/ ١٩٨٢ واللِّسان والتَّاج . والشَّطران فيها جَميعاً بلا نسبة . وقال في اللِّسان : الورشات : الخفاف . وَالخُشُفُ : الماضِيَة في سيرها باللَّيل .

(٢) الصِّحاح « عجل » ٥/ ١٧٦٠ .

(٣) القاموس والتَّاج « عجز » .

(٤) الأَشطار بلا نسبة في الصِّحاح واللِّسان « عدس » والمخصَّص ٦/ ١٨٣ . والشَّطر الأَوَّل في معجم مقاييس اللُّغة ٣/ ٤١٤ و ٤/ ٢٤٥ .

(٥) ديوانه ١٧٠ . وعَبَّاد : هُوَ عبَّاد بن زياد بن أَبيه .

(٦) القامُوس والتَّاج « عذفط » . وزاد الزُّبيديّ : تُسمَّى العِسْوَدَّة .

(٧) وَاللِّسان « عربج » ٤/ ٢٨٦٨ .

٦٢٠ **عَرارِ** : مِثْلُ قَطامِ : اسْمُ بَقَرَةٍ .

وَفي المَثَلِ[١] : « باءَتْ عَرارِ بِكَحْلَ » . وَهُما بَقرتانِ انْتَطَحَتا ، فماتَتا جَميعاً .

٦٢١ **العَرِيْضُ** : الجَدْيُ[٢] . كَذا قَالَهُ في « المدخل » ، وَقَدْ تَقَدَّم لَفْظُ « الجَدْي » في « بابِ الجِيمِ » .

٦٢٢ **العَسْجَدِيَّةُ** : رِكابُ المُلُوكِ . قالَ الجَوهريُّ[٣] : وَهِيَ إِبِلٌ كانَت تُزَيَّنُ للنُّعمانِ .

٦٢٣ **العِرْبَدُّ** : مِثالُ سِلْغَدٍّ ، مُلْحَقٌ بِجَرْدَحْلٍ : حَيَّةٌ تَنْفُخُ وَلا تُؤْذِي[٤] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُها في الحَيَّاتِ .

وَالعَرْبَدَةُ : سُوْءُ الخُلُقِ ؛ وَقَوْلُهُمْ : رَجُلٌ مُعَرْبِدٌ ، مَأْخُوذٌ من هَذَا . قَالَهُ ابْنُ قُتيبةَ وغيرُه .

٦٢٤ **العِرْبَضُ والعِرْباضُ** : البَعيرُ القَوِيُّ الكَلْكَلِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَهُ[٥] .

٦٢٥ **العِرْسُ** : لَبُؤَةُ الأَسَدِ ، وَالجَمْعُ : أَعْراسٌ[٦] . قَالَ مالِكُ بنُ خُوَيْلِد الخُناعيّ[٧] : [من البسيط]

لَيْثٌ هِزَبْرٌ مُدِلٌّ عِنْدَ خِيْسَتِهِ ... بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٍ وَأَعْراسُ

---

(١) الميدانيّ ١/ ٩١ والعسكريّ ١/ ٢٢٦ وَالزَّمخشريّ ٢/ ٢ واللِّسان والتَّاج والصِّحاح « عرر » .
(٢) الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « عرض » .
(٣) الصِّحاح « عسجد » ٢/ ٥٠٨ .
(٤) اللِّسان « عربد » ٤/ ٢٨٦٨ .
(٥) وعنه اللِّسان « عربض » ٤/ ٢٨٦٨ .
(٦) عن الصِّحاح « عرس » ٣/ ٩٤٧ .
(٧) ديوان الهذليِّين ٣/ ٤ وشرح أشعار الهذليِّين ١/ ٤٤٢ وفي ١/ ٢٢٦ من قصيدة لأَبي ذؤيب ، وقَالَ أَبو نصر : وإِنَّما هِيَ لمالك بن خالد الخناعيّ .

٦٢٦ **العُرَيْقِصَةُ** : بِالصَّادِ المُهملةِ : دُوَيْبَّةٌ عَرِيضَةٌ كَالجُعَلِ[١] .

٦٢٧ **العُرَيْقِطَةُ وَالعُرَيْقِطانُ** : بِالطَّاءِ المُهملةِ : دُوَيْبَّةٌ عَرِيْضَةٌ [كَالجُعَلِ][٢] .

٦٢٨ **العَزَّةُ** : بِالفَتْحِ : بِنْتُ الظَّبْيَةِ ، وَبِها سُمِّيَتِ المَرْأَةُ عَزَّة . قَالَهُ الجَوهريُّ[٣] .

٦٢٩ **العَيْسَاءُ**[٤] : بِفَتْحِ العَيْنِ المُهملَةِ : الأُنْثَى من الجَرادِ . وَقَد تقَدَّمَ لَفْظُ « الجَرادِ » في « بابِ الجِيمِ » .

٦٣٠ **العَساعِسُ** : بِفَتْحِ العَيْنِ : القَنافِذُ الكَبيرَةُ ؛ سُمِّيَتْ بِذلكَ لِكَثْرَةِ تَرَدُّدِها في اللَّيْلِ[٥] .

٦٣١ **العَسَّاسُ** : الذِّئْبُ[٦] ، وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الذَّالِ المُعجمةِ » .

٦٣٢ **العَسَاهِيْلُ** : الإِبِلُ المَهْزُولَةُ ؛ الواحِدَةُ عُسْهُولٌ[٧] .

٦٣٣ **العِسْبَارُ** : بِكَسْرِ العَيْنِ ، وَبِالسِّيْنِ السَّاكِنَةِ ، وَالأُنْثَى عِسْبارَةٌ : وَلَدُ

---

(١) هذا وهمٌ من المؤلِّف رحمه اللهُ . وهذه المادَّة هِي التي تليها بعينها ، وصوابها بالطَّاءِ المهملة . ولو قالَ مَكانَها : العَرَقُصان ، والعَرَنْقُصان : دابَّةٌ . وقال ابنُ برِّيّ : دابة من الحشرات . لكان أَفضل ؛ وانظر اللِّسان والتَّاج « عرقص » .

(٢) الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « عرقط » .

(٣) الصِّحاح « عزز » ٣/ ٨٨٦ .

(٤) في الأُصول : العَسَا ! ! . والصَّوابُ هو المثبت أَعلاه . وانظر اللِّسان والتَّاج والصِّحاح « عيس » والمخصص ٨/ ١٧٥ .

(٥) اللِّسان والتَّاج « عسس » .

(٦) ويقال : العَسوس ، والعَسيس ، والعَسْعَسُ ، والعَسْعَاسُ . (اللِّسان « عسس ») .

(٧) انفرد المؤلِّف رحمه اللهُ بقلب الزَّاي سيناً ، فَأَخطأَ . والصَّواب : العزاهيل : الإبل المهملة ، واحدها عُزْهول . (اللِّسان والتَّاج والصِّحاح « عزهل ») .

الضَّبُعِ من الذِّئْبِ ؛ وَجَمْعُهُ عَسابِرُ[1] .

وَحُكْمُهُ : تَحريمُ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ مُتَوَلِّدٌ بينَ مَأْكُولٍ وَغَيْرِ مَأْكُولٍ .

٦٣٤ العُسْبُورُ : وَلَدُ الكَلْبِ من الذِّئْبَةِ ؛ وَالعِسْبَارُ : وَلَدُ الذِّئْبِ ، أَوْ وَلَدُ الضَّبُعِ من الذِّئْبِ[1] ؛ كَمَا تَقَدَّمَ .

● قَالَ الجَوهريُّ في « ع و ل » قَالَ الكُمَيْتُ[2] : [من الطويل]

كَمَا خامَرَتْ فِي حِضْنِها أُمُّ عامِرٍ   لِذِي الحَبْلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيالَها

أَشارَ بذلكَ إلى أَنَّ الضَّبُعَ إِذا صِيْدَتْ ، وَلَها وَلَدٌ من الذِّئْبِ ، لَمْ يَزَلِ الذِّئْبُ يُطْعِمُ وَلَدَها إِلى أَنْ يَكبرَ ؛ وَقَد تَقَدَّمَ ذلكَ في لَفْظِ « أَوس » .

٦٣٥ العَسْلَقُ : كُلُّ سَبُعٍ جَرِيءٍ . وَالعَسَلَّقُ : الظَّلِيْمُ ؛ وَقيلَ : الثَّعْلَبُ . حَكاهُ ابْنُ سِيْدَه[3] .

٦٣٦ العَسَنَّجُ : كَعَمَلَّسٍ : الظَّليمُ أَيْضاً[4] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « الظَّليمِ » في « بابِ الظَّاءِ المُشالةِ المُعْجمةِ » .

٦٣٧ العُشَراءُ : النَّاقَةُ التي أَتى عليها من يَوْمِ أُرْسِلَ عليها الفَحْلُ عَشَرَةُ أَشْهُرٍ ، وَزَالَ عنها اسْمُ المَخاضِ ، ثمَّ لا يَزالُ ذلكَ اسْمَها حتَّى تَضَعَ ، وَبَعدَما تَضَعُ أَيْضاً .

يُقالُ : ناقَتانِ عُشَراوانِ ، وَنُوقٌ عِشَارٌ[5] .

---

(١) الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « عسبر » .

(٢) ديوانه ١/ ٣٨٣ وثمار القلوب ١/ ٥٨٣ .

(٣) العَسْلَقُ والعَسَلَّقُ : كُلُّ سَبُعٍ جَرِيءٍ عَلَى الصَّيْدِ ، والأُنْثَى بِالهاء ، والجمع عَسالِقُ . (اللِّسان والتَّاج « عسلق ») .

(٤) اللِّسان والتَّاج « عسنج » .

(٥) اللِّسان والتَّاج « عشر » .

وَلَيْسَ في الكَلامِ فُعَلاءُ ، يُجْمَعُ على فِعالِ ، غيرُ عُشَراء جُمِعَ عَلَى عِشَارِ ، وَنُفَسَاءَ جُمِعَ على نِفاسِ .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ الشَّيْخُ أَبو عبدِ اللهِ ابن النُّعمانِ في كِتابِ « مِصباح الظَّلام ، في المُسْتَغِيْثِينَ بِخَيْرِ الأَنام »[1] : حَديثُ حَنينِ الجِذْعِ الذي كان يَخطبُ إِلَيهِ النَّبيُّ ﷺ حَنينَ العِشَارِ : مُتواتِرٌ[2] .

رَواهُ من أَصحابِ النَّبيِّ ﷺ العَدَدُ الكَثيرُ والجَمُّ الغَفيرُ : منهم جابرُ بن عبدِ الله ، وابْنُ عُمر ـ وَمن طَريقِهما خَرَّجَهُ البُخاريُّ ـ وأَنَس بن مالك ، وَعَبدُ اللهِ بن عبَّاسٍ ، وَسَهْل بن سَعد السَّاعِدِيّ ، وَأَبو سعيد الخُدْرِيّ ، وبُريدة ، وأُمُّ سَلَمَة ، وَالمُطَّلب بن أَبي وَداعَةَ .

قَالَ جابر في حديثِه : فَصَاحَتِ الخَشَبَةُ صِياحُ الصَّبيِّ ، فَضَمَّها إِليه .

وَفي حَدِيثِهِ أَيضاً : سَمِعْنا لذلكَ الجِذْعِ صَوْتاً كَصَوْتِ العِشَارِ .

وفي رِوايَةِ ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : فَلَمَّا اتُّخِذَ المِنْبَرُ ، تَحَوَّلَ إِليهِ فَحَنَّ الجِذْعُ ، فَأَتاهُ فَمَسَحَ بِيَدِهِ عَليه .

وَفي بعضِ الرِّواياتِ : « وَالذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لو لَمْ أَلْتَزِمْهُ ، لَمْ يَزَلْ هَكَذَا إِلى يَوْمِ القِيامَةِ » تَحَزُّناً على رَسولِ اللهِ ﷺ .

---

(١) قال حاجي خليفة ٢/١٧٠٦ : مصباح الظَّلام في المُستغيثين بخير الأَنام في اليقظة والمنام ، لأَبي الرَّبيع سليمان بن موسى الكلاعيّ ، المتوفَّى سنة ٦٣٤ . وللشَّيخ أَبي عبد الله شَمس الدِّين محمَّد بن موسى بن النُّعمان المرَّاكشيّ المزالي الهنتاتي التلمساني الفاسِي المالكي ، المتوفَّى سنة ٦٨٣ هـ . (كشف الظُّنون) .

(٢) حديث الجذع في : البخاريّ ٤/١٧٣ والتِّرمذيّ (٥٠٥) والنَّسائيّ (١٣٩٦) وابن ماجه (١٤١٤) وابن حبَّان (٦٥٠٦) ومسند أَحمد ١/٢٤٩ و ٢٦٧ و ٣٦٣ و ٣/٢٩٥ و ٣٠٠ و ٣٢٤ و ٥/٣٣٧ و ٣٣٩ .

● وَكَانَ الحَسَنُ إذا حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيثِ بَكَى ، وَقَالَ : يَا عِبادَ اللهِ ، الخشَبَةُ تَحِنُّ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَوْقاً إِلَيْهِ لِمَكانِهِ مِنْها ، وأَنتم أَحَقُّ أَنْ تَشْتاقُوا إلى لِقائِهِ .

وَنَظَمَ صالحٌ الشَّافعيُّ في ذلكَ فقالَ : [من الطويل]

وَحَـنَّ إِلَيْـهِ الجِـذْعُ شَـوْقـاً وَرِقَّـةً ... وَرَجَّـعَ صَـوْتـاً كـالعِشَـارِ مُـرَدَّدا
فَبـادَرَهُ ضَمَّـاً فَقَـرَّ لِـوَقْتِـهِ ... « لِكُلِّ امْرِىءٍ من دَهْرِهِ ما تَعَوَّدَا »(١)

وَحَنينُ الجِذْعِ إِليهِ ، وتَسْليمُ الحَجَرِ عليهِ ، لَمْ يَثبتْ لِواحِدٍ من الأَنْبِيَاءِ إلاَّ لَهُ ﷺ .

٦٣٨ **العُصَاري** : بِضَمِّ العَيْنِ ، وَفَتْحِ الصَّادِ المُهملةِ ، وَالرَّاءُ في آخِرِهِ ، بَعْدَها يَاءٌ مُثَنَّاةٌ من تَحت(٢) : نَوْعٌ من الجَرادِ ، أَسْوَدُ شَبيهٌ بِالخَنافِسِ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ .

● حَكَى أَبو عاصِمٍ العِباديُّ ، عن أَبي طاهِرٍ الزِّياديّ ، أَنَّهُ قالَ : كُنَّا نَراهُ حَراماً ، وَنُفْتِي بِتَحْرِيمِهِ ، حتَّى وَرَدَ عَلَيْنا الأُستاذُ أَبو الحسنِ الماسَرْجِسيّ ، فقالَ : إِنَّهُ حَلالٌ ؛ فَبَعَثْنَا منهُ جِراباً للبادِيَةِ ، وَسَأَلْنَا عنهُ العَرَبَ ، فَقَالُوا : هَذَا هُوَ الجَرادُ المُبارَكُ ؛ فَرَجَعُوا إِلى قَوْلِ العَرَبِ فِيهِ .

٦٣٩ **العُصْفُورُ** : بِضَمِّ العَيْنِ ؛ وَحَكى ابْنُ رَشيقٍ في كَتابِ « الغَرائِبِ والشُّذُوذِ » : عَصْفُور ـ بِالفَتْحِ(٣) ـ وَالأُنْثَى عَصْفُورةٌ ؛ قال الشَّاعِرُ : [من الطويل]

---

(١) العجز مضمّن من قول المتنبّي في ديوانه ١/ ٢٨١ . وتمامُهُ : × وعادات سيف الدَّولة الطَّعن في العدا .

(٢) كَذَا قال المؤلِّف رحمه الله ، واللهُ أَعلم بِصحَّة ذلك ، فلم يرد شيءٌ من هذا في معاجم اللُّغة . ولكنِّي وجدتُ « العَظاري ـ بفتح العين ـ : ذكور الجراد » . (القاموس واللِّسان والتَّاج « عظر ») .

(٣) نقل الزُّبيديّ قول ابن رشيق هذا عن شيخه ، في التَّاج « عصفر » ١٣/ ٧٥ ، ولكن اسم =

كَعَصْفُورَةٍ في كَفِّ طِفْلٍ يَسُومُها حِياضَ الرَّدَى وَالطِّفْلُ يَلْهُو وَيَلْعَبُ

● وَكُنْيَتُهُ[١] : أَبُو الصَّعْوُ ، وَأَبُو مُحْرِزٍ ، وأَبُو مُزاحِمٍ ، وَأَبُو يَعقوب .

● قَالَ حَمْزَةُ[٢] : سُمِّيَ عُصْفُوراً ، لأَنَّهُ عَصَى وَفَرَّ .

● وَهُوَ أَنْواعٌ : مِنْها ما يُطْرِبُ بِصَوْتِهِ ، وَيُعْجِبُ بِصَوْتِهِ وَحُسْنِهِ . وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

● **والعُصْفُورُ الصَّرَّارُ** : وَهُوَ الذِي يُجِيبُ إِذا دُعِيَ ـ مِنَ الصَّيرورَةِ .

● **وَعُصْفُورُ الجَنَّةِ** : وهُوَ الخُطَّافُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُما في بابَيْهِما .

● **وَأَمَّا العُصْفُورُ الدُّوريُّ البُيُوتِيُّ** : فإِنَّ في طِباعِهِ اخْتِلافاً ، وَذلكَ أَنَّ فِيهِ من طَبائِعِ السِّباعِ ، وَهُوَ أَكْلُ اللَّحْمِ ، وَلا يَزُقُّ فِراخَهُ[٣] ؛ وَمِنَ البَهائِمِ أَنَّهُ لَيْسَ بِذِي مِخْلَبٍ ولا مِنْسَرٍ ؛ وَإِذا سَقَطَ على عُودٍ ، قَدَّمَ أَصابِعَهُ الثَّلاث وَأَخَّرَ الدَّابِرَةَ ، وَسائِرُ أَنْواعِ الطَّيْرِ تُقَدِّمُ إِصْبَعَيْنِ وَتُؤَخِّرُ إِصبعينِ ؛ وَيَأْكُلُ الحَبَّ وَالبُقُولَ .

وَيَتَمَيَّزُ الذَّكَرُ مِنْها بِلِحْيَةٍ سَوْداءَ كَما لِلرَّجُلِ والتَّيْسِ والدِّيْكِ .

وَلَيْسَ في الأَرْضِ طائِرٌ من سَبُعٍ ولا بَهيمَةٍ أَحْنَى من العُصْفُورِ عَلَى وَلَدِهِ ، ولا أَشَدَّ لَهُ عِشْقاً ، وَذَلِكَ مُشاهَدٌ عِنْدَ أَخْذِ فِراخِها[٤] .

= الكتاب عنده : الغرائب والشَّواذُّ . ثمَّ عقَّب على ذَلِكَ بِقولِهِ : والفتح غير معروف عند أَهل الصِّناعة ، إِذ فَعْلُولٌ مفقودٌ في الكَلام الفصيح .

(١) المُرصَّع ٢١٩ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٤٩ و ٣٦٨ .

(٢) التَّنبيه على حدوث التَّصحيف ١١٥ والتَّاج « عصفر » ١٣/ ٧٥ . وفي الحيوان ٥/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ : وقال أَبُو بدر الأُسَيِّديّ : قيلَ لعبد الأَعلى القاصّ : لِمَ سِمِّيَ العُصفُورُ عُصْفُوراً ؟ قَالَ : لأَنَّهُ عَصَى وَفَرَّ ! ! ! .

(٣) بل يُلقِمُها كَما تُلْقِمُ السِّباعُ من الطَّير فِرَاخَها . (الحيوان ١/ ٢٩ و ٢/ ٣٢٧) .

(٤) الحيوان ٢/ ٣٢٨ .

وَوَكْرُهُ في العُمْرانِ تَحْتَ السُّقُوفِ خَوْفاً من الجَوارِحِ ، وَإِذا خَلَتْ مَدينةٌ من أَهْلِها ، ذَهَبَتِ العَصَافِيرُ مِنْها ، فإِذا عادُوا إِلَيْهَا عادَتِ العَصَافِيْرُ .

وَالعُصْفُورُ لا يَعْرِفُ المَشْيَ ؛ إِنَّما يَثِبُ وَثْباً .

وَهُوَ كَثيرُ السِّفادِ ، فَرُبَّما سَفَدَ في السَّاعَةِ الواحِدَةِ مِئَةَ مَرَّةٍ ، وَلِذلكَ قَصُرَ عُمْرُهُ ، فإِنَّهُ لا يَعيشُ في الغالِبِ أَكْثَرَ من سَنَةٍ[1] .

وَلِفَرْخِهِ تَدَرُّبٌ على الطَّيَرانِ ، حَتَّى إِنَّهُ يُدْعَى فَيُجِيبُ .

قَالَ الجاحِظُ : بَلَغَنِي أَنَّهُ رجعَ من فَرْسَخٍ[2] .

وَمِنْ أَنْواعِهِ : **عُصْفُور الشَّوْكِ** : وَأَكْثَرُ مَأْواهُ السِّياجَ ؛ وَزَعمَ[3] أَرسطو أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحِمارِ عَداوَةً ، لأَنَّ الحِمارَ إِذا كان بِهِ دَبَرٌ ، حَكَّهُ في الشَّوْكِ الذي يَأْوِي إِلَيْه هَذَا العُصفُورُ فَيَقْتُلُهُ ؛ وَرُبَّمَا نَهَقَ الحِمَارُ ، فَتَسْقُطُ فِراخُهُ أَوْ بَيْضُهُ من جَوْفِ وَكْرِهِ ، فَلِذَلِكَ هَذَا العُصْفُورُ إِذا رَأَى الحِمارَ ، رَفْرَفَ فَوْقَ رَأْسِهِ وَعَلَى عَيْنَيْهِ ، وَآذاهُ بِطَيَرانِهِ وَصِياحِهِ .

● وَمِنْ أَنْواعِهِ : **القُبَّرَةُ** . وَسَتَأْتي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ القَافِ » .

● وَمِن أَنْواعِهِ : حَسُّون . وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الحَاءِ » . وَالبُلْبُلُ ، وَالصَّعْوُ ، وَالحُمَّرَةُ ، وَالعَنْدَلِيْبُ ، وَالمَكاكي ، وَالصَّافِرُ ، وَالتُّنَوِّطُ ، وَالوَصَعُ ، وَالبَراقِشُ ، وَالقُبْعَةُ ، وَكُلُّها في أَماكِنِها مَذْكُورَةٌ .

● وَفي « الأَذْكِياءِ » لابْنِ الجَوزيّ[4] : أَنَّ رَجُلاً رَمَى عُصفوراً فأَخْطَأَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَحسنتَ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : أَتَهْزَأُ بي ؟ قالَ : لا ، ولكنْ أَحْسَنْتَ إلى العُصْفُورِ إِذْ لَمْ تُصِبْهُ .

---

(١) الحيوان ٥/ ٢٠٧ و ٢٢٣ .

(٢) الحيوان ٢/ ٣٢٨.

(٣) الحيوان ٥/ ٢٢٥ و ٢/ ٥١ و ٧/ ٩٧ وعجائب المخلوقات ٢٧٩ .

(٤) أخبار الأذكياء ١٥٥ وأخبار الظِّراف والمتماجنين ٨٩ والغيث المسجم ١/ ٢٦٧ .

● وَرَأَيْتُ في بَعْضِ التَّعاليقِ[1] : أَنَّ المُتَوَكِّل رَمى عُصفُوراً ، فَلَمْ يُصِبْهُ وَطَارَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ خاقان : أَحْسَنْتَ ، فَقَالَ لَهُ المُتَوَكِّلُ : كَيفَ أَحسنتُ ؟ قَالَ : أَحسنتَ إلى العُصْفُورِ .

● وَيُرْوى[2] عن الجُنَيْدِ ، أَنَّهُ قالَ : أَخبَرنِي محمَّد بن وَهب ، عن بَعْضِ أَصْحابِهِ ، أَنَّهُ حَجَّ مع أَيُّوب الجمَّال ، قَالَ :

فَلَمَّا دَخَلْنَا البادِيَةَ ، وَسِرْنَا مَنازلَ ، إذ بعُصفورٍ يَحومُ حَوْلَنا ، فَرَفَعَ أَيُّوبُ رأسَهُ إِلَيهِ ، وَقَالَ لَه : قد جِئْتَ إِلى هُنا ؟ فَأَخَذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ ، فَفَتَّها في كَفِّهِ ، فانْحَطَّ العُصفُورُ ، وَقَعَدَ على كَفِّهِ فَأَكَلَ مِنْها ، ثُمَّ صَبَّ لَهُ ماءً فَشَرِبَهُ ، ثم قال : اذْهَبِ الآنَ . فَطارَ العُصفُور .

فَلَمَّا كان من الغَدِ ، رَجَعَ العُصْفُورُ ، فَفَعَلَ أَيُّوبُ مِثلَ فِعْلِهِ في اليَوْمِ الأَوَّلِ ، فَلَمْ يَزَلْ كُلَّ يومٍ يَفعلُ بِهِ مثلَ ذلكَ إِلى آخِرِ السَّفَرِ .

ثم قَالَ أَيُّوبُ : أَتَدرِي ما قِصَّةُ هَذَا العُصْفُورِ ؟ قَالَ : لا . قالَ : إِنَّهُ كان يَجيئُني في مَنْزِلي كُلَّ يومٍ ، فكنتُ أَفعلُ بهِ ما رأَيْتَ ؛ فَلَمَّا خَرَجْنَا تَبِعَنا يَطْلُبُ مِنَّا ما كُنْتُ أَفْعَلُ بِهِ في المَنْزِلِ ! .

● رَوَى البَيهقيُّ وابْنُ عَساكر[3] ، بِسَندهما إِلى أَبي مالِكٍ ، قالَ :

مَرَّ سُليمانُ بن داود عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ بعُصفُورٍ يَدُورُ حولَ عُصفُورةٍ ، فَقَالَ لأَصحابِهِ : أَتَدْرُونَ ما يَقُولُ ؟ قَالُوا : وَمَا يَقُولُ يَا نَبِيَّ الله ؟ قَالَ : يَخْطِبُها لِنَفْسِهِ ، وَيَقُولُ : تَزَوَّجيني أُسْكِنْكِ أَيَّ قُصُور دمشقَ شِئْتِ . قَالَ سُليمانُ : وإِنَّهُ عَرَفَ أَنَّ قُصُورَ دِمشقَ مَبنيَّةٌ بِالصَّخْرِ ، لا يَقدرُ أَنْ يَسكُنَها ، لكنَّ كُلَّ

---

(١) جمع الجواهر ٩ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣١٣ وطبقات الصُّوفيَّة للمناوي ١/ ٥٥٥ وتاريخ بغداد ٧/ ٤٥٨ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١١٨ والبداية والنِّهاية ٢/ ٣٢٤ ولم أقف عليه في شعب الإيمان .

خاطِبٍ كَذّابٌ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى لَهُ نَظيرُهُ في « بابِ الفاءِ » في « الفاخِتة » .

وَكانَ سُليمان عليهِ السَّلامُ يَعرفُ ما يَتَخاطَبُ بِهِ الطُّيُورُ بلُغاتِها ، وَيُعَبِّرُ للنَّاسِ عن مَقاصِدِها وإرادَتِها ؛ كَما تَقدَّمَ في « بابِ الطَّاءِ المُهملةِ » في « الطِّيْطَوى » .

قَالَ اللهُ تعالَى حِكايَةً عنهُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [النَّمل : ١٦] وَكَذلكَ كان يعرفُ لُغاتِ ما عَداها من الحيواناتِ ، وسائرِ صُنُوفِ المَخلوقاتِ .

● **فائِدَةٌ** : رَوى « مسلم »[١] عن عائِشة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، أَنَّها قالَت حِينَ تُوُفِّيَ صَبيٌّ من الأَنْصارِ بينَ أَبوينِ مُسْلِمَيْنِ : طُوبى لَهُ ، عُصفورٌ من عَصافيرِ الجَنَّةِ ؛ فَقالَ النَّبيُّ ﷺ : « أَوَ غَيرَ ذَلكَ ، إِنَّ اللهَ تَعالَى خَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلاً ، خَلَقَهُم لَهَا وَهُم في أَصْلابِ آبائِهِم ، وَخَلَقَ للنَّارِ أَهْلاً ، خَلَقَهُم لَها وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبائِهِمْ » .

وَمن النَّاسِ مَن قَدَحَ في هَذَا الحَديثِ ، بِأَنَّهُ من رِوايةِ طَلحة بن يَحيى ، وَهُو مُتَكَلَّمٌ فِيهِ ؛ وَالصَّوابُ صِحَّتُهُ ، وَهُو في « صحيح مسلم » ؛ وَلكنَّهُ ﷺ نَهانا عن المُسارَعَةِ إِلى القَطْعِ ، أَوْ أَنَّهُ قالَ ذَلكَ قبلَ أَنْ يَعلمَ أَنَّ أَطْفالَ المُسْلِمينَ في الجَنَّةِ . كَذا قَالَ بعضُهم ؛ وَليسَ بصَحيحٍ ، لأَنَّ « سورَةَ الطُّورِ » مَكِّيَّةٌ ، وَدَلَّتْ عَلَى تَبعِيَّتِهم ؛ أَوْ أَنَّ قَطْعَ عائشةَ بذلكَ قَطْعٌ بِإِيْمانِ أَبَوَيْهِ . وَيُحتملُ أَنْ يَكونا مُنافقَيْنِ ، فَيَكُونُ الصَّبيُّ ابْنَ كافِرَيْنِ .

● وَرَوى ابنُ قانِعٍ في تَرْجَمَةِ الشَّرِيدِ بن سُويد الثَّقفيّ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ

---

(١) مسلم (٢٦٦٢) والنَّسائيّ (١٩٤٧) وابن ماجه (٨٢) ومسند أَحمد ٦/ ٤١ و ٢٠٨ .

قَالَ[1] : « مَنْ قَتَلَ عُصفوراً عَبَثاً ، عَجَّ إلى اللهِ يوم القِيامَةِ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ، عَبْدُكَ قَتَلَني عَبَثاً ، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ » .

● وَرُوِيَ في حديثٍ آخرَ : أَنَّ رَجُلاً من أَهلِ الصُّفَّةِ استُشْهِدَ ، فقالَت لَهُ أُمُّه : هَنِيئاً لَكَ ، عُصْفُورٌ من عَصافِيرِ الجَنَّةِ ؛ هاجَرْتَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقُتِلْتَ في سَبيلَ اللهِ ؛ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « وَمَا يُدْرِيكِ لَعَلَّهُ كان يَتكَلَّمُ فِيما لا يَنْفَعُهُ ، وَيَمْنَعُ ما لا يَضُرُّهُ » .

● وَرَوَى البَيهقيُّ في « الشُّعَبِ » عن مالك بن دِينارٍ ، قَالَ[2] : « مَثَلُ قُرَّاءِ هَذَا الزَّمانِ ، مَثَلُ رَجُلٍ نَصَبَ فَخّاً ، فَجاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ في فَخِّهِ ، فقالَ : ما لِي أَراكَ مُغَيَّباً في التُّرابِ ؟ قَالَ : لِلتَّواضُعِ . قَالَ : فَمِمَّ حُنِيْتَ ؟ قَالَ : من طُولِ العِبادَةِ . قالَ : فما هَذِهِ الحَبَّةُ فِي فيكَ ؟ قَالَ : أَعْدَدْتُها للصَّائِمِينَ ؛ فَلَمَّا أَمْسَى تَناوَلَ الحَبَّةَ ، فَوَقَعَ الفَخُّ في عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ ، فَقَالَ العُصفُورُ : إِنْ كان العُبَّادُ يَخْنُقُونَ خَنْقَكَ ، فَلا خَيْرَ في العُبَّادِ اليَوْمَ » .

● وَفيهِ أَيضاً[3] عن الحَسَنِ : أَنَّ لُقمانَ قالَ لابْنِهِ : يا بُنَيَّ ، حَمَلْتُ الجَنْدَلَ والحَدِيدَ وَكُلَّ حِمْلٍ ثَقيلٍ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَثْقَلَ من جَارِ السُّوءِ .

وَذُقْتُ المُرارَ كُلَّهُ ، فَلَمْ أَذُقْ شَيئاً أَمَرَّ من الفَقْرِ .

يَا بُنَيَّ ، لا تُرْسِلْ رَسُولاً جاهِلاً ، فإِنْ لَمْ تَجِدْ حَكِيماً فَكُنْ رَسُولَ نَفْسِكَ .

يا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ والكَذِبَ ، فإِنَّهُ شَهِيٌّ كَلَحْمِ العُصفورِ ؛ وَعَمَّا قَليلٍ يُقْلَى صاحِبُهُ .

يا بُنَيَّ ، احضرِ الجَنائِزَ ، وَلا تَحضرِ العُرْسَ ، فإِنَّ الجَنائِزَ تُذَكِّرُكَ

---

(١) النَّسائيّ (٤٤٤٦) .

(٢) شعب الإيمان ٦/ ٣٦١ رقم (٦٩٥٥) وأخبار الأذكياء ٢٥٤ .

(٣) شعب الإيمان ٤/ ٢٣١ رقم (٤٨٩١) ومختار الحكم ٢٦٠ ـ ٢٧٩ .

الآخِرَةَ ، وَالعُرْسَ يُشَهِّيكَ الدُّنْيا .

يَا بُنَيَّ ، لا تَأْكُلْ شِبَعاً على شِبَعٍ ، فإِنَّكَ إِنْ تُلْقِيهِ إلى الكلبِ خَيرٌ لَكَ من أَنْ تَأْكُلَهُ .

يا بُنَيَّ ، لا تَكُنْ حُلواً فَتُبْلَعَ ، وَلا مُرّاً فَتُلْفَظَ .

● وَرأَيتُ في بعضِ المَجامِيعِ عن الحَسَنِ ، أَنَّ لُقمانَ قالَ لابْنِهِ : يا بُنَيَّ ، اعلمْ أَنَّهُ لا يَطَأُ بِساطَكَ إلاَّ راغِبٌ فيكَ ، أَو راهِبٌ منكَ ؛ فَأَمَّا الرَّاهِبُ منكَ الخائِفُ ، فَأَدْنِ مَجْلِسَهُ ، وَتَهَلَّلْ في وَجْهِهِ ؛ وَإِيَّاكَ والغَمْزَ من ورائِهِ ؛ وَأَمَّا الرَّاغِبُ فيكَ ، فَأَظْهِرْ لَهُ البَشاشَةَ مع صفاء الباطِنِ لهُ ، وابْدأْهُ بالنَّوالِ قبلَ السُّؤالِ ، فإنَّك إن تُلْجِئْهُ إلى السُؤالِ منكَ ، تَأْخُذْ من حُرِّ وَجْهِهِ ضِعْفَ ما تُعْطِيه .

● وَأَنْشدُوا على هَذَا : [من الوافر]

إِذا أَعْطَيْتَنِي بِسُؤَالِ وَجْهِي ... فَقَد أَعْطَيْتَنِي وَأَخَذْتَ مِنِّي

● وَلِبعضِهِم أَيضاً زِيادَةٌ على هَذَا[1] : [من الكامل]

مَا اعْتاضَ باذِلُ وَجْهِهِ بِسُؤَالِهِ ... بَدَلاً وَإِنْ نالَ الغِنى بِسُؤالِ

وإِذا النَّوالُ مَعَ السُّؤَالِ وَزَنْتَهُ ... رَجَحَ السُّؤَالُ وَخَفَّ كُلُّ نَوالِ

● وَلِبَعْضِهِم أَيضاً زِيادةٌ في هَذَا المَعنى[2] : [من الكامل]

تَلْحَى عَلَى البُخْلِ البَخِيلَ بِمالِهِ ... أَفَلا تَكُونُ بِماءِ وَجْهِكَ أَبْخَلا

---

(١) هُمَا لأَبِي العتاهيَّة في ديوانه ٢٨٤ و ٢٨٩ . ونُسبا لعليّ بن ثابت الكاتب في الموشَّى ٢٨ . وبلا نسبة في روضة العقلاء ١٢٥ والمناقب والمثالب ٩٧ والزَّهرة ٢/ ٦٦٥ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٨/ ١٧٧ وزهر الآداب ٢/ ١٠٦٠ ولباب الآداب لأُسامة ٣٠٧ والمُستطرف ٢/ ٣٠٠ .

(٢) الأَبيات لمهيار الدَّيلميّ في ديوانه ٣/ ١٣٨ ووفيات الأَعيان ٥/ ٣٦٢ .

أَكْرِمْ يَدَيْكَ عن السُّؤَالِ فإِنَّما ... قَدْرُ الحَياةِ أَقَلُّ من أَنْ تَسْأَلا
وَلَقَدْ أَضُمُّ إِليَّ فَضْلَ قَناعَتِي ... وَأَبِيتُ مُشْتَمِلاً بِهِ مُتَزَمِّلا
وَأَرى العَدُوَّ على الخَصاصَةِ حالَةً ... تَصِفُ الغِنى فَيَخالُني مُتَمَوِّلا
وَإِنِ امْرُؤٌ أَفْنَى اللَّيالي حَسْرَةً ... وَنَدامَةً أَفْنَيْتُهُنَّ تَوَكُّلا

يا بُنَيَّ ، ابسُطْ حِلْمَكَ للقَريبِ وَالبَعيدِ ، وَأَمْسِكْ جَهْلَكَ عن الكَريمِ واللَّئيمِ ، وَصِلْ أَقارِبَكَ ، وَلْيَكُنْ إِخْوانُكَ من إِذا فَارَقْتَهُم وَفارَقُوكَ ، لَمْ تَعِبْهُمْ وَلَمْ يَعِيبُوكَ . اهـ .

● وَقَدْ أَذْكَرَنِي هَذا ما حَكاهُ بعضُ أَشياخِي :

أَنَّ الإِسكندرَ وَجَّهَ رَسُولاً إِلى بعضِ مُلُوكِ الشَّرْقِ ، فعادَ رَسولُهُ بِرِسالَةٍ شَكَّ الإِسْكَنْدَرُ في حَرْفٍ مِنها ، فَقَالَ لَهُ الإِسْكندَرُ : وَيْحَكَ ، إِنَّ المُلُوكَ لا يُخافُ عَلَيْها إِلاَّ إِذا مالَتْ بِطانَتُها ، وَقَدْ جِئْتَني بِرِسالَةٍ صَحيحَةِ الأَلْفاظِ ، بَيِّنَةِ العِبارَةِ ، غَيرَ أَنَّ فِيها حَرْفاً يَنْقُصُها ، فَعَلَى يَقينٍ أَنْتَ منهُ أَمْ شاكٌّ فِيهِ ؟ فَقالَ الرَّسولُ : على يَقينٍ .

فأَمَرَ الإِسْكَنْدَرُ أَنْ تُكْتَبَ أَلْفاظُها حَرْفاً حَرْفاً ، وَتُعادَ إِلى المَلِكِ مع رَسُولٍ آخَرَ ، فَتُقْرَأَ عليهِ وَتُتَرْجَمَ لَهُ ؛ فَلَمَّا قُرِئَ الكِتابُ على المَلِكِ ، مَرَّ بِذَلِكَ الحَرْفِ ، فَأَنْكَرَهُ ، فَقَالَ للمُتَرْجِمِ : ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الحَرْفِ . فَوَضَعَها ، وَأَمَرَ أَنْ يُقْطَعَ ذلكَ الحَرْفُ ، فَقُطِعَ من الكِتابِ ، وَكَتَبَ إِلى الإِسْكَنْدَرِ : رَأْسُ المَمْلَكَةِ صِحَّةُ فِطْنَةِ المَلِكِ ، وَرَأْسُ المَلِكِ صِدْقُ لَهْجَةِ رَسُولِهِ ، إِذْ كان عن لِسانِهِ يَنْطِقُ ، وَإِلى أُذُنِهِ يُؤَدِّي ؛ وَقَدْ قَطَعْتُ ما لَمْ يَكُنْ من كَلامِي ، إِذْ لَمْ أَجِدْ إِلى قَطْعِ لِسانِ رَسُولِكَ سَبيلاً .

فَلَمَّا جاءَ الرَّسُولُ بِهَذَا إِلى الإِسْكَنْدَرِ ، دَعَا الرَّسُولَ الأَوَّلَ ، وَقَالَ لَهُ : ما حَمَلَكَ على كَلِمَةٍ أَرَدْتَ بِها الفَسَادَ بينَ مَلِكَيْنِ ؟ فَأَقَرَّ الرَّسُولُ أَنَّ ذَلكَ لِتَقْصِيرٍ

رَآهُ من المُوَجَّهِ إليه ، فَقالَ لَهُ الإسْكَنْدَرُ : ما أَراكَ سَعَيْتَ إلاَّ لِنَفْسِكَ لا لَنَا ، فَلَمَّا فاتَكَ ما أَمَّلْتَ ، جَعَلْتَ لَكَ ثَأْراً في الأَنْفُسِ الخَطِيْرَةِ الرَّفِيعَةِ ! ثمَّ أَمَرَ بِلِسانِهِ فَنُزِعَ من قَفاهُ .

● وَقَالَ يَحْيَى بن خالِدِ بن بَرْمَكٍ[1] : ثلاثَةُ أَشْياءَ تَدُلُّ على عُقُولِ الرِّجالِ : الهَدِيَّةُ ، والرَّسُولُ ، وَالكِتابُ .

● وَسَمِعَ أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ رَجُلاً يُنْشِدُ[2] : [من المتقارب]

إذا كُنْتَ في حاجَةٍ مُرْسِلاً ... فَأَرْسِلْ حَكِيماً وَلا تُوصِهِ
وإنْ بابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى ... فَشَاوِرْ حَكِيماً وَلا تَعْصِهِ
وَإِنْ ناصِحٌ مِنْكَ يَوْماً دَنا ... فَلا تَنْأَ عَنْهُ وَلا تُقْصِهِ

فقالَ : قد أَساءَ قائلُ هذا ؛ أَيَعْلَمُ الغَيْبَ إذا لَمْ يُوصِهِ ؟ كيفَ يَعْلَمُ ما فِي نَفْسِهِ ؟ هَلاَّ قالَ[3] : [من الوافر]

إذا أَرْسَلْتَ في أَمْرٍ رَسُولا ... فَأَفْهِمْهُ وَأَرْسِلْهُ أَدِيْبا
وَلا تَتْرُكْ وَصِيَّتَهُ بِشَيْءٍ ... وإنْ هُوَ كانَ ذا عَقْلٍ أَرِيْبا
فإنْ ضَيَّعْتَ ذاكَ فَلا تَلُمْهُ ... على أنْ لَمْ يَكُنْ عَلِمَ الغُيُوبا

● وفي « تاريخِ ابن خلّكان » وغيرِهِ من التَّوارِيخ[4] : أَنَّ الزَّمخشريّ كان

---

(١) وفيات الأَعيان ٦/ ٢٢١ .

(٢) الأَبيات للزُّبير بن عبد المطلب ، في جمهرةِ العسكريّ ١/ ٩٨ ومجموعة المعاني ٤٣ وطبقات ابن سلاَّم ١/ ٢٤٦ . وتنسبُ إلى طرفة بن العبد في ديوانه ١٦٧ وإلى صالح بن عبد القدُّوس في ديوانه ١٤٩ وإلى عبد الله بن معاوية في الحماسة البصريَّة ٢/ ٩١٣ وديوانه ٥١ .

(٣) الأَبيات ليست لأَبي الأَسودِ ، ولا هِيَ في ديوانه . وَهِيَ لأَبي عَطاء السِّنديّ ، في الأَغاني ١٧/ ٣٣٦ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٣٧ وجمهرة العسكريّ ١/ ٩٩ .

(٤) وفيات الأَعيان ٥/ ١٦٩ ـ ١٧٠ وإنباه الرُّواة ٣/ ٢٦٨ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٦٨٨ والعقد الثَّمين ٧/ ١٤٠ .

مَقطوعَ الرِّجْلِ ، فَسُئِلَ عن ذلكَ ، فقالَ : دُعاءُ الوالِدةِ ؛ وَذلكَ أَنِّي كُنْتُ في صِبايَ أَمْسَكْتُ عُصْفُوراً ، وَرَبَطْتُهُ بِخَيْطٍ في رِجْلِه ، فأُفْلِتَ من يَدي ، وَأَدْرَكْتُهُ وَقد دخلَ في خَرْقٍ من الجِدارِ ، فَجَذَبْتُهُ فانْقَطَعَتْ رِجْلُهُ بالخَيْطِ ، فتَأَلَّمَتْ والِدتي لذلكَ ، وقالت : قَطَعَ اللهُ رِجْلَ الأَبْعَدِ ، كَمَا قَطَعْتَ رِجْلَهُ ؛ فلمَّا وَصلْتُ إِلى سِنِّ الطَّلَبِ ، رَحَلْتُ إِلى بُخارى لِطَلَبِ العِلْمِ ، فَسَقَطْتُ عن الدَّابَّةِ ، فانْكَسَرَتْ رِجْلي ، وعَمِلْتُ عملاً أَوْجَبَ قَطْعَها .

● وفي « الحِلْيَةِ » للحافِظِ أَبي نُعيمٍ ، في تَرجمةِ زَيْنِ العابدين[1] :

قالَ أَبُو حَمزةَ الثُّماليّ : كنتُ عند عليّ بن الحُسَيْنِ ، فإِذا عَصافِيرُ يَطِرْنَ حَوْلَهُ وَيَصْرُخْنَ ، فقالَ : يا أَبا حَمْزَةَ ، هل تَدْرِي ما تَقُولُ هذهِ العَصافيرُ ؟ قلتُ : لا . قالَ : إِنَّها تُقَدِّسُ رَبَّها جَلَّ وَعَلا ، وَتَسْأَلُهُ قُوتَ يَوْمِها .

● وَفي « الصَّحيحين » و« سُننِ النَّسائيّ » و« جامع التّرمذيّ »[2] من حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، عن أُبي بن كعبٍ وأَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما :

أَن النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « قامَ مُوسى خَطيباً في بني إِسرائيلَ ، فَسُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فقالَ : أَنا أَعْلَمُ ، فَعتَبَ اللهُ عليْهِ إِذا لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَوْحى اللهُ إِلى مُوسى : إِنَّ عَبْداً من عِبادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ » .

وَفي الرِّواية الأُخْرى : « أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : هَلْ تَعْلَمُ أَحَداً أَعْلَمَ مِنْكَ ؟ قال مُوسى : لا ؛ فأَوْحَى اللهُ تعالى إِلى مُوسى : بَلْ عَبْدُنا خَضِرٌ أَعْلَمُ منكَ ؛ فقالَ : يَا رَبِّ ، وَكيفَ بِهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : احمِلْ حُوتاً في مِكْتَلِكَ ، فإِذا فَقَدْتَهُ فهو ثَمَّ .

---

(١) حلية الأَولياء ٣/ ١٤٠ .

(٢) البخاريّ ١/ ٣٨ و ٤/ ١٢٧ و ٥/ ٢٣٠ ومسلم (٢٣٨٠) والتّرمذيّ (٣١٤٩) وأَبو داود (٤٧٠٧) وابن حبَّان (٦٢٢٠) ومسند أَحمد ٥/ ١١٦ و ١١٨ و ١١٩ .

فانْطَلَقَ وانْطَلَقَ معهُ فَتاهُ يُوشَعُ بن نُونٍ ، وَحَمَلا حُوتاً في مِكْتَلٍ ، حَتَّى إِذا كانا عندَ الصَّخْرَةِ ، وَضَعا رُؤُوسَهُما فَناما ، وانْسَلَّ الحُوْتُ ، من المِكْتَلِ ﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف : ٦١] وَكانَ لِمُوسى وَلِفَتاهُ عَجَباً ، فانْطَلَقا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِما ويَوْمَهما حَتَّى أَصْبَحَا فقالَ مُوسى لِفتاهُ : ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ وَلَمْ يَجِدْ مُوسى شَيْئاً من النَّصَبِ حتَّى جاوَزَ المَكانَ الذي أُمِرَ بِهِ ، فقالَ لَهُ فَتاهُ : ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ قالَ مُوسى : ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ فلمَّا انْتَهَيا إِلى الصَّخْرَةِ إِذا رَجُلٌ مُسَجًّىً بِثَوْبٍ ـ أَو قالَ : تَسَجَّى بِثَوْبِهِ ـ فَسَلَّم مُوسَى » .

وَفي الرِّوايَةِ الأُخْرى : « وَكانَ يَتْبَعُ أَثَرَ الحُوتِ في البَحْرِ ، فَقَالَ الخَضِرُ : وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلامُ ؟ فقَالَ : أَنا مُوسى . قَالَ : مُوسى بَني إِسرائيلَ ؟ قالَ : نَعم » .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ يَا مُوسى ، إِنِّي على عِلْمٍ من عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ ، لا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وإِنَّكَ على عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ اللهُ أَعْلَمُهُ ، قَالَ : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ .

فانْطَلَقَا يَمْشِيانِ على ساحِلِ البَحْرِ ، فَرَأَيا سَفينةً ، فَكَلَّمُوهم أَنْ يَحملُوهُما ، فَعَرفُوا الخَضِرَ ، فَحَمَلُوهُما بغَيْرِ نَوْلٍ ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ على حَرْفِ السَّفِيْنَةِ ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ في البَحْرِ ، فقالَ الخَضِرُ : يَا مُوسى ، ما نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ من عِلْمِ اللهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ » .

وَفِي الرِّوايَةِ الأُخْرَى : « إِلاَّ مثلَ ما نَقَصَ هَذَا العُصفورُ من هَذَا البَحْرِ » .

وَعَمَدَ الخَضِرُ إِلى لَوْحٍ من أَلْواحِ السَّفينةِ فَنَزَعَهُ ، فقَالَ مُوسى : قَوْمٌ

حَمَلُونا بغَيْرِ نَوْلٍ ، عَمَدْتَ إلى سَفينَتِهم فَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها ؟ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ فكانَتِ الأُولَى من مُوسى نِسْياناً ؛ فانْطَلَقا ، فإذا غُلامٌ يَلْعَبُ مع الغِلْمانِ ، فأَخَذَ الخَضِرُ برَأْسِهِ من أَعلاهُ ، فاقْتَلَعَ رأْسَهُ بيَدِهِ ، فَقالَ مُوسى : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ .

قالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : وَهَذَا أَوْكَدُ .

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ الخَضِرُ بيَدَيْه ، فقالَ مُوسى : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٦١ ـ ٧٨] .

قالَ النَّبيُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللهُ أَخي مُوسى ، لَوَدِدْنا أَنْ لو صَبرَ حَتَّى يَقُصَّ اللهُ عَلَيْنا من أَنبائِهِما » .

وفي الرِّوايَةِ الأُخرى : « يَرْحَمُ اللهُ مُوسى ، لو كان صَبَرَ لَقَصَّ عَلَيْنا من أَمْرِهِمَا » .

وعن سَعيد بن جُبيرٍ قالَ : قلتُ لابْنِ عبَّاسٍ : إِنَّ نَوْفاً البِكاليَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسى لَيْسَ بِمُوسى بَني إِسرائِيلَ ، إِنَّما هُوَ مُوسى آخَر ! قَالَ : كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ ؛ حَدَّثَنِي أُبيُّ بن كَعْبٍ . وَذَكَرَ الحَدِيثَ ، وَذَكَرَ قِصَّةَ مُوسى وَالخَضِرَ بطُولِها .

قَالَ : « وَجَاءَ عُصفُورٌ حتَّى وَقَعَ على حَرْفِ السَّفِينَةِ ، ثُمَّ نَقَرَ في البَحْرِ فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ : ما نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ من عِلْمِ اللهِ إلاَّ مثلَ ما نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ من هَذَا البَحْرِ » .

قَالَ العُلماءُ : لَفْظُ النَّقْصِ لَيْسَ هُنا على ظاهِرِهِ ، وَإِنَّما مَعْنَاهُ : إِنَّما عِلْمِي وَعِلْمُكَ بِالنِّسْبَةِ إلى عِلْمِ اللهِ ، كَنِسْبَةِ ما نَقَصَ هَذَا العُصفورُ من هَذَا البَحْرِ .

قُلْتُ : وَهَذا على التَّقريبِ لِلأَفْهامِ ، وإِلاَّ فَنِسْبَةُ عِلْمِهِما أَقَلُّ وَأَحْقَرُ .

● وَنَوْفٌ[1] ، على وَزْنِ نَوْءٍ : هوَ ابْنُ فَضالَةَ ، يُكنى أَبا زيد البِكاليّ ـ بِكَسْرِ الباءِ وتَخفيفِ الكافِ ، مَنْسوبٌ إِلى بِكالٍ ـ بطنٍ من حِمْيَرٍ ـ وَقِيلَ : من هَمْدان ؛ وَكانَ عالِماً فاضِلاً ، وإماماً لأَهْلِ دِمَشْقَ ، وَقِيلَ : هُوَ ابْنُ امرأَةِ كَعبِ الأَحبار ، وَقيلَ : إِنَّهُ ابْنُ أُخْتِهِ .

وَقَوْلُ ابنِ عبَّاسٍ : عَدُوّ اللهِ ، تَغليظٌ وإِنكارٌ عليْه لِتِلْكَ المَقالَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الخَضِرِ في « بابِ الحَاءِ المُهملةِ » في « الحُوتِ » .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ .

● قَالَ عبدُ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما[2] : إِنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَا مِنْ إِنْسانٍ يَقتلُ عُصفورةً فَما فَوْقَها بغَيْرِ حَقِّها ، إِلاَّ سَأَلَهُ اللهُ عنها » . قِيلَ : يَا رَسولَ اللهِ ، وَما حَقُّها ؟ قالَ : « أَنْ يَذْبَحَها فَيَأْكُلَها ، وَأَنْ لا يَقْطَعَ رَأْسَها فَيَرْمِي بِهِ » . رَواهُ « النَّسائيُّ » .

● وَروى « الحاكِمُ »[3] عن خالد بن مَعْدان ، عن أَبي عُبيدة بن الجَرَّاح ، قالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ مِثْلُ العُصْفُورِ ، يُقَلَّبُ في اليَوْمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ » .

● وَمِنْ أَحْكامِ العَصَافِيْرِ : أَنَّها على اخْتِلافِ أَنْواعِها جِنْسٌ واحِدٌ في باب الرُّؤْيا ، وَالبُطُوطُ جِنْسٌ ، وَالكُرْكِيُّ جِنْسٌ ، وَالحُبارَى جِنْسٌ ، والإِوَزُّ

---

(١) هذه الفقرة من أ . وترجمة نوف البِكاليّ ، في : طبقات ابن سعد ٩/ ٤٥٥ وحلية الأَولياء ٦/ ٤٨ وتهذيب الكمال ٣٠/ ٦٥ وتهذيب التَّهذيب ١٠/ ٤٩٠ .

(٢) النَّسائيّ (٤٤٤٥) و (٤٣٤٩) والحيوان ٥/ ٢٢٦ ومسند أَحمد ٣/ ١٦٦ و ١٩٧ و ٢١٠ و ٤/ ٣٨٩ .

(٣) المستدرك ٤/ ٣٠٧ .

جِنْسٌ ، وَالدَّجاجُ جِنْسٌ ، وَالحَمامُ جِنْسٌ ، وَتَقَدَّمَ في بابِهِ .

وَمِن أَحْكامِها : أَنَّهُ لا يَجُوزُ عِتْقُها على الأَصَحِّ ؛ وَقيلَ : يَجُوزُ ؛ لِمَا رَوى الحافِظُ أَبو نُعيمٍ[1] ، عن أَبي الدَّرداءِ : أَنَّهُ كان يَشْتَرِي العَصافِيْرَ من الصِّبْيَانِ وَيُرْسِلُها .

● قالَ ابْنُ الصَّلاحِ : والخِلافُ فِيما يُمْلَكُ بالاصْطِيادِ ؛ أَمَّا البَهائِمُ الإِنْسِيَّةُ ، فإِنَّ إِعْتاقَها من قَبيلِ سَوائِبِ الجاهِلِيَّةِ ، وَذلكَ باطِلٌ قَطْعاً .

● وَقالَ الشَّيْخُ أَبو إِسْحاقَ الشِّيرازيُّ في كِتابِ « عُيُونِ المسائِلِ » : إِنَّ ذَرَقَ العصافِيرِ غيرُ مَعْفُوٍ عنهُ ؛ والمشهُورُ أَنَّ فِيهِ الخِلافُ الذي في بَوْلِ ما يُؤْكَلُ لَحْمُهُ .

الأَمْثالُ : قالُوا : « أَخَفُّ حِلْماً من عُصْفُورٍ »[2] . وقالَ حسَّان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[3] : [من البسيط]

لا بَأْسَ بِالقَوْمِ من طُوْلٍ وَمِنْ عِظَمٍ ... جُسُمُ البِغالِ وأَحْلامُ العَصافِيرِ

وَقالَ قَعْنَب[4] : [من البسيط]

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طارُوا بها فَرَحاً ... مِنِّي وَمَا سَمِعُوا من صالِحٍ دَفَنُوا
مِثْلُ العَصافِيرِ أَحْلاماً وَمَقْدِرَةً ... لَو يُوزَنُونَ بِرِقِّ الرِّيْشِ ما وَزَنُوا .

---

(١) في تاريخ أصبهان ٢/ ١٦٧ .

(٢) الميدانيّ ١/ ٢٥٤ وحمزة ١/ ١٧١ والعسكريّ ١/ ٤٢٩ والزّمخشري ١/ ١٠٣ .

(٣) ديوانه ١/ ٢١٩ (عرفات) و ١٧٨ (حنفي) و ٢٧٠ (برقوقي) .

(٤) هُو قعنب بن أُمّ صاحب ، والبيتان له في الحماسة بشرح المرزوقيّ ٣/ ١٤٥٠ وعيون الأخبار ٣/ ٨٤ وبهجة المجالس ١/ ٧٢٣ وسمط اللآلي ١/ ٣٦٢ ومختارات ابن الشّجريّ ٧ . ونُسِبا إلى قيس بن عاصم المنقريّ في الأَشباه والنَّظائر للخالديَّين ١/ ١١٩ . وبلا نسبة في التَّذكرة الحمدونيّة ٥/ ١١٧ والمستطرف ١/ ٢٨١ .

وَقالُوا : « صاحَتْ عَصافِيرُ بَطْنِه »[1] إذا جاعَ .

قالَ الأَصمعيُّ : العَصافيرُ هنا : الأَمْعاءُ .

قَالَ الجَوهريُّ : والمَصيرُ : المِعى ، وهو فَعيلٌ ، وَالجَمْعُ : المُصْرانُ ، مثلُ رَغيفٍ وَرُغْفانٍ ، ثمَّ المَصارِينُ جَمْعُ الجَمْعِ .

وَنَقَلَهُ في « المحكم » عن سيبويه : سُمِّيَتْ مَصارِينَ لِصَيْرُورَةِ الطَّعامِ فِيها .

وقالوا : « أَسْفَدُ من عُصْفُورٍ »[2] .

الخَواصُّ[3] : لَحْمُ العَصافِيرِ حارٌّ يابِسٌ ، أَصْلَبُ من لَحْمِ الدَّجاجِ ، وأَجْوَدُها الشّتويَّةُ السِّمانُ ، وَأَكْلُها يَزيدُ في المَنِيِّ والباهِ ، لكنَّهُ يَضُرُّ أَصْحابَ الرُّطُوباتِ الأَصلِيَّةِ ؛ وَيَدْفَعُ ضَرَرَها دُهْنُ اللَّوْزِ ، وَهِيَ تُوَلِّدُ خَلْطاً صَفراويّاً يُوافِقُ من الأَسْنانِ الشُّيوخَ ، وَمِنَ الأَمْزِجَةِ البارِدَةَ ، وَمِنَ الأَزْمانِ الشِّتاءَ .

قالَ المُخْتارُ بن عَبْدُونَ : يُكْرَهُ أَكْلُ لَحْمِ العَصافِيرِ ، لأَنَّ اليَسِيرَ من عِظامِها إذا سَبَقَ في أَكْلِ شَيْءٍ منها ، أَحْدَثَ شحجاً[4] في المريء والمَعي .

وإذا اتُّخِذَ من فِراخِها عجَّةً بِالبَيْضِ وَالبَصَلِ ، زَادَتْ في الباهِ .

وَأَمْراقُها تحلُّ الطَّبْعَ ، وَلُحُومُها تَعْقِلُهُ ، ولا سِيَّمَا إذا كانَتْ مَهْزولَةً هُزالاً فاضِحاً ؛ وأَفْضلُ العصافيرِ ما سُمِّنَ في البُيُوتِ .

وَقالَ غَيْرُهُ : إذا أُخِذَ دِماغُ العُصفُورِ ، وَأُضيفَ إِلَيْهِ مَاءُ السُّذابِ ، وَشَيْءٌ

---

(١) الميدانيّ ١/ ٤٠٢ والفاخر ١٣٠ .

(٢) الميدانيّ ١/ ٣٥٦ والزَّمخشريّ ١/ ١٦٩ وثمار القلوب ٢/ ٧١٤ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٣ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٢٥ وتذكرة داود ١/ ٢٣٧ .

(٤) عند ابن البيطار : خدوشاً . والمعنى مقارب .

من عَسَلٍ ، وَشُرِبَ على الرِّيقِ ، فإِنَّهُ نافِعٌ لأَوْجاعِ البَواسِيرِ .

وإذا خُلِطَ ذَرَقُ العصافِيرِ بِلُعابِ الإنسانِ ، وَطُلِيَ بِهِ عَلَى الثَّآليلِ ، قَلَعَها . مُجَرَّبٌ .

وإذا أُخِذَ عُصفُورٌ ، وَذُوِّبَ دِماغُهُ بِشَيْرَجٍ ، وَسُقِيَ لِمَنْ يُحِبُّ شُرْبَ النَّبيذِ ، فإِنَّهُ يُبغضُهُ . وهو عَجيبٌ مُجَرَّبٌ .

وإذا أُكِلَ عُصْفُورُ الشَّوْكِ مَشْوِيّاً وَمَمْلُوحاً ، فَتَّتَ الحَصَى التي في المَثانَةِ والكُلى .

وَقالَ مَهراريس : إذا ذُبِحَ العُصفُورُ ، وَقُطِّرَ دَمُهُ على دَقيقِ العَدَسِ ، وَجُعِلَ بَنادِقَ ، وَجُفِّفَ ، فإِنَّهُ يُهَيِّجُ الباهَ ؛ وإذا أُخِذَتْ منهُ بُنْدُقَةٌ ، وَخُلِطَتْ بِزَيتٍ ، وَطُلِيَ بِها الإِحليلُ ـ وَلا يَطَأُ عَلَى الأَرْضِ ـ فإِنَّهُ يَطَأُ ما شاءَ .

● **فائِدَةٌ** : قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ رحمه اللهُ تَعالى : أَربعةُ أَشياءَ تَزيدُ في الجِماعِ : أَكْلُ العَصافيرِ ، وَأَكْلُ الإِطْريفل الأَكبر ، وَأَكْلُ الفُسْتُقِ ، وَأَكْلُ الجَوْزِ(١) .

وَأَربعةُ أَشياءَ تَزيدُ في العَقْلِ : تَرْكُ الفُضُولِ من الكَلامِ ، وَاسْتِعْمالُ السِّواكِ ، وَمُجالَسَةُ الصَّالِحِينَ ، وَالعَمَلُ بِالعِلْمِ .

وَأَربعةُ أَشياءَ تُقَوِّي البَدَنَ : أَكْلُ اللَّحْمِ ، وَشَمُّ الطِّيبِ ، وَكَثرَةُ الغُسْلِ من غيرِ جِماعٍ ، ولُبْسُ الكَتَّانِ .

وَأَربعةُ أَشياءَ تُوهِنُ البَدَنَ وَتُسْقِمُهُ : كَثْرَةُ الجِماعِ ، وَكَثْرَةُ الهَمِّ ، وَكثرةُ شُربِ الماءِ على الرِّيقِ ، وَكثرةُ أَكْلِ الحُمُوضَةِ .

● **فائِدةٌ أُخرى** : مَن أَكْثَرَ من الجِماعِ ، وَجَعَلَهُ دَأْبَهُ : أَوْرَثَهُ حَكَّةً في

---

(١) في ب : وأكل الجرجير .

بَدَنِه ، وَضَعْفاً في قُوَّتِهِ وبَصَرِهِ ، وَعَدِمَ لَذَّةِ المُجامَعَةِ ، وَشَابَ عاجِلاً .

وَمَنْ دافَعَ البَوْلَ والغائِطَ وَلَمْ يَقُمْ إِذا دَعَياهُ : ضَعُفَتْ مَثانَتُهُ ، وَغَلُظَ جِلْدُهُ ، وَأَوْرَثَهُ حَرْقَ البَوْلِ ، والرَّمْلَ ، وَالحَصَا ، وَضَعْفَ البَصَرِ . وَمَنْ أَكْثَرَ من حَكِّ رِجْلَيْهِ بِالنُّخالَةِ والمِلْحِ : أَحَدَّ بَصَرَهُ ، وَعُوفيَ من ضَعْفِهِ .

وَمَنْ بَصَقَ في بَوْلِهِ ، وَأَدْمَنَ على ذَلِكَ : أَمِنَ وَجَعَ الصُّلْبِ . قالَهُ القَزْوينيُّ نَقْلاً عن أَبقراط وغيره ، وَذَكَرَ أَنَّهُ امْتَحَنَهُ وجَرَّبَهُ .

التَّعبيرُ : العُصفُورُ في المَنامِ[1] : رَجلٌ قاصٌّ ، صاحِبُ لَهْوٍ وَحِكاياتٍ ، يُضْحِكُ النَّاسَ .

وقيلَ : إِنَّهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ ؛ فَمَنْ رَأى أَنَّهُ ذَبَحَ عُصْفُوراً ، وَلَهُ وَلَدٌ مَريضٌ ، خُشِيَ عليْهِ من المَوتِ .

وَرُبَّما دَلَّ على رَجُلٍ شيخ ضَخْمٍ ، كَثيرِ المالِ ، يَحتالُ في الأُمُورِ ، كامِلٍ في رِياسَتِهِ ، مُدَبِّرٍ .

وَرُبَّما دَلَّ عَلى امْرأَةٍ حَسْنَاءَ شَفيقَةٍ .

وَأَصْواتُ العَصافِيرِ : كَلامٌ حَسَنٌ ، أَوْ دِراسَةٌ في العِلْمِ .

وَالعَصافِيرُ الكَثِيرَةُ : أَموالٌ لِمَنْ حَواها في المَنامِ ؛ وَتُعَبَّرُ العَصافِيرُ بِالأَوْلادِ والصِّبْيَانِ .

● وَمِنَ الرُّؤْيَا المُعَبَّرَةِ[2] : أَنَّ رَجُلاً أَتى ابْنَ سِيرينَ ، فقالَ لهُ : رأَيْتُ كَأَنِّي آخُذُ العصافيرَ ، فَأَدُقُّ أَجْنِحَتَها ، وَأَجْعَلُها في حِجْرِي . فقالَ ابْنُ سِيرينَ : أَمُعَلِّمُ كُتَّابٍ أَنْتَ ؟ قالَ : نعم . فقالَ : اتَّقِ اللهَ في أَوْلادِ المُسلمين .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٣ وتفسير الواعظ ٢٩٩ .

(٢) تفسير الواعظ ٣٠٠ .

● وَأَتاهُ رجلٌ فقالَ : رأَيْتُ كَأَنَّ في يَدِي عُصفُوراً ، وَقَدْ هَمَمْتُ بذَبْحِه . فقالَ : لا يَحِلُ لَكَ أَنْ تَأْكُلَني . فقَالَ لهُ ابنُ سِيرينَ : أَنتَ رَجُلٌ تَتَناوَلُ الصَّدَقَةَ ، وَلَسْتَ مُسْتَحِقَّها . فقالَ لَهُ الرَّجلُ : تقولُ لِي ذَلِكَ ؟ فقالَ : نَعم ، وَلو شِئْتَ قلتُ لَكَ كَمْ دِرْهَماً هِيَ ؟ فقالَ : كَمْ هِيَ ؟ قالَ ابنُ سِيرينَ : سِتَّةُ دِراهِمَ . فقالَ الرَّجُلُ : هَا هِيَ في كَفِّي ، وَأَنا تائِبٌ ، لا أَعُودُ إِلى تَناوُلِ الصَّدَقَةِ . فقيلَ لَهُ : من أَيْنَ أَخَذْتَ ذلكَ ؟ فقالَ : العُصفُورُ يَنْطِقُ في الرُّؤْيا بالحَقِّ ، وَهُوَ سِتَّةُ أَعضاء ، فَبِقَوْلِهِ : لا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْكُلَني ، عَلِمْتُ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَتَناوَلُ ما لا يَسْتَحِقُّ .

● وَمِنَ الرُّؤْيَا المُعَبَّرة أَيْضاً عن جَعفر الصَّادِقِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ أَتاهُ رجلٌ فقالَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ في يَدي عُصفُوراً . فقالَ لَهُ جعفر : تَنالُ عَشْرَةَ دَنانيرَ ؛ فَمَرَّ الرَّجُلُ ، فَوَقَعَ في يَدِهِ تِسْعَةُ دَنانِيْرَ ، فَأَتى إِلى جَعفر وَأَخْبَرَهُ بذَلِكَ ، فقالَ : اقصُصْ عليَّ الرُّؤْيَا ثانياً ، فقالَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ بيَدِي عُصْفُوراً ، وَأَنا أُقَلِّبُهُ فَلَمْ أَرَ لَهُ ذَنَباً . فقالَ له جعفر : لو كان لَهُ ذَنَبٌ لكانَتِ الدَّنانيرُ عَشرةً . وَاللهُ أَعلمُ .

٦٤٠ العَضَلُ : بِضَمِّ العَيْنِ[١] ، وَفَتْحِ الضَّادِ المُعجمَةِ : الجُرَذُ ؛ والجَمْعُ : العِضْلانُ .

وَقَدْ تقدَّمَ ذِكْرُ « الجُرَذِ » في « بابِ الجِيمِ » .

٦٤١ العِرفُوطُ : بِكَسْرِ العَيْنِ : دُوَيْبَّةٌ لا خَيْرَ فيها ؛ تَذكرُ العَرَبُ أَنَّها لا تَبُولُ إِلاَّ شَغَرَتْ بِبَوْلِها إِلى صَوْبِ القِبْلَةِ ؛ وَالحَيَّاتُ تَأْكُلُها[٢] .

---

(١) بل هُو بفتح العين ، كما في الصِّحاح والقاموس واللِّسان والتَّاج « عضل » . وفي القامُوس : وسياق كلام الجوهريّ يقتضي أَنَّه بضمِّ العين ، وليس كذلِكَ ، وإِنَّما هُوَ بالتَّحريك فقط ، جمعه عِضْلان .

(٢) لَم أَقف عَلَى هَذِهِ المادَّة في معاجم اللُّغة .

٦٤٢ العُرَيْقِطَةُ : دُوَيْبَّةٌ عَريضَةٌ ، وَهِيَ العُرَيْقِطانُ . قالَهُ الجوهريُّ(١) .

٦٤٣ العَضْمَجَةُ : الثَّعْلَبَةُ(٢) .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الثَّعْلَبِ وما فِيهِ في « بابِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ » في أَوَّلِ الكِتابِ .

٦٤٤ العَضْرَفُوطُ : العَظَاءَةُ الذَّكَرُ ، وَتَصْغيرُهُ : عُضَيْرِفٌ وَعُضَيْرِيفٌ . قالَهُ الجَوهريُّ(٣) .

● فائِدَةٌ : قالَ ابْنُ عَطِيَّةَ في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] : رُوِيَ أَنَّ الغُرابَ كان يَنقلُ الحَطَبَ إِلى نارِ إِبراهيم ، وَأَنَّ الوَزَغَةَ كانَتْ تَنفخُ النَّارَ عَلَيْهِ لِتَضرمَ ، وَكَذَلِكَ البَغْلُ .

ورُويَ أَنَّ الخُطَّافَ وَالضِّفْدَعَ والعَضْرَفُوطَ كُنَّ يَنْقُلْنَ المَاءَ لِيُطْفئنَ النَّارَ ، فَأَبْقَى اللهُ عَلَى هَذِهِ وِقايَةً ، وَسَلَّطَ على تِلْكَ النَّوائِبَ والأَذَى . ا هـ ! ! .

● وَقَدْ أَفادَني بعضُ الأَشياخِ : انْ يُكْتَبَ لِسائِرِ الحُمَّياتِ ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾ [الأنبياء : ٦٩] سَلاماً سَلاماً ، على ثَلاثِ وَرَقاتٍ ، وَيَشربُ المَحمُومُ كُلَّ يَوْمٍ وَرَقَةً مِنْها على الرِّيْقِ ، أَوْ عِنْدَ ما تَأْخُذُهُ الحُمَّى ، فإِنَّها تَذهبُ بإِذْنِ اللهِ تَعالى . وهو عَجيبٌ مُجَرَّبٌ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى قَريباً أَنَّ العَظاءَةَ هِيَ السُّحْلِيَّةُ ، وَهيَ مُبارَكَةٌ .

٦٤٥ عَطَّار : قالَ القَزوينيُّ في « الأَشْكالِ »(٤) : إِنَّهُ صِنْفٌ من الدَّوابِّ الصَّدَفِيَّةِ ، يُوجَدُ بِبِلادِ الهِنْدِ في المِياهِ القائِمَةِ ، وَيُوجَدُ أَيضاً بأَرض بابل ؛ وَهُو

---

(١) الصِّحاح « عرقط » ٣/ ١١٤٢ .

(٢) القاموس « عضمج » ١/ ٢٠٧ .

(٣) الصِّحاح « عضرفط » ٣/ ١١٤٣ .

(٤) عجائب المخلوقات ١٠٣ . وفيه : قطا ! .

من أَعجبِ الحَيَواناتِ ، لَهُ بَيْتٌ صَدَفِيٌّ يَخرجُ منهُ ، ولَهُ رَأْسٌ وأُذُنانِ وَعَيْنانِ وَفَمٌ ، فإِذا دَخَلَ في بَيْتِهِ يَحْسِبُهُ الإِنْسانُ صَدَفَةً ، فإِذا خَرَجَ منهُ يَنْسابُ في الأَرْضِ وَيُجَرُّ بَيْتَهُ معهُ ؛ فإِذا جَفَّتِ الأَرْضُ في الصَّيْفِ يَجْتَمِعُ ، ورائِحَتُهُ عَطِرَةٌ .

وَمِنْ خَواصِّهِ : أَنَّهُ إِذا بُخِّرَ بِهِ يَنْفَعُ من الصَّرَعِ ، وإِذا أُحْرِقَ فَرَمادُهُ يَجْلُو الأَسْنانَ ، فإِذا وُضِعَ على حُرَقِ النَّارِ ، وَتُرِكَ حَتَّى يَجِفَّ ، نَفَعَهُ نَفْعاً بَيِّناً .

٦٤٦ **العَطاطُ** : بالفَتْحِ : الأَسَدُ ؛ وَقالَ صاحِبُ « الكامِلِ »[١] في تَفسيرِ خُطْبَةِ الحجّاجِ لأَهْلِ الكُوفَةِ : العُطاطُ ـ بِضَمِّ العَيْنِ ، وَقِيلَ : بِفَتْحِها ـ ضَرْبٌ من الطَّيْرِ ، مَعروفٌ .

٦٤٧ **العِظْرِبُ** : بِالكَسْرِ : الأَفعى الكَبيرَةُ[٢] ؛ وَقد تقدَّمَ لفظُ « الأَفعى » في « بابِ الهمزة » .

٦٤٨ **العَظَاءَةُ** : بالظَّاءِ المُعجمةِ المَفتوحةِ ، والمَدِّ : دُوَيْبَّةٌ أَكبرُ من الوَزَغَةِ ؛ وَيُقالُ في الواحِدَةِ : عَظايَةٌ أَيضاً[٣] ؛ وَالجَمْعُ : عَظاءٌ وَعَظايا ؛ قالَ عبدُ الرَّحْمَنِ بن عَوفٍ[٤] : [من الوافر]

كَفِعْلِ الهِرِّ يَفْتَرِسُ العَظايا

وَقالَ الأَزهريُّ : هي دُوَيْبَّةٌ مَلْساءُ تَعْدُو وَتَتَرَدَّدُ كَثيراً ، تُشْبِهُ سامَّ أَبْرَصَ ،

---

(١) لم يرد في الكامل كلّه لفظ « العطاط » ! .

(٢) المادّة ساقطة من أ ، ب : وهي في ط : العطرف [بالطَّاءِ المُهْمَلَة ، والفاء] ! والصَّواب هُو المثبت أَعلاه . والعِظْرِبُ : الأفعي الصَّغيرة ـ لا الكبيرة ـ كما في القاموس والتَّاج « عظرب » والتّكملة ١/ ٢١٥ .

(٣) عن الصِّحاح « عظا » ٦/ ٢٤٣١ .

(٤) الشَّطر في النِّهاية ٣/ ٢٦٠ واللِّسان « عظى » ٤/ ٣٠٠٦ . وروايتُهُ في ب : . . . يلتمس العظايا . وفي ط : كمثل الهرّ يلتمس العظايا . والمثبت من أ والمصادر .

إلاَّ أَنَّها أَحسنُ منهُ ، ولا تُؤْذِي ، وَتُسَمَّى شَحْمَةَ الأَرْضِ ، وَشَحْمَةَ الرَّمْلِ .

وَهِيَ أَنواعٌ كثيرةٌ : منها الأَبيضُ والأحمرُ والأَصفرُ والأَخضرُ ، وَكُلُّها مُنَقَّطَةٌ بالسَّوادِ ؛ وَهَذِهِ الأَلْوانُ بِحَسَبِ مَساكِنِها ، فإِنَّ منها ما يَسكنُ الرِّمالَ ، ومنها ما يَسكنُ قَريباً من المَاءِ والعُشْبِ ، وَمنها ما يَأْلَفُ النَّاسَ .

وَتَبْقَى في جُحْرِها أَرْبَعةَ أَشْهُرٍ لا تَطْعَمُ شَيْئاً .

وَمِنْ طَبْعِها مَحَبَّةُ الشَّمْسِ لِتُصَلِّبَ فيها .

● وَمِنْ خُرافاتِ العَرَبِ : قالُوا : إِنَّ السُّمُومَ لَمَّا فُرِّقَتْ على الحَيَواناتِ ، احْتُبِسَتِ العَظَاءَةُ عندَ التَّفْرِقَةِ حتَّى نَفِدَ السُّمُّ ، وَأَخَذَ كُلُّ حيوانٍ قِسْطَهُ منهُ ، على قَدْرِ السَّبْقِ إِلَيْهِ ، فلمْ يَكُنْ لَها فِيهِ نَصيبٌ .

وَمِنْ طَبْعِها : أَنَّها تَمْشِي مَشْياً سَريعاً ثُمَّ تَقِفُ ؛ وَيُقالُ : إِنَّ ذَلِكَ لِما يَعْرِضُ لَها من التَّذَكُّرِ والأَسَفِ على ما فَاتَها من السُّمِّ ؛ وَهَذِهِ تُسَمَّى بِأَرْضِ مِصْر : السُّحْلِيَّة .

[**حُكْمُها**] : وَهِيَ مُحَرَّمَةُ الأَكْلِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُها في « بابِ السِّيْنِ » .

الخَواصُّ : من عَلَّقَ عَلَيْهِ يدها اليُمْنَى وَرِجْلَها اليُسْرَى في خِرْقَةٍ : جامَعَ ما شَاءَ .

وإِنْ عُلِّقَتْ في خِرْقَةٍ سَوْداءَ عَلَى مَن بِهِ حُمَّى الرِّبْعِ المُزْمِنَةُ : أَبْرَأَتْهُ .

وَقَلْبُها إِذا عُلِّقَ عَلَى امْرَأَةٍ : مَنَعَها أَنْ تَلِدَ ما دَامَ عَلَيْها .

وإِنْ طُبِخَتْ بِسَمْنِ البَقَرِ حَتَّى تَتَهَرَّى ، وَمُسِحَ بِهَا المَلْسُوعُ : أَبْرَأَهُ .

وإِنْ جُعِلَتْ في قارُورَةٍ ، وَمُلِئَتْ زَيْتاً ، وَجُعِلَتْ في الشَّمْسِ حَتَّى تَتَهَرَّى : كان ذَلِكَ الزَّيْتُ سُمَّاً قاتِلاً .

[التَّعبيرُ :][1] وَهِيَ في الرُّؤْيا تَدُلُّ عَلى التَّلْبِيسِ ، واخْتِلافِ الأَسْرارِ . وَاللهُ أَعلمُ .

٦٤٩ **الغُفْرُ** : وَلَدُ الأُرْوِيَّةِ[2] .

وفي المَثَلِ : « أَوْقَلُ من غُفْرٍ »[3] .

وَالعِفْرُ ـ بالكَسْرِ : الخِنْزِيرُ الذَّكَرُ .

وَالعِفْرُ : الرَّجُلُ الخَبيثُ الدَّاهِي ، والمَرْأَةُ عِفْرَةٌ . يُقالُ عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ ، كَمَا يُقالُ : عِفْرِيْتٌ نِفْرِيتٌ[4] .

٦٥٠ **العِفْرِيتُ** : القَوِيُّ المارِدُ من الشَّياطِيْنِ ، وَالتَّاءُ فِيهِ زائِدَةٌ .

قَالَ تَعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ ﴾ [النَّمل : ٣٩] قَرَأَ أَبُو رَجاء العطارديّ وعِيسَى الثَّقفيّ : عِفْرِيَةٌ ؛ وَرُوِيَتْ عن أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ . وَقَرَأَتْ فِرْقَةٌ : عِفْرٌ ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ لُغاتٌ .

وَقَالَ وَهْبٌ : اسْمُ هَذَا العِفْرِيتِ : كوذان ، وقيلَ : ذَكوان ؛ وقالَ ابْنُ عبَّاس : وَهُوَ صَخْرٌ الجِنِّيُّ .

● واخْتَلَفُوا في غَرَضِ سُليمانَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في اسْتِدْعَاءِ عَرْشِ بِلقيسَ ؛ فقالَ قَتادةُ وغيرُهُ : لأَنَّهُ أَعْجَبَهُ وَصْفُهُ لَمَّا وَصَفَهُ الهُدْهُدُ بِالعِظَمِ ،

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٦ وتفسير الواعظ ٣١٢ .

(٢) في الأُصول : العفر [بالعين المهملة] : ولد الأُرويَّة ! . وهو وهمٌ من المؤلِّف رحمه الله ، صوابه بالغين المعجمة . وعليه فإنَّ هذه المادَّة ليست في مكانها الصَّحيح ، وستأتي على الصَّواب في باب الغين المعجمة .

(٣) في الأُصول : . . . من عفر ! ! . والمثل في : الميداني ٢/ ٣٨١ وحمزة٢/ ٤٢٦ والعسكري ٢/ ٣٥٠ والزَّمخشريّ ١/ ٤٣٩ .

(٤) عن الصِّحاح « عفر » ٢/ ٧٥٢ .

فَأَرادَ أَخْذَهُ قبلَ أَنْ يَعْصِمَها وَقَوْمَها الإِسلامُ .

وَقَالَ الأَكثرونَ : إِنَّ سُلَيْمانَ عَلِمَ أَنَّها إِنْ أَسْلَمَتْ يحرمُ عليْهِ مالُها ، فَأَرادَ أَنْ يَأْخُذَ عَرْشَها قبلَ أَنْ يحرمَ أَخْذُهُ بإِسلامِها .

وَقالَ ابْنُ زَيْدٍ : اسْتَدْعاهُ لِيُرِيَها القُدْرَةَ التي هِيَ من عندِ اللهِ ، وعِظَمِ سُلْطانِهِ في مُعجزةٍ يَأْتي بِها في عَرْشِها .

● رُوِيَ أَنَّ عَرْشَها كان من فِضَّةٍ وَذَهَبٍ ، مُرَصَّعاً بالياقُوتِ والجَوْهَرِ ، وَأَنَّهُ كان في جَوْفِ سَبْعَةِ أَبْياتٍ ، عَلَيْهِ سبعةُ أَغْلاقٍ .

وَفِي « الكَشف والبيان » للثَّعلبيِّ : أَنَّ عَرْشَها كان سَريراً ضَخْماً حَسَناً ، وَكَانَ مُقَدَّمُهُ من ذَهَبٍ ، مُنَضَّداً باليَاقُوتِ الأَحْمَرِ والزُّمُرُّدِ الأَخْضَرِ ، وَمُؤَخَّرُهُ من فِضَّةٍ ، مُكَلَّلاً بأَنْواعِ الجَواهِرِ ؛ وَلَهُ أَرْبَعُ قَوائِمَ ، قائمةٌ من ياقُوتٍ أَحمرَ ، وقائمةٌ من ياقوتٍ أَصفرَ ، وقائمةٌ من زَبَرْجَدٍ أَخضر ، وقائمةٌ من دُرٍّ أَبيضَ ؛ وَصَفائحُ السَّريرِ من ذَهَبٍ .

وكانَتْ قد أَمَرَتْ بِهِ فَجُعِلَ في آخِرِ سبعة أَبْياتٍ بعضُها في بعضٍ ، في آخِرِ قصرٍ من قُصُورِها ، على كُلِّ بيتٍ بابٌ مُغلقٌ .

● قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : كان عرشُ بِلقيسَ ثَلاثينَ ذِراعاً في ثَلاثينَ ذِراعاً ، وارْتِفاعُهُ في الهَواءِ ثَلاثِينَ ذِراعاً .

وَقَالَ مُقاتلٌ : كان ثَمانِينَ ؛ وَقِيلَ : كان طُولُهُ ثَمانينَ ذِراعاً ، وَعَرْضُهُ أَربعينَ ذِراعاً ، وارْتِفاعُهُ ثَلاثينَ ذِراعاً .

● قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما[1] : كان سُلَيْمانُ عليهِ السَّلامُ

---

(١) تاريخ الطَّبريّ ١/ ٤٩١ وما بعد . وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٣ وما بعد والبداية والنِّهاية ٢/ ٣٣٤ وما بعد .

مَهيباً ، لا يُبْدَأُ بشَيْءٍ حتَّى يَكُونَ هُوَ الذِي يَسْأَلُ عنهُ ، فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ رَهَجاً قَريباً منهُ ، فقالَ : ما هَذَا ؟ قالُوا : هَذَا عَرْشُ بلقيسَ ، فقالَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ وَكانَ سُلَيْمانُ يَجلِسُ في مَجْلِسِ الحُكْمِ من الصَّباحِ إِلى الظُّهْرِ ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ أَي : على الإِتْيانِ بهِ ﴿لَقَوِىٌّ﴾ على حَمْلِهِ ﴿أَمِينٌ﴾ لا أَخْتَلِسُ مِنْهُ شَيْئاً ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قالَ البَغَويُّ وغَيْرُهُ : وَالأَكْثَرُونَ على أَنَّهُ آصِفُ ابن بَرْخيا ، وَكَانَ صِدِّيقاً يَعْلَمُ اسْمَ اللهِ الأَعْظَمِ ، الذي إذا دُعِيَ بهِ أَجابَ ، وإِذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النَّمل : ٣٨ ـ ٤٠] .

قَالَ سعيدُ بن جُبَيْرٍ : يَعني : من قَبْلِ أَنْ يَرجعَ إِلَيْكَ أَقْصَى من تَراهُ ، وَمَعناهُ : قبلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ من كان مِنْكَ على مَدِّ بَصَرِكَ .

وَقالَ قَتادةُ : قبلَ أَنْ يَأْتِيَكَ الشَّخْصُ من مَدِّ البَصَرِ .

وَقَالَ مُجاهِد : يَعْنِي إِدامَةَ النَّظَرِ حتَّى يَرْتَدَّ الطَّرْفُ خاسِئاً .

وَقالَ وَهْبٌ : تَمُدُّ عَيْنَيْكَ ، فَلا يَنْتَهِي طَرْفُكَ إِلى مَداهُ حَتَّى أُمَثِّلَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ .

وَقيلَ : إِنَّ الذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ من الكِتابِ اسْمُهُ : أَسْطُوم : وَقيلَ : هُوَ جِبْرِيلُ ، وَقيلَ : هُو سُلَيْمانُ نَفْسُهُ[1] .

قَالَ له عالِمٌ من بَني إِسرائِيلَ ـ قيلَ : اسْمُهُ أَسْطُوم ، آتاهُ اللهُ مَعرفَةً وَفَهْماً ـ : ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ . قالَ سُليمانُ : هاتِ . قالَ : أَنْتَ النَّبيُّ وابْنُ النَّبيِّ ، وَليسَ أَحَدٌ أَوْجَهَ عندَ اللهِ منكَ ، فإِنْ دَعَوْتَ اللهَ ، وَطَلَبْتَ منهُ كان عِنْدَكَ . قالَ : صَدَقْتَ .

---

(١) وقيل غير ذلك . ترويح أولي الدَّماثة ٢/ ٧٢ .

والعِلْمُ الذي أُوتِيَهُ : قيلَ : هُوَ الاسْمُ الأَعْظَمُ ؛ وَفي الكَلامِ حَذْفٌ ، تَقْدِيرُهُ : فَدَعا باسْمِ اللهِ الأعْظَمِ ، وَهُوَ : يا حَيُّ يا قَيُّومُ . وقيلَ : يا إِلهَنا وإِله كُلِّ شَيْءٍ ، إِلهاً واحِداً ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ . وَقيلَ : يا ذا الجَلالِ والإِكرامِ .

● **قيلَ** : شُقَّتِ الأَرْضُ بِالعَرْشِ ، فغارَ فِي الأَرْضِ حتَّى نَبَعَ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمانَ . قالَهُ الكَلبيُّ .

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : فبعثَ اللهُ الملائِكَةَ ، فَحَمَلُوا السَّريرَ من تَحْتِ الأَرْضِ ، يَخُدُّونَ الأَرْضَ خَدّاً ، حَتَّى انْخَرَقَتِ الأَرْضُ بِالسَّرِيْرِ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمانَ .

وَقيلَ : جِيْءَ بِهِ في الهَواءِ .

وَكَانَ بَيْنَ سُلَيْمانَ والعَرْشِ مَسيرةُ شَهرينِ للمُجِدِّ ؛ فلمَّا رآهُ مُسْتَقِرّاً عندَهُ ، جعلَ يَشكُرُ نِعْمَةَ اللهِ تَعالَى بعِبارَةٍ فِيهَا تَعليمٌ للنَّاسِ وعُرْضَةٌ للاقْتِبَاسِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ﴿ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ أَرادَ بِالتَّنْكِيرِ تَجْرِبَةَ تَمييزِها وَنَظَرِها ، وَلِيَزِيْدَ في الإِغْرابِ عَلَيْها .

● وَرَوَتْ فِرْقَةٌ : أَنَّ الجِنَّ لَمَّا أَحَسَّتْ من سُليمانَ أَنَّهُ رُبَّما يَتَزَوَّجُ بلقيسَ فَتُفْشِي لَهُ أَخبارَ الجِنِّ ، لأَنَّ أُمَّها كانَتْ جِنِّيَّةً ، وَأَنَّها رُبَّما تَلِدُ وَلَداً ، فَيُنْقَلُ المُلْكُ إِلَيْه ، فلا يَنْفَكُّونَ من تَسْخِيرِ سُليمانَ وَوَلَدِهِ من بَعْدِهِ ، فأَساؤُوا الثَّناءَ عَلَيْها ، وَظَلَمُوها عندَهُ ، لِيُزَهِّدُوه فِيها ، فقالُوا : إِنَّها غَيْرُ عاقِلَةٍ وَلا مُمَيِّزَةٍ ، وَإِنَّ رِجْلَيْهَا كحافِرِ فَرَسٍ ـ وَقِيلَ : كحافِرِ حِمارٍ ـ وإِنَّها شَعْراءُ السَّاقَيْنِ . فَجَرَّبَ عَقْلَها بِتَنكِيرِ العَرْشِ ، وَاخْتَبَرَ أَمْرَ رِجْلَيْها بالصَّرْحِ لِتَكْشِفَ عن ساقَيْها ؛ وَتَنْكِيْرُهُ بأَن يَزيدَ فيه وَيُنْقِصَ منهُ ؛ والقِصَّةُ في ذلكَ مَشهورَةٌ في كُتُبِ التَّفْسيرِ .

وَلَمَّا أَسْلَمَتْ وَأَذْعَنَتْ ، وَأَقَرَّتْ على نَفْسِها بالظُّلْمِ ؛ رُوِيَ أَنَّهُ تَزَوَّجَها ، وَرَدَّها إِلى مُلْكِها بِاليَمَنِ ، وَكانَ يَأْتِيها على الرِّيْحِ في كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، فَوَلَدَتْ لَهُ

غُلاماً ، فَسَمَّاه داود وماتَ في حَياتِهِ .

● وَقيلَ : إِنَّهُ جعَلَ ـ يَعْني لَمَّا زادَ في العَرْشِ ونَقَصَ مِنْهُ ـ مَكانَ الجَوْهَرِ الأَخْضَرِ أَحْمَرَ ، وَمَكانَ الأَحمرِ أَخْضَرَ ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ ﴾ [النَّمل : ٤٢] وقيلَ : عَرَفَتْهُ ، ولكنَّها شَبَّهَتْ عَلَيهِم كَمَا شَبَّهُوا عليهَا . قالَهُ مُقاتِلٌ .

وَقالَ عِكرمةُ : كانَتْ بلقيسُ حَكيمةً ، لَمْ تَقُلْ : نَعم ، خَوْفاً من أَنْ تَكْذِبَ ، وَلَمْ تَقُلْ : لا ، خَوْفاً من التَّنْكِيْتِ عَلَيْها ؛ قالَتْ : ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ ﴾ فعرفَ سُليمانُ كَمالَ عَقْلِها ، حيثُ لم تقرَّ وَلَمْ تُنْكِرْ .

وَقيلَ : إِنَّهُ اشْتَبَهَ عَلَيْها أَمْرُ العَرْشِ ، لأَنَّها لَمَّا أَرادَتِ الشُّخُوصَ إِلى سُلَيْمانَ ، دَعَتْ قَوْمَها وقالَتْ لَهُمْ : واللهِ ما هَذَا مَلِكٌ ، وما لَنا بِه من طاقَةٍ ؛ ثُمَّ أَرْسَلَتْ إِلى سُلَيْمانَ : إِنِّي قادِمَةٌ عَلَيْكَ بِمُلُوكِ قَوْمِي ، حَتَّى أَنْظُرَ ما أَمْرُكَ ، وَمَا الذِي تَدْعُو إِلَيْهِ من دِيْنِكَ ؟ ثُم أَمَرَتْ بعَرْشِها ـ وَكانَ من ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، مُرَصَّعاً بالياقُوتِ والجَوْهَرِ ـ فَجعَلَتْهُ في جَوْفِ سَبْعَةِ أَبْياتٍ ، عليْهِ سَبعةُ أَغلاقٍ ـ كَما تَقَدَّمَ ـ وَوَكَّلَتْ بِهِ حُرَّاساً يَحفظُونَهُ ، ثُمَّ قالَت لِمَنْ خَلَّفَتْهُ على سُلْطانِها : احتَفِظْ بِمَا قِبَلَكَ ، لا يَخلصْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ؛ وَلا تُرِيَنَّهُ أَحَداً حَتَّى آتِيَكَ .

وَشَخَصَتْ إِلى سُلَيْمان باثْنَي عَشَرَ أَلف قَيْلٍ من أَقْيالِ اليَمَنِ ، تَحْتَ كُلِّ قَيْلٍ أُلُوفٌ كَثيرةٌ ؛ فلَمَّا جاءَتْ قِيلَ : ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ ﴾ فاشْتَبَهَ عَلَيْها أَمْرُ العَرْشِ ، فقالَتْ : ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ ﴾ ثُمَّ ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ ﴾ [النَّمل : ٤٤] قيلَ : إِنَّهُ قَصْرٌ من زُجاجٍ كَأَنَّهُ المَاءُ بَياضاً . وَقيلَ : الصَّرْحُ : الصَّحْنُ في الدَّارِ .

وَأَجْرَى تَحْتَهُ المَاءَ ، وأَلْقَى فِيْهِ شيئاً كثيراً من دَوابِّ البَحْرِ كَالسَّمَكِ وَالضَّفادِعِ وَغَيْرِها ، ثُمَّ وُضِعَ سَريرُ سُلَيْمانَ في صَدْرِهِ ، فَكانَ الصَّرْحُ إِذا رآهُ أَحَدٌ ، حَسِبَهُ لُجَّةَ مَاءٍ .

قيلَ : إنَّما بَنى الصَّرْحَ ، لأنَّهُ أرادَ أَنْ يَنظرَ إلى قَدَمَيْها وساقَيْها ، من غَيرِ أَنْ يَسْأَلَها كَشْفَها ، وَقيلَ : أَرادَ أَنْ يَخْتَبِرَ فَهْمَها ، كما فَعَلَتْ هِيَ بالوُصَفاءِ والوَصائِفِ ـ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ في « بابِ الدَّالِ المُهملةِ » في « الدُّودِ » ـ فجَلَسَ سُليمانُ عليهِ السَّلامُ على السَّريرِ ، وَدَعا بلقيسَ ، فَلَمَّا جاءَتْ ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ﴾ وهِي مُعْظَمُ المَاءِ ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ لِتَخُوضَها إلى سُليمانَ ، فَنَظَرَ سُلَيْمانُ فإذا هِيَ أَحسنُ النَّاسِ ساقاً وَقَدَماً ، إلاَّ شَعرَ السَّاقَيْنِ ؛ فلمَّا رأى سُليمانُ ذَلِكَ ، صَرَفَ بَصَرَهُ عنها ، وناداها : ﴿ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [النَّمل : ٤٤] وليسَ بماءٍ ؛ ثم دَعاهَا إلى الإِسلامِ ، وكانت قد رَأَتْ حَالَ العرشِ والصَّرْحِ ، فأَجابَتْ .

وَقيلَ : إنَّها لَمَّا بَلَغَتِ الصَّرْحَ ، وَحَسِبَتْهُ لُجَّةً ، قالَتْ في نَفْسِها : إنَّ سُلَيْمانَ يُريدُ أَنْ يُغَرِّقَنِي ، وَكانَ القَتْلُ أَهْوَنَ عليَّ من هَذَا ؛ فَقَوْلُها : ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾ يعني بذلِكَ الظَّنِّ .

● وقيلَ : إنَّهُ عليهِ السَّلامُ لمَّا أَرادَ أَنْ يتزوَّجَها ، كَرِهَ ما رَأَى من كَثْرَةِ شَعْرِ ساقَيْها ، فسأَلَ الإِنْسَ : ما يُذْهِبُ هَذَا ؟ قالُوا : المَواسِي . قالَتْ : لا تَمَسُّنِي حَديدةٌ قَطُّ ؛ وَكَرِهَ سُلَيْمانُ المَواسِي ، وَقالَ : إنَّها تَقْطَعُ ساقَيْها ، فَسَأَلَ الجِنَّ ، فقالُوا : لا نَدْرِي . فَسأَلَ الشَّياطِينَ ، فقالوا : إنَّا نَحْتالُ لكَ ، حتَّى يَكُونا كالفِضَّةِ البَيْضَاءِ ؛ فاتَّخَذُوا النُّوْرَةَ والحَمَّامَ ، وَمِنْ يَوْمِئِذٍ ظَهَرَتِ النُّورَةُ والحَمَّاماتُ ، وَلَم تكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ ؛ فلمَّا تَزَوَّجَها سُلَيْمانُ أَحَبَّها حُبّاً شَديداً ، وَأَقَرَّها على مُلْكِها ، وَأَمَرَ الجِنَّ فابْتَنَوْا لَها بأَرْضِ اليمنِ ثلاثَةَ حُصُونٍ ، لم يَرَ النَّاسُ مِثْلَها ارْتِفاعاً وَحُسْناً ، وَهي سَيْلَحين وبَيْنون وغُمْدان .

ثمَّ كان سُليمانُ عليهِ السَّلامُ يَزُورُها في كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، ويُقيمُ عندَها ثلاثَةَ أَيَّامٍ ، يَبتكِرُ من الشَّامِ إلى اليَمَنِ ، وَمِنَ اليَمَنِ إلى الشَّامِ على الرِّيحِ ؛ وَوَلَدَتْ لَهُ غُلاماً سَمَّاهُ داود ، فماتَ في حَياتِهِ .

● وَبلقيسُ : هي بنتُ شَراحيل[1] ، من نَسْلِ يَعْرُب بن قَحْطان ؛ وَكانَ أَبوها مَلِكاً عَظيمَ الشَّأْنِ ، قد وَلَدَهُ أَربعونَ مَلِكاً هو آخِرُهم ، وَكانَ مَلِكَ أَرْضِ اليَمَنِ كُلِّها ، وَكانَ يَقولُ لِمُلوكِ الأَطْرافِ : لَيسَ أَحَدٌ منكم كُفؤاً لي ؛ وَأَبى أَن يَتَزَوَّجَ منهم ، وإِنَّهُ تزوَّجَ امرأَةً من الجِنِّ اسْمُها رَيحانة بنت السَّكَن ، فَوَلَدَتْ له بلقيسَ ، وَلَمْ يكنْ لَهُ وَلَدٌ غيرُها ؛ وَقد جَاءَ في الحَديثِ ما يُؤَيِّدُ هَذَا ، وهو قَوْلُهُ[2] : « إِنَّ أَحَدَ أَبَوَيْ بِلقيسَ كان جِنِّيّاً » .

فلمَّا ماتَ أَبوها طَمِعَتْ في المُلْكِ ، وَطَلَبَتْ من قَوْمِها أَن يُبايِعُوها ، فَأَطاعَها قَوْمٌ وَعَصاها آخَرُونَ ، وَمَلَّكُوا عليهم رَجُلاً ، وافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ ، كُلُّ فِرْقَةٍ اسْتَوْلَتْ على طَرَفٍ من أَرْضِ اليَمَنِ ؛ ثم إِنَّ الرَّجُلَ الذي مَلَّكُوهُ أَساءَ السِّيرةَ في أَهلِ مَملكَتِهِ ، حتَّى كان يَمُدُّ يَدَهُ إِلى حُرَمِ رَعِيَّتِهِ وَيَفْجُرُ بِهِنَّ ، فأَرادَ قَوْمُهُ خَلْعَهُ فلمْ يَقْدِرُوا على ذلكَ ؛ فلمَّا رَأَتْ بلقيسُ ذَلكَ ، أَدْرَكَتْها الغَيْرَةُ ، فأَرْسَلَتْ إِليهِ تَعرضُ نَفْسَها عليه ، فأَجابَها وقالَ : ما مَنَعَني أَنْ أَبتَدِئَكِ بالخِطبةِ إِلاَّ اليَأْسُ مِنْكِ ؛ فقالتْ : لا أَرغبُ عنكَ ، وَأَنْتَ كُفْءٌ كَريمٌ ، فاجْمَعْ رِجَالَ قومي واخطُبْني إِليهم ؛ فَجمعَهم ، فَخَطَبَها إِليهم ، فَذَكَرُوا لَها ذلك ، فقالت : قد أَجَبْتُ ؛ فَزَوَّجُوها به ، فلمَّا زُفَّتْ إِليه ، وَدَخَلَتْ عَليهِ ، سَقَتْهُ الخَمْرَ حتَّى سَكِرَ ، وَغُلِبَ على نَفْسِهِ ، ثمَّ حَزَّتْ رَأْسَهُ ، وانْصرفَتْ من اللَّيْلِ إِلى مَنْزِلِها ، وَأَمَرَتْ بِنَصْبِ رأسِهِ على بابِ دارِها .

فلمَّا رَأَى النَّاسُ ذلكَ عَلِمُوا أَنَّ تلكَ المُناكَحَةَ كانَتْ مَكْراً وَخَديعةً منها ، فاجْتَمَعُوا إِليها وَمَلَّكُوها عليهم .

● وَفِي الحديثِ عن أَبي بَكرةَ ، قالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ فارسَ

---

(١) وقيل غير ذلك . تاريخ الطَّبريّ ١/ ٤٩٤ والمعارف ٦٢٨ وترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ٧١ .

(٢) البداية والنِّهاية ٢/ ٣٣١ . وقال ابن كثير : وهذا حديثٌ غريبٌ ، وفي سنده ضعفٌ .

قد مَلَّكُوا عليهم بِنْتَ كِسْرَى ، قالَ : « لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَمْرَهم امْرَأَةً » . رَواهُ « البُخاريُّ »[1] .

● **تَذْنيبٌ** : اعلمْ أَنَّ الحُكماءَ قد ذَكروا أَنَّ للحَمَّامِ والنُّورَةِ مَنافِعَ وَمَضارَّ :

فَمِنْ منافِعِهِ : أَنَّهُ يُوَسِّعُ المَسَامَّ ، وَيَستفرغُ الفُضولَ ، وَيُحَلِّلُ الرِّياحَ ، ويَحبسُ الطَّبيعةَ من هَيْضَةٍ وَرُطُوبَةٍ ، وَيُنَظِّفُ البَدَنَ من الوَسَخِ وَالعَرَقِ ، وَيُذْهِبُ الحَكَّةَ والجَرَبَ والإِعْيَاءَ ، وَيُلينُ الجِلْدَ ، وَيُجِيدُ الهَضْمَ ، وَيُعِدُّ البَدَنَ لاسْتِعدادِ الغذاءِ ، وَيُنَشِّطُ الأَعْضاءَ المُتَشَنِّجَةَ ، وَيُنْضِجُ النَّزْلاتِ والزُّكامَ ، ويَنفعُ من حُمَّياتِ يَوْمٍ والدِّقِّ والرِّبْعِ والبَلْغَمِيَّةِ بعد نُضْجِها ؛ قُلْتُ : إِذا دَبَّرَ ذلكَ طَبيبٌ حاذِقٌ .

وَمِنْ مَضَارِّهِ : تَسهيلُ صَبِّ الفُضولِ إِلى الأَعْضاءِ الضَّعيفَةِ ، وَيُرْخِي البَدَنَ ، وَيُضْعِفُ الحَرارَةَ الغَريزيَّةَ والأَعْضاءَ العَصبيَّةَ ، وَيُضْعِفُ الباهَ .

وَوَقْتُهُ بعدَ الرِّياضَةِ وَقبلَ الغذاءِ ، إِلاَّ لِمُتَخَلْخِلِي الأَبْدانِ ، الكَثيرِي المِرارِ .

وإِيَّاكَ أَنْ تَدخلَ الحَمَّامَ وتخرجَ منه بحَمِّيَّتِكَ . وإِذا أَردتَ الخُروجَ ، فاخْرُجْ إِلى المَشْلَحِ مُتَدَرِّجاً ، وَأَفْرِغْ عليكَ ثَوْباً نَظيفاً مُبَخَّراً ، وَاجْتَنِبِ النِّساءَ يَوْماً وَلَيلةً .

وَتُكْرَهُ المُجامَعَةُ في الحَمَّامِ ، لأَنَّها تُورِثُ الاسْتِسْقَاءَ ، وَأَمْراضاً رَديئَةً .

وَيُكْرَهُ للإِنْسانِ شُرْبُ الماءِ البارِدِ عَقِبَ الطَّعامِ الحارِّ ، وَالحُلْوِ ، والتَّعَبِ ، والمُجامَعَةِ ، وَالحَمَّامِ ، والأَكْلِ ؛ فإِنَّ ذلكَ مُضِرٌّ جِدّاً .

---

(١) البخاريّ ٥/ ١٣٦ و ٨/ ٦٧ والتّرمذيّ (٢٢٦٢) والنّسائيّ (٥٣٨٨) وابن حبّان (٤٥١٦) ومسند أحمد ٥/ ٣٨ و ٤٧ و ٥٠ و ٥١ ومستدرك الحاكم ٣/ ١١٨ و ٤/ ٢٩١ .

وَأَجْوَدُ الحَمَّاماتِ : القَديمَةُ الشَّاهِقَةُ العَذْبَةُ .

وَأَمَّا النُّورَةُ ، فَهِيَ حارَّةٌ يابسَةٌ . قالَ الغَزاليُّ في « الإِحْياءِ »[1] : إِنَّ النُّوْرَةَ بعدَ الحَمَّامِ أَمانٌ من الجُذامِ . وَغَسْلُ الرِّجْلَيْنِ بالماءِ البارِدِ في الصَّيْفِ أَمانٌ من النِّقْرِسِ ، وَبَوْلَةٌ في الحمَّامِ من قِيامٍ في الشِّتاءِ أَنْفَعُ من شَرْبَةِ دَواءٍ . قالَ : وَيُكْرَهُ إِلْصاقُ الظَّهْرِ إِلى حائِطِ الحَمَّامِ . اهـ .

وَمَعْناهُ : أَنْ يَطليَ جَسَدَهُ بِالنُّورَةِ أَوَّلاً ، قبلَ أَنْ يَسكبَ على جَسَدِهِ المَاءَ ، ثمَّ يَستحمَّ بعدَ ذلكَ .

وَيَنبغي أَن يَستعملَ قبلَ النُّورَةِ الخَطْمِيَّ ، لِيَأْمَنَ من حَرْقِها ، ثمَّ يَغتسلُ بالماءِ البارِدِ ، وَيُنَشِّفُ البَدَنَ منهُ .

وَإِنْ أَحَبَّ اسْتِعمالَ النُّورَةِ أَوَّلاً لِيَأْمَنَ من الجُذَامِ كما قالَهُ الغَزاليُّ وغيرُهُ - فَلْيَأْخُذْ على إِصْبَعِهِ شَيْئاً من النُّورَةِ ، وَيَشُمَّها وَيقولُ : صَلَّى اللهُ على سُلَيْمانَ بن داود ، وَيَكتبُ ذَلكَ على فَخِذِهِ الأَيْمَنِ ، فإِنَّهُ يَعْرَقُ قبلَ النُّورَةِ ، فَيَمْسَحُ العَرَقَ وَيَطَّلي ، وَيَكُونُ ذلكَ في البَيتِ الحارِّ لِيَعْرَقَ سَريعاً ؛ وَيَستعملُ بعدَ هَذَا العُصْفُرَ وَبِزْرَ البِطِّيْخِ وَدَقيقَ الأَرُزِّ ، وَيُعجنُ ذلكَ بماءِ الآسِ وَالتُّفَّاحِ ومَاءِ الوَرْدِ ، وَيُسَخَّنُ في إِناءٍ ، وَيُطْلَى بِهِ الجَسَدُ مع العَسَلِ ؛ فإِنَّ ذلكَ يُنَقِّي البَدَنَ ، وَيَنْفِي عنهُ ثَلاثِينَ دَاءً كالجُذَامِ ، والبَرَصِ ، وَالبُهاقِ ، وَالبَثْرِ ، وَالنَّفَّاطاتِ ، وَنَحْوِها .

● قالَ القَزوينيُّ : إِذا طُرِحَ في النُّورَةِ زَرْنَيخٌ وَرَمادُ الكَرْمِ ، وَطُلِيَ بِهِ الجَسَدُ ، ثمَّ غُسِلَ بعدَها بِدَقيقِ الشَّعيرِ والباقِلاَّءِ وَبِزْرِ البِطِّيْخِ مِراراً ، فإِنَّ الشَّعْرَ يَضْعفُ حَتَّى لا يَكادَ أَنْ يَعُودَ .

---

(١) إحياء علوم الدِّين ١/ ١٢٤ .

● وَقَالَ الإِمامُ العَلاَّمَةُ فَخْرُ الدِّيْنِ الرَّازِي ، رَحمةُ اللهِ تعالى عليْه : النُّورَةُ التي قَبْلَ الزَّرنيخِ ، رُبَّما أَحْدَثَتْ كَلَفاً ؛ وَيُدْفَعُ ضَرَرُها بالأَرُزِّ والعُصْفُرِ طِلاءً ؛ وَأَنْ تُعْجَنَ للمَحرورينَ بِمَاءِ الشَّعيرِ والأَرُزِّ والبِطِّيْخِ والبَيْضِ ؛ وللمَبْرودينَ بماءِ المَرْزَنْجُوشِ أَو النَّمَّامِ ؛ وَيَنبغي أَنْ يُخْلَطَ مع النُّورَةِ الصَّبِرُ والمُرُّ والحَنْظَلُ ، من كُلِّ واحِدٍ دِرْهَمٌ ، لِيَأْمَنَ من الحَكَّةِ والبَثْرِ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

● **خاتِمَةٌ** : رَوى مالِكٌ في « المُوَطَّأ »[1] من حَديثِ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي عِفْرِيتاً من الجِنِّ يَطْلُبُني بشُعْلَةٍ من نارٍ ، كُلَّما الْتَفَتُّ رَأَيْتُهُ ، فَقَالَ جِبريلُ : أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ تَقُولُهُنَّ فَتَنْطَفِيءُ شُعْلَتُهُ وَيَخِرُّ لِفِيْهِ ؟ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : بَلى ؛ فقالَ جبريلُ : قُلْ : أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الكَرِيْمِ ، وَبِكَلِماتِهِ التَّامَّاتِ التي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ ، من شَرِّ ما يَنْزِلُ من السَّمَاءِ ، وَمِنْ شَرِّ ما يَعْرُجُ فِيها ، وَمِنْ شَرِّ ما ذَرَأَ في الأَرْضِ ، وَمِنْ شَرِّ ما يَخْرُجُ منها ، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، وَمِنْ طَوارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ إِلاَّ طارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمنُ » .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الجيمِ » في « الجِنِّ » حَديثُ العِفْريتِ الذي تَفَلَّتَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ يُريدُ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلاتَهُ ، فَخَنَقَهُ النَّبيُّ ﷺ وَأَرادَ أَنْ يَرْبِطَهُ في ساريَةٍ من سَوارِي المَسْجِدِ .

٦٥١ العُفْوُ : بالكَسْرِ والضَمِّ[2] : قَالَهُ ابْنُ الأَثيرِ في « النِّهايَةِ »[3] وهُوَ الجَحْشُ ، وَالأُنْثى عُفْوَةٌ .

---

(١) المُوَطَّأ ٢/ ٩٥٠ ـ ٩٥١ .

(٢) والفتح أَيضاً .

(٣) المادَّة ساقطةٌ من أ ، ب . وهي في ط : العفر [بالرَّاء المهملة] والصَّواب ما ذُكر أَعلاه . . . وقول ابن الأَثير في النِّهاية ٣/ ٢٦٧ وينظر المخصَّص ٨/ ٤٤ ومعاجم اللُّغة « عفا » .

٦٥٢ **العُقابُ** : طائِرٌ مَعروفٌ ، وَجَمْعُ القِلَّةِ أَعْقُبٌ ، لأَنَّها مُؤَنَّثَةٌ ؛ وأَفْعُلُ : بناءٌ يَخْتَصُّ بِهِ جَمْعُ الإناثِ ، مثلُ عَناقٍ وَأَعْنُقٍ ، وَذِراعٍ وَأَذْرُعٍ ؛ والكَثيرُ عِقْبانٌ[1] ؛ وَعَقابينُ : جَمْعُ الجَمْعِ ؛ قالَ الشّاعِرُ[2] : [من الطَّويل]

عَقابينُ يَوْمَ الجَمْعِ تَعْلُو وَتَسْفُلُ

● وَكُنْيَتُهُ[3] : أَبُو الأَشْيَمِ ، وَأَبُو الحَجّاجِ ، وَأَبُو حُسْبانَ ، وَأَبو الدَّهرِ ، وَأَبو الهَيْثَمِ ؛ وَالأُنْثى أُمُّ الحُوارِ ، وَأُمُّ الشَّغْوَةِ ، وَأُمُّ طَلِبَةَ ، وَأُمُّ لَوْحٍ ، وَأُمُّ الهَيْثَمِ .

وَالعَرَبُ تُسَمِّي العُقابَ : الكاسِرَ ؛ ويُقالُ لَها : الخُدارِيَّة ، لِلَوْنِها ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةُ اللَّفْظِ ؛ وَقيلَ : العُقابُ : يَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنْثى ، وَتمييزُهُ بِاسْمِ الإِشارَةِ .

● وَقالَ في « الكامِلِ » : العُقابُ سَيِّدُ الطُّيُورِ ، وَالنَّسْرُ عَرِيْفُها[4] .

● قَالَ ابْنُ ظَفَر : والعُقابُ حادُّ البَصَرِ ، وَلِذلِكَ قالَتِ العَرَبُ : « أَبْصَرُ من عُقابٍ »[5] ؛ وَالأُنْثى منه تُسَمَّى لَقْوَةٌ .

قَالَ البَطَلْيَوْسِيُّ في « الشَّرْحِ »[6]:

❀ قَالَ الخليلُ : اللَّقْوَةُ ، وَاللِّقْوَةُ ـ بِالفَتْحِ والكَسْرِ ـ : العُقابُ السَّرِيعَةُ الطَّيَرانِ . ا هـ .

وَتُسَمَّى العُقابُ : عَنْقَاءَ مُغْرِبٍ ، لأَنَّها تَأْتِي من مَكانٍ بَعيدٍ ، وَليسَ هُوَ

---

(١) إلى هنا عن الصِّحاح « عقب » ١/ ١٨٧ .

(٢) الشَّطر بلا نسبة في اللِّسان والتَّاج « عقب » برواية : . . . يوم الدَّجن . . .

(٣) المرصَّع ٥٦ و ١٣٧ و ١٦٧ و ٣٤٤ و ٣٦٨ . والأُنثى : ١٤٢ و ٢١١ و ٢٣٢ و ٢٩٦ و ٣٤٦ و ٣٦٨ . ويقالُ للأُنثى أَيضاً : أُمُّ كيح (المرصَّع ٢٨٩) .

(٤) لم أَقف على هذا النَّصّ في كامل المبرّد .

(٥) الميدانيّ ١/ ١١٥ وحمزة ١/ ٧٧ و ٢/ ٤٤١ والعسكريّ ١/ ٢٣٩ والزَّمخشريّ ١/ ٢١ .

(٦) الاقتضاب ٢/ ٣١٠ والعين ٥/ ٢١٢ .

العَنْقَاءُ الآتِي ذِكْرُها ، وَبِهَذا فُسِّرَ قَوْلُ أَبِي العَلاءِ المَعَرِّي[1] : [من الوافر]

أَرى العَنْقَــاءَ تَكْبُــرُ أَنْ تُصــادا فَعــانِــدْ مَــن تُطِيــقُ لَــهُ عِنــادا
وَظُــنَّ بِســائِــرِ الإِخْــوانِ شَــرّاً وَلا تَــأْمَــنْ علــى سِــرٍّ فُــؤَادا
فَلَــوْ خَبَــرَتْهُــمُ الجَــوْزاءُ خُبْــرِي لَمـا طَلَعَـتْ مَخـافَـةَ أَنْ تُصـادا[2]
وَكَــمْ عَيْــنٍ تُــؤَمِّــلُ أَنْ تَــرانِــي وَتَفْقِــدُ عِنْــدَ رُؤْيَتِــيَ السَّــوادا

● وَلهُ من قَصيدَةٍ قد أَبْدَعَ فِيْها[3] : [من الطويل]

فإِنْ كُنْتَ تَهْوَى العَيْشَ فابْغِ تَوَسُّطاً فَعِنْـدَ التَّنـاهِـي يَقْصُـرُ المُتَطـاوِلُ[4]
تُـوَقَّـى البُـدُورُ النَّقْـصَ وَهْـيَ أَهِلَّـةٌ وَيُـدْرِكُهـا النُّقْصـانُ وَهْـيَ كَـوامِـلُ

● وَفي المعنى لابن العَفيفِ التّلمسانيّ[5] : [من الطويل]

أَيُسْعِـدُنِـي يَـا طَلْعَـةَ البَـدْرِ طـالِـعٌ وَمِـنْ شِقْـوَتـي خَـطٌّ بِخَـدَّيْـكَ نـازِلُ
نَعم قد تَناهَى في الجَفاءِ تَطاوُلاً « وَعِنْدَ التَّناهِي يَقْصُرُ المُتَطاوِلُ »

● وَتَقَدَّمَ أَنَّ العُقابَ إِذا صاحَتْ تَقُولُ : في البُعْدِ عن النَّاسِ راحَةٌ .

● وهـي نَـوعـانِ : عُقـابٌ وَزُمَّـجٌ ؛ فَـأَمَّـا العُقـابُ : فَمِنْهـا السُّـودُ ، وَالخَوْخِيَّةُ ، وَالسُّفْعُ ، والبِيْضُ ، والشُّقْرُ ؛ وَمِنها ما يَأْوِي الجِبالَ ، وَما يَأْوِي الصَّحارَى ، وَما يَأْوِي الغياضَ ، وما يأوي حول المُدُن ؛ ويُقال : إنَّ ذكورَها من طيْرٍ لطيفِ الجِرْمِ لا يساوي شَيْئاً .

● وَقالَ « ابنُ خلّكان »[6] في آخِرِ تَرجمةِ العِمادِ الكاتِبِ : ويُقالُ : إِنَّ

---

(١) شروح سقط الزّند ٢/ ٥٥٣ ـ ٥٦٨ .
(٢) في أ : فلو تخبرهم . . . × . وفي الدِّيوان : × . . . أَن تُكادا .
(٣) شروح سقط الزّند ٢/ ٥٥٢ .
(٤) في أ : . . . فاقنع توسُّطاً × .
(٥) هو الشَّابُّ الظَّريف ، والبيتان في ديوانه ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٦) وفيات الأَعيان ٥/ ١٥٢ .

العُقابَ جَميعَه أُنثى ، وَأَنَّ الذي يُسافِدُهُ طَيْرٌ آخَرُ من غَيرِ جِنْسِهِ ؛ وَقيلَ : إِنَّ الثَّعْلَبَ يُسافِدُهُ[١] .

قَالَ : وهذا من العَجائِبِ .

● ولابْنِ عُنَيْنِ الشَّاعر في هَجْوِ شَخْصٍ يُقالُ لَهُ ابْنُ سَيِّدَة[٢] : [من الكامل]

مَا أَنْتَ إلاَّ كَالعُقَابِ فَأَمُّهُ مَعْرُوفَةٌ وَلَهُ أَبٌ مَجْهُولُ

● وَالعُقابُ[٣] تبيضُ ثلاثَ بَيْضاتٍ في الغالبِ ، وَتَحْضُنُها ثَلاثِينَ يَوْماً ، وَما عَداها من الجَوارِحِ تَبيضُ بَيضتين ، وَتَحْضُنُ عِشرينَ يَوْماً ؛ فإذا خَرَجَتْ فِراخُ العُقابِ أَلْقَتْ واحِداً منها ، لأَنَّهُ يَثْقُلُ عليها طُعْمُ الثَّلاثِ ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ صَبْرِها ؛ وَالفَرْخُ الذي تُلْقِيْهِ يَعْطِفُ عَلَيْهِ طائِرٌ آخَرُ يُسَمَّى كاسِرَ العِظامِ ، وَيُسَمَّى المُكَلَّفَةَ ، فَيُرَبِّيهِ ؛ وَمن عادَةِ هَذا الطَّائِرِ أَنْ يَزُقَّ كُلَّ فَرْخٍ ضائِعٍ .

وَالعُقابُ إذا صادَتْ شيئاً لا تَحملُهُ على الفَوْرِ إِلى مَكانِها ، بَلْ تَنْقُلُهُ من مَوْضِعٍ إِلى مَوْضِعٍ ، وَلا تَقعدُ إِلاَّ على الأَماكِنِ المُرتفعةِ ؛ وإذا صادَتِ الأَرانِبَ ، تَبدأُ بِصَيْدِ الصِّغارِ ثمَّ الكِبارِ .

وهيَ أَشَدُّ الجَوارِحِ حَرارَةً ، وَأَقْواها حَرَكَةً ، وَأَيْبَسُها مِزاجاً ؛ وهي خَفيفَةُ الجَناحِ ، سَريعةُ الطَّيَرانِ ؛ تَتَغذَّى[٤] بِالعراقِ وَتَتَعَشَّى بِاليَمَنِ ؛ وَرِيْشُها الذي عليها فَرْوَتُها في الشِّتاءِ ، وَخَيْشُها في الصَّيْفِ .

وَمَتى ثَقُلَتْ عن النُّهُوضِ وَعَمِيَتْ ، حَمَلَتْها الفِراخُ على ظُهُورِها ، وَنَقَلَتْها

---

(١) هذا باطلٌ ، لأَنَّهُ لا يمكن أَن يقع التَّناسل إلاَّ بَين حيوانين بينهما تشاكلٌ وتقاربٌ في الخَلق .

(٢) ديوانه ٢٣٦ وابن خلّكان ٥/ ١٥٣ .

(٣) الحيوان ٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠ و ٢/ ١٥٩ و ٥/ ٥٧٤ و ٦/ ٣٣٨ .

(٤) الحيوان ٧/ ٣٧ وثمار القلوب ٢/ ٦٥٥ وعجائب المخلوقات ٢٨٠ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٤ .

من مَكانٍ إلى مَكانٍ ، فعندَ ذلكَ تَلتمسُ لها عَيْناً صافِيَةً بأَرْضِ الهِنْدِ على رَأْسِ جَبَلٍ ، فَتَغْمِسُها فيها ثم تَضَعُها في شُعاعِ الشَّمْسِ ، فَيَسْقُطُ رِيشُها ، وَيَنْبُتُ لها رِيشٌ جَديدٌ ، وَتَذْهَبُ ظُلْمَةُ بَصَرِها ، ثم تَغوصُ في تِلْكَ العَيْنِ ، فإذا هي قد عادَت شابَّةً كما كانَت ، فَسُبحانَ القادِرُ على كُلِّ شَيْءٍ ، المُلْهِم كُلَّ نَفسٍ هُداها(١) .

● قَالَ التَّوحيديُّ : وَمِن عَجيبِ ما أُلْهِمَتْهُ : أَنَّها إذا اشْتَكَتْ أَكْبادَها ، أَكَلَتْ أَكْبادَ الأَرانِبِ وَالثَّعالبِ فَتَبْرَأُ ؛ وهي تأْكُلُ الحيَّاتِ إلاَّ رُؤُوسَها ، وَالطُّيُورَ إلاَّ قُلُوبَها ؛ وَيَدُلُّ لِهذا قولُ امْرِىءِ القَيْسِ(٢) : [من الطويل]

كَـأَنَّ قُلُـوبَ الطَّيْـرِ رَطْبـاً ويـابِسـاً لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

● ومنهُ قَوْلُ طَرَفَة بن العَبْدِ(٣) : [من الطويل]

كَـأَنَّ قُلُـوبَ الطَّيْـرِ فـي قَعْـرِ عُشِّهـا نَوى القَسْبِ مُلْقىً عِنْدَ بَعْضِ المَآدِبِ

● وَقيلَ لِبشَّارِ بنِ بُرْدٍ الأَعْمى الشَّاعر(٤) : لو خَيَّرَكَ اللهُ أَنْ تَكُونَ حَيَواناً ، ماذا كُنْتَ تُخْتارُ ؟ قَالَ : العُقابَ ، لأَنَّها تَلْبَثُ حَيْثُ لا يَبْلُغُها سَبُعٌ وَلا ذُو أَرْبَعٍ ، وَتَحيدُ عنها سِباعُ الطَّيْرِ ، وَلا تُعانِي الصَّيْدَ إلاَّ قَليلاً ، بلْ تَسْلُبُ كُلَّ ذِي صَيْدٍ صَيْدَهُ .

● وَمِنْ شَأْنِها أَنَّ جَناحَها لا يَزالُ يَخْفِقُ ؛ قالَ عُرْوَةُ بن حِزام(٥) : [من الطويل]

---

(١) يقارن بما قاله القزوينيّ ٢٨٠ والعمري في مسالك الأَبصار ٢٠/ ٨٤ والتَّوحيديّ في الإمتاع ١/ ١٨٨ .
(٢) ديوانه ٣٨ .
(٣) ديوانه ١٤١ .
(٤) بل قيل ذلك لأَخيهِ بشر . (الحيوان ٧/ ٣٧) .
(٥) ديوانه ٢٤ .

لَقَـدْ تَـرَكَـتْ عَفْـراءُ قَلْبِـي كَـأَنَّـهُ   جَنـاحُ عُقـابٍ دائِـمُ الخَفَقـانِ

● وَفي « عَجائبِ المَخلوقاتِ »[1] في ذِكْرِ الأَحجارِ ، أَنَّ **حَجَرَ العُقابِ** : حَجَرٌ يُشْبِهُ نَوى التَّمْرِ ، هِنْدِيٌّ ، إذا حُرِّكَ يُسْمَعُ منه صَوْتٌ ، وإذا كُسِرَ لا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ؛ يُوجَدُ في عُشِّ العُقابِ ، والعُقابُ يَجْلبُهُ من أَرْضِ الهِنْدِ ؛ وَإذا قَصَدَ الإِنْسانُ عُشَّهُ ، يَرمي إِلَيْهِ بِهذَا الحَجَرِ لِيَأْخُذَهُ ويرجع ، فَكَأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ قَصْدَهُمْ إِيَّاهُ لخاصِّيَّتِهِ .

فَمِنْ خَواصِّهِ : أَنَّهُ إِذا عُلِّقَ على من بِها عُسْرُ الوِلادَةِ ، تَضَعُ سَرِيعاً .

وَمَنْ جَعَلَهُ تَحْتَ لِسانِهِ ، فإِنَّهُ يَغلبُ الخَصْمَ في المُقاوَلَةِ ، وَيَبْقى مَقْضِيَّ الحاجَةِ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ النُّونِ » نَظيرُ هذا في لَفْظِ « النَّسْرِ » .

● وَأَوَّلُ من صادَ بِها وَأَدَّبَها ، أَهْلُ المَغْرِبِ .

● يُحْكَى أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكَ الرُّومِ ، أَهْدَى إِلى كِسْرَى مَلِكِ فارِسَ عُقاباً ، وَكَتَبَ إِليه : عَلِّمْها ، فإِنَّها تَعمَلُ عَمَلاً لا يُدْرِكُهُ أَكْثَرُ الصُّقُورِ ؛ فَأَمَرَ بِها فَعُلِّمَتْ وَصَادَ بِها ، فأَعْجَبَتْهُ ، ثمَّ جَوَّعَها لِيَصِيدَ بها ، فَوَثَبَتْ على صَبِيٍّ من حاشِيَتِهِ فَقَتَلَتْهُ ، فقال كِسرى : غَزانا قَيْصَرُ في بِلادِنا بغيرِ جَيْشٍ .

ثُمَّ أَهدى كِسرى إِليهِ نَمِراً ـ أَوْ فَهْداً ـ وَكتبَ إِليه : قد بَعثْتُ إِليكِ بما تَقْتُلُ بِهِ الظِّباءَ ، وَمَا قَرُبَ منها من الوَحْشِ ؛ وَكَتَمَ عليه ما صَنَعَتْهُ العُقابُ ؛ فأُعْجِبَ به قَيْصَرُ إِذ وافَقَتْ صِفَتُهُ ما وَصَفَ ؛ فَغَفَلَ عنهُ يَوْماً ، فافْتَرَسَ فَتىً من بَعضِ فِتْيانِهِ ، فقالَ : صادَنا كِسْرى ، فإِنْ كُنَّا قد صِدْناهُ فَلا بَأْسَ . فَلَمَّا بلغَ ذلكَ

---

(١) عجائب المخلوقات ١٤٦ . وفي الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٨٩ : أَنَّ النَّسرَ هُو الذي يأتي بهذا الحجر من الهند .

كِسرى قال : أَنا أَبو ساسان .

● وَذكرَ « ابْنُ خلّكانَ » في تَرْجَمةِ « جعفر بن يَحْيى البَرْمكيّ » وغيره ، عن الأَصمعيِّ ، قالَ[1] :

لَمَّا قَتلَ الرَّشيدُ جَعفراً ، طَلَبَني لَيْلاً ، فَجِئْتُهُ وَأَنا خائِفٌ ، فَأَوْمَأَ إِليَّ بالجُلُوسِ فَجَلَسْتُ ، فَالْتَفَتَ إِليَّ وقالَ : أَبياتٌ أَحْبَبْتُ أَنْ تَسْمَعَها . قلتُ : إِنْ شاءَ أَميرُ المؤمنين ؛ فأَنْشدَني : [من الكامل]

لَوْ أَنَّ جَعْفَرَ خافَ أَسْبابَ الرَّدَى ... لَنَجا بِهِ مِنْها طِمِرٌّ مُلْجَمُ[2]
وَلَكانَ مِن حَذَرِ المَنِيَّةِ حَيْثُ لا ... يَرْجُو اللَّحاقَ بِهِ العُقابُ القَشْعَمُ
لَكِنَّهُ لَمَّا أَتاهُ يَوْمُهُ ... لَمْ يَدْفَعِ الحَدَثانَ عَنْهُ مُنَجِّمُ[3]

فَعَلِمْتُ أَنَّها لَهُ ، فقلْتُ : إِنَّها أَحْسَنُ أَبْياتٍ ، فقالَ : الْحَقِ الآنَ بأَهْلِكَ ؛ فَفَكَّرْتُ فَلَمْ أَعْرِفْ لذلكَ معنىً ، إِلاَّ أَنَّهُ أَرادَ أن يُسْمِعَني شِعْرَهُ وَأَحْكِيَهُ .

● وَقد حَكَى أَهلُ التَّاريخِ في سَبَبِ قَتْلِ جَعْفَرَ حِكاياتٍ مُختلِفَةٍ ، مِنْها ما رُوِيَ عن أَبي محمَّد اليَزيديّ ، أَنَّهُ قالَ[4] :

مَنْ قَالَ : إِنَّ الرَّشيدَ قَتَلَ جَعْفَراً بغَيْرِ سَبَبِ يَحْيى بن عبدِ اللهِ بن حَسَن العَلَويّ ، فَلا تُصَدِّقْهُ .

وَذلكَ أَنَّ الرَّشيدَ دَفَعَ يَحْيى إِلى جعفرٍ فَحَبَسَهُ ، ثمَّ إِنَّ جَعْفَرَ دَعا بِهِ لَيْلَةً من

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٣٩ و ٣٤٥ ومروج الذهب ٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) في أ : × لنجا بمهجته . . . .

(٣) في أ : لكنَّه لمَّا تقارب يومه × .

(٤) تاريخ الطَّبريّ ٨/ ٢٨٩ وكامل ابن الأَثير ٦/ ١٧٥ ـ ١٧٦ والمنتظم ٩/ ١٢٧ ـ ١٢٨ ووفيات الأَعيان ١/ ٣٣٤ وسير أَعلام النُّبلاء ٩/ ٦٥ .

اللَّيالي ، وَسَأَلَهُ عن أَمْرِهِ فَأَجابَهُ ، ثم إِنَّ يَحْيَى قَالَ لَهُ : اتَّقِ اللهَ فيَّ يا جَعْفَرُ ، وَلا تَتَعَرَّضْ إِلى دَمي فَيَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَصْمَكَ يَوْمَ القِيامَةِ ؛ فَوَاللهِ ما أَحْدَثْتُ حَدَثاً ، وَلا آوَيْتُ مُحْدِثاً . فَرَقَّ لَهُ جَعْفَرُ وَأَطْلَقَهُ ، بعدَ أَنِ اسْتَحْلَفَهُ أَنْ لا يُحْدِثَ حَدَثاً ، وَبَعَثَ مَعهُ من أَوْصَلَهُ إِلى مَأْمَنِه ؛ فَنُقِلَ ذلكَ إِلى الرَّشيدِ ، فقالَ لِجعفرَ : ما فَعَلَ بِيَحْيَى بنِ عبدِ اللهِ ؟ قالَ : على حالِهِ يا أَميرَ المؤمنين في السِّجْنِ والأَكْبالِ الثَّقيلَةِ . فقالَ : بِحَياتي ؟ فَأَحْجَمَ لَها جَعْفرُ ، وَكانَ من أَصَحِّ النَّاسِ فِكْراً ، فَهَجَسَ في نَفْسِهِ أَنَّهُ قد عَلِمَ شَيْئاً من أَمْرِهِ ، فقالَ : لا وَحَياتِكَ يا أَميرَ المؤمنين ، بَلْ أَطْلَقْتُهُ لِعِلْمِي أَنْ لا مَكْرُوهَ لَدَيْهِ ؛ فَأَظْهَرَ الرَّشيدُ الاسْتِحْسَانَ لذلكَ ، وأَسَرَّها في نَفْسِهِ وقالَ : نِعْمَ ما فَعَلْتَ ، ما عَدَوْتَ عَمَّا كان في خاطِرِي .

فَلَمَّا خَرَجَ ، أَتْبَعَهُ الرَّشِيدُ بَصَرَهُ وَقالَ : قَتَلَنِي اللهُ بِسُيُوفِ العِدا على الضَّلالَةِ ، إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ .

● وَفي « تارِيخِ صاحِبِ حَماة » وغَيْرِهِ[١] : أَنَّ الرَّشيدَ كان لا يَصْبِرُ عن جَعفر ولا عن أُخْتِهِ عَبَّاسَةَ بنتِ المَهْديّ ، فقالَ لِجَعفر : أُزَوِّجُكَها ، لِيَحِلَّ لَكَ النَّظَرُ إِلَيْها ؛ ولا تَمَسَّها ، فكانا يَحْضُرانِ مَجْلِسَهُ ، ثمَّ يَقومُ الرَّشيدُ من المَجْلِسِ ، فَيَمْتَلِئَانِ من الشَّرابِ وَهُما شابَّانِ ، فَيقومُ إِلَيْها جعفر فَيُجامِعُها ، فَحَمَلَتْ وَوَلَدَتْ غُلاماً ، وخافَتِ الرَّشيدَ ، فَوَجَّهَتِ المَوْلُودَ مع حَواضِنَ لَها إِلى مَكَّةَ .

وَلَمْ يَزَلِ الأَمْرُ مَسْتُوراً حتَّى وَقَعَ بين عَبَّاسَةَ وَبَيْنَ بَعْضِ جَوارِيها شَرٌّ ، فَأَنْهَتْ أَمْرَ الصَّبِيِّ ، وَأَخْبَرَتْ بِمَكانِهِ وَمَنْ مَعَهُ من جَوارِيها ، وَمَا مَعَهُ من

---

(١) الطَّبريّ ٨/ ٢٩٤ وابن الأثير ٦/ ١٧٥ والمنتظم ٩/ ١٣١ ومروج الذَّهب ٤/ ٢٤٦ وابن خلّكان ١/ ٣٣٢ و ٣٣٤ وسير ٩/ ٦٦ و ٦٧ .

الحُلِيِّ .

فَلَمَّا حَجَّ الرَّشيدُ ، أَرْسَلَ من أَتاهُ بِالصَّبيِّ وحَواضِنِه ، فَوَجَدَ الأَمْرَ صَحيحاً ، فَأَوْقَعَ بِالبَرامِكَةِ .

● وَقِيْلَ[1] : إِنَّما قَتَلَ الرَّشيدُ جعفراً لأَنَّهُ كان قد حازَ ضِياعَ الدُّنْيا لِنَفْسِه ، وَكانَ الرَّشيدُ إِذا سافَرَ لا يَمُرُّ بضَيْعَةٍ ولا بُسْتانٍ إِلاَّ قِيلَ : هَذَا لِجَعْفَر ؛ فَلَمْ يَزَلْ كذلِكَ حتَّى جَنَى جَعفرُ على نَفْسِهِ ، بأَنْ وَجَّهَ فَقَطَعَ رَأْسَ بعْضِ الطَّالبيِّين من غيرِ أَنْ يَكُونَ أُمِرَ بِقَتْلِهِ ، فَاسْتَحَلَّ الرَّشِيدُ بذلكَ دَمَهُ .

● وقيلَ[2] : كان سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ رُفِعَتْ إِلى الرَّشِيْدِ قِصَّةٌ لَمْ يُعْرَفْ رافِعُها ، وفيها هذهِ الأَبياتُ : [من السريع]

قُــلْ لأَمِيْــنِ اللهِ فــي أَرْضِــهِ ... وَمَــنْ إِلَيْــهِ الحَــلُّ والعَقْــدُ :
هــذا ابْــنُ يَحْيَــى قـد غَـدا مـالِكـاً ... مِثْلَــكَ مــا بَيْنَكُمــا حَــدُّ
أَمْــرُكَ مَــرْدُودٌ إِلـى أَمْــرِهِ ... وَأَمْــرُهُ لَيْــسَ لَــهُ رَدُّ
وَقَــدْ بَنـى الــدَّارَ التـي مـا بَنَـى ... الفُــرْسُ لَهـا مِثْــلاً ولا الهِنْــدُ
وَالــدُّرُّ واليــاقُـوتُ حَصْبــاؤُهــا ... وَتُــرْبُهــا العَنْبَــرُ والنَّــدُّ
وَنَحْــنُ نَخْشَــى أَنَّــهُ وارِثٌ ... مُلْكَــكَ إِنْ غَيَّبَــكَ اللَّحْــدُ
وَلَــنْ يُبــاهِـي العَبْــدُ أَرْبــابَــهُ ... إِلاَّ إِذا مــا بَطِــرَ العَبْــدُ

فلمَّا وَقَفَ الرَّشيدُ عَلَيها ، أَضْمَرَ لَهُ الشَّرَّ وَأَوْقَعَ بِهِ .

● وقيلَ[3] : بَلْ أَرادَت البَرامِكَةُ إِظْهارَ الزَّنْدَقَةِ وَفَسادَ المُلْكِ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقَتَلَهُمْ .

---

(١) المنتظم ٩/ ١٣٢ .
(٢) الخبر والأبيات في وفيات الأعيان ١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ وسير أعلام النُبلاء ٩/ ٦٨ .
(٣) المنتظم ٩/ ١٣٣ .

قُلْتُ : وهوَ قولٌ بعيدٌ ، لا أَعتقدُ صِحَّتَهُ .

● وقيلَ[1] : إنَّ مَسْرُوراً قالَ : سمعتُ الرَّشيدَ سنَةَ حَجَّ ، وَهي سنةُ سِتٍّ وثمانينَ ومئة يقولُ في الطَّوافِ : اللَّهمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ جَعْفَراً قد وَجَبَ عليهِ القَتْلُ ، وَأنا أَسْتَخِيرُكَ في قَتْلِهِ ، فَخِرْ لِي .

وَإِنَّ الرَّشيدَ لمَّا عادَ إِلى الأَنْبَارِ ، بَعَثَ إِلَيْهِ بِمَسْرُورٍ وَحَمَّادٍ فَوافَيَاهُ والمُغَنِّي يُغَنِّيْه[2] : [من الوافر]

فَـلا تَبْعُـدْ فَكُـلُّ فَتـىً سَيَـأْتِـي ... عَلَيْـهِ المَـوْتُ يَطْـرُقُ أَوْ يُغـادِي

فقالَ مَسْرُورٌ : لذلكَ جِئْتُ ، فقد واللهِ طَرَقَكَ الأَمْرُ ؛ أَجِبْ أَميرَ المؤمنينَ .

فَتَصَدَّقَ بِأَمْوالِهِ ، وَأَعْتَقَ عَبيدَهُ ، وَأَبْرَأَ النَّاسَ من حُقُوقِهِ ، ثمَّ أَتَى بِهِ إِلى المَنْزِلِ الذي فِيهِ الرَّشيدُ ، فَحَبَسَهُ وَقَيَّدَهُ بِقَيْدِ حِمارٍ ، وَأَخْبَرَ الرَّشيدَ ، فقالَ : ائْتِنِي بِرَأْسِهِ ، فَعاوَدَهُ فِيهِ مَرَّتين ، فَشَتَمَهُ وَصاحَ عَليهِ ، فَدَخلَ عليْهِ واحْتَزَّ رَأْسَهُ وَجَاءَ بِهِ إِليهِ ، وَذَلكَ في مُسْتَهَلِّ صَفَر ، سَنَةَ سَبْعٍ وثمانينَ ومئة ، وهو ابْنُ سَبْعٍ وثلاثينَ سنةً ؛ ثم صَلَبَ رَأْسَهُ على الجِسْرِ ، وَصَلَبَ كُلَّ قِطْعَةٍ على جِسْرٍ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذلكَ حتَّى مَرَّ عَلَيْهِ الرَّشيدُ عندَ خُرُوجِهِ إِلى خُراسان ، فقالَ : يَنْبَغي أَنْ يُحْرَقَ هَذا ؛ فَأُحْرِقَ .

وَلَمَّا قَتَلَهُ أَحاطَ بِجَميعِ البَرامِكَةِ وَأَتْباعِهم ، وَنُودِيَ : أَنْ لا أَمانَ لهم إِلاَّ لمحمَّد بن خالد بن بَرْمَكٍ وَوَلده وجَماعَتِهِ ، لِما عُرِفَ من بَراءَةِ محمَّد بن خالد وَوَلَدِهِ وَجَماعَتِه .

---

(١) تاريخ الطَّبريّ ٨/ ٢٩٥ وكامل ابن الأَثير ٦/ ١٧٧ والمنتظم ٩/ ١٣٣ ووفيات الأَعيان ١/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

(٢) المغنّي هو أَبو زَكَّار الأَعمى . والبيت لكثير عزَّةَ ، في ديوانه ٢٢٢ .

● وقيل(١) : إنَّ عُلَيَّةَ بنتَ المَهْدِيّ قالَتْ لِلرَّشيدِ : لأَيِّ شَيْءٍ قَتَلْتَ جَعفراً ؟ فقالَ : لو عَلمتُ أَنَّ قَميصي يعلمُ سَبَبَ قَتْلِ جعفرٍ لأَحْرَقْتُهُ .

● وَلَمَّا(٢) صُلِبَ جَعفر ، وَقَفَ عليه يَزيد الرَّقاشيّ ، وقالَ من أَبْياتٍ :

[من الوافر]

أَمَا وَاللهِ لَوْلا خَوْفُ واشٍ ... وَعَيْنٌ لِلْخليفَةِ لا تَنامُ

لَطُفْنا حَوْلَ جِذْعِكَ واسْتَلَمْنَا ... كَما لِلنَّاسِ بالحَجَرِ اسْتِلامُ

فَمَا أَبْصَرْتُ قَبْلَكَ يا ابْنَ يَحْيَى ... حُساماً فَلَّهُ السَّيْفُ الحُسامُ

عَلى اللَّذَّاتِ والدُّنْيا جَميعاً ... لِدَوْلَةِ آلِ بَرْمَكٍ السَّلامُ

فبلَغَ الرَّشيدَ مَقالَتُهُ ، فَأَحْضَرَهُ وقالَ : ما حَمَلَكَ على ما فَعَلْتَ ، وَقَدْ بَلَغَكَ ما تَوَعَّدْنا بِهِ كُلَّ من يَقِفُ عَلَيْهِ أَوْ يَرْثِيهِ ؟ قالَ : كان يُعْطيني كُلَّ سَنَةٍ أَلفَ دِيْنارٍ ؛ فَأَمَرَ لَهُ الرَّشيدُ بِأَلْفَيْ دِينارٍ ، وقالَ : هِيَ لَكَ مِنَّا ما دُمْنا في قَيْدِ الحَياةِ .

● وَيُرْوى(٣) أَنَّ امْرَأَةً وَقَفَتْ عَلَى جَعفرٍ ، وَنَظَرَتْ إِلى رَأْسِهِ مُعَلَّقاً ، فقالَتْ : أَمَا وَاللهِ لَئِنْ صِرْتَ اليَوْمَ آيَةً ، لَقد كُنْتَ في المَكارِمِ غايَةً ؛ ثمَّ أَنْشَدَتْ تَقُولُ(٤) : [من الطَّويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ خالَطَ جَعْفَراً ... وَنادَى مُنادٍ لِلْخَلِيْفَةِ في يَحْيَى

بَكَيْتُ على الدُّنْيا وَأَيْقَنْتُ أَنَّما ... قُصارَى الفَتَى يَوْماً مُفارَقَةُ الدُّنْيا

---

(١) المنتظم ٩/ ١٣٢ ـ ١٣٦ ووفيات الأعيان ١/ ٣٣٦ وسير أَعلام النُّبلاء ٩/ ٦٩ .

(٢) الأَبيات ليزيد الرّقاشيّ في تاريخ بغداد ٨/ ٣٧ ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٥ . وفي تاريخ الطَّبريّ ٨/ ٣٠١ للعطوي .

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٣٨ والمنتظم ٩/ ١٣٧ و ١٤٤ وحاشية أَمالي المرتضى ١/ ١٠١ عن نسخة منه .

(٤) الأَبيات لامرأَةٍ ، كما في مصادر الخبر ، وهي لدعبل بن عليّ الخزاعيّ في العقد الفريد ٥/ ٧٠ ووفيات الأَعيان ١/ ٣٤٠ وديوانه ٤٣٢ ـ ٣٤٣ .

وَمـا هِـيَ إلاَّ دَوْلَـةٌ بَعْـدَ دَوْلَـةٍ   تُخَـوِّلُ ذا نُعْمَـى وَتُعْقِبُ ذَا بَلْـوَى
إذا أَنْـزَلَـتْ هـذا مَنـازِلَ رِفْعَـةٍ   مِنَ المُلْكِ حَطَّتْ ذا إلى الغايَةِ السُّفْلَى

ثمَّ مَرَّتْ كَأَنَّها الرِّيحُ وَلَمْ تَقِفْ .

● وَلَمَّا[1] بَلَغَ سُفيان بن عُيَيْنَةَ قَتْلُ جعفرٍ ، وَما نَزَلَ بالبَرامِكَةِ ، حَوَّلَ وَجْهَهُ إلى القِبْلَةِ وَقالَ : اللَّهُمَّ إنَّ جَعْفَراً كان قد كَفانِي مَؤُونَةَ الدُّنْيَا ، فَاكْفِهِ مَؤُونَةَ الآخِرَةِ .

● وَكانَ جعفرُ من الكَرَمِ والعَطَاءِ على جانِبٍ عَظيمٍ ، وَأَخْبارُهُ في ذلكَ مَشهُورَةٌ ، وَفِي الدَّفاتِرِ مَسْطُورَةٌ .

وَلَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ من الوُزَراءِ مَنْزِلَةً بَلَغَها جَعفرُ من الرَّشيدِ ؛ وَكَانَ الرَّشيدُ يُسَمِّيْهِ أَخاً ، وَيُدْخِلُهُ معهُ في ثَوْبِهِ .

وَأَنَّ الرَّشيدَ لَمَّا قَتَلَ جَعفراً ، خَلَّدَ أَباهُ يَحْيَى في السِّجْنِ .

وَكانَتِ البَرامِكَةُ في الغايَةِ من الجُودِ والكَرَمِ ، كَما هُوَ مَشهورٌ عنهم .

وَكانَتْ مُدَّةُ وزارَتِهم للرَّشِيْدِ سَبْعَ عَشْرَةَ سنةً .

● وَذَكَرَ ابنُ إسحاق ، قالَ[2] : قال الزُّبيرُ بن عبدِ المُطَّلِبِ فيما كان من شَأْنِ الحَيَّةِ التي كانَتْ قُرَيْشٌ تهابُ بُنْيانَ الكَعْبَةِ لأَجْلِها ، حتَّى اخْتَطَفَتْها العُقابُ : [من الوافر]

عَجِبْـتُ لِمـا تَصَـوَّبَـتِ العُقـابُ   إلـى الثُّعْبـانِ وَهْـيَ لَهـا اضْطِرابُ
وَقَـدْ كـانَـتْ يَكُـونُ لَهـا كَشِيْـشٌ   وَأَحْيـانـاً يَكُـونُ لَهـا وِثـابُ
إذا قُمْنـا إلـى التَّـأْسِيْـسِ شَـدَّتْ   تُهَيِّبُنـا البِنـاءَ وَقَـدْ تُهـابُ

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٩ والمنتظم ٩/ ١٤٥ ووفيات الأعيان ١/ ٣٤٠ .

(٢) سيرة ابن إسحاق ٨٩ وسيرة ابن هشام ١/ ١٩٨ والبداية والنِّهاية ٣/ ٤٩٠ .

فَلَمَّـا أَنْ خَشِيْنـا الـرِّجْـزَ جـاءَتْ　عُقـابٌ حَلَّقَـتْ وَلَهـا انْصِبـابُ
فَضَمَّتْهـا إِلَيْهـا ثُـمَّ خَلَّـتْ　لَنـا البُنْيـانَ لَيْـسَ لَـهُ حِجـابُ
فَقُمْنـا حـاشِـدِيْـنَ إِلـى بنـاءٍ　لَنـا مِنْـهُ القَـواعِـدُ والتُّـرابُ
غَـداةَ نُـرَفِّـعُ التَّـأْسِيْـسَ مِنْـهُ　وَلَيْـسَ علـى مَسـاوِيْنـا ثِيـابُ
أَعَـزَّ بِـهِ المَلِيْـكُ بَنـي لُـؤَيٍّ　فَلَيْـسَ لأَصْلِـهِ مِنْهُـمْ ذَهـابُ
وَقَـدْ حَشَـدَتْ هُنـاكَ بَنُـو عَـدِيٍّ　وَمُـرَّةُ قَـدْ تَعَهَّـدَهـا كِـلابُ
فَبَـوَّأَنـا المَلِيْـكُ بِـذاكَ عِـزّاً　وَعِنْـدَ اللهِ يُلْتَمَـسُ الثَّـوابُ

● وَذَكَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ في « التَّمهيدِ » عن عَمرو بن دِينارٍ ، أَنَّهُ قالَ : لمَّا أَرادَتْ قُريشٌ بناءَ الكَعْبَةِ ، خَرَجَتْ مِنْها حَيَّةٌ فحالَتْ بينَهم وبينَها ، فجاءَ عُقابٌ أَبْيَضُ ، فَأَخَذَها وَرَمى بها نَحْوَ أَجْيادٍ .

كَذَا في بعضِ نُسَخِ « التَّمْهيدِ » وفي بعضِها طائِرٌ أَبيضٌ .

● **فائِدَةٌ** : رَوى[1] ابنُ عبّاسٍ : أَنَّ سُليمانَ بن داود عليهما السَّلامُ لَمّا فَقَدَ الهُدْهُدَ ، دعا بالعُقابِ سَيِّدِ الطَّيْرِ وَأَحْزَمِهِ وَأَشَدِّهِ بَأْساً ، فقالَ : عليَّ بالهُدْهُدِ السَّاعَةَ ؛ فَرَفَعَ العُقابُ نفسَه نَحْوَ السَّمَاءِ حتَّى الْتَصَقَ بالهَواءِ ، فَصارَ يَنظرُ إلى الدُّنْيا كالقَصْعَةِ بَيْنَ يَدَيْ الرَّجُلِ ، ثمَّ الْتَفَتَ يَميناً وَشِمالاً ، فَرَأى الهُدْهُدَ مُقْبلاً من نَحْوِ اليَمنِ ، فانْقَضَّ عليهِ ، فقالَ الهُدْهُدُ : أَسْأَلُكَ بحَقِّ الذي أَقْدَرَكَ عليَّ وَقَوّاكَ ، إلاَّ ما رَحمتني ؟ فقالَ لهُ : الوَيْلُ لكَ ، إنَّ نَبيَّ اللهِ سُليمانَ حَلَفَ أن يُعَذِّبَكَ أَوْ يَذْبَحَكَ ؛ ثمَّ أَتى بِهِ ، فَلَقِيَتْهُ النُّسُورُ وعَساكِرُ الطُّيورِ ، فَخَوَّفُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بتَوَعُّدِ سُليمانَ ، فقالَ الهُدْهُدُ : ما قَدْري ، وما أَنا ؟ أَوَ ما اسْتَثْنَى نبيُّ اللهِ ؟ قالُوا : بَلى . قالَ : ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النّمل : ٢١] . قالَ الهُدْهُدُ : نَجَوْتُ إِذَنْ .

---

(١) ينظر تاريخ الطَّبريّ ١/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

فلمَّا دَخلَ على سُليمانَ ، رَفَعَ رَأْسَهُ ، وأَرْخَى ذَنَبَهُ وَجَناحَيْه ، تَواضُعاً لِسُليمان ، فقالَ لهُ سُليمانُ : أَينَ غِبْتَ عن خِدْمَتِكَ وَمكانِكَ ؟ لأُعَذِّبَنَّكَ عَذاباً شَديداً أَوْ لأَذْبَحَنَّكَ ؛ فقالَ الهُدْهُدُ : يَا نَبيَّ اللهِ ، اذْكُرْ وُقُوفَكَ بينَ يَدَيْ اللهِ بِمَنْزِلَةِ وقوفي بَيْنَ يَدَيْكَ . فاقْشَعَرَّ جِلْدُ سُليمانَ ، وارْتَعَدَ ، وَعفا عنهُ .

وَسَيَأْتي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى نَظيرُ هذا في « بابِ الهَاءِ » في « الهُدهد » .

الحُكْمُ : يُحرَّمُ أَكْلُ العُقَابِ ، لأَنَّهُ ذُو مِخْلَبٍ .

واخْتُلِفَ في أَنَّهُ هَلْ يُسْتَحَبُّ قَتْلُهُ أَمْ لا ؟ فَجزَمَ الرَّافعيُّ والنَّوويُّ في « الحَجِّ » باسْتِحْبَابِ قَتْلِهِ ؛ وَجَزَمَ في « شَرْحِ المُهذَّبِ » بِأَنَّهُ من القِسْمِ الذِي لا يُسْتَحَبُّ قَتْلُهُ ، ولا يُكْرَهُ ؛ وَهُوَ الذِي فِيهِ نَفْعٌ وَمَضَرَّةٌ .

قُلتُ : وَهذا الذي جَزَمَ بِهِ القاضي أَبو الطَّيِّبِ الطَّبَريّ ، وَهُوَ المُعْتَمَدُ .

الأَمْثالُ : قالُوا : « أَمْنَعُ من عُقابِ الجَوِّ »[1] . قالَهُ عَمرو بن عَدِيٍّ لِقَصيرِ بن سَعْدٍ في قِصَّةِ الزَّبَّاءِ المَشْهُورةِ ؛ وَفي ذلكَ يقولُ ابْنُ دُرَيْدٍ في مَقْصُورَتِهِ[2] : [من الرجز]

وَاخْتَرَمَ الوَضَّاحَ من دُونِ التي ... أَمَّلَها سَيْفُ الحِمامِ المُنْتَضَى
وَقَدْ سَمَا عَمْرٌو إِلى أَوْتارِهِ ... فَاحْتَطَّ مِنْها كُلَّ عالي المُسْتَمى
فاسْتَنْزَلَ الزَّبَّاءَ قَسْراً وَهْيَ مِنْ ... عُقابِ لُوحِ الجَوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى

جَعَلَها لامْتِناعِها بِمَنْزِلَةِ لُوحِ الجَوِّ ، واللُّوحُ : الهَواءُ بينَ السَّماءِ والأَرْضِ ؛ وَالجَوُّ أَيضاً : ما بَيْنَهُما .

---

(١) الميدانيّ ١/ ٢٣٣ و ٢/ ٣٢٣ وحمزة ٢/ ٣٨٦ والعسكريّ ٢/ ٢٩٣ والزَّمخشريّ ١/ ٣٦٩ والفاخر ٢٤٨ وأَمثال المفضَّل الضَّبِّيّ ٦٥ ومروج الذَّهب ٢/ ٢٢٠ وثمار القلوب ٢/ ٦٦٤ .

(٢) شرح مقصورة ابن دريد للتَّبريزيّ ٢٨ و ٤٣ ـ ٤٤ .

● وَالقِصَّةُ في ذلكَ ما ذَكَرَهُ الأَخْبارِيُّونَ ، ابْنُ هِشامٍ وابنُ الجَوزيّ وغيرُهم ، قالُوا[١] ـ وقد دَخَلَ كلامُ بعضِهم في بعضٍ ـ :

إنَّ جَذيمَةَ الأَبْرَشَ كان مَلِكاً على الحِيْرَةِ وَما حَوْلَها من السَّوادِ ، مَلَكَ سِتِّينَ سنةً ، وَكانَ شَديدَ السُّلْطانِ ، قد خافَهُ القَريبُ ، وهابَهُ البعيدُ .

وهو أَوَّلُ مَن أُوقِدَتِ الشُّمُوعُ بينَ يَديهِ ، وأَوَّلُ مَن نَصَبَ المَجانِيقَ في الحَرْبِ ، وَأَوَّلُ مَن اجْتَمَعَ لَهُ المُلْكُ بِأَرضِ العِراقِ ، فَغَزا مَليح بن البَراء ، وَكانَ مَلِكاً على الحُضْرِ[٢] ، وَهوَ الحاجِزُ بينَ الرُّومِ والفُرْسِ ، وهو الذي ذَكَرَهُ عَدِيُّ بن زَيْدٍ بِقَولِهِ[٣] : [من الخفيف]

وَأَخُــو الحُضْــرِ إِذْ بَنــاهُ وإِذْ دِجْـ ـلَــهُ تُجْبَــى إِلَيْــهِ والخــابُــورُ
شــادَهُ مَــرْمَــراً وَخَلَّلَــهُ كِلْـ ـساً فَلِلطَّيْـرِ فــي ذُراهُ وُكُــورُ[٤]
لَـمْ يَهَبْهـهُ رَيْـبُ المَنُـونِ وَبـادَ الْـ ـمُلْــكُ عَنْــهُ فَبــابُــهُ مَهْجُــورُ

فَقَتَلَهُ جَذيمةُ ، وَطَرَدَ بِنْتَهُ الزَّبّاءَ فَلَحِقَتْ بالرُّومِ .

وَكانَتِ الزَّبّاءُ عاقِلَةً أَديبةً ، عَربيَّةَ اللِّسانِ[٥] ، حَسَنَةَ البَيانِ ، شَديدَةَ السُّلْطانِ ، كَبيرةَ الهِمَّةِ .

---

(١) **قصّة الزَّبّاء وجَذِيمة الأبرش في** : الأَغاني ١٥/ ٣١٥ وما بعد وتاريخ الطَّبريّ ١/ ٦١٨ ومروج الذَّهب ٢/ ٢١٧ والمغتالون لابن حبيب (ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ١١٢) والدِّيباج لأَبي عبيدة ١٠٩ وشرح مقصورة ابن دريد للتَّبريزيّ ٢٨ ولابن خالويه ٢٠٠ والميدانيّ ١/ ٢٣٣ وجمهرة العسكريّ ١/ ٢٣٣ وأَخبار الأَذكياء ١٠٧ والمنتظم ٢/ ٥٦ والكامل لابن الأَثير ١/ ٣٤٥ وزهر الأَكم ١/ ١٨٨ وخزانة البغداديّ ٧/ ٢٩٣ .

(٢) الحُضْر : مدينة كانت عاصمة دولةٍ في العراق ، مَلِكُها الضَّيْزَن ؛ ويُطلق على آثارِها اليوم : طَيْزَناباذ . وانظر ما يقولُهُ محقّق ديوان عديّ بن زيد العباديّ ٨٨ (الحاشية) .

(٣) ديوانه ٨٨ .

(٤) في الأُصول : . . . وجلّله . . × . تصحيف .

(٥) في الديباج لأَبي عُبيدة ١١١ : وكانت لا تَكَلَّمُ بالعربيّة .

قَالَ ابنُ الكَلْبيّ : وَلَمْ يَكُنْ في نِساءِ عَصْرِها أَجْمَلَ مِنْها ، وكانَ اسْمُها فارِعة ، وَكانَ لَها شَعْرٌ إذا مَشَتْ سَحَبَتْهُ وَراءَها ، وإِذا نَشَرَتْهُ جَلَّلَها ، فَسُمِّيَتِ الزَّبَّاءَ لذلكَ .

قالَ : وَكانَ قَتْلُ أَبيها قبلَ مبعثِ عِيسى بن مَريمَ عليهما السَّلامُ ، فَبَلَغَتْ بها هِمَّتُها أَنْ جَمَعَتِ الرِّجالَ ، وَبَذَلَتِ الأَمْوالَ ، وعادَتْ إِلى دِيارِ أَبيها وَمَملكَتِهِ ، فأَزالَتْ جَذيمةَ عنها ، وابْتَنَتْ على عِراقي الفُراتِ مَدينتين مُتقابلَتَينِ في شَرْقِيِّ الفُراتِ وَغَرْبيِّهِ[1] ، وَجَعَلَتْ بينَهما نَفَقاً تَحتَ الفُراتِ ، فكانَتْ إِذا رَهَقَتْها الأَعداءُ أَوَتْ إِلَيْهِ وتَحَصَّنَتْ بِهِ .

وكانَتْ قد اعْتَزَلَتِ الرِّجالَ ، فَهِيَ عَذراءُ بَتُولٌ ، وَكانَ بينَها وَبينَ جَذيمةَ بعدَ الحَرْبِ مُهادَنَةٌ ، فَحدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِخِطْبَتِها ، فجمعَ خاصَّتَهُ وشاوَرَهُمْ في ذلكَ ، فسكتَ القومُ ، وتَكَلَّمَ قَصيرٌ ، وَكانَ ابْنَ عَمِّهِ ، وَكانَ عاقِلاً لَبيباً ، وَكانَ خازِنَهُ ، وصاحِبَ أَمْرِهِ وَعَميدَ دَوْلَتِهِ ، فقَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَيُّها المَلِكُ ، إِنَّ الزَّبَّاءَ امرأَةٌ حَرَّمَتِ الرِّجالَ ، فَهِيَ عَذراءُ بَتُولٌ ، لا تَرْغَبُ في مالٍ وَلا جَمالٍ ، وَلَها عندَكَ ثَأْرٌ ، وَالدَّمُ لا يَنامُ ، وَإِنَّما هِيَ تارِكَتُكَ رَهْبَةً وَحَذَراً ، وَالحِقْدُ دَفينٌ في سُوَيْداءِ القَلْبِ ، لَهُ كُمونٌ كَكُمُونِ النَّارِ في الحَجَرِ ، إِنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَى ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ تَوارَى ؛ وَلِلْمَلِكِ في بَناتِ المُلُوكِ الأَكِفَّاءِ مُتَّسَعٌ ، وَلَهُنَّ فِيهِ مُنْتَفَعٌ ، وَلَقَدْ رَفَعَ اللهُ قَدْرَكَ عن الطَّمَعِ فيمن هُوَ دُونَكَ ، وَعَظَّمَ الرَّبُّ شَأْنَكَ فَما أَحَدٌ فَوْقَكَ . هَكذا حَكاهُ ابنُ الجوزيّ وغيرُهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ هِشامٍ « شارِحُ الدُّريديَّة » وغيرُه : أَنَّ الزَّبَّاءَ هِيَ التي أَرسلَتْ إِلَيْهِ تَخطبُه ، وَتَعرضُ عليْهِ نَفْسَها ، لِيَتَّصِلَ مُلْكُهُ بِمُلْكِها ، فَدَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلى ذلكَ ،

---

(١) أَطلال هاتين المدينتين تقعان إِلى الجنوب الشَّرقيّ من مدينة الرَّقَّة ، على جانبي الفُرات ، ويُعرفان اليوم باسم : زلابية وحلابية .

فاسْتَشَارَ وُزراءَهُ ، فَكُلُّ واحِدٍ منهم رأَى ذلكَ مَصلحةً إلاَّ قصيراً فإِنَّهُ قالَ : أَيُّها المَلِكُ ، هَذهِ خَديعةٌ وَمَكْرٌ ؛ فَلَمْ يَسمعْ منهُ .

قالَ : وَلَمْ يَكُنْ قَصيراً ، وَلَكِنْ سُمِّيَ بِهِ . اهـ .

قالَ ابْنُ الجَوزيِّ : فقالَ جَذيمةُ : يا قَصيرُ ، الرَّأْيُ ما رَأَيْتَهُ وَقُلْتَهُ ، وَلكنَّ النَّفْسَ تَوَّاقَةٌ ، وإِلى ما تُحِبُّ وَتَهْوى مُشتاقَةٌ ؛ وَلِكُلِّ امْرِىءٍ قَدَرٌ ، لا مَفَرَّ منهُ ولا وَزَرَ ؛ ثمَّ وَجَّهَ إِليها خاطِباً ، وَقالَ لهُ : اذْكُرْ لَها ما تُرَغِّبُها فِيهِ وَتَصْبُو إِلَيْهِ .

فجَاءَها خَطيبُهُ ، فلمَّا سَمعتْ كلامَهُ ، وَعَرَفَتْ مُرادَهُ ، قالَتْ : أَنْعِمْ بكَ عَيْناً وَبما جِئْتَ بِهِ ؛ وَأَظْهَرَتْ لَهُ السُّرُورَ والرَّغْبَةَ فِيهِ ، وَأَكْرَمَتْ مَقْدَمَهُ ، وَرَفَعَتْ مَوْضِعَهُ ، وقالَتْ : قد كُنتُ أَضْرَبْتُ عن هذا مَخافَةَ أَنْ لا أَجِدَ كُفْؤاً ، ولكنَّ المَلِكَ فوقَ قَدْرِي ، وَأَنا دُونَ قَدْرِهِ ، قد أَجَبْتُ إِلى ما سَأَلَ ، وَرَغِبْتُ فِيْمَا قالَ ؛ وَلَوْلا أَنَّ السَّعْيَ في مثلِ هَذَا الأَمْرِ بالرِّجَالِ أَمْثَلُ ، لَسِرْتُ إِليهِ وَلَنَزَلْتُ عليهِ ؛ وَأَهْدَتْ لهُ هَديَّةً سَنِيَّةً ، ساقَتْ إِليهِ فيها العَبيدَ وَالإِماءَ والكُراعَ والسِّلاحَ والأَمْوالَ والإِبلَ وَالغَنَمَ ، وَغيرَ ذَلكَ من الثِّيابِ والأَمْتِعَةِ والجَواهِرِ شَيئاً عَظيماً .

فلمَّا رَجَعَ إِليهِ خَطِيبُهُ ، أَعْجَبَهُ ما سَمِعَ من الجَوابِ ، وَأَبْهَجَهُ ما رَأَى من اللُّطَفِ الذِي تَحَيَّرُ فيهِ عُقولُ ذَوي الأَلبابِ ؛ وَظَنَّ أَنَّ ذلكَ منها لِحُصُولِ رَغْبَةٍ ، فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُه ، وَسارَ من فَوْرِهِ فيمَنْ يَثِقُ بهِ من خاصَّتِهِ وَأَهْلِ مَملَكَتِه ، وفيهم قَصيرٌ خازِنُهُ ، وَقَدِ اسْتَخْلَفُ عَلَى مَمْلَكَتِهِ عمرَو بن عَدِيٍّ اللَّخْميَّ ، وَهوَ أَوَّلُ من مَلَكَ الحِيْرَةَ من لَخْمٍ ، وكانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ مِئةً وعِشرينَ سنةً ، وَهو الذِي اخْتَطَفَتْهُ الجِنُّ وهو صَبيٌّ ، ثمَّ رَدَّتْهُ وَقَدْ شَبَّ وَكَبرَ ، فَأَلْبَسَتْهُ أُمُّهُ طَوْقاً من ذَهَبٍ ، وَأَمَرَتْهُ بزِيارَةِ خالِهِ جَذيمةَ ؛ فلمَّا رأَى جَذيمةُ لِحْيَتَهُ والطَّوْقَ في عُنُقِهِ ، قَالَ : شَبَّ عمرٌو عن الطَّوْقِ ، فأَرْسَلَها مَثَلاً .

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : إِنَّهُ مَلَكَ مئةً وثماني عشرةَ سَنَةً .

قالَ ابنُ الجَوزيِّ : فاسْتَخْلَفَهُ وَسَارَ إِلى الزَّبَّاءِ ، فَوَصَلَ إِلى قَرْيَةٍ على الفُراتِ يُقالُ لَها بَقَّةَ ، فَنَزَلَ بها وَتَصَيَّدَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ ، وَاسْتَعادَ المَشُورَةَ وَالرَّأْيَ من أَصْحابِه ، فَسَكَتَ القومُ ، وافْتَتَحَ قَصيرٌ الكَلامَ ، فقالَ : أَيُّها المَلِكُ ، كُلُّ عَزْمٍ لا يُؤَيَّدُ بِحَزْمٍ ، فإِلَى أَيْنَ يَكُونُ كَوْنُهُ ؟ فَلا تَثِقْ بِزُخْرُفِ قَوْلٍ لا مَحْصُولَ لَهُ ، وَلا تَقْذفِ الرَّأْيَ بالهَوى فَيفسدَ ، وَلا الحَزْمَ بالمُنى فَيبعدَ ؛ وَالرَّأْيُ عِندي للمَلِكِ أَنْ يَعْتَقِبَ أَمْرَهُ بالتَّثَبُّتِ ، وَيَأْخُذَ حَذَرَهُ بالتَّيَقُّظِ ؛ ولَوْلا أَنَّ الأُمورَ تَجري بالمَقْدُورِ ، لَعَزَمْتُ على المَلِكِ عَزْماً بَتّاً أَنْ لا يَفْعَلَ .

فَأَقْبَلَ جَذيمةُ على الجَماعَةِ ، وَقالَ : ما عِنْدَكُمْ أَنْتُمْ في هذا الأَمْرِ ؟ فَتكلَّمُوا بِحَسَبِ ما عَرفُوا من رَغْبَتِهِ في ذلكَ ، وَصَوَّبُوا رَأْيَهُ ، وَقَوَّوْا عَزْمَهُ ؛ فقالَ جَذيمةُ : الرَّأْيُ مَع الجَماعَةِ ، وَالصَّوابُ ما رَأَيْتُم . فقالَ قَصيرٌ : أَرى القَدَرَ يُسابِقُ الحَذَرَ ، فَلا يُطاعُ لِقَصيرٍ أَمْرٌ ؛ فأَرْسَلَها مَثَلاً .

ثم سارَ جَذيمةُ ، فلمَّا قَرُبَ من دِيارِ الزَّبَّاءِ ، أَرْسَلَ إِلَيْها يُعْلِمُها بمَجِيئِهِ ، فأَظْهَرَتِ السُّرُورَ بِهِ والرَّغْبَةَ فِيهِ ، وَأَمَرَتْ بحَمْلِ المِيْرَةِ إِلَيْه ، وَقالَتْ لِجُنْدِها وَلِخاصَّةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِها وعامَّةِ أَهْلِ دَوْلَتِها وَرَعِيَّتِها : تَلَقَّوْا سَيِّدَكُم وَمَلِكَ دَوْلَتِكُمْ ؛ فعادَ الرَّسُولُ إِلَيْه بِالجَوابِ ، وَأَخبرَهُ بما رَأَى وَسَمِعَ .

فلمَّا أَرادَ جَذيمةُ أَن يَسيرَ ، دَعَا قَصيراً وقالَ : أَنتَ على رَأْيِكَ ؟ قالَ : نَعم ، وَقد زادَتْ بَصيرَتي فِيهِ ؛ أَفَأَنْتَ على عَزْمِكَ ؟ قالَ : نَعم ، وَقَدْ زادَتْ رَغبتي فِيه . فقالَ قَصيرٌ : لَيْسَ للدَّهْرِ بصاحِبٍ مَن لَمْ يَنْظُرْ في العَواقِبِ ؛ فَأَرْسَلَها مَثَلاً . ثمَّ قالَ : وَقَدْ يُسْتَدْرَكُ الأَمْرُ قبلَ فَوْتِهِ ، وَفي يَدِ المَلِكِ بَقِيَّةٌ هو بها مُسَلَّطٌ على اسْتِدْراكِ الصَّوابِ ، فإِنَّكَ إِنْ وَثِقْتَ بأَنَّكَ ذُو مُلْكٍ وَسُلْطانٍ ، وَعَشيرَةٍ وَأَعوانٍ ، فإِنَّكَ قد نَزَعْتَ يَدَكَ من سُلطانِكَ ، وفارَقْتَ عَشيرَتَكَ

وَأَعْوانَكَ ، وَأَلْقَيْتَها في يَدِ مَن لَسْتُ آمَنْ عَلَيْكَ مَكْرَهُ وَغَدْرَهُ ؛ فإِنْ كُنْتَ ولا بُدَّ فاعِلاً ، وَلِهَواكَ تابعاً ، فإِنَّ القَوْمَ إِنْ يَلْقَوْكَ غداً رَزْدَقاً واحِداً ، وقامُوا لكَ صَفَّيْنِ ، حتَّى إذا تَوَسَّطْتَهُم أَطْبَقُوا عليْكَ من كلِّ جانبٍ ، وَأَحْدَقُوا بكَ ، فقدَ مَلَكُوكَ وصِرْتَ في قَبْضَتِهِم ؛ وَهَذِهِ العَصَا لا يُشَقُّ غُبارُها ـ وكانَ لِجَذيمةَ فَرَسٌ تَسْبِقُ الطَّيْرَ وتُجارِي الرِّياحَ ، يُقالُ لَها العَصا ـ فإذا رَأَيْتَ الأَمْرَ كذلكَ ، فَتَجَلَّلْ ظَهْرَها ، فهيَ ناجِيَةٌ بكَ إِنْ مَلَكْتَ ناصِيَتَها ؛ فسمعَ جَذيمةُ كلامَهُ ولَمْ يَرُدَّ جَوابَهُ ، وَسَارَ .

وكانَتِ الزَّبَّاءُ ـ لمَّا رَجَعَ رَسولُ جَذيمة من عِنْدِها ـ قالَتْ لِجُنْدِها : إذا أَقْبَلَ جَذيمةُ غَداً ، فَتَلَقَّوْهُ بأَجْمَعِكُم ، وقُومُوا له صَفَّيْنِ عن يَمِيْنِهِ وَعن شِمالِهِ ، فإذا تَوَسَّطَ جَمْعَكُمْ ، فانْقَضُّوا عَلَيْهِ من كُلِّ جانِبٍ حتَّى تُحْدِقُوا بِهِ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَفُوتَكُمْ .

وَسَارَ جَذيمةُ وَقَصيرٌ عن يَمينِهِ ، فلمَّا لَقِيَهُ القَوْمُ رَزْدَقاً واحِداً ، قامُوا لَهُ صَفَّيْنِ ، فلمَّا تَوَسَّطَهُمْ انْقَضُّوا عليْهِ من كُلِّ جانِبٍ ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ قد مَلَكُوهُ ، وَكانَ قَصيرٌ يُسايِرُهُ ، فَأَقبلَ جَذيمةُ عليهِ ، وقالَ : صَدَقْتَ يَا قَصيرُ . فقالَ قَصيرٌ : أَبْطَأْتَ بالجَوابِ حَتَّى فَاتَ الصَّوابُ : فَأَرْسَلَها مَثَلاً ؛ هَذِهِ العَصَا فَدُونَكَها ، لَعَلَّكَ تَنْجُو بها . فَأَنِفَ جَذيمةُ من ذَلكَ ، وسارَتْ بِهِ الجُيُوشُ .

فلَمَّا رأَى قَصيرٌ أَنَّ جَذيمةَ قد اسْتَسْلَمَ لِلأَمْرِ وَأَيْقَنَ بِالقَتْلِ ، جمعَ نَفْسَهُ وَوَثَبَ على ظَهْرِ العَصَا .

وقالَ ابنُ هِشامٍ : إِنَّ قَصيراً قَدَّمَ العَصَا إِلى جَذيمةَ ، فَشُغِلَ عنها جَذيمةُ بنَفْسِهِ ، فَرَكِبَها قَصيرٌ وأَعْطاها عِنانَها ، وَزَجَرَها فَذَهَبَتْ تَهْوِي بِهِ هُوِيَّ الرِّيْحِ ، فنظَرَ إِليهِ جَذيمةُ وَهِيَ تَطاوَلُ بِهِ ؛ وَأَشْرَفَتْ عَليهِ الزَّبَّاءُ من قَصرِها ، فقالَتْ لَهُ : ما أَحْسَنَكَ من عَرُوسٍ تُجْلى عليَّ وَتُزَفُّ إِليَّ ؛ حتَّى دَخلُوا بِهِ على الزَّبَّاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قَصْرِها إِلاَّ جَوارٍ أَبْكارٌ أَتْرابٌ ، وَهيَ جالِسَةٌ على سَرِيرِها ، وَحَوْلَها

أَلْفُ وَصيفَةٍ ، كُلٌّ واحِدَةٍ لا تُشْبِهُ صاحِبَتَها في خَلْقٍ وَلا زِيٍّ ، وَهيَ بينهنَّ كَأَنَّها قَمرٌ قد حَفَّتْ بِهِ النُّجُومُ .

قَالَ ابْنُ هِشامٍ : وَكانَتِ الزَّبَّاءُ قد رَبَّتْ شَعْرَ عانَتِها حَوْلاً ، فلمَّا دَخَلَ علَيْها جَذيمةُ تَكَشَّفَتْ لَهُ وَقالتْ : أَمتاعَ عَرُوسٍ تَرَى ؟ فقالَ : بَلْ مَتاعُ أَمَةٍ بَظْراءَ ؛ فَأَمَرَتْ بِهِ ، فأُجْلِسَ عَلَى نِطْعٍ .

وَقيلَ : إِنَّهُ لَمَّا أُدخِلَ عَلَيْهَا ، أَمَرَتْ بالأَنْطاعِ فَبُسِطَتْ ، وَقالَتْ لِوَصائِفِها : خُذْنَ بِيَدِ سَيِّدِكُنَّ ، وَبَعْلِ مَوْلاتِكُنَّ ؛ فَأَخَذْنَ بيَدِهِ وَأَجْلَسْنَهُ على الأَنْطاعِ بحيثُ تَراهُ وَيَراها ، وَتَسْمَعُ كَلامَهُ وَيَسْمَعُ كَلامَها ، ثمَّ أَمَرَتِ الجَوارِيَ فَقَطَّعْنَ رواهِشَهُ ، وَوَضَعْنَ الطِّسْتَ بَيْنَ يَدَيْه ، فَجَعَلَتْ دِماؤُهُ تَشْخَبُ في الطِّسْتِ ، فقطَرَتْ قَطْرَةٌ على النِّطعِ ، فقالَتْ لِجواريها : لا تُضَيِّعُوا دَمَ المَلِكِ . فقالَ جَذيمةُ : لا يَحْزُنْكِ دَمٌ أَراقَهُ أَهْلُهُ . فقالَتْ : وَاللهِ ما وَفَى دَمُكَ ، وَلا شَفَى قَتْلُكَ ، ولكِنَّهُ غَيْضٌ من فَيْضٍ ؛ فَأَرْسَلَتْها مَثَلاً ؛ فلمَّا قَضَى أَمَرَتْ به فَدُفِنَ .

وَأَمَّا عَمْرٌو فكانَ يَخرجُ كُلَّ يَوْمٍ إِلى ظَهْرِ الحِيْرَةِ يَطلبُ الخَبَرَ ، وَيَقْتَفِي من حالِهِ الأَثَرَ ، فَخرجَ ذاتَ يوم فإذا فارِسٌ قد أَقْبلَ تَهْوي بِهِ الفَرَسُ هُوِيَّ الرِّيْحِ ، فقالَ عَمرو بن عَدِيٍّ : أَمَّا الفَرَسُ ففَرَسُ جَذيمةَ ، وَأَمَّا الرَّاكِبُ فَكَالبَهيمَةِ ؛ لأَمْرٍ ما جاءَتِ العَصَا ؛ فَأَرْسَلَها مَثَلاً . فَأَشْرَفَ قَصيرٌ ، فقالَ : ما وَراءَكَ ؟ قالَ : سَعى القَدَرُ بالمَلِكِ إِلى حَتْفِه ، عَلَى الرَّغْمِ من أَنْفي وَأَنْفِه ، ثم قالَ لِعَمرو بن عَدِيٍّ : اطلُبْ بثَأْرِكَ من الزَّبَّاءِ ، فقالَ عمرٌو : وَأَيُّ ثَأْرٍ يُطْلَبُ من الزَّبَّاءِ ، وَهيَ أَمْنَعُ من عُقابِ الجَوِّ ؟ فَأَرْسَلَها مَثَلاً . فقالَ لَهُ قَصيرٌ : قد عَلِمْتَ نُصْحِي لِخالِكَ ، وَكَانَ الأَجَلُ طالِبَهُ ، وَأَنَا وَاللهِ لا أَنامُ عن الطَّلَبِ بدَمِه ، ما لاحَ نَجْمٌ أَوْ طَلَعَتْ شَمْسٌ ، أَوْ أُدْرِكَ بِهِ ثَأْراً أَوْ تُخْتَرَمَ نَفْسِي فَأُعْذَرَ ؛ ثمَّ إِنَّهُ عَمَدَ إِلى أَنْفِهِ فَجدَعَهُ .

وَقالَ ابْنُ هِشام : إِنَّ قَصيراً قالَ لِعَمرٍو : اجْدَعْ أَنفِي ، واقْطَعْ أُذُنِي ، واضْرِبْ ظَهْرِي حتَّى يُؤَثِّرَ فيه ، وَدَعْنِي وإِيَّاها . فَفَعَلَ بِهِ عَمرٌو ذلكَ .

وَذَكَرَ الأَخباريُّونَ : أَنَّ عَمْراً أَبي عَليهِ ، فَفَعَلَ هُوَ بِنَفْسِهِ ذلكَ ، فقيلَ : لأَمْرٍ ما جَدَعَ قَصيرٌ أَنْفَهُ .

قالَ ابْنُ الجَوزيِّ : ثمَّ إِنَّ قَصيراً لَحِقَ بالزَّبَّاءِ هارِباً من عَمرو بن عَدِيٍّ ، فقيلَ لَها : هذا قَصيرٌ ابْنُ عَمِّ جَذيمةَ ، وخازِنُهُ ، وَصاحِبُ أَمْرِهِ ، قد أَتاكِ هارِباً ؛ فَأَذِنَتْ لهُ وقالَتْ : ما الذي جَاءَ بكَ إِلَيْنَا يَا قَصِيرُ ، وَبينَنا وَبَيْنَكَ دَمٌ عَظِيمُ الخَطَرِ ؟ فقالَ : يَا ابْنَةَ المُلُوكِ العِظامِ ، لَقد أَتَيْتُ فِيما يأْتي فِيهِ مِثْلِي إِلى مِثْلِكِ ؛ وَلَقَدْ كان دَمُ المَلِكِ ـ يَعْني أَباها ـ يَطْلُبُ جَذيمةَ حتَّى أَدْرَكَهُ ؛ وَقَدْ جِئْتُكِ مُسْتَجِيراً من عَمرو بن عَدِيٍّ ، فإِنَّهُ اتَّهَمَني بخالِهِ لِمَشُورَتي عَليهِ في المَسيرِ إِليكِ ؛ فَجَدَعَ أَنْفِي ، وَأَخَذَ مالي ، وَجَلَدَ ظَهْرِي ، وَقَطَعَ أُذُنَيَّ ، وَحالَ بيني وَبينَ وَلَدِي وَأَهلي ، وَتَهَدَّدَنِي بالقَتْلِ ، وَإِنِّي خَشيتُ على نَفْسِي ، فَهَرَبْتُ منهُ إِلَيْكِ ، وَأَنا مُستجيرٌ بكِ ، وَمُستندٌ إِلى كَنَفِ عِزِّكِ . فقالَتْ لَهُ : أَهْلاً وَسَهْلاً ، لَكَ حَقُّ الجِوارِ وَذِمَّةُ المُستجيرِ . وَأَمَرَتْ بِهِ فأُنْزِلَ ، وَأَجْرَتْ لَهُ النَّفقاتِ ، وَوَصَلَتْهُ وَكَسَتْهُ وَأَخْدَمَتْهُ ، وَزادَتْ في إِكْرامِهِ ، فَأَقامَ مُدَّةً لا يُكَلِّمُها ولا تُكَلِّمُهُ ، وَهُوَ يَطْلُبُ الحِيَلَ عَليها ومَوْضِعِ الفُرْصَةِ مِنْها .

وكانَتْ مُمتنعةً بِقَصْرٍ مَشيدٍ على بابِ النَّفَقِ ، تَعْتَصِمُ بِهِ فَلا يَقدرُ أَحدٌ عَلَيْها ، فقالَ لَها قَصيرٌ يَوْماً : إِنَّ لِي في العِراقِ مالاً كَثيراً ، وَذَخائِرَ نَفيسَةً مِمَّا يَصْلُحُ لِلمُلُوكِ ، فإِذا أَذِنْتِ لِي في الخُرُوجِ إِلى العِراقِ ، وَأَعْطَيْتِني شَيْئاً أَتَعَلَّلُ بِهِ في التِّجارَةِ ، وَأَجْعَلُهُ سَبَباً إِلى الوُصُولِ إِلى مالِي ، أَتَيْتُكِ بِمَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ من ذَلِكَ . فَأَذِنَتْ لَهُ ، وَأَعْطَتْهُ مالاً ، فَقَدِمَ بِهِ إِلى العِراقِ ، وَأَخَذَا مالاً جَزيلاً ، ثمَّ رَجَعَ إِلى الزَّبَّاءِ ، وَقَدِ اسْتَصْحَبَ من طَرائِفِ العِراقِ وَلَطائِفِها ، وزادَها مالاً كثيراً إِلى مالِها .

قالَ : فلَمَّا قَدِمَ عَلَيْها أَعْجَبَها ذَلِكَ وَأَبهَجَها ، وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ عندَها ، ثمَّ إنَّه عادَ إلى العِراقِ ثانيةً ، وَقَدِمَ عَليها بأَكثر من النَّوْبَةِ الأُولى ، وزادَها أَضْعافاً من الجَوْهِرِ والخَزِّ والبَزِّ وَالقَزِّ والدِّيباجِ ، فازْدادَ مكانُه منها ، وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَها وَرَغْبَتُها فِيهِ .

وَلَمْ يَزَلْ قَصيرٌ يَتَلَطَّفُ في الحِيْلَةِ حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَ النَّفَقِ الذي تَحْتَ الفُراتِ ، والطَّريقَ إلَيْهِ ؛ ثمَّ خَرَجَ ثالِثَةً ، فَقَدِمَ بأَكْثَرَ من المَرَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ طرائِفَ وَلَطائِفَ ؛ فبلَغَ مَكانَةً عَظيمةً منها ، حتَّى إنَّها كانَتْ تَسْتَعينُ بِهِ في مَهَمَّاتِها ، وَاسْتَرْسَلَتْ إلَيْهِ ، وَعَوَّلَتْ في أُمُورِها عَلَيْهِ ؛ وَكانَ قَصيرٌ رَجُلاً حَسَنَ العَقْلِ والوَجْهِ ، أَديباً لَبيباً ؛ فقالَتْ لَهُ يَوْماً : إنِّي أُريدُ أَنْ أَغْزُوَ البَلَدَ الفُلانِيَّةَ من أَرْضِ الشَّامِ ، فاخْرُجْ إلى العِراقِ وائْتِنِي بكذا وَكَذَا من الدُّرُوعِ والكُراعِ والعَبيدِ والثِّيابِ . فَقالَ قَصيرٌ : لي بِبِلادِ عَمرو بن عَدِيٍّ أَلفُ بَعيرٍ ، وخِزانَةٌ من المَالِ ، وَخِزانَةٌ من السِّلاحِ فِيْها كَذَا وَكَذَا ، وَما لِعَمرٍو بها من عِلْمٍ ، وَلَوْ عَلِمَ بها لأَخَذَها واسْتَعانَ بها على حَرْبِ المَلِكَةِ ، وَقَد كُنْتُ أَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ ، وَها أَنا أَخْرُجُ مُتَنَكِّراً من حيثُ لا يَعلمُ ، فآتي المَلِكَةَ بذلكَ مع الذي سَأَلَتْ ؛ فَأَعْطَتْهُ من المالِ ما أَرادَ ، وقالَت : يا قَصيرُ ، المُلْكُ يَحْسُنُ بِمِثْلِكَ ، وَعَلَى يَدِ مِثْلِكَ يَصْلُحُ أَمْرُهُ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ جَذيمةَ كان إيرادُهُ وإِصْدارُهُ إلَيْكَ ؛ وَما أُقَصِّرُ بكَ عن شَيْءٍ تَنالُهُ يَدِي ، ولا يَقعُدْ بكَ حالٌ تَنْهضُ بي ؛ فَسَمِعَ كلامَها رجلٌ من خاصَّةِ قَوْمِها ، فقالَ : إنَّهُ أَسَدٌ خادِرٌ وَلَيْثٌ ثائِرٌ ، قد تَحفَّزَ لِلْوَثْبَةِ .

وَلَمَّا عرفَ قَصيرٌ مَكانَهُ منها ، وَتَمَكُّنَهُ من قَلْبِها ، قالَ : الآنَ طَابَ الخِداعُ ؛ وخَرَجَ من عِنْدِها فأَتى عمرَو بن عَدِيٍّ ، فقالَ : قد أَصَبْتُ الفُرْصَةَ من الزَّبَّاءِ ، فقالَ لَهُ عَمرٌو : قُلْ أَسْمَعْ ، وَمُرْ أَقْبَلْ ، فأَنْتَ طَبيبُ هذهِ القُرْحَةِ . فقالَ : الرِّجالُ وَالأَمْوالُ . فقالَ عَمْرٌو : حُكْمُكَ فِيما عِنْدِي مُسَلَّطٌ . فَعَمَدَ إلى

أَلْفَيْ رَجُلٍ من فُتَّاكِ قَوْمِهِ ، وَصَنادِيدِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَحَمَلَهُمْ على أَلْفِ بَعيرٍ في الغَرائِرِ السُّودِ بالأَسْلِحَةِ ، وَجَعَلَ رُبُطَها من داخِلِ الجُوالِقِ ، وَكانَ عمرٌو منهم ، وساقَ الخَيْلَ والكُراعَ والسِّلاحَ والإِبلَ مُحَمَّلَةً .

قَالَ ابْنُ هِشامٍ : فَكانَ يَسيرُ اللَّيْلَ ويَكْمُنُ بالنَّهارِ ، وكانَتِ الزَّبَّاءُ قد صُوِّرَ لَها عَمرٌو قائِماً وقاعِداً وراكِباً ؛ وَعُمِّيَ عليها أَمْرُ قَصيرٍ ، فسأَلَتْ عَنهُ ، فقيلَ : أَخَذَ الغُوَيْرَ ؛ فقالَتْ : عَسى الغُوَيْرُ أَبْؤُساً ؛ فأَرْسَلَتْها مَثَلاً . وَعَسى في المَثَلِ : بمِعنى صارَ ، ولذلكَ أَتى الخَبَرُ بِغَيرِ الفِعْلِ .

فلَمَّا قَدِمَ قَصيرٌ ، دَخَلَ على الزَّبَّاءِ ، وَكانَ قد تَقَدَّمَ على العِيْرِ ، فقالَ لها : قِفي وانْظُري إِلى العِيْرِ ؛ فَصَعَدَتْ على سَطْحِ قَصْرِها ، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلى العِيْرِ مُثْقَلَةً بِحمْلِ الرِّجالِ ، فقالَتْ : يَا قَصيرُ : [من الرجز]

مَــا لِلْجِمَــالِ مَشْيُهــا وَئِيْــدا   أَجَنْــدَلاً يَحْمِلْــنَ أَمْ حَــديــدا
أَمْ صَــرَفــانــاً بــارِداً شَــديــداً   أَمِ الــرِّجــالَ جُثَّمــاً قُعُــودا ؟

وَكانَ قَصيرٌ قد وَصَفَ لِعَمرٍو الزَّبَّاءَ وَشَأْنَ النَّفَقِ ، فلمَّا دَخَلَتِ العِيْرُ المَدينَةَ ، وَكانَ على بابِ الزَّبَّاءِ بَوَّابُونَ من النَّبَطِ ، وفيهم رَجُلٌ بِيَدِهِ مِخْصَرَةٌ ، فَطَعَنَ جُوالِقاً ، فأَصابَتِ المِخْصَرَةُ رَجُلاً منهم فَضَرَطَ ، فقالَ البَوَّابُ بالنَّبَطِيَّةِ : بِشْتا بِشْتا ، أَي الشَّرَّ الشَّرَّ ؛ فاسْتَلَّ قَصيرٌ سَيْفَهُ وَضَرَبَ بِهِ البَوَّابَ فقتَلَهُ .

وَكانَ عَمرٌو على فَرَسِهِ ، فدَخَلَ الحِصْنَ عَقِبَ الإِبلِ ، وَحَلَّ الرِّجالُ الجُوالِقَ ، فَظَهرُوا في المَدينَةِ ، وَوَقَفَ عَمرٌو على بابِ النَّفَقِ ، فلمَّا رَأَتِ الزَّبَّاءُ عَمراً بالصِّفَةِ ، فَمَصَّتْ خاتَماً في يَدِها مَسْمُوماً . وقالَتْ : بِيَدِي لا بِيَدِ عَمْرٍو ، فماتَتْ ؛ وَيُقالُ : إِنَّ عَمراً قَتَلَها بالسَّيْفِ .

وَقالَ ابْنُ الجَوزيِّ : إِنَّ الزَّبَّاءَ لَمَّا رَأَتِ الإِبلَ تَتَهادَى بِأَحْمالِها ، ارْتابَتْ بِها ، وَكانَ قد وُشِيَ بِقَصيرٍ إِليها ، فَقَدَحَ ما رَأَتْ من كَثْرَةِ الإِبِلِ وَعِظَمِ أَحْمالِها

في نَفْسِها مَع ما عِنْدَها من قَوْلِ الواشِي بِهِ ، فقالَتْ :

أَرَى الجِمالَ مَشْيَها وَئِيدا

إلاّ أَنَّهُ ذَكَرَ عَوِضَ * أَمِ الرِّجالَ جُثَّماً قُعُودا : أَمِ الرِّجالَ في الغِرارِ السُّودا *

ثم قالَتْ لِجَوارِيها : أَرَى المَوْتَ الأَحْمَرَ في الغَرائِرِ السَّوْداءِ . فَذَهَبَتْ مَثَلاً ؛ وَذَكَرَ القِصَّةَ إلى آخِرِها ، فاحْتَوى عَمرٌو على بِلادِها .

● وَالزَّبَّاءُ : اسْمُها نائِلة ، في قَوْلِ محمَّد بن جَرير الطَّبريّ ، ويَعقوب بن السِّكِّيت ، وَاسْتَشْهَدَ ابنُ جَريرٍ الطَّبريّ[1] بِقَوْلِ الشَّاعِرِ[2] : [من الوافر]

أَتَعْــرِفُ مَنْــزِلاً بَيْــنَ المُنَقَّــى   وَبَيْــنَ مَجَــرِّ نــائِلَــةَ القَــديــمِ

وَمَيسونُ ، في قَوْلِ ابْنِ دُريدٍ ؛ وَفارِعَة ، فِي قَوْلِ ابْنِ هِشامٍ وابْنِ الجَوزيِّ وَغَيْرِهما كَما تَقَدَّمَ .

● قُلْتُ : وفي « النِّهايةِ » لابنِ الأَثيرِ[3] : أَنَّ قَوْماً من الجِنِّ تَذاكَرُوا عِيافَةَ بَني أَسَدٍ وَوَصْفِهِم بِها ، فأَتَوْهُم فقالُوا : ضَلَّتْ لَنا ناقَةٌ ، فَلَوْ أَرْسَلْتُم مَعَنا مَن يَعيفُ ؛ فقالُوا لِغُلامٍ لَهم : انْطَلِقْ مَعَهم . فَاسْتَرْدَفَهُ أَحَدُهُم ، ثمَّ سارُوا ، فَلَقِيَهُمْ عُقابٌ كاسِرَةٌ إِحْدى جَناحَيْها ، فاقْشَعَرَّ الغُلامُ وَبَكى ، فقالُوا : ما لَكَ يا غُلامُ ؟ فقالَ : كَسَرَتْ جَناحاً ، وَرَفَعَتْ جَناحاً ، وَحَلَفَتْ بِاللهِ صُراحاً ، ما أَنْتَ بِإِنْسِيٍّ ولا تَبْغِي لِقاحاً .

● وَقالُوا : « أَطْيَرُ من عُقابِ الجَوِّ »[4] . وَ« أَبْصَرُ من عُقابٍ »[5] .

---

(١) والمرزبانيّ في معجم الشُّعراء ٢٠٨ .

(٢) البيت للقعقاع بن الدَّرماء الكلبيّ ، في تاريخ الطَّبريّ ١/ ٦١٨ ومعجم الشُّعراء ٢٠٨ وديوان بني كلب ١/ ١٤٦ .

(٣) النِّهاية ٣/ ٣٣٠ ونثر الدر ٧/ ٢٣٦ وبهجة المجالس ٢/ ١٧٥ .

(٤) الميدانيّ ١/ ٤٣٨ وحمزة ١/ ٢٨٨ والعسكري ٢/ ٢٣ والزَّمخشريّ ١/ ٢٣٠ .

(٥) حمزة ١/ ٧٧ والعسكريّ ١/ ٢٣٩ .

و« أَحْزَمُ من عُقابٍ »[1] .

فإِنْ قِيلَ : ما حَزْمُهُ ؟ قيلَ : إِنَّهُ يَخْرُجُ من بَيْضَتِهِ على رَأْسِ جَبَلٍ عَالٍ ، فَلا يَتَحَرَّكُ حتَّى يَتكامَلَ رِيْشُهُ ؛ وَلَوْ تَحَرَّكَ لَسَقَطَ .

ويُقالُ أَيْضاً : « أَسْمَعُ من فَرْخِ عُقابٍ »[2] ، وَ« أَعَزُّ من عُقابِ الجَوِّ »[3] .

عَجيبَةٌ : نَقَلَ ابْنُ زُهْرٍ عن أَرسطاطاليس : أَنَّ العُقابَ تَصيرُ حِدَأَةً ، وَالحِدَأَةُ عُقاباً ، يَتَبادَلانِ في كُلِّ سَنَةٍ ! .

الخَواصُّ[4] : قَالَ صاحِبُ « عَينِ الخَواصِّ » : قال عطارِدُ بنُ محمَّد : إِنَّ العُقابَ يَهربُ من الصَّبِرِ ، وإِذا شَمَّ رائِحَتَهُ غُشِيَ عَليهِ .

وَرِيْشُ العُقابِ إِذا دُخِّنَ بِهِ البَيْتُ ، ماتَتْ حَيّاتُهُ .

وَمَرارَتُهُ تَنْفَعُ من الظُّلْمَةِ وَالمَاءِ الذي في العَيْنَيْنِ اكْتِحالاً . قالَهُ القَزوينيُّ .

التَّعبيرُ[5] : العُقابُ تَدُلُّ رُؤيتُهُ لِمَنْ هُوَ في حَرْبٍ : على النَّصْرِ والظَّفَرِ على الأَعْداءِ ، لأَنَّها كانَت رايَةَ النَّبيِّ ﷺ .

والعُقابُ : تَدُلُّ عَلى العِقَابِ لِمَنْ حَلَّ عِنْدَهُ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ مَلَكَ عُقاباً ، أَوْ نَسْراً ، وَتَحَكَّمَ عليْهِ : نالَ عِزّاً وسُلطاناً

---

(١) صواب المثل : أَحزم من فرخ العقاب . الميداني ١/ ٢٢١ وحمزة ١/ ١٦٥ والعسكري ١/ ٤٠٦ والزمخشريّ ١/ ٦٥ وثمار القُلوب ٢/ ٦٦٦ والحيوان ٧/ ٢٤ والتمثيل والمحاضرة ٣٦٥ .

(٢) الميدانيّ ١/ ٣٥٥ والزمخشري ١/ ١٧٣ .

(٣) الميدانيّ ٢/ ٥٤ وحمزة ١/ ٢٩٧ والعسكريّ ٢/ ٣٣ والزمخشريّ ١/ ٢٤٦ .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٨٠ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٨٤ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٢٩ وتذكرة داود ١/ ٢٣٩ .

(٥) تعبير الرُّؤيا ٩٨ و ١٩٠ وتفسير الواعظ ٢٩٥ .

وَنُصْرَةً على عَدُوِّهِ ، وَعاشَ عُمراً طَويلاً ، فإن كان الرائي من أَهْلِ الجِدِّ والاجْتِهادِ ، انْقَطَعَ عنِ النّاسِ واعْتَزَلَهُم ، وعاشَ مُنْفَرِداً لا يَأْوِي إلى أَحَدٍ ؛ وإِنْ كان مَلِكاً : اصْطَلَحَ معَ الأَعْداءِ ، وَأَمِنَ من شَرِّهِم وَمكايِدِهم ، وَانْتَفَعَ بِمَا عِنْدَهم من السِّلاحِ والمالِ ، لأَنَّ أَرْياشَها السِّهامُ ، وَهيَ أَموالٌ أَيضاً ؛ وَصِغارُها : أَولادُ زِنا . قالَهُ ابْنُ المُقرِئ .

وَقالَ المَقدسيُّ : من رَأَى عُقاباً ضَرَبَهُ بِمَخالِبِهِ : نَالَهُ شِدَّةٌ في مالِهِ .

وَأَكْلُ لَحْمِ العُقابِ : يَدُلُّ على الحِرْصِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤيتُهُ ـ أَعْني العُقابَ ـ على رَجُلٍ صاحِبِ حَرْبٍ ، لا يَأْمَنُهُ قَرِيبٌ ولا بَعيدٌ .

وإِذا رُؤِيَ على سَطْحٍ ، أَو دارٍ ، أَو بيتٍ ، فهو مَلَكُ المَوْتِ .

وَمَنْ رَكِبَ عُقاباً في مَنامِهِ ، وَكانَ فَقيراً : نَالَ خَيْراً ؛ وإِنْ كان غَنِيّاً ، أَو من أَشْرافِ النَّاسِ فإِنَّهُ يَموتُ ؛ لأَنَّ في الزَّمانِ المتقدِّمِ كانُوا يُصَوِّرُونَ صُورَةَ المَيِّتِ من الأَغنياءِ والأُمراءِ على صُورَةِ عُقابٍ .

وَمَنْ رَأَتْ من النِّساءِ كَأَنَّها وَلَدَتْ عُقاباً : اتَّصَلَ وَلَدُها بِالمَلِكِ ، في خِدْمَةٍ أَو صِراعٍ . وَاللهُ أَعلمُ .

٦٥٣ العَقِدُ : الجَمَلُ القَصيرُ القَوائِمِ ، الطَّويلُ السَّنامِ ، فإِذا مَشَى مع الجِمالِ قَصُرَ عن طُولِها ، وإِذا بَرَكَ مَعَها طالَها لِطُولِ سَنامِهِ ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ ثَعْلَبَةُ[1] : [من الرجز]

أَرْسَلْتُ فِيها جَمَلاً لُكالِكا ... يَقْصُرُ مَشْياً وَيَطُولُ بارِكا

(١) الشَّطران في اللِّسان والتَّاج « لكك » والمعرّب ٢٠٠ . والثَّاني مع آخر قبله في المعانِي الكبير ١/ ٢٤٠ بلا نسبة .

٦٥٤ **العِقالُ** : القَلُوصُ الفَتِيَّةُ . والعِقالُ : زَكاةُ العامِ من الإِبلِ والغَنَمِ .

قالَ الشّاعِرُ(١) : [من البسيط]

سَعى عِقالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لنا سَبَداً ... فَكَيْفَ لو قد سَعى عَمرٌو عِقالَيْنِ

٦٥٥ **العَقْرَبُ** : دُوَيْبَّةٌ من الهَوامِّ ، يَكونُ الذَّكَرُ والأُنثى بِلَفْظٍ واحِدٍ : واحِدَةُ العَقارِبِ ، وَقَدْ يُقالُ للأُنْثى عَقْرَبَةٌ وَعَقْرباءُ ، مَمْدُودٌ غيرُ مَصْرُوفٍ ؛ وَيُصَغَّرُ على عُقَيْرِبٍ ، كما تُصَغَّرُ زَيْنَبُ على زُيَيْنِبٍ .

وَالذَّكَرُ : عُقْرُبانٌ ، بِضَمِّ العَيْنِ والرَّاءِ ، وَهُوَ دَابَّةٌ لَهُ أَرْجُلٌ طِوالٌ ، ولَيْسَ ذَنَبُهُ كَذَنَبِ العَقارِبِ ؛ قالَ الشّاعِرُ(٢) : [من السريع]

كَأَنَّ مَرْعَى أُمِّكُمْ إِذْ غَدَتْ ... عَقْرَبَةٌ يَكُومُها عُقْرُبانْ

أَي يَنْزُو عليها . وَمَكانٌ مُعَقْرِبٌ ـ بِكَسْرِ الرَّاءِ ـ ذُو عَقارِبَ ؛ وَصُدْغٌ مُعَقْرَبٌ ـ بِفَتْحِ الرَّاءِ ـ أَي مَعطُوفٌ(٣) .

وَكُنْيَتُها(٤) : أُمُّ عِرْيَطٍ ، وَأُمُّ ساهِرَةٍ ؛ وَاسْمُها بِالفارِسِيَّةِ : الرِّشْكُ ، كَما تَقَدَّمَ .

وَمنها السُّودُ والخُضْرُ والصُّفْرُ ، وَهُنَّ قَواتِلُ ، وَأَشَدُّها بَلاءً الخُضْرُ .

وهي(٥) مائِيَّةُ الطِّباعِ ، كَثيرَةُ الوَلَدِ ، تُشْبِهُ السَّمَكَ والضَّبَّ ؛ وعامَّةُ هذا

---

(١) البيت لعمرو بن عروة بن العَدّاء الكلبيّ ، في اللِّسان والتّاجِ « عقل » والنهاية ٣/ ٢٨١ وديوان بني كلب ١/ ٥١٨ . وبلا نسبة في الصِّحاح « عقل » .

(٢) هو إيّاس بن الأَرت الطّائيّ ، والبيت له في الصِّحاح واللِّسان والتّاج « عقرب » والحيوان ٤/ ٢٥٩ وشرح الحماسة للمرزوقيّ ٣/ ١٤٧٤ . ومرعى : اسم أُمّهم .

(٣) إلى هنا عن الصِّحاح « عقرب » ١/ ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٤) المُرَصَّع ٢٤٥ و ٢٠١ وزادَ في ٣٦٩ : وأُمُّ عَيبان ، وأُمُّ فُصْعُل . وَالذَّكر : أَبُو فُصْعُل .

(٥) الحيوان ٥/ ٣٥٧ .

النَّوْعِ ، إذا حَمَلَتِ الأُنثى منهُ يَكُونَ حَتْفُها في وِلادَتِها ، لأَنَّ أَوْلادَها إذا اسْتَوَى خَلْقُها ، تأْكُلُ بَطْنَها وَتَخْرُجُ ، فَتموتُ الأُمُّ ؛ وَأَنْشدُوا قَوْلَ الشَّاعِرِ[1] : [من الطويل]

وَحـامِلَـةٍ لا يَكْمُـلُ الـدَّهْـرَ حَمْلُهـا   تَمُوتُ وَيَنْمَى حَمْلُها حِينَ تَعْطَبُ

وَالجاحظُ لا يُعجبهُ هذَا القَوْلُ ، ويقولُ[2] : قد أَخبرَني من أَثِقُ بِهِ أَنَّهُ رأى العَقْرَبَ تَلِدُ من فيها ، وَتَحملُ أَوْلادَها على ظَهْرِها ، وَهيَ على قَدْرِ القَمْلِ ، كَثيرةُ العَدَدِ .

قُلتُ : والذي ذَهبَ إِليهِ الجاحِظُ هُو الصَّوابُ .

وَالعَقْرَبُ أَشَدُّ ما تَكُونُ ، إذا كانَت حامِلاً ؛ وَلَها ثَمانيةُ أَرْجُلٍ ، وَعَيْناها في ظَهْرِها .

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِها : أَنَّها لا تَضْرِبُ المَيِّتَ ولا النَّائِمَ ، حَتَّى يَتَحَرَّكَ شَيْءٌ من بَدَنِه ، فإِنَّها عندَ ذلكَ تَضْرِبُهُ .

وَهيَ تَأْوِي إلى الخَنافِسِ وَتُسالِمُها ؛ وَرُبَّما لَسَعَتِ الأَفْعى . فَتموتُ ، وهي تَلْسَعُ بَعْضَها بَعْضاً فَتَموتُ . قالَهُ الجاحِظُ[3] .

● وفي « كِتابِ القَزوينيِّ »[4] : أَنَّ العَقْرَبَ إذا لَسَعَتِ الحَيَّةَ ، فإِنْ أَدْرَكَتْها وَأَكَلَتْها بَرِئَتْ ، وإِلاَّ ماتَتْ .

● وقد أَشارَ إِلى ذلكَ الفَقيه عُمارة اليَمنيِّ في أَبياتِهِ بِقَوْلِهِ[5] : [من الطويل]

---

(١) البيت بلا نسبة في الحيوان ٥/ ٣٥٨ ونهاية الأرب ١٠/ ١٤٧ .
(٢) الحيوان ٥/ ٣٥٨ .
(٣) الحيوان ٥/ ٣٦١ .
(٤) عجائب المخلوقات ٢٩٨ .
(٥) الأبيات في وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٣ . وهي بلا نسبة في المستطرف ٢/ ٥٠١ .

إذا لَـمْ يُسالِمْكَ الزَّمانُ فَحارِبِ   وَباعِدْ إذا لَمْ تَنْتَفِعْ بِالأَقارِبِ
وَلا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعيفِ فَرُبَّما   تَمُوتُ الأَفاعِي من سُمُومِ العَقارِبِ[1]
فَقَدْ هَدَّ قِدْماً عَرْشَ بلقِيسَ هُدْهُدٌ   وَخَرَّبَ فَأْرٌ قَبْلَ ذا سَدَّ مَأْرِبِ
إذا كان رَأْسُ المالِ عُمْرَكَ فاحْتَرِزْ   عَليهِ من الإِنْفاقِ في غَيْرِ واجِبِ[2]
فَبَيْنَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ والصُّبْحِ مَعْرَكٌ   يَكُرُّ عَلَيْنا جَيْشُهُ بِالعَجائِبِ

● وفي « تاريخِ ابْنِ خلّكان » في « تَرْجَمَةِ الفَقيهِ عُمارة بن عليّ بن زَيدان اليَمنيّ »[3] : أَنَّ قاسمَ بنَ هاشمٍ صاحِبَ مَكَّةَ ، وَجَّهَهُ رَسُولاً إلى الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ، فَدَخَلَها في ربيعِ الأَوّل ، سنةَ خَمسينَ وَخَمسمئة . وصاحِبُها يَومئذٍ الفائِزُ ، وَالوَزيرُ الصَّالِحُ بن رُزِّيك ، فأَنْشَدَهُما قَصيدَتَهُ المِيْمِيَّةَ التي أَوَّلُها[4] :

[من البسيط]

الحَمْدُ لِلْعِيْسِ بَعْدَ العَزْمِ والهِمَمِ   [حَمْداً يَقومُ بِمَا أَوْلَتْ من النِّعَمِ]

وفي آخِرِها :

لَيْتَ الكَواكِبَ تَدْنُو لي فَأَنْظُمَها   عُقُودَ مَدْحٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمي
خَليفَةٌ وَوَزيرٌ مَدَّ عَدْلُهُما   ظِلاًّ على مَفْرِقِ الإِسْلامِ وَالأُمَمِ
زِيادَةُ النِّيْلِ نَقْصٌ عِنْدَ فَيْضِهِما   فَما عَسَى نَتَعاطَى مِنَّةَ الدِّيَمِ

فَاسْتَحْسَنا قَصيدَتَهُ ، وَأَجْزَلا صِلَتَهُ ، وَعادَ إِلى مَكَّةَ ثمَّ إِلى زَبيدٍ ، ثم أَعادَهُ

---

(١) في أ : ولا تحقرن كيداً ضعيفاً . . × . وفي ب : ولا تحتقر كيداً ضَعيفاً . . × .
(٢) في أ : × . . من التضييع . . .
(٣) وفيات الأَعيان ٣/ ٤٣٢ .
(٤) القصيدة في : وفيات الأَعيان ٢/ ٤٣٢ والروضتين ٢/ ٣٠٠ وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٦٦ وسير أَعلام النُّبلاء ٢٠/ ٥٩٣ وتاريخ الإسلام ٣٥٢ [وفيات ٥٦١ ـ ٥٧٠] والوافِي بالوفيات ٢٢/ ٣٨٦ ونسمة السّحر ٢/ ٤٥٨ . ولم يرتضِ أَبو شامة في الرَّوضتين ابتداءَهُ بقوله : الحمد للعيس .

صاحِبُ مَكَّةَ رَسُولاً إلى مِصْرَ أيضاً فاسْتَوْطَنَها ، وَأَحْسنَ الصَّالحُ وَبَنوهُ إلَيهِ .

فَلَمَّا مَلَكَ السُّلطانُ صَلاحُ الدِّينِ يوسُف بن أيُّوب ، مَدَحَهُ ومَدَحَ جَماعةً من أَهْلِ بَيْتِهِ ، ثمَّ إنَّهُ شَرَعَ في الاتِّفاقِ مَع جَماعَةٍ من الرُّؤَساءِ على إعادَةِ دَوْلَةِ المِصْرِيِّين ، ووافَقَهم جَماعَةٌ من أُمَراءِ المَلِكِ النَّاصِرِ ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهم على اسْتِدْعاءِ الفِرَنْجِ من صِقِلِّية وَمن سَواحِلِ الشَّامِ إلى دِيارِ مِصْرَ ، على شَيْءٍ يَبذلُونَهُ لهم من المَالِ والبِلادِ ؛ فَعَلِمَ صَلاحُ الدِّينِ بذلكَ ، فقبضَ عليهم ، وسَأَلَهم عن ذلكَ فَأَقَرُّوا ، فَصَلَبَهم في رَمضانَ ، سنةَ تسعٍ وعِشرينَ وَخَمسمئةٍ .

وَهَذا التَّاريخُ مُناقضٌ لِما تَقَدَّمَ من أَنَّهُ كان رَسولاً لِصاحِبِ مَكَّةَ في سنةِ خَمسينَ وخَمسمئةٍ .

قُلتُ : وَالصَّوابُ أَنَّ صَلْبَهُم كان في سنةِ تسعٍ وَسِتِّينَ ، يومَ السَّبْتِ الثَّاني من شَهرِ رَمضانَ .

وَكانَ القَبْضُ عَليهم يَوْمَ الأَحَدِ ، السَّادس والعشرين من شَعبانَ من السَّنَةِ المَذكورَةِ .

وَكانَ عُمارَةُ شافِعِيّاً ؛ وَيُنْسَبُ إليهِ بَيْتٌ قالَهُ ـ أَو وُضِعَ عليهِ ـ وَاللهُ أَعلَمُ بذلكَ[1] : [من البسيط]

قَد كان أَوَّلُ هذا الدِّيْنِ من رَجُلٍ سَعَى إلى أَنْ دَعَوْهُ سَيِّدَ الأُمَمِ

فَأَفْتى فُقهاءُ مِصرَ بقَتْلِهِ ؛ وَلَمْ يَتَعَرَّض السُّلطانُ صَلاحُ الدِّينِ إلى من نافَقَ عليهِ من أَجْنادِهِ ، وَلا أَظْهَرَ لَهُم أَنَّهُ عَلِمَ بِشَيْءٍ من أَمْرِهم .

---

(١) البيت في وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٥ وتاريخ الإسلام ٣٥٣ والوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٨٥ والبداية والنِّهاية ١٦/ ٤٧٦ .

وَمِن العَجيبِ أَنَّ الفَقيهَ عُمارةَ قال قَبْلَ صَلْبِهِ بِأَيّامٍ قَلائِلَ في مَصْلُوبٍ : [من الكامل]

وَرَأَتْ يَداهُ عَظيمَ ما جَنَتا فَفَرَرْنَ ذي شَرْقاً وَذي غَرْبا
وَأَمالَ نَحْوَ الصَّدْرِ مِنْهُ فَماً لِيَلُومَ في أَفْعالِهِ القَلْبا

فَكَأَنَّهُ كان لِسانَ حالِهِ[1] .

● ومن شَأْنِها : إذا لَسَعَتِ الإنْسَانَ ، فَرَّتْ فَرارَ مُسِيءٍ يَخْشى العِقابَ .

● قالَ الجاحِظُ[2] : وَمِن عَجِيبِ أَمْرِها : أَنَّها لا تَسْبَحُ ، وَلا تَتَحَرَّكُ إِذا أُلْقِيَتْ في المَاءِ ، سَواءٌ كان المَاءُ ساكِناً أَو جارِياً .

قَالَ[3] : وَالعَقارِبُ تُخْرَجُ من بُيُوتِها بِالجَرادِ ، لأَنَّها حَريصَةٌ على أَكْلِه .

وَطَريقُ صَيْدِها : أَنْ تُشْبَكَ الجَرادَةُ في عُودٍ ، ثم تُدْخَلَ في جُحْرِها ، فإذا عايَنَتْها العَقْرَبُ تَعَلَّقَتْ فِيها ؛ وَمَتى أُدْخِلَ الكُرَّاثُ في جُحْرِها وَأُخْرِجَ ، فإِنَّها تَتْبَعُهُ أَيضاً .

وَرُبَّما ضَرَبَتِ الحَجَرَ والمَدَرَ ؛ وَمِنْ أَحْسَنِ ما قِيلَ في ذلكَ : [من المتقارب]

رَأَيْتُ على صَخْرَةٍ عَقْرَباً وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَها دَيْدَنا
فَقُلْتُ لَها : إِنَّها صَخْرَةٌ وَطَبْعُكِ مِن طَبْعِها أَلْيَنا
فَقالَتْ : صَدَقْتَ وَلَكِنَّني أُريدُ أُعَرِّفُها مَن أَنا

---

(١) ترجمة الفقيه عمارة اليمني في : وفيات الأعيان ٣/ ٤٣١ والرَّوضتين ٢/ ٢٩٧ وطبقات الإسنويّ ٢/ ٥٦٥ وسير أَعلام النُّبلاء ٢٠/ ٥٩٢ وتاريخ الإسلام ٣٥١ والوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٨٤ والبداية والنِّهاية ١٦/ ٤٧٤ ونسمة السّحر ٢/ ٤٥٦ .

(٢) الحيوان ٥/ ٣٥٤ .

(٣) الحيوان ٥/ ٣٦٦ و ٣٥٩ .

● وَالعقارِبُ[1] القاتِلَةُ : تَكُونَ في مَوْضِعَيْنِ ، بِشَهْرَ زُورٍ وَبِعَسْكَرِ مُكْرَم ؛ وَهيَ جَرَّاراتٌ تَلْسَعُ فَتَقْتُلُ ، كما تَقَدَّمَ .

وَرُبَّما تَناثَرَ لَحْمُ من لَسَعَتْهُ ، أَو عَفَنَ لَحْمُهُ وَاسْتَرْخَى ، حتَّى إِنَّهُ لا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلاَّ وهوَ يُمسِكُ أَنْفَهُ ، مَخافَةَ إِعْدائِهِ .

وَمِن لَطيفِ أَمْرِها : أَنَّها مع صِغَرِها تَقْتُلُ الفِيْلَ وَالبَعيرَ بِلَسْعِها .

● وَمن نَوْعِ العَقارِبِ : الطَّيَّارَةُ . قالَ القَزوينيُّ والجاحِظُ[2] : وَهَذا النَّوْعُ يَقْتُلُ غالِباً .

● قالَ الرَّافعيُّ : وَحَكى العِبادِيُّ وَجْهاً : أَنَّهُ يَصِحُّ بَيْعُ النَّمْلِ بِنَصيبينَ ، لأَنَّهُ يُعالَجُ بِهِ العَقارِبُ الطَّيَّارَةُ التي بِها ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى هذا أَيضاً في « بابِ النُّونِ » في حكم « النَّملِ » ، ولعلَّ مُرادَهُ أَنَّ النَّمْلَ يُعْمَلُ مع أَدْوِيَةٍ ، وَيُعالَجُ بِها لَدْغَتُها .

● وَبِنَصيبين[3] عقارِبُ قَتَّالَةٌ ؛ يُقالُ : إِنَّ أَصْلَها من شَهْرَ زُورٍ ، وَأَنَّ بَعضَ المُلُوكِ حاصَرَ نَصيبين ، وَأَتى بِالعقارِب منها ، وَجَعَلَها في كِيْزانِ الفُقَّاعِ ، وَرَمَى بِها في المَجانِيقِ .

● قالَ الجاحِظُ[4] : وَكانَ في دارِ نَصْرِ بن حَجَّاجٍ السُّلميِّ عَقاربُ إِذا لَسَعَتْ قَتَلَتْ ، فَدَبَّ ضَيْفٌ لهم إِلى بعضِ أَهْلِ الدَّارِ ، فَضَرَبَتْهُ عَقْرَبٌ في مَذَاكِيرِهِ ، فقالَ نَصْرٌ يُعَرِّضُ بِهِ : [من المتقارب]

---

(١) الحيوان ٥/ ٣٥٨ و ٥/ ٣٦٠ و ٤/ ١٤٢ و ٢١٩ وثمار القلوب ٢/ ٦٣٢ .

(٢) الحيوان ٧/ ٤٥ .

(٣) الحيوان ٥/ ٣٥٨ وثمار القلوب ٢/ ٦٣٢ .

(٤) الحيوان ٤/ ٢١٧ ـ ٢١٨ . وفي المحاسن والأَضداد ٢٩٠ : خالد بن عبد الله القسريّ ، بدل نصر بن حجّاج .

وَدارِي إذا نَــــامَ سُكَّـــانُهـــا ... أَقــامَ الحُــدُودَ بِهــا العَقْــرَبُ
إذا غَفَــلَ النَّــاسُ عــن دِيْنِهِـمْ ... فــإِنَّ عَقــارِبَهــا تَضْــرِبُ[1]
فَــلا تَــأْمَنَــنَّ سُــرى عَقْــرَبٍ ... بلَيْــلٍ إِذا أَذْنَــبَ المُــذْنِــبُ

فَدخلَ حَوَّاءٌ إلى الدَّارِ ، وقالَ : هذهِ عقارِبُ تُسْقَى من أَسْوَدَ سالِخٍ ، وَنَظَرَ إلى مَوضِعٍ في الدَّارِ ، وقالَ : احْفِرُوا هَا هُنا ، فَحَفَرُوا ، فَوَجَدُوا أَسْوَدَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثى .

● وَرَوَى « الطَّبرانيُّ »[2] و« أَبُو يَعْلَى المَوْصليّ » عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، قالتْ : دَخَلَ عليٌّ بن أَبي طالِبٍ على رَسولِ اللهِ ﷺ وَهو يُصَلِّي ، فقَامَ إِلى جَنْبِهِ فَصَلَّى بِصَلاتِهِ ، فجاءَتْ عَقْرَبٌ حتَّى انْتَهَتْ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ تَرَكَتْهُ وَذَهَبَتْ نَحوَ عليٍّ ، فَضَرَبَها بنَعْلِهِ حتَّى قَتَلَها ، فَلَمْ يَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِها بَأْساً . في إِسْنادِهِ : عبد اللهِ بن صالح كاتِبُ اللَّيْثِ ، وهو ضَعيفٌ .

● وَرَوى « ابنُ ماجه »[3] عن أَبي رافِعٍ : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَتَلَ عَقْرَباً وهوَ في الصَّلاةِ » .

● وَفيهِ أَيْضاً[4] عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، قَالَت : لَدَغَتِ النَّبيَّ ﷺ عَقْرَبٌ وهو في الصَّلاةِ ، فقالَ : « لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ ، ما تَدَعُ مُصَلِّياً وَلا غَيْرَ مُصَلٍّ ، اقْتُلوها في الحِلِّ والحَرَمِ » .

● وَرَوَى الحافِظُ أَبو نُعيم في « تارِيخِ أَصْبهان » وَالمُسْتَغْفِري في « الدَّعواتِ » والبَيْهَقيّ في « الشُّعَبِ »[5] عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ :

---

(١) في أ : . . . . عن ذنبهم × .
(٢) المعجم الأوسط ٨/ ٢٨٥ رقم (٨٦٥٣) . ولم نقف عليه في مسند أبي يعلى .
(٣) ابن ماجه (١٢٤٧) .
(٤) ابن ماجه (١٢٤٦) .
(٥) شعب الإيمان ٢/ ٢١٥ رقم (٢٥٧٥) وتاريخ أصبهان لأبي نعيم ٢/ ٢٢٣ .

« لَدَغَتِ النَّبيَّ ﷺ عَقْرَبٌ وهُوَ في الصَّلاةِ ، فَلَمَّا فَرَغَ من صَلاتِهِ ، قالَ : « لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ ، ما تَدَعُ مُصَلِّياً وَلا غَيْرَهُ ، وَلا نَبيّاً ولا غَيْرَهُ إلاّ لَدَغَتْهُ » . وَتَنَاوَلَ نَعْلَهُ فَقتَلَها بِهِ ، ثمَّ دَعا بماءٍ ومِلْحٍ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ عَلَيْها وَيَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] وَالمُعَوِّذَتين .

● وفي « تارِيخ نَيْسَابُور » عن الضَّحَّاكِ بن قَيْسٍ الفهْرِيّ ، قَالَ : قامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ من اللَّيْلِ يَتهَجَّدُ ، فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ في إِصْبَعِهِ ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ ، ما تَكادُ تَدَعُ أَحَداً » . ثمَّ دَعا بماءٍ في قَدَحٍ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص : ١ ـ ٢] ثلاثَ مَرَّاتٍ ، ثمَّ صَبَّهُ على إِصْبَعِهِ ؛ ثم رُؤيَ ﷺ بعدَ ذلكَ على المِنْبَرِ عاصِباً إِصْبَعَهُ من لَدْغَةِ العَقْرَبِ .

● وفي « عوارِف المَعارِفِ » : عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها قالَتْ : لَدَغَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَقْرَبٌ في إِبْهامِهِ من رِجْلِهِ اليُسْرَى ، فقالَ : « عَليَّ بذاكَ الأَبيضِ الذي يَكُونُ في العَجِينِ » . فَجِئْنا بِمِلْحٍ ، فَوَضَعَهُ ﷺ في كَفِّهِ ، ثمَّ لَعَقَ منه ثَلاثَ لَعْقَاتٍ ، ثمَّ وَضَعَ بَقِيَّتَهُ على اللَّدْغَةِ ، فَسَكَنَتْ عَنْهُ » .

● وَرَوَى « ابْنُ أَبي شَيْبَةَ »[1] عن جابِرِ بن عبدِ الله : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَهُوَ عاصِبٌ إِصْبَعَهُ من لَدْغَةِ عَقْرَبٍ ، فقالَ : « إِنَّكُمْ تَقولُونَ : لا عَدْوَى ، وَلا تَزالُونَ تُقاتِلُونَ عَدُوّاً ، حَتَّى تُقاتِلُوا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، عِراضَ الوُجُوهِ ، صِغارَ العُيُونِ ، صُهْبَ الشِّعافِ ، من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجانُّ المُطْرَقَةُ » .

● غَريبةٌ : في « تارِيخِ شَيْخِنا اليافعيّ رحمهُ اللهُ تعالى » : في حوادِثِ سنةِ تسعٍ وخَمسمئةٍ :

---

(١) وأحمد في المسند ٥/ ٢٧١ .

ذُكِرَ أَنَّ بعضَ المُلُوكِ قالَ لهُ مُنَجِّمُوهُ : إِنَّهُ يَمُوتُ في السَّاعَةِ الفُلانِيَّةِ ، في اليَوْمِ الفُلانيِّ في الشَّهْرِ الفُلانيِّ ، من سَنَةِ كَذَا ، من عَقْرَبٍ تَلْدَغُهُ ؛ فَلَمَّا كانَتِ السَّاعَةُ المَذْكُورَةُ ، تَجَرَّدَ من جَميعِ ثِيابِهِ سِوَى ما يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ ، وَرَكِبَ فَرَساً بَعدَ أَنْ غَسَلَهُ وَنَظَّفَهُ وَسَرَّحَ شَعْرَهُ ، وَدَخَلَ بِهِ البَحْرَ حِذاراً مِمَّا ذَكَرَ لَهُ مُنَجِّمُوهُ ، فبينَما هُوَ كذلكَ عَطَسَتِ الفَرَسُ ، فَخَرَجَ من أَنْفِها عَقْرَبٌ ، فَلَدَغَتْهُ فَماتَ ، فما أَغْناهُ الحَذَرُ عن القَدَرِ .

● وَعن مَعروف الكَرْخيّ ، قالَ[(١)] : بَلَغَنا أَنَّ ذَا النُّونِ المِصْريّ ، خَرَجَ ذاتَ يَومٍ يُريدُ غَسْلَ ثِيابِهِ ، فإذا هُوَ بِعَقْرَبٍ قد أَقْبَلَ عليهِ كَأَعْظَمِ ما يَكُونُ من الأَشْياءِ .

قالَ : فَفَزِعَ مِنْها فَزَعاً شَديداً ، واسْتَعاذَ باللهِ مِنها ، فَكُفِيَ شَرَّها ، فأَقبلَتْ حتَّى وافَتِ النِّيْلَ ، فإذا هِيَ بِضِفْدَعٍ قد خَرجَ من المَاءِ ، فاحْتَمَلَها على ظَهْرِهِ ، وَعَبَرَ بها إِلى الجانِبِ الآخَرِ .

فقالَ ذُو النُّونِ : فاتَّزَرْتُ بِمِئْزَري ، وَنَزَلْتُ في المَاءِ ، وَلَمْ أَزَلْ أَرْقُبُها إِلى أَنْ أَتَتْ إِلى الجانِبِ الآخَرِ فَصَعَدَتْ ، ثمَّ سَعَتْ وَأَنا أَتْبَعُها إِلى أَنْ أَتَتْ شَجرةً كثيرَةَ الأَغْصانِ كثيرَةَ الظِّلِّ ، وإذا بغُلامٍ أَمْرَدَ أَبْيَضَ نائِمٍ تَحْتَها ، وَهوَ مَخْمُورٌ ؛ فقلتُ : لا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، أَتَتِ العَقْرَبُ من ذَلِكَ الجانِبِ لِلَدْغِ هَذا الفَتى ؟ فإذا أَنا بتِنِّيْنٍ قد أَقْبَلَ يُريدُ قَتْلَ الفَتى ، فَظَفِرَتِ العَقْرَبُ بِهِ ، وَلَزِمَتْ دِماغَهُ حتَّى قَتَلَتْهُ ، وَرَجَعَتْ إِلى المَاءِ ، وَعَبَرَتْ عَلَى ظَهْرِ الضِّفْدَعِ إِلى الجانِبِ الآخَرِ ؛ فأَنْشَدَ ذُو النُّونِ يقولُ : [من المنسرح]

يـــا راقِـــداً وَالجَليـــلُ يَحْفَظُـــهُ ... مِـــنْ كُـــلِّ سُـــوءٍ يَكُـــونُ فـــي الظُّلَـــمِ

---

(١) روض الرّياحين ٢٩١ والمستطرف ٢/ ٥٠٠ وكتاب التّوّابين ٢٢٦ ـ ٢٢٧ وطبقات الصُّوفيَّة للمناوي ١/ ٦١١ .

كَيْـفَ تَنـامُ العُيُـونُ عـن مَلِـكٍ   تَـأْتِيْـكَ مِنْـهُ فَـوائِـدُ النِّعَـمِ

قالَ : فانْتَبَهَ الفَتى على كَلامِ ذي النُّونِ ، فأَخبرَهُ الخَبَرَ ، فَتَابَ وَنَزَعَ لِباسَ اللَّهْوِ ، وَلَبِسَ أَثْوابَ السِّياحَةِ وَسَاحَ ، وَماتَ على تلكَ الحالَةِ ، رحمهُ اللهُ تَعالَى .

وَاسْمُ ذِي النُّونِ : ثَوْبان بن إِبراهيم ، وَقِيلَ : الفَيْضُ بن إِبراهيم .

وَمن كَلامِهِ رحمهُ اللهُ تَعالَى : حَقيقَةُ المَحَبَّةِ أَنْ تُحبَّ ما أَحَبَّهُ اللهُ ، وَتُبْغِضَ ما أَبْغَضَهُ اللهُ ، وَتَطْلبَ رِضاهُ ، وَتَرفُضَ جَميعَ ما يَشْغَلُكَ عنهُ ، وَأَنْ لا تخافَ فِيهِ لَوْمَةَ لائِمٍ ، وَأَنْ تَعزلَ نَفْسَكَ عن رُؤْيَتِها وَتَدبيرِها ؛ فإِنَّ أَشَدَّ الحِجابِ رُؤْيَةُ النَّفْسِ وَتَدْبِيرُها .

وَقالَ رحمهُ اللهُ : لا يَزالُ العارِفُ ـ مَا دامَ في الدُّنْيَا ـ بَيْنَ الفَخْرِ والفَقْرِ ؛ فإِذا ذَكَرَ اللهَ افْتَخَرَ ، وإِذا ذَكَرَ نَفْسَهُ افْتَقَرَ .

وَقالَ : لَيسَ بِذِي لُبٍّ من جَدَّ في أَمْرِ دُنْياهُ ، وَتهاوَنَ في أَمْرِ آخِرَتِهِ ، وَلا مَن سَفِهَ في مواطِنِ حِلْمِهِ ، وَلا مَن تَكَبَّرَ في مَواطِنِ تَواضُعِهِ ، وَلا مَن فُقِدَتْ منهُ التَّقْوَى في مَواطِنِ طَمَعِهِ ، وَلا مَن غَضِبَ من حَقٍّ إِنْ قِيلَ لَهُ ، وَلا مَن زَهِدَ فِيما يَرغَبُ العُقَلاءُ فِيهِ ، وَلاَ مَن رَغِبَ فِيما يَزهدُ العُقَلاءُ فِيهِ ، وَلا مَن طَلَبَ الإِنْصافَ من غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ ، وَلا مَن نَسِيَ الله تَعالَى في مَواطِنِ طاعَتِهِ وَذَكَرَ اللهَ في مَواطِنِ الحاجَةِ إِليهِ ، وَلا مَن جَمَعَ العِلْمَ لِيُعْرَفَ بِهِ ثمَّ آثَرَ عَلَيْهِ هَواهُ بعدَ تَعَلُّمِهِ ، وَلا مَن قَلَّ مِنهُ الحَياءُ من اللهِ تَعالى على جَميلِ سِتْرِهِ ، ولا مَنْ أَغْفَلَ الشُّكْرَ على إِظْهارِ نِعَمِهِ ، وَلا مَن عَجِزَ عن مُجاهَدَةِ عَدُوِّهِ ، وَلا مَن جَعَلَ مُرُوءَتَهُ لِباسَهُ وَلَمْ يَجْعَلْ أَدَبَهُ دِرْعَهُ وَتَقْواهُ لِباسَهُ ، وَلا مَن جَعَلَ عِلْمَهُ وَمَعرفَتَهُ تَظَرُّفاً وَتَزَيُّناً في مَجْلِسِهِ ؛ ثمَّ قالَ : أَسْتغفرُ اللهَ العَظيمَ ، إِنَّ الكَلامَ كَثيرٌ ، وإِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ لَمْ يَنْقَطِعْ .

● وَحكى لي بعضُ أَشياخي عن ذِي النُّونِ : أَنَّه قَالَ لِبَعْضِ الرُّهْبانِ : ما مَعْنَى المَحَبَّةِ ؟ فقالَ : لا يُطِيقُ العَبْدُ حَمْلَ مَحَبَّتَيْنِ ؛ من أَحَبَّ اللهَ لا يُحِبُّ الأَغْيارَ ، وَمَنْ أَحَبَّ الأَغْيارَ لا يُحِبُّ اللهَ خالِصاً ، فَتَفَكَّرْ في حالِكَ من أَيِّ القَبيلينِ أَنتَ ؟ .

قَالَ : قُلتُ : صِفْ لي المَحَبَّةَ ؟ فقالَ : المَحبَّةُ : عَقْلٌ ذاهِبٌ ، وَدَمْعٌ ساكِبٌ ، وَنَوْمٌ طَرِيْدٌ ، وَشَوْقٌ شَديدٌ ، والحَبيبُ يَفعلُ ما يُرِيدُ .

قالَ ذُو النُّونِ : فعملَ هَذا الكَلامُ معي ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَرجَ من المَعْدِنِ ، وَأَنَّ الرَّاهِبَ مُسْلِمٌ ؛ ثمَّ فارَقْتُهُ ، فَبينَما أَنا أَطُوفُ بالكعبَةِ ، وَإِذا بالرَّاهِبِ يَطُوفُ ، وَقد نَحَلَ جِسْمُهُ ، فقالَ لي : يا أَبا الفَيْضِ ، تَمَّ الصُّلْحُ ، وَانْفَتَحَ بابُ المُؤانَسَةِ ، وَمَنَّ اللهُ عليَّ بِالإِسلامِ ، وَحَمَّلَني ما عَجِزَتْ عنهُ السَّماواتُ والأَرْضُ .

قال ذو النُّون : حَمَّلَ نَفْسَهُ محبّة الله تعالى التي عجزَت عنها السماوات والأَرضُ وَصُمُّ الجِبالِ ، وَحَمَلَها أَجْلادُ الرِّجالِ بِلَطائِفِ الأَحْوالِ ؛ وَأَنْشَدَ يَقُولُ : [من السريع]

حُبُّـكَ يـا سُـؤْلـي وَيـا مُنْيَتـي ‏ قَـدْ أَنْحَـلَ الجِسْـمَ وَقَـدْ كَـدَّهُ[1]
لَـوْ أَنَّ مـا فـي القَلْـبِ مـن حُبِّكُـمْ ‏ بِـالجَنْـدَلِ الصَّلْـدِ لَقَـدْ هَـدَّهُ

ثـم قـال ذُو النُّـونِ : المُحِبُّـونَ لا أَحيـاءٌ ولا أَمـواتٌ ، وَلا صُحـاةٌ وَلا سَكْرَى ، وَلا مُقِيمُونَ ولا ظَاعِنُونَ ، وَلا مُفِيقُونَ ولا صَرْعَى ، وَلا أَصِحَّاءَ ولا مَرْضَى ، وَلا مُنْتَبِهُونَ ولا نِيامٌ ؛ فَهُمْ كَأَصْحابِ الكَهْفِ في فَجْوَةِ الكَهْفِ ، لا يَدْرُونَ ما يُفْعَلُ بِهِم ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف : ١٨] .

---

(١) في أ : . . . . ويا أملي × .

قَالَ الإمامُ أَبُو الفَرجِ ابن الجَوزيِّ[1] : ذُو النُّونِ رحمهُ اللهُ تَعالَى : أَصْلُهُ من النُّوبَةِ ؛ وَكانَ من أَهْلِ إِخْميم ، فَنزلَ مِصرَ وَسَكَنَها ؛ وَيُقالُ : اسْمُهُ الفَيْضُ ، وَذُو النُّونِ لَقَبٌ .

وَقالَ الإمامُ أَبُو القاسِمِ القُشَيريّ في « رِسالَتِهِ »[2] : كان ذُو النُّونِ قد فَاقَ أَهْلَ هَذَا الشَّأْنِ ، وَصارَ واحِدَ وَقْتِه عِلْماً وَوَرَعاً وَأَدَباً وَحالاً .

● وَكانَتْ وَفاتُهُ بالجِيْزَةِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا من ذي القَعْدَةِ ، سنةَ سِتٍّ وَأَربعينَ ومئتينِ[3] . قالَ ابنُ خلّكان : وَدُفِنَ بالقَرافَةِ الصُّغْرى[4] .

● وَأَمَّا مَعرُوفٌ : فهوَ ابْنُ فَيْروز الكَرْخِيّ ، كان مَشْهُوراً بإِجابَةِ الدَّعْوَةِ ، وَأَهْلُ بَغدادَ يَسْتَسقُونَ بِقَبْرِهِ ، وَيَقُولُونَ : قَبْرُ مَعرُوفٍ ، تِرْياقٌ مُجَرَّبٌ .

وَكانَ سَرِيٌّ السَّقْطيّ تِلْميذَهُ .

وَقيلَ لِمعرُوفٍ في مَرَضِ مَوْتِهِ : أَوْصِ . فقالَ : إذا مِتُّ فَتَصَدَّقُوا بِقَميصِي ، فإِنِّي أَريدُ أَنْ أَخْرُجَ من الدُّنْيا عُرياناً كَما دَخَلْتُها عُرياناً .

وَمَرَّ[5] مَعرُوفٌ رحمهُ اللهُ تَعالَى يَوماً بِسَقَّاءٍ وَهوَ يقُولُ : يَرْحَمُ اللهُ مَن يَشْرَبُ ؛ وَكانَ صائِماً ، فَتَقَدَّمَ وَشَرِبَ ؛ فَقِيلَ لَهُ : أَلَمْ تَكُنْ صائِماً ؟ قالَ : بَلى ، ولكنْ رَجَوْتُ دُعاءَهُ .

---

(١) المنتظم ١١/ ٣٤٤ .

(٢) الرِّسالة القشيريّة ٥٨ .

(٣) وقيل : سنة ٢٤٥ هـ .

(٤) **ترجمة ذي النُّون في** : تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٣ وحلية الأَولياء ٩/ ٣٣١ ووفيات الأَعيان ١/ ٣١٥ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٤٦ وسير أَعلام النُّبلاء ١١/ ٥٣٢ وطبقات الصُّوفيَّة للمناوي ١/ ٥٩٧ .

(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٢٧٤ .

تُوُفِّيَ رحمهُ اللهُ تَعالى سنةَ مئتين[1][2] .

● وَقالَ الزَّمخشريُّ في « ربيعِ الأَبرارِ »[3] : زَعمُوا أَنَّ أَرْضَ حِمْصَ لا تَعيشُ فيها العَقارِبُ ، وَزَعَمَ أَهْلُها أَنَّ ذلكَ لِطِلَّسْمٍ هُناكَ ؛ قالُوا : وإِنْ طُرِحَتْ فيها عَقرَبٌ غَريبَةٌ ، ماتَتْ من ساعَتِها .

● وَحِمْصُ : مَدينةٌ مَعرُوفةٌ من مَشارِقِ الشَّامِ ، لا تَنْصَرِفُ للعَلَمِيَّةِ والعُجْمَةِ والتَّأْنيثِ ، وهيَ من المُدُنِ الفاضِلَةِ ؛ وفي حَديثٍ ضَعيفٍ : أَنَّها من مُدُنِ الجَنَّةِ ؛ وَكانَتْ في أَوَّلِ الأَمْرِ أَشْهَرَ بالفَضْلِ من دمشقَ . وَذَكَرَ الثَّعلبيُّ أَنَّه نَزَلَها سَبعمئة من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم .

● فائِدَةٌ : رُقْيَةُ العَقْرَبِ جائِزَةٌ ، لِمَا رَوى « مُسلمٌ »[4] عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، قَالَ : لَدَغَتْ رَجُلاً عَقْرَبٌ ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فقالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرْقِيهِ ؟ قَالَ ﷺ : « مَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخاهُ فَلْيَفْعَلْ » .

وفي رِوايَةٍ : فَجَاءَ آلُ عَمرو بن حَزْمٍ إِلى النَّبيِّ ﷺ فقالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، كانت عِنْدَنا رُقيَةٌ نَرقى بِها من العَقْرَبِ ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عن الرُّقَى ، فقالَ ﷺ : « اعرِضُوا عليَّ رُقاكُم » . فَعَرَضُوها عليْهِ ، فقالَ ﷺ : « مَا أَرَى بِها بَأْساً ؛ مَن اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنفَعَ أَخاهُ فَلْيَنْفَعْهُ » .

---

(١) ترجمة معروف الكرخيّ في : حلية الأَولياء ٨/ ٣٦٠ وتاريخ بغداد ١٥/ ٢٦٣ ووفيات الأَعيان ٥/ ٢٣١ وسير أَعلام النُّبلاء ٩/ ٢٣٩ وطبقات المناوي ١/ ٧١٥ والمستطرف ١/ ٤٤٢ ومناقب معروف الكرخيّ لابن الجوزيّ (ضمن مجلّة المورد العراقيّة مج ٩ ع ٤ ص ٦٠٩ وما بعد) .

(٢) في الأُصول : سنة ثلاثمئة ! ! .

(٣) ربيع الأَبرار ٥/ ٤٧٧ .

(٤) مسلم (٢١٩٩) .

وَفي رِوايَةٍ : « اعْرِضُوا عليَّ رُقاكُم ، لا بَأْسَ بِالرُّقى ما لَمْ يَكُنْ فيها شَيْءٌ » .

فَالرُّقى جائِزَةٌ بِكِتابِ اللهِ أَوْ بِذِكْرِهِ ، وَمَنْهِيٌّ عنها إِذا كانَتْ بالفارِسِيَّةِ أَو بِالعَجَمِيَّةِ ، أَو بِما لا يُدْرَى مَعناهُ لِجَوازِ أَن يَكُونَ فِيهِ كُفْرٌ .

واخْتَلَفُوا في رُقْيَةِ أَهْلِ الكِتابِ ، فَجَوَّزَها أَبو حَنيفةَ ، وَكَرِهَها مالِكٌ ، خَوْفاً أَنْ يَكُونَ فيها مِمَّا بَدَّلُوا .

● **فَمِنَ الرُّقى النَّافِعَةِ المُجَرَّبَةِ** : أَنْ يَسْأَلَ الرَّاقِي المَلدُوغَ : إِلى ايْنَ انْتَهى الوَجَعُ من العُضْوِ ؟ ثمَّ يَضَعَ على أَعْلاهُ حَديدَةً ، وَيَقْرَأَ العَزيمَةَ وَيُكَرِّرَها ، وَهُوَ يَجْرُدُ مَوْضِعَ الأَلَمِ بِالحَدِيْدَةِ من فوق ، حتَّى يَنتهِيَ في جَرْدِ السُّمِّ إِلى أَسْفَلِ الوَجَعِ ، فإِذا اجْتَمَعَ في أَسْفَلِهِ جَعَلَ يَمُصُّ ذلكَ المَوْضِعَ ، حتَّى يَذْهَبَ جَميعُ الأَلَمِ ؛ وَلا اعْتِبارَ بِفُتُورِ العُضْوِ بعدَ ذلكَ .

وَهيَ هذِهِ[1] : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافَّات : ٧٩] وَعلى محمَّدٍ في المُرسلينَ ، من حامِلاتِ السُّمِّ أَجمعينَ ، لا دابَّةَ بَينَ السَّماءِ وَالأَرضِ إِلاَّ رَبِّي آخِذٌ بناصِيَتِها أَجمعين ، كذلكَ يَجْزِي عِبادَهُ المُحسنين ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هُود : ٥٦] نُوحٌ ، نُوحٌ ، قالَ لَكُمْ نوحٌ : مَن ذَكَرَنِي لا تَأْكُلُوهُ ، إِنَّ رَبِّي بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَصلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

● وَرَأَيْتُ بِخَطِّ ابْنِ الصَّلاحِ في « رِحْلَتِهِ » رُقيَةً للعَقْرَبِ ، قالَ : ذُكِرَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَرْقى بِها ، فَلا تَلدغُهُ عَقْرَبٌ ، وَإِنْ أَخَذَها بيَدِهِ لا تَلْدغُهُ ، وَإِنْ لَدَغَتْهُ لا تَضُرُّهُ ، وَهيَ : بسم اللهِ وباللهِ ، وبسمِ جبريل وميكائيلَ ، كازم كازم ريزازم فتيز إِلى مرن إِلى مرن يتشامرا يتشامرا هوذا هوذا هى لمظا أَنا الرَّاقي واللهُ الشَّافي .

---

(١) المستطرف ٢/ ٥٠١ .

● صِفَةُ خاتمٍ نافعٍ لِلَسْعِ العَقْرَبِ ، وَلإِفاقَةِ المَجْنونِ ، وللرُّعافِ ، وَلِوَجَعِ العينِ إِذا كان من ريحٍ باردةٍ : يُنْقَشُ على خاتم بِلَّوْرٍ أَحْمر هذِهِ الأَسماء (خطلسلسه كطوده دل صحوه أو شططا أبى ممه بيدهى سفاهة سفاهة) .

فَللعَقْرَبِ : يُغْمَسُ في ماءٍ نَظيفٍ ، وَيُجْعَلُ في مَوْضِعِ اللَّسْعِ .

ولِلْمَجْنُونِ : يُديمُ النَّظَرَ إِلى الخاتمِ ، فإِنَّهُ يُفيقُ بإِذنِ اللهِ تَعالى .

ولِلرُّعافِ : يُكْتَبُ على الجَبْهَةِ .

وللحُمَّى : يُكْتَبُ على وَرَقِ الزَّيتُونِ وَيُعَلَّقُ .

وللرِّيْحِ : يُجْعَلُ الخاتمُ في مَوْضِعِ الرِّيْحِ ويَمْسَحُهُ .

● وَمِمَّا يُكْتَبُ للحُمَّى أَيْضاً على ثَلاثِ وَرَقاتٍ ، وَيُبَخَّرُ بها المَحْمومُ : الأُولى : كـ ا ا ا ط لا . والثَّانيةُ : كـ ا ا ا ط ط . والثَّالثة : كـ ا ا ا لح لو م و .

ولِلحُمَّى أَيضاً : يُكْتَبُ على ثَلاثِ وَرَقاتٍ ، وَيَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ وَرَقةً إِذا حُمَّ : الأُولى : بسم اللهِ نارَت واسْتنارت . الثَّانية : بسم اللهِ في عِلْمِ الغَيْبِ غارَت . الثَّالثة : بسم اللهِ حَوْلَ العَرْشِ دارَتْ .

● وَمِمَّا يُكْتَبُ للرُّعافِ أَيضاً وللنَّزيفِ : لوطا لوطا لوطا . يُكْتَبُ ثَلاثَةَ أَسْطُرٍ .

● وَذَكَرَ صاحِبُ « عين الخَواص » : تُكتبُ هذِهِ الأَسْماءُ في ورقَةٍ ، أَو على طاسَةٍ اسبادرية صَحيحَةٍ غيرِ مَشْعُوبَةٍ ، أَوْ قصعةِ جَوْزٍ بلا شَعب ، ويُكْتَبُ اسْمُ أَبيهِ وَأُمِّهِ ، وَيُسْقَى للمَوْعُوكِ ؛ وإِنْ سُقِيَتْ لِلمَلْسُوعِ أَفاقَ لِوَقْتِه ، وَهِيَ هَذِهِ :

(سارا سارا إِلى سارا مالى يرن يرن إِلى باما‌ل واصال باطوطو كالعو ما

راسب يا فارس اردد باب ها كانا ما ا بين لها نارا أنار كاس متمرنا طاكن صلو بيرص صاروب أناوين ودى) .

هذا لِمَلْسُوعِ الحَيَّةِ . قالَ : وهو مِمَّا جُرِّبَ فَوُجِدَ نافِعاً . وقد تَقَدَّمَ في « بابِ الحَاءِ المُهملةِ » في « الحَيَّةِ » ما يَقْرُبُ من هَذَا .

● وَقالَ بعضُ العُلماءِ المُتقدِّمينَ[1] : من قَالَ في أَوَّلِ اللَّيْلِ وَأَوَّلِ النَّهارِ : عَقَدْتُ زِبَّانَ العَقْرَبِ ، وَلِسانَ الحَيَّةِ ، وَيَدَ السَّارِقِ ، بِقَوْلِ : أَشهدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَأَشهدُ أَنَّ محمَّداً رَسُولُ الله ؛ أَمِنَ من الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ والسَّارِقِ .

● وَرَوى « مالِكٌ » وَالجَماعَةُ إِلاَّ البُخاريَّ[2] ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : جَاءَ رَجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ما لَقِيْتُ من عَقْرَبٍ لَدَغَتْني البارِحَةَ ؛ فقالَ ﷺ : « أَما إِنَّكَ لو قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ ، لَمْ تَضُرَّكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى » .

● وَفي « كامِلِ ابْنِ عَدِيٍّ »[3] في تَرجَمَةِ « وَهب بن راشِد الرَّقِّيِّ » : أَنَّ الرَّجُلَ المَذكُورَ بِلالٌ .

● وَفي رِوايَةٍ للتِّرمذي[4] : « منْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تلكَ اللَّيْلَةِ » .

قالَ سهيلٌ : فَكانَ أَهْلُنا يَقُولُونَها كُلَّ ليلَةٍ ، فَلُدِغَتْ جارِيَةٌ منهم ، فلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعاً . وَقالَ : هَذَا حَديثٌ حَسَنٌ .

كِلماتُ اللهِ : القُرْآنُ . وَمَعنى تَمامِها : أَنْ لا يَدْخُلَها نَقْصٌ ولا عَيْبٌ ،

---

(١) المستطرف ٢/ ٥٠١ .

(٢) مسلم (٢٧٠٩) وأَبو داود (٣٨٩٨ و ٣٨٩٩) والمستطرف ٢/ ٥٠٢ .

(٣) الكامل في الضُّعفاء .

(٤) لم أَقف عليه في التّرمذيّ وهو في مسند أَحمد ٢/ ٢٩٠ والمستطرف ٢/ ٥٠٢ .

كَما يَدْخُلُ كلامَ النَّاسِ ؛ وَقيلَ : هِيَ النَّافِعاتُ الكافِياتُ عن كُلِّ ما يُتَعَوَّذُ بِهِ .

● قَالَ البَيْهقيُّ : وَإِنَّما سَمَّاها تامَّةً ، لأَنَّهُ لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ في كَلامِهِ تَعالَى نَقْصٌ أَوْ عَيْبٌ ، كَمَا يَكُونُ في كلامِ الآدَمِيِّين .

قالَ : وَبَلَغَنِي عن الإمامِ أَحمد بن حنبل ، أَنَّهُ كان يَسْتَدِلُّ بذلكَ على أَنَّ القُرْآنَ غيرُ مَخْلُوقٍ ، كَما سيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الهاءِ » في « الهامَةِ » .

● وَذَكَرَ أَبُو عمر بن عبد البَرِّ في « التَّمْهِيدِ » عن سعيد بن المسيّب ، قالَ : بَلَغَني أَنَّ من قالَ حِينَ يُمْسِي : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافَّات : ٧٩] لَمْ تَلْدَغْهُ عَقْرَبٌ .

● وقال عمرو بن دينار : إِنَّ مما أُخذَ على العَقْرب أن لا تضُرَّ أحداً قال في لَيْلٍ أو نَهارٍ : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

● وَفي « التَّمهيدِ » لابْنِ عبدِ البَرِّ ، في تَرجمَةِ يَحيى بن سعيد الأَنْصاريّ ، فِي بَلاغاتِهِ ، في الثَّانِي عَشَرَ ، قالَ ابْنُ وَهْبٍ : وَأَخْبَرَنِي ابْنُ سَمْعانَ ، قالَ : سَمِعْتُ رِجالاً من أَهْلِ العِلْمِ يَقُولُونَ : إذا لُدِغَ الإِنْسَانُ ، فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ ، أَوْ لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ ، فَلْيَقْرَأِ المَلْدوغُ هَذِهِ الآيَةَ ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النَّمل : ٨] .

● وَقالَ الشَّيْخُ أَبُو القاسِم القُشيريّ في « تَفسيرِهِ » : في بَعْضِ التَّفاسِيرِ[1] : إِنَّ الحَيَّةَ والعَقْرَبَ أَتَتا نُوحاً عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فقالَتا : احْمِلْنا ؛ فقالَ نُوحٌ : لا أَحْمِلُكُما ، فإِنَّكُما سَبَبٌ لِلبَلاءِ والضَّرَرِ ؛ فقالَتا : احْمِلْنا ، وَنَحْنُ نُعاهِدُكَ وَنَضْمَنُ لكَ أَنْ لا نَضُرَّ أَحداً ذَكَرَكَ . فعاهَدَهُما وَحَمَلَهُما ؛ فَمَنْ قَرَأَ مِمَّنْ كان يَخافُ مَضَرَّتَها حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ ﴿سَلَٰمٌ

---

(١) المستطرف ٢/ ٥٠٢ .

عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصَّافَّات : ٧٩ - ٨١] ما ضَرَّتاهُ .

ثمَّ رَوى عن ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّ نُوحاً عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ اتَّخَذَ السَّفينَةَ في سَنتين ، وَكانَ طُولُها ثلاثمِئةٌ ذِراعٍ ، وَعَرْضُها خمسينَ ذِراعاً ، وَسُمْكُها ثَلاثِينَ ذِراعاً ؛ وَكانَتْ من خَشَبِ السَّاجِ ، وَجَعَلَ لَها ثَلاثَةَ بُطُونٍ ؛ في البَطْنِ الأَسْفَلِ الوُحُوشُ والسِّباعُ والهَوامُّ ، وَفي البَطْنِ الثَّانِي ـ وهُوَ الأَوْسَطُ ـ الدَّوابُّ وَالأَنْعامُ ، وَرَكِبَ هُوَ وَمَنْ مَعهُ في البَطْنِ الأَعْلَى ، مع ما احْتاجَ إِلَيْهِ من الزَّادِ .

● وَرَوينا عن الشَّيْخِ الإِمامِ الحافظ فَخْرِ الدِّين عُثمان بن محمَّد بن عثمان التَّوريزيّ نَزيل مَكَّةَ المُشَرَّفَة ، أَنَّهُ قالَ : كُنْتُ أَقْرَأُ بِمَكَّةَ الفرائِضَ على الشَّيْخ تَقيِّ الدِّينِ الحَوراني ، فبينَما نَحنُ جُلُوسٌ وإذا بعقرَبٍ تَمْشِي ، فَأَخَذَها الشَّيْخُ بيَدِهِ ، وَجعَلَ يُقَلِّبُها في يَدِهِ ؛ فَوَضَعْتُ الكِتابَ من يَدِي ، فقالَ : اقْرَأْ ؛ فَقُلتُ : حَتَّى أَتَعَلَّمَ هذهِ الفائِدَةَ . فقالَ : هِيَ عِنْدَكَ ، قُلتُ : ما هِيَ ؟ قالَ : ثَبَتَ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ[1] : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِيْنَ يُمْسِي : بِسْمِ اللهِ الذِي لا يَضُرُّ معَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ » . وَقَدْ قُلْتُها أَوَّلَ النَّهارِ .

● وَمِمَّا يَدْفَعُ شَرَّ الحَيَّةِ والعَقْرَبِ : أَنْ يَقْرَأَ عِنْدَ النَّوْمِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ برَبٍّ أَوْصافُهُ سَمِيَّةٌ ، من كُلِّ عَقْرَبٍ وَحَيَّةٍ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافَّات : ٧٩ ـ ٨٠] أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ .

● فائِدَةٌ : يُقالُ : لَدَغَتْهُ العَقْرَبُ ، تَلْدَغُهُ لَدْغاً وَتَلْداغاً ، فهو مَلْدُوغٌ

---

(١) ابن ماجه (٣٨٦٩) ومسند أحمد ١/ ٦٢ و ٦٦ و ٧٢ .

وَلَدِيْغٌ[1] .

● قالَ أَبُو داود الطَّيالسيّ في قَوْلِهِ ﷺ : « لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » مَعناهُ : أَنَّ المُؤْمِنَ لا يُعاقَبُ على ذَنْبِهِ في الدُّنْيَا ، ثمَّ يُعاقَبُ عَلَيْهِ في الآخِرَةِ .

وَالذي قالَ فِيهِ النَّبيُّ ﷺ ذلكَ هُوَ أَبُو عَزَّةَ الجُمَحِيُّ الشَّاعِرُ ، وَاسْمُهُ عَمرو[2] ، وَقَعَ في الأَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ معهُ مالٌ ، فقالَ : يا رَسولَ اللهِ ، إِنِّي ذُو عَيْلَةٍ ؛ فَأَطْلَقَهُ لِبَناتِهِ الخَمْسِ على أَنْ لا يَرجعَ للقِتالِ ، فرجعَ إِلى مَكَّةَ وَمَسَحَ عارِضَيْهِ وَقَالَ : خَدَعْتُ محمَّداً ؛ ثمَّ عادَ عام أُحُدَ مع المُشركينَ ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ لا تُفْلِتْهُ » . فَلَمْ يَقَعْ في الأَسْرِ غَيْرُهُ ، فقالَ : يَا محمَّدُ ، إِنِّي ذُو عَيْلَةٍ فَأَطْلِقْنِي ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ .

وَالحَديثُ المَذْكُورُ رَواهُ « الشَّافعيُّ » و« مسلم » و« ابن ماجه » .

وَقولُهُ : لا يُلْدَغُ : يُروَى بِضَمِّ الغَيْنِ ، على الخَبَرِ ، يَعْنِي : أَنَّ المُؤمنَ حازِمٌ ، لا يُخْدَعُ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ ، وَلا يفطنُ لذلكَ .

وَقيلَ : أَرادَ بِه الخِداعَ في أَمْرِ الآخِرَةِ دُونَ الدُّنْيا .

وَيُرْوَى بكَسْرِ الغينِ نَهْياً ؛ أَي : لا يُؤْتَى من جِهَةِ الغَفْلَةِ . وَهذا يَصِحُّ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلى أَمْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ أَيْضاً .

وَيُؤَيِّدُ ما قَالَهُ أَبُو داود الطَّيالسيّ ، ما رَواهُ النَّسائيُّ في « مُسندِ عليّ » عن

---

(١) عن الصِّحاح « لدغ » ٤/ ١٣٢٥ .

(٢) السِّيرة النَّبويّة ٢/ ١٠٤ وإمتاع الأَسماع ١/ ١٦٠ ومَن اسمه عمرو من الشُّعراء ١١١ ـ ١١٢ وطبقات ابن سلام ١/ ٢٥٥ . وأَبُو عَزَّةَ الجمحيّ : هو عمرو بن عبد الله بن عُمير بن وهب بن حُذافة بن جمح ، أَحد شُعراء قريش . (ترجمته في مصادر الخبر) .

أَبِي سُخَيْلَةَ : أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ يقُولُ : أَلا أُخْبِرُكم بِأَفْضَلِ آيَةٍ في كِتابِ اللهِ تَعالى ؟ قالُوا : بَلى ؛ قالَ : قَولُهُ تَعالَى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشُّورى : ٣٠] . قالَ لِي رُسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَلِيُّ ، ما أَصابَكَ من بَلاءٍ ، أَوْ عُقُوبَةٍ ، أَوْ مَرَضٍ في الدُّنْيا ، فَبِما كَسَبَتْ يَداكَ ؛ وَاللهُ أَكْرَمُ من أَنْ يُثَنِّي على عَبْدِهِ في الآخِرَةِ العُقُوبَةَ ؛ وَما عَفَا اللهُ عنهُ في الدُّنيا فاللهُ أَكْرَمُ وَأَحْلَمُ من أَنْ يَعُودَ بِالعُقُوبَةِ بَعْدَ عَفْوِهِ » . انتهى .

وَلذَلِكَ قالَ الواحِدِيُّ : إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ أَرْجَى آيَةٍ في القُرآنِ ، لأَنَّهُ جَعلَ ذُنُوبَ المُؤمنينَ صِنْفَيْنِ : صِنْفٌ كَفَّرَهُ بِالمَصائِبِ ، وَصِنْفٌ عَفا عَنهُ ؛ وَهُوَ جَلَّ وَعلا كَريمٌ لا يَعودُ في عَفْوِهِ .

● **فائِدةٌ أُخرى** : يُقالُ[1] : لَسَعَتْهُ العَقْرَبُ والحَيَّةُ ، تَلْسَعُهُ لَسْعاً ، فهوَ مَلْسُوعٌ .

● وَما أَحسَنَ قَولَ القائِلِ[2] : [من البسيط]

قَالُوا: حَبِيبُكَ مَلْسُوعٌ. فَقُلْتُ لَهُمْ: ... مِنْ عَقْرَبِ الصُّدْغِ أَمْ من حَيَّةِ الشَّعَرِ؟
قالوا: بَلى من أَفاعي الأَرْضِ. قُلْتُ لَهُمْ: ... وَكَيْفَ تَسْعَى أَفاعِي الأَرْضِ لِلْقَمَرِ؟

● وَيُقالُ في الحَيَّةِ : عَضَّتْ تَعَضُّ ، وَنَهَشَتْ تَنْهَشُ ، وَنَشَطَتْ تَنْشَطُ ، وَنَكَزَتْ بِأَنْفِها تَنْكُزُ .

● وَأَنْشَدَني شيخُنا الشَّيخُ جَمالُ الدِّيْنِ عبدِ الرَّحيمِ الإِسْنَويِّ ، قَالَ : أَنْشدَنا شيخُنا الشَّيخ أَثير الدِّين أَبو حَيَّانَ ، قال : أَنْشدَنا الحافظُ رَضِيُّ الدِّينِ أَبو عُبيد الله الشَّاطبيّ ، قالَ : أَنْشَدَنا أَبُو الرَّبيعِ سُليمانُ بن سالِمٍ النَّاقد ، قالَ :

---

(١) عن الصِّحاح « لسع » ٣/١٢٧٨ .
(٢) مضى البيتان في مادَّة « الحيَّة » .

أَنْشَدَنا أَبُو عَبد اللهِ بن رافِعِ القَيْسِيّ ، قالَ : أَنْشَدَنا أَبو القاسِمِ بن حُبَيْش ، قالَ : أَنْشَدَنا أَبو عبد اللهِ محمَّد [بن عبد اللهِ] بن الفَرَّاء الضَّريرِ ، الخَطيب بِقَصَبَةِ أَلْمَرِيَّة لِنَفْسِهِ[1] : [من السَّريع]

يـا حَسَنـاً مـا لَـكَ لَـمْ تُحْسِـنِ ... إِلى نُفُوسٍ في الهَوَى مُتْعَبَهْ[2]
رَقَّمْـتَ بِـالـوَرْدِ وَبِـالسَّـوْسَـنِ ... صَفْحَـةَ خَـدٍّ بـالسَّنا مُـذْهَبَـهْ
وَقَـدْ أَبَـى صُـدْغُـكَ أَنْ أَجْتَنِـي ... مِنْـهُ وَقَـدْ أَلْـدَغَنِـي عَقْـرَبَـهْ
يَـا حُسْنَـهُ إِذْ قـالَ: مـا أَحْسَنـي ... وَيـا لِـذاكَ اللَّفْـظِ مـا أَعْـذَبَـهْ
قُلْـتُ لَـهُ: كُلُّـكَ عِنْـدي سَنـا ... وَكُـلُّ أَلْفـاظِـكَ مُسْتَعْـذَبَـهْ
فَفَـوَّقَ السَّهْـمَ وَلَـمْ يُخْطِنـي ... وَمُـذْ رَآنِـي مَيِّتـاً أَعْجَبَـهْ
وَقـالَ: كَـمْ عـاشَ وَكَـمْ حَبَّنِـي ... وَحُبُّـهُ إِيَّـايَ قَـدْ أَتْعَبَـهْ[3]
يَـرْحَمُـهُ اللهُ علـى أَنَّنِـي ... قَتْلِـي لَـهُ لَـمْ أَدْرِ مـا أَوْجَبَـهْ

● قَالَ الحريريُّ في « دُرَّةِ الغَوَّاصِ » : السَّوْسَنُ . بِفَتْحِ السِّيْنِ .

● وَقَدْ أَذْكَرَني السَّوْسنُ أَبْياتاً أَنْشَدَنِيها عليُّ بن عبدِ العزيزِ الأَديبُ المَغْرِبيُّ ، لأَبِي بكر ابن القُوطِيَّة الأَنْدَلُسيّ يَصِفُ فِيها الوَرْدَ والسَّوْسَنَ ، مِمَّا أَبْدَعَ فِيهِ وَأَحْسَنَ ؛ فَأَوْرَدْتُها على وَجْهِ التَّسْديدِ لِسِمْطِ هذا الفَصْلِ ، وَالتَّأَسِّي بِمَنْ دَرَجَ من أَهْلِ الفَضْلِ ، وهي[4] : [من البسيط]

قُمْ فَاسْقِنِيْها على الوَرْدِ الذي فَغَما ... وباكِرِ السَّوْسَنَ الغَضَّ الذي نَجَما
كَـأَنَّمـا ارْتَضَعـا خِلْفَـيْ سَمـائِهِمـا ... فَـأَرْضَعَـتْ لَبَنـاً هَـذا وَذاكَ دَمـا
جِسْمانِ قد كَفَّرَ الكافُورُ ذاكَ وَقَدْ ... عَـقَّ العَقيـقُ احْمِـراراً ذا ومـا ظَلَمـا

---

(١) القطعة في نفح الطِّيب ٣/ ٣٨٦ . وفيه ترجمة ابن الفرَّاء .
(٢) في أ : . . . لا تحسن × .
(٣) في أ ، ب : × . . . كم أَتعبه .
(٤) الأَبيات له في البديع في وصف الرَّبيع لأَبي الوليد الحميريّ ٤٣ ودرَّة الغوّاص ٣٠٩ .

كَـأَنَّ ذا طُلْيَـةٌ نُصَّـتْ لِمُعْتَـرِضٍ وَذاكَ خَـدٌّ غَـداةَ البَيْـنِ قـد لُطِمـا
أَوْلا فَـذَاكَ أَنـابِيْـبُ اللُّجَيْـنِ وَذَا جَمْرُ الغَضَى حَرَّكَتْهُ الرِّيْحُ فاضْطَرَما

● وَقالَتِ العَرَبُ[1] : قد كُنتُ أَظُنُّ أَنَّ العَقْرَبَ أَشَدُّ لَسْعاً من الزُّنْبُورِ ، فإذا هوَ هيَ ؛ وقالُوا أَيضاً : فإذا هُوَ إيَّاها .

وَهَذَا الوَجْهُ هُو الذي أَنْكَرَهُ سِيبويه لَمَّا سَأَلَهُ الكِسائيُّ بِحَضْرَةِ يَحْيى بن خالد البَرْمَكيّ ، فقالَ لَهُ الكِسائيُّ : إِنَّ العَرَبَ تَرْفَعُ كُلَّ ذلكَ وَتَنْصِبُهُ ، فأَنْكَرَ ذَلكَ سيبويه ، فقالَ لَهُ يَحيى : قد اخْتَلَفْتُما وَأَنْتُما رَئيسا بَلَدَيْكُما ؛ فقالَ لَهُ الكِسائيُّ : هذِهِ العَرَبُ ببابكَ ، قد سَمِعَ منهم أَهْلُ البَلَدَيْنِ ، فَيُحْضَرُونَ وَيُسْأَلُونَ ؛ فَأُحْضِرُوا وَسُئِلُوا ، فَوافَقُوا الكِسائيَّ ؛ فَأَمَرَ يَحْيَى لِسِيبويه بعَشْرَةِ آلافِ دِرهمٍ ، وَرَحَلَ سِيبويه من فَوْرِهِ إِلى بِلادِ فارسَ ، فَأَقامَ بِها حتَّى ماتَ في سنةِ ثَمانين ومئَةٍ ، وَله من العُمرِ ثلاثٌ وثَلاثون سنةً ؛ وقيلَ : اثْنتانِ وثَلاثُون سنةً[2] .

وَيُقالُ : إِنَّ العَرَبَ عَلِمُوا مَنْزِلَةَ الكِسائيِّ عِندَ الرَّشيدِ ، فقالُوا : القَوْلُ قَوْلُ الكِسائيّ ؛ وَلَمْ يَنْطِقُوا بالنَّصْبِ ، وَإِنَّ سِيبويه قالَ لِيَحْيى : مُرْهُمْ أَنْ يَنْطِقُوا بذلكَ ، فإِنَّ أَلْسِنَتَهُمْ لا تُطاوِعُهُمْ على النُّطْقِ بِهِ .

● وَقَدْ أَشارَ إِلى ذلكَ حازِمٌ في مَنْظُومَتِه بِقَوْلِهِ : [من البسيط]

وَالعُرْبُ قد تَحْذِفُ الأَخْبارَ بَعْدَ إذا إذا عَنَـتْ فَجْـأَةَ الأَمْـرِ الـذي دَهَمـا

---

(١) المسأَلة الزُّنبوريَّة ، في : مجالس العُلماء ٩ وأَمالِي الزَّجَّاجِيّ ٢٣٩ والإنصاف في مسائل الخلاف ٢٣٩ وطبقات الزُّبيديّ ٦٩ وإنباه الرُّواة ٣/ ٣٥٨ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٧٤٥ و ٥/ ٢١٢٥ والأَشباه والنَّظائر للسّيوطيّ ٣/ ٢٩ .

(٢) ترجمة سيبويه في : تاريخ بغداد ١٤/ ٩٩ وإنباه الرُّواة ٢/ ٣٤٦ ووفيات الأَعيان ٣/ ٤٦٣ ومعجم الأُدباء ٥/ ٢١٢٢ وسير أَعلام النُّبلاء ٨/ ٣١١ وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٩ وإشارة التَّعيين ٢٤٢ .

وَرُبَّما نَصَبُوا بالحالِ بَعْدَ إذا ... وَرُبَّما رَفَعُوا من بَعْدِها رُبَما
فإنْ تَوالَى ضَميرانِ اكْتَسى بِهِما ... وَجْهُ الحَقيقَةِ من إشْكالِهِ عَمَمَا
لِذاكَ أَعْيَتْ على الأفْهامِ مَسْأَلَةٌ ... أَهْدَتْ إلى سِيبَوَيْهِ الحَتْفَ والغَمَما
قَدْ كانَتِ العَقْرَبُ العَوْجاءُ أَحْسَبُها ... قِدْماً أَشَدَّ من الزُّنْبُورِ وَقْعَ حُمَا
وَفي الجَوابِ عليها هَلْ إذا هوَ هيْ ... أَوْ هَلْ إذا هُوَ إيَّاها قد اخْتَصَما
فَخَطَّأَ ابْنُ زِيادٍ وَابْنُ حَمْزَةَ فِي ... مَا قَالَ فيها أَبا بِشْرٍ وَقَدْ ظَلَما[1]
وَغاظَ عَمْراً عَلِيٌّ في حُكُومَتِهِ ... يا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ في أَمْرِهِ حَكَما[2]
كَغَيْظِ عَمرٍو عَلِيّاً في حُكومَتِهِ ... يا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ في أَمْرِهِ حَكَما[3]
وَفَجَّعَ ابْنُ زِيادٍ كُلَّ مُنْتَحِبٍ ... مِنْ أَهْلِهِ إذْ غَدَا منهُ يَفيضُ دَما
وَأَصْبَحَتْ بَعْدَهُ الأَنْفاسُ باكِيَةً ... في كُلِّ طِرْسٍ كَدَمْعٍ سَحَّ وانْسَجَما
وَلَيْسَ يَخْلُو امْرُؤٌ من حاسِدٍ أَضِمٍ ... لَوْلا التَّنافُسُ في الدُّنْيا لَما أَضِما[4]
وَالغُبْنُ في العِلْمِ أَشْجَى مِحْنَةً عُلِمَتْ ... وَأَتْرَحُ النَّاسِ شَجْواً عالِمٌ هُضِما

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ العَقْرَبِ وَبَيْعُها ، وَتُقْتَلُ في الحِلِّ والحَرَمِ ؛ وإذا ماتَتْ في مائعٍ نَجَّسَتْهُ على المَشْهُورِ ، وَقيلَ : لا تُنَجِّسُهُ كالوَزَغَةِ ؛ وَنَقَلَ الخَطَّابيُّ عن يَحْيَى بن أَبي كَثيرٍ : إنَّ العقربَ إذا ماتَتْ في المَاءِ نَجَّسَتْهُ ؛ ثمَّ قالَ : وعامَّةُ أَهْلِ العِلْمِ على خِلافِهِ .

الأَمْثالُ : قَالَ الشَّاعِرُ[5] : [من المتقارب]

---

(١) ابن زياد : هو الفرَّاء ، يحيى بن زياد .

(٢) عمرو : هُو سيبويه ، وعليٌّ : هو الكسائيُّ .

(٣) الإشارة إلى عمرو بن العاص ، وعليّ بن أبي طالب ، في قضيةِ التحكيم . والعجز كذا ورد في الأُصول .

(٤) الأَضَمُ : الحقد والحسد . (القاموس) .

(٥) البيت بلا نسبة في زهر الأكم ١/ ٢٢٠ .

وَمَــنْ لَــمْ يَكُــنْ عَقْــرباً يُتَّقَــىٰ   مَشَــتْ بَيْــنَ أَثْــوابِــهِ العَقْــرَبُ

وَقـالُـوا : « فِـي النُّصْـحِ لَسْـعُ العَقـارِبِ »[1] . وقـالُـوا : « أَعْـدى مـن العقربِ »[2] وَهُو من العَدَاوَةِ . وقالُوا : « العَقْرَبُ تَلْدَغُ وَتَصيئُ »[3] . يُضْرَبُ للظَّالِمِ في صِفَةِ المُتَظَلِّمِ . وقالُوا : « تَحَكَّكَتِ العَقْرَبُ بالأَفْعَى »[4] . يُضْرَبُ لِمَنْ يُنازِعُ أَو يُخاصِمُ من هُوَ أَكثرُ منهُ شَرّاً ؛ يُقالُ : تَحَكَّكَ بِهِ : إذا تَعَرَّضَ لِشَرِّهِ .

وَقَوْلُهُم : « أَتْجَرُ من عَقْرَبٍ »[5] و« أَمْطَلُ من عَقْرَبٍ »[6] : هُوَ اسْمُ تاجِرٍ كان بِالمَدينَةِ ، وَكانَ من أَكْثَرِ النَّاسِ تِجارَةً ، وَأَشَدِّهم تَسْويفاً ، حتَّى ضَرَبُوا بِمَطْلِهِ المَثَلَ .

فَاتَّفَقَ أَنْ عامَلَ الفَضْلَ بن عَبَّاسٍ بن عُتْبَةَ بن أَبي لَهَبٍ ، وَكانَ من أَشَدِّ النَّاسِ اقْتِضَاءً ؛ فقَالَ النَّاسُ : نَنْظُرُ الآنَ ما يَصْنَعانِ ؛ فلمَّا جَاءَ المالُ ، لَزِمَ الفَضْلُ بَابَ عَقْرَبٍ ، وَشَدَّ حِمارَهُ ببابِهِ ، وقَعَدَ يَقْرَأُ القرآنَ ، فأقامَ عقربُ على المطلِ غيرَ مُكْتَرِثٍ به ، فعَدَلَ الفَضْلُ عن مُلازَمَةِ بابِهِ إِلى هِجاءِ عِرْضِهِ ؛ فَمِمَّا سَارَ عنهُ قَولُه فِيهِ[7] : [من السَّريع]

---

(١) الميدانيّ ٢/ ٧٨ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ٤٥ وحمزة ١/ ٣٠٣ والعسكريّ ٢/ ٦٧ والزَّمخشريّ ١/ ٢٣٨ . قال الميدانيّ : هو من العِداءِ والعداوة .

(٣) الميدانيّ ١/ ١٢٦ . وتَصيءُ : تصيحُ .

(٤) لم يرد في كتب الأَمثال .

(٥) الميدانيّ ١/ ١٤٧ وحمزة ١/ ٩٧ والعسكريّ ١/ ٢٨١ والزمخشريّ ١/ ٣٣ .

(٦) حمزة ١/ ٩٧ و ٣٨٨ و ٢/ ٣٨٨ والعسكريّ ٢/ ٢٩٤ والزَّمخشريّ ٣٦٧ .
والخبر أَيضاً في : الحيوان ٤/ ٢١٨ وعيون الأَخبار ١/ ٢٥٦ والمحاسن والمساوىء ١/ ٤٧٢ واللسان والتاج « عقرب » .

(٧) الأَبيات في مظانِّ المثل والخبر .

كُـــلُّ عَـــدُوٍّ كَيْـــدُهُ فـــي اسْتِـــهِ فَغَيْـــرَهُ ليْـــسَ الأَذى ضـــائِـــرَهْ
قَـد تَجَـرَتْ فـي سُـوقِنـا عَقْـرَبٌ لا مَـرْحَبـاً بـالعَقْـرَبِ التَّـاجِـرَهْ
كُـــلُّ عَـــدُوٍّ يُتَّقَـــى مُقْبِـــلاً وَعَقْـرَبٌ يُخْشَـى مـن الـدَّابِـرَهْ
إنْ عـادَتِ العَقْـرَبُ عُـدْنـا لَهَـا وَكـانَـتِ النَّعْـلُ لَهـا حـاضِـرَهْ

● وَقَدْ أَذْكَرَني قَولُه : إنْ عادَتِ العَقْرَبُ عُدْنا لَها . . . البيت . ما حَكاهُ الشَّيْخُ كَمالُ الدِّيْنِ الأُدْفُوي في كِتابِهِ « الطَّالع السَّعيد »[١] :

أَنَّ الشَّيْخَ تَقيَّ الدِّينِ بن دَقيق العيدِ كان في صِباهُ يَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ مَع زَوْجِ أُخْتِهِ الشَّيْخ تَقيّ الدِّينِ ابن الشَّيْخ ضِياء الدِّين ؛ فَأُذِّنَ بالعِشَاءِ ، فقاما فَصَلَّيَا ، ثمَّ قالَ الشَّيْخُ تَقيّ الدِّيْنِ بن دَقيق العِيدِ : أَما تَعودُ ؟ فقالَ صِهْرُهُ :

إنْ عـادَتِ العَقْـرَبُ عُـدْنـا لَهَـا وَكـانَـتِ النَّعْـلُ لَهـا حـاضِـرَهْ

فَأَنِفَ الشَّيْخُ تَقيُّ الدِّينِ من ذلكَ ، فَلَمْ يعد يَلْعَبُها إلى أَنْ مَاتَ .

● **فائِدَةٌ** : قالَ « ابنُ خلّكان »[٢] في ترجمةِ « أَبي بكر الصُّوليّ » الكاتِبِ المَشْهُورِ : إنَّهُ كان أَوْحَدَ أَهْلِ زَمانِهِ في لَعِبِ الشَّطْرنجِ ، وَالنَّاسُ إلى الآنَ يَضْربُونَ المَثَلَ بِهِ في ذلكَ ، وَزَعَمَ كثيرٌ من النَّاسِ أَنَّهُ الذي وَضَعَ الشّطرنجَ ، وَهوَ غَلَطٌ .

وَواضِعُهُ رجلٌ يُقالُ لَهُ : صِصَّة ـ بصادَيْن مُهملَتَينِ ، الأُولى مَكسورَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ مَفتوحَةٌ مُشَدَّدَةٌ ـ وَضَعَهُ لِمَلِكِ الهِنْدِ شِهْرام ـ بِكَسْرِ الشِّيْنِ المُعجمةِ ـ .

وَكانَ أَرْدَشيرُ بن بابَك ـ أَوَّلُ مُلُوكِ الفُرْسِ المُؤَرَّخَةُ بِهِ ـ قد وَضَعَ النَّرْدَ ، وَلذلكَ قيلَ لَهُ : النَّرْدَشير ، نَسَبُوهُ إلى واضِعِهِ المَذْكُورِ ، وَجَعَلَهُ مِثالاً للدُّنْيا

(١) الطَّالع السَّعيد ٥٨٢ .
(٢) وفيات الأَعيان ٤/٣٥٧ والغيث المسجم ٢/٩١ وعمدة المحتجّ في حكم الشَّطرنج للسّخاويّ ٤ أ ، ب وحاشية البغداديّ على شرح بانت سُعاد ١/ ٧٣٢ .

وَأَهْلِها ؛ فَجعلَ الرُّقْعَةَ اثْني عَشَرَ بَيْتاً بعَدَدِ شُهُورِ السَّنَةِ ، وَجَعَلَ القِطَعَ ثَلاثِينَ قِطعةً بعَدَدِ أَيَّامِ الشَّهْرِ ، وَجَعَلَ الفُصُوصَ مثلَ القَضاءِ والقَدَرِ وتَقَلُّبِه في الدُّنْيا ، فَافْتَخَرَتِ الفُرْسُ بوَضْعِ النَّرْدِ ، فَوَضَعَ صِصَّةُ الهِنْدِيُّ الحَكيمُ الشَّطرنجَ لِمَلِكِ الهِنْدِ ، فَقَضَتْ حُكَماءُ ذلكَ العَصْرِ بتَرْجِيحِ الشَّطرنْجِ على النَّرْدِ .

وَأَرْدَشير ـ بالرَّاءِ المُهملَةِ ، وَقيلَ : بالزَّاي ـ هُوَ الذي أَبادَ مُلُوكَ الطَّوائِفِ ، وَمَهَّدَ لِنَفْسِهِ المُلْكَ ، وَهُو جَدُّ مُلُوكِ الفُرْسِ الذينَ آخِرُهُم يَزْدَجِردُ ـ بكَسْرِ الجِيمِ ـ وَانْقَرَضَ مُلْكُهم في خِلافَةِ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ سنَةَ اثنتينِ وثلاثِينَ من الهِجْرةِ . انتهى .

وَالصَّوابُ أَنَّ المَلِكَ الذِي وُضِعَ لَهُ الشَّطرنجُ بَلْهَيْتُ ، كَما قالَهُ شيخُنا اليافعيّ وغيرُهُ[1] ، وَأَنَّهُ لَمَّا قَدَّمَهُ لِلمَلِكِ ، وَأَراهُ طَريقَةَ اللَّعِبِ بِهِ ، أُعْجِبَ المَلِكُ إِعْجاباً عَظيماً ، وقالَ لَهُ : تَمَنَّ عليَّ . فقالَ : أَتَمَنَّى عَليكَ أَيُّها المَلِكُ ، أَن يُوضَعَ دِرْهَمٌ في أَوَّلِ بُيُوتِ الرُّقْعَة ، وَيُضاعَفَ إِلى آخِرِها[2] . فَقالَ لَهُ المَلِكُ : ما هذا القَدْرُ ؟ أَفْسَدَتْ عَلَيْنا ما صَنَعْتَ ! فقالَ الوَزيرُ : مَهْلاً أَيُّها المَلِكُ ، فإِنَّ خَزائِنَكَ وَخَزائِنَ مُلُوكِ أَهْلِ الأَرْضِ تَنفدُ دُونَ ذلكَ .

● وَقد أَغفلَ ابنُ خلّكانَ من وَصْفِ النَّرْدِ أَشياءَ ، منها :

أَنَّ الاثْنَي عَشَرَ بَيْتاً التي في الرُّقعةِ ، مَقسُومَةٌ أَربعةً على عَدَدِ فُصُولِ السَّنَةِ .

ومنها : أَنَّ الثَّلاثِينَ قطعةً بِيْضٌ وَسُودٌ ، كَالأَيَّامِ وَاللَّيالِي .

ومنها : أَنَّ الفُصُوصَ مُسَدَّسَةٌ ، إِشارَةً إِلى أَنَّ الجِهاتِ سِتٌّ لا سابِعَ لَها .

---

(١) وَكَذَا في رِواية لابن خلّكان .

(٢) بل قال : اقترحتُ أَن تضعَ حبَّة قمحٍ في البيتِ الأَوَّل ، ولا تَزالُ تُضعفها حتَّى تنتهي إِلى آخِرِها . (ابن خلّكان والصَّفديّ) .

وَمنها : أَنَّ ما فَوْقَ الفُصُوصِ وَتَحْتَها ، كَيْفَما وَقَعَتْ ، سَبْعُ نُقَطٍ ، عَدَدَ الأَفْلاكِ وَعَدَدَ الأَرْضِيْنَ ، وَعَدَدَ السَّماوَاتِ ، وَعَدَدَ الكَواكِبِ السَّيَّارَةِ .

وَمِنْها : أَنَّهُ جَعَلَ تَصَرُّفَ اللاَّعِبِ في تِلْكَ الأَعْدَادِ لاخْتِيارِهِ ، وَحُسْنَ التَّدبيرِ بعَقْلِهِ ، كَمَا يُرْزَقُ العاقِلُ شَيْئاً قليلاً فَيُحْسِنُ التَّدبيرَ فِيهِ ، وَيُرْزَقُ المُفَرِّطُ شَيْئاً كثيراً فَلا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِيهِ .

فَالنَّرْدُ جامِعٌ لِحُكْمِ القَضَاءِ والقَدَرِ ، وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ لاخْتِيارِ لاعِبِهِ .

وَالشَّطرنْجُ مُفَوَّضٌ لاخْتِيارِ اللاَّعِبِ وَعَقْلِهِ وَتَصَرُّفِهِ الجَيِّدِ أَوِ الرَّدِيءِ ؛ وَتَفضِيلُ الشَّطرنجِ على النَّرْدِ فِيهِ نَظَرٌ .

وَالسِّطْرَنْجُ ـ بِكَسْرِ السِّيْنِ المُهملَةِ ، عَلى وَزْنِ جِرْدَحْلٍ : وَهُوَ الضَّخْمُ من الإِبِلِ .

وَقَدْ جُوِّزَ في الشَّطْرَنْجِ أَنْ يُقالَ بِالشِّيْنِ المُعْجَمَةِ ، لِجَوازِ اشْتِقاقِهِ من المُشَاطَرَةِ ؛ وَأَنْ يُقالَ بالسِّينِ المُهملَةِ لِجَوازِ أَنْ يَكُونَ اشْتُقَّ من التَّسْطِيرِ عندَ التَّعْبِئَةِ . قالَهُ في « دُرَّةِ الغَوَّاصِ »(١) .

● وَمِمَّا قِيلَ في الشَّطرنْجِ : [من الوافر]

وَخَيْلٍ قَدْ رَأَيْتُ إِزاءَ خَيْلٍ ... يُساقُ بِها كَأَكْيَاسِ الرِّياحِ
بِمَيْمَنَةٍ وَمَيْسَرَةٍ وَقَلْبٍ ... كَتَعْبِئَةِ الكَتائِبِ لِلْبِطَاحِ
إِذَا ما قُتِّلُوا نُشِرُوا وَعادُوا ... صِحاحاً لَمْ يُصابُوا بِالجِراحِ
بِغَيْرِ عَداوَةٍ كانَتْ قَديماً ... وَلَكِنْ لِلتَّلَذُّذِ والمِزاحِ

● **إِشارَةٌ**(٢) : لَعِبُ الشَّطْرَنْجِ مَكْرُوهٌ كَراهَةَ تَنْزِيهٍ ؛ وَقيلَ : حَرامٌ ؛

---

(١) دُرَّة الغوَّاص ٣١٤ ـ ٣١٥ .

(٢) يراجعُ كِتاب عمدة المحتجّ في حكم الشطرنج للسّخاويّ ٨ ب وما بعد . [نسخة الظَّاهريَّة بدمشق] .

وَقيلَ : مُباحٌ . وَالأَوَّلُ أَصَحُّ .

وَقالَ مالِكٌ وَأَبو حَنيفةَ وَأَحمد : إِنَّهُ حَرامٌ ، وَوَافَقَهُم من أَصْحابِنا الحَليميُّ والرُّويانيُّ .

وَرَوى البَيهقيُّ : أَنَّ محمَّد بن سِيرين ، وَهِشام بن عُروة بن الزُّبير ، وَبَهْزَ ابن حَكيم ، وَالشَّعبيَّ ، وسَعيد بن جُبير ، كانُوا يَلْعَبُونَ بِالشَّطرنجِ .

وَقالَ الشَّافعيُّ : كان سَعيدُ بن جُبَيْرٍ يَلعبُ بِالشَّطرنجِ اسْتِدْباراً من وَراءِ ظَهْرِهِ .

وَرَوى الصّعلوكيُّ تَجويزَهُ عن أَميرِ المُؤمنين عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، وَأَبي اليُسْرِ ، وَأَبي هُريرة ، وَالحَسَن البَصريّ ، وَالقاسِم بن محمَّد، وَأَبي قِلابَةَ، وَأَبي مِجْلَز، وَعَطاء، والزُّهريّ، وَربيعة بن عبدِ الرَّحمنِ ، وَأَبي الزِّنادِ رَحمهم اللهُ تَعالى .

وَالمَرْوِيُّ عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، من اللَّعِبِ بِهِ مَشْهُورٌ في كُتُبِ الفِقْهِ .

وَرَوى الصُّوليُّ في جُزْءٍ قد جَمَعَهُ في الشَّطرنْجِ : أَنَّ أَبا هُريرةَ ، وَعليَّ بن الحُسين زَيْن العابدين ، وسَعيد بن المُسَيّب ، ومحمَّد بن المُنْكَدِر ، وَالأَعْمَشَ ، وناجِيَة ، وَعِكْرِمَةَ ، وَأَبا إِسحاق السَّبيعيّ ، وَإِبراهيم بن سَعْد ، وإِبراهيم بن طَلْحَةَ بن عبدِ الله بن مَعْمَرٍ ، كانُوا يَلعبُونَ بِالشَّطرنْجِ .

وَقد ذَكَرْتُ الأَسانِيْدَ عن هَؤُلاءِ ، وتَكَلَّمْتُ على أَدِلَّةِ المُخالِفينَ ، بِكَلامٍ يَشْفي النَّفْسَ وَيُذْهِبُ اللَّبْسَ ، في جُزْءٍ أَفْرَدْتُهُ في « الشَّطرنجِ والنَّرْدِ » ، نحوَ عِشرينَ كُرَّاسَةً ، فاعْلَمْ ذلكَ . وَاللهُ تعالَى أَعلمُ .

● قَالَ أَصْحابُنا : وَلأَنَّ الشَّطْرَنْجَ فِيْها تَدبيرُ الحُرُوبِ ، فَأَشْبَهَتِ اللَّعِبَ بِالحِرابِ ، وَلَم يَثبتْ عن النَّبيِّ ﷺ نَهْيٌ صَحيحٌ عن اللَّعِبِ بِهِ .

وَأَقْوَى ما يَحْتَجُّ بِهِ القائِلُونَ بالتَّحْرِيم ما رُوِيَ عن ابن عُمر ، أَنَّهُ سُئِلَ عن الشَّطرَنْجِ ، فقالَ : هيَ شَرٌّ من النَّرْدِ . قَالُوا : والنَّرْدُ حَرامٌ ، فَيَكُونُ الشَّطرنْجُ كَذَلِكَ .

قَالَ الإمامُ تاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ في الجَوابِ عن هَذَا الأَثَرِ : إِنَّا لا نَعلَمُ مَذْهَبَ ابْنِ عُمر في النَّرْدِ ، وَلَعَلَّهُ كان يَقُولُ بِحِلِّهِ ، وَهُوَ وَجْهٌ لِأَصْحابنا ؛ وَلا يَلْزمُ حِينئِذٍ من كَوْنِ الشَّطرنْجِ شَرّاً من الحَلالِ ، باعْتِبارِ ما أَنْ يَكُونَ حَراماً .

وَأَيْضاً فإِنَّ المَسْأَلَةَ مَسْأَلَةٌ اجْتِهادِيَّةٌ ، وَلعلَّ ابنَ عُمر كان يَذْهَبُ إلى التَّحريمِ ؛ وَرَأْيُ الشَّافعيِّ مَعرُوفٌ .

وَعَلى قَوْلِ مَن قَالَ : إِنَّ قَوْلَ الصَّحابيِّ حُجَّةٌ ، يُشْتَرَطُ فِيهِ أَنْ لا يُعارِضَهُ قَوْلُ صَحابِيٍّ آخَر ؛ وَهَذَا قد عارَضَهُ قَوْلُ جَماعَةٍ من الصَّحابَةِ بِالجَوازِ .

وَأَيْضاً هَذَا الأَثَرُ لَمْ يَقُلْ بظاهِرِهِ أَحَدٌ من العُلماءِ ، وَذلكَ أَنَّ ظاهِرَهُ أَنَّ الشَّطرنجَ شَرٌّ من النَّرْدِ ، سَواءٌ اشْتَمَلَ على عِوَضٍ أَمْ لا .

وَبَعْضُ العُلماءِ قالَ : إِنَّ الشَّطرنْجَ شَرٌّ من النَّرْدِ ، لكِنْ شَرَطَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مُشتملاً على عِوَضٍ ؛ وَأَمَّا إِذا لَمْ يَكُنْ مُشْتَمِلاً على عِوَضٍ ، فَلَمْ نَعلمْ أَنَّ أَحَداً من العُلَماءِ قالَ : إِنَّهُ في هذِهِ الحالَةِ شَرٌّ من النَّرْدِ .

وإِذا كان الأَثَرُ مَرْدُودَ الظَّاهِرِ بالإِجْماعِ ، سَقَطَ الاحْتِجاجُ بِهِ . انتهى .

● وَرَوَى الآجُرِّيُّ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّه قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذا مَرَرْتُمْ بِهَؤُلاءِ الَّذينَ يَلْعَبُونَ بِالأَزْلامِ ، الشَّطرنجِ والنَّرْدِ ، فلا تُسَلِّمُوا علَيْهِم » .

هَذَا حَديثٌ ضَعيفٌ ، لِأَنَّ في سَنَدِهِ سُليمان اليَماميّ[1] ؛ وَقد قَالَ ابْنُ

---

(١) هو سليمان بن داود اليمامي ، أبو الجمل . (لسان الميزان ٤/ ١٤٠ وميزان الاعتدال ٢/ ٢٠٢) .

مَعينٍ فِيهِ : لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ وَقالَ البُخاريُّ : مُنْكَرُ الحَدِيثِ ، فلا تَحِلُّ الرِّوايَةُ عنهُ ؛ وَقالَ ابْنُ أَبي حاتِمٍ : سَمعتُ أَبي يَقولُ : هُو مُنْكَرُ الحَدِيثِ ، لا أَعْلَمُ لَهُ حَدِيثاً صَحيحاً . انتهى .

فَأَمَّا إِذا انْضَمَّ إِلَيْهِ اشْتِغالٌ عن صَلاةٍ أَوْ غَيْرِها ، فَالتَّحريمُ إِذ ذاكَ لَيسَ للشَّطرنْجِ نَفْسِهِ ؛ وَهو مَكْرُوهٌ إِذا لَمْ يُواظَبْ عليْهِ ، فإِنْ واظَبَ عَلَيْهِ فإِنَّهُ يَصِيرُ صَغيرةً ، كَمَا ذَكَرَهُ الغَزاليُّ في « كِتابِ التَّوبَةِ » من « الإِحْياءِ »[1] .

لَكِنْ ذَكَرَ ابْنُ الصَّبَّاغِ في « الشَّامِلِ » خِلافَهُ .

وَأَمَّا النَّرْدُ فَحَرامٌ على الأَصَحِّ ، لِقَوْلِهِ ﷺ[2] : « مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرسولَهُ » .

وَلِقَوْلِهِ ﷺ[3] : « مَثَلُ الذي يَلْعَبُ بالنَّرْدِ ، ثمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي ، مَثَلُ الذِي يَتَوَضَّأُ بِالقَيْحِ وَدَمِ الخِنْزِيرِ ، ثمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي » .

● وَمِنْ مَحاسِنِ شِعْرِ الإِمامِ العَلاَّمَةِ ، حُجَّة الإِسلامِ ، أَبي حامِدٍ الغَزاليّ رحمَهُ اللهُ تَعالَى في التَّشْبيهِ[4] : [من الكامل]

حَلَّتْ عَقارِبُ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ ... قَمَراً يَجِلُّ بِهِ عَنِ التَّشْبِيهِ[5]
وَلَقَدْ عَهِدْناهُ يَحِلُّ بِبُرْجِها ... وَمِنَ العَجائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٤/ ٢٠ .
(٢) أَبو داود (٤٩٣٨) وابن ماجه (٣٧٦٢) والموطأ ٢/ ٩٥٨ ومسند أَحمد ٤/ ٣٩٤ و ٣٩٧ و ٤٠٠ .
(٣) مسند أَحمد ٥/ ٣٧٠ .
(٤) هما له في : الخريدة (قسم مصر) ٢/ ٢٠٧ ، والرسالة المصرية ٤٩ (ضمن نوادر المخطوطات) ونتائج المذاكرة ٤٠ ووفيات الأَعيان ٤/ ٢١٨ والأَفضليات ٢٧٩ وتذكرة النبيه ٣/ ٨٥ ـ ٨٦ .
(٥) في ط : . . . من خدّه × .

وَقدْ تقدَّمَ ذِكْرُ وفاتِهِ ، وَطَرَفٍ من أَخْبارِهِ في « بابِ الحَاءِ المُهملَةِ » في « الحَمامِ » .

● وَقد أَجادَ أَبُو المَحاسِنِ يُوسف الشَّوَّاءُ في وَصْفِ غُلامٍ ، أَرْسَلَ أَحَدَ صُدْغَيْهِ وَعَقَدَ الآخَرَ ، فقالَ[1] : [من السَّريع]

أَرْسَلَ صُدْغاً وَلَوى قاتِلي صُدْغاً فَأَعْيَا بِهِما واصِفَهْ
فَخِلْتُ ذا في خَدِّهِ حَيَّةً تَسْعَى وَهَذا عَقْرَباً واقِفَهْ
ذا أَلِفٌ لَيْسَتْ لِوَصْلٍ وَذَا واوٌ وَلَكِنْ لَيْسَتِ العاطِفَهْ

● وَمِنْ مَحاسِنِ شِعْرِهِ رَحمهُ اللهُ أَيضاً[2] : [من الكامل]

قَالُوا : حَبِيْبُكَ قد تَضوَّعَ نَشْرُهُ حَتَّى غَدا مِنْهُ الفَضاءُ مُعَطَّرا
فَأَجَبْتُهُمْ وَالخالُ يَعْلُو خَدَّهُ : أَوَ ما تَرَوْنَ النَّارَ تَحْرِقُ عَنْبَرَا[3]

الخَواصُّ[4] : قَالَ صاحِبُ « عينِ الخَواصِّ » : العَقْرَبُ إِذا رَأَتِ الوَزَغَةَ ، ماتَتْ وَيَبِسَتْ من ساعَتِها .

وَقيلَ : إِنَّ العَقْرَبَ إِذا أُحْرِقَتْ وَدُخِّنَ بها البَيْتُ ، هَرَبَتِ العَقارِبُ منهُ ؛ وإِذا طُبِخَتْ بِزَيْتٍ ، وَوُضِعَ على لَدْغِ العَقارِبِ ، سَكَنَ الوَجَعُ ؛ وَرَمادُ العَقَارِبِ يُفَتِّتُ الحَصَى .

وَإِنْ أُخِذَت عَقْرَبٌ ، وَقد بَقِيَ من الشَّهْرِ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ ، وَجُعِلَتْ في إِناءٍ ، وَصُبَّ عَلَيْها رِطْلُ زَيْتٍ ، وَسُدَّ رَأْسُ الإِناءِ ، وَتُرِكَ حَتَّى يَأْخُذَ الزَّيْتُ قُوَّتَها ،

---

(١) الأَبيات له في وفيات الأعيان ٧/ ٢٣٤ وعقود الجمان لابن الشَّعَّار ١٠/ ٢٥٢ .
(٢) هما له في وفيات الأعيان ٧/ ٢٣٥ وعقود الجمان ١٠/ ٢٥٠ .
(٣) في ط : × أو ما ترى النيران . . .
(٤) عجائب المخلوقات ٢٩٨ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٢٨ وتذكرة داود ١/ ٢٣٨ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١١٩ والمستطرف ٢/ ٥٠٢ .

ثمَّ ادَّهَنَ بِهِ مَن بِهِ وَجَعُ الظَّهْرِ والفَخِذَيْنِ ، فإنَّهُ يَنْفَعُهُ وَيُقَوِّيه .

وإِنْ شُرِبَ بِزْرُ الخَسِّ بِشَرابٍ ، أَمِنَ شارِبُهُ من لَسْعِ العَقارِبِ .

وَإِنْ طُرِحَتْ قِطعةٌ من فُجْلٍ عَلَى قِدْرٍ ، لَمْ تَدِبَّ عَلَيْها عَقْرَبٌ ، إلاَّ ماتَتْ من وَقْتِها .

وَإِذا دِيْفَ وَرَقُ الخَسِّ بِدُهْنٍ ، وَطُلِيَ بِهِ على لَسْعَةِ العَقْرَبِ ، أَبْرَأَها .

وَإِنْ طُبِخَتِ العَقْرَبُ بِسَمْنِ البَقَرِ ، وَطُلِيَ بِهِ مَوْضِعُ لَسْعَتِها ، سَكَّنَها من وَقْتِهِ .

وَقَالَ ابنُ السُّويديّ : إِذا وُضِعَتِ العَقْرَبُ في إِناءِ فَخَّارٍ ، وَسُدَّ رَأْسُهُ ، ثمَّ وُضِعَ في تَنُّورٍ إِلى أَنْ تَصيرَ رَماداً ، وَسُقِيَ من ذلكَ الرَّمادِ مَن بِهِ الحَصَى ، نَفَعَهُ وَفَتَّتَها .

وإِذا بُخِّرَ البَيْتُ بِعَقْرَبٍ ، اجْتَمَعَتْ فِيهِ العَقارِبُ . كَذَا قال أَرسْطُو ؛ وَقَالَ غيرُهُ : تَهربُ مِنْهُ العَقارِبُ .

وإِذا غُرِزَتْ شَوْكَةُ العَقْرَبِ في ثَوْبِ إِنْسَانٍ ، لَمْ يَزَلْ سَقِيماً حتَّى تَزُولَ منهُ .

وَإِنْ دُقَّتِ العَقارِبُ ، وَأُلْصِقَتْ على لَسْعَتِها ، أَبْرَأَتْها ؛ وَإِنْ وَقَعَتْ في مَاءٍ ، وَشَرِبَ منهُ إِنْسَانٌ وَهُوَ لا يَعْلَمُ ، امْتَلأَ جَسَدُهُ قُرُوحاً .

وإِنْ بُخِّرَ البَيْتُ بِزَرْنِيخٍ أَحمرَ وَشَحْمِ البَقَرِ ، هَرَبَتْ مِنْهُ العَقارِبُ .

وَقَالَ القَزوينيُّ والرَّازي : من شَرِبَ مِثْقالَيْنِ من حَبِّ الأُتْرُجِّ بعدَ دَقِّهِ ناعِماً ، أَبْرَأَ ذَلكَ من لَسْعَةِ العَقْرَبِ والحَيَّةِ وَغَيرِهما من ذَواتِ السُّمُومِ . وَهُوَ عَجيبٌ مُجَرَّبٌ .

وَفي « عَجائِبِ المخلُوقاتِ » : أَنَّهُ إِذا عُلِّقَ شَيْءٌ من عُرُوقِ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ

على مَن لَسَعَتْهُ العَقْرَبُ ؛ بَرِيءَ من وَقْتِهِ .

وَشَجَرُ الرُّمَّانِ إذا بُخِّرَ بحَطَبِهِ ، طَرَدَها .

وَشَحْمُ الماعِزِ ، وَالسَّمْنُ البَقَرِيُّ ، وَالزَّرْنِيخُ الأَصْفَرُ ، وَحافِرُ الحِمارِ ، وَالكِبريتُ ، وَرَشُّ البَيْتِ بالمَاءِ المَنْقُوعِ فِيهِ الحِلْتيتُ ؛ وَوَضْعُ قُشُورِ الفُجْلِ في البَيْتِ ؛ كُلُّ ذلكَ يَطْرُدُها . وَهُوَ عَجيبٌ أيضاً مُجَرَّبٌ . ذَكَرَ ذلكَ في « المنتخب » .

وَفِي « المُوجَزِ » : الفُجْلُ المَشْدُوخُ وَعُصارَتُهُ إذا أُمْسِكَتْ ، وَوَرَقُهُ ، وَالباذَروجِ ، يَطْرُدُها .

وَإِنْ وُضِعَ الفُجْلُ المَقطُوعُ على جُحْرِها ، لَمْ تَجْرُؤْ على الخُرُوجِ .

وفيها : أَنَّ تَفْلَ الصَّائِمِ يَقْتُلُ الحَيَّاتِ وَالعَقارِبَ . وَفي « المُنتخب » أَنَّ تَفْلَ الحارِّ المِزاجِ يَفعلُ مثلَ ذلكَ .

وَرُؤْيَةُ السُّها تُؤْمنُ من لَسْعَةِ العَقْرَبِ وَالسَّارِقِ ؛ وَقَدْ ذَكَرَ ذلك الرَّئيسُ أَبُو عليّ ابن سِيْنا في أُرجُوزَتِهِ ـ وقيلَ : إِنَّها لابْنِ شَيْخِ حِطِّين ـ وهيَ تَشتملُ على خَواصَّ مُجَرَّبَةٍ ، وَأَسْرارٍ من عِلْمِ الطِّبِّ ؛ فَلْنَأْتِ بِها بِكَمالِها لِتَتِمَّ الفائِدَةُ ؛ وَهِيَ هَذِهِ : [من الرجز]

بَدَأْتُ بِسْمِ اللهِ في نَظْمٍ حَسَنْ ... أَذْكُرُ ما جَرَّبْتُ في طُولِ الزَّمَنْ
مَا هُوَ بِالطَّبْعِ وَبِالخَواصِّ ... لِكُلِّ عامٍّ وَلِكُلِّ خاصِّ
في شَوْكَةِ العَقْرَبِ نَجْمٌ تَوْأَمُ ... تَراهُ عَيْنُ مَن يَراهُ يَعلَمُ
إذا تَراآهُ امْرَآنِ اصْطَحَبَا ... وَاتَّفَقَا وَذَا وَذَا تَحابَبا
لا سِيَّما إنْ قِيلَ ذَا مُحَبَّبُ ... بَعْضٌ لِبَعْضٍ : كَوْكَبانِ كَوْكَبُ
وَتَوْأَمٌ نَجْمانِ في سَعْدِ بَلَعْ ... رُؤْيَتُهُ لِكُلِّ وُدٍّ قد جَمَعْ
وَمِثْلُهُ أَيْضاً لِسَعْدِ الذَّابِحِ ... رُؤْيَتُهُ لِكُلِّ وُدٍّ صالِحِ

تُخْبِرُ مَن شِئْتَ بِهِ فَيَعْجَبُ ... ثُمَّ يَقولُ : كَوْكَبانِ كَوْكَبُ
فَيَنْشَأُ الوُدُّ بِإِذْنِ اللهِ ... بَيْنَهُما فَلا تَكُنْ بِاللاَّهِي
كَفُّ الخَضِيْبِ فُرْقَةٌ إِلى الأَبَدْ ... لِكائِنٍ مَن كان من كُلِّ أَحَدْ
يَنْظُرُهُ الإِنْسانُ أَوْ جَماعَهْ ... يَفْتَرِقُوا إِلى قِيامِ السَّاعَهْ
نَجْمُ السُّها مَأْمَنَةٌ من سارِقِ ... وَمِنْ سُمُومِ عَقْرَبٍ وَطارِقِ
وَمَنْ رَأَى عَشِيَّةً نَجْمَ السُّها ... لَمْ تَدْنُ مِنْهُ عَقْرَبٌ يَمَسُّها
وَقيلَ : لا يَدْنُو إِلَيْهِ سارِقُ ... في سَفَرٍ وَلا بِسُوءٍ طارِقُ
الْطَخْ على الحَزازِ دُهْنَ القَمْحِ ... مَعْ وَسَخِ الأَسْنانِ بَعْدَ المَسْحِ
فإِنَّهُ يُذْهِبُ مِنْها ثُقْبَها ... كالنَّارِ فِيها ثُمَّ يُورِي نَقْبَها
اكْوِ رُؤُوسَ كُلِّ ثُؤْلُولٍ يُرى ... بِعُودَتَيْنِ قد حَرَقْتَ أَخْضَرا
وَمِثْلُهُ رُؤُوسُ قَشِّ الحُلْبَهْ ... تُذْهِبُ بِالثُّؤْلُولِ مِنْهُ الرُّعْبَهْ
تَخْطِيْطُكَ الأَظْفارَ بَعْدَ الصُّبْحِ ... بكزلك عَرضاً مُزيلُ القَلْحِ(١)
وَطَبْقُكَ الأَضْراسَ في التَّثاؤُبِ ... يَمْنَعُ من هَذَا لِذِي التَّجارُبِ
أَعْنِي عُرُوضَ القَلْحِ إِنْ تَقَرَّحَتْ ... كَذاكَ إِنْ تَحَفَّرَتْ وَاصْطَلِمَتْ
تُغَرْغِرُ العَلِيلَ ذُو الخَنَّاقِ ... بِمَرَقِ الصُّبَّارِ كَالتِّرْياقِ
لا سِيَّما إِنْ شابَهُ كُشُوثُ ... لِذِي الخِلاطِ نَفْعُهُ مَوْرُوثُ
ابْلَعْ من الصَّابُونِ وَزْنَ دِرْهَمِ ... تَنَجُ من القُولَنْجِ غَيْرِ المُحْكَمِ
وَامْسَحْ على الأَضْراسِ وَالأَسْنانِ ... لَوْ كَاً لَها بِطَرَفِ اللِّسانِ
وَقَدْ حَرَمْتُ الأَكْلَ من لَحْمِ الفَرَسْ ... شَهْراً ولا من هِنْدِبا تَبْغِي الحَرَسْ
وَذاكَ عِنْدَ رُؤْيَةِ الهِلالِ ... فَتَأْمَنُ الأَضْراسُ من إِعْلالِ
كَذاكَ في كُلِّ هِلالٍ يُجْتَلَى ... فإِنَّها مَأْمَنَةٌ مِنَ البَلا

---

(١) لا أدري ما معنى قوله : بكزلك ! .

لا تَغْسِلَنْ ثِيابَكَ الكَتّانا ... وَلا تَصِد فِيها كَذَا حِيْتانا[1]

عِنْدَ اجْتِماعِ النَّيِّرَيْنِ تَبْلَى ... وَفي السِّرارِ فاتَّخِذْهُ أَصْلا

اتَّخِذِ البُرْمَةَ مِنْ زُجاجِ ... مِنْ غَيْرِ تَلْوِيْنٍ وَلا عِلاجِ

وَالنّارُ جَزْلٌ إِنْ تَشَا أَوْ فَحْمُ ... يَنْضَجُ فِيها اللَّحْمُ ثُمَّ الشَّحْمُ

وَكَرِّرِ الطَّبْخَ بِها أَيّاماً ... وَأَشْهُراً إِنْ شِئْتَ أَوْ أَعْواما

وَذاكَ سَهْلٌ لَيْسَ بِالعَسِيرِ ... مِنْ غَيْرِ تَقْتِيرٍ وَلا تَكْثِيرِ

وَتَتَّخِذْ كُحْلاً جَدِيداً مُحْرَقا ... مُنَعَّماً مُصَوَّلاً مُرَوَّقا

وَمِثْلَهُ مِن حَجَرِ الهُنُودِ ... ذِي الخاصَّةِ الجاذِبَةِ الحَدِيدِ

مُطَيِّباً بِالمِسْكِ طِيْبَ الإِثْمِدِ ... وَاكْحَلْ بِهِ مَن شِئْتَ فَرْدَ مِرْوَدِ

ثُمَّ اكْتَحِلْ مِنْهُ على مَرِّ المَدَى ... لأَنَّهُ لَمْ يُتَّخَذْ كُحْلاً سُدَى

وَكَحِّلِ المَحْبُوبَ بِالحَدِيدِ ... يَهْواكَ في الوَقْتِ بِلا مَزِيدِ

فَيَسْحَرُ العَيْنَيْنِ مِنْهُ فَيَرى ... وَجْهَكَ شَمْساً باهِراً أَوْ قَمَرا

وَلا يَكادُ يَسْتَطِيْعُ صَبْرا ... عَنْكَ وَلَوْ حَرَقْتَ مِنْهُ الصَّدْرا

نَشادِرُ الدُّخانِ بِالحَمّامِ ... يَنْضَحُهُ الفَخّارُ مِن مَسامِ

فَرِيْحُهُ يُقَتِّلُ الأَفاعِي ... مِنَ الهَوامِّ والدَّبِيبِ السّاعِي

وَوَزْنُ مِثْقالٍ إِذا ما شُرِبا ... مَعْ وَزْنِهِ مِن الرَّجِيْعِ انْتُخِبا

يُخَلِّصُ المَسْمُومَ مِن مَماتِهِ ... مِنْ بَعْدِ يَأْسِ الأَهْلِ مِن حَياتِهِ

هَذا إِذا دُبِّرَ بِالإِتْقانِ ... بِالسَّحْقِ والتَّرْوِيقِ في الأَوانِي

وَكُلُّ ما جادَ بِسَحْقٍ فاعْتَبِرْ ... وَفِيهِ يا هَذا تَفَهَّمْ واخْتَبِرْ

مَرارَةُ الحَيَّةِ سُمٌّ قاتِلُ ... وَهِيَ لِلْمَلْدُوغِ بِها تُقابِلُ

إِذا سُقِي المَسْمُومُ مِنْها حَبَّهْ ... نَجا مِنَ السُّمِّ بِتِلْكَ الشَّرْبَهْ

وَإِنْ سُقِيَ مِنْها صَحِيحٌ ماتا ... مِنْ يَوْمِهِ وَفارَقَ الحَياتا

---

(١) مضى البيت والذي يليه في مادّة « الزُّلال » .

التَّعبيرُ : العقْرَبُ في المَنامِ[1] : رَجُلٌ نَمَّامٌ ؛ فَمَنْ نازَعَتْهُ عَقْرَبٌ ، فإِنَّهُ يُنازِعُ رَجُلاً نَمَّاماً .

وَمَنْ أَخَذَ عَقْرباً في مَنامِهِ ، فَأَلْقاها على زَوْجَتِهِ ، فإِنَّهُ يَأْتِيْها في الدُّبُرِ ؛ وإِنْ سَيَّبَها على النَّاسِ ، فإِنَّهُ رَجُلٌ لُوطِيٌّ .

وَمَنْ قَتَلَ عَقْرَباً ، خَرجَ منهُ مالٌ ، وَعادَ إِلَيهِ .

والعَقْرَبُ في السَّراوِيلِ : رَجُلٌ فاسِقٌ يُداخِلُ امْرَأَةَ مَن رآها في سَراوِيلِهِ .

وَمَنْ أَكَلَ لَحْمَ عَقْرَبٍ مَطْبُوخاً ، فإِنَّهُ يَرِثُ مَالاً ؛ وَإِنْ كان نَيِّئاً ، اغْتابَ رَجُلاً فاسِقاً ؛ وَكَذلكَ كُلُّ حَيوانٍ لا يُؤْكَلُ إِذا أُكِلَ لَحْمُهُ في المَنامِ .

والعَقْرَبُ : رَجُلٌ يُظْهِرُ ما فِي بَطْنِهِ لِسانُهُ . وَالعَقارِبُ في البَطْنِ : أَولادٌ أَعداءٌ .

وَنُزُولُ العَقْرَبِ من الدُّبُرِ : وَلَدٌ عاقٌّ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَةُ العَقْرَبِ على الافْتِنانِ بِمَنْ يُشَبَّهُ العَقْرَبُ بِصُدْغِهِ إِذا بَدا فِيهِ الشَّعَرُ . وَاللهُ أَعلمُ .

٦٥٦ العُقْرُبانُ : دُوَيْبَّةٌ تَدْخُلُ الأُذُنَ ، وَهِيَ هَذِهِ الطَّويلَةُ الصَّفراءُ ، الكَثيرَةُ القَوائِمِ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[2] .

٦٥٧ العَقْفُ : الثَّعْلَبُ . قالَ حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاليّ[3] : [من الرجز]

كَأَنَّهُ عَقْفٌ تَوَلَّى يَهْرُبُ ... مِنْ أَكْلُبٍ يَعْقُفُهُنَّ أَكْلُبُ

يُقالُ : عَقَفْتُ الشَّيْءَ فانْعَقَفَ . أَي : عَطَفْتُهُ فانْعَطَفَ[4] .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٨ وتفسير الواعظ ٣١١ .

(٢) وعنه اللِّسان « عقرب » ٤/ ٣٠٣٩ . **قلت** : هِي المعروفة بأُمِّ أَربعٍ وأَربعين .

(٣) ديوانه ٢٩٨ (بيطار) والصِّحاح « عقف » .

(٤) عن الصِّحاح « عقف » ٤/ ١٤٠٦ .

٦٥٨ **العَقْعَقُ** : ـ كَثَعْلَبٍ ـ وَيُسَمَّى كُنْدُشاً ـ بِالشِّيْنِ المُعجمةِ ـ وَصَوْتُهُ العَقْعَقَةُ .

وهو طائرٌ على قَدْرِ الحَمامَةِ ، وَعلى شَكْلِ الغُرابِ ، وَجَناحاهُ أَكبرُ من جَناحَي الحَمامَةِ .

وَهُوَ ذُو لَوْنَيْنِ أَبْيض وَأَسود ، طَوِيلُ الذَّنَبِ ؛ وَيُقالُ لَهُ : القَعْقَعُ أَيْضاً(١) .

وَهُوَ لا يَأْوِي تَحْتَ سَقْفٍ ، وَلا يَسْتَظِلُّ بِهِ ، بَلْ يُهَيِّىءُ وَكْرَهُ في المَواضِعِ المُشْرِفَةِ(٢) .

وَفي طَبْعِهِ الزِّنا والخِيانَةُ ، وَيُوصَفُ بِالسَّرِقَةِ والخُبْثِ ؛ وَالعَرَبُ تَضْرِبُ بِهِ المَثَلَ في جَميعِ ذلكَ .

وإذا باضَتِ الأُنْثى أَخفَتْ بَيْضَها بِوَرَقِ الدُّلْبِ خَوْفاً من الخُفَّاشِ ، فإِنَّهُ مَتى قَرُبَ من البَيْضِ مَذَرَ ، وَفَسَدَ ، وَتَغَيَّرَ من ساعَتِه .

● حَكى الزَّمخشريُّ(٣) وغَيْرُهُ في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا ﴾ [العنكبوت : ٦٠] عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، أَنَّهُ قالَ : لَيْسَ شَيْءٌ من الحَيوانِ يَخْبَأُ قُوْتَهُ ، إلاَّ الإِنْسانُ والنَّمْلُ والفَأْرُ وَالعَقْعَقُ .

وَعَنْ بَعْضِهم أَنَّهُ قالَ(٣) : رَأَيْتُ البُلْبُلَ يَحْتَكِرُ ؛ وَيُقالُ : إِنَّ لِلْعَقْعَقِ مَخابِىءَ ، إلاَّ أَنَّهُ يَنْساها .

---

(١) عن النِّهاية ٣/ ٢٧٦ .

(٢) قَال القزوينيّ في عجائب المخلوقات ٢٨٠ : ولا يتَّخذُ العشَّ إلاَّ في ظُلمةٍ أَو تحتَ سقفٍ .
وقال العمري في مسالك الأَبصار ٢٠/ ٨٥ : ولا يتَّخذُ الوكرَ إلاَّ تَحْتَ شيءٍ مرتفعٍ أَو تحتَ سقفٍ .

(٣) الكشاف ٣/ ٢١١ .

وَفي طَبْعِهِ شِدَّةُ الاخْتِطافِ لِما يَراهُ من الحُليِّ ؛ فَكَمْ من عِقْدٍ ثَمينٍ اخْتَطَفَهُ من شِمالٍ وَيَمينٍ . قالَ الشَّاعِرُ[1] : [من المتقارب]

إذا بــارَكَ اللهُ فــي طــائِــرٍ ... فَــلا بــارَكَ اللهُ فــي العَقْعَــقِ
قَصيـرُ الـذُّنـابـى طَـويـلُ الجَنـاحِ ... مَتــى مــا يَجِــدْ غَفْلَــةً يَسْــرِقِ
يُقَلِّــبُ عَيْنَيْــهِ فــي رَأسِــهِ ... كَــأَنَّهُمــا قَطْــرَتــا زِئْبَــقِ

● **فائِدَةٌ** : اخْتَلَفُوا في سَبَبِ تَسميَتِهِ عَقْعَقاً ، فقالَ الجاحظُ : لأَنَّهُ يَعُقُّ فِراخَهُ ، فيتركُهم بِلا طَعامٍ[2] ؛ وَبِهذا يَظهرُ أَنَّهُ نَوعٌ من الغِرْبانِ ، لأَنَّ جَميعَها يَفعلُ ذلكَ .

وَقيلَ : اشْتُقَّ لَهُ هَذا الاسْمُ من صَوْتِهِ .

الحُكْمُ : في حِلِّهِ وَجْهان : أَحدُهما : يُؤْكَلُ كَغُرابِ الزَّرْعِ ؛ وَالثَّاني : يُحَرَّمُ ، وَهُوَ الأَصَحُّ في « الرَّوْضَةِ » تِبَعاً للبَغويِّ والبُوشَنْجيِّ .

وَسُئِلَ الإمامُ أَحمد عنهُ ، فقالَ : إنْ لَمْ يَأْكُلِ الجِيَفَ ، فَلا بَأْسَ بِهِ . وَقالَ بَعْضُ أَصحابِهِ : إِنَّهُ يَأْكُلُها ؛ فَيَكُونُ على قَوْلِهِ مُحَرَّماً .

● **فائِدَةٌ** : حَكَى الجَوهريُّ[3] : أَنَّ العَرَبَ تَتَشاءَمُ بِهِ وَبِصِياحِهِ ، لأَنَّهم كانُوا يَشْتَقُّونَ في الطِّيَرَةِ مِمَّا يَسْمَعُونَ وَيُشاهِدُونَ ، فكانُوا إذا سَمِعُوا العَقْعَقَ اشْتَقُّوا منهُ العُقوقَ ، وإِذا سَمِعُوا العُقابَ اشْتَقُّوا منهُ العُقُوبَةَ ، وَإِذا رَأَوْا شَجَرَ الخِلافِ ـ وهو الصَّفْصَافُ ـ اشْتَقُّوا منهُ الخِلافَ . والخِلافُ ـ بِتَخْفِيفِ اللاَّمِ ـ

---

(١) الأَبيات لإبراهيم الموصليّ ، في الأَغاني ٥/ ٢٠٥ والحماسة الشجرية ٢/ ٩١٥ . وبلا نسبة في ثمار القُلوب ٢/ ٧٠١ وديوان المعاني ٢/ ٩١٦ والثَّاني فيه ٢/ ٩٠٧ .

(٢) لم يقل الجاحظ هذا صراحةً ، لكنَّه ذَكَر أَنَّه كثيراً ما يضيِّعُ فراخَه . الحيوان ٣/ ١٨٠ و ٥/ ١٥١ و ٦/ ٤٧٨ . وقولُهُ : فيتركهم . صوابه : فيتركها .

(٣) لم أَقف على هذا النص في صحاح الجوهري .

ضِدُّ الوِفاقِ ، وَكذلكَ الخِلافُ الذي هُوَ الصَّفصافُ ، بِتَخْفيفِ اللاَّمِ أَيْضاً .

وَحَكى الرَّافعيُّ الخِلافَ عن الحَنَفِيَّةِ فيمَنْ خَرَجَ لِسَفَرٍ ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَقْعَقٍ فَرَجَعَ ، هل يَكْفرُ أَمْ لا ؟ قِيلَ : إِنَّهُ يَكفرُ ؛ وَكَذلكَ رَأَيْتُهُ في « فَتاوَى قاضي خان » .

قَالَ النَّوويُّ : الصَّحيحُ أَنَّهُ لا يَكفرُ عندَنا بِمُجَرَّدِ ذلكَ .

الأَمْثالُ : قالُوا : « أَلَصُّ من عَقْعَقٍ »[(١)] و« أَحْمَقُ من عَقْعَقٍ »[(٢)] : لأَنَّهُ كالنَّعامَةِ التي تُضيعُ بَيْضَها وأَفْراخَها ، وَتَشتغلُ بِبَيْضِ غَيْرِها ؛ وَإِيَّاها عَنى ابن هرمة بقَولِهِ[(٣)] : [من المتقارب]

كَتــارِكَــةٍ بَيْضَهــا بِــالعَــراءِ وَمُلْبِسَــةٍ بَيْـضَ أُخْـرَى جَنــاحــا

الخَواصُّ[(٤)] : إِذا جُعِلَ دِماغُهُ عَلى قُطْنَةٍ ، وَأُلْصِقَ على مَوْضِعِ النَّصْلِ أَوِ الشَّوْكَةِ الغائِصَيْنِ في البَدَنِ ، أَخْرَجَهُما بِسُهولَةٍ .

وَلَحْمُهُ حارٌّ يابِسٌ ، رَدِيءُ الكيموس .

التَّعبيرُ : العَقْعَقُ في الرُّؤْيا[(٥)] : رَجلٌ لا أَمانَ لَهُ ولا وَفاءَ . وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ كَلَّمَهُ عَقْعَقٌ ، جاءَهُ خَبَرٌ من غائِبٍ . والعَقْعَقُ رَجُلٌ حَكَّارٌ يَطلبُ الغَلاءَ . وَاللهُ أَعلمُ .

٦٥٩ العُقَيْبُ : طائِرٌ ؛ لا يُسْتَعْمَلُ إِلاَّ مُصَغَّراً[(٦)] .

---

(١) الميدانيّ ٢/ ٢٥٧ وحمزة ٢/ ٣٦٩ والعسكريّ ٢/ ١٨٠ والزَّمخشريّ ١/ ٣٢٨ .
(٢) الميدانيّ ١/ ٢٢٦ وحمزة ١/ ١٥٥ والعسكري ١/ ٣٩٥ والزمخشريّ ١/ ٨٣ وأبو عبيد ٣٦٥.
(٣) ديوان إبراهيم بن هرمة ٨٧ وثمار القلوب ٢/ ٦٥٢ .
(٤) عجائب المخلوقات ٢٨٠ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٢٩ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٨٥ .
(٥) تعبير الرُّؤيا ٩٨ و ١٩١ وتفسير الواعظ ٢٩٦ .
(٦) اللِّسان « عقب » ٤/ ٣٠٣٠ .

٦٦٠ **العُكَّاشُ** : كَرُمَّانٍ : ذَكَرُ العَنْكَبُوتِ . عن كُراعٍ[١] .

٦٦١ **العِكْرِشَةُ** : بِكَسْرِ العَيْنِ والرَّاءِ المُهملتينِ ، وَبالشِّيْنِ المُعجمةِ في آخِرِهِ : الأَرْنَبُ الأُنْثى[٢] .

● وفي الحَديثِ[٣] : « أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، فقالَ : عَنَّتْ لِي عِكْرِشَةٌ وَأَنا مُحْرِمٌ ، فَقَتَلْتُها ؟ فقالَ : فِيها جَفْرَةٌ » .

٦٦٢ **العِكْرِمَةُ** : بِكَسْرِ العَيْنِ وَالرَّاءِ المُهملتين : الأُنْثى من الحَمامِ ؛ وَسُمِّيَ بها الإِنْسانُ أَيضاً . كَعِكْرَمَة مَولى ابْنِ عبَّاسٍ ، أَحَدِ أَوْعِيَةِ العِلْمِ .

● وَلَمَّا مَاتَ مَوْلاهُ عبدُ اللهِ بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، كان عِكْرِمَةُ رَقيقاً لَمْ يُعْتِقْهُ ، فَباعَهُ وَلَدُهُ عليُّ بن عبدِ اللهِ بن عبَّاسٍ لخالد بن يَزيد بن مُعاوية ، بِأَرْبعةِ آلافِ دِينارٍ ؛ فقَالَ عِكْرِمَةُ لِعَلِيٍّ : بِعْتَ عِلْمَ أَبيكَ بِأَربعَةِ آلافِ دِينارٍ ؟ فاسْتَقالَ خالِداً ، فَأَقالَهُ ، ثمَّ أَعْتَقَهُ[٤] .

● مَاتَ عِكْرِمَةُ وَكُثَيِّرُ عَزَّةَ الشَّاعِرُ في يَوْمٍ واحِدٍ بِالمَدينَةِ سَنَةَ خَمْسٍ ومئة ، وصُلِّيَ عَليهما في مَكانٍ واحِدٍ ، فقالَ النَّاسُ : ماتَ اليَوْمَ أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَأَشْعَرُ النَّاسِ . رَحِمَهُما اللهُ تَعالَى[٥] .

---

(١) اللِّسان « عكش » ٤/ ٣٠٥٧ .

(٢) اللِّسان « عكرش » ٤/ ٣٠٥٦ .

(٣) النِّهاية ٣/ ٢٨٤ . والجفرة : العناق من المعز .

(٤) تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ وطبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٢ .

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٨ وتهذيب الكمال ٢٠/ ٢٩٠ ـ ٢٩١ ووفيات الأَعيان ٤/ ١١٣ .

ترجمة عكرمة مولى ابن عبَّاس ، في : طبقات ابن سعد ٢/ ٣٣١ و ٧/ ٢٨٢ وسير أَعلام النُّبلاء ٥/ ١٢ وتهذيب الكمال ٢٠/ ٢٦٤ .

وترجمة كثير عزة ، في : طبقات ابن سلام ٢/ ٥٤٠ والشعر والشعراء ١/ ٥٠٣ والأَغاني ٩/ ٣ ومختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٥١ وابن خلّكان ٤/ ١٠٦ وسير أَعلام النُّبلاء ٥/ ١٥٢ .

● قالَ ابْنُ خلّكان وغَيْرُهُ[1] : وَكُثَيِّرُ عَزَّةَ ، أَحَدُ شُعَراءِ العَرَبِ وَمُتَيَّميها ، وَكانَ كَيْسانِيّاً .

وَالكَيْسَانِيَّةُ : فِرْقَةٌ من الرَّوافِضِ ، يَعْتقدُونَ إِمامَةَ محمَّد بن عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، وَهوَ المَعرُوفُ بمحمَّد بن الحَنَفِيَّةِ .

وَيُقولُونَ : إِنَّهُ مُقيمٌ بِجَبَلِ رَضْوَى ، وَمعهُ أَربعُونَ نَفراً من أَصْحابِهِ ، وَلَمْ يُوقَفْ لهم على خَبَرٍ .

وَيَقولُونَ : إِنَّهم أَحياءٌ يُرْزَقُونَ ، وإِنَّهُ سَيرجعُ إِلى الدُّنْيا ويَمْلَؤُها عَدْلاً ؛ وَفي ذلكَ يقُولُ كُثَيِّر عَزَةَ[2] : [من الوافر]

وَسِبْطٌ لا يَذُوقُ المَوْتَ حتَّى ... يَقودَ الخَيْلَ يَقْدَمُها اللِّواءُ
يَغيبُ فَلا يُرَى فِيْهِمْ زَماناً ... بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَماءُ

قُلْتُ : الصَّوابُ أَنَّهُما لِلْحِمْيَريّ .

قالَ : وَكانَتْ وَفاةُ محمَّد بن الحَنفيَّة سنَةَ [إِحْدى وَثَمانين ، وَقيلَ : سَنَةَ ثَلاثٍ وَثَمانين ، وَقيلَ :] اثنتين أَو ثَلاثٍ وسَبعينَ من الهِجرةِ[3] . وَاللهُ أَعلمُ .

٦٦٣ العِلْجُ : بِكَسْرِ العَيْنِ ، وَإِسْكانِ اللاّمِ : حِمارُ الوَحْشِ السَّمينُ القَويُّ ، والرَّجُلُ من كُفَّارِ العَجَمِ ؛ وَالجَمْعُ : عُلُوجٌ وَأَعْلاجٌ وَمَعْلوجاءُ وَعِلَجَةٌ[4] .

---

(١) وفيات الأَعيان ٤/ ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) ديوانه ٥٢١ من قصيدة تنسب له أَو للسَّيِّد الحميريّ ، ينظر التخريج ٥٢٢ .

(٣) الزِّيادة من ابن خلّكان . وترجمة محمَّد بن الحنفيَّة ، في : طبقات ابن سعد ٧/ ٩٣ وحلية الأَولياء ٣/ ١٧٤ ووفيات الأَعيان ٤/ ١٦٩ وسير أَعلام النُّبلاء ٤/ ١١٠ والوافي بالوفيات ٤/ ٩٩ .

(٤) الصِّحاح « علج » ١/ ٣٣٠ .

٦٦٤ العَلُّ : بِالفَتْحِ : القَرادُ المَهْزُولُ(١) .

٦٦٥ العُلْجُومُ : بِضَمِّ العَيْنِ ، وَسُكُونِ اللاّمِ ، وَضَمِّ الجيمِ : الضِّفْدَعُ الذَّكَرُ . وَقيلَ : البَطُّ الذَّكَرُ . كَذا حَكاهُ ابْنُ سِيْدَه(٢) .

٦٦٦ العُلاّمُ : بِضَمِّ العَيْنِ ، وَتَشدِيدِ اللاّمِ ، وَبِالميمِ في آخِرِهِ : الباشِقُ(٣) .

٦٦٧ العِلَّوْشُ : بِكَسْرِ العَيْنِ وَفَتْحِ اللاَّمِ المُشَدَّدة ، على وَزْنِ سِنَّوْر : ابنُ آوَى ، وَالذِّئْبُ ، وَدُوَيْبَّةٌ ، وَضَرْبٌ من السِّباعِ .

● قالَ ابْنُ رَشيقٍ في كِتابِ « الغرائِبِ والشُّذُوذِ » : قَالَ الخَليلُ : لَيْسَ في كَلامِ العربِ كَلِمَةٌ تَجْتمعُ فِيها شِيْنٌ ولامٌ ، إلاّ والشِّيْنُ قَبلَ اللاّمِ ، إلاّ العِلَّوْشُ ؛ فإِنَّ اللاَّمَ فيهِ تَقَدَّمَتْ على الشِّيْنِ ، وَهو مُفْرَدٌ في الكَلامِ(٤) .

٦٦٨ العَلْهانُ : كَالكَرْوانِ : الظَّليمُ(٥) . وَقد مَرَّ .

٦٦٩ العَلَسُ : مُحَرَّكَةٌ : القُرادُ الضَّخْمُ ؛ لأَنَّهُ أَوَّلُ ما يَكُونُ قَمْقَامَةً ، ثمَّ يَصيرُ حَمْنانَةً ، ثمَّ حَلَمَةً ، ثم عَلَساً(٦) .

● وَمن الأَلغازِ القديمَةِ : أَيَجِبُ في العَلَسِ زَكاةٌ إذا بَلَغَ خَمْسَةَ أَوْسُقٍ أَوْ أَكثَرَ منها ؟ قَالَ : لا ، وإِذا عَلِمَ بذلكَ السَّاعِي أَعْرَضَ عَنْها .

---

(١) الصِّحاح « علل » ٥/ ١٧٧٣ .

(٢) وعنه اللِّسان « علجم » ٤/ ٣٠٦٦ .

(٣) قَال الفيروز أبادِي « علم » : وكغُراب وزُنَّار : الصَّقر والباشق . وفي اللِّسان « علم » : والعُلام : الباشق ، وَأَمَّا العُلاَّم ـ بالتَّشديد ـ فهو الحِنَّاء .

(٤) في العين ١/ ٢٥٦ : العِلَّوْشُ : الذِّئْبُ بلغة حمير ، وهي مخالفة لكلام العرب لأَنَّ الشِّينات كلّها قبل اللاَّم .

(٥) القاموس واللِّسان والتَّاج والصِّحاح « عله » .

(٦) المخصَّص ٨/ ١٢٢ .

٦٧٠ **العَلامَاتُ** : قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : حَدَّثَني أَبي رحمهُ اللهُ تعالَى ، أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ بِالمَشْرِقِ يَقُولُ : إِنَّ في بَحْرِ الهِنْدِ حِيْتاناً طِوالاً رِقاقاً ، كَالحَيَّاتِ في أَلْوانِها وَحَرَكاتِها ؛ وإِنَّها تُسَمَّى العَلامات ، وَذلكَ أَنَّها عَلاماتُ الوُصُولِ إِلى بلادِ الهِنْدِ ، وَأَماراتُ النَّجاةِ من المَهالِكِ لِطُولِ ذلكَ البحْرِ وَصُعُوبَتِهِ ؛ وَأَنَّ بَعْضَ النّاسِ قَالَ : إِنَّها المُرادُ بِقَوْلِه تَعالَى : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النّحل : ١٦] .

وَأَمَّا من شاهَدَ تِلكَ العَلاماتِ في البَحرِ ، فَحَدَّثَني منهم عَدَدٌ كَثيرٌ .

وَقالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : العَلاماتُ : مَعالِمُ الطُّرُقِ بِالنَّهارِ ، وَالنُّجُومُ هِدايَةً بِاللَّيْلِ .

وَقالَ الكَلبيُّ : هِيَ الجِبالُ .

وَقالَ مُجاهِدٌ وَالنَّخعيُّ : هِيَ النُّجُومُ ؛ منها ما يُسَمَّى عَلاماتٍ ، وَمِنْها ما يُهْتَدى بِهِ .

٦٧١ **العِلْهِزُ** : بِكَسْرِ العَيْنِ ، وَإِسْكانِ اللاَّمِ ، وَكَسْرِ الهَاءِ قبلَ الزّاي : القُرادُ الضَّخْمُ .

● وفي الحَديثِ : أَنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمَّا دَعَا على قُرَيْشٍ بِقَولِهِ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عليهم سِنينَ كَسِنِيِّ يُوسُف » أَكَلُوا العِلْهِزَ ؛ وَقيلَ : المُرادُ بِهِ : الوَبَرُ المَخْلُوطُ بِالدَّمِ[١] .

٦٧٢ **العُلْعُلُ** : كَهُدْهُدٍ : الذَّكَرُ من القَنابِرِ[٢] .

٦٧٣ **العَلَقُ** : بِفَتْحِ العَيْنِ وَاللاَّمِ : دُودٌ أَسْوَدُ وَأَحْمَرُ يَكُونُ بِالمَاءِ ، يَعْلَقُ

---

(١) عن النِّهاية ٣/ ٢٩٣ . واللِّسان والتّاج « علهز » .

(٢) عن الصِّحاح « علل » ٥/ ١٧٧٤ .

بِالبَدَنِ ، وَيَمُصُّ الدَّمَ ؛ وَهُوَ من أَدْوِيَةِ الحَلْقِ وَالأَوْرامِ الدَّمويَّةِ ، لامْتِصاصِهِ الدَّمَ الغالِبَ على الإِنْسَانِ . الواحِدَةُ عَلَقَةٌ[(١)] .

● وفي حَديثِ عامِرٍ[(١)] : « خَيْرُ الدَّواءِ العَلَقُ والحِجَامَةُ » .

● وَالعُلَّيْقُ : الشَّجَرَةُ التي آنَسَ مُوسَى عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنْها النَّارَ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

وَقِيلَ : إِنَّها العَوْسَجُ ؛ وَالعَوْسَجُ إِذا عَظُمَ قِيلَ لَهُ الغَرْقَدُ ؛ وَفي الحَديثِ : « إِنَّهُ شَجَرُ اليَهُودِ فَلا يَنْطِقُ » يَعْني إِذا نَزلَ عِيسى عليهِ السَّلامُ ، وَقَتَلَ اليَهُودَ ، فَلا يَخْتَبىءُ أَحَدٌ منهم خَلْفَ شَجَرَةٍ إِلاَّ نَطَقَتْ ، وَقالَتْ : يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهوديٌّ خَلْفِي فَاقْتُلْهُ ، إِلاَّ الغَرْقَدَ فإِنَّهُ من شَجَرِهم فَلا يَنْطِقُ[(٢)] .

● فائِدَةٌ : ذَكَرَ الثَّعلَبيُّ في تَفْسيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النَّمل : ٨ ـ ٩] عن ابْنِ عبّاسٍ وسَعيد بن جُبيرٍ والحَسن البَصْريّ : يَعني قُدِّسَ مَن فِي النَّارِ ، وَهُوَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى ، عَنى بِهِ نَفْسَهُ .

قَالَ : وَتَأْوِيلُ هَذَا القَوْلِ : أَنَّهُ كان فِيها لا على سَبيل تَمَكُّنِ الأَجسامِ ، بل على أَنَّهُ جَلَّ وَعَلا نادَى مُوسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَأَسْمَعَهُ كَلامَهُ من جِهَتِها ، وَأَظْهَرَ لَهُ رُبُوبِيَّتَهُ من ناحِيَتِها ؛ فَالشَّجَرَةُ مُظْهِرٌ لِكلامِهِ تَعالى ، وَهُوَ كما رُوِيَ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ في التَّوراةِ[(٣)] : جاءَ اللهُ من طُورِ سَيْناء ، وَأَشْرَقَ من ساعير ، وَاسْتَعْلَنَ من جِبالِ فاران .

---

(١) عن النِّهاية ٣/ ٢٩٠ .

(٢) الحديث في : مسلم (٢٩٢٢) ومسند أحمد ٢/ ٤١٧ .

(٣) التَّوراة ٣٣٤ [سفر التَّثنية ـ الإصحاح الثَّالث والثَّلاثُون] والبدء والتَّاريخ للمقدسيّ ٥/ ٣٢ والزِّيارات للهروي ٢٢ . وساعير : هي النَّاصرة .

فَمَجِيئُهُ من سَيْناء : بَعْثُهُ مُوسى منها ، وإشْراقُهُ من ساعير : بَعْثُهُ عيسى عَليْهِ السَّلامُ منهُ ، واسْتِعلانه من جِبالِ فاران : بَعْثُهُ المصطفى ﷺ منها ؛ وفارانُ : مَكَّةُ المُشَرَّفَةُ .

وَقيلَ : كانَتِ النَّارُ نُورَهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وإنَّما ذَكَرَهُ بلَفظِ النَّارِ ، لأَنَّ مُوسى عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حَسِبَهُ ناراً ؛ والعَرَبُ تَضَعُ أَحَدُهُما مَوْضِعَ الآخَرِ .

وَقالَ سعيدُ بن جُبيرٍ : كانت هيَ النَّارُ بعَيْنِها ، وهيَ أَحَدُ حُجُبِهِ تعالى .

وَقيلَ : بُورِكَ من في النَّارِ سُلْطانُهُ وَقُدْرَتُهُ ، وَفيمَن حَولَها ؛ وَتَأْويلُ هذا القَوْلِ : أَنَّهُ عائِدٌ إلى مُوسى والملائكةِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ وَمَجازُ الآيَةِ : أن بُورِكَ من فِي طَلَبِ النَّارِ ، وَقصْدِها ، وَبالقُرْبِ منها ؛ وَمعنى الآية : أَنْ بُورِكَ فِيكَ يَا مُوسى ، وَفي الملائِكَةِ الذينَ حَوْلَ النَّارِ ؛ وَهذِهِ تَحِيَّةٌ من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسى عليهِ السَّلامُ وَتكْرِمَةٌ لَهُ ، كَما حَيَّا إبراهيم عليهِ السَّلامُ على أَلْسِنَةِ المَلائِكَةِ حِينَ دَخلُوا عليْهِ فقالُوا : ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هُود : ٧٣] فَحَمِدَ نَفْسَهُ تَعالى بواسِطَةِ فِعْلِهِ .

قُلْتُ : وَكذلكَ إذا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ ، أَوْ حَمِدَهُ ، فَمَا ذَكَرَ اللهَ إلاَّ اللهُ ، وَلا حَمِدَ اللهَ إلاَّ الله ، لأَنَّهُ تَعالَى ذَكَرَ نَفْسَهُ وَحَمِدَها بواسِطَةِ فِعْلِهِ ، وَالعَبْدُ آلَةٌ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ ؛ قَالَ تَعالَى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] وَقالَ تعالَى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ [هُود : ١٢٣] فَفِعْلُ العَبْدِ يُنْسَبُ إلى اللهِ نِسْبَةَ خَلْقٍ وَإيْجادٍ ؛ قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصَّافَّات : ٩٦] وَيُنْسَبُ إلى العَبْدِ نِسْبَةَ كَسْبٍ وَإسْنادٍ ، لِيُعاقَبَ عَلَيْهِ أَوْ يُثابَ ؛ وَاللهُ تعالى أَعلَمُ .

وَقالَ بعضُهم : هَذِهِ البَرَكَةُ راجِعَةٌ إلى النَّارِ نَفْسِها .

وَأَمَّا وَجْهُ قَوْلِهِ تعالَى : ﴿ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ [النَّمل : ٨] فإنَّ العَرَبَ تَقُولُ : بارَكَ اللهُ لَكَ ، وَبارَكَ فِيك ، وَبارَكَ عَلَيْكَ ، وَبَارَكَكَ ؛ أَرْبَعُ لُغاتٍ ؛ قَالَ

الشَّاعِرُ : [من الطويل]

فَبُورِكْتَ مَوْلوداً وَبُورِكْتَ ناشِئاً وَبُورِكْتَ عِنْدَ الشَّيْبِ إِذْ أَنْتَ أَشْيَبُ

وَأَمَّا الكَلامُ المَسموعُ من الشَّجرَةِ : فاعْلمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الحَقِّ ، أَنَّ اللهَ تعالَى مُسْتَغْنٍ عن الحَدِّ والكَلامِ وَالمَكانِ وَالجِهَةِ والزَّمانِ ، لأَنَّ ذلكَ من أَماراتِ الحُدُوثِ ، وَهيَ خَلْقُهُ وَمُلْكُهُ ، وَهُوَ سُبحانَهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ من أَنْ يُوصَفَ بالجِهاتِ ، أَو يُحَدَّ بالصِّفَاتِ ، أَو تُحْصِيهِ الأَوقاتُ ، أَو تَحويهِ الأَماكنُ والأَقْطارُ .

وَلَمَّا كان جَلَّ وَعَلا كَذلكَ ، اسْتَحالَ أَنْ تُوصَفَ ذاتُهُ بِأَنَّها مُخْتَصَّةٌ بِجِهَةٍ أَوْ مُنْتَقِلَةٍ من مَكانٍ إلى مَكانٍ ، أَو حالَّةٍ في مَكانٍ .

رُوِيَ أَنَّ مُوسَى عليْهِ السَّلامُ لمَّا كَلَّمَهُ اللهُ تَعالَى ، سَمِعَ الكَلامَ من سائِرِ الجِهاتِ ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ من جِهَةٍ واحِدَةٍ ؛ فَعُلِمَ بذلكَ أَنَّهُ كَلامُ اللهِ تَعالَى ، وإِذا ثَبَتَ هَذا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُوصَفَ تَعالى بِأَنَّهُ يَحُلُّ مَوْضِعاً أَوْ يَنزلُ مَكاناً ، كَما لا يُوصَفُ بِأَنَّهُ جَوْهَرٌ وَلا عَرَضٌ ، وَلا يُوصَفُ كَلامُهُ بِحَرْفٍ وَلا صَوْتٍ ، خِلافاً للحَنابلَةِ الحَشَوِيَّةِ ، بل هُوَ صِفَةٌ قائِمَةٌ بذاتِهِ تَعالَى ، يُوصَفُ بها فَيَنْتَفي عنهُ بها آفاتُ الخَرَسِ والبَكَمِ وَما لا يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَكَمالِهِ ، وَلا تَقبلُ الانْفِصالَ والفِراقَ بالانْتِقالِ إِلى القُلُوبِ والأَوراقِ .

وَأَمَّا الإِفْهامُ والإِسْماعُ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ في مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ ، وَمَكانٍ دُونَ مَكانٍ ، وَحَيْثُ لَمْ يَقَعْ إِحاطَةٌ ولا إِدْراكٌ بالوُقُوفِ على كُنْهِ ذاتِهِ ؛ قَالَ تَعالَى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشُّورى : ١١] وَأَمَّا الهَاءُ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ ﴾ [النَّمل : ٩] فَهوَ عِمادٌ ، وَلَيْسَ بِكِنايَةٍ .

● **فائِدَةٌ أُخرى** : اخْتُلِفَ في أَنَّ نَبِيَّنا محمَّداً ﷺ هل كَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الإِسْراءِ بغَيْرِ واسِطَةٍ أَمْ لا ؟ فَذَهَبَ ابْنُ عبَّاسٍ وابْنُ مَسعُودٍ وَجَعفرُ الصَّادِقُ وَأَبُو الحَسَنِ

الأَشْعريُّ وطائِفَةٌ من المُتكَلِّمينَ ، إلى أَنَّهُ ﷺ كَلَّمَ اللهَ بغيرِ واسِطَةٍ ؛ وَذهبَ جَماعةٌ إِلى نَفْيِ ذلكَ .

واخْتُلِفَ في جَوازِ الرُّؤْيَةِ ؛ فَأَكثرُ المُبتدعَةِ على إِنْكارِ جَوازِها في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَأَكثرُ أَهْلِ السُّنَّةِ والسَّلَفِ عل جَوازِها فيهما وَوُقُوعِها في الآخِرَةِ .

وَاخْتَلَفَ العُلماءُ من السَّلَفِ وَالخَلَفِ في أَنَّهُ هَل رأى نَبيُّنا محمَّد ﷺ رَبَّهُ تَعالَى أَم لا ؟ .

فَأَنْكَرَتْهُ عائِشَةُ وَأَبُو هُريرةَ وابْنُ مَسعودٍ وَجَماعةٌ من السَّلَفِ ، وَبِهِ قالَ جَماعَةٌ من المُتكَلِّمين والمُحَدِّثينَ .

وَأَجازَهُ جَماعةٌ من السَّلَفِ ، وَأَنَّهُ ﷺ رَأَى رَبَّهُ لَيلةَ الإِسْراءِ بعَيْنَيْ رَأْسِهِ ؛ وَهوَ قَوْلُ ابنِ عبّاسٍ وَأَبي ذَرٍّ وَكعبِ الأَحْبارِ والحسن البَصْريّ والشَّافعيّ وَأَحمد ابن حنبل .

وَحَكى أَيْضاً عن ابنِ مَسعودٍ وَأَبي هُريرَةَ ، وَالمَشهورُ عنهُما الأَوَّلُ .

وَبهذا القَوْلِ الثّاني قَالَ أَبُو الحَسَنِ وَجماعةٌ من أَصْحابِهِ ، وَهوَ الأَصَحُّ ، وَهُوَ مَذْهَبُ المُحَقِّقين من السَّادةِ الصُّوفيَّةِ .

● قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : اخْتُصَّ مُوسى بِالكَلامِ ، وَإِبراهيم بِالخُلَّةِ ، ومحمَّد ﷺ بِالرُّؤْيَةِ .

وَذهبَ جَماعةٌ من العُلماءِ إِلى الوَقْفِ ، وَقالُوا : لَيسَ عَلَيْهِ دَليلٌ قاطِعٌ نَفياً وَلا إِثْباتاً ، ولكنَّهُ جائِزٌ عَقْلاً ؛ وَصَحَّحَهُ القُرطبيُّ وغيرُهُ .

قُلتُ : رُؤيَةُ اللهِ تعالى في الدُّنيا والآخِرَةِ جائِزَةٌ بِالأَدِلَّةِ العقليَّةِ والنَّقليَّةِ . أَمَّا العَقليَّةُ : فَمعرُوفَةٌ في عِلْمِ الكَلامِ .

وَأَمَّا النَّقْلِيَّةُ : **فَمِنْها** : سُؤالُ مُوسى عليهِ السَّلامُ رُؤْيَةَ اللهِ تعالى ، وَوَجْهُ التَّمَسُّكِ بِذلكَ عِلْمُ مُوسى بذلكَ ، ولَوْ عَلِمَ اسْتِحَالَةَ ذلكَ لَما سَأَلَهُ ، وَمُحالٌ أَنْ

يَجْهلَ مُوسى جَوازَ ذلكَ ، إذْ يَلزمُ منه أَن يَكُونَ ـ مع عُلُوِّ مَنْصِبِهِ في النُّبُوَّةِ ، وانْتِهائِهِ إلى أَنْ اصْطَفَاهُ اللهُ تعالى على النَّاسِ ، وَأَسمعَه كَلامَهُ بِلا واسِطَةٍ ـ جاهِلاً بِما يَجِبُ للهِ ، ويَستحيلُ عليْهِ ، وَيَجُوزُ .

وَمُلتزمُ هذا كافِرٌ ، نَعُوذُ باللهِ من اعْتِقادِ ذلكَ .

وَمِنْها : امْتِنانُهُ تَعالَى على عِبادِهِ، بالنَّظَرِ إلى وَجْهِهِ في الدَّارِ الآخِرَةِ، بِقَوْلِه تَعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] وإذا جازَ أَنْ يَرَوْهُ في الدَّارِ الآخِرَةِ ، جَازَ أَنْ يَرَوْهُ في الدُّنْيا ، لِتَساوي النَّظَرِ بالنِّسْبَةِ إلى الأَحْكامِ .

وَمِنْها : ما تَواتَرَت بِهِ الأَحاديثُ من أَخبارِهِ ﷺ بِرُؤْيَةِ اللهِ تعالى في الدَّارِ الآخِرَةِ ، وَوُقُوعِ ذلكَ كَرامةً للمُؤمنينَ .

فَهَذِهِ الأَدِلَّةُ دَالَّةٌ على جَوازِ رُؤْيَتِه تَعالى في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

وَأَمَّا اسْتِدْلالُ عائشةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها على عَدَمِ الرُّؤْيَةِ بِقَوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] فَفيهِ بُعْدٌ ، إذْ يُقالُ : بَيْنَ الإدْراكِ وَالإبْصارِ فَرْقٌ ، فَيَكُونُ مَعنى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أي : لا تُحِيطُ بِهِ مع أَنَّها تُبْصِرُهُ ، قالَهُ سعيدُ بن المُسيّب وغيرُهُ .

وَقَدْ نُفِيَ الإدراكُ مع وُجُودِ الرُّؤْيَةِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ﴾ [الشُّعراءُ : ٦١ ـ ٦٢] أي : لا يُدْرِكُونَكُم .

وَأَيضاً فإِنَّ الإِبْصارَ عُمومٌ ، وَهو قابلٌ للتَّخصِيصِ ، فَيَخْتَصُّ المَنْعُ بالكافِرينَ ، كَمَا قَالَ تَعالى عنهم : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطفِّفين : ١٥] .

وَيُكَرِّمُ المُؤمنينَ ـ أَو من شَاءَ اللهُ منهم ـ بالرُّؤْيَةِ ، كَما قَالَ تَعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] .

وَبالجُمْلَةِ فالآيَةُ لَيْسَتْ نَصّاً ، وَلا من الظَّواهِرِ الجَلِيَّةِ في عَدَمِ جَوازِ الرُّؤيَةِ ، فلا حُجَّةَ فيها ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

وَلِهذِهِ المَسْأَلَةِ أَسْرارٌ وَأَغْوارٌ تَرَكْناها ، لأَنَّ ذلكَ لَيْسَ من مَقْصُودِ الكِتابِ ؛ فَمَنْ أَرادَ تَحقيقَ هذه المَسأَلةِ وغَيرِها من المَسائلِ المُهِمَّةِ ، فَعَلَيْهِ بِكِتابِنا « الجَوْهر الفَريد » فإِنَّا ذَكَرْنا فِيهِ اختلافَ الفِرَقِ ، وَأَقوالَ عُلماءِ الظَّاهِرِ والباطِنِ ، وَما اخْتَرْناهُ وَمَا أَيَّدْناهُ ؛ وَهو كتابٌ مهمٌّ عُمْدَةٌ في هذا الشَّأْنِ لا يَسْتَغْني عنهُ طالبٌ ، وَهو في ثَمان مُجلَّداتٍ ضَخمةٍ جِدّاً ، وَبِاللهِ التَّوفيقُ .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١ ـ ٢] هذهِ السُّورةُ أَوَّلُ ما نَزَلَ من القُرآنِ ، كَما ثَبَتَ في « الصَّحيحين » من حَديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها .

قِيلَ : وَجْهُ المُناسَبَةِ بَينَ الخَلْقِ من عَلَقٍ ، وَالتَّعلِيمِ بالقَلَمِ ، وَتَعْلِيمِ العِلْمِ : أَنَّ أَدْنى مَراتِبِ الإِنْسانِ كَوْنُهُ عَلَقَةً ، وَأَعْلاها كَوْنُهُ عالِماً ، فَكَأَنَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى امْتَنَّ على الإِنْسانِ بِنَقْلِهِ من أَخَسِّ المَراتِبِ ـ وَهِيَ العَلَقَةُ ـ إِلى أَعْلاها ـ وَهيَ العِلْمُ ـ .

● قَالَ الزَّمخشريُّ[1] : فإِنْ قُلْتَ : لِمَ قَالَ : ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ وَإِنَّما خُلِقَ من عَلَقَةٍ واحِدَةٍ ، كَقَوْلِهِ تَعالى : ﴿ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ [الحجّ : ٥] ؟ قُلتُ : لأَنَّ ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ في مَعْنى الجَمْعِ كَقَوْلِهِ تَعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر : ٢] . وَالأَكْرَمُ ، هوَ الذي لَهُ الكَمالُ في زِيادَةِ تكرُّمِهِ عل كُلِّ كَريمٍ ؛ يُنعمُ على عِبادِهِ النِّعَمَ التي لا تُحْصَى ، وَيحلمُ عليهم فَلا يُعاجِلُهم بِالعُقُوبَةِ مع كُفْرِهم وَجُحُودِهم لِنِعَمِهِ ، وَرُكُوبِهِم المَناهِي ، واطِّراحِهِم الأَوامِرَ ، وَيَقبلُ تَوْبَتَهُمْ ، وَيَتَجاوَزُ عنهُم بَعْدَ اقْتِرافِهِم العَظائِم ؛ فَما لِكَرَمِهِ غايَةٌ وَلا أَمَدٌ ؛ وَكَأَنَّهُ لَيس وَراءَ التَّكَرُّمِ بإِفادَةِ الفَوائِدِ العَظيمَةِ تكَرُّمٌ ، حيثُ قالَ : ﴿ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٣ ـ ٥] فَدَلَّ على كَمالِ كَرَمِهِ ، بِأَنَّهُ عَلَّمَ عِبادَهُ

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٠ .

ما لَمْ يَعْلَمُوا ، وَنقَلَهم من ظُلْمَةِ الجَهْلِ إلى نُورِ العِلْمِ ، وَنَبَّهَ على فَضْلِ الكِتابَةِ لِما فِيها من المَنافِعِ العَظِيمَةِ التي لا يُحيطُ بِها إلاَّ هوَ .

وَما دُوِّنَتِ العُلُومُ الأُوَلُ ، وَلا قُيِّدَتِ الحِكَمُ ، وَلا ضُبِطَتْ أَخْبارُ الأَوَّلين وَمقالاتُهم ، وَلا كُتُبُ اللهِ المنزلَة إلاَّ بالكِتابَةِ ؛ وَلَوْلا هيَ ما اسْتَقامَتْ أُمُورُ الدِّينِ والدُّنْيا ؛ وَلو لَمْ يَكُنْ على دَقيقِ حِكْمَةِ اللهِ وَلَطيفِ تَدْبيرِهِ دَليلٌ ، إلاَّ أَمْرُ القَلَمِ والخَطِّ ، لَكَفَى بِهِ .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى**(١) : سُئِلَ شَيْخُ الإِسْلامِ ، الشَّيْخُ تَقيُّ الدِّينِ السُّبْكيّ رحمهُ اللهُ تَعالى ، عن العَلَقَةِ السَّوْداءِ التي أُخْرِجَتْ من قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ في صِغَرِهِ حِينَ شُقَّ فُؤادُهُ ، وَقَوْلِ المَلَكِ : هذا حَظُّ الشَّيْطانِ منكَ .

فَأَجابَ بقَولِهِ : تِلْكَ العَلَقَةُ خَلَقَها اللهُ تَعالَى في قُلُوبِ البَشَرِ ، قابِلَةٌ لِما يُلْقِيهِ الشَّيْطانُ فِيها ، فأُزيلَتْ من قَلْبِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكانٌ قابِلٌ لأَنْ يُلقيَ الشَّيْطانُ فِيهِ شَيْئاً . هَذا مَعنى الحديثِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ للشَّيْطانِ فِيهِ ﷺ حَظٌّ قَطُّ ، وإِنَّما الذِي نَفاهُ المَلَكُ أَمْرٌ هُوَ في الجِبلاَّتِ البَشَرِيَّةِ ، فَأُزيلَ القابِلُ الذِي لَمْ يَكُنْ يَلْزَمُ من حُصُولِهِ حُصُولُ القَذْفِ في قَلْبِهِ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

فقيلَ لَهُ : لِمَ خَلَقَ اللهُ هَذا القابِلَ في هَذِهِ الذَّاتِ الشَّرِيفَةِ ، وَكانَ يُمْكِنُهُ أَنْ لا يَخْلُقَهُ فِيها ؟ .

فَقالَ : لأَنَّهُ من جُمْلَةِ الأَجْزاءِ الإِنْسانِيَّةِ ، فَخَلْقُهُ تَكْمِلَةٌ لِلْخَلْقِ الإِنْسانِيِّ ، فَلا بُدَّ منهُ ، وَنَزْعُهُ كَرامَةٌ رَبَّانِيَّةٌ طَرَأَتْ بَعْدَهُ . انتهى .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ العَلَقِ ، وَيَجُوزُ بَيْعُهُ لِما فِيهِ من المَنْفَعَةِ ، وَيُسْتَثْنَى مع

---

(١) سؤال الشَّيخ تقيّ الدِّين السُّبكيّ وجوابُهُ ، في : سبل الهدى والرَّشاد [السِّيرة الشَّاميَّة] ٢/ ٩٠ . وانظر هامش « السَّيف المسلول على من سَبَّ الرَّسول ﷺ » للسُّبكيّ ٤٨٨ ـ ٤٨٩ .

القزِّ من عَدَمِ جوازِ بَيْعِ الحَشَراتِ كما تَقَدَّمَ .

● فَرْعٌ : العَلَقَةُ فِيها وَجْهانِ : أَحَدُهُما : أَنَّها نَجِسَةٌ ، لأَنَّها دَمٌ خارِجٌ من الرَّحِمِ كَالحَيْضِ .

وَالثَّانِي : أَنَّها طاهِرَةٌ ، لأَنَّها دمٌ غَيْرُ مَسفُوحٍ ، فهيَ كالكَبِدِ وَالطِّحالِ . نَقَلَهُ أَبُو حامدٍ عن الصَّيْرَفيّ . وَصَرَّحَ بِتَصْحيحِهِ الشَّيْخُ أَبو حامِدٍ والمحامليّ والرَّافعيُّ في « المحرَّر » وهُوَ الأَصَحُّ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي « المِنْهاجِ » .

وَالعَلَقَةُ : هِيَ المَنِيُّ ، إِذا اسْتَحالَ في الرَّحِمِ فَصارَ دَماً غَليظاً ؛ فإِذا اسْتَحالَ بعدُ فَصارَ قطعةَ لَحْمٍ ، فهوَ مُضْغَةٌ .

قَالَ النَّوويُّ في « شَرْحِ المهذّب » : إِنَّ المَذْهَبَ القَطْعُ بِطَهارَةِ المُضْغَةِ . وَقيلَ : عَلى وَجْهَيْن .

وَالصَّوابُ خِلافُ ما فِي « شرحِ المهذّب » لأَنَّ المُضْغَةَ إِمَّا كَمَيْتَةِ الآدَميِّ ، وَفِيها قَوْلان في الجَديدِ ، أَو كَجُزْئِهِ المُنْفَصِلِ ، وَفِيهِ طَريقتانِ : حاكِيَةٌ لِلخِلافِ ، وَقاطِعَةٌ بِالنَّجاسَةِ .

وَحَكَى الرَّافعيُّ فِيها وَجهينِ ، أَصَحُّهُما الطَّهارَةُ .

نَعم يُشترطُ في المُضْغَةِ والعَلَقَةِ - على قاعِدَةِ الرَّافعيّ - أَن يَكُونا من الآدميِّ ، فإِنَّ مَنِيَّ غيْرِهِ نَجِسٌ عنْدَهُ ، فَالعَلَقَةُ والمُضْغَةُ أَوْلى بِالنَّجاسَةِ من المَنِيِّ ؛ وَيَدُلُّ علَيْهِ تَرَدُّدُهُ في « المِنْهاجِ » في نَجاسَتِهِما ، مع جَزْمِهِ فِيهِ بِطَهارَةِ المَنِيِّ .

قَالَ شَيْخُنا : وَلكَ أَنْ تَمْنَعَ كَوْنَهُما أَوْلَى بِالنَّجاسَةِ من المَنِيِّ ، بِأَنَّهما صارا أَقْرَبَ إِلى الحيَوانيَّةِ منهُ ، وَهو أَقْرَبُ إِلى الدَّمويَّةِ منهُما . وَاللهُ تعالَى أَعلمُ .

الأَمْثالُ : قَالُوا : « أَعْلَقُ من العَلَقِ »(١) .

---

(١) لم أقف عليه في كتب الأمثال .

الخَواصُّ[1] : يَنْفَعُ تَعْليقاً على صاحِبِ الأَعضاءِ الضَّعيفَةِ التَّركِيبِ ، مثل الآماقِ والوَجْناتِ والمَواضِعِ المُؤْلِمَةِ ، لأَنَّها تَقُومُ مَقامَ الحِجَامَةِ في امْتِصاصِها الدَّمَ الفاسِدَ ، لا سِيَّمَا في الأَطْفالِ والنِّسَاءِ وَأَهْلِ الرَّفاهيةِ ؛ وَهيَ تَمُصُّ الدَّمَ الفاسِدَ من الأَجْفانِ وغيرِها .

وَرُبَّما كان العَلَقُ في المَاءِ ، فَيَشْرَبُهُ الإِنسانُ فَيَنْشَبُ بِحَلْقِهِ ؛ وَطَريقُ إِخْراجِهِ من الحَلْقِ : أَنْ يُبَخَّرَ بوَبَرِ الثَّعْلَبِ ، فإِذا أَصابَهُ دُخانُهُ سَقَطَ فِي الحَالِ ؛ وَكَذَلِكَ إذا بُخِّرَ بِظِلْفِ الإِبِلِ يَمُوتُ . مُجَرَّبٌ . ذَكَرَ ذلكَ في « المنتخبِ » .

وَقَالَ القَزوينيُّ وصاحِبُ « الذَّخيرَةِ الحميدَةِ » : إذا كان العَلَقُ في الحَلْقِ : يَتَغَرْغَرُ بِخَلِّ خَمْرٍ ، وَبِوَزْنِ درهمٍ من الذُّبابِ الذي في الباقِلاَّءِ ، فإِنَّ العَلَقَ يَسْقُطُ .

وَإِذا أَرادُوا إِخْراجَ دَمٍ من مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ ، أَخَذُوا هَذَا الدُّودَ في قِطْعَةِ طِيْنٍ ، وَقَرَّبُوهُ من العُضْوِ ، فإِنَّهُ يَنْشَبُ بِهِ ويمصُّ الدَّمَ منهُ .

فإِذا أَرادُوا سُقُوطَهُ عنهُ ، رَشُّوا عليْهِ مَاءَ المِلْحِ ، فإِنَّهُ يَسْقُطُ في الحَالِ .

وَقالَ صاحِبُ « عَيْن الخَواص » : إذا يُبِّسَ العَلَقُ في الظِّلِّ ، وَسُحِقَ مع نشادرٍ ، وَطُلِيَ بِهِ مَوْضِعُ دَاءِ الثَّعْلَبِ ، نَبَتَ الشَّعْرُ عَلَيْهِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : إذا بُخِّرَ البَيْتُ بِالعَلَقِ ، هَرَبَ ما فِيهِ من البَقِّ والبَعُوضِ وَأَمْثالِهما .

وإِذا تُرِكَ العَلَقُ في قارُورَةٍ حتَّى يَمُوتَ ، ثمَّ يُسْحَقُ ، وَيُنْتَفُ الشَّعْرُ ، وَيُطْلَى بِهِ ، فإِنَّهُ لا يَنْبُتُ أَبَداً .

ومن الخَواصِّ المُجَرَّبَةِ النَّافِعَةِ : أَنْ تُؤْخَذَ العَلَقُ الكِبارُ التي تكُونُ في

---

(١) تذكرة داود ١/ ٢٣٩ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤ .

الأَنْهارِ وَالأَماكِنِ النَّدِيَّةِ ، فَتُقْلَى بالزَّيْتِ الطَّيِّبِ ، ثم تُسحقُ بالخلِّ حتَّى تَصيرَ مثلَ المَرْهَمِ ، وتُوخذُ في صُوفَةٍ ، وَيَتَحَمَّلُ بِها صاحِبُ البَواسِيرِ ، فَيَبْرَأُ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ يُبْرِىءُ من القَطْعِ .

وَمن خواصِّهِ العَجيبةِ : أَنَّهُ إِذا بُخِّرَ بِهِ حانُوتُ زُجاجٍ ، تكَسَّرَ جميعُ ما فِيهِ .

وإِذا أُخِذَ العَلَقُ وَهوَ رَطْبٌ ، وَدُهِنَ بِهِ الإِحْليلُ ، فإِنَّهُ يَكبرُ من غيرِ وَجَعٍ .

التَّعْبيرُ : العَلَقُ في الرُّؤْيَا[1] : بمنزِلَةِ الدُّودِ ، وَهم أَولادٌ ، لِقَوْلِه تَعالَى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العَلَق : ٢] فَمَنْ رَأَى عَلَقَةَ دَمٍ خَرَجَتْ من أَنْفِهِ ، أَوْ ذَكَرِهِ ، أَوْ دُبُرِهِ ، أَوْ بَطْنِهِ ، أَو فَمِهِ ؛ فإِنَّ امْرأَتَهُ تُسْقِطُ وَلَداً قبلَ كَمالِ خَلْقِهِ .

وَقيلَ : العَلَقُ والقُرادُ وَالدَّلَمُ والنَّمْلُ وَما أَشْبَهَ ذَلكَ ، تَدلُّ على الأَعْدَاءِ والحُسَّادِ الأَخِسَّاءِ .

● وَمن الرُّؤْيَا المعبّرة : أَنَّ أَبا بَكرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ أَتاهُ رَجلٌ فقالَ : يا خَلِيفَةَ رَسولِ اللهِ ، رَأَيْتُ كَأَنَّ في يَدِي كيساً ، وَأَنا أُفْرِغُ ما فِيهِ ، حتَّى لَمْ يَبقَ فِيهِ شَيْءٌ ، فخرجَ منهُ عَلَقَةٌ ؟ فقالَ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : اخرُجْ من بَينِ يَدَيَّ . فَخَرَجَ من بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَمَشى خُطواتٍ ، فَرَمَحَتْهُ دابَّةٌ فَقَتَلَتْهُ ؛ فأُخْبِرَ بِذلكَ أَبو بَكرٍ ، فقالَ : واللهِ ما وَدِدْتُ أَنْ يَموتَ بينَ يَدَيَّ .

فَنَزَّلَ الكِيسَ بمنزلَةِ الآدَميِّ ، وَالدَّراهمَ بمنزلَةِ العُمرِ ، وَالعَلَقَةَ بِمنزلَةِ الرُّوحِ ؛ لِقَوله تَعالَى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٦٧٤ العَلْهَبُ : تَيْسُ الجَبَلِ[2] . كَذَا قالَهُ صاحِبُ كِتابِ « المداخل في

---

(١) تفسير الواعظ ٣١٢ .

(٢) في اللِّسان « علهب » ٤/ ٣٠٨٧ : العَلْهَبُ : التَّيْسُ من الظِّبَاءِ ، الطَّويل القرنين ، من الوحشيَّة والإِنسيَّة ؛ والجمع عَلاهِبَةٌ .

اللُّغَةِ » أَحمد بن يَحيى .

٦٧٥ **العُمْرُوسُ** : بِضَمِّ العَيْنِ : الخَرُوفُ ؛ وَالجَمْعُ : عَمارِيسٌ . قالَ الشَّاعِرُ[١] : [من الطويل]

وَكـانَ كَـذِئْـبِ السُّـوْءِ إِذْ قـالَ مَـرَّةً ... لِعُمْرُوسَةٍ وَالذِّئْبُ غَرْثَانُ مُرْمِلُ
أَأَنْـتِ التـي مـن غَيْـرِ ذَنْـبٍ شَتَمْتِنِـي ... فَقَالَتْ : مَتى ذا ؟ قالَ : ذا عامُ أَوَّلُ
فَقَالَتْ : وُلِدْتُ الآنَ ، بَلْ رُمْتَ غَدْرَةً ... فَـدُونَـكَ كُلْنِـي لا هَنـا لَـكَ مَـأكَـلُ

٦٧٦ **العَمَلَّسُ** : بِفَتْحِ العَيْنِ والمِيمِ ، وتَشديدِ اللاَّمِ : الذِّئْبُ الخَبيثُ ، وَالكَلْبُ الخَبيثُ[٢] .

● وَأَمَّا قَولُهم[٣] : « أَبَرُّ من العَمَلَّسِ » . فإِنَّهُ رَجلٌ كان بارّاً بأُمِّهِ ، يَحملُها على عاتِقِهِ ، وَيَحُجُّ بِها عَلَى ظَهْرِهِ كُلَّ سَنَةٍ ؛ فَضَرَبُوا بِهِ المَثَلَ لِيَتَأَسَّى بِهِ البَنُونُ في بِرِّ الأُمَّهاتِ .

● وَأَشَرْتُ إِلى ذَلكَ في « المَنظومة » بِقَولي : [من الرجز]

وَضَـرَبُـوا الأَمْثـالَ بِـالعَمَلَّـسِ ... فـي البِـرِّ كَـيْ بِـهِ البَنُـونُ تَـأْتَسِـي

٦٧٧ **العَمَيْثَلُ** : الأَسَدُ . قالَهُ أَبُو زَيدٍ في « كِتابِ الإِبلِ » .

● وَبِهِ كُنِّيَ عبدُ اللهِ بن خُلَيْد ، الشَّاعر البَليغُ ، وَكانَ يُفَخِّمُ الكَلامَ وَيَغَرِّبُهُ ، وَكانَ كاتِبَ عبدِ اللهِ بن طاهِرٍ وشَاعِرَهُ ، وَكانَ عارِفاً بِاللُّغَةِ .

---

(١) الأَبيات من قصيدةٍ فِي طبقات ابن المعتزّ ١٦٥ ـ ١٦٦ لربيعة الرَّقِّيّ وهِيَ في ديوانِهِ ٥٠ ـ ٥١ . والثَّلاثة بلا نسبة في : صبح الأَعشى ١٤/ ٢٤٤ والمنتخل ٢/ ٦٩٠ والميدانيّ ١/ ٤٤٦ وحمزة ١/ ٢٩٤ والزمخشريّ ١/ ٢٣٣ في « أَظلم من ذئب » .

(٢) اللِّسان والتاج « عملس » .

(٣) الميدانيّ ١/ ١١٤ وحمزة ١/ ٨١ والعسكريّ ١/ ٢٤٢ والزمخشريّ ١/ ١٦ وأَبو عبيد ٣١٩ واللِّسان والتَّاج والصِّحاح « عملس » .

فَمِنْ شِعْرِهِ في عبدِ اللهِ المذكورِ[1] : [من الكامل]

يَا مَن يُحاوِلُ أَنْ تكُونَ صِفاتُهُ ... كَصِفاتِ عَبْدِ اللهِ أَنْصِتْ واسْمَعِ
فَلأَنْصَحَنَّكَ في المَشُورَةِ وَالذي ... حَجَّ الحَجِيجُ إِلَيْهِ فَاسْمَعْ أَوْ دَعِ
اصْدُقْ وَعِفَّ وَبَرَّ وَاصْبِرْ واحْتَمِلْ ... وَاصْفَحْ وَكافِ وَدارِ وَاحْلُمْ وَاشْجَعِ
والْطُفْ وَلِنْ وتَأَنَّ وارْفُقْ واتَّئِدْ ... واحْزِمْ وَجِدَّ وَحامِ واحْمِلْ وادْفَعِ
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي ... وَهُدِيتَ لِلنَّهْجِ الأَسَدِّ المَهْيَعِ

● وَقَبَّلَ[2] يَوْماً كَفَّ عبدِ اللهِ بن طاهِرٍ ، فَاسْتَخْشَنَ مَسَّ شارِبِهِ ، فَقالَ أَبو العَمَيْثَلِ في الحالِ : شَوْكُ القُنْفُذِ لا يُؤْلِمُ كَفَّ الأَسَدِ ؛ فَأَعْجَبَهُ كَلامُهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِجائِزَةٍ سَنِيَّةٍ .

وَصَنَّفَ أَبُو العَمَيْثَلِ كُتُباً مُفيدَةً ، مِنْها « كِتاب ما اتَّفَقَ لَفْظُهُ واخْتَلَفَ مَعْناهُ » .

وَكانَتْ وفاتُهُ سَنَةَ أَربعينَ وَمئتَيْنِ[3] .

● وَقالَ الأَصمعيُّ : العَمَيْثَلُ : الذَّيّالُ بِذَنَبِهِ .

وَقالَ الخليلُ : العَمَيْثَلُ البَطِيْءُ الذي يُسْبِلُ ثِيابَهُ ، كَالوادِعِ الذي يُكْفَى العَمَلَ . انتهى .

٦٧٨ **العَناقُ** : الأُنثى من وَلَدِ المَعْزِ ؛ وَالجَمْعُ : أَعْنُقٌ وَعُنُوقٌ[4] .

● رُوِيَ عن الأَصمعيِّ أَنَّهُ قالَ : بَيْنا أَنا أَسيرُ في طَريقِ اليَمَنِ ، إِذ أَنا بِغُلامٍ

---

(١) الأَبيات في وفيات الأَعيان ٣/ ٨٩ والوافِي بالوفيات ١٧/ ١٦١ .
(٢) الخبر في مصادر ترجمته الآتية .
(٣) ترجمته في : الفهرست ٥٤ وطبقات ابن المعتزّ ٢٨٧ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٥١٨ ووفيات الأَعيان ٣/ ٨٩ وإِنباه الرُّواة ٤/ ١٤٣ والوافِي بالوفيات ١٧/ ١٦٠ .
(٤) عن الصِّحاح « عنق » ٤/ ١٥٣٤ .

واقِفٍ في الطَّريقِ ، في أُذُنَيْهِ قُرْطانِ ، في كُلِّ قُرْطٍ جَوْهرةٌ يُضِيْءُ وَجهُهُ من ضَوْءِ الجَوْهَرَةِ ، وَهوَ يُمَجِّدُ رَبَّهُ بِأَبْيَاتٍ من الشِّعْرِ ، وَهِيَ هَذِهِ : [من الكامل]

يَـافَـاطِـرَ الخَلْـقِ البَـدِيـعِ وَكـافِـلاً   رِزْقَ الجَميعِ سَحابُ جُودِكَ هاطِلُ
يا مُسْبِغَ البِرِّ الجَزيلِ وَمُسْبِلَ السْـ   ـسِتْرِ الجَميلِ عَميمُ طَوْلِكَ طائِلُ
يـا عـالِـمَ السِّـرِّ الخَفِـيِّ وَمُنْجِـزَ الْـ   ـوَعْدِ الوَفِيِّ قَضاءُ حُكْمِكَ عادِلُ
عَظُمَتْ صِفاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ   يُحْصِي الثَّناءَ عَلَيْكَ فيها قائِلُ[1]
الـذَّنْـبُ أَنْـتَ لَـهُ بِمَنِّـكَ غـافِـرٌ   وَلِتَـوْبَـةِ العـاصِـي بِحِلْمِـكَ قـابِـلُ
رَبٌّ يُـرَبِّـي العـالَمِيـنَ بِبِـرِّهِ   وَنَـوالُـهُ أَبَـداً إِليهِـمْ واصِـلُ[2]
تَعْصِيْـهِ وَهْـوَ يَسُـوقُ نَحْـوَكَ دائِمـاً   مَـا لا تَكُـونُ لِبَعْضِـهِ تَسْتَـأْهِـلُ
مُتَفَضِّـلٌ أَبَـداً وَأَنْـتَ لِجُـودِهِ   بِقَبَـائِـحِ العِصْيَـانِ مِنْـكَ تُقـابِـلُ[3]
وَإِذا دَجـا لَيْـلُ الخُطُـوبِ وَأَظْلَمَـتْ   سُبُلُ الخَلاصِ وَخَابَ فِيها الآمِلُ
وَأَيِسْـتَ مـن وَجْـهِ النَّجـاةِ فَمَـا لَهَـا   سَبَـبٌ وَلا يَـدْنُـو لَهـا مُتَنـاوِلُ
يَـأْتِيـكَ مـن أَلْطـافِـهِ الفَـرَجُ الـذي   لَـمْ تَحْتَسِبْـهُ وَأَنْـتَ عَنْـهُ غـافِـلُ
يـا مُـوجِـدَ الأَشْيـاءِ مَـن أَلْقَـى إِلـى   أَبْـوابِ غَيْـرِكَ فهـو غِـرٌّ جـاهِـلُ
وَمَـنِ اسْتَـراحَ بِغَيْـرِ ذِكْـرِكَ أَوْ رَجَـا   أَحَـداً سِـواكَ فَـذاكَ ظِـلٌّ زائِـلُ
رَأْيٌ يُلِـمُّ إِذا عَـرَتْـهُ مُلِمَّـةٌ   بِسِوى جَنابِكَ فَهْوَ رَأْيٌ مائِلُ[4]
عَمَـلٌ أُرِيْـدَ بِـهِ سِـواكَ فَـإِنَّـهُ   عَمَـلٌ وإِنْ زَعَـمَ المُـرائـي بـاطِـلُ
وإِذا رَضِيْـتَ فَكُـلُّ شَـيْءٍ هَيِّـنٌ   وإِذا حَصَلْـتَ فَكُـلُّ شَيْءٍ حـاصِـلُ
أَنـا عَبْـدُ سُـوْءٍ آبِـقٌ كُـلٌّ عَلَـى   مَـوْلاهُ أَوْزارَ الكَبـائِـرِ حـامِـلُ

---

(١) في أ : . . . يا قديم . . . × .
(٢) في أ : ربِّي وربُّ العالمين وبرُّهُ × .
(٣) في أ : متصدِّق . . . × .
(٤) في أ : × . . . قاتل .

قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَّدَتْ صُحْفِي العُيُوبُ وَسِتْرُ عَفوِكَ شامِلُ
ها قد أَتَيتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شافِعِي وَوَسائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سائِلُ
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ ما مَضَى وارْزُقْهُ تَوْ فِيقاً لِما تَرْضَى فَفَضْلُكَ كامِلُ
وَافْعَلْ بِهِ ما أَنْتَ أَهْلُ جَميلِهِ وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّكَ فاعِلُ

قَالَ : فَدَنَوْتُ منهُ وَسَلَّمْتُ عَليهِ ، فقال : ما أَنا برادٍّ عَليكَ حتَّى تُؤَدِّي من حَقِّي الذي يَجِبُ لِي علَيْكَ ؛ قُلْتُ : وَما حَقُّكَ ؟ قالَ : أَنا غُلامٌ عَلى مَذْهَبِ إبراهيم الخليلِ عَليْهِ السَّلامُ ، لا أَتَغَدَّى وَلا أَتَعَشَّى كُل يَوْمٍ حَتَّى أَسيرَ المِيلَ والمِيلَين في طَلَبِ الضَّيْفِ ؛ فَأَجَبْتُهُ إلى ذلكَ ، فَرَحَّبَ بي ، وَسِرْتُ معهُ حتَّى قَرُبْنا من خَيْمَةٍ ، فَصاحَ : يا أُخْتاهُ . فَأَجابَتْهُ جارِيَةٌ من الخَيْمَةِ بِالبُكاءِ ، فقالَ : قُومِي إلى ضَيْفِنا ؛ فقالَتِ الجارِيَةُ : حَتَّى أَبْدَأَ بِشُكْرِ اللهِ الذِي سَاقَ لَنا هَذا الضَّيْفَ ؛ ثمَّ قامَتْ فَصَلَّتْ رَكعتينِ شُكْراً للهِ تَعالى .

قَالَ : فَأَدْخَلَنِي الشَّابُّ الخَيْمَةَ ، وَأَجْلَسَنِي ، ثمَّ أَخَذَ الغُلامُ الشَّفْرَةَ وَعَمَدَ إلى عَناقٍ فَذَبَحَها .

قَالَ : فَلَمَّا جَلَسْتُ في الخَيْمَةِ نَظَرْتُ إلى الجارِيَةِ ، فإذا هِيَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهاً ، فَكُنْتُ أُسارِقُها النَّظَرَ ، فَفَطِنَتْ لِبعْضِ لَحَظَاتِي إلَيْها ، فقالَتْ لِي : مَهْ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ نُقِلَ عن صاحِبِ طَيْبَةَ عليْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَنَّه قالَ : « إنَّ زِنا العَيْنَيْنِ النَّظَرُ » ؟ أَما إنِّي ما أَرَدْتُ بِهذا أَنْ أُوَبِّخَكَ ، لَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُؤَدِّبَكَ لِكَيْ لا تَعُودَ إلى مِثْلِ هَذَا .

قَالَ : فَلَمَّا كان النَّوْمُ ، بِتُّ أَنا وَالغُلامُ خارِجَ الخَيْمَةِ ، وَباتَتِ الجارِيَةُ من داخِلِها ؛ فَكُنْتُ أَسمعُ دَوِيَّ القُرْآنِ إلى السَّحَرِ ، بِأَحْسَنِ صَوْتٍ يَكُونُ وَأَرَقِّهِ ، ثمَّ سمعتُ أَبياتاً من الشِّعْرِ ، بِأَعْذَبِ لَفْظٍ وَأَشْجَى نَغْمَةٍ ؛ وَهِيَ هَذِهِ : [من الطويل]

أَبى الحُبُّ أَنْ يَخْفَى وَكَمْ قد كَتَمْتُهُ فَأَصْبَحَ عِنْدِي قد أَناخَ وَطَنَّبا

إذا اشْتَدَّ شَوْقِي هامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ وَإِنْ رُمْتُ قُرْباً من حَبِيبِي تَقَرَّبا
وَيَبْدُو فَأَفْنَى ثُمَّ أَحْيا بِذِكْرِهِ وَيُسْعِدُنِي حَتَّى أَلَذَّ وَأَطْرَبا

قالَ : فَلَمَّا أَصبحْتُ قلتُ للغُلامِ : صَوْتُ مَن كان ذاكَ ؟ قالَ : تِلْكَ أُخْتِي ، وَهَذَا شَأْنُها كُلَّ لَيْلَةٍ . فقُلْتُ : يَا غُلامُ ، كُنْتَ أَنْتَ أَحَقَّ بِهَذَا العَمَلِ من أُخْتِكَ ، إِذْ أَنْتَ رَجلٌ وهي امرأَةٌ .

قَالَ : فَتَبَسَّمَ ، وَقالَ : وَيْحَكَ ، أَما عَلِمْتَ أَنَّهُ مُوَفَّقٌ وَمَخْذُولٌ ، وَمُقَرَّبٌ وَمُبْعَدٌ ؟ .

قَالَ الأَصمعيُّ : فَوَدَّعْتُهما وانْصَرَفْتُ .

وَحُكْمُها : الحِلُّ ؛ وَتُفْدَى بها الأَرْنَبُ إذا قَتَلَها المُحْرِمُ ، لِقَضاءِ الصَّحابَةِ بذلكَ ، وَلا تُجْزِىءُ في الأُضْحِيَةِ ، لِما رَوَى « الشَّيْخانِ » وَغَيْرُهما(١) ، عن البَراءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : خَطَبَنا رَسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَضْحَى بَعْدَ الصَّلاةِ ، فقالَ : « مَنْ صَلَّى صَلاتَنا ، وَنَسَكَ نُسْكَنا ، فَقَدْ أَصابَ النُّسُكَ ، وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلاةِ ، فلا نُسُكَ لَهُ » فقالَ أَبُو بُرْدَةَ بن نِيارٍ ، وَهُوَ خالُ البَراءِ بن عازِبٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي نَسَكْتُ شاتِي قبلَ الصَّلاةِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ اليَوْمَ يَوْمُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ ، فَأَحببْتُ أَنْ تكُونَ شاتِي أَوَّلَ شَاةٍ تُذْبَحُ في بَيْتِي ، فَذَبَحْتُها وَتَغَدَّيْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الصَّلاةَ ؛ فقالَ ﷺ : « شاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ » . قالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فإِنَّ عِنْدِي عَناقاً هِيَ أَحَبُّ إِليَّ من شاتَيْنِ ، أَفَتُجْزِىءُ عَنِّي ؟ فقالَ ﷺ : « نَعم ، وَلَنْ تُجْزِىءَ عن أَحَدٍ بَعْدَكَ » .

● وَوَقَعَ في أَصْلِ « الرَّوْضَةِ » أَنَّ العَناقَ : الأُنْثَى من المَعْزِ ، من حِينِ تُولَدُ إِلى أَنْ تَرْعى ؛ وَالجَفْرَةُ : الأُنْثَى من وَلَدِ المَعْزِ ، حِينَ تُفْطَمُ وَتُفْصَلُ عن أُمِّها فَتَأْخُذُ في الرَّعْيِ ، وَذلكَ بعدَ أَربعَةِ أَشْهُرٍ ؛ وَالذَّكَرُ جَفْرٌ .

---

(١) البخاريّ ١/ ٤ و ١٠ وأَبُو داود (٢٨٠٠ ـ ٢٨٠١) والنَّسائيّ (٤٣٩٤ ـ ٤٣٩٧) .

وَقالَ في لُغاتِ « التَّنْبيهِ » و« دقائِقِ المِنْهاجِ » : العَناقُ : الأُنثى من وَلَدِ المَعْزِ ، ما لَمْ تَستكْمِلْ سنةً ؛ وَنُقِلَ مثلُ هذا عن الأَزهريِّ في « تَهذيبِ الأَسْماءِ واللُّغاتِ »[١] وَكلامُ الأَزهريِّ لا يُوافِقُ ذلكَ .

● وَرَوى « الحاكِمُ » بإِسْنادٍ صَحيحٍ ، وَأَبو عمر ابن عَبْدِ البَرِّ في « الاستِيعابِ » عن قَيْس بن النُّعْمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ[٢] : لَمَّا انْطَلَقَ النَّبيُّ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ مُسْتَخْفِيَيْنِ ، مَرَّا بِعَبْدٍ يَرْعَى غَنَماً ، فاسْتَسْقَيَاهُ من اللَّبَنِ ، فقالَ : ما عِنْدِي شاةٌ تُحْلَبُ ، غيرَ أَنَّ هَا هُنا عَناقاً حَمَلَتْ أَوَّلَ الشِّتَاءِ ، وَما بَقِيَ لَها لَبَنٌ . قالَ ﷺ : « أُدْعُ بها » . فاعْتَقَلَها ﷺ وَمَسَحَ ضَرْعَها حَتَّى أَنْزَلَتْ ، وَجَاءَ أَبو بَكْرٍ بِمِجَنٍّ ، فَحَلَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيهِ ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ ، ثمَّ حَلَبَ فَسَقي الرَّاعِي ، ثمَّ حَلَبَ فَشَرِبَ ﷺ .

فَقَالَ الرَّاعِي : باللهِ مَن أَنْتَ ؟ فَوَاللهِ ما رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . قالَ : « أَوَ تراكَ تكْتُمُ عَلَيَّ حَتَّى أُخْبِرَكَ ؟ » قالَ : نَعم . قالَ : « فإِنِّي محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » . قَالَ : أَنْتَ الذِي تَزعمُ قُرَيْشٌ أَنَّكَ صابِئٌ ؟ قالَ : « إِنَّهم لَيَقُولُونَ ذلكَ » . قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ، وَأَنَّ ما جِئْتَ به حَقٌّ ، وَأَنا مُتَّبِعُكَ . قالَ ﷺ : « إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلكَ يَوْمَكَ هَذَا ، فإِذا بَلَغَكَ أَنِّي قد ظَهَرْتُ فَأْتِنا » .

● **خاتِمَةٌ** : رَوَى « أَبُو داود » و« التِّرمذيُّ » وَ« النَّسائيُّ » و« الحاكِمُ » عن عَمرو بن شُعيبٍ ، عن أَبيهِ ، عن جَدِّهِ ، قالَ[٣] :

كَانَ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ : مَرْثَدُ بن أَبي مَرْثَدٍ ، وَكانَ يَحْمِلُ الأَسْرَى من مَكَّةَ حَتَّى

---

(١) كذا في الأُصول . وكتاب الأَزهريّ اسمه : التَّهذيب في اللُّغة . أَمَّا تهذيب الأَسماء واللُّغات فهو للإِمام النَّوويّ .

(٢) المستدرك ٣/ ٨ والاستيعاب ٣/ ١٣٠١ وأُسد الغابة ٤/ ٤٤٩ .

(٣) مضى الحديث في « الدُّلدل » وتخريجه ثمَّة .

يَأْتِيَ بِهِمْ المَدِيْنَةَ .

قالَ : وكانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ بمَكَّةَ يُقالُ لَها : عَناقٍ ، كَقَطامِ ، وَكانَتْ صَديقَةً لَهُ ؛ وإِنَّهُ كان واعَدَ رَجُلاً من الأَسارَى بِمكَّةَ أَنْ يَأْتِيَهُ فَيَحْمِلَهُ .

قالَ : فَجِئْتُ حتَّى انتَهَيْتُ إِلى ظِلِّ حائِطٍ من حَوائِطِ مَكَّةَ في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ .

قَالَ : فَجاءَتْ عَناقِ ، فَأَبْصَرَتْ سَوادَ ظِلٍّ بجَنْبِ الحائِطِ ، فَلَمَّا انْتَهَتْ إِليَّ قالَتْ : مَرْثَدُ ؟ قُلْتُ : مَرْثَدُ . قالَتْ : مَرْحَباً وَأَهْلاً وَسَهْلاً ، هَلُمَّ فَبِتْ عِنْدَنا اللَّيْلَةَ . فقُلْتُ : يَا عَناقِ ، قد حَرَّمَ اللهُ الزِّنا . قالَتْ : يَا أَهْلَ الخِيامِ ، هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ أَسْراكُمْ .

قَالَ : فَتَبِعَنِي ثَمانِيَةُ رِجالٍ ، وَسَلَكْتُ الخَنْدِمَةَ ، فَانْتَهَيْتُ إِلى غارٍ أَوْ كَهْفٍ ، فجاؤُوا حتَّى وَقَفُوا على رَأْسِي ، وَبَالُوا ، فَظَلَّ بَوْلُهم يَنْزِلُ على رَأْسِي ، وَأَعْماهُمُ اللهُ عَنِّي ، فَرَجَعُوا ؛ وَرَجَعْتُ إِلى صاحِبِي فَحَمَلْتُهُ ، وَكانَ رَجُلاً ثَقيلاً ، حتَّى انْتَهَيْتُ بِهِ إِلى الإِذْخِرِ ، فَفَكَكْتُ عنهُ أَكْبُلَهُ ، وَجعلْتُ أَحملُهُ وَيُعْيِينِي ، حتَّى قَدِمْتُ به المَدِيْنَةَ ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبيَّ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنْكِحُ عَناقِ ؟ فَأَمْسَكَ وَلَمْ يَرُدَّ عليَّ شَيْئاً ، حَتَّى نَزَلَتْ : ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النُّور : ٣] فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا مَرْثَدُ : ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فَلا تَنْكِحْها » .

قَالَ الخَطَّابيُّ : هَذا خَاصٌّ بهذِهِ المَرأَةِ إِذا كانَتْ كافِرَةً ؛ فَأَمَّا الزَّانِيَةُ المُسْلِمَةُ ، فإِنَّ العَقْدَ عَلَيْها صَحيحٌ لا يَنْفَسِخُ .

وَقَالَ الشَّافعيُّ رَحمهُ اللهُ تَعالَى : قَالَ عِكْرِمَةُ : مَعْنَى الايَةِ : أَنَّ الزَّانِيَ لا يُرِيدُ وَلا يَقْصِدُ إِلاَّ نِكاحَ زانِيَةٍ .

قَالَ : وَالأَشْبَهُ ما قَالَهُ سعيدُ بن المُسَيَّب : إِنَّ هَذهِ الآيَةَ مَنْسُوخَةٌ ، نَسَخَها

قَوْلُهُ تَعالى : ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النُّور : ٣٢] وهي من أَيامَى المُسلمينَ .

الأَمثالُ : قَالُوا[١] : « لا تَنفِطُ في هَذَا الأَمْرِ عَناقٌ » : أَي لا تَعطسُ ؛ وَالنَّفِيْطُ من العَناقِ مثلُ العُطاسِ من الإِنْسانِ ، وَهو كَقَوْلِهِم : « لا تَنْتَطِحُ فِيها عَنْزانِ » . وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في مَحَلِّهِ .

٦٧٩ **عَناقُ الأَرْضِ** : دُوَيْبَّةٌ أَصْغَرُ من الفَهْدِ ، طَوِيلُ الظَّهْرِ ، يَصيدُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الطَّيْرَ ، وَهُوَ « التُّفَّه » الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في « بابِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فوق » .

● وَقالَ في « نِهايَةِ الغَريبِ »[٢] : قَالَ قَتادَةُ : عَناقُ الأَرْضِ من الجَوارِحِ : دَابَّةٌ وَحْشِيَّةٌ ، أَكْبَرُ من السِّنَّوْرِ ، وَأَصْغَرُ من الكَلْبِ ؛ وَالجَمْعُ : عُنُوقٌ ؛ يُقالُ في المَثَلِ : « لَقِيَ عَناقَ الأَرْضِ » وَ« أُذُنَيْ عَناق » أَي : داهِيَةً . يُرِيدُ : أَنَّها من الحَيَوانِ الذي يُصادُ بِهِ إِذا عُلِّمَ .

٦٨٠ **العَنْبَسُ** : الأَسَدُ ؛ وبه سُمِّيَ الرَّجُل ، وَهُو « فَنْعَلٌ » من العُبُوسِ .

وَالعَنابسُ من قُرَيْشٍ : أَولادُ أُمَيَّةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ الأَكْبَرِ ، وَهُمْ سِتَّةٌ : حَرْبٌ ، وَأَبُو حَرْبٍ ، وَسُفْيانٌ ، وَأَبُو سُفيان ، وَعُمرٌو ، وَأَبو عَمْرو ؛ وَسُمُّوا بِالأَسَدِ . وَالباقُونَ يُقالُ لَهُمْ : الأَعْيَاصُ[٣] .

٦٨١ **العَنْسُ** : النَّاقَةُ القَوِيَّةُ الصُّلْبَةُ . وَيُقالُ : هِيَ التي اعْنَوْنَسَ ذَنَبُها ، أَي وَفَرَ . قالَهُ الجَوهريُّ[٤] .

وَالعَنْسَةُ أَيضاً : اسْمٌ لِلأَسَدِ ؛ عَلَمٌ مُشْتَقٌّ من العُنُوسِ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٥] .

---

(١) الميداني ٢/ ٢٢٥ والعسكري ٢/ ٤٠٤ والمؤرج ٦٩ .

(٢) النهاية ٣/ ٣١١ .

(٣) عن الصحاح « عبس » ٣/ ٩٤٥ ـ ٩٤٦ .

(٤) الصِّحاح « عنس » ٣/ ٩٥٣ .

(٥) تصحَّف الاسم على المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ ، فَذَكَرَهُ في غير مادَّتِهِ ، وَهُوَ من متمِّمات المادَّة السَّابقة ؛ والصَّواب : العَنْبَسَةُ : . . . . مشتقٌّ من العُبُوسِ . قال ابن سيده في =

٦٨٢ **العَنْبَرُ** : سَمَكَةٌ بَحْرِيَّةٌ كَبيرَةٌ ، يُتَّخَذُ من جُلُودِها التُّرْسُ ؛ وَيُقالُ لِلتُّرْسِ : عَنْبَرٌ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُها في « بابِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ » .

● رَوَى « البُخارِيُّ »[1] عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : بَعَثَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَأَمَّرَ عَلَيْنا أَبا عُبَيْدَةَ ، نَلْتَقِي عِيْراً لِقُرَيْشٍ ، وَزَوَّدَنا جِراباً فِيهِ تَمْرٌ لَمْ يَجِدْ لَنا غَيْرَهُ ، فَكَانَ أَبُو عُبيدةَ يُطْعِمُنا تَمْرَةً تَمْرَةً .

قَالَ : فَقُلْتُ : كَيْفَ كُنْتُم تَصْنَعُونَ بِها ؟ قَالَ : كُنَّا نَمُصُّها كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ ، ثمَّ نَشْرَبُ عَلَيْها المَاءَ ، فَتَكْفِينا يَوْمَنا إِلى اللَّيْلِ ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنا الخَبَطَ[2] ثمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأْكُلُهُ .

فَانْطَلَقْنا على ساحِلِ البَحْرِ ، فَرُفِعَ لَنا شَيْءٌ كَهَيْئَةِ الكَثيبِ الضَّخْمِ ، فَأَتَيْنَاهُ فإِذا هِيَ دابَّةٌ تُدْعَى العَنْبَرَ .

قَالَ : فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : إِنَّها مَيْتَةٌ ؛ ثمَّ قَالَ : لا ، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفي سَبيلِ اللهِ ، وَقَدِ اضْطُرِرْتُم فَكُلُوا .

قَالَ : فَأَقَمْنا عَلَيْها شَهْراً وَنَحْنُ ثلاثمِئةٍ حَتَّى سَمِنَّا ـ يَعْني : تَقَوَّيْنا وَزَالَ ضَعْفُنا ، وَإِلا فَما كَانُوا سِماناً قَطُّ .

قَالَ : وَلَقَد رَأَيْتُنا نَغْتَرِفُ من وَقْبِ عَيْنَيْها بِالقِلالِ الدُّهْنَ ، وَنَقْتَطِعُ القِطْعَةَ قَدْرَ الثَّوْرِ .

= المخصَّص ٨/ ٦٣ : ويقالُ له [الأَسد] : عَنْبَسٌ ، من العُبُوسِ ، والنُّونُ زائِدَةٌ . . . وكذَلِكَ عَنْبَسَةُ ، وبِهِ سُمِّي الرَّجل .

(١) البخاريُّ ٣/ ١٠٩ و ٥/ ١١٤ ومسلم (١٩٣٥) وأبو داود (٣٨٤٠) والنَّسائيّ (٤٣٥١ ـ ٤٣٥٤) ومسند أَحمد ٢/ ٣١١ و ٣٧٨ والبداية والنِّهاية ٦/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤ وربيع الأَبرار ٥/ ٤٣٧ والمستطرف ٢/ ٥٤٩ .

(٢) الخَبَطُ : ورقُ السَّلَم .

وَلَقَدْ أَخذَ مِنَّا أَبو عُبيدةَ ثلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، فَأَقْعَدَهُمْ في عَيْنِها . وَأَخَذَ ضِلعاً من أَضْلاعِها فأَقامَهُ ، ثمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعيرٍ مَعَنا ، فَمَرَّ من تَحْتِها ؛ وَتَزَوَّدْنا من لَحْمِها .

فَلَمَّا قَدِمْنا المَدِيْنَةَ ، أَتَيْنا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرْنا ذلكَ لَهُ ، فقالَ : « هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ من لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونا ؟ » .

قالَ : فَأَرْسَلْنا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ منهُ فَأَكَلَهُ .

● وَسَرِيَّةُ أَبي عُبيدَةَ هذِهِ[1] يُقالُ لَها : سَرِيَّةُ الخَبَطِ ، وَكانَتْ في رَجَبَ سنةَ ثَمانٍ من الهِجْرَةِ ، وَكانَ فِيها عُمر بن الخَطَّاب وَقَيْس بن سَعْدٍ مع أَبي عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ؛ وَحديثُها رَوَيْناهُ في « الغَيْلانِيَّات » وَهُو :

أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بَعَثَ أَبا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ في سَرِيَّةٍ فِيها المُهاجِرُونَ وَالأَنْصارُ ، ثلاثمئة رَجُلٍ ، إلى ساحِلِ البَحْرِ ، إلى حَيٍّ من جُهَيْنَةَ ، فَأَصابَهُمْ جُوعٌ شَديدٌ ، فقالَ قَيْسُ بن سَعْدٍ : مَن يَشْتَري مِنِّي تَمْراً بِجَزُورٍ ، يُوفِيني الجَزُورَ ها هُنا ، وَأُوفيهِ التَّمْرَ بالمَدِينَةِ ؟ فجعلَ عُمر يَقُولُ : وَاعَجَباً لِهذا الغُلامِ ! لا مَالَ لَهُ يَدَّانُ في مَالِ غَيْرِهِ ؛ فَوَجَدَ رَجُلاً من جُهَيْنَةَ ، فقالَ لَهُ قَيْسٌ : بِعْنِي جَزُوراً ، أوفيكَهُ وَسْقاً من تَمْرِ المَدينَةِ ؛ فقالَ الجُهَنِيُّ : ما أَعْرِفُكَ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ فقالَ : أَنا ابْنُ سَعْدِ بن عُبادَةَ بن دُلَيْم ؛ فقالَ الجُهَنِيُّ : ما أَعْرَفَني بِنَسَبِكَ ـ وَذَكَرَ كَلاماً ـ فَابْتاعَ منهُ خَمْسَ جَزائِرَ ، كُلَّ جَزُورٍ بوسْقٍ من تَمْرٍ يَشْتَرِطُ عَلَيْهِ البَدَوِيُّ تَمْرَ ذَخيرَةٍ مُصَلَّبَةٍ ، من تَمْرِ آلِ دُلَيْمٍ ، فَيَقُولُ قَيْسٌ : نَعم .

قَالَ : فَأَشْهِدْ لِي . قالَ : فَأَشْهَدَ لَهُ نَفَراً من الأَنْصارِ ، وَمَعهم نَفَرٌ من المُهاجِرينَ . قالَ قَيْسٌ : إِنَّما أَشْهِدْ مَن تُحِبُّ ؛ وَكانَ فِيمَنْ أَشْهَدَ عمرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فقالَ عُمر : ما أَشْهَدُ على هَذَا ، يَدَّانُ ولا مَالَ

---

(١) مغازي الواقديّ ٢/ ٧٧٤ ومختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٠٥ .

لَهُ ، إِنَّما المَالُ لأَبيهِ ؛ فقالَ الجُهَنِيُّ : وَاللهِ ما كانَ سَعْدٌ لِيَبْخَسَ في وَسْقَةٍ من تَمْرٍ ، وَإِنِّي أَرَى وَجْهاً حَسَناً ، وَفَعالاً شَرِيفَةً .

فَكانَ بَيْنَ عُمر وَقَيْسٍ كَلامٌ حتَّى أَغْلَظَ عُمرُ لِقَيْسٍ ، ثمَّ أَخَذَ الجُزُرَ ، فَنحَرَها لَهُمْ في مَواطِنَ ثَلاثةٍ ، كُلَّ يَوْمٍ جَزُوراً ؛ فَلَمَّا كان اليَوْمُ الرَّابعُ ، نَهاهُ أَميرُهُ ، وَقالَ لَهُ : أَتُريدُ أَنْ تَخْفِرَ ذِمَّتَكَ وَلا مَالَ لَكَ ؟ .

قَالَ : فَأَقْبَلَ أَبُو عُبيدَةَ ومعهُ عُمر ، فقالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ لا تَنْحَرَ ؛ فقالَ قَيسٌ : يَا أَبا عُبيدَةَ ، أَتَرَى أَبا ثابتٍ يَقْضِي دُيُونَ النَّاسِ ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ ، وَيُطْعِمُ في المَجاعَةِ ؛ وَلا يَقْضِي عَنِّي وَسْقَةً من تَمْرٍ لِقَوْمٍ مُجاهِدِينَ في سَبيلِ اللهِ ؟ .

فَكادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَلينَ له ؛ وَجعَلَ عُمرُ يَقولُ : اعْزِمْ عَليهِ . فَعَزَمَ عَلَيْهِ : وَبلَغَ سَعْدَاً ما أَصابَ القَوْمَ من المَجاعَةِ ، فقالَ : إِنْ يَكُنْ قَيْسٌ كَما أَعرفُ فَسَيَنْحَرُ لِلقَوْمِ .

فَلَمَّا قَدِمَ قَيْسٌ ، لَقِيَهُ سَعْدٌ ، فقالَ : ما صَنَعْتَ في مَجاعَةِ القَوْمِ ؟ قَالَ : نَحَرْتُ . قَالَ : أَصَبْتَ ، ثمَّ ماذا ؟ قَالَ : نَحَرْتُ . قَالَ : أَصَبْتَ ، ثمَّ ماذا ؟ قَالَ : نَحَرْتُ . قَالَ : أَصَبْتَ . ثمَّ ماذا ؟ قَالَ : نُهِيْتُ . قالَ : وَمَنْ نَهاكَ ؟ قَالَ : أَبُو عُبيدَةَ أَميري . قالَ : وَلِمَ ؟ قالَ : زَعَمَ أَنَّهُ لا مَالَ لِي ، وَإِنَّما المَالُ لأَبيكَ ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ أَبي يَقْضِي عن الأَباعِدِ ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ ، وَيُطْعِمُ في المَجاعَةِ ، وَلا يَصْنَعُ هَذا بي ؟ قَالَ : تِلْكَ أَرْبَعُ حَوائِطَ ، أَدْناها حائِطٌ نَجُذُّ منهُ خَمسينَ وَسْقاً .

قَالَ : وَقَدِمَ البَدَوِيُّ مع قَيْسٍ ، فَأَوْفاهُ سِقَتَهُ ، وَحَمَلَهُ ، وَكَساهُ ؛ فَبَلَغَ ذلكَ النَّبيَّ ﷺ من فِعْلِ قَيْسٍ ، فقالَ : « إِنَّهُ من قَلْبِ جُودٍ » .

● **وَالعَنْبَرُ المَشْمُومُ**[1] : قِيلَ : إِنَّهُ يَخْرُجُ من قَعْرِ البَحْرِ ، يَأْكُلُهُ بَعضُ

---

(١) عجائب المخلوقات ١٦١ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٣٤ وتذكرة داود ١/ ١٣٩ ـ ١٤٠ .

دَوابِّه لِدُسُومَتِهِ ؛ فَيَقْذِفُهُ رَجيعاً ؛ فَيُوجَدُ كالحِجَارَةِ الكِبارِ ، فَيَطْفُو على المَاءِ ، فَتُلْقِيْهِ الرِّيْحُ إِلى السَّاحِلِ .

وَهُوَ يُقَوِّي القَلْبَ وَالدِّماغَ ، نافِعٌ من الفَالِجِ وَاللَّقْوَةِ ، وَالبَلْغَمِ الغَلِيْظِ .

● وَقالَ ابنُ سينا : العَنْبَرُ يَخْرُجُ من البَحْرِ ؛ وأَجْوَدُهُ الأَشْهَبُ ، ثمَّ الأَزْرَقُ ، ثمَّ الأَصْفَرُ ، ثمَّ الأَسْوَدُ ؛ قَالَ : وَكَثيراً ما يُوجَدُ في أَجْوافِ السَّمَكِ الذِي يَأْكُلُه وَيَمُوتُ .

وَزَعَمَ بعضُ التُّجَّارِ أَنَّ بَحْرَ الزَّنْجِ يَقْذِفُهُ كَجُمْجُمَةِ الإِنْسَانِ ، وَأَكْبَرُها وَزْنُهُ أَلْفُ مِثْقالٍ ؛ وَكثيراً ما تَأْكُلُهُ الحِيْتانُ فَتَمُوتُ ؛ وَالدَّابَّةُ التي تَأْكُلُهُ تُدْعَى العَنْبَرَ .

الحُكْمُ : قَالَ الماوَرْدِيُّ والرُّويانيُّ في « كِتابِ الز كاةِ » : لا زَكاةَ في العَنْبَرِ وَالمِسْكِ .

وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ : فِيهما الخُمْسُ .

وَقَالَ الحَسَنُ وَعُمر بن عبدِ العَزيز وعُبيدُ اللهِ العَنْبَرِيُّ وإِسحاق : يَجِبُ الخُمْسُ في العَنْبَرِ .

وَاحْتَجَّ الشَّافعيُّ علَيْهِم بِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما في العَنْبَرِ[١] : إِنَّما هُوَ شَيْءٌ دَسَرَهُ البَحْرُ ـ أَي لَفَظَهُ ـ وَلَيْسَ بِمَعْدِنٍ حتَّى يَجِبَ فِيهِ الخُمْسُ .

وَرُوِيَ عنهُ صَرِيحاً أَنَّهُ قالَ : لا زكاةَ فِيه .

● وَرَوَى جابِرٌ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[٢] : « العَنْبَرُ لَيْسَ بِغَنِيمَةٍ » . وَهَذا يَنْفِي وُجُوبَ الزَّكاةِ فِيه .

---

(١) النِّهاية ٣/ ٣٠٦ والبخاريّ ٢/ ١٣٦ .

(٢) في البخاريّ ٢/ ١٣٦ قولُ ابن عبَّاسٍ : ليس العنبر بركازٍ .

قَالا ـ أَي الماوَرْدِيُّ والرُّويانيُّ ـ: وَأَكْثَرُ الفُقَهاءِ عَلى أَنَّ العَنْبَرَ طاهِرٌ .

وَقالَ الشَّافعيُّ : سَمِعْتُ من قَالَ : رَأَيْتُ العَنْبَرَ نابِتاً في البَحْرِ ، مُلْتَوِياً مِثْلَ عُنُقِ الشَّاةِ .

وَقِيلَ : إِنَّ أَصْلَهُ نَبْتٌ في البَحْرِ ، وَلَهُ رائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ ، وَفي البَحْرِ دُوَيْبَّةٌ تَقْصِدُهُ لِذَكاءِ رائِحَتِه ، وَهُوَ سُمُّها ، فَتَأْكُلُهُ فَيَقْتُلُها ، وَيَلْفِظُها البَحْرُ ، فَيُخرجُ العَنْبَرُ من بَطْنِها .

وَقالا في « كِتابِ السَّلَمِ » : يَجُوزُ السَّلَمُ في العَنْبَرِ ؛ وَلا بُدَّ من بَيانِ أَنْواعِهِ وَوَزْنِهِ ، فَالعَنْبَرُ منهُ الأَشْهَبُ وَالأَبْيَضُ وَالأَخْضَرُ وَالأَسْوَدُ ، وَلا يَجُوزُ حَتَّى يُسَمَّى ذلكَ .

وَقَالَ الشَّافعيُّ : يَجُوزُ بَيْعُ العَنْبَرِ .

وَقَالَ أَهْلُ العِلْمِ بِهِ : إِنَّهُ نَباتٌ ، وَالنَّباتُ لا يُحَرَّمُ منهُ شَيْءٌ .

قَالَ : وَحَدَّثَني بعضُهم : أَنَّهُ رَكِبَ البَحْرَ ، فَوَقَعَ إِلى جَزِيرَةٍ فِيهِ ، فَنَظَرَ إِلى شَجَرَةٍ مثل عُنُقِ الشَّاةِ ، فإِذا ثَمَرُها عَنْبَرٌ .

قَالَ : فَتَرَكْناهُ حتَّى يَكبرَ ثمَّ نَأْخُذُهُ ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَأَلْقَتْهُ في البَحْرِ .

قَالَ الشَّافعيُّ : وَالسَّمَكُ وَدوابُّ البَحْرِ تَبْتَلِعُهُ أَوَّلَ ما يَقَعُ منهُ ، لأَنَّهُ لَيِّنٌ ، فإِذا ابْتَلَعَتْهُ قَلَّمَا يَسْلَمُ مِنْها ، إِلاَّ قَتَلَها لِفَرْطِ الحرارَةِ فِيهِ ؛ فإِذا أَخَذَ الصَّيَّادُ السَّمَكَةَ ، وَجَدَهُ في بَطْنِها ، فَيُقَدِّرُ أَنَّهُ مِنْها ؛ وإِنَّما هُوَ ثَمَرَةُ نَبْتٍ .

وَأَمَّا خَواصُّهُ(١) : فَقَالَ المُخْتارُ بن عَبْدون : العَنْبَرُ حارٌّ يابِسٌ ، وَهُوَ دُونَ المِسْكِ ؛ وَأَجْوَدُهُ الأَشْهَبُ الخَفيفُ الدَّسَمِ .

وَهُوَ يُقَوِّي القَلْبَ والدِّماغَ ، وَيَزيدُ في الرّوحِ ، وَيَنفعُ من الفالِجِ وَاللَّقْوَةِ

(١) تذكرة داود ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٣٤ .

والبَلْغَمِ الغَلِيظِ ، وَيُوَلِّدُ شَجاعَةً ، لكنَّهُ يَضُرُّ من اعْتادَهُ الماشرا ؛ وَتُدْفَعُ مَضَرَّتَهُ بِالكافُورِ وَشَمِّ الخِيارِ ، ويُوافِقُ الأَمْزِجَةَ البارِدَةَ الرَّطْبَةَ وَالمشايخَ ؛ وَأَجودُ ما اسْتُعْمِلَ في الشِّتَاءِ .

قالُوا : والعَنْبَرُ جَماجِمُ أَكْبَرُها أَلْفُ مِثْقالٍ ، تَبْرُزُ من عُيُونٍ في البَحْرِ تَطْفُو عَلى المَاءِ ، فَيسقطُ عَلَيْها الطَّيْرُ ، فَتَأْكُلُها ، فَتَهْلِكُ .

وَقيلَ : إِنَّهُ رَوْثُ دابَّةٍ . وَقيلَ : إِنَّهُ من غُثاءِ البَحْرِ . وَأَجْوَدُهُ الأَشْهَبُ ، وَضِدُّهُ الخَمْرِيُّ ، وَلَهُ زُهُومَةٌ لابْتِلاعِ السَّمَكِ لَهُ ، وَيَتَصَفَّى منهُ عندَ عَمَلِهِ رَمْلٌ . وَاللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

٦٨٣ **العَنْتَرُ** : الذُّبابُ الأَزْرَقُ ، وَقِيلَ : مُطْلَقُ الذُّبابِ .

● وَفِي « الصَّحيحَيْنِ »[١] : عن عبدِ الرَّحمنِ بن أَبي بَكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، في حديثِهِ الطَّويل المُشْتَمِلِ على كراماتٍ ظاهِرَةٍ للصِّدِّيق رضي الله عنه ، وَمَعناهُ : أَنَّ الصِّدِّيقَ ضَيَّفَ جَماعَةً ، وَأَجْلَسَهُم في مَحَلِّهِ ، وَانْصَرَفَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَأَخَّرَ رُجُوعُهُ ؛ فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ : أَعَشَّيْتُموهُم ؟ قالُوا : لا . فَأَقْبَلَ عَلَى ابْنِه عبدِ الرَّحمنِ ، وَقالَ : يَا عَنْتَرُ ؛ فَجَدَّعَ وَسَبَّ ؛ وَمَعناهُ : دَعا عَلَيْهِ بِقَطْعِ الأَنْفِ وَنحوه . وَجَاءَ : يا عُنَيْتِرُ ، مُصَغَّراً ، شَبَّهَهُ بذلكَ تَحْقيراً لهُ . وَقيلَ : شَبَّهَهُ بالذُّبابِ الأَزْرَقِ لِشِدَّةِ أَذاهُ . وَرُوِيَ بِالغَيْنِ المُعْجَمَةِ ، وَبِالثَّاءِ المُثَلَّثَةِ ، هُوَ الأَكْثَرُ ، وَمَعناهُ : يَا لَئِيمُ .

وَعَنْتَرَةُ : اسْمُ رَجُلٍ ؛ وَهُوَ عَنترَةُ بن شَدَّاد بن مُعاوية العَبْسيّ ، وَهُوَ أَحَدُ فُرْسانِ العَرَبِ وَشُعَرائِها وَمُتَيَّمِيها ؛ وهُوَ من أَبْطالِ الجاهِلِيَّةِ ، وَيُضْرَبُ المَثَلُ بِشَجاعَتِه .

قَالَ سِيبويه : نُونُ عَنْتَرَةَ ، لَيْسَتْ زائِدَةً .

---

(١) البخاريّ ١/ ١٤٩ و ٧/ ١٠٥ ومسلم (٢٠٥٧) ومسند أَحمد ١/ ١٩٨ .

٦٨٤ **العَنْدَلِيبُ** : الهَزارُ ـ بِفَتْحِ الهَاءِ ـ وَالجَمْعُ : العَنادِلُ ، لأَنَّكَ تَرُدُّهُ إلى الرُّباعيِّ ، ثُمَّ تَبْنِي منهُ الجَمْعَ والتَّصْغِيرَ ؛ وَالبُلْبُلُ يُعَنْدِلُ : إذا صَوَّتَ .

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبي سَعيدٍ المُؤَيَّد بن محمَّد الأَلُوسيّ[1] ، الشَّاعر المُجيد ، في وَصْفِ طُنْبُورٍ[2] : [من الوافر]

وَطُنْبُورٍ مَلِيْحِ الشَّكْلِ يَحْكِي ... بِنَغْمَتِهِ الفَصِيْحَةِ عَنْدَلِيبا
رَوى لَمَّا ذَوَى نَغَماً فِصاحاً ... حَواها في تَقَلُّبِهِ قَضِيبا[3]
كَذَا مَن عاشَرَ العُلَماءَ طِفْلاً ... يَكُونُ إذا نَشَا شَيْخاً أَدِيبا

● وَمِنْ مَحاسِنِ شِعْرِهِ ، قَوْلُهُ : [من المتقارب]

أُحِبُّ العَذُولَ لِتَكْرارِهِ ... حَدِيْثَ الحَبيبِ على مَسْمَعِي
وَأَهْوَى الرَّقِيبَ لأَنَّ الرَّقِيبَ ... يَكُونُ إذا كانَ حِبِّي مَعِي

● وَمِمَّا يُسْتَجادُ من مَحاسِنِ شِعْرِهِ أَيْضاً[4] : [من مجزوء الكامل]

احْذَرْ صَدِيْقاً مَاذِقاً ... مَزَجَ المَرارَةَ بِالحَلاوَهْ
يُحْصِي الذُّنُوبَ عَلَيْكَ أَيْـ ... ـيَامَ الصَّداقَةِ لِلْعَداوَهْ

---

(١) في الأُصول : الأَندلسيّ ! . **وترجمته في** : ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٢/ ٢٦٩ ووفيات الأَعيان ٥/ ٣٤٦ . واسمه : عطَّاف بن محمَّد بن عليّ بن أَحمد ، أَبو سعيد الأَلوسيّ ، المعروف بالمؤيَّد .

(٢) نسبة الأَبيات إلى الأَلوسيّ سبق قلمٍ من المؤلِّف رحمه الله ! . وَقَدْ أَوردَ لَه ابن خلّكان ثلاثة أَبيات في وصف قلمٍ ثُمَّ قَالَ : ومعنى البيت الثَّالث مأخوذ من قول **بعضهم** في وصف طنبور : [الثَّلاثَة] .
فَالأَبيات بلا نسبة في ابن خلّكان ٥/ ٣٤٧ .

(٣) في ب : . . . . فصيحاً × .

(٤) ليسا لَهُ ، وَهُمَا لعبدِ اللهِ بن عطية بن عبد الله المقرىء ، في تاريخ دمشق ٣٥ ـ ٣٦/ ٦٢١ ومختصره ١٣/ ١٤١ ـ ١٤٢ والنُّجوم الزَّاهرة ٤/ ١٦٥ وبلا نسبة في الصّداقة والصّديق ١٠٣ .

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ : [من الكامل]

وَنِهـايَـةُ الـدُّنْيَـا وَغـايَـةُ أَهْلِهـا ... مُلْـكٌ يَـزُولُ وَسِتْـرُ قَـوْمٍ يُهْتَـكُ
تَحْلُـو فَتُعْقِـبُ غصَّـةً وَمَـرارَةً ... وَتُحَـبُّ وَهْـيَ بِنـا تَصُـولُ وَتَفْتِـكُ

وَكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمسينَ وَخَمسمئةٍ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ من الطَّيِّباتِ .

وَهُوَ في الرُّؤْيا[1] : يَدُلُّ على وَلَدٍ ذَكِيٍّ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

٦٨٥ **العَنْدَلُ** : البَعِيرُ الضَّخْمُ الرَّأْسِ ؛ يَسْتَوِي فِيهِ الذَّكَرُ والأُنْثى[2] .

٦٨٦ **العَنْزُ** : الأُنْثى من المَعْزِ ؛ وَالجَمْعُ : أَعْنُزٌ وَعُنُوزٌ .

● رَوَى « البُخاريُّ » و« أَبُو داود »[3] عن عبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعُونَ خَصْلَةً ، أَعْلاها مَنِيْحَةُ العَنْزِ : ما مِنْ عامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْها رَجاءَ ثَوابِها ، وَتَصْدِيقاً بِمَوْعُودِها ، إلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ » .

قالَ حسَّانُ بن عَطِيَّةَ الرَّاوِي ، عن أَبي كَبْشَةَ : فَعَدَدْنا ما دُونَ مَنِيْحَةِ العَنْزِ ، من رَدِّ السَّلامِ ، وَتَشْمِيتِ العاطِسِ ، وَإِماطَةِ الأَذَى عن الطَّريقِ ، وَنَحوِهِ ؛ فَمَا اسْتَطَعْنا أَنْ نَصِلَ إِلى خمسَ عشرةَ خَصْلَةً .

● قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : لَمْ يَذْكُرِ النَّبيُّ ﷺ الخِصالَ في الحَديثِ ؛ وَمَعلُومٌ أَنَّهُ علَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كان عالِماً بِها لا مَحالَةَ ، إلاَّ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَذْكُرْها لِمعنىً هو

---

(١) في تفسير الواعظ ٢٩٧ : العندليب : امرأَةٌ حسنةُ الكَلام ، لطيفة ؛ أَو رجل مطربٌ ، أو قارىء . وهو للسُّلطان وزير حسن التَّدبير .

(٢) اللِّسان « عندل » ٤/٣١٢٦ .

(٣) البخاريّ ٣/ ١٤٤ وأَبو داود (١٦٨٣) .

أَنفعُ لِنا من ذِكْرِها ، وَذلكَ ـ واللهُ أَعلمُ ـ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ التَّعْيينُ لَها زُهْداً في غَيْرِها من أَبْوابِ المعرُوفِ وَسُبُلِ الخيرِ ؛ وَقد جاءَ عنهُ عَليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ من الحَثِّ والحَضِّ على أَبْوابٍ من الخيرِ والبِرِّ ما لا يُحْصَى كَثْرَةً .

قالَ : وَقد بَلَغني عن بعضِ أَهْلِ عَصْرِنا أَنَّهُ تَتَبَّعَها في الأَحادِيْثِ ، فَوَجَدَها تَزيدُ على أَرْبَعينَ خَصْلَةً ؛ ثُمَّ ذَكَرَها إِلى آخِرِها .

قُلتُ : وَتَشْميتُ العاطِسِ ـ بالشِّيْنِ المُعْجَمَةِ ، وَبالسِّيْنِ المُهملَةِ ـ فَالأَوَّلُ : إِشارَةٌ إِلى جَمْعِ الشَّمْلِ ، لأَنَّ العَرَبَ تَقُولُ : أَشْمَتَتِ الإِبلُ : إِذا اجْتَمَعَتْ فِي المَرْعَى . وَقيلَ : مَعناهُ الدُّعاءُ لِشَوامِتِه ، وَهُوَ اسْمٌ لِلأَطْرافِ ؛ وَالثَّانِي : إِشارَةٌ إِلى أَنْ يُرْزَقَ السَّمْتَ الحَسَنَ .

قُلْتُ : وَقَدْ رَوَى الأَصبهانيُّ صاحِبُ « التَّرغيب والتَّرهيب » في « بابِ قَضاءِ حَوائِجِ المُسلمين » عن أَميرِ المُؤمنين عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لِلْمُسْلِمِ على أَخِيهِ المُسْلِمِ ثلاثُونَ حَقّاً ، لا بَراءَةَ لَهُ مِنْها إِلاَّ بالأَداءِ أَوِ العَفْوِ : يَغْفِرُ زَلَّتَهُ ، وَيَرْحَمُ عَبْرَتَهُ ، وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ ، وَيُقيلُ عَثْرَتَهُ ، وَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ ، وَيَرُدُّ غَيْبَتَهُ ، وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ ، وَيَحْفَظُ خُلَّتَهُ ، وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ ، وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ ، وَيَشْهَدُ مَيْتَتَهُ ، وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُ ، وَيُكافِىءُ صِلَتَهُ ، وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ ، وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ ، وَيَحْفَظُ حَلِيْلَتَهُ[1] ، وَيَقْضِي حاجَتَهُ ، وَيَشْفَعُ مَسْأَلَتَهُ ، وَيَقْبَلُ شَفاعَتَهُ ، وَلا يُخَيِّبُ مَقْصَدَهُ ، وَيُشَمِّتُ عَطْسَتَهُ ، وَيُرْشِدُ ضالَّتَهُ ، وَيَرُدُّ سَلامَهُ ، وَيُطَيِّبُ كَلامَهُ ، وَيَبَرُّ إِنعامَهُ ، وَيُصَدِّقُ أَقْسامَهُ ، وَيَنْصُرُهُ ظالِماً أَوْ مَظْلُوماً ؛ أَمَّا نَصْرُهُ ظالِماً ، فَيَرُدُّهُ عن ظُلْمِه ، وَأَمَّا نَصْرُهُ مَظْلُوماً ، فَيُعِينُهُ على أَخْذِ حَقِّه ، وَيُوالِيه وَلا يُعادِيهِ ، وَلا يُسْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ ، وَيُحِبُّ لَهُ من الخَيْرِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِه ، وَيَكْرَهُ لَه

---

(١) في أ : ويحفظُ حرمته .

من الشَّرِّ ما يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ » .

ثمَّ قالَ : سَمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ أَحَدَكُم لَيَدَعُ من حُقُوقِ أَخيهِ شَيْئاً ؛ فَيُطالِبُهُ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ » .

ثمَّ قَالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَدَعُ تَشْمِيتَ أَخيهِ إِذا عَطَسَ ، فَيُطالِبُهُ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، فَيُقْضَى لَهُ عَلَيْهِ .

فهذِهِ مع ما عَدَّهُ حَسَّانُ بن عطيَّة ، يَجتمعُ منها أَكْثَرُ من أَربعينَ خَصْلَةً .

● **فائِدَةٌ** : رَوَى أَبُو القاسِمِ سُليمانُ بن أَحمد الطَّبرانيّ في « كِتابِ الدَّعوات »[1] بإِسْنادِهِ عن سُوَيْد بن غَفْلة ، قالَ : أَصابَتْ عليَّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ فاقَةٌ ، فقالَ لِفاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْها : لو أَتَيْتِ النَّبيَّ ﷺ ؛ فَأَتَتْهُ ـ وَكانَ عِنْدَ أُمِّ أَيْمَنَ ـ فَدَقَّتِ البابَ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ لأُمِّ أَيْمَنَ : « إِنَّ هَذَا الدَّقَّ لَدَقُّ فاطِمَةَ ، وَلَقَدْ أَتَتْنا في ساعَةٍ ما عَوَّدَتْنا أَنْ تَأْتِيَنا في مِثْلِها ، فَقُومي فافْتَحي لَها البابَ » .

قَالَ : فقامَتْ أُمُّ أَيْمَنَ ، فَفَتَحَتْ لَها البابَ ؛ فلَمَّا دَخلَتْ قَالَ ﷺ : « يا فاطِمَةُ ، لَقَدْ أَتَيْتِنا في ساعَةٍ ما عَوَّدْتِنا أَنْ تَأْتِينا في مِثْلِها » . فقالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هذِهِ الملائِكَةُ طَعامُها التَّسْبِيحُ والتَّحْمِيدُ والتَّقْدِيسُ ، فَما طَعامُنا ؟ فقالَ ﷺ : « وَالذي بَعَثَنِي بِالحَقِّ ، ما اقْتُبِسَ في آلِ محمَّدٍ نارٌ منذُ ثَلاثِينَ يَوْماً ، وَقَدْ أَتَتْنا أَعْنُزٌ ، فإِنْ شِئْتِ أَمَرْتُ لَكِ بِخَمْسَةِ أَعْنُزٍ ، وَإِنْ شِئْتِ عَلَّمْتُكِ خَمْسَ كَلِماتٍ عَلَّمنيهنَّ جبريلُ آنِفاً ؟ » قالَتْ : بَلْ عَلِّمْنِي الخَمْسَ التي عَلَّمَكَ جِبريلُ . قالَ ﷺ : « قُولِي : يَا أَوَّلَ الأَوَّلِينَ ، وَيا آخِرَ الآخِرِين ، وَيا ذا القُوَّةِ المَتِينِ ، وَيا راحِمَ المَساكِينِ ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ » .

قَالَ : فَانْصَرَفَتْ حَتَّى دَخَلَتْ على عليّ بن أَبي طَالِبٍ ، فقالَتْ : ذَهَبْتُ

---

(١) الدُّعاء للطَّبرانيّ ٢/ ١٢٨٦ .

من عِنْدِكَ إِلى الدُّنْيا ، فَأَتَيْتُكَ بالآخِرَةِ ؛ وَذَكَرَتْ لَهُ ذلكَ ، فقالَ : خَيْرُ أَيَّامِكِ ، خَيْرُ أَيَّامِكِ .

● وَفي « كِتابِ صَفْوَةِ التَّصَوُّفِ » للحافِظِ أَبي الفَضْلِ محمَّد بن طاهر المَقْدسيّ :

أَنَّ جابرَ بن عبد الله رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما دَخَلَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ : « يا جابرُ ، هَؤُلاءِ الأَعْنُزُ إِحْدَى عَشْرَةَ عَنْزاً في الدَّارِ ، أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ كَلِماتٍ عَلَّمنيهنَّ جِبريلُ آنِفاً ، يَجْمَعْنَ لَكَ خَيْرَ الدُّنْيا والآخِرَةِ ؟ » فقالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، واللهِ إِنِّي لَمُحتاجٌ ، وَهَذِهِ الكَلِماتُ أَحَبُّ إِليَّ ؛ فقالَ ﷺ : « قُلْ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلاَّقٌ عَلِيمٌ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ البَرُّ الجَوادُ الكَرِيمُ ، اغْفِرْ لِي ، وارْحَمْنِي ، واجْبُرْنِي ؛ وَوَفِّقْنِي ، وارْزُقْنِي ، وَاهْدِنِي ، وَنَجِّني ، وعافِنِي ، واسْتُرْنِي ، ولا تُضِلَّنِي ، وَأَدْخِلْنِي الجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين » .

قالَ : فَطفقَ يُرَدِّدُهُنَّ حتَّى حَفِظَتُهُنَّ ؛ ثمَّ قالَ ﷺ : « تَعَلَّمْهُنَّ وَعَلِّمْهُنَّ عَقِبَكَ من بَعْدِكَ » . ثمَّ قَالَ ﷺ : يا جابرُ ، اسْتَقْهُنَّ معكَ » . قالَ : فَاسْتَقْتُهُنَّ مَعِي .

● وَفي « تَفْسيرِ القُشَيريّ » وَغَيْرِهِ : أَنَّ إبراهِيمَ علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، لَمَّا هاجَرَ بِوَلَدِهِ إِسماعيل وَأُمِّه هاجَرَ إِلى مَكَّةَ ، مَرَّ على قَوْمٍ من العَمالِيقِ ، فَوَهَبُوا لإِسْماعِيلَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عَشْرَةَ أَعْنُزٍ ؛ فَجَمِيعُ أَعْنُزِ مَكَّةَ من نَسْلِها .

وَهَذَا نَظيرُ ما تَقَدَّمَ في حَمامِ الحَرَمِ ، وَأَنَّهُ من نَسْلِ الحَمامَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَشَّشَتا على النَّبيِّ ﷺ في الغارِ .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : قَالَ النَّبيُّ ﷺ : « لا يَنْتَطِحُ فِيها عَنْزانِ » .

وَالسَّبَبُ في ذلكَ[1] : أَنَّ امْرَأَةً من خَطْمَةَ ، كان يُقالُ لَها : عَصْمَاءُ بنتُ مَروان من بني أُمَيَّةَ [بن زيدٍ] ، كانَتْ تُحَرِّضُ على المُسلمينَ ، وَتُؤْذِيهم ، وَتَقولُ الشِّعْرَ ، فَجعَلَ عُمَيْرُ بن عَدِيٍّ عَلَيْهِ نَذْراً للهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَئِنْ رَدَّ اللهُ رَسُولَهُ سالِماً من بَدْرٍ لَيَقْتُلَنَّها ؛ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ من بَدْرٍ ، عَدا عَلَيْها عُميرٌ في جَوْفِ اللَّيْلِ فقتَلَها ، ثُمَّ لَحِقَ بالنَّبيِّ ﷺ وَصَلَّى معهُ الصُّبْحَ ؛ فَلَمَّا قَامَ ﷺ لِيدخُلَ مَجْلِسَهُ ، قالَ لِعُمَيْرِ بن عَدِيّ : « أَقَتَلْتَ عَصْمَاءَ ؟ » قَالَ : نَعم ، فهل عليَّ في قَتْلِها من شَيْءٍ ؟ فَقَالَ ﷺ : « لا يَنْتَطِحُ فِيْها عَنْزانِ » .

فَأَوَّلُ ما سُمِعَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ منهُ ﷺ ، وَهِيَ من الكَلامِ المُوجَزِ البَدِيعِ المُفْرَدِ الذِي لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ .

وَكذلكَ قَوْلُهُ ﷺ : « حَمِيَ الوَطِيسُ » و« مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ » و« لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » و« يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي » و« الوَلَدُ للفِراشِ وَلِلْعاهِرِ الحَجَرُ » و« كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا » و« الحَرْبُ خُدْعَةٌ » و« إِيَّاكُمْ وَخَضْراءَ الدِّمَنِ » و« إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ » و« الأَنْصارُ كَرِشي وَعَيْبَتي » و« لا يَجْنِي على المَرْءِ إِلا يَدُهُ » و« الشَّديدُ من مَلَكَ نَفْسَهُ عندَ الغَضَبِ » و« لَيْسَ الخَبَرُ كَالمُعايَنَةِ » و« المَجالِسُ بالأَمانَةِ » و« اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ من اليَدِ السُّفْلَى » و« البَلاءُ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ » و« النَّاسُ كَأَسْنانِ المُشْطِ » و« تَرْكُ الشَّرِّ صَدَقَةٌ » و« أَيُّ داءٍ أَدْوَأُ من البُخْلِ » و« الأَعْمالُ بالنِّيَّاتِ » و« الحَياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » و« اليَمِينُ الفاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيارَ بَلاقِعَ » و« سَيِّدُ القَوْمِ خادِمُهُمْ » و« فَضْلُ العِلْمِ خَيْرٌ من فَضْلِ العِبادَةِ » و« الخَيْلُ مَعْقُودٌ في نَواصِيها الخَيْرُ » و« أَعْجَلُ الأَشْياءِ عُقُوبَةً البَغْيُ » و« إِنَّ من الشِّعْرِ لَحِكْمَةً » و« الصِّحَّةُ وَالفَراغُ نِعْمَتانِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٦٣٧ وطبقات ابن سعد ٢/٢٥ والمغازي ١/١٧٢ وإمتاع الأَسماع ١/١٠١ ـ ١٠٢ .

مَغْبُونٌ فِيهما كَثيرٌ من النَّاسِ » و« نِيَّةُ المُؤْمِنِ خَيْرٌ من عَمَلِهِ ، وَنِيَّةُ المُنافِقِ شَرٌّ من عَمَلِهِ » و« الوَلَدُ أَلْوَطُ » و« اسْتَعِينُوا على قَضاءِ الحَوائِجِ بالكِتْمانِ ، فإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » و« المَكْرُ والخَدِيعَةُ في النَّارِ » و« مَنْ غَشَّنَا لَيْسَ مِنَّا » و« المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ » و« النَّدَمُ تَوْبَةٌ » و« الدَّالُّ على الخَيْرِ كَفاعِلِهِ » و« حُبُّكَ الشَّيْءَ يَعْمِي وَيُصِمُّ » و« العارِيَّةُ مُؤَدَّاةٌ » و« الإِيْمانُ قَيْدُ الفَتْكِ » وَأَمثالُ ذلكَ من كِلامِهِ ﷺ[1] .

وَإِنَّما خَصَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ العَنْزَ دُونَ سائِرِ الغَنَمِ ، لأَنَّ العَنْزَ إِنَّما تَشامُّ العَنْزَ ثُمَّ تُفارِقُها ، وَلَيسَ كَنِطاحِ الكِباشِ وَغَيْرِها .

● وَرَوى ابنُ دُرَيْدٍ[2] : أَنَّ عَدِيَّ بن حاتِمٍ لَمَّا قُتِلَ عثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : لا يَنْتَطِحُ فِيها عَنْزانِ ، فلمَّا كان يَوْمُ الجَمَلِ فُقِئَتْ عَيْنُهُ ، فقيلَ لَهُ : لا يَنْتَطِحُ في قَتْلِ عُثمانَ عَنْزانِ ؟ قالَ : بَلى ، وَتُفْقَأُ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ . كَذا ذَكَرَ هَذا الخَبَرَ ابْنُ إِسحاق والدّمياطيّ وغيرُهما .

● وَعَنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَني الصَّادِقُ المَصْدُوقُ أَبُو القاسِمِ ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ خَصْمٍ يُقْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ عَنْزانِ ، ذاتُ قَرْنٍ وَغَيْرُ ذاتِ قَرْنٍ » .

رَواهُ الطَّبرانيُّ في « مُعْجَمِهِ الأَوْسَط »[3] . وَفِيهِ جابرٌ الجُعْفِيُّ ، وهُوَ ضَعِيفٌ .

وَحُكْمُها : الحِلُّ ، وَيُفْدَى بِها الغَزالُ إِذا قَتَلَهُ المُحْرِمُ .

---

(١) وقد جمعَ مثل ذلك الثَّعالبيُّ في الإعجاز والإيجازِ ٣٢ ـ ٣٣ والتَّمثيل والمحاضرة ٢٧ ـ ٢٨ والمسعوديّ في المروج ٣/ ٣٥ ـ ٣٨ .

(٢) ثمار القلوب ١/ ٥٦٧ والميدانيّ ٢/ ٢٢٥ والزَّمخشريّ ٢/ ٢٥٣ .

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٨/ ٦١ رقم (٧٨٥٨) .

وَسَيَأْتِي تحقيق ذلك إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ » .

الأَمْثالُ : قد تَقَدَّمَ في الحَديثِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « لا يَنْتَطِحُ فِيها عَنْزانِ » أَي لا يَلْتَقِي فِيْها اثْنانِ ضَعِيفانِ ؛ لِأَنَّ النِّطاحَ من شَأْنِ التُّيُوسِ والكِباشِ لا العُنُوزِ ؛ وَهُوَ إِشارَةٌ إِلى قَضِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ لا يَجْرِي فِيها خُلْفٌ ولانِزاعٌ .

وَقَالُوا : « فُلانٌ أَضْرَطُ من عَنْزٍ »[1] . وَقَالُوا : « عَنْزٌ بها كُلُّ داءٍ »[2] . يُضْرَبُ للكَثِيرِ العُيُوبِ من النَّاسِ والدَّوابِّ ؛ قالَ الفَزارِيُّ : لِلْعَنْزِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ داءً .

● **وَالعَنْزُ** : العُقابُ الأُنْثى ؛ في قَوْلِ الشَّاعِرِ[3] : [من الوافر]

إِذا مـا العَنْـزُ مـن مَلَـقٍ تَـدَلَّـتْ ضُحَيّـاً وَهْـيَ طـاوِيَـةٌ تَحُـومُ

فَمُرادُهُ بِالعَنْزِ هُنا : العُقابُ الأُنْثى .

الخَواصُّ[4] : مَرارَةُ العَنْزِ : إِذا خُلِطَتْ بَنُوشادِرٍ ، وَنُتِفَ شَعْرٌ من مَكانٍ في البَدَنِ ، وَطُلِيَ بِهِ ذَلِكَ المَوْضِعُ ، لَمْ يَنْبُتْ فِيهِ شَعْرٌ أَلْبَتَّةَ .

وَقَالَ أَرسطُو : مَرارَةُ العَنْزِ : إِذا خُلِطَتْ بِكُرَّاثٍ ، وَطُلِيَ بِها مَكانُ الشَّعْرِ المَنْتُوفِ ، لَمْ يَنْبُتْ فِيهِ شَعْرٌ أَلْبَتَّةَ .

وإِذا غُسِلَتْ سَاقُها ، وَسُقِيَ من بِهِ سَلَسُ البَوْلِ ، أَبْرَأَهُ .

وإِنْ كُتِبَ بِلَبَنِها على قِرْطاسٍ ، لَمْ تَبِنْ كِتابَتُهُ ، فَإِنْ ذُرَّ عَلَيْهِ رَمادٌ ظَهَرَتِ الكِتابَةُ .

وَقَالَ هرمس : إِذا أُخِذَ من دِماغِ العَنْزِ ، وَمِنْ دَمِ الضَّبُعِ ، وَزْنُ دانِقٍ من كُلِّ

---

(١) الميدانيّ ١/ ٤٢٧ والعسكريّ ٢/ ٣ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ١٣ والعسكري ٢/ ٦٣ والزَّمخشريّ ٢/ ١٧١ .

(٣) البيت بلا نسبة في الصِّحاح والتَّاج « عنز » .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٥٠ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٣٤ .

واحِدٍ ، مع وَزْنِ حَبَّتَيْنِ من كافُورٍ ، وَعُجِنَ باسْمِ شَخْصٍ ، تُوَلِّدُ فِيهِ رُوحانِيَّة المَحَبَّةِ إذا طَعِمَ ذلكَ .

وَمَنْ أَخَذَ من مَرارَتِها وزنَ دانِقٍ ، وَمِثْلَه من دَمِها ؛ وَمِنْ دِماغِ سِنَّوْرٍ أَسْوَد نِصْفُ دانِقٍ ، وأَطْعَمَهُ إِنْساناً ، قَطَعَ عَنْهُ شَهْوَةَ الجِماعِ ، وَلا يَصِلُ إلى امْرَأَةٍ حَتَّى يُحَلَّ عنهُ ؛ وَحَلُّهُ أَنْ يُسْقَى أَنْفِحَةَ ظَبْيَةٍ في لَبَنِ عَنْزٍ ، وَيَكُونُ سُخْناً . وَاللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

٦٨٧ **العُنْظُبُ** : الذَّكَرُ من الجَرادِ . وَفَتْحُ الظَّاءِ لُغَةٌ فِيهِ .

قَالَ الكسائيُّ : يُقالُ : العُنْظُبُ ، وَالعُنْظَابُ ، وَالعُنْظُوبُ ؛ وَالأُنْثَى عُنْظُوبَةٌ ؛ وَالجَمْعُ في المُذَكَّرِ عَناظِبُ[١] ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[٢] : [من المُتقارب]

رُؤُوسُ العَناظِبِ كَالعُنْجُدِ

وَالجَمْعُ في المُؤَنَّثِ : عُنْظُباتٌ ؛ وَفِي « كِتابِ سِيبويه » : العُنْظُبَاءُ ، بِالمَدِّ والضَّمِّ .

٦٨٨ **العُنْظُوانَةُ** : الجَرادُ الأُنْثَى ، وَالجَمْعُ : عُنْظُواناتٌ[٣] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الجَرادِ وَما فِيهِ في « باب الجِيمِ » .

٦٨٩ **عَنْقَاءُ مُغْرِبٍ وَمُغْرِبَةٍ** : من الأَلْفاظِ الدّالةِ على غيرِ مَعْنىً .

قَالَ بَعْضُهم[٤] : وَهو طَيْرٌ غَرِيبٌ ، يَبِيضُ بَيْضاً كَالجِبالِ ، وَيُبْعِدُ في طَيَرانِهِ .

---

(١) اللِّسان « عظب » و « عنظب » ٤/ ٣٠٠٢ و ٣١٣٢ .

(٢) البيت بلا نسبة في اللِّسان والتَّاج «عظب» و«عنجد» . وصدره : غَدَا كَالعَمَلَّسِ فِي خافَةٍ × .
وَالعَمَلَّس : الذِّئب . والخافة : خريطة من أَدَمٍ . والعنجد : الزَّبيب .

(٣) اللِّسان « عنظ » ٤/ ٣١٣٢ .

(٤) نقله البغداديُّ في الخزانة ٧/ ١٣٥ . وانظر ما يقولُهُ الجاحِظُ عنه في الحيوان ٧/ ١٢٠ والثَّعالبيّ في ثمار القُلوب ٢/ ٦٦٠ .

وَقِيلَ : سُمِّيَتْ بذلكَ ، لأَنَّهُ كان في عُنُقِها بَياضٌ كَالطَّوْقِ .

وَقِيلَ : هو طائِرٌ يَكُونُ عِندَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ .

● وَقالَ القَزوينيُّ[١] : إِنَّها أَعْظَمُ الطَّيْرِ جُثَّةً ، وَأَكْبَرُها خِلْقَةً ، تَخْطِفُ الفِيلَ كَما تَخطفُ الحِدَأَةُ الفَأْرَ ؛ وَكانَتْ في قَدِيمِ الزَّمانِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَتَأَذَّوْا مِنْها ، إِلى أَنْ سَلَبَتْ يَوْماً عَرُوساً بِحُلِيِّها ، فَدَعَا عَلَيْها حَنْظَلَةُ النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَذَهَبَ اللهُ بِها إِلى بَعْضِ جَزائِرِ البَحرِ المُحِيطِ وَراءَ خَطِّ الاسْتِواءِ ؛ وَهيَ جَزيرَةٌ لا يَصِلُ إِلَيْها النَّاسُ ، وَفِيها حَيوانٌ كَثيرٌ كَالفِيْلِ والكَرْكَنْدِ[٢] وَالجَامُوسِ والبَبْرِ وَسَائِرِ أَنْواعِ السِّباعِ وَجَوارِحِ الطَّيْرِ ؛ وَعِنْدَ طَيَرانِ عَنْقاء مُغْرِبٍ يُسْمَعُ لأَجْنِحَتِها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ الرَّعْدِ القاصِفِ والسَّيْلِ ؛ وَتَعيشُ أَلْفَيْ سَنَةٍ ، وَتَتَزاوَجُ إِذا مَضَى لَهَا خَمْسمِئَةِ سَنةٍ ، فَإِذا كان وَقْتُ بَيْضِها ، يَظْهَرُ بها أَلَمٌ شَديدٌ ؛ ثمَّ أَطالَ في وَصْفِها .

● وَذَكَرَ أَرْسطاطاليس في « النُّعُوت » : أَنَّ عَنْقاءَ مُغْرِبٍ قد تُصادُ ، فَيُصْنَعُ من مَخالِبِها أَقْداحٌ عِظامٌ لِلشُّرْبِ .

قَالَ : وَكَيفيَّةُ صَيْدِها : أَنَّهُمْ يُوقِفُونَ ثَوْرَيْنِ ، وَيَجْعَلُونَ بَيْنَهُما عَجَلَةً ، وَيُثْقِلُونَها بِالحِجارَةِ العِظَامِ ، وَيَجْعَلُونَ بيْنَ يَدَي العَجَلَةِ بَيْتاً يَخْتَبِىءُ فِيهِ رَجُلٌ معهُ نارٌ ، فَتَنزلُ العَنْقاءُ عَلَى الثَّوْرينِ لِتَخْطِفَهُما ، فإِذا نَشَبَتْ أَظْفارُها في الثَّوْرَيْنِ أَوْ أَحَدِهما ، لَمْ تَقْدِرْ على اقْتِلاعِهِما لِما عَلَيْهِما من الحِجَارَةِ الثَّقِيلَةِ ، وَلَمْ تَقْدِرْ على الاسْتِقْلالِ لِتُخَلِّصَ مَخالِبَها ، فيخرُجُ الرَّجُلُ بِالنَّارِ فَيَحْرِقُ أَجْنِحَتَها .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨١ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٥ وخزانة البغداديّ ٧/ ١٣٥ والمستطرف ٢/ ٥٠٣ .

(٢) هو الكركدنُّ .

قَالَ : وَالعَنْقاءُ لَهَا بَطْنٌ كَبيرٌ كَبَطْنِ الثَّوْرِ ، وَعِظامٌ كَعِظامِ السَّبُعِ ؛ وَهِيَ من أَعْظَمِ سِباعِ الطَّيْرِ . انتهى .

● وَقالَ الإمامُ العَلاَّمَةُ أَبُو البَقَاءِ العُكْبريُّ في « شَرْحِ المَقاماتِ »(١) : إنَّ أَهْلَ الرَّسِّ كان بأَرْضِهِمْ جَبَلٌ يُقالُ لَهُ : مُخٌّ(٢) ، صاعِدٌ في السَّمَاءِ قَدْرَ مِيْلٍ ، وَكانَ بِهِ طُيُورٌ كَثيرَةٌ ، وَكانَتِ العَنْقَاءُ بِهِ ، وَهيَ عَظِيمَةُ الخَلْقِ ، لَها وَجْهٌ كَوَجْهِ الإنْسَانِ ، وَفِيها من كُلِّ حَيَوانٍ شَبَهٌ ، وَهيَ من أَحْسَنِ الطُّيُورِ ؛ وكانَتْ تَأْتِي هَذَا الجَبَلَ في السَّنَةِ مَرَّةً فَتَلْتَقِطُ طُيُورَهُ ، فجاعَتْ في بَعْضِ السِّنِين ، وَأَعْوَزَها الطَّيْرُ ، فَانْقَضَّتْ على صَبِيٍّ فَذَهَبَتْ بِهِ ، ثمَّ ذَهَبَتْ بِجارِيَةٍ أُخْرى ، فَشَكَوْا ذلكَ إلى نَبِيِّهم حَنْظَلَةَ بن صَفْوان عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَدَعا عَلَيْها ، فَأَصابَتْها صاعِقَةٌ فاحْتَرَقَتْ .

وَكانَ حَنْظَلَةُ بن صَفْوان عَلَيْهِ السَّلامُ في زَمَنِ الفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسى ومحمَّدٍ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ . انتهى .

وَذَكَرَ غيرُهُ : أَنَّ الجَبَلَ يُقالُ لَهُ : فَتْخٌ ؛ وَسُمِّيَتِ العَنْقَاءَ لِطُولِ عُنُقِها ؛ ثمَّ إنَّهم قَتَلُوا نَبِيَّهم فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالَى .

● وَذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ في « التَّعريف والإعْلام » في قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحجّ : ٤٥](٣) : إنَّ البِئْرَ هِيَ الرَّسُّ ، وَكانَتْ بِعَدَن ،

---

(١) الميدانيّ ١/ ٤٢٩ ووفيات الأعيان ٣/ ١٠١ وخزانة البغداديّ ٧/ ١٣٥ ـ ١٣٦ نقلاً .
وينظر عن حنظلة بن صفوان النّبيّ : مروج الذّهب ١/ ٧٢ وتاريخ دمشق ١/ ١١ ووفيات الأعيان ٣/ ١٠١ والرّوض المعطار ٢٧٢ والمحبّر ٦ و ١٣١ وتاريخ الخميس ١/ ٢٠٠ والبدء والتاريخ ٣/ ١٣٣ وشروح سقط الزند ٢/ ٥٥٣ .

(٢) في تاريخ الخميس : فتح أو دمخ . وفي وفيات الأعيان : رمخ . وفي بعض أُصوله : دمخ ، وكذا عند الميدانيّ .

(٣) ترويح أُولِي الدَّماثة ٢/ ٤٥ ـ ٤٦ والبداية والنِّهاية ٢/ ٧ ـ ٨ .

لأُمَّةٍ من بَقايا ثَمُود .

وَكانَ لَهُم مَلِكٌ عَدْلٌ ، حَسَنُ السِّيرَةِ ، يُقالُ لَهُ : العَلَسُ ؛ وَكانَتِ البِئْرُ تَسْقِي المَدينةَ كُلَّها ، وبادِيَتَها ، وَجَميعَ ما فِيْها من الدَّوابِّ والغَنَمِ والبَقَرِ وَغَيرِ ذلكَ ، وكانَتْ لَهُم بَكَراتٌ كَثيرَةٌ مُنصوبَةٌ عَلَيْها ، وَرِجالٌ كَثِيرُونَ مُوَكَّلُونَ بها ، وَأَوانٍ[1] من رُخامٍ - وَهيَ شِبْهُ الحِياضِ - كَثيرَةٌ يَمْلأُ النَّاسُ منها ، وآخَرُ للدَّوابِّ ؛ وَالقُوَّامُ عَلَيها يَسْتَقُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ يَتَداوَلُونَ ذلكَ ، وَلَمْ يَكُنْ لهم مَاءٌ غيرَها .

وَطَالَ عُمر المَلِكِ ، فلمّا جاءَهُ المَوْتُ ، طَلَوْهُ بدُهْنٍ لِتَبْقَى صُورَتُهُ ولا تَتَغَيَّرَ ، وَكَذلكَ كانُوا يَفْعَلُونَ بمَوْتاهُمْ إذا كانُوا مِمَّنْ يَكْرُمُ عليهم ؛ فلمَّا مَاتَ شَقَّ علَيْهِم ، وَرَأَوْا أَنَّ أَمْرَهُمْ قد فَسَدَ ، وَضَجُّوا بالبُكاءِ ؛ فَاغْتَنَمَها الشَّيْطانُ منهم ، فَدَخلَ في جُثَّةِ المَلِكِ بَعدَ مَوْتِهِ بأَيَّام كَثيرَةٍ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَلا يَمُوتُ أَبَداً ؛ ثُمَّ قَالَ : وَلَكِنْ تَغَيَّبْتُ عنكُم حتَّى أَرَى صَنيعَكُم ؛ فَفَرِحُوا أَشَدَّ الفَرَحِ .

وَأَمَرَ خاصَّتَهُ أَنْ يَضْرِبُوا لَهُ حِجاباً بَيْنَهُ وَبَيْنَهم ، لِيُكَلِّمَهُمْ من وَرائِهِ ، كَي لا يُعْرَفَ المَوْتُ في صُورَتِهِ ، فَنَصَّبُوهُ صَنَماً ، من وَراءِ حِجابٍ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ وَلا يَمُوتُ أَبداً ، وأَنَّهُ لَهم إِلَهٌ ؛ وَكانَ ذَلكَ كُلُّهُ يَتَكَلَّمُ بِهِ الشَّيْطانُ على لِسانِهِ ، فَصَدَّقَ كَثيرٌ منهم ذلكَ ، وَارْتابَ بعضُهم ، وَكَانَ المُؤْمِنُ المُكَذِّبُ لَهُ أَقَلَّ من المُصَدِّقِ لَهُ ؛ وَكانَ كُلَّما تكَلَّمَ ناصِحٌ منهم زُجِرَ وَقُهِرَ ؛ وَفشَا الكُفْرُ فِيهم ، وَأَقْبَلُوا على عِبادَتِهِ .

فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِم نَبِيّاً كان يَنزِلُ الوَحْيُ علَيْهِ في النَّوْمِ دُونَ اليَقَظَةِ ، اسْمُهُ حَنْظَلَةُ بن صَفْوان ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الصُّورَةَ صَنَمٌ لا رُوحَ لَهُ ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ قد

---

(١) في التَّرويح ، وأَباذن (بالنُّون) .

أَضَلَّهُمْ ، وَأَنَّ اللهَ سُبحانَهُ لا يُمَثَّلُ بالخَلْقِ ، وَأَنَّ المَلِكَ لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَرِيكاً للهِ تَعالَى ، وَوَعَظَهُم وَنَصَحَهُم وَحَذَّرَهُم سَطْوَةَ رَبِّهِمْ وَنِقْمَتَهُ ، فَآذَوْهُ وَعادُوهُ ، وَهُوَ يَعِظُهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ ، حتَّى قَتَلُوهُ وَطَرَحُوهُ في بِئْرٍ .

فعندَ ذَلكَ حَلَّتْ عليهم النِّقْمَةُ ، فَباتُوا شِباعاً رُواءً من الماءِ ، فَأَصْبَحُوا والبِئْرُ قد غارَ ماؤُها ، وَتَعَطَّلَتْ رِشاؤُها ، فَصاحُوا بِأَجْمَعِهِم ، وَضَجَّ النِّساءُ والوِلْدانُ ، وَأَخَذَهُمُ العَطَشُ وَبَهائِمَهُم ، حَتَّى عَمَّهُمُ المَوْتُ وَشَمَلَهُمُ الهَلاكُ ، وَخَلَفَهُمْ في أَرْضِهِمُ السِّباعُ ، وَفي منازِلِهِمُ الثَّعالِبُ والضِّباعُ ، وَتَبَدَّلَتْ جَنَّاتُهم بِالسِّدْرِ وَشَوْكِ القَتادِ ؛ فَلا يُسْمَعُ فِيها إلاَّ عَزِيفُ الجِنِّ وَزَئِيرُ الأُسْدِ . نَعُوذُ بِاللهِ من سَطَواتِهِ ، وَمِن الإِصْرارِ على ما يُوجِبُ نَقَماتِهِ .

قالَ : وَأَمَّا القَصْرُ المَشيدُ : فَقَصْرٌ بَناهُ شَدَّادُ بنُ عادٍ بن إرم ، وَلَمْ يُبْنَ في الأَرْضِ مِثْلُهُ فِيما ذُكِرَ ؛ وَحالُهُ كَحالِ هَذِهِ البِئْرِ في إِيْحاشِهِ بعدَ الأُنْسِ وَإِقْفارِهِ بعدَ العُمْرانِ ، فَلا يَستَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ منهُ على أَمْيالٍ ، لِمَا يُسْمَعُ من عَزِيفِ الجِنِّ والأَصْواتِ المُنْكَرَةِ ، بعدَ النَّعيمِ والعَيْشِ الرَّغَدِ ، [وَبهاءِ المُلْكِ] ، وَانْتِظامِ الأَهْلِ كَالسِّلْكِ ، فَبادُوا وما عادُوا ، فَذَكَرَهُمُ اللهُ تَعالَى في هَذِهِ الآيَةِ مَوْعِظَةً وَذِكْرَى ، وَتَحْذِيراً من غَبِّ المَعْصِيَةِ وَسُوءِ عاقِبَةِ المُخالَفَةِ . نَعُوذُ بِاللهِ من ذلكَ .

● وَرَوى محمَّدُ بن إسحاق ، عن محمَّد بن كَعب القُرَظِيّ ، قَالَ[(١)] : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولاً الجَنَّةَ يَوْمَ القِيامَةِ عَبْدٌ أَسْوَدُ » .

وَذلكَ أَنَّ اللهَ تعالى بَعَثَ نَبيّاً إِلى أَهْلِ قَرْيَةٍ ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ من أَهْلِها أَحَدٌ إلاَّ ذَلكَ العَبْدُ الأَسْوَدُ ؛ ثمَّ إِنَّ أَهْلَ تِلْكَ القَرْيَةِ عَدَوا على ذَلِكَ النَّبيِّ ، فَحفَرُوا لَهُ بِئْراً ، فَأَلْقَوْهُ فِيها ، ثمَّ أَلْقَوْا عَلَيْهِ حَجَراً ضَخْماً ؛ فَكَانَ ذلكَ العَبْدُ الأَسْوَدُ

---

(١) البداية والنِّهاية ٢/ ٨ .

يَذهبُ وَيَحْتَطِبُ عَلى ظَهْرِهِ ، ثمَّ يَأْتِي بِحَطَبِهِ فَيَبيعُهُ وَيَشْتَرِي بِهِ طَعاماً وَشَراباً ، ثمَّ يَأْتِي إِلى تِلْكَ البِئْرِ ، فَيَرْفَعُ تِلْكَ الصَّخْرَةَ وَيُعينُهُ اللهُ عَلَيها ، ثمَّ يُدْلِي إِلَيه طَعامَهُ وَشَرابَهُ ، ثمَّ يَرُدُّ الصَّخْرَةَ كَما كانَت .

فَمَكَثَ كذلكَ ما شاءَ اللهُ ، ثمَّ ذَهَبَ يَحْتَطِبُ يَوْماً كَما كان يَصْنَعُ ، فَجَمَعَ حَطَبَهُ ، وَحَزَمَ حُزْمَتَهُ وَفَرَغَ مِنْها ، فَلَمَّا أَرادَ أَنْ يَحْمِلَها أَخَذَتْهُ سِنَةٌ من النَّوْمِ فاضْطَجَعَ فَنامَ ، فَضَرَبَ اللهُ على أُذُنِهِ سَبْعَ سِنينَ ، ثمَّ إِنَّهُ هَبَّ فَتَمَطَّى لِشِقِّهِ الآخَرِ فاضْطَجَعَ ، فَضَرَبَ اللهُ على أُذُنِهِ سَبْعَ سِنينَ ؛ ثمَّ إِنَّهُ هَبَّ فاحْتَمَلَ حُزْمَتَهُ ، ولا يَحسبُ أَنَّهُ نامَ إِلا ساعَةً من نَهارٍ ، فَجاءَ إِلى القريَةِ فَباعَ حُزْمَتَهُ ، ثمَّ إِنَّهُ اشْتَرَى طَعاماً وَشَراباً كَما كان يَصْنَعُ ، ثمَّ ذَهبَ إِلى البِئْرِ وَالْتَمَسَ النَّبيَّ فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَقَد كان بَدَا لِقَوْمِهِ ما بَدَا ، فَاسْتَخْرَجُوهُ وآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ ، فَكَانَ النَّبيُّ يَسْأَلُهُم عن ذَلكَ العَبْدِ الأَسْوَدِ ما فُعِلَ به ، فَيَقُولُونَ : لا نَدْرِي ؛ حتَّى قَبَضَ اللهُ ذلكَ النَّبيَّ ، وَأَهَبَّ اللهُ ذلكَ العَبْدَ الأَسْوَدَ من نَوْمَتِهِ بعدَ ذَلكَ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « إِنَّ ذلكَ العَبْدَ الأَسْوَدَ لأَوَّلُ من يَدْخُلُ الجَنَّةَ » .

قُلتُ : قد ذُكِرَ في هذا الحَديثِ أَنَّهم آمنوا بِنَبيِّهم الذي اسْتَخْرَجُوهُ من الحُفْرَةِ ، فَلا يَنبغي أَن يَكُونُوا المَعْنِيِّين بِقَوْله تَعالَى : ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ [الفرقان : ٣٨] لأَنَّ اللهَ تَعالى أَخْبَرَ عن أَصْحابِ الرَّسِّ أَنَّهُ دَمَّرَهُمْ تَدْمِيراً ؛ إِلاَّ أَنْ يَكُونُوا دُمِّرُوا بِأَحْداثٍ أَحْدَثُوها بعدَ نَبِيِّهم الذي اسْتَخْرَجُوهُ من الحُفْرَةِ وآمَنُوا بِهِ ، فَيَكُونُ ذلكَ وَجْهاً .

وفي آخِرِ « رَبيع الأَبرار » في « بابِ الطَّيْرِ »[1] : عن ابْنِ عَبَّاسٍ ، قالَ : إِنَّ اللهَ تَعالَى خَلَقَ في زَمَنِ مُوسى عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ طائِراً يُسَمَّى العَنْقاءَ ، لَهَا أَربعةُ أَجنحَةٍ من كُلِّ جانبٍ ، وَوَجْهٌ كَوَجْهِ الإِنْسانِ ، وَأَعْطاها اللهُ تَعالَى من كُلِّ

(١) ربيع الأبرار ٥/٤٥٧ وشرح المقامات للشريشيّ ٥/٣٦١ ووفيات الأعيان ٣/١٠٢ والمستطرف ٢/٥٠٣ .

شيءٍ قِسْطاً ، وَخَلَقَ لَها ذَكَراً مِثْلَها ، وَأَوْحى إِلى مُوسى : أَنِّي خَلَقْتُ طائِرَيْنِ عَجيبَيْنِ ، وَجَعلتُ رِزْقَهُما في الوُحُوشِ التي حَوْلَ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَجَعَلْتُهما زِيادَةً فِيما فُضِّلَتْ بِهِ بَنو إِسرائِيلَ ؛ فَتناسَلا وَكَثُرَ نَسْلُهُما .

فَلَمَّا تُوُفِّيَ مُوسى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، انْتَقَلَتْ فَوَقَعَتْ بِنَجْدٍ وَالحِجازِ ، فَلَمْ تَزَلْ تَأْكُلُ الوُحُوشَ وَتَخطفُ الصِّبْيانَ ، إِلى أَنْ نُبِّيءَ خالِدُ بن سِنان العَبْسِيّ - من بَنِي عَبْسٍ - قَبلَ النَّبيِّ ﷺ ، فَشَكَوْا إِلَيْهِ ما يَلْقَوْنَ مِنْها ، فَدَعا اللهُ عليها ، فَانْقَطَعَ نَسْلُها وَانْقَرَضَتْ ، فَلا تُوجَدُ اليَوْمَ في الدُّنْيا .

قَالَ ابْنُ خلّكان[1] : وَرَأَيْتُ في « تارِيخِ » أَحمد بن عبدِ اللهِ بن أَحمد الفَرْغانيّ نَزيلِ مِصر ، أَنَّ العَزيز نِزار بن المُعِزِّ صاحِبَ مِصرَ ، اجْتَمَعَ عندَهُ من غَرائِبِ الحَيوانِ ما لَمْ يَجْتَمعْ عندَ غَيْرِهِ ؛ فَمِن ذلكَ العَنْقَاءُ ، وَهو طائِرٌ جاءَهُ من صَعِيدِ مِصْرَ في طُولِ البَلَشُونِ ، لكِنَّهُ أَعْظمُ جِسْماً منهُ ، لَهُ لِحْيَةٌ ، وَعلى رَأْسِهِ وِقايَةٌ ، وَفِيهِ عِدَّةُ أَلْوانٍ ، وَمَشابهُ من طُيُورٍ كَثيرَةٍ .

وَقد تَقَدَّمَ عن الزَّمخشريِّ أَنَّ العَنْقاءَ انْقَطَعَ نَسْلُها ، فَلا يُوجَدُ اليَوْمَ في الدُّنيا .

● وفي « كِتابِ البَدْءِ » لابْنِ أَبي خَيْثَمَة : ذِكْرُ خالد بن سِنان العَبْسِيّ وَذِكْرُ نُبُوَّتِهِ[2] .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٠١ .

(٢) **ينظر عن خالد بن سنان وناره ونبوّته** : ثمار القلوب ٢/ ٨٢١ والحيوان ٤/ ٤٧٦ والمعارف ٦٢ ومروج الذهب ٢/ ٣٦٩ - ٣٧٠ و ١/ ٧٥ والزيارات للهروي ٦١ وعجائب المخلوقات ٦٨ وشرح شواهد المغني للسُّيوطيّ ١/ ٣١٠ والبغداديّ ٢/ ٢٨٠ والخزانة ٧/ ١٤٩ وتلخيص المُتشابه للخطيب ٢/ ٧١٢ وشرح النهج ٢٠/ ١٨٥ وَالأَوائِل للعسكريّ ١/ ٣٨ والإصابة ٢/ ٣٠٩ رقم « ٢٣٦٠ » والبداية والنهاية ٣/ ٢٤٩ - ٢٥٠ وأُسد الغابة ٢/ ٩٩ رقم « ١٣٦٧ » والبدء والتَّاريخ للمقدسيّ ٣/ ١٣٤ - ١٣٥ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ كان وُكِّلَ بِهِ من المَلائِكَةِ مالِكٌ خازِنُ النَّارِ ، وَأَنَّهُ كان من أَعْلامِ نُبُوَّتِهِ : أَنَّ ناراً يُقالُ لَها « نار الحَدَثانِ »[1] كانَتْ تَخرُجُ على النَّاسِ من مَفازَةٍ ، فتَأْكُلُ النَّاسَ والدَّوابَّ ، وَلا يَستطِيعُونَ رَدَّها ، فَرَدَّها خالِدُ بن سِنان ، فَلَمْ تَخْرُجْ بعدَ ذلكَ .

وَذَكَرَ بعضُ شُرَّاحِ « الفُصُوصِ » لابْنِ عربيّ لَهُ قِصَّةٌ غَريبَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَسَتأْتِي إن شاء الله تعالى الإشارة إلى شَيْءٍ من ذلكَ في لَفْظِ « العَيْرِ » .

● وَرَوَى الدَّارقُطنيّ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « كَانَ نَبِيّاً ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ » يَعْنِي خالِدَ بن سِنان .

وَذَكَرَ غيرُهُ من العُلماءِ : أَنَّ ابْنَتَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَبَسَطَ لَها رِداءَهُ ، وَقَالَ : « أَهْلاً بِبِنْتِ خَيْرِ نَبِيٍّ » أَوْ نحو ذلكَ[2] .

وَذَكَرَ الكَواشي والزَّمخشريُّ أَنَّهُ كان بَيْنَ عِيسَى ومحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَسَلَّم أَرْبعةُ أَنْبياءَ ، ثَلاثَةٌ من بَني إِسرائِيلَ ، وَواحِدٌ من العَرَبِ ، وَهوَ خالِدُ بن سِنان العَبْسيّ[3] .

وَذَكَرَ البَغَويُّ أَنَّهُ لا نَبيَّ بَيْنَهما . وَاللهُ أَعلمُ .

● وكانَ القاضِي الفاضِلُ يُنشدُ كَثيراً[4] : [من الكامل]

---

(١) وقيل : نار الحَرَّتين .

(٢) في ثمار القُلوب : « هذه ابنةُ نبيٍّ ضَيَّعَهُ قومُه » .

(٣) قَالَ الجاحِظُ : والمُتكلِّمون لا يُؤْمِنُونَ بهذا ، ويزعمون أَنَّ خالِداً هَذَا كان أَعرابيّاً وبَرِيّاً ، ولم يبعثِ الله قطُّ نبيّاً من الأَعراب ولا من أَهل الوبر ، وإِنَّما بعثهم من أَهل القُرى وسُكَّان المدن . (الحيوان ٤/ ٤٧٨ وثمار القُلوب ٢/ ٨٢٢) .

(٤) البيتان لابن مكنسة ـ إسماعيل بن محمَّد بن الحسين القرشي الإسكندري ـ في وفيات الأَعيان ٣/ ١٦١ . وبلا نسبة في خزانة البغداديّ ٧/ ١٣٧ .

وَإذا السَّعادَةُ لاحَظَتْكَ عيُونُها نَمْ فَالمَخاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمانُ[1]
وَاصْطَدْ بِها العَنْقاءَ فَهْيَ حِبالَةٌ وَاقْتَدْ بِها الجَوْزاءَ فَهْيَ عِنانُ

● وَتَقَدَّمَ في « العُقابِ » أَنَّهُ مُرادُ أَبي العَلاءِ المَعَرِّيّ بِقَوْلِهِ[2] : [من الوافر]

أَرَى العَنْقاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصادا فَعانِدْ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنادا[3]

الأَمْثالُ : يُقالُ : « حَلَّقَتْ بِهِ عَنْقاءُ مُغْرِبٍ »[4] . يُضْرَبُ لِمَنْ يُئِسَ مِنهُ .

قَالَ الشَّاعِرُ[5] : [من البسيط]

الجُودُ والغُولُ والعَنْقاءُ ثالِثَةٌ أَسْماءُ أَشْياءَ لَمْ تُوجَدْ وَلَمْ تَكُنِ

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ هذا البَيتِ في « الغُول » أَيْضاً .

التَّعبيرُ[6] : العَنْقاءُ في المَنامِ : رَجلٌ رَفيعٌ مُبْتَدِعٌ لا يَصْحَبُ أَحَداً .

وَمَنْ رَأَى العَنْقاءَ كَلَّمَتْهُ : نَالَ رِزْقاً من قِبَلِ الخَليفَةِ ، وَرُبَّما يَصِيرُ وَزيراً .

وَمَنْ رَكِبَ العَنقاءَ : غَلَبَ شَخْصاً لا يَكُونُ لَهُ نَظيرٌ .

وَمَنْ صادَها : فإِنَّهُ يَتَزَوَّجُ بِامْرَأَةٍ جَميلَةٍ .

وَرُبَّما تُعَبَّرُ العَنقاءُ بِوَلَدٍ ذكر شُجاعٍ لِمَنْ أَخَذَها وَلَهُ امْرَأَةٌ حامِلٌ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ .

٦٩٠ العَنْكَبُوتُ : دُوَيْبَّةٌ تَنْسُجُ في الهَواءِ ؛ وَجَمْعُها : عَناكِبُ .

---

(١) في أ، ووفيات الأعيان والخزانة : . . . أَحرستك عيونها× . وفي هامش ب : لاحظتك .
(٢) شروح سقط الزَّند ٢/ ٥٥٣ والخزانة ٧/ ١٣٧ .
(٣) في ط ، ب : هي العنقاء . . . × .
(٤) الميدانيّ ١/ ٢٠١ .
(٥) البيت بلا نسبة في الخزانة ٧/ ١٣٧ بهذه الرِّواية في الأُصول ، وغيَّرها محقِّقُه إلى : الخلُّ والغُولُ . . . × ! ! وسيأْتي في « الغول » .
(٦) تفسير الواعِظ ٢٩٦ .

وَالذَّكَرُ : عَنْكَبٌ .

وَكُنْيَتُهُ[١] : أَبُو خَيْثَمَة ، وَأَبُو قَشْعَمٍ ، وَالأُنْثى : أُمُّ قَشْعَم ؛ وَوَزْنُهُ : فَعْلَلُوتٌ .

وَهِيَ قِصارُ الأَرْجُلِ ، كِبارُ العُيُونِ ، للواحِدِ ثَمانيةُ أَرْجُلٍ ، وَسِتُّ عُيُونٍ ؛ فإذا أَرادَ صَيْدَ الذُّبابِ لَطَأَ بالأَرْضِ ، وَسَكَّنَ أَطْرافَهُ ، وَجَمَعَ نَفْسَهُ ، ثمَّ وَثَبَ على الذُّبابِ فَلا يُخْطِئُهُ .

قَالَ أَفلاطُون الحَكِيم : أَحْرَصُ الأَشْياءِ الذُّبابُ ، وَأَقْنَعُ الأَشْياءِ العَنْكَبُوتُ ؛ فَجَعلَ اللهُ رِزْقَ أَقْنَعِ الأَشْياءِ في أَحْرَصِ الأَشْياءِ ، فَسُبْحانَ اللَّطيفُ الخَبيرُ ؛ وَهَذَا النَّوْعُ يُسَمَّى اللَّيْثَ[٢] .

وَمِنْها نَوْعٌ يَضربُ إلى الحُمْرَةِ ، لَهُ زَغَبٌ ، وَلَهُ في رَأْسِهِ أَربعُ إِبَرٍ يَنْهَشُ بِها، وَهُوَ لا يَنْسُجُ، بَلْ يَحْفرُ بَيْتَهُ في الأَرْضِ ، وَيَخرجُ في اللَّيْلِ كَسائِرِ الهَوامِّ.

وَمِنْها الرّتيلا ، وَقَد تَقَدَّمَ الكَلامُ علَيْها في « بابِ الرَّاءِ المُهملةِ » .

● وَقَالَ الجاحِظُ[٣] : وَلَدُ العَنْكَبُوتِ أَعْجَبُ من الفَرُّوج الذِي يَخْرُجُ إلى الدُّنْيا كاسِياً كاسباً ، لأَنَّ وَلَدَ العَنكبُوتِ يَقْوَى على النَّسْجِ ساعَةَ يُولَدُ ، من غَيْرِ تَلْقينٍ وَلا تَعليمٍ ، وَيَبِيضُ ويَحْضُنُ .

وَأَوَّلُ ما يُولَدُ دُوداً صِغاراً ، ثمَّ يتغيَّرُ وَيَصِيرُ عَنكبُوتاً ، وَتكملُ صُورَتُهُ عندَ ثَلاثَةِ أَيَّام .

وَهُوَ[٤] يُطاوِلُ السِّفادَ ، فإذا أَرادَ الذَّكَرُ الأُنْثى ، جَذَبَ بَعْضَ خُيوطِ نَسْجِها

---

(١) المُرصَّع ١٥٣ و ٢٧٣ و ٢٧٦ و ٣٦٩ .

(٢) في أ، ط : يُسَمَّى الذباب!! . وانْظُرِ الحَيَوان ٥/ ٤١٢ و ٤١٦ وعجائب المخلوقات ٢٩٩ .

(٣) الحيوان ٥/ ٤١٢ والمستطرف ٢/ ٥٠٤ .

(٤) الحيوان ٢/ ٢١٦ .

من الوَسَطِ ، فإذا فَعَلَ ذلكَ فَعَلَتِ الأُنْثَى مِثْلَهُ ، فَلا يَزالانِ يَتدانَيانِ حتَّى يَتَشابَكا ، فَيَصيرُ بَطْنُ الذَّكَرِ قِبالَةَ بَطْنِ الأُنْثَى .

وَهَذا النَّوْعُ من العَناكِبِ حَكيمٌ ؛ وَمِنْ حِكْمَتِهِ[1] أَنَّهُ يَمُدُّ السُّدى ، ثُمَّ يَعملُ اللُّحْمَةَ ، وَيَبتدىءُ من الوَسَطِ وَيُهَيِّىءُ مَوْضِعاً لِما يَصيدُهُ من مَكانٍ آخَرَ كَالخِزانَةِ ؛ فإذا وَقَعَ شَيْءٌ في ما نَسَجَهُ وَتَحَرَّكَ ، عَمَدَ إِلَيْهِ ، وَشَبَّكَ عَليهِ حَتَّى يُضْعِفَهُ ، فإذا عَلِمَ ضَعْفَهُ حَمَلَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلى خَزانَتِهِ ؛ فإذا خَرَقَ الصَّيْدُ من النَّسْجِ شَيْئاً ، عادَ إِلَيْهِ وَرَمَّهُ .

وَالذي يَنْسُجُهُ لا يُخْرِجُهُ من جَوْفِهِ ، بل من خارِجِ جِلْدِهِ ؛ وَفَمُهُ مَشقوقٌ بالطُّولِ .

وَهذا النَّوْعُ ينسجُ بَيْتَهُ دائِماً مُثَلَّثَ الشَّكْلِ ، وَتَكُونُ سَعَةُ بَيْتِهِ بِحيثُ يَغيبُ فِيهِ شَخْصُهُ .

● **فائِدَةٌ** : أَسْنَدَ الثَّعْلَبِيُّ وابْنُ عَطِيَّةَ وَغَيرُهما ، عن عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : « طَهِّرُوا بُيوتَكُمْ من نَسْجِ العَنْكَبُوتِ ، فإِنَّ تَرْكَهُ يُورِثُ الفَقْرَ في البَيتِ » .

● وَفي « مَراسِيلِ أَبي داود » ، عن يَزيد بن مَرْثَدٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِنَّ العَنْكَبُوتَ شَيْطانٌ فاقْتُلُوهُ » .

● وهو في « كامِلِ ابْنِ عَدِيٍّ »[2] في تَرجمةِ مَسْلَمَةَ بن عليّ الخُشَنيّ ، عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ؛ وَلَفْظُهُ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « العَنْكَبُوتُ شَيْطانٌ مَسَخَهُ اللهُ ، فاقْتُلُوهُ » . وَهوَ حَديثٌ ضَعيفٌ .

---

(١) الحيوان ٥/ ٤١١ وعجائب المخلوقات ٢٩٨ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٠ .

(٢) الكامل لابن عديّ ٨/ ١٧ وميزان الاعتدال ٤/ ١١١ .

● وَيزيدُ بن مَرْثَدٍ الهَمْدانيّ الصَّنْعانيّ الدِّمَشْقِيّ[1] : أَدْرَكَ عُبادَةَ بن الصَّامِتِ ، وَشَدَّادَ بن أَوْسٍ ؛ وهو القائِلُ : وَاللهِ لو أَنَّ اللهَ تعالى تَوَعَّدَنِي إنْ أَنا عَصَيْتُ أَنْ يَسْجُنَنِي في الحَمَّامِ ، لَكانَ حَرِيّاً أَنْ لا تَجِفَّ لي عَيْنٌ .

وَطَلَبُوهُ لِلْقَضاءِ ، فَقَعَدَ يَأْكُلُ في السُّوقِ ، فَتَخَلَّصَ بذلكَ منهم .

● وَرَوى أَبُو نُعَيمٍ في « الحِلْيَةِ » في تَرجَمَةِ مُجاهِدٍ ، أَنَّهُ قالَ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النِّساء : ٧٨] أَنَّهُ قالَ[2] :

كَانَ فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ امْرَأَةٌ ، وَكانَ لَها أَجِيرٌ ، فَوَلَدَتْ جارِيَةً ، فقالَتْ لِأَجِيرِها : اقْتَبِسْ لَنا ناراً . فَخَرَجَ ، فَوَجَدَ بالبابِ رَجُلاً ، فقالَ لَهُ الرَّجُلُ : ما وَلَدَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ ؟ فقالَ : جارِيَة ، فقالَ : أَما إنَّ هَذِهِ الجارِيَةَ لا تَمُوتُ حتَّى تَبْغِي بِمِئَةِ رَجُلٍ ، وَيَتَزَوَّجُ بها أَجيرُها ، وَيَكُونُ مَوْتُها بالعَنْكَبُوتِ ؛ فقالَ الأَجيرُ في نَفْسِهِ : فَأَنا واللهِ ما أُرِيدُ هذِهِ بعد أَنْ تَبْغى بمِئَةٍ ؛ لأَقْتُلَنَّها ؛ فَأَخَذَ شَفْرَةً ، وَدَخَلَ فَشَقَّ بَطْنَ الجارِيَةِ ، وَخَرَجَ على وَجْهِهِ فَرَكِبَ البَحْرَ .

فَخُيِّطَ بَطْنُ الصَّبِيَّةِ ، وَعُولِجَتْ فَشُفِيَتْ ، وَشَبَّتْ ، وَطَلَعَتْ من أَجْمَلِ نِساءِ عَصْرِها ، وكانَتْ تَبْغِي ، فَأَتَتْ ساحِلاً من سَواحِلِ البَحْرِ ، وَأَقامَتْ هُناكَ تَبْغِي .

وَلَبِثَ الرَّجُلُ ما شَاءَ اللهُ ، ثمَّ قَدِمَ ذلكَ السَّاحِلَ ومعهُ مالٌ كَثيرٌ ، فقالَ لامْرَأَةٍ من أَهْلِ ساحِلِ البَحْرِ : ابْتَغِي لِي أَجْمَلَ امْرَأَةٍ في القَرْيَةِ أَتَزَوَّجُها ؛ فقالَتْ : هَا هُنا امْرَأَةٌ من أَجْمَلِ النِّسَاءِ ، وَلكنَّها بَغِيٌّ . فقالَ : ائتيني بِها ،

---

(١) ترجمته في : حلية الأولياء ٥/ ١٦٤ وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٣٩ وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٥٨ ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١١ . والخبران فيها جميعاً .

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٩ وتفسير الطبري ٧/ ٢٣٥ والمستطرف ٢/ ٥٠٤ .

فَأَتَتْها ، فقالَتْ : قد قَدِمَ رَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثيرٌ ، وَقالَ لِي كذا وكذا ، فقُلتُ كَذَا وَكَذَا . فقالَتْ : إنِّي قد تَرَكْتُ البغاءَ ، وَلَكِنْ إِنْ أَرادَ تَزَوَّجْتُهُ .

قالَ : فتَزَوَّجها ، فوَقَعَتْ منهُ مَوْقِعاً عَظِيماً ، وَأَحَبَّها حُبّاً شَديداً ؛ فبينَما هُو يَوْماً عندَها ، إِذْ أَخْبَرَها بِأَمْرِهِ ، فقالَتْ : أَنا تِلكَ الجارِيَةُ . وَأَرَتْهُ الشَّقَّ في بَطْنِها ، ثمَّ قالَتْ : وَقَدْ كُنْتُ أَبْغِي ، فَما أَدْرِي بمِئَةٍ أَو أَقلَّ أَوْ أَكثرَ .

قالَ : فإِنَّهُ قد قَالَ لِي : يَكُونُ مَوْتُها بِالعَنْكَبُوتِ . فَبَنى لَها بُرْجاً في الصَّحْراءِ وَشَيَّدَهُ .

فبينَما هو وإِيَّاها يَوْماً في ذلكَ البُرْجِ إذا عَنْكَبُوتٌ في السَّقْفِ ، فقالَتْ : هَذَا يَقْتُلُنِي ؟ لا يَقْتُلُهُ أَحَدٌ غَيْري ؛ فَحَرَّكَتْهُ ، فَسَقَطَ ، فَأَتَتْهُ فَوَضَعَتْ إِبْهامَ رِجْلِها عَلَيْه ، فَشَدَخَتْهُ ، فَسَاحَ سُمُّهُ بَيْنَ أَظْفارِها وَلَحمِها ، فاسْوَدَّتْ رِجْلُها ، وَماتَتْ . فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى هذهِ الآيَةَ ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النِّساء : ٧٨] .

● وَقَالَ أَكثرُ المُفَسِّرين[1] : إنَّ هَذهِ الآيَةَ نَزَلَتْ في المُنافِقِينَ الذينَ قالُوا في قَتْلَى أُحُدٍ : ﴿ لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] فَرَدَّ اللهُ عليهم بِقَوْلِه : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ .

وَالبُرُوجُ : الحُصُونُ والقِلاعُ المُشَيَّدَةُ المَرفُوعَةُ المُطَوَّلَةُ .

وَقَالَ قَتادَةُ : مَعناهُ : في قُصُورٍ مُحَصَّنَةٍ .

وَقَالَ عِكْرِمَةُ : مُجَصَّصَةٍ ؛ والمُشَيَّدُ : المُجَصَّصُ .

وَيَكْفي العَنْكَبُوتَ فَخْراً وَشَرَفاً ، نَسْجُها على رَسُولِ اللهِ ﷺ في الغارِ ؛ وَالقِصَّةُ في ذلكَ مَشْهُورَةٌ في كُتُبِ التَّفاسِيرِ والسِّيَرِ وغَيْرِها .

---

(١) أَسباب النُّزول للواحديّ ١٩٨ .

وَنَسَجَتْ أَيْضاً على الغارِ الذي دَخَلَهُ عبدُ اللهِ بن أُنَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ النَّبيُّ ﷺ لِقَتْلِ خالِد بن نُبَيْح الهُذَليّ بِالعُرَنَةَ ، فَقَتَلَهُ ، ثمَّ احْتَمَلَ رَأْسَهُ ، وَدَخَلَ في غارٍ ، فَنَسَجَتْ عَلَيْهِ العَنْكَبُوتُ ، وَجَاءَ الطَّلَبُ فَلَم يَجِدُوا شَيْئاً ، فانْصَرَفُوا راجِعينَ ؛ ثمَّ خَرجَ فَسارَ إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ ، وَالرَّأْسُ معهُ ، فلمَّا رآهُ النَّبيُّ ﷺ قالَ : « قَدْ أَفْلَحَ الوَجْهُ » . قالَ : وَجْهُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؛ وَوَضَعَ الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ عَصاً كانَتْ بيَدِهِ ، وَقالَ : « تَخْطِرُ بِهذِهِ في الجَنَّةِ » فكانَتْ عِنْدَهُ إِلى أَنْ حَضَرَتْهُ الوَفاةُ ، فَأَوْصَى أَهْلَهُ أَنْ يَدْفِنُوها في كَفَنِهِ ، فَفَعَلُوا ؛ وَكانَتْ مُدَّةُ غَيْبَتِهِ ثَمان عَشْرَةَ لَيْلَةً .

● وَفي « الحِلْيَةِ »[١] للحافِظِ أَبي نُعيم ، عن عَطاء بن مَيْسَرَةَ [عن أَبيه] ، قالَ : نَسَجَتِ العَنْكَبُوتُ مَرَّتَيْنِ على نَبِيَّيْنِ ، [مَرَّةً] على داودُ حينَ كان جَالُوتُ يَطْلُبُهُ ، [وَمَرَّةً] على النَّبيِّ ﷺ في الغارِ .

وفي « تارِيخِ » الإِمامِ الحافِظِ أَبي القاسِمِ ابن عَساكِرَ[٢] : أَنَّ العَنْكَبُوت نَسَجَتْ أَيْضاً على عَوْرَةِ زَيْد بن عليّ بن الحُسين بن علي بن أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ، لَمَّا صُلِبَ عُرياناً في سَنَةِ إِحْدَى وَعِشرينَ ومئة ، فأَقامَ مَصْلُوباً أَربعَ سِنينَ .

وَكانُوا وَجَّهُوه لِغَيْرِ القِبْلَةِ ، فدارَتْ خَشَبَتُهُ إِلى القِبْلَةِ ، ثم أحرقوا خَشَبَتَهُ وَجَسَدَهُ ، رَحِمَهُ اللهُ .

وَكانَ قد بايَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَحارَبَ مُتَوَلِّي العِراقِ يُوسف بن عُمر ، ابْنَ عَمِّ الحَجَّاجِ بن يُوسف الثَّقفيّ ، فَظَفِرَ بِهِ يُوسفُ ، فَفَعَلَ بِهِ ذلكَ .

وَكانَ ظُهُورُهُ في أَيَّامِ هِشام بن عَبْدِ المَلِكِ ؛ وَلَمَّا خَرَجَ أَتاهُ طائِفَةٌ كَثيرَةٌ من

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ١٩٧ والمستطرف ٢/ ٥٠٦ وعجائب المخلوقات ٢٩٨ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٥٩ وعجائب المخلوقات ٢٩٨ .

أَهْلِ الكُوفَةِ ، وَقَالُوا لَهُ : تَبَرَّأْ من أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ حتَّى نُبايِعَكَ . فَأَبَى ، فقالُوا : إِذَنْ نَرْفُضُكَ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ سُمُّوا الرَّافِضَةَ .

وَأَمَّا الزَّيْدِيَّةُ فقالُوا : نَتَوَلاَّهُما ، وَنَتَبَرَّأُ مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْهُما . وَخَرَجُوا مع زَيْدٍ ، فَسُمُّوا الزَّيْدِيَّةَ .

وَرَوَى زَيدٌ عن أَبيهِ عليّ زَيْنِ العابِدينَ وجَماعَةٍ ؛ وَرَوَى لَهُ أَبُو داود ، والتِّرمذيّ ، وَالنَّسائيُّ ، وابْنُ ماجَه[1] .

● **تَتِمَّةٌ** : ذَكَرَ « ابنُ خلّكان » في تَرْجَمَةِ يَعْقُوب بن صابرِ المَنْجَنِيقيِّ[2] : أَنَّهُ وَقَفَ بِالقاهِرَةِ عَلَى كَرارِيسَ من شِعْرِهِ ، وَرَأَى فِيها البَيْتَيْنِ المَشْهُورَيْنِ المَنْسُوبَيْنِ إِلى جَماعَةٍ من الشُّعراءِ ، وَلا يُعْرَفُ قائِلُهُما على الحَقيقَةِ ، وَهُما[3] : [من الخفيف]

أَلْقِنِي فِي لَظىً فإِنْ أَحْرَقَتْني ... فَتَيَقَّنْ أَنْ لَسْتُ بالياقُوتِ
جَمَعَ النَّسْجَ كُلُّ مَن حَاكَ لَكِنْ ... لَيْسَ داودُ فِيهِ كَالعَنْكَبُوتِ

قَالَ : فَعَمِلَ يَعقوبُ بن صابرٍ في جَوابِهِما هَذِهِ الأَبْياتَ[4] : [من الخفيف]

أَيُّها المُدَّعِي الفَخارَ دَعِ الفَخْـ ... ـرَ لِذِي الكِبْرِياءِ والجَبَرُوتِ
نَسْجُ داوُدَ لَمْ يُفِدْ لَيْلَةَ الغا ... رِ وَكانَ الفَخَارُ لِلْعَنْكَبُوتِ
وَبَقاءُ السَّمَنْدِ في لَهَبِ النّا ... رِ مُزِيلٌ فَضِيلَةَ الياقُوتِ

---

(١) ترجمة زيد بن عليّ بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن آبائِهِ ، في : مختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٤٩ وسير أَعلام النُّبلاء ٥/ ٣٨٩ وتهذيب الكمال ١٠/ ٩٥ وفي حاشيتِهما قائمةٌ طويلةٌ بمصادر ترجمته .

(٢) وفيات الأَعيان ٧/ ٤١ .

(٣) البيتان في وفيات الأَعيان ٧/ ٤١ . وفي عقود الجمان لابن الشَّعَّار ١٠/ ١٥٢ قولُهُ : ذكروا أَنَّهما للقاضِي عبد الرَّحيم بن علي البيسانيّ [= القاضِي الفاضل] .

(٤) الأَبيات في وفيات الأَعيان وعقود الجُمان .

وَكَـــذاكَ النَّعـــامُ يَلْتَقِـــمُ الجَمْـــرَ وَمَـــا الجَمْـــرُ لِلنَّعـــامِ بِقُـــوتِ

وَقد تَقَدَّمَ في « السَّمَنْدَلِ » الإشارَةُ إلى هذِهِ الأبياتِ .

وَحُكْمُ العَنْكَبُوتِ : تَحرِيمُ الأكْلِ لاسْتِقْذارِها .

الأَمْثالُ : قَالُوا : « أَغْزَلُ من عَنْكَبُوتٍ »[1] . وَقَالُوا : « أَوْهَنُ من بَيْتِ العَنْكَبُوتِ »[2] .

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١ ـ ٤٣] فَضَرَبَ اللهُ بِبَيْتِها المَثَلَ لِمَنِ اتَّخذَ من دُونِهِ آلِهَةً لا تَضُرُّهُ وَلا تَنْفَعُهُ ، فَكَما أَنَّ بَيْتَ العَنْكَبُوتِ لا يَقِيْها حَرّاً ولا بَرْداً ، وَلا قَصَدَ أَحَدٌ إِلَيْها ؛ فَكَذلِكَ ما اكْتَسَبُوهُ من الكُفْرِ ، وَاتَّخَذُوهُ من الأَصْنامِ ، لا يَدْفَعُ عنهم غَداً شَيْئاً .

وَالعالِمُونَ : كُلُّ من عَقَلَ عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَمِلَ بطاعَتِهِ ، وَانْتَهى عن مَعْصِيَتِهِ ، فَهُم يَعْقِلُونَ صِحَّةَ هَذِهِ الأَمْثالِ ، وَحُسْنَها ، وَفائِدَتَها .

وَكَانَ جَهَلَةُ قُرَيْشٍ يَقُولُونَ : إِنَّ رَبَّ مُحمَّدٍ يَضْرِبُ الأَمْثَالَ بِالذُّبابِ وَالعَنْكَبُوتِ ، وَيَضْحَكُونَ من ذلكَ ، وَما عَلِمُوا أَنَّ الأَمْثالَ تُبْرِزُ المَعانِي الخَفِيَّةَ في الصُّوَرِ الجَلِيَّةِ .

الخَواصُّ[3] : إذا وُضِعَ نَسْجُ العَنْكَبُوتِ على الجِراحاتِ الطَّرِيَّةِ في ظاهِرِ

---

(١) الميدانيُّ ٢/ ٦٥ وحمزة ١/ ٣٢٣ والعسكريّ ٢/ ٨٦ والزَّمخشريّ ١/ ٢٦١ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ٣٨٢ وحمزة ٢/ ٤١٥ والزَّمخشريّ ١/ ٤١ وثمار القلوب ٢/ ٦٣٥ والحيوان ٤/ ٣٨ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٩٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٠ ـ ١٢١ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٣٧ وتذكرة داود ١/ ٢٤١ .

البَدَنِ ، حَفِظَها بِلا وَرَمٍ ، وَيَقْطَعُ سَيَلانَ الدَّمِ إذا وُضِعَ عَلَيْهِ .

وإذا دُلِكَتِ الفِضَّةُ المُتَغَيِّرَةُ بِنَسْجِهِ جَلاَّها .

وَالعَنْكَبُوتُ الذي ينسجُ على الكَنِيفِ : إذا عُلِّقَ على المَحْمُوم ، يَبْرَأُ بِإذْنِ اللهِ تَعالى ؛ وإنْ لُفَّ في خِرْقَةٍ ، وَعُلِّقَ على صاحِبِ حُمَّى الرِّبْعِ : نَفَعَهُ وَأَذْهَبَها .

وَكَذَلكَ إذا سُحِقَ العَنْكَبُوتُ وَهوَ حَيٌّ ، وَمُرِخَ بِهِ صاحِبُ الحُمَّياتِ : أَذْهَبَها .

وَإذا بُخِّرَ البَيْتُ بِوَرَقِ الآسِ الرَّطْبِ : هَرَبَ منهُ العَنكبُوتُ . قالَهُ صاحِبُ « عَيْنِ الخَواصِّ » .

التَّعْبيرُ : العَنْكبُوتُ في المَنامِ[1] : رَجُلٌ قَريبُ العَهْدِ بالزُّهْدِ .

وَقِيلَ : العَنْكَبُوتُ : امْرَأَةٌ مَلْعُونَةٌ ، تَهْجُرُ فِراشَ زَوْجِها ، وَهِيَ من المَمْسُوخِ .

وَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ وَنَسْجُها : وَهْنٌ في الدِّيْنِ ، لِلآيَةِ الكَريمَةِ المتقدِّمِ ذِكْرُها في الأَمثالِ .

وَقيلَ : العَنْكَبُوتُ في الرُّؤْيا : نَسَّاجٌ ؛ فَمَنْ نازَعَ العَنكبُوتَ ، نازَعَ رَجُلاً نَسَّاجاً ، أَوِ امْرَأَةً . وَاللهُ أَعلمُ .

٦٩١ العَوْدُ : المُسِنُّ من الإِبلِ ، وَهوَ الذِي جاوَزَ في السِّنِّ البازِلَ والمُخْلِفَ ؛ وَجَمْعُهُ عِوَدَةٌ . وَالنَّاقَةُ : عَوْدَةٌ .

وَيُقالُ في المَثَلِ : « زاحِمْ بِعَوْدٍ أَوْدَعْ » : أَي اسْتَعِنْ على أَمْرِكَ بِأَهْلِ السِّنِّ وَأَهْلِ المَعْرِفَةِ ؛ فإِنَّ رَأْيَ الشَّيْخِ خَيْرٌ من مَشْهَدِ الغُلامِ[2] .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٦ وتفسير الواعظ ٣١٢ .

(٢) عن الصّحاح « عود » ٢/ ٥١٤ وهو في الميداني ١/ ٣٢٠ والعسكري ١/ ٥٠٢ والزمخشري٢/ ١٠٩ .

٦٩٢ **العُوذُ المَطافِيلُ** : تَقَدَّمَ ذِكْرُها في أَوَّلِ البابِ ، في لَفْظِ « عائذ » .

● قَالَ الجَوْهريُّ[١] : يُقالُ لَها ذلكَ إِذا وَلَدَتْ لِعَشْرَةِ أَيَّامٍ ، أَوْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً ، ثمَّ هي مُطْفِلٌ بَعْدُ ؛ وَالجَمْعُ : مَطافِيلُ وَمَطافِلُ .

٦٩٣ **العَواساءُ** : بِفَتْحِ العَيْنِ مَمْدُودٌ : الحامِلُ من الخَنافِسِ . حَكاهُ أَبُو عُبَيْدٍ[٢] .

٦٩٤ **العُوْسُ** : بِالضَّمِّ : ضَرْبٌ من الغَنَمِ . يُقالُ : كَبْشٌ عُوسِيٌّ[٢] .

٦٩٥ **العُوْمَةُ** : بِالضَّمِّ : دُوَيْبَّةٌ تَسْبَحُ في المَاءِ ، كَأَنَّها فَصٌّ أَسْوَدُ مُدَمْلَكَةٌ ؛ وَالجَمْعُ : عُوَمٌ . قالَهُ الجَوهريُّ[٣] .

٦٩٦ **العَوْهَقُ** : الخُطَّافُ الجَبَليُّ . وَيُقالُ : الغُرابُ الأَسْوَدُ . وَيُقالُ : البَعيرُ الأَسْوَدُ الجَسِيمُ .

وَالعَوْهَقُ : الطَّويلُ ؛ يَسْتَوِي فِيهِ الذَّكَرُ وَالأُنْثى[٤] .

٦٩٧ **العلا** : القَطَا[٥] . وَسيأتي إِن شاء الله تعالى في « باب القاف » .

٦٩٨ **العُلامُ** : الباشِقُ[٦] . وَقَد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في « بابِ الباءِ » .

٦٩٩ **العَيْثُومُ** : الضَّبُعُ . حَكاهُ الجَوهريُّ عن أَبي عُبيدٍ[٧] . وَقالَ غَيْرُهُ : العَيْثُومُ : أُنْثى الفِيْلِ .

---

(١) الصِّحاح « عوذ » ٢/ ٥٦٧ .
(٢) الصِّحاح « عوس » ٣/ ٩٥٤ .
(٣) الصِّحاح « عوم » ٥/ ١٩٩٣ .
(٤) الصِّحاح « عهق » ٤/ ١٥٣٥ .
(٥) لم أَقف على هَذا المعنى في معاجم اللُّغة .
(٦) اللِّسان « علم » ٤/ ٣٠٨٥ .
(٧) الصِّحاح « عثم » ٥/ ١٩٨٠ .

٧٠٠ **العَيْرُ** : الحِمارُ الوَحْشِيُّ وَالأَهْلِيُّ أَيضاً ؛ والجَمْعُ : أَعْيارٌ وَمَعْيُوراءُ وَعُيُورَةٌ(١) .

● رَوى « ابْنُ ماجَه »(٢) من حَدِيثِ عُتْبَةَ بن عَبْدِ السُّلَميّ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِذا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ ، وَلا يَتَجَرَّدْ تَجَرُّدَ العَيْرَيْنِ » .

وَرَواهُ « البَزَّارُ » من حَديثِ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ و« الطَّبرانيُّ » من حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بن مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

● وَرَوى « النَّسائيُّ » في « عِشْرَةِ النِّسَاءِ » من حَدِيثِ عبدِ اللهِ بنِ سَرْجس : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِذا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ، فَلْيُلْقِ عَلى نَفْسِهِ ثَوْباً ، وَلا يَتَجَرَّدَنَّ تَجَرُّدَ العَيْرَيْنِ » .

● وَرَوى أَبُو مَنصُور الدَّيْلَميّ ، من حَديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا يَقَعَنَّ أَحَدُكُم على أَهْلِهِ كَما يَقَعُ الحِمارُ ، وَلْيَكُنْ بَيْنَهُما رَسُولٌ » . قالُوا : وَما الرَّسُولُ ؟ قالَ : « القُبْلَةُ والكَلامُ اللَّيِّنُ » .

● وَفي الحَديثِ(٣) : « إِذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدٍ سُوءاً ، أَمْسَكَ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ حَتَّى يُوَفِّيه يَوْمَ القِيامَةِ كَأَنَّهُ عَيْرٌ » . شُبِّهَ لِعِظَمِ ذُنُوبِهِ بِالحِمارِ الوَحْشِيِّ .

وَقيلَ : أَرادَ الجَبَلَ الذي بِالمَدِينَةِ ، اسمُه عَيْرٌ ، وَكانَ النَّبيُّ ﷺ يَكْرَهُهُ ، فَكانَ يَضْرِبُ بِهِ المَثَلَ في المَكْرُوهاتِ غالِباً .

وَعَيْرُ العَيْنِ : جَفْنُها ؛ قالَ الشَّاعِرُ(٤) : [من الخفيف]

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَن ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوالٍ لَنا وَأَنَّى الوَلاءُ

---

(١) عن الصِّحاح « عير » ٢/ ٧٦٢ .

(٢) ابن ماجه (١٩٢١) .

(٣) النِّهاية ٣/ ٣٢٨ .

(٤) هو الحارث بن حِلِّزة ، والبيت في ديوانه ٢٣ .

قَالَ أَبُو عَمرو بن العَلاء : ذَهَبَ من كان يَعْرِفُ مَعْنى هذا البَيْتِ .

● **فائِدَةٌ**[1] : رُوِيَ أَنَّ خالِدَ بن سِنان العَبْسِيَّ ، لَمّا حَضَرَتْهُ الوَفاةُ قالَ لِقَوْمِهِ : إذا أَنا دُفِنْتُ ، فإنَّهُ سَيَجِيءُ عانَةٌ من حَميرٍ ، يَقْدَمُها عَيْرٌ ، فَيَضرِبُ قَبْرِي بِحافِرِهِ ؛ فإذا أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ ذَلكَ فانْبِشُوا عَنِّي ، فإنِّي سَأَخْرُجُ فَأُخْبِرُكُم بِعِلْمِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ .

فَلَمَّا مَاتَ ، وَاتَّفَقَ ما قَالَهُ لِقَوْمِهِ ، أَرادُوا أَنْ يُخْرِجُوهُ ، فَكَرِهَ ذلكَ بَعْضُ وَلَدِهِ ، وَقَالُوا : إِنَّا نَخافُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْنا أَنَّا نَبَشْنا قَبْرَ أَبِيْنَا .

وَلَوْ فَعَلُوا لَخَرَجَ إِليهِم ، وَأَخْبَرَهُم ؛ لَكِنْ أَرادَ اللهُ غيرَ ذلكَ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَتَهُ أَتَتِ النَّبيَّ ﷺ فَبَسَطَ لَها رِداءَهُ ، وَقالَ لَها : « أَهْلاً بِبِنْتِ خَيْرِ نَبِيٍّ » أَو نحو ذلكَ .

ورُوِيَ أَنَّها سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فقالَتْ : كان أَبي يَقْرَأُ هَذَا .

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « ذاكَ نَبِيٌّ أَضاعَهُ قَوْمُهُ » .

وَقالَ الشَّاعِرُ يَهْجُو رَجُلاً[2] : [من الرَّجز]

لَوْ كُنْتَ سَيْفاً كُنْتَ غَيْرَ عَضْبِ   أَوْ كُنْتَ مَاءً كُنْتَ غَيْرَ عَذْبِ
أَوْ كُنْتَ لَحْماً كُنْتَ لَحْمَ كَلْبِ   أَوْ كُنْتَ عَيْراً كُنْتَ غَيْرَ نَدْبِ

أَي : غيرَ سَريعٍ فِي الحاجاتِ .

---

(١) ثمار القلوب ٢/ ٨٢١ . وانظر بقيّة المصادر التي ذكرت خالد بن سِنان وناره ونبوّته فيما مضى (عنقاء مغرب) .

(٢) الأَشطار بلا نسبة في الأَغاني ٣/ ١٠٣ وكامل المبرّد ٢/ ٩٦٩ ـ ٩٧٠ . والأَوّل وقبله ثلاثة أَشطار في الكوكبيّات ٢٤٧ [ضمن مجلّة المجمع الدّمشقيّ مج ٦٠ ج ٢] .

الأَمْثالُ : قالَتِ العَرَبُ : « مَعْيُوراءُ تُكادِمُ »(١) [المَعْيُوراءُ : جَمْعُ الأَعيارِ ، و] الأَعيارُ : جَمْعُ عَيْرٍ . وَالتَّكادُمُ : التَّعاضُّ . يُضْرَبُ مَثَلاً للسُّفَهاءِ تَتَهارَشُ .

وَقَالُوا : « نَجَّى عَيْراً سِمَنُهُ »(٢) . قالَ أَبُو زَيْدٍ(٣) : زَعَمُوا أَن حُمُراً كانَتْ هِزالاً ، فَهَلَكَتْ في جَدْبٍ ، وَنَجا مِنْها حِمارٌ كان سَمِيناً ؛ فَضُرِبَ بِهِ المَثَلُ في الحَزْمِ قَبْلَ وُقُوعِ الأَمْرِ ؛ أَي : انْجُ قَبْلَ أَنْ لا تَقْدِرَ على ذَلكَ . وَيُضْرَبُ أَيْضاً لِمَنْ خَلَّصَهُ مَالُهُ من مَكْرُوهٍ .

وَقالَتِ العَرَبُ : « قَدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالنَّزَوانِ »(٤) . يُضْرَبُ لِمَنْ أُيِسَ منهُ ؛ قالَ الشَّاعِرُ(٥) : [من الطويل]

أَهُمُّ بِأَمْرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيْعُهُ ... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالنَّزَوانِ

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلّكان » في تَرْجَمَةِ أَبي أَحمدَ الحَسَنِ بن عبدِ اللهِ بن سَعيدِ العَسْكَرِيّ من ذلكَ شَيْئاً يَنْبَغِي الوُقُوفُ عَلَيْهِ ، قَالَ(٦) :

كَانَ الصَّاحِبُ بن عَبَّادٍ يَوَدُّ الاجْتِماعَ بِأَبي أَحمد العَسْكَرِيّ ، ولا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، فَقَالَ لِمَخْدُومِهِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ابن بُوَيْهِ : إِنَّ عَسْكَرَ مُكْرَمٍ ، قد اخْتَلَّتْ أَحْوالُها ، وَأَحتاجُ إِلى أَن أَكْشِفَها بِنَفْسِي ؛ فَأَذِنَ لَهُ في ذلكَ ، فلمَّا أَتاها تَوَقَّعَ

---

(١) الميدانيّ ٢/ ٣٠١ والزَّمخشريّ ٢/ ٣٤٦ .
(٢) الميداني ٢/ ٣٣٥ والعسكريّ ٢/ ٣٠٩ والزَّمخشريّ ٢/ ٣٦٥ .
(٣) عن الميداني .
(٤) الميدانيّ ٢/ ٩٦ والعسكري ١/ ٣٧١ والزَّمخشريّ ٢/ ٦٩ وفصل المقال ٧٢ .
(٥) البيت لصخر بن عمرو بن الشَّريد ، أَخِي الخَنْساء ، من قطعة في مَظانِّ المثل ، والعقد الفريد ٥/ ١٦٦ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٣٨٧ والأَغاني ١٥/ ٧٩ . وستأتي بعد قليل .
(٦) وفيات الأَعيان ٢/ ٨٣ ومعجم الأُدباء ٢/ ٩١٥ والمنتظم ١٤/ ٣٨٨ والوافي بالوفيات ١٢/ ٧٧ وشذرات الذَّهب ٤/ ٤٣١ .

أَنْ يَزُورَهُ أَبُو أَحمدٍ المذكورُ فَلَمْ يَزُرْهُ ، فَكَتَبَ الصَّاحِبُ إِلَيْهِ[1] : [من الطويل]

وَلَمَّا أَبَيْتُمْ أَنْ تَزُوروا وَقُلْتُمْ ... ضَعُفْنا فَلَمْ نَقْدِرْ على الوَخَدانِ
أَتَيْناكُمُ من بُعْدِ أَرْضٍ نَزُورُكُمْ ... وَكَمْ مَنْزِلٍ بِكْرٍ لَنا وَعَوانِ
نُسائِلُكُمْ : هَلْ من قِرىً لِنَزِيلِكُمْ ... بِمِلْءِ جُفُونٍ لا بِمِلْءِ جِفانِ

وَكَتَبَ مع هذِهِ الأَبياتِ شَيئاً من النَّثْرِ ؛ فَجاوَبَهُ أَبُو أَحمد عن النَّثْرِ بِنَثْرٍ مِثْلِهِ ، وَعن هَذِهِ الأَبْياتِ بالبَيْتِ المَشْهُورِ ، وهو :

أَهُمُّ بِأَمْرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيْعُهُ ... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنَّزَوانِ

فَلَمَّا وَقَفَ الصَّاحِبُ على الجَوابِ ، عَجِبَ من اتِّفاقِ هَذا البَيْتِ لَهُ ، وَقالَ : واللهِ لو عَلِمْتُ أَنَّهُ يَقَعُ لَهُ هَذا البَيْتُ ، لَمَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ على هَذا الرَّوِيِّ .

● وَهَذا البَيْتُ لِصَخْرٍ أَخِي الخَنْساءِ ، وهو من جُمْلَةِ أَبْياتٍ مَشهورةٍ .

● وكان[2] صَخْرٌ المذكورُ قد حَضَرَ مُحاربَةَ بَنِي أَسَدٍ ، فَطَعَنَهُ رَبيعةُ بن ثَوْرٍ الأَسَديُّ ، فَأَدْخَلَ بَعْضَ حَلَقَاتِ الدِّرْعِ في جَنْبِهِ ، وَبَقِيَ مُدَّةَ حَوْلٍ في أَشَدِّ ما يَكُونُ من المَرَضِ ، وَأُمُّهُ وَزَوْجَتُهُ سُلَيْمَى يُمَرِّضانِهِ ، فَضَجِرَتْ زَوْجَتُهُ مِنْهُ ، فَمَرَّتْ بها امْرَأَةٌ فَسَأَلَتْها عن حالِهِ ، فقالَتْ : لا هُوَ حَيٌّ فَيُرْجَى ، وَلا مَيِّتٌ فَيُنْسَى ؛ فَسَمِعَها صَخْرٌ فَأَنْشَدَ : [من الطويل]

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لا تَمَلُّ عِيادَتِي ... وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكانِي

---

(١) ديوان الصَّاحِب بن عبَّاد ٢٩٤ .

(٢) الخبر والأبيات في الأغاني ١٥/٧٨ ـ ٧٩ والتذكرة الحمدونية ٧/٣٨٦ والعقد الفريد ٥/١٦٦ والميدانيّ ٢/٩٦ والعسكري ١/٣٧١ والزمخشريّ ٢/٦٩ وفصل المقال ٧٢ وديوان الخنساء ٣٥٨ ـ ٣٦٢ والشعر والشعراء ١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ وخزانة البغداديّ ١/٤٣٦ وأَسماء المغتالين ٢١٧ [ضمن نوادر المخطوطات ج ٢] ، وتعازي المبرّد ٩٠ والأصمعيات ١٤٦ وكامل المبرّد ٣/ ١٤٢٦ وعيون الأخبار ٤/ ١١٩ والشّريشيّ ٤/ ٣٥٥ ومعاهد التنصيص ١/ ٣٥٠ ونشوة الطرب ٢/ ٥٢٠ .

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جِنازَةً ... عَلَيْكِ وَمَنْ يَغْتَرَّ بِالحَدَثَانِ
لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتِ مَن كان نائِماً ... وَأَسْمَعْتِ مَن كانَتْ لَهُ أُذُنانِ
وَأَيُّ امْرِىءٍ سَاوَى بِأُمٍّ حَلِيلَةً ... فَلا عاشَ إلاّ في شَقاً وَهَوانِ
أَهُمُّ بِأَمْرِ الحَزْمِ لَو أَسْتَطِيعُهُ ... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالنَّزَوانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِن حَياةٍ كَأَنَّها ... مُعَرَّسُ يَعْسُوبٍ بِرَأْسِ سِنانِ

وَقَالُوا : « كُلُّ شِواءِ العَيْرِ جُوفانُ »[١] .

● قِيلَ : اجْتَمَعَ فَزارِيٌّ وَتَغْلبِيٌّ وَكَلْبِيٌّ في سَفَرٍ ، فاشْتَوَوْا حِماراً وَحْشِيّاً ، فَغابَ الفَزارِيُّ في بَعْضِ حاجاتِهِ ، فَأَكَلَ صاحِبَاهُ العَيْرَ ، وَاخْتَبَأا لَهُ غُرْمولَهُ ، فَلَمَّا جاءَ قَدَّماهُ لَهُ ، وَقالا : هَذَا قد اخْتَبَأْناهُ لَكَ . فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَلا يُسِيغُهُ ، فَضَحِكَا منهُ ، فاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَقالَ : لأَقْتُلَنَّكُمَا إنْ لَمْ تَأْكُلاهُ . فَأَبَى أَحَدُهُما ، فَضَرَبَهُ بالسَّيْفِ فَأَبانَ رَأْسَهُ ، وَكانَ اسْمُهُ مَرْقَمَة ، فَقالَ صاحِبُهُ : طَاحَ مَرْقَمَة ؛ فَقالَ الفَزارِيُّ : وَأَنْتَ إنْ لَمْ تَلْقَمْهُ . أَرادَ إنْ لَمْ تَلْقَمْها ، طَرَحْتُ رَأْسَكَ ؛ وَقَدْ عُيِّرَتْ فَزارَةُ بِهذَا الخَبَرِ ، حَتَّى قَالَ سالِمُ بن دارَةَ في ذلكَ[٢] : [من البسيط]

لا تَأْمَنَنَّ فَزارِيّاً خَلَوْتَ بِهِ ... على قَلُوصِكَ واكْتُبْها بِأَسْيَارِ
لا تَأْمَنَنْهُ وَلا تَأْمَنْ بَوائِقَهُ ... بَعْدَ الذي امْتَلَّ أَيْرَ العَيْرِ بالنَّارِ
أَطْعَمْتُمُ الضَّيْفَ جُوفاناً مُخاتَلَةً ... فَلا سَقاكُمْ إلَهي الخالِقُ البارِي

وَقَالُوا : « أَذَلُّ من عَيْرٍ »[٣] . قِيلَ : المُرادُ به الوَتَدُ ، لأَنَّهُ يُشَجُّ رَأْسُهُ أَبَداً ؛ وَقِيلَ : المُرادُ بِهِ الحِمارُ . وَقالَ الشَّاعِرُ[٤] : [من البسيط]

---

(١) الميدانيّ ٢/ ١٥١ وفيه : أَكُلُّ شوائكم هذا جوفانُ ؟ . والعسكريّ ٢/ ١٥ « طمح مرقمه » . وسمط اللآلي ٣/ ٨٦٠ .

(٢) شرح الحماسة للتّبريزيّ ١/ ٣٧٠ والحماسة البصريّة ٣/ ١٤٢٢ وخزانة البغداديّ ٣/ ٢٦٦ .

(٣) الميدانيّ ١/ ٢٨٥ وحمزة ١/ ٢٠٣ والعسكريّ ١/ ٤٦٨ والزَّمخشريّ ١/ ١٣٣ .

(٤) البيتان بلا نسبة في الميدانيّ ١/ ٢٨٣ والعسكري ١/ ٤٦٨ والزَّمخشريّ ١/ ٥٧ . وقد مضىٰ البيتان في « الحمار الأهلي » .

وَلا يُقِيمُ على خَسْفٍ يُرادُ بِهِ   إلاّ الأَذَلاّنِ عَيْرُ الحَيِّ والوَتَدُ
هَذا عَلَى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ   وَذا يُشَجُّ فَلا يَرْثي لَهُ أَحَدُ

● وَقالَ خالِدُ بنُ الوَلِيْدِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ عِنْدَ مَوْتِهِ[1] : لَقِيتُ كَذا وَكَذا زَحْفاً ، وَما في جَسَدِي مَوْضِعُ شِبْرٍ ، إلاّ وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ ، ثمَّ هَا أَنا أَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِي كَما يَمُوتُ العَيْرُ ، لا نامَتْ أَعْيُنُ الجُبَناءِ .

٧٠١ **العِيْرُ** : بِالكَسْرِ : الإِبِلُ التي تَحْمِلُ المِيْرَةَ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ تَجْمَعَهُ على عِيْراتٍ[2] .

● وَفي الحَدِيثِ[3] : « إِنَّهُمْ كانُوا يَتَرَصَّدُونَ عِيْراتِ قُرَيْشٍ » .

● فائِدَةٌ : قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يُوسف : ٨٢] .

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : القَرْيَةُ : مِصْر . قالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ ، وَهُوَ مَجازٌ ، وَالمُرادُ أَهْلُها ؛ وكَذلِكَ قَوْلُهُ : والعِيْرَ . هَذَا قَوْلُ الجُمْهُورِ ، وَهُوَ الصَّحِيْحُ .

وَحَكى أَبُو المَعالِي في « التَّلخيص » عن بَعْضِ المُتَكَلِّمينَ أَنَّهُ قَالَ : هَذا من الحَذْفِ وَلَيْسَ من المَجازِ . قَالَ : وَإِنَّما المجازُ لَفْظَةٌ تُسْتَعارُ لِغَيْرِ ما هِيَ لَهُ ؛ وَحَذْفُ المُضَافِ هو غَيْرُ المَجازِ . هَذَا مَذْهَبُ سِيبويه وغَيْرِهِ من أَهْلِ النَّظَرِ ؛ وَلَيْسَ كُلُّ حَذْفٍ مَجازاً .

وَرَجَّحَ أَبُو المَعالِي في هَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُ مَجازٌ ، وَحَكَى أَنَّهُ قَوْلُ الجُمْهُورِ ، أَوْ نَحو هذا .

---

(١) المعارف ٢٦٧ والاستيعاب ٢/ ٤٣٠ وسير أعلام النُّبلاء ١/ ٣٨٢ .
(٢) عن الصِّحاح « عير » ٢/ ٧٦٤ .
(٣) النِّهاية ٣/ ٣٢٩ .

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ : بَلْ أَحالُوهُ على سُؤَالِ الجَماداتِ والبَهائِمِ حَقيقةً من حَيثُ هُوَ نَبيٌّ ، فَلا يَبعدُ أَنْ تُخْبِرَهُ بالحَقِيْقَةِ . قالَ : وَهَذا وإِنْ جُوِّزَ فَبعيدٌ .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : أَوَّلُ من قالَ : « لا في العِيْرِ وَلا في النَّفيرِ »[1] : أَبو سُفيان بن حَرْبٍ .

وذلكَ أَنَّهُ لَمَّا أَقْبَلَ بعِيْرِ قُرَيْشٍ ، وَكانَ النَّبيُّ ﷺ تَحَيَّنَ انْصِرافَها من الشَّامِ ، فَنَدَبَ المُسلمينَ للخُرُوجِ معهُ ، وَأَقبلَ أَبو سُفيانَ حتَّى دَنا من المَدينَةِ ، وَقَدْ خافَ خَوْفاً شَديداً ، فقالَ لِمَجْديِّ بن عَمرو : هَلْ أَحْسَسْتَ بأَحَدٍ من أَصحابِ محمَّدٍ ؟ فقالَ : ما رَأَيْتُ أَحداً أُنْكِرُهُ إِلاَّ راكِبَيْنِ أَتَيَا إِلى هَذا المَكانِ ـ وَأَشارَ إِلى مَكانِ عَدِيٍّ وَبَسْبَسٍ عَيْنَي رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ فَأَخَذَ أَبو سُفيان أَبْعاراً من أَبْعارِ بَعيرَيْهِما ، وَفَرَكَها فإِذا فيها نَوىً ، فقالَ : عَلائِفُ يثرب ؛ هذِهِ عُيُونُ محمَّدٍ . فَضَرَبَ وُجُوهَ عِيْرِهِ عن يَسارِ بَدْرٍ ، وَقد كان بَعَثَ إِلى قُرَيْشٍ يُخبِرُهم بمَا يَخافُهُ من النَّبيِّ ﷺ ، فَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ من مَكَّةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِم أَبُو سُفيان يُخْبِرُهُم أَنَّهُ قد أَحْرَزَ العِيْرَ ، وَيَأْمُرُهُمْ بالرُّجُوعِ ، فَأَبَتْ قُرَيشٌ أَنْ تَرجعَ ، وَمَضَتْ إِلى بَدْرٍ ، وَرَجَعَ بَنُو زُهْرَةَ مُنْصَرِفِينَ إِلى مَكَّةَ ، فَصادَفَهُمْ أَبُو سُفيان ، فقالَ : يَا بَنِي زُهْرَةَ ، لا فِي العِيْرِ وَلا في النَّفِيْرِ ؟ قالُوا : أَنْتَ أَرْسَلْتَ إِلى قُرَيْشٍ أَنْ تَرجِعَ .

وَمَضَتْ قُرَيْشٌ إِلى بَدْرٍ ، فَأَظْهَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِم ، وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْراً من بَني زُهْرَةَ أَحَدٌ .

قَالَ الأَصمعيُّ : يُضْرَبُ هَذَا المَثَلُ للرَّجُلِ يُحَطُّ أَمْرُهُ ، وَيُصَغَّرُ قَدْرُهُ ؛ وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

عَيْرُ السَّراةِ : طائِرٌ كَهَيْئَةِ الحَمامَةِ .

٧٠٢ **العِيْسُ** : بِكَسْرِ العَيْنِ : الإِبلُ البِيْضُ ، يُخالِطُ بَياضَها شَيْءٌ من

---

(١) الفاخر ١٧٧ والميدانيّ ٢/ ٢٢١ والعسكري ٢/ ٣٩٩ والزَّمخشريّ ٢/ ٢٦٤ .

الشُّقْرَةِ ؛ واحِدُها : أَعْيَسُ ، وَالأُنثى عَيْساءُ . وَيُقالُ : هِيَ كِرامُ الإِبِلِ[١] .

● وَما أَحْسَنَ قَوْلَ الأَوَّلِ[٢] : [من الكامل]

وَمِنَ العَجائِبِ والعَجائِبُ جَمَّةٌ قُرْبُ الحَبيبِ وَما إِلَيْهِ وُصُولُ
كَالعِيْسِ في البَيْداءِ يَقْتُلُها الظَّما وَالماءُ فَوْقَ ظُهُورِها مَحْمُولُ

● وَفي حَديثِ سَوادِ بن قارِبٍ[٣] : [من السريع]

وَشُدَّتِ العِيْسُ بِأَحْلاسِها

٧٠٣ **العَيْسَاءُ** : بِفَتْحِ العَيْنِ : الأُنْثَى من الجَرادِ[٤] . وَقَدْ تَقَدَّمَ ما فِي « الجَرادِ » في « بابِ الجِيمِ » .

٧٠٤ **العَيْلامُ** : **والعَيْلانُ** : بِفَتْحِ العَيْنِ فِيهِما : الذَّكَرُ من الضِّباعِ .

● وَفي الحَديثِ : « إِنَّ الخَليلَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُرِيدُ أَنْ يَحملَ أَباهُ آزَرَ لِيَجُوزَ بِهِ الصِّراطَ ، فَينظرُ إِلَيْهِ فإِذا هُوَ عَيْلامٌ أَمْدَرُ » . وَالعَيْلامُ : ذَكَرُ الضِّباعِ وَالياءُ والأَلفُ زائِدتانِ . قالَهُ في « نِهايَةِ الغَريبِ »[٥] .

٧٠٥ **العَيْثُومُ** : الضَّبُعُ ؛ عن أَبي عُبَيْدٍ ؛ وَقد تَقَدَّمَ قبلَ ذلكَ بِوَرَقَةٍ ؛ وَقالَ الغَنَوِيُّ : وَالعَيْثُومُ : الأُنثى من الفِيَلَةِ[٦] ؛ وَأَنْشَدَ الأَخْطَلُ[٧] : [من الكامل]

---

(١) عن الصِّحاح « عيس » ٣/ ٩٥٤ .

(٢) الثَّاني لأَبي العَلاء المعرِّيّ في شروح سقط الزِّند ٢/ ٨٨٠ برواية :
والعيسُ أَقتل ما يَكُونُ لَها الصَّدى × .

(٣) حديث سواد بن قارب ، في هواتف الجنَّان للخرائطيّ ٢٧ ـ ٢٩ وفيه تخريجٌ وافٍ . وتمام البيت فيه :
عجبتُ للجِنِّ وإيْجاسِها ورَحْلِها العيسَ بِأَحلاسِها

(٤) اللِّسان « عيس » ٤/ ٣١٨٩ .

(٥) النِّهاية ٣/ ٢٩٢ .

(٦) عن الصِّحاح « عثم » ٥/ ١٩٨٠ .

(٧) هذه رواية الصِّحاح « عثم » . ولصدره في ديوانه ١/ ٣٩٢ رواية مختلفة .

تَـرَكُـوا أُسـامَـةَ فـي اللِّقـاءِ كَـأَنَّمـا وَطِئَـتْ عَلَيْــهِ بِخُفِّهــا العَيْثُــومُ

٧٠٦ **العَيْنُ** : من الأَلْفاظِ المُشترَكَةِ . قالَ بَعضُ أَهلِ اللُّغَةِ مِمَّنْ يَتكَلَّمُ على الأَلْفاظِ المُشتَرَكَةِ : إِنَّ العَيْنَ طائِرٌ أَصْفَرُ البَطْنِ والظَّهْرِ ، في حَدِّ القُمْرِيِّ[١] .

٧٠٧ **العَيْهَلُ** : النَّاقَةُ السَّريعَةُ . قالَ أَبُو حاتِمٍ : وَلا يُقالُ : جَمَلٌ عَيْهَلٌ[٢] .

٧٠٨ **عَيْجَلُوفُ** : كَحَيْزَبُون : اسْمُ النَّمْلَةِ المَذْكُورَةِ في القُرْآنِ[٣] .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى اخْتِلافُ العُلَماءِ في اسْمِها في « بابِ النُّونِ » في لَفْظِ « النَّمْلِ » .

٧٠٩ **ابْنُ عِرْسٍ** : وَكُنْيَتُهُ : أَبُو الحَكَم ، وَأَبو الوَثَّاب[٤] .

وَهي دابَّةٌ تُسَمَّى بِالفارِسيَّةِ « راسو » . وَهِي بِكَسْرِ العَيْنِ ، وَإِسْكانِ الرَّاءِ المُهملَتَيْنِ ؛ تُجْمَعُ على بَناتِ عِرْسٍ وَبَني عِرْسٍ . حَكاهُ الأَخْفَشُ[٥] .

● قالَ القَزوينيُّ[٦] : هُو حَيوانٌ دَقيقٌ ، يُعادِي الفَأْرَ ، يَدْخُلُ جُحْرَهُ وَيُخْرِجُهُ ، وَيُعادِي التِّمْسَاحَ ؛ فإِنَّ التِّمْساحَ لا يَزالُ مَفْتُوحَ الفَمِ ، وابْنُ عِرْسٍ يَدخلُ فِيه ، وَيَنْزِلُ جَوْفَهُ ، وَيَأْكُلُ أَحْشاءَهُ وَيُمَزِّقُها وَيَخرجُ ، وَيُعادِي الحَيَّةَ أَيْضاً وَيَقْتُلُها ؛ وإِذا مَرِضَ يَأْكُلُ بَيْضَ الدَّجاجِ فَيَزُولُ مَرَضُهُ .

---

(١) اللِّسان « عين » ٤/ ٣١٩٩ وفيه : أَصفر البطن ، أَخضر الظّهر . . . .

(٢) عن الصِّحاح « عهل » ٥/ ١٧٧٨ .

(٣) القامُوس والتَّاج «عجلف». وفي تفسير الكشَّاف ٣/ ١٤١ : طاخية . وقالَ السُّهيليّ : اسمها حزميا . وقال : لا أدري كيف يُتَصَوَّرُ أَن يَكونَ للنَّملة اسم علمٍ . (ترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ٦٣).

(٤) المُرَصَّع ١٣٨ و ٣٣٧ وزاد في ٣٦٩ : أَبُو رُقاد .

(٥) وابن الأَثير في المُرصَّع ٢٤٩ .

(٦) عجائب المخلوقات ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٦٢ والمستطرف ٢/ ٥٠٦ .

● وَحُكِيَ[1] أَنَّ ابْنَ عِرْسٍ تبعَ فَأْرَةً ، فَصَعَدَتْ شَجرَةً ، فَلَمْ يَزَلْ يَتْبَعُها حَتَّى انْتَهَت إلى رَأْسِ الغُصْنِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَها مَهْرَبٌ ، فَنزلَتْ على وَرَقَةٍ وَعَضَّتْ طَرَفَها ، وَعَلَّقَتْ نَفْسَها بها ، فَعندَ ذَلكَ صاحَ ابْنُ عِرْسٍ ، فَجاءَتْهُ زَوْجَتُهُ ، فَلَمَّا انْتَهَتْ إلى تَحتِ الشَّجَرَةِ ، قَطَعَ ابْنُ عِرْسٍ الوَرَقَةَ التي عَضَّتْها الفَأْرَةُ فَسَقَطَتْ ، فاصْطادَها ابْنُ عِرْسٍ التي كانَتْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ .

● وَقالَ عبدُ اللَّطيف البَغداديّ : وَأَظُنُّهُ الحَيوانَ المُسَمَّى بِالدَّلَقِ ، وَإِنَّما يَختلفُ لَوْنُهُ وَوَبَرُهُ بِحَسَبِ البِلادِ .

قالَ : وَفي طَبْعِهِ أَنَّهُ يَسْرِقُ ما وَجَدَ من فِضَّةٍ وَذَهَبٍ ، كَما يَفْعَلُ الفَأْرُ ؛ وَرُبَّما عادَى الفَأْرَ فَقَتَلَهُ ، وَلكنَّ خَوْفَ الفَأْرِ من السِّنَّوْرِ أَشَدُّ من خَوْفِهِ منهُ .

قال : وَهوَ كثيرُ الوُجُودِ في مَنازِلِ أَهْلِ مِصْرَ .

قالَ[2] : وَقد حُكِيَ من فِطْنَتِهِ : أَنَّ رَجُلاً صادَ فَرْخاً منها ، وَحَبَسَهُ في قَفَصٍ بحيثُ تَراهُ أُمُّه ، فلمَّا رَأَتْهُ ذَهبَتْ ، ثمَّ جاءَت وَفي فَمِها دِينارٌ ، فَأَلْقَتْهُ بينَ يَدَيْهِ كَأَنَّها تَفْتَدِي وَلَدَها ، فَلَمْ يَتْرُكْهُ لَها ، فذهَبَتْ وعادَتْ بدينار آخرَ ، حَتَّى كملَ العَدَدُ خَمْساً ؛ فلمَّا رأَتْ أَنَّهُ لا يُطلقُهُ ذهبَتْ وعادَتْ بِخِرْقَةٍ ، كَأَنَّها تُشيرُ إلى فَراغِ حاصِلِها ، فَلَمْ يَكترِثْ بها ؛ فلمَّا رَأَتْ ذلك منهُ عادَتْ إلى دِينارٍ منها لِتَأْخُذَهُ ، فخَشيَ الرَّجلُ من ذلكَ ، فَأَطلَقَ لَها وَلَدَها .

وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الجِيمِ » في « الجُرَذِ » حديثُ ضُباعَة بنتِ الزُّبيرِ : أَنَّ المِقْدادَ بنَ الأَسْوَدِ ذَهَبَ يَقْضِي حاجَتَهُ، فإِذا جُرَذٌ يُخْرِجُ من جُحْرِهِ دِيناراً ثم دِيناراً ، ثمَّ لَمْ يَزَلْ كذلكَ إلى أَنْ أَخرجَ سبعةَ عشرَ دِيناراً ، ثمَّ أَخْرَجَ خِرْقَةً حَمْراءَ قد بَقِيَ فِيها دِينارٌ واحدٌ ، فكانَتْ ثمانيَةَ عَشَرَ ، فَذَهَبَ بِها إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ

(١) عجائب المخلوقات ٢٥٢ـ٢٥٣ ومسالك الأبصار ٢٠/٦٢ والمستطرف ٢/٥٠٦ .
(٢) المستطرف ٢/٥٠٦ـ٥٠٧ .

فَأَخْبَرَهُ ، وَقالَ : خُذْ صَدَقَتَها ؛ فقالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « هَل هَوَيْتَ إلى الجُحْرِ بيَدِكَ؟» فقالَ : لا . فقالَ لَهُ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «بارَكَ اللهُ لَكَ فِيها» .

قالَ الجاحِظُ[١] : ابنُ عِرْسٍ نَوْعٌ من الفأرِ ؛ وَأَنْشَدَ قَوْلَ [أَبي] الشَّمَقْمَق[٢] : [من مجزوء الرمل]

نَزَلَ الفَأْرُ بِبَيْتِي رُفْقَةً مِن بَعْدِ رُفْقَهْ[٣]

ثمَّ قالَ :

وابْنُ عِرْسٍ رَأْسُ بَيْتِي صاعِداً في رَأسِ طَبْقَهْ[٤]

ثم قال يَصِفُهُ :

صَفْقَةً أَبْصَرْتُ مِنْها في سَوادِ العَيْنِ زُرْقَهْ[٥]
زُرْقَةً مِثْلَ ابْنِ عِرْسٍ أَغْبَشٌ تَعْلُوهُ بُلْقَهْ[٦]

فَوَصَفَهُ بِكَوْنِهِ أَغْبَشَ أَبْلَقَ ، وَأَنَّهُ من الفَأْرِ ؛ وَهُوَ أَنواعٌ ، ثلاثة عَشَرَ ، سَتَأْتِي في أَماكِنِها إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى .

● وَقالَ أَرسطاطاليس في « نُعُوتِ الحَيَوانِ » والتَّوحيديّ في « الإمتاعِ والمُؤانَسَةِ»[٧] : إنَّ الأُنْثى من بَناتِ عِرْسٍ ، تَلْقَحُ من أَفْواهِهَا ، وَتَلِدُ من آذانِها ! .

---

(١) لم يرد هذا القول في حيوان الجاحظ ! .

(٢) الأبيات من قصيدة في الحيوان ٥/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ وديوانه ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٣) في ط : نزل الفارات بيتي× . والمثبت من أ والحيوان .

(٤) في الحيوان : × . . . . رأس نبقه .

(٥) قبله ـ وبه يتمُّ المعنى ـ :

دَخَلَ البيتَ جهاراً لم يَدَعْ في البَيْتِ فِلْقَهْ
وَتَتَرَّسْ بِرَغِيفٍ وَصَفَقْ نازُوْيَهْ صَفْقَهْ

قلت : نازُوْيَه : هِيَ هِرَّة أبي الشَّمقمق .

(٦) في ط : مثل هذا في ابنِ عرس × . والمثبت من أ والحيوان .

(٧) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٩٢ .

وَقالَ في «كِفايَةِ المُتَحفِّظ» : ابْنُ عِرْسٍ : هُوَ السُّرْعُوبُ ، وَيُقالُ لَهُ : النِّمْسُ ؛ وهو غَلَطٌ ، وَالذي قَبْلَهُ قَريبٌ منهُ ، وَالجَمْعُ بينَهُ وَبينَ كَلامِ الجاحِظِ عَسِرٌ ، لأَنَّ النِّمْسَ لَيْسَ من جِنْسِ الفَأْرِ ؛ وَالصَّوابُ ما قالَهُ الجاحِظُ من أَنَّهُ نَوْعٌ من الفَأْرِ .

وَقالَ الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ السُّنْباطيّ : بَناتُ عِرْسٍ : هِيَ هذِهِ التي في بُيُوتِ مِصر ؛ وَفِيما قَالَهُ قُصُورٌ ؛ فإِنَّ بَناتِ عِرْسٍ أَنْواعٌ ، كَما يَأْتي عن الرَّافعيِّ قَريباً .

الحُكْمُ : قِيلَ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ ، لأَنَّهُ كَالفَأْرِ ؛ وَالمشهورُ حِلُّهُ . بل قالَ في « شَرْحِ المُهَذّب » : يَحِلُّ بلا خِلافٍ . وَفِيهِ وَجْهٌ حَكاهُ الماوَرديُّ أَنَّهُ يُحَرَّمُ .

وَحَكَى في « الشَّرْحِ الصَّغير » الوَجْهَيْن وَقالَ : الأَظْهَرُ الحِلُّ .

وَهَذِهِ المسأَلَةُ ساقِطَةٌ من « الشَّرْحِ الكَبيرِ » وَ« الرَّوْضَة » وَالأَشْبَهُ أَنَّهُ من صَنيعِ النُّسَّاخِ ، وَإِلاّ فَكلامُ « الشَّرْحِ » لا يَستقيمُ إِلاّ بِذِكْرِها ، ولذلِكَ كَتَبَها فِيهِ ، كما في « الشَّرحِ الصَّغيرِ » الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ النَّشائيّ على حاشِيَةِ نُسخَتِهِ .

قَالَ الرَّافعيُّ في كِتابِ « الحَجِّ » : إِنَّ بَناتِ عِرْسٍ أَنْواعٌ . وَالغَزاليُّ قالَ : إِنَّهُ يُشْبِهُ الثَّعْلَبَ ؛ وَكلامُ الغَزاليِّ يَقْتَضِي أَنَّ ابْنَ عِرْسٍ هُوَ النِّمْسُ ، لأَنَّهُ يُشبِهُ الثَّعْلَبَ بِأَسْنانِهِ وَطُولِ ذَنَبِهِ ، وَإِنْ كان أَصْغَرَ منهُ جُثَّةً .

وَقالَ القاضِي أَبُو الطَّيِّب : لا أَعلمُ خِلافاً بينَ الأَصْحابِ في حِلِّ ابْنِ عِرْسٍ ، لأَنَّهُ لا يَتَقَوَّى بِنابِهِ ؛ وَكذا ذَكَرَ صاحِبُ « البحر » .

وَالمَشْهُورُ الحِلُّ كما في « الشَّرْحِ الصَّغيرِ » والمُختصراتِ المَشهورة « كَالتَّنْبِيهِ » و« الوَجيزِ » و« الحاوِي الصَّغير » .

الخَواصُّ[1] : دِماغُهُ : يُكْتَحَلُ بِهِ فَيَنْفَعُ من ظُلْمَةِ العَيْنِ ؛ وإِنْ جُفِّفَ وَشُرِبَ بِخَلٍّ ، نَفَعَ من الصَّرَع .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٥٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٦٢ ومفردات ابن البيطار ١/ ٩ .

وَلَحْمُهُ يُسْتَعمَلُ ضِماداتٍ لِوَجَعِ المَفاصِلِ .

وَشَحْمُهُ يُطْلَى بِهِ السِّنُّ ، تَقَعُ سَرِيعاً .

وَمَرارَتُهُ إِنْ شُرِبَتْ وَهيَ حارَّةٌ ، قَتَلَتْ من وَقْتِها ، وَدَمُهُ يُطْلَى بِهِ الخَنازِيرُ ، يُحَلِّلُها ؛ وإِنْ خُلِطَ دَمُهُ بِدَمِ الفَأْرِ ، وَمُزِجَ بِماءٍ ؛ وَرُشَّ في بَيْتٍ ، وَقَعَتِ الخُصُومَةُ بَيْنَ أَهْلِهِ ، وإِنْ دُفِنَ ابْنُ عِرْسٍ وَفَأْرَةٌ في بَيْتٍ ، فَعَلَ كَما يَفْعَلُ الدَّمُ .

وَزِبْلُهُ يُجعلُ على الجِراحاتِ ، يَقطعُ الدَّمَ .

وإِنْ أُخِذَ كَفَّاهُ ، وعُلِّقَتا على امْرَأَةٍ ، لَمْ تَحْبَلْ ما دَامَ ذلكَ عَلَيْها . وَاللهُ تَعالَى أَعلمُ .

وَهُوَ في الرُّؤْيا[١] : يَدُلُّ على الزَّواجِ لِلأَعْزَبِ بامْرَأَةٍ صَبِيَّةٍ ، وَاللهُ تعالَى أَعْلَمُ .

٧١٠ **أُمُّ عَجْلان** : طائِرٌ . قالَهُ الجَوهريُّ[٢] .

● وَقالَ ابنُ الأَثيرِ[٣] : طائِرٌ أَسْوَدُ ، يُقالُ لَهُ : قَوْبَعُ . وَقيلَ : طائِرٌ أَسْوَدُ ، أَبيضُ الذَّنَبِ ، يُكْثِرُ تَحريكَ ذَنَبِهِ ، يُقالُ لَهُ : الفَتَّاحُ .

٧١١ **أُمُّ عَزَّة** : الظَّبْيَةُ ، وَعَزَّةُ ابْنَتُها .

٧١٢ **أُمُّ عُوَيْفٍ**[٤] : دُوَيْبَّةٌ صَغيرَةٌ ، ضَخْمَةُ الرَّأْسِ مُخْضَرَّةٌ ، لَها ذَنَبٌ طَويلٌ ، وَأَربَعَةُ أَجْنِحَةٍ ، إذا رَأَتِ الإِنْسانَ قامَتْ على ذَنَبِها ، وَنَشَرَتْ

---

(١) وله تأويلات غير ذلك في تعبير الرؤيا ١٨٩ وتفسير الواعظ ٢٩١ .

(٢) الصحاح « عجل » ٥/ ١٧٦٠ .

(٣) المرصع ٢٤٤ .

(٤) المرصع ٢٤٧ .

أَجْنِحَتَها ؛ وَهيَ لا تَطِيرُ ، وَيُقالُ لَها : « ناشِرَةُ بُرْدَيْها » ، يَلعبُ بِها الصِّبيانُ ، وَيَقُولُونَ لَها : [من الرجز]

أُمَّ عُوَيْفٍ انْشُرِي بُرْدَيْكِ   ثُمَّتَ طِيرِي بَيْنَ صَحْراوَيْكِ
إِنَّ الأَميرَ خاطِبٌ بِنْتَيْكِ   بِجَيْشِهِ وَناظِرٌ إِلَيْكِ

كَذا قالَهُ في « المُرَصَّع » وَهَذِهِ تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ أُمَّ حُبَيْنٍ المُتقدِّمَةُ في « بابِ الحَاءِ المُهملةِ » .

٧١٣ أُمَّ العَيْزارِ : السَّبَيْطَرُ .

وَوَقَعَ في « المُهذَّب » في بابِ الهُدْنَةِ : أَنَّ عاقِرَ ناقَةِ صالِحٍ اسْمُهُ : العَيْزارُ ابن سالِفٍ . وَهُوَ تَصحيفٌ بلا خِلافٍ ؛ وَإِنَّما عاقِرُ النَّاقَةِ اسْمُهُ قُدار ـ بِضَمِّ القافِ ، ثمَّ دالٌ مُهملَةٌ مُخفَّفَةٌ ، ثمَّ أَلِفٌ ، ثمَّ راءٌ مُهملةٌ ـ هَكَذا ذَكَرَهُ جَميعُ أَهْلِ التَّوارِيخِ والقِصَصِ وَالأَسْمَاءِ وَأَهْلِ اللُّغَةِ ، كَالجوهريِّ وَغيْرِهِ ، وَنَبَّهَ علَيْهِ النَّوويُّ رحمهُ اللهُ تَعالَى[(١)] .

* * *

(١) وانظر ثمار القُلوب ١/ ٨٤ و ١٦١ و٥٣١ و ٢/ ٩٢٢ .
كان قدار بن سالف أَحمر ، أَزرق العينين ؛ عقر ناقة الله ـ ومَنْ تابَعَهُ ـ يوم الأَربعاء ، فصبَّحهم العذاب يوم الأَحد ، فأَهلكهم ؛ يُضربُ به المَثل في الشُّؤم والشَّقْوَةِ .

بابُ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ

٧١٤ **الغاقُ** : وَالغاقَةُ : نَوْعٌ من طَيْرِ المَاءِ ، مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ .

٧١٥ **الغُدافُ** : غُرابُ القَيْظِ ؛ وَجَمْعُهُ غِدْفانٌ ، بِكَسْرِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ ؛ وَرُبَّما سَمَّوا النَّسْرَ الكَثيرَ الرِّيْشِ : غُدافاً ، وَكذلِكَ الشَّعْرُ الأَسْوَدُ الطَّويلُ(١) .

وَقالَ ابْنُ فارِسٍ(٢) : الغُدافُ : هُوَ الغُرابُ الضَّخْمُ .

وَقالَ العَبْدَرِيُّ وَغَيْرُهُ من أَئِمَّةِ أَصْحابِنا : هُوَ غُرابٌ صَغيرٌ أَسْوَدُ ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ الرَّمادِ .

الحُكْمُ : أَباحَ الشَّعبيُّ أَكْلَ الغُرابِ الأَسْوَدِ الكَبِيرِ ، الذي يَأْكُلُ الحُبُوبَ والزَّرْعَ ، فَأَشْبَهَ الحَجَلَ .

وَقالَ أَبو حَنيفَةَ : الغِرْبانُ كُلُّها حَلالٌ .

● وَرَوَى هِشام بن عُروة ، عن أَبيهِ عُروة بن الزُّبَيْرِ ، عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها ، أَنَّها قالَتْ : إِنِّي لأَعْجَبُ مِمَّنْ يَأْكُلُ الغُرابَ ، وَقَدْ أَذِنَ النَّبيُّ ﷺ في قَتْلِهِ لِلْمُحْرِمِ ، وَسَمَّاهُ فاسِقاً ؛ وَاللهِ ما هُوَ من الطَّيِّباتِ .

وَأَمَّا مَذهبُ الشَّافعيِّ ، فحاصِلُ ما فِي « الرَّوْضَةِ » أَنَّ الغُدافَ يُحَرَّمُ أَكْلُهُ .

وَالذِي في « الرَّافعيِّ » أَنَّهُ حَلالٌ ، وَهَذا هُوَ المُعتمدُ في الفَتْوَى ، كَما نَبَّهَ عَلَيْهِ شَيْخُنا في « المُهمَّاتِ » .

الخَواصُّ : قالَ القَزْوِينيُّ : إِذا أَخَذْتَ شَحْمَ الغُدافِ مع دُهْنِ وَرْدٍ ،

---

(١) عن الصِّحاح « غدف » ٤/١٤٠٩ .

(٢) معجم مقاييس اللُّغة ٤/ ٤١٤ .

وَدَهَنْتَ بِهِ وَجْهَكَ ، وَدَخَلْتَ على السُّلْطانِ ، قَضَى حاجَتَكَ .

٧١٦ **الغَذِيُّ** : السَّخْلَةُ ، وَالجَمْعُ ، غِذاءٌ ، مِثلُ فَصيلٍ وَفِصالٍ[١] .

● وَمِنْهُ قَوْلُ أَميرِ المُؤْمنين عُمر بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ لِعامِلِ الصَّدَقَةِ[٢] : احْتَسِبْ عَليهم بِالغِذاءِ ، وَلا تَأْخُذْها منهم .

● وَأَنْشَدَ الأَصمعيُّ[٣] : [من البسيط]

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ من عادٍ وَمِنْ إِرَمٍ ... غَذِيَّ بَهْمٍ وَلُقْماناً وَذَا جَدَنِ

وَرَواهُ خَلَفُ الأَحمرُ : غُذَيَّ بِالتَّصْغِيرِ . حَكاهُ الجَوهريُّ[١] وَغَيْرُهُ .

٧١٧ **الغُرابُ** : مَعرُوفٌ ، وَسُمِّيَ بذلكَ لِسَوادِهِ ؛ وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر : ٢٧] وَهُما لَفْظانِ بِمعنىً واحِدٍ .

● وَمن أَحادِيثِ راشِد بن سَعْدٍ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[٤] : « إِنَّ اللهَ تَعالى يُبْغِضُ الشَّيْخَ الغِرْبِيبَ » . فَسَّرَهُ راشِدُ بنُ سَعْدٍ بِالذي يَخْضِبُ بِالسَّوادِ .

وَجَمْعُهُ : غِرْبانٌ ، وَأَغْرِبَةٌ ، وَأَغْرُبٌ ، وَغرابينُ ، وَغُرُبٌ ؛ وَقَدْ جَمَعَها ابْنُ مالِكٍ في قَوْلِهِ : [من البسيط]

بِالغُرُبِ اجْمَعْ غُراباً ثم أَغْرِبَةً ... وَأَغْرُبٌ وَغَرابِينٌ وَغِرْبَانُ

---

(١) عن الصِّحاح « غذا » ٦/ ٢٤٤٤ .

(٢) النِّهاية ٣/ ٣٤٨ وبعضه في الصِّحاح .

(٣) البيت لأُفنون التَّغلبيّ ، واسمه صريم بن معشر . وهو بهذه الرِّواية منسوباً في اللِّسان « غذا » وبلا نسبة في الصحاح . وبرواية مختلفة ليس فيها موضع الشَّاهد في المفضليّات ٢٦٢ (المفضليّة ٦٦) .

(٤) النِّهاية ٣/ ٣٥٢ .

وَكُنْيَتُهُ(١) : أَبُو حاتِمٍ ، وأَبُو جَحادِبٍ ، وَأَبُو الجَرَّاحِ ، وَأَبُو حَذَرٍ ، وَأَبُو رَيْدان ، وَأَبو زاجِرٍ ، وَأَبُو الشُّؤْمِ ، وَأَبُو عَتَّابٍ ، وَأَبُو القَعْقَاعِ ، وَأَبُو المِرْقالِ ؛ [قَالَ] الشَّاعِرُ : [من الكامل]

إِنَّ الغُـرابَ وَكـانَ يَمْشِـي مِشْيَـةً فِيمَا مَضَى من سَالِفِ الأَجْيَالِ(٢)
حَسَـدَ القَطـاةَ وَرامَ يَمْشِـي مشْيَهـا فَـأَصـابَـهُ ضَـرْبٌ مـن العُقَّـالِ(٣)
فَـأَضَـلَّ مِشْيَتَـهُ وَأَخْطَـأَ مَشْيَهـا فَلِـذاكَ سَمَّـوْهُ أَبـا المِـرْقـالِ

وَيُقالُ لَهُ(٤) : ابْنُ الأَرْضِ ، وَابْنُ بَرِيحٍ ، وَابْنُ دَأْيَةَ .

وَهوَ أَصنافٌ : الغُدافُ ، وَالزَّاغُ ، وَالأَكْحَلُ ، وَغُرابُ الزَّرْعِ ، وَالأَوْرَقُ ـ وَهَذا الصِّنْفُ يَحْكِي جَميعَ ما يَسْمَعُهُ ـ والغُرابُ الأَعْصَمُ عَزيزُ الوُجُودِ ؛ قَالتِ العَرَبُ(٥) : « أَعَزُّ من الغُرابِ الأَعْصَمِ » .

● وَقالَ ﷺ : « مَثَلُ المَرْأَةِ الصَّالِحَةِ في النِّساءِ ، كَمَثَلِ الغُرابِ الأَعْصَمِ في مِئَةِ غُرابٍ » . رَوَاهُ « الطَّبرانيُّ »(٦) من حَديثِ أَبي أُمامَةَ .

وَفي رِوايَةِ ابنِ أَبي شَيْبَةَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَما الغُرابُ الأَعْصَمُ ؟ قالَ : « الذِي إِحْدَى رِجْلَيْه بَيْضاءُ » .

● وَرَوَى « الإِمامُ أَحمد » والحاكِمُ في « مُسْتَدْرَكِهِ »(٧) : عن عَمرو بن

---

(١) المُرَصَّع ١٣٦ و ١١٨ و ١١٩ و ١٣٧ و ١٨٤ و ١٩٤ و ٢١١ و ٢٣٨ و ٢٧٤ و ٣٦٩ . ولم يُذكر فِيهِ : أَبو المرقال .
(٢) في أ ، ب : × . . . سالف الأَحوال .
(٣) في ب : × . . . من الإِرقال .
(٤) المُرَصَّع ٦٦ و ٩٤ و ١٧٠ .
(٥) الميدانيّ ٢/ ٤٤ وحمزة ١/ ٢٩٩ والعسكريّ ٢/ ٦٤ والزَّمخشريّ ١/ ٢٤٥ .
(٦) المعجم الكبير ٨/ ٢٠١ رقم (٧٨١٧) والروض الأُنف ٢/ ٦٩ .
(٧) مسند أحمد ٤/ ١٩٧ و ٢٠٥ والمستدرك ٤/ ٦٠٢ .

العاص رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قالَ : كُنَّا معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بمَرِّ الظَّهْرانِ ، فإذا بغِرْبانٍ كَثيرَةٍ ، فِيها غُرابٌ أَعْصَمُ ، أَحْمَرُ المِنْقَارِ والرِّجْلَيْنِ ، فقالَ ﷺ : « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ من النِّسَاءِ إلاَّ مِثْلُ هَذَا الغُرابِ في هَذِهِ الغِرْبانِ » . وإِسْنادُهُ صَحيحٌ ، وَهوَ في « السُّنَنِ الكُبْرَى » للنَّسائيِّ .

قالَ في « الإِحْياءِ » : الأَعْصَمُ : أَبْيَضُ البَطْنِ ؛ وَقالَ غَيْرُهُ : الأَعْصَمُ : أبْيَضُ الجَناحيْنِ . وقيل : أَبْيَضُ الرِّجلَيْنِ .

أَرادَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قِلَّةَ الصَّالِحَةِ في النِّساءِ ، وَقِلَّةَ من يَدْخُلُ الجَنَّةَ منهُنَّ ؛ لأَنَّ هَذَا الوَصْفَ في الغِرْبانِ عَزيزٌ قَليلٌ .

● وَفي وَصِيَّةِ لُقْمانَ لابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ، اتَّقِ المَرْأَةَ السُّوءَ ، فإِنَّها تُشيبكَ قبلَ المَشيبِ ، وَاتَّقِ شِرارَ النِّساءِ ، فإِنَّهُنَّ لا يَدْعُونَ إِلى خَيْرٍ ، وَكُنْ من خِيارِهِنَّ على حَذَرٍ .

● وَقالَ الحَسَنُ : وَاللهِ ما أَصْبَحَ رَجُلٌ يُطِيعُ امْرَأَتَهُ فِيما تَهْوى إِلاَّ كَبَّهُ اللهُ في النَّارِ .

● وَقالَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : خالِفُوا النِّساءَ ، فإِنَّ في خِلافِهِنَّ البَرَكة .

● وَقد قِيلَ : شاوِرُوهُنَّ وَخالِفُوهنَّ .

● وَفي « السِّيْرَةِ »[1] في قِصَّةِ حَفْرِ زَمْزَمَ ، لَمَّا رَأَى عَبْدُ المُطَّلبِ قائِلاً يَقُولُ لَهُ : احْفِرْ طَيْبَةَ . قالَ : وَما طَيْبَةُ ؟ قالَ : زَمْزَمُ . قالَ : وَما علامَتُها ؟ قالَ : بَيْنَ الفَرْثِ وَالدَّمِ ، عِنْدَ نُقْرَةِ الغُرابِ الأَعْصَمِ .

قالَ السُّهيليُّ : في ذلكَ إِشارَةٌ إِلى أَنَّ الذِي يَهدمُ الكَعْبَةَ صِفَتُهُ كَصِفَةِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٤٣ والروض الأُنف ٢/ ٦٩ .

الغُرابِ ، وَهُو ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ .

● رَوَى « مُسلم »[1] عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ ، رَجُلٌ من الحَبَشَةِ » .

● وَفي « البُخاريّ »[2] عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ ، يَقْلَعُها حَجَراً حَجَراً » .

● وَفي حَديثِ حُذَيْفَةَ الطَّويل : « كَأَنِّي بِحَبَشِيٍّ أَفْحَجِ السَّاقَيْنِ ، أَزْرَقِ العَيْنَيْنِ ، أَفْطَسِ الأَنْفِ ، كَبيرِ البَطْنِ ، وَأَصْحابه ، يَنْقُضُونَها حَجَراً حَجَراً ، وَيَتَناوَلُونَها حتَّى يَرْمُوا بِها إِلى البَحْرِ » يَعْني الكَعْبَةَ . ذَكَرَهُ أَبُو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزيّ .

وَذَكَرَ الحَليميُّ : أَنَّ هذا يَكُونُ في زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ .

● وَفي الحَديثِ : « اسْتَكْثِرُوا من الطَّوافِ بِهَذَا البَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، فَقَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ ، وَيُرْفَعُ في الثَّالِثَةِ » .

● **وَغُرابُ اللَّيْلِ** : قالَ الجاحِظُ[3] : هُوَ غُرابٌ تَرَكَ أَخْلاقَ الغِرْبانِ ، وَتَشَبَّهَ بِأَخْلاقِ البُومِ ، فَهو من طَيْرِ اللَّيْلِ .

وَسَمعتُ بَعْضَ الثِّقاةِ يَقُولُ : إِنَّ هَذا الغُرابَ يُشاهَدُ كَثيراً في اللَّيْلِ .

● وَقالَ أَرسطاطاليس في « النُّعوتِ » : الغِرْبانُ أَرْبَعَةُ أَجناسٍ : أَسودُ حالِكٌ ، وَأَبْلَقُ ، وَمُطَرَّفٌ بِبَياضٍ ، لَطِيفُ الجِرْمِ ، يَأْكُلُ الحَبَّ ، وَأَسْوَدُ طاووسيٌّ بَرَّاقُ الرِّيْشِ ، وَرِجْلاهُ كَلَوْنِ المَرْجانِ ، يُعْرَفُ بِالزَّاغِ .

---

(١) مسلم (٢٩٠٩) والبخاريّ ٢/ ١٥٩ .

(٢) البخاريّ ٢/ ١٥٩ والنّهاية ٣/ ٤١٥ .

(٣) الحيوان ٢/ ٣١٥ وثمار القُلوب ٢/ ٦٧٢ .

● وَفي طَبْعِ الغُرابِ كُلِّه الاسْتِتَارُ عندَ السِّفادِ ، وَهُوَ يَسْفِدُ مُواجَهَةً ، وَلا يَعُودُ إِلى الأُنْثَى بعدَ ذلكَ لِقِلَّةِ وَفائِه .

وَالأُنْثَى تَبيضُ أَربعَ بَيْضاتٍ وَخَمْساً ، وَإِذا خَرَجَتِ الفِراخُ من البَيْضِ طَرَدَتْها ، لأَنَّها تَخْرُجُ[1] قَبيحَةَ المَنْظَرِ جِدّاً ، إِذْ تَكُونُ صِغارَ الأَجْرامِ ، كَبيرَةَ الرُّؤُوسِ وَالمَناقيرِ ، جَرْداءَ اللَّوْنِ ، مُتفاوِتَةَ الأَعْضاءِ ؛ فَالأَبوانِ يَنْظُرانِ الفَرْخَ كذلِكَ فَيَتْرُكانِهِ ، فَيَجْعَلُ اللهُ قُوتَهُ في الذُّبابِ والبَعُوضِ الكائِنِ في عُشِّهِ إِلى أَنْ يَقْوَى وَيَنبتَ رِيشُهُ ، فَيَعُودُ إِلَيْهِ أَبواهُ .

وَعَلَى الأُنْثَى أَنْ تَحْضنَ ، وَعَلى الذَّكَرِ أَنْ يَأْتِيَها بالمَطْعَمِ .

وَفي طَبْعِهِ أَنَّهُ لا يَتعاطَى الصَّيْدَ ، بل إِنْ وَجَدَ جِيْفَةً أَكَلَ مِنْها ، وَإِلاَّ مَاتَ جُوعاً ؛ وَيَتَقَمْقَمُ كَمَا يَتقَمْقَمُ ضِعافُ الطَّيْرِ .

وَفيهِ حَذَرٌ شَديدٌ وَتَنافُرٌ ، وَالغُدافُ يُقاتِلُ البُومَ وَيَخطفُ بَيْضَها وَيَأْكُلُهُ .

● وَمِنْ عَجيبِ أَمْرِهِ : أَنَّ الإِنْسانَ إِذا أَرادَ أَنْ يَأْخُذَ فِراخَهُ ، يَحملُ الذَّكَرُ وَالأُنثى في أَرْجُلِهِما حِجارَةً ؛ وَيَتَحَلَّقانِ الجَوَّ ، وَيَطرحانِ الحِجارَةَ عَلَيْهِ ، يُريدانِ بِذلك دَفْعَهُ .

● قَالَ الجاحِظُ[2] : قالَ صاحِبُ « مَنْطِقِ الطَّيْرِ » : الغُرابُ من لِئامِ الطَّيْرِ ، وَلَيْسَ من كِرامِها وَلا من أَحْرارِها .

وَمِنْ شَأْنِه أَكْلُ الجِيَفِ والقُماماتِ ؛ وَهُوَ إِمَّا حالِكُ السَّوادِ ، شَديدُ الاحْتِراقِ ، وَيكُونُ مِثْلُهُ في النَّاسِ الزِّنْجُ ، فإِنَّهم شِرارُ الخَلْقِ تَرْكِيباً وَمِزاجاً ، كَمَنْ بَرَدَتْ بِلادُهُ وَلَمْ تُنْضِجْهُ الأَرحامُ ، أَو سَخَنَتْ بلادُهُ فَأَحْرَقَتْهُ الأَرْحامُ .

وَإِنَّما صارَتْ عُقُولُ أَهْلِ بابِلَ فَوقَ العُقُولِ ، وَكَمالُهم فَوْقَ الكَمالِ ، لأَجْلِ

---

(١) الحيوان ٢/٣١٨ و ٣/٤٦٣ والمجالسة ٤/٢٠٠ وعجائب المخلوقات ٢٨٢ .

(٢) الحيوان ٢/٣١٣ ـ ٣١٥ .

ما فِيها من الاعْتِدالِ .

فَالغُرابُ الشَّديدُ السَّوادِ ، لَيْسَ لَهُ مَعْرِفَةٌ ولا كَمالٌ ، وَالغُرابُ الأَبْقَعُ كَثِيرُ المَعرفَةِ ، وَهُوَ أَلأَمُ من الأَسْوَدِ . انتهى .

وَالعَرَبُ تَتَشاءَمُ بِالغُرابِ ، وَلِذا اشْتَقُّوا من اسْمِهِ : الغُرْبَةَ ، وَالاغْتِرابَ ، وَالغَرِيبَ .

● **فائِدَةٌ أَجْنَبِيَّةٌ** : اسْمُ الغُرْبَةِ مَجْمُوعٌ من أَسْمَاءِ دالَّةٍ على مَحْصُولِ اسْمِ الغُرْبَةِ : فَالغَيْنُ من غَدْرٍ وَغُرُورٍ ، وَغَيْبَةٍ ، وَغَمٍّ ، وَغُلَّةٍ ـ وَهِيَ حرارَةُ الحُزْنِ ـ وَغِرَّةٍ ، وَغُولٍ ـ وَهِيَ كُلُّ مَهلَكَةٍ ـ . وَالرَّاءُ من : رُزْءٍ ، وَرَوْعٍ ، وَرَدىً ـ وَهُوَ الهَلاكُ ـ. وَالباءُ من : بَلْوَى ، وَبُؤْسٍ ، وَبَرْحٍ ـ وَهُوَ الدَّاهِيَةُ ـ وَبَوارٍ ـ وَهُوَ الهَلاكُ ـ . وَالهَاءُ من : هَوانٍ ، وَهَوْلٍ ، وَهَمٍّ ، وَهُلْكٍ . قالَهُ محمَّد بن ظَفر في « السَّلْوانِ » .

● **وَغُرابُ البَيْنِ الأَبْقَعُ** : قَالَ الجَوْهريُّ[(١)] : هُوَ الذِي فِيهِ سَوادٌ وَبَياضٌ .

● وَقالَ صاحِبُ « المُجالَسَةِ »[(٢)] : سُمِّيَ غُرابَ البَيْنِ ، لأَنَّهُ بَانَ عن نُوحٍ على نَبيِّنا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ لَمَّا وَجَّهَهُ لِيَنْظُرَ إِلى المَاءِ ، فَذَهَبَ وَلَمْ يَرْجِعْ ، وَلِذلكَ تشاءَمُوا بِهِ .

● وَذَكَرَ ابْنُ قُتيبَةَ[(٣)] : أَنَّهُ سُمِّيَ فاسِقاً فِيما أَرَى ، لِتَخَلُّفِهِ حِينَ أَرْسَلَهُ نُوحٌ عليْهِ السَّلامُ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِ الأَرْضِ ، فَتَرَكَ أَمْرَهُ وَوَقَعَ على جِيْفَةٍ .

قالَ عَنْتَرَةُ[(٤)] : [من الكامل]

---

(١) الصِّحاح « بقع » ٣/ ١١٨٧ .

(٢) المجالسة ٣/ ٢٩٨ .

(٣) المعاني الكبير ١/ ٢٦٤ .

(٤) ديوانه ٢٦٢ .

طَعَنَ الَّذينَ فِراقَهُمْ أَتَوَقَّعُ وَجَرَى بِبَيْنِهِمُ الغُرابُ الأَبْقَعُ

● وَقالَ صاحِبُ « مَنْطِقِ الطَّيْرِ »[1] : الغِرْبانُ جِنْسٌ من الأَجْناسِ التي أُمِرَ بِقَتْلِها في الحِلِّ والحَرَمِ من الفَواسِقِ ؛ اشْتُقَّ لَها ذلكَ الاسْمُ من اسْمِ إِبْليسَ ، لِمَا يَتَعاطَاهُ من الفَسادِ الذي هو شَأْنُ إِبليسَ ، وَاشْتُقَّ ذلكَ أَيْضاً لِكُلِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ أَذاهُ

وَأَصْلُ الفِسْقِ : الخُرُوجُ عن الشَّيْءِ ؛ وَفي الشَّرْعِ : الخُرُوجُ عن الطَّاعَةِ . ا هـ .

● قالَ الجاحِظُ[2] : غُرابُ البَيْنِ نَوْعانِ : أَحَدُهُما غُرابٌ صَغيرٌ ، مَعرُوفٌ بِاللُّؤْمِ والضَّعْفِ .

وَأَمَّا الآخَرُ : فإِنَّهُ يَنْزِلُ في دُورِ النَّاسِ ، وَيَقَعُ على مَواضِعِ إِقامَتِهِم إِذا ارْتَحَلُوا عَنْها وَبانُوا مِنْها .

قالَ[3] : وَكُلُّ غُرابٍ غُرابُ البَيْنِ ، إِذا أَرادُوا بِهِ الشُّؤْمَ ، لا غُرابَ البَيْنِ نَفْسَهُ الذي هُوَ غُرابٌ صَغيرٌ أَبْقَعُ .

وإِنَّما[4] قِيلَ لِكُلِّ غُرابٍ : غُرابُ البَيْنِ ، لأَنَّهُ يَسْقُطُ في منازِلِهِم إِذا سَارُوا مِنْها وَبانُوا مِنْها ؛ فَلَمَّا كان هَذا الغُرابُ لا يُوجَدُ إِلاَّ عِنْدَ بَيْنُونَتِهِم عن منازِلِهِم ، اشْتَقُّوا لَهُ هَذا الاسْمَ من البَيْنُونَةِ .

● وَقالَ المَقْدسيُّ في « كَشْفِ الأَسْرارِ في حِكَمِ الطُّيُورِ وَالأَزْهارِ »[5] في

---

(١) الحيوان ٢/ ٣١٧ .
(٢) الحيوان ٢/ ٣١٥ وثمار القلوب ٢/ ٦٧٠ .
(٣) الحيوان ٣/ ٤٣١ .
(٤) الحيوان ٣/ ٤٣٩ .
(٥) كشف الأسرار ٨٢ ـ ٨٣ . وقد تصرَّفَ الدَّميريّ بالقسم النَّثريّ . والقصيدة بتمامها في زهر الأكم ٢/ ٢٤٩ . والأوَّل وَالثَّاني فيه ٣/ ٢١١ .

صِفَةِ غُرابِ البَيْنِ :

هُوَ غُرابٌ أَسْوَدُ يَنُوحُ نَوْحَ الحَزِينِ المُصابِ ، وَيَنْعِقُ بَيْنَ الخِلاَّنِ وَالأَحْبابِ ؛ إذا رَأَى شَمْلاً مُجْتَمِعاً أَنْذَرَ بِشَتاتِهِ ، وَإِنْ شاهَدَ رَبْعاً عامِراً بَشَّرَ بِخَرابِهِ وَدُرُوسِ عَرَصاتِهِ ؛ يُعَرِّفُ النَّازِلَ والسَّاكِنَ بِخَرابِ الدُّورِ وَالمَساكِنِ ، وَيُحَذِّرُ الآكِلَ غُصَّةَ المَأْكَلِ ، وَيُبَشِّرُ الرَّاحِلَ بِقُرْبِ المَرْحَلِ ، ينعقُ بِصَوْتٍ فِيهِ تَحْزِينٌ ، كَما يَصِيحُ المُعْلِنُ بِالتَّأْذِينِ ؛ وَأَنْشَدَ على لِسانِ حالِهِ : [من الوافر]

أَنُوحُ على ذَهابِ العُمْرِ مِنِّي ... وَحُقَّ أَنْ أَنُوحَ وَأَنْ أُنادِي
وَأَنْدُبُ كُلَّما عايَنْتُ رَكْباً ... حَدا بِهِمُ لِوَشْكِ البَيْنِ حادِي
يُعَنِّفُنِي الجَهُولُ إذا رَآني ... وَقَدْ أُلْبِسْتُ أَثْوابَ الحِدادِ
فَقُلْتُ لَهُ اتَّعِظْ بِلِسانِ حالِي ... فَإِنِّي قد نَصَحْتُكَ باجْتِهادِ
وَها أَنا كالخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدْعاً ... عَلَى الخُطَباءِ أَثْوابُ السَّوادِ
أَلَمْ تَرَنِي إذا عايَنْتُ رَكْباً ... أُنادِي بِالنَّوى في كُلِّ نادِ
أَنُوحُ على الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي ... بِساحَتِها سِوى خُرْسِ الجَمادِ
فَأُكْثِرُ في نَواحِيها نُواحِي ... مِنَ البَيْنِ المُفَتِّتِ لِلْفُؤادِ
تَيَقَّظْ يا ثَقِيلَ السَّمْعِ وافْهَمْ ... إِشارَةَ مَن تَسِيرُ بِهِ الغَوادِي
فَما مِن شاهِدٍ في الكَوْنِ إلاَّ ... عَلَيْهِ مِن شُهُودِ الغَيْبِ بادِي
وَكَمْ مِن رائِحٍ فِيها وَغادٍ ... يُنادَى مِن دُنُوٍّ أَو بِعادِ :
« لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَو نادَيْتَ حَيّاً ... وَلَكِنْ لا حَياةَ لِمَنْ تُنادِي »(1)

فَدَلَّ قَوْلُهُ : « وَقَدْ أُلْبِسْتُ أَثْوابَ الحِدادِ » و« لَيْسَ بِدْعاً على الخُطَباءِ أَثْوابُ السَّوادِ » أَنَّهُ أَسْوَدُ .

وَقَوْلُهُ : « فَلَمْ يُجِبْنِي بِساحَتِها سِوى خُرْسِ الجَمادِ » أَنَّهُ يُوجَدُ عندَ مُفارَقَةِ

---

(1) البيت مضمَّن ، وهو لعمرو بن معدي كرب الزُّبيديّ ، في ديوانه ١١٣ .

أَهْلِ المَواضِعِ لَها .

وَأَمّا قَوْلُهُ : « وَيَنْغِقُ بَيْنَ الخِلاَّنِ وَالأَحْبابِ » فَهُوَ بِالغَيْنِ المُعْجَمَةِ عِندَ جُمْهُورِ أَهْلِ اللُّغَةِ ، وَهُوَ الذي قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ ، وَجَعلَ غَيْرَهُ خَطأً .

وَنقَلَ البَطَلْيَوْسِيُّ عن « صاحِبِ المَنْطِقِ » أَنَّهُ قالَ : نَعقَ الغُرابُ وَنغَقَ . قالَ : وَهُوَ بِالغَيْنِ المُعْجَمَةِ أَحْسَنُ ؛ وَحَكَى ابنُ جِنِّي مثلُ ذلكَ .

● وَقد أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّينِ زُهير وزير المَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّين أَيُّوب بن المَلِكِ الكامِلِ محمَّد ، بِقَوْلِهِ في البَيْنِ من أَبْياتٍ[1] : [من الطويل]

لَقَدْ ظَلَمَتْنِي واسْتَطالَتْ يَدُ النَّوى ... وَقَدْ طَمِعَتْ في جانِبِي كُلَّ مَطْمَعِ
إِلى كَمْ أُقاسِي فُرْقَةً بَعْدَ فُرْقَةٍ ... وَحَتَّى مَتَى يا بَيْنُ أَنْتَ مَعِي مَعِي
وَقالَتْ : عَلِمْنا ما جَرَى مِنْكَ بَعْدَنا ... فَلا تَظْلِمِيْنِي ما جَرَى غَيْرُ أَدْمُعِي

● وَلَهُ مُلْغِزاً في قُفْلٍ ، وَقَدْ أَجادَ[2] : [من الطَّويل]

وَأَسْوَدَ عارٍ أَنْحَلَ البَرْدُ جِسْمَهُ ... وَما زَالَ من أَوْصافِهِ الحِرْصُ والمَنْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حارِساً ... وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَشِعْرُهُ عِنْدَ أَهْلِ الصِّناعَةِ يُسَمَّى : السَّهْلَ المُمْتَنِع ؛ وَكانَ مُتَمَكِّناً من المَلِكِ الصَّالِحِ ، وَلا يَتَوَسَّطُ إِلاَّ بِالخَيْرِ ؛ وَكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمسينَ وَسِتِّمئَةٍ ، رحمهُ اللهُ تعالَى[3] .

وَيُقالُ[4] : إِذا صَاحَ الغُرابُ مَرَّتَيْنِ ، فَهُوَ شَرٌّ ؛ وإِذا صَاحَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَهوَ خَيْرٌ ، عَلى قَدْرِ عَدَدِ الحُرُوفِ .

---

(١) ديوان البهاء زهير ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) ديوانه ١٥٨ .

(٣) ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢ والوافي بالوفيات ١٤/ ٢٣١ وسير أعلام النُّبلاء ٢٣/ ٣٥٥ والنُّجوم الزَّاهرة ٧/ ٦٢ وشذرات الذَّهب ٧/ ٤٧٦ .

(٤) الحيوان ٣/ ٤٥٨ .

وَلَمَّا كان صافِيَ العَيْنِ ، حادَّ البَصَرِ ، سَمَّوْهُ أَعْوَرَ .

● وَقالَ الجاحِظُ[1] : إِنَّهُمْ سَمَّوْهُ بِالأَعْوَرِ تَطَيُّراً منهُ ، وَتشاؤُماً بِهِ ، وَلَيْسَ بِهِ عَوَرٌ .

وَقيلَ : إِنَّما سَمَّوْهُ أَعْوَرَ ، تَفاؤُلاً بِالسَّلامَةِ منهُ ، كما سَمَّوْا البَرِّيَّةَ بِالمَفازَةِ ، وَاليَدَ الشِّمالَ بِاليَسارِ .

وَالتَّطَيُّرُ : أَصْلُهُ من الطَّيْرِ إِذا مَرَّ بارِحاً ، أَوْ سانِحاً ، أَو قَعِيداً ، أَو ناطِحاً ؛ فَالبارِحُ : ما أَتَى من ناحِيَةِ المَيامِنِ ، وَالسَّانِحُ ـ بِالنُّونِ وَالحاءِ المُهملَةِ ـ : ما أَتَى من ناحِيَةِ المَياسِرِ ، وَالنَّاطِحُ : ما تَلَقَّاكَ ، وَالقَعيدُ : ما اسْتَدْبَرَكَ .

وَإِنَّما كان الغُرابُ هُوَ المُقَدَّمُ عِندَهم في بابِ الشُّؤْمِ ؛ لأَنَّهُ كان أَسْوَدَ ، وَلَوْنُهُ مُخْتَلِفاً إِنْ كان أَبْقَعَ ، وَلَمْ يَكُنْ على إِبِلِهم شَيْءٌ أَشَدَّ من الغُرابِ ؛ وَكانَ حَديدَ البَصَرِ يُخافُ من عَيْنَيْهِ كَمَا يُخافُ من عَيْنِ المِعْيَانِ ، قَدَّمُوهُ في بابِ الشُّؤْمِ . انتهى .

وَقيلَ : إِنَّما سَمَّوْهُ أَعْوَرَ ، لِتَغْميضِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ أَبَداً من قُوَّةِ بَصَرِهِ . قالَهُ ابْنُ الأَعرابيِّ . وَسَيَأْتي في الأَمْثالِ شَيْءٌ من هذا .

● فائِدَةٌ : قالَ صاحِبُ « العَشَراتِ » : اسْمُ الغُرابِ من الأَسْماءِ المُشْتَرَكَةِ ، يَقَعُ على الثَّلْجِ ، وَعلى الضَّفِيْرَةِ من الشَّعْرِ ، وَعَلى المِعْوَلِ ، وَعَلى رَأْسِ الوَرِكِ ، وَعَلى الغُرابِ نَفْسِهِ .

قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ المُهَلَّبِيّ ـ يَعْنِي نِفْطَوَيْهِ ـ ؛ كَنَّى عَنْهُ لأَنَّهُ كان في زَمَانِهِ[2] ، عن ثَعلَبٍ ، عن ابْنِ الأَعْرابيِّ[3] : [من الرَّجَز]

---

(١) الحيوان ٢/٣١٦ و ٣/٤٣٩ و ٤٤٣ .

(٢) أي في زمان الوزير المهلَّبيّ .

(٣) الشَّطران في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « غرب » بلا نسبة .

يَـا عَجَبَـاً لِلْعَجَـبِ العُجَـابِ خَمْسَـةُ غِـرْبـانٍ علـى غُـرابِ

وَقالَ أَرْسطاطاليس في « النُّعوتِ » : غُرابُ البَيْنِ : جِسْمُهُ أَسْوَدُ ، وَمِنْقارُهُ وَرِجْلاهُ صُفْرٌ ، وَمَأْكَلُهُ من جَميعِ النَّباتِ واللُّحُومِ .

● وَفِي الحَدِيثِ[1] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن نَقْرَةِ الغُرابِ » يُرِيدُ بذلِكَ تَخْفيفَ السُّجُودِ ، وَأَنَّهُ لا يَمْكُثُ فِيهِ إلاَّ قَدْرَ وَضْعِ الغُرابِ مِنْقارَهُ فِيما يُرِيدُ أَكْلَهُ .

● وَرَوى البُخارِيّ في « الأَدَبِ » والحاكم في « المُستدرك » وَالبَيْهَقيّ في « الشُّعَبِ » وابن عبد البَرِّ وغَيْرُهم[2] ، عن عبدِ اللهِ بن الحارِثِ بن أَبْزَى ، عن أُمِّهِ رائِطَة بنت مُسلم ، عن أَبيها ، أَنَّهُ قَالَ : شَهِدْتُ مع النَّبيِّ ﷺ حُنَيْناً ، فقالَ : « مَا اسْمُكَ ؟ » قُلْتُ : اسْمِي غُرابٌ ، فقالَ ﷺ : « بَلْ أَنْتَ مُسْلِمٌ » .

وإِنَّما غَيَّرَ النَّبيُّ ﷺ اسْمَهُ ، لأَنَّهُ حَيوانٌ خَبيثُ الفِعْلِ ، خَبيثُ المَطْعَمِ ؛ وَلذلكَ أَمَرَ ﷺ بِقَتْلِهِ في الحِلِّ والحَرَمِ .

● وَفـي « سُنَـنِ أَبـي داود »[3] : أَنَّ النَّبـيَّ ﷺ أَتـاهُ رَجُـلٌ ، فقـالَ : « مَا اسْمُكَ ؟ » قالَ : أَصْرَمُ . قالَ : « بَلْ أَنْتَ زُرْعَة » . وَإِنَّما غَيَّرَهُ لِما فِيهِ من مَعْنَى الصَّرْمِ ، وهُوَ القَطْعُ .

قَالَ أَبُو داود[4] : وَغَيَّرَ النَّبيُّ ﷺ اسْمَ العاصِ ، وَعَزيز ، وَعَتَلَة ، وَشَيطان ، وَالحَكَم ، وَحُباب ، وَشِهاب ، وَأَرْضٍ تُسَمَّى عَفِرَةً ، فَسَمَّاها النَّبيُّ ﷺ خَضِرَة .

فَـالعـاصُ : كَـرِهَـهُ لِمَعْنَـى العِصْيـانِ ، وَإِنَّمـا صِفَـةُ المُـؤْمِـنِ الطَّـاعَـةُ وَالاسْتِسْلامُ .

---

(١) عن النِّهاية ٥/ ١٠٤ .

(٢) الأَدب المفرد (٨٢٤) ومستدرك الحاكم ٤/ ٢٧٥ .

(٣) أَبو داود (٤٩٥٤) ومستدرك الحاكم ٤/ ٢٧٦ .

(٤) أَبو داود (٤٩٥٦) ومستدرك الحاكم ٤/ ٢٧٥ـ٢٧٦ .

وَعَزيزٌ : إنَّما غَيَّرَهُ ، لأَنَّ العِزَّةَ للهِ تَعالَى ، وَشِعارُ العَبْدِ الذِّلَّةَ وَالاسْتِكانَةُ ؛ وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالَى عندَما قَرَّعَ بَعْضَ أَعْدائِهِ : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدُّخان : ٤٩] .

وَعَتَلَةُ : مَعْناهُ الشِدَّةُ وَالغِلْظَةُ ؛ وَمِنْ صِفَةِ المُؤْمِنِ اللِّيْنِ والسُّهُولَةُ ؛ قالَ ﷺ : « المُؤْمِنُونَ هَيْنُونَ لَيْنُونَ » .

وَالشَّيْطانُ : اشْتِقاقُهُ من البُعْدِ عن الخَيْرِ .

وَالحَكَمُ : هُوَ الحاكِمُ الذِي لا يُرَدُّ حُكْمُهُ ، وَهذِهِ الصِّفَةُ لا تَلِيقُ بِغَيْرِ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى .

وَالحُبابُ : اسْمُ الشَّيْطانِ .

والشِّهابُ : اسْمٌ للشُّعْلَةِ من النَّارِ ، وَالنَّارُ عُقُوبَةُ اللهِ تعالى ، وَهي مُحْرِقَةٌ مُهلِكَةٌ ، نَسْأَلُ اللهَ النَّجاةَ مِنْها .

وَأَمَّا عَفِرَةٌ : فَهوَ نَعْتٌ لأَرْضٍ لا تُنْبِتُ شَيْئاً ، فَسَمَّاها خَضِرَةً على مَعْنَى التَّفاؤُلِ ، لِتَخْضَرَّ وَتُزْرَعَ .

● وَفي « سُنَنِ أَبي داود » و« النَّسائيّ » و« ابن ماجه »[1] من حَديثِ عبدِ الرَّحمنِ بن شِبْلٍ ، وَلَيْسَ لَهُ في الكُتُبِ السِّتَّةِ سِواهُ : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى المُصَلِّيَ عن نَقْرَةِ الغُرابِ » .

وَرَواهُ « الحاكِمُ »[1] بلَفْظِ « نَهى عن نَقْرَةِ الغُرابِ ، وافْتِراشِ السَّبُعِ ، وَأَن يُوطِنَ الرَّجُلُ المَكانَ كَما يُوطِنُهُ البَعيرُ » . يُرِيدُ بِنَقْرَةِ الغُراب : تَخفيفَ السُّجُودِ ، وَأَنَّهُ لا يَمْكُثُ فِيهِ إلاَّ قَدْرَ وَضْعِ الغُرابِ مِنْقارَهُ فِيما يُرِيدُ أَكْلَهُ .

● وَرَوَى « أَبُو يَعْلَى المَوصليّ » وَالطَّبرانيُّ في « مُعْجَمِهِ الأَوْسَطِ »[2] عن

---

(١) أَبوداود (٨٦٢) والنَّسائيّ (١١١٢) وابن ماجه (١٤٢٩) ومستدرك الحاكم ١/ ٢٢٩ .

(٢) مسند أَبي يعلى ٢/ ٢٢٢ رقم (٩٢١) والمعجم الأَوسط للطَّبرانيّ ٣/ ٣٩٧ رقم (٣١٤٠) .

سَلَمَةَ بن قَيْصَر ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ صامَ يَوْماً ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ ، باعَدَهُ اللهُ من النَّارِ ، كَبُعْدِ غُرابٍ طَارَ وَهو فَرْخٌ حتَّى ماتَ هَرَماً » . وَفِي إِسْنادِهِ ابْنُ لَهيعَةَ ، وَفِيهِ كَلامٌ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ مثلَهُ عن رِسُولِ اللهِ ﷺ .

وَرَواهُ الإمامُ أَحمد في « الزُّهْدِ » وَالبَزَّارُ ، وَفِيهِ رَجُلٌ لَمْ يُسَمَّ .

● وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الحاءِ المُهملَةِ » في لَفْظِ «الحَيَّةِ» ما رَواهُ الدَّارَقُطْنيّ عن أَبي أُمامَةَ ، قالَ : دَعَا النَّبيُّ ﷺ بِخُفَّيْه لِيَلْبَسَهُما ، فَلَبِسَ أَحَدَهُما ، ثمَّ جاءَ غُرابٌ فاحْتَمَلَ الآخَرَ وَرَمَى بِهِ ، فَخَرَجَتْ منهُ حَيَّةٌ ، فقَالَ ﷺ : « مَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، فَلا يَلْبِسْ خُفَّيْهِ حَتَّى يَنْفُضَهُما » .

وَفِي إِسْنادِهِ هِشام بن عمرو ، ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّان في « الثّقات » وهو حَدِيثٌ صَحيحٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالى .

وَقَدْ تقَدَّمَ في « الأَسود السَّالِخِ » حَديثٌ نَظيرُ هَذَا .

● وَرَوَى الإمامُ أَحمد في « الزُّهْدِ » عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، أَنَّهُ كان إِذا نَعَبَ الغُرابُ قالَ : اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ ، وَلا خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ .

● وَرَوَيْنا عن ابْنِ طَبَرْزَذٍ بإِسْنادِهِ إِلى الحَكَم بن عبدِ اللهِ بن خُطَّافٍ ، عن الزُّهريّ ، عن أَبي واقِدٍ ، عن رَوْح بن حَبيبٍ ، قَالَ[(١)] : بَيْنَما أَنا عِنْدَ أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، إِذْ أُتِيَ بِغُرابٍ ، فَلَمَّا رآهُ بجَناحَيْنِ حَمِدَ اللهَ تَعالَى ، ثمَّ قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا صِيْدَ قَطُّ صَيْدٌ إِلاَّ بنَقْصٍ من تَسْبِيْحٍ ؛ وَلا أَنْبَتَ اللهُ تَعالَى نابتَةً ، إِلاَّ وَكَّلَ بِها مَلَكاً يُحصي تَسْبيحَها حتَّى يَأْتِيَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ ؛

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٣٩ .

وَلا عُضِدَتْ شَجَرَةٌ وَلا قُطِعَتْ ، إلاَّ بنَقْصٍ من تَسْبيحٍ ؛ وَلا دَخَلَ على امْرِئٍ مَكْرُوهٌ إلاَّ بِذَنْبٍ ، وَما عَفَا اللهُ عنهُ أَكْثَرُ » . يَا غُرابُ ، اعْبُدِ اللهَ ؛ ثمَّ خَلَّى سَبيلَهُ .

وسَيَأْتِي نَظيرُ هَذَا في لَفْظِ « القَسْوَرَةِ » من كَلامِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : قالَ أَبُو الهَيْثَمِ : يُقالُ : إِنَّ الغُرابَ يُبْصِرُ من تَحْتِ الأَرْضِ بِقَدْرِ مِنْقارِه .

وَالحِكْمَةُ في أَنَّ اللهَ تَعالَى بَعَثَ إِلى قابيلَ لَمَّا قَتَلَ أَخاهُ هابيلَ غُراباً ، وَلَمْ يَبْعثْ لَهُ غَيْرَهُ من الطَّيْرِ ولا من الوَحْشِ : أَنَّ القَتْلَ كان مُسْتَغْرَباً جِدّاً ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعْهُوداً قبلَ ذلكَ ، فناسَبَ بَعْثَ الغُرابِ .

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ [المائدة : ٢٧] الآيات .

● قالَ المُفَسِّرُونَ[(١)] : كان قابيلُ صاحِبَ زَرْعٍ ، فَقَرَّبَ أَرْذَلَ ما عِنْدَهُ وَأَدْناهُ ؛ وَكَانَ هابيلُ صاحِبَ غَنَمٍ ، فَعَمَدَ إِلى أَفْضَلِ كِباشِه فَقَرَّبَهُ ؛ وَكانَ دَليلُ القَبُولِ أَنْ تَأْتِيَ نارٌ تَأْكُلُ القُرْبانَ ، فَأَخذَتِ النَّارُ الكَبْشَ الذِي قَرَّبَهُ هابيلُ ، فَكانَ ذَلكَ الكَبْشُ يَرْعَى في الجَنَّةِ حَتَّى أُهْبِطَ إِلى إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي فِداءِ وَلَدِهِ إِسماعِيلَ عَلَيه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ .

وَكانَ قابيلُ أَسَنَّ وَلَدِ آدَمَ علَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ .

وَرُوِيَ أَنَّ آدَمَ حَجَّ إِلى مَكَّةَ ، وَجَعَلَ قابيلَ وَصِيّاً على بَنِيْهِ ، فَقَتَلَ قابيلُ هابيلَ ، فَلَمَّا رَجَعَ آدَمُ قالَ : أَيْنَ هابيلُ ؟ فقالَ : لا أَدْرِي . فقالَ آدَمُ : اللَّهُمَّ الْعَنْ أَرْضاً شَرِبَتْ دَمَهُ ؛ فَمِنْ ذلكَ الوَقْتِ لَمْ تَشْرَبِ الأَرْضُ دَماً .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢١/٩ و ٢٦/٤٠٦ ـ ٤٠٧ وتفسير الطبري ٨/٣١٨ .

ثمَّ[1] إنَّ آدمَ بَقِيَ مِئَةَ عامٍ لا يَتَبَسَّمُ ، حَتَّى جاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ ، فقالَ لَهُ : حَيَّاكَ اللهُ يا آدمُ وَبَيَّاكَ . قالَ : وَمَا بَيَّاكَ ؟ قالَ : أَضْحَكَكَ .

وَرُوِيَ أَنَّ قابيلَ حَمَلَ أَخاهُ هابيلَ ، وَمَشَى بِهِ حتّى أَرْوَح ، وَلَمْ يَدْرِ ما يَصْنَعُ بِهِ ، فَبَعَثَ اللهُ غُرابَيْنِ ، فَقَتَلَ أَحَدُهُما الآخَرَ ، ثُمَّ بَحَثَ في الأَرْضِ بِمِنْقارِهِ وَدَفَنَهُ ، فَاقْتَدَى به قابيلُ ، فكَانَ بَعْثُ الغُرابِ حِكْمَةً كُبْرَى لِيَرَى ابْنُ آدَمَ كَيْفَ المُواراةُ ؛ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ [عبس : ٢١] .

● وَرَوَى أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « امْتَنَّ اللهُ تَعالَى على ابْنِ آدَمَ بِالرِّيْحِ بَعْدَ الرُّوْحِ ، وَلَوْلا ذلكَ ما دَفَنَ حَبيبٌ حَبيباً » .

وَقابيلُ أَوَّلُ من يُساقُ إلى النَّارِ من وَلَدِ آدَمَ ؛ قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [فصّلت : ٢٩] وَهُما : قابيلُ وإِبْلِيسُ .

● وَرَوَى أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ عن يَوْمِ الثَّلاثاءِ ؟ فقالَ : « يَوْمُ الدَّمِ ؛ فِيهِ حاضَتْ حَوَّاءُ ، وَفِيهِ قَتَلَ ابْنُ آدَمَ أَخاهُ » .

قالَ مُقاتِلٌ : وَكانَ قَبلَ ذلكَ السِّباعُ والطُّيُورُ تَسْتَأْنِسُ بآدَمَ ، فَلَمَّا قَتَلَ قابيلُ هابيلَ هَرَبَتْ منهُ الطَّيْرُ وَالوَحْشُ ، وَشاكَتِ الأَشْجارُ ، وَحَمِضَتِ الفَواكِهُ ، وَمَلُحَتِ المِياهُ ، واغْبَرَّتِ الأَرْضِ .

● وَرَوَى « أَبو داود »[2] عن سَعْد بن أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أنَّهُ قالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ دَخَلَ عليَّ إِنْسَانٌ في الفِتْنَةِ ، وَبَسَطَ إِليَّ يَدَهُ ؟ فقالَ : « كُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ » وَتَلا هَذِهِ الآيَةَ .

● **عَجِيبةٌ** : نَقَلَ القَزوينيُّ[3] عن أَبي حامد الأَنْدَلُسيّ : أَنَّ على البَحْرِ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٤٠٨ .

(٢) أبو داود (٤٢٥٧) .

(٣) عجائب المخلوقات ٩٣ وسكردان السُّلطان ٢١ .

الأَسْوَدِ من ناحِيَةِ الأَنْدَلُسِ كنيسةً من الصَّخْرِ ، مَنْقُورَةً في الجَبَلِ ، عَلَيْها قُبَّةٌ عَظيمَةٌ ، وَعلى القُبَّةِ غُرابٌ لا يَبْرَحُ ؛ وَفِي مُقابِلِ القُبَّةِ مَسْجِدٌ يَزُورُهُ النَّاسُ ، يَقُولُونَ : إِنَّ الدُّعاءَ فِيهِ مُستجابٌ ؛ وَقد شُرِطَ عَلى القِسِّيسينَ ضِيافَةُ من يَزُورُ ذلكَ المَسْجِدَ من المُسلمينَ .

فإذا قَدِمَ زائِرٌ ، أَدْخَلَ الغُرابُ رَأْسَهُ في رَوْزَنَةٍ على تِلْكِ القُبَّةِ وَصاحَ صَيْحَةً ، وَإِذا قَدِمَ اثْنانِ صاحَ صَيْحَتَيْنِ ، وَهَكَذا كُلَّما وَصَلَ زُوَّارٌ صاحَ على عَدَدِهم ، فَتَخْرُجُ الرُّهْبانُ بِطَعامٍ يَكْفِي الزَّائِرِينَ .

وَتُعْرَفُ تِلْكَ الكَنيسَةُ بِكَنِيسَةِ الغُرابِ ؛ وَزَعَمَ القِسِّيسون أَنَّهم ما زَالُوا يَرَوْنَ غُراباً على تِلْكَ القُبَّةِ ، وَلا يَدْرُونَ من أَيْنَ يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ .

● **عَجِيبَةٌ أُخْرى** : قَالَ أَبُو الفَرَجِ المُعافَى بن زَكَرِيّا في كِتابِ « الجَلِيسِ وَالأَنيس » لَهُ[1] :

كُنَّا نَجلِسُ في حَضْرَةِ القاضِي أَبِي الحُسينِ[2] ، فَجِئْنا على العادَةِ فَجَلَسْنا عِنْدَ بابِهِ ، وَإِذا أَعرابيٌّ جالِسٌ كانَتْ لَهُ حاجَةٌ ، إِذْ وَقَعَ غُرابٌ على نَخْلَةٍ في الدَّارِ ، فَصَرَخَ ثمَّ طَارَ . فقالَ الأَعرابيُّ : إِنَّ هَذا الغُرابَ يَقُولُ : إِنَّ صاحِبَ هَذِهِ الدَّارِ يَمُوتُ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ .

قالَ : فَزَجَرْناهُ ، فَقَامَ وَانْصَرَفَ ، ثمَّ خَرَجَ الإِذْنُ من القاضِي إِلَيْنا ، فَدَخَلْنا ، فَوَجَدْناهُ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ مُغْتماً ، فقُلْنا لَهُ : ما الخَبَرُ ؟ فقالَ : رَأَيْتُ البارِحَةَ في النَّوْمِ شَخْصاً يَقُولُ : [من الوافر]

---

(١) الخبر في : تاريخ بغداد ١٣/ ٨٤ والمنتظم ١٣/ ٣٩١ والبداية والنِّهاية ١٥/ ١٢١ ـ ١٢٢ . ولم أَقف عليه في المطبوع من الجليس والأَنيس للمعافى .

(٢) هو أَبو الحسين عمر بن أَبي عمر محمَّد بن يوسف بن يعقوب بن إِسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن درهم الأَزديّ . (ترجمته في مصادر الخبر) . وكانت وفاته يوم الخميس ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان ، سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة .

مَنَــازِلَ آلِ حَمَّــادِ بــنِ زَيْــدٍ عَلَــى أَهْلِيــكِ وَالنِّعَــمِ السَّــلامُ

وَقَدْ ضَاقَ صَدْرِي لِذلكَ ؛ فَدَعَوْنا لَهُ وانْصَرَفْنا ؛ فَلَمَّا كان في اليَوْمِ السَّابعِ من ذلكَ اليَوْمِ دُفِنَ .

قَالَ القاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيّ : سَمِعتُ هذهِ الحِكايَةَ من لَفْظِ شَيْخِنا أبي الفَرَجِ المَذْكُورِ .

● **عَجِيبَةٌ أُخْرى** : قالَ يَعقُوبُ بن السِّكِّيتِ[1] : كان أُمَيَّةُ بن أَبي الصَّلْتِ في بَعْضِ الأَيَّامِ يَشْرَبُ ، فَجاءَ غُرابٌ فَنعَبَ نَعْبَةً . فقالَ لَهُ أُمَيَّةُ : بِفِيْكَ التُّرابُ ؛ ثمَّ نَعَبَ أُخْرى ، فقالَ لَهُ أُمَيَّةُ : بِفِيْكَ التُّرابُ ؛ ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحابِهِ ، فقالَ : أَتَدْرُونَ ما يَقُولُ هَذَا الغُرابُ ؟ زَعَمَ أَنِّي أَشْرَبُ هَذَا الكَأْسَ فَأَمُوتُ ، وَأَمارَةُ ذلكَ أَنَّهُ يَذْهَبُ إِلى هَذا الكَوْمِ فَيَبْتَلِعُ عَظْماً فَيَمُوتُ .

قالَ : فَذَهَبَ الغُرابُ إِلى الكَوْمِ ، فَابْتَلَعَ عَظْماً فَماتَ ، ثمَّ شَرِبَ أُمَيَّةُ الكَأْسَ ، فَمَاتَ من حِيْنِهِ . اهـ .

قُلتُ : وَأُمَيَّةُ بن أَبي الصَّلْت الكافِرُ : مَذْكُورٌ في « مُختصَرِ المُزَني » و« المُهذَّب » وغيرِهما ، في « كِتابِ الشَّهاداتِ » . وَسَمِعَ النَّبيُّ ﷺ شِعْرَهُ ، الذي فِيهِ حِكَمُهُ وَإِقْرارُهُ بِالوَحْدانيَّةِ والبَعْثِ .

وَاسْمُ أَبي الصَّلْتِ : عبدُ الله بن أَبي رَبِيعَةَ بن عَوْفٍ .

وَكانَ أُمَيَّةُ يَتَعَبَّدُ في الجاهِلِيَّةِ ، وَيُؤْمِنُ بِالبَعْثِ ، وَيُنْشِدُ في ذلكَ الشِّعْرَ الحَسَنَ ؛ وَأَدْرَكَ الإِسْلامَ وَلَمْ يُسْلِمْ .

● وَرَوَى « التِّرمذيُّ » و« النَّسائيُّ » و« ابنُ ماجه »[2] عن الشَّرِيدِ بن سُويدٍ

---

(١) الأَغاني ٤/ ١٢٣ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٥٢ والبداية والنِّهاية ٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢ وترويح أُولي الدَّماثة ١/ ١٩٦ .

(٢) مسلم (٢٢٥٥) وابن ماجه (٣٧٥٨) ومسند أَحمد ٤/ ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ ومختصر تاريخ=

رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : رَدِفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقالَ : « هَلْ مَعَكَ من شِعْرِ أُمَيَّةَ ابن أَبي الصَّلْتِ شَيْءٌ ؟ » قُلتُ : نَعم . فقالَ : « هيه ». فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتاً ؛ فقالَ : « هيه » . ثمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتاً ، فقالَ : « هيه » حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِئةَ بَيْتٍ . فقالَ ﷺ : « إِنْ كَادَ لَيُسْلِمُ » .

وَفِي رِوايَةٍ : « لَقَدْ كادَ أَنْ يُسْلِمَ بِشِعْرِهِ » .

وَإِنَّما قالَ ﷺ ذلكَ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ[1] : [من الطويل]

لَكَ الحَمْدُ والنَّعْماءُ والفَضْلُ رَبَّنا ... فَلا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ حَمْداً وَأَمْجَدُ

● وَفي « مسند الدَّارميّ »[2] من حَديثِ عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، قالَ : صَدَّقَ النَّبيُّ ﷺ أُمَيَّةَ بن أَبِي الصَّلْتِ في أَبياتٍ من شِعْرِهِ في قَوْلِهِ[3] : [من الكامل]

زُحَلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِيْنِهِ ... وَالنَّسْرُ لِلأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فَقالَ ﷺ : « صَدَقَ » . قالَ :

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَمْراءَ يُصْبِحُ لَوْنُها يَتَوَرَّدُ[4]

فَقالَ ﷺ : « صَدَقَ » . قالَ :

تَأْبَى فَمَا تَبْدُو لَنا في رِسْلِها ... إِلاَّ مُعَذَّبَةً وإِلاَّ تُجْلَدُ

فَقالَ ﷺ : « صَدَقَ » .

= دمشق ٥/ ٤٧ والبداية والنِّهاية ٣/ ٢٩٢ و ٢٩٣ .

(١) ديوانه ٣٦٧ .

(٢) سنن الدارمي (٢٦٠٣) مسند أَحمد ١/ ٢٥٦ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٤٧ والبداية والنِّهاية ٣/ ٢٩٤ . وبعضه في الأَغاني ٤/ ١٢٨ و ١٣٠ وترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ٢١٥ .

(٣) ديوانه ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

(٤) في ط : × . . . . متورِّد .

● قَالَ السُّهيليُّ في « التَّعريفِ والإعلامِ » : قَوْلُهُ تعالَى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٥] الآية .

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنهما : إِنَّها نَزَلَتْ في بِلْعام بن باعُوراء(١) . وَقَالَ عبدُ اللهِ بن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : إِنَّها نَزَلَتْ في أُمَيَّةَ بن أَبي الصَّلْتِ الثَّقفيّ ، وَكانَ قد قَرَأَ التَّوراةَ والإِنْجيلَ في الجاهِلِيَّةِ ، وَكانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ من العَرَبِ ، فَطَمِعَ أَن يَكُونَ هُوَ ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ وَخَرَجَتِ النُّبُوَّةُ عن أُمَيَّةَ ، حَسَدَهُ وَكَفَرَ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ من كَتَبَ « باسْمِكَ اللَّهُمَّ » ومنهُ تَعَلَّمَتْ قُرَيْشٌ ، فَكانَت تَكْتُبُ بِهِ في الجاهِلِيَّةِ .

وَلِتَعَلُّمِ أُمَيَّةَ هَذِهِ الكَلِمَةَ نَبأٌ عَجيبٌ ذَكَرَهُ المَسعُوديُّ(٢) .

وَذلكَ أَنَّ أُمَيَّةَ كان مَصْحُوباً ، تَبْدُو لَهُ الجِنُّ ، فَخرَجَ في عِيرٍ من قُرَيْشٍ ، فمرَّت بِهِم حَيَّةٌ فَقَتَلُوها ، فاعْتَرَضَتْ لَهُمْ حَيَّةٌ أُخْرَى تَطْلُبُ بثَأْرِها ، وَقَالَتْ : قَتَلْتُم فُلاناً ، ثمَّ ضَرَبَتِ الأَرْضَ بِقَضيبٍ ، فَنفَرَتِ الإِبلُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْها إِلاَّ بَعْدَ عَناءٍ شَديدٍ ؛ فَلَمَّا جَمَعُوها جاءَتْ فَضَرَبَتْ ثانِيَةً فَنفَرَتْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْها إِلاَّ بعدَ نِصْفِ اللَّيْلِ ؛ ثمَّ جاءَتْ فَضَرَبَتْ ثالِثَةً فَنَفَّرَتْها ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْها حَتَّى كادُوا أَنْ يَهْلَكُوا بها عَطَشاً وَعَناءً ، وَهم في مَفازَةٍ لا مَاءَ فِيها ؛ فَقالُوا لأُمَيَّةَ : هَلْ عِنْدَكَ من غَناءٍ أَو حِيلَةٍ ؟ قالَ : لَعَلَّها .

ثمَّ ذَهبَ حَتَّى جاوَزَ كَثِيباً ، فَرَأَى ضَوْءَ نَارٍ على بُعْدٍ ، فَأَتْبَعَهُ حَتَّى أَتَى عَلَى شَيْخٍ في خِباءٍ ، فَشَكا إِلَيْهِ ما نَزَلَ به وَبِصَحْبِهِ ، وَكانَ الشَّيْخُ جِنِّيّاً ، فقالَ : اذْهَبْ فإِنْ جاءَتْكُم فَقُولُوا : « باسْمِكَ اللَّهُمَّ » سَبْعاً ، فَرَجَعَ إِلَيْهِم وَقَد أَشْرَفُوا على الهَلَكَةِ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِذلك ؛ فَلَمَّا جاءَتْهم الحَيَّةُ قالُوا ذلكَ ، فقالَتْ : تَبّاً

---

(١) ينظر عن بلعام بن باعوراء : تاريخ دمشق ١٠/ ٢٦٥ ومختصره ٥/ ٢٤٦ وترويح أُولي الدَّمائة ١/ ١٩٣ و ١٩٥ .

(٢) مروج الذهب ١/ ٧٩ والأغاني ٤/ ١٢٥ـ١٢٦ والبداية والنهاية ٣/ ٢٩٠ والترويح ١/ ١٩٣ .

لَكُمْ ؛ مَن عَلَّمَكُمْ هَذا ؟ . ثمَّ ذَهَبَتْ ، وَأَخَذُوا إِبِلَهُمْ .

وَكانَ فِيهم حَرْبُ بن أُمَيَّةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ ، جَدُّ مُعاوية بن أَبي سُفيان ، فَقَتَلَهُ الجِنُّ بعدَ ذلكَ بِثأْرِ الحَيَّةِ المَذْكُورَةِ ، وَقَالُوا فِيهِ : [من الرجز]

وَقَبْــرُ حَــرْبٍ بِمَكَــانٍ قَفْــرِ وَلَيْــسَ قُــرْبَ قَبْــرِ حَــرْبٍ قَبْــرُ

● وَقَدْ أَسْلَمَتْ عاتِكَةُ أُخْتُ أُمَيَّةَ بن أَبي الصَّلْتِ هذا ، وأَخْبَرَتْ عنهُ بِخَبَرٍ ذَكَرَهُ عبدُ الرَّزَّاقِ في « تَفسيرِهِ » .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في هذا الكِتابِ في « بابِ النُّونِ » في الكَلامِ على « النَّسْرِ » ما يُوافِقُ ذلكَ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ الغُرابِ الأَبْقَعِ الفاسِقِ ؛ وَأَمَّا الأَسْوَدُ الكَبيرُ ـ وَهُوَ الجَبَليُّ ـ فهوَ حَرامٌ أَيضاً على الأَصَحِّ ، وَبِهِ قَطَعَ جماعَةٌ .

وَغُرابُ الزَّرْعِ : حَلالٌ عَلَى الأَصَحِّ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ حُكْمُ العَقْعَقِ والغُدافِ .

وَقالَ أَبُو حَنيفةَ : الغِرْبانُ كُلُّها حَلالٌ .

● رَوى البُخاريُّ في « صَحيحِهِ »[1] عن عَبْدِ اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « خَمْسٌ من الدَّوابِّ لَيْسَ على قاتِلِهِنَّ جُناحٌ : الغُرابُ ، وَالحِدَأَةُ ، وَالفَأْرَةُ ، وَالحَيَّةُ ، وَالكَلْبُ العَقُورُ » .

● وفي « سُنَنِ ابن ماجه »[2] و« البَيهقيّ » عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، أَنَّها قالَتْ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : الحَيَّةُ فاسِقَةٌ ، والفأرة فاسقةٌ ، والغُرابُ فاسقٌ » .

وَفي « سُنَن ابن ماجه » أَيضاً[3] : قِيلَ لابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما :

---

(١) مضى تخريجه .

(٢) ابن ماجه (٣٢٤٩) ومسند أحمد ٦/ ٢٠٩ و ٢٣٨ .

(٣) ابن ماجه (٣٢٤٨) .

أَيُؤْكَلُ الغُرابُ ؟ قالَ : وَمَنْ يَأْكُلُهُ بعدَ قَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِ : « إِنَّهُ فاسِقٌ » .

وَهذِهِ الفَواسِقُ الخَمْسُ ، لا مُلْكَ لأَحَدٍ فِيها ، ولا اخْتِصاصَ . كَذا نَقَلَهُ الرَّافعيُّ في « كِتابِ ضَمان البَهائم » عن الإمامِ وأَقَرَّهُ ؛ وَعلى هَذا فَلا يَجِبُ رَدُّها عَلى غاصِبِها .

الأَمْثالُ : قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [من الوافر]

وَمَنْ يَكُنِ الغُرابُ لَهُ دَليلاً يَمُرُّ بِهِ على جِيَفِ الكِلابِ

وَقالُوا : « لا أَفْعَلُ كَذا حَتَّى يَشيبَ الغُرابُ »[2] : أَي : لا أَفْعَلُ ذلكَ أَبَداً ، لأَنَّ الغُرابَ لا يَشيبُ أَبَداً .

● رَوَى الحافِظُ أَبو نُعيم في « حِلْيَتِهِ »[3] في تَرْجمَةِ سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن مِسْعَر بن كِدام : أَنَّ رَجُلاً رَكِبَ البَحْرَ ، فانْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ ، فَوَقَعَ في جَزيرَةٍ ، فَمَكَثَ ثلاثَةَ أَيَّامٍ ، لَمْ يَرَ أَحَداً ، وَلَمْ يَأْكُلْ ، وَلَمْ يَشْرَبْ ، فَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ القائِلِ : [من الوافر]

إِذا شابَ الغُرابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصارَ القارُ كاللَّبَنِ الحَليبِ

فَأَجابَهُ صَوْتٌ مُجيبٌ لا يَراهُ[4] : [من الوافر]

عَسَى الكَرْبُ الذي أَمْسَيْتَ فِيهِ يَكُونُ وَراءَهُ فَرَجٌ قَريبُ

فَنظَرَ فإِذا سَفينةٌ قد أَقْبَلَتْ ، فَلَوَّحَ إِليهم ، فَأَتَوْهُ فَحَمَلُوهُ ، فَأَصابَ خَيْراً كَثِيراً .

---

(١) البيت بلا نسبة في زهر الأَكم ١/ ٢٢٠ والمستطرف ١/ ١٢٢ .

(٢) فصل المقال ٤٧٤ و ٤٨٢ والعسكريّ ١/ ٣٦٣ والزَّمخشريّ ٢/ ٥٩ والحيوان ٣/ ٤٢٧ وثمار القلوب ٢/ ٦٧٥ .

(٣) حلية الأَولياء ٧/ ٢٨٩ . وانظر خبراً مُشابهاً فيه البيتان ، في الفرج بعد الشِّدَّة لابن أَبي الدُّنيا ١١٠ .

(٤) البيت من قصيدة لهدبة بن خشرم ، في ديوانه ٥٤ .

وَقالُوا : « أَبْصَرُ من غُرابٍ »[1] .

زَعَمَ[2] ابْنُ الأَعرابيِّ أَنَّ العربَ تُسَمِّي الغُرابَ : الأَعْوَرَ ، لأَنَّهُ يُغْمِضُ أَبَداً إِحْدى عَيْنَيْهِ ، وَيَقْتَصِرُ على النَّظَرِ بِإِحْداهُما من قُوَّةِ بَصَرِهِ .

وَقالَ غَيْرُهُ : إِنَّما سَمَّوْهُ أَعْوَرَ ، لِحِدَّةِ بَصَرِهِ على طَرِيقِ التَّفاؤُلِ . قالَ بَشَّار ابن بُرْدٍ الأَعْمَى[3] : [من الطويل]

وَقَدْ ظَلَمُوهُ حِيْنَ سَمَّوْهُ سَيِّداً ... كَما ظَلَمَ النَّاسُ الغُرابَ بِأَعْوَرا

وَقد تَقَدَّمَ عن أَبي الهَيْثَمِ[4] : أَنَّ الغُرابَ يُبْصِرُ من تَحتِ الأَرْضِ بِقَدْرِ مِنْقارِهِ .

وَقالُوا : « أَخْيَلُ من غُرابٍ »[5] ، وَ« أَزْهَى »[6] و« أَبْكَرُ من غُرابٍ »[7] ، فإِنَّهُ أَشَدُّ الطَّيْرِ بُكُوراً .

وَقَالُوا : أَبْطَأُ من غُرابِ نُوحٍ »[8] . وذلكَ[8] أَنَّ نُوحاً عليْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، أَرْسَلَهُ لِيَنْظُرَ هل غَرِقَتِ البِلادُ ، وَيَأْتِيَهُ بالخبَرِ ، فَوَجَدَ جِيْفَةً طافِيَةً على وَجْهِ المَاءِ ، فاشْتَغَلَ بِها وَلَمْ يَأْتِهِ بالخَبَرِ ، فَدَعا عَلَيهِ ، فَعَقِلَتْ رِجْلاهُ ،

---

(١) الميدانيّ ١/ ١١٥ وحمزة ١/ ٧٨ والعسكريّ ١/ ٢٤٠ والزمخشريّ ١/ ٢١ وفصل المقال ٤٩١ وأمثال أبي عبيد ٣٦٠ وثمار القلوب ٢/ ٦٧٣ .

(٢) الميدانيّ ١/ ١١٥ وسكردان السُّلطان ٢١ .

(٣) له في الميدانيّ ١/ ١١٥ وسكردان السُّلطان ٢١ وديوانه ١١٧ (الثقافة) . وليس هو في ديوانه (الطَّبعة التُّونسيَّة) .

(٤) الميدانيّ ١/ ١١٥ وسكردان السُّلطان ٢١ .

(٥) الميدانيّ ١/ ٢٦٠ والعسكريّ ١/ ٤٣٩ وحمزة ١/ ١٩٢ والزمخشريّ ١/ ١١٣ .

(٦) الميدانيّ ١/ ٣٢٧ وحمزة ١/ ٢١٤ و ٤٤١ و ٤٤٧ والعسكريّ ١/ ٥٠٧ والزمخشريّ ١/ ١٥١ وفصل المقال ٤٩١ وأمثال أبي عبيد ٣٦٠ .

(٧) الميدانيّ ١/ ١٦٩ وحمزة ١/ ٧٥ والعسكريّ ١/ ٢٠٤ .

(٨) الميدانيّ ١/ ١١٩ و ٢/ ٦٧ .

وَخافَ من النَّاسِ .

وَقَالُوا : « كَأَنَّهُم كانُوا غُراباً واقِعاً »(١) . يُضْرَبُ فِيْما يَنْقَضِي سَريعاً ؛ فإِنَّ الغُرابَ إِذا وَقَعَ ، لا يَلْبَثُ أَنْ يَطِيرَ .

وَقالُوا : « كَالغُرابِ والذِّئْبِ »(٢) . يُضْرَبُ للرَّجُلَيْنِ بَيْنَهُما مُوافَقَةٌ فَلا يَخْتَلِفانِ ؛ لأَنَّ الذِّئْبَ إِذا أَغارَ عَلى غَنَمٍ ، تَبِعَهُ الغُرابُ لِيَأْكُلَ ما فَضَلَ منهُ .

وَقَالُوا : « الغُرابُ أَعْرَفُ بِالتَّمْرِ »(٣) . وَذلكَ أَنَّ الغُرابَ لا يَأْخُذُ إِلاَّ الأَجْوَدَ منهُ ، وَلذلكَ يُقالُ : « وَجَدَ تَمْرَةَ الغُرابِ »(٤) إِذا وَجَدَ شَيْئاً نَفِيساً .

وَقالُوا : « أَشْأَمُ من غُرابِ البَيْنِ »(٥) . وإِنَّما لَزِمَهُ هَذا الاسْمُ ، لأَنَّهُ إِذا بانَ أَهْلُ الدَّارِ لِلنُّجْعَةِ ، وَقَعَ في مَوْضِعِ بُيُوتِهِم يَلْتَمِسُ وَيَتَقَمْقَمُ ، فَتَشاءَمُوا بِهِ وَتَطَيَّرُوا منهُ ، إِذْ كان لا يَعْتَري مَنازِلَهم إِلاَّ إِذا بانُوا ؛ فَلِذلِكَ سَمَّوْهُ غُرابَ البَيْنِ ؛ وَقالَ فِيهِ شاعِرُهُم(٦) : [من الطويل]

وَصَاحَ غُرابٌ فَوْقَ أَعْوادِ بانَةٍ ... بِأَخْبارِ أَحْبابِي فَقَسَّمَنِي الفِكْرُ(٧)

فَقُلْتُ : غُرابٌ باغْتِرابٍ ، وَبَانَةٌ ... بِبَيْنِ النَّوَى ، تِلْكَ العِيافَةِ والزَّجْرُ

وَهَبَّتْ جَنُوبٌ باجْتِنابِيَ مِنْهُمُ ... وَهاجَتْ صَباً قُلْتُ : الصَّبابَةُ والهَجْرُ

---

(١) الميدانيّ ٢/ ١٤٧ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ١٦٠ .

(٣) الميدانيّ ٢/ ٦٣ وحمزة ٢/ ٤٥٤ والزَّمخشريّ ١/ ٣٣٧ .

(٤) الميدانيّ ٢/ ٣٦٢ والعسكري ٢/ ٣٣٣ والزَّمخشريّ ٢/ ٣٧٣ وثمار القلوب ٢/ ٦٧٦ والحيوان ٣/ ٤٢٥ .

(٥) الميدانيّ ١/ ٣٨٣ وحمزة ١/ ٢٤٩ والعسكريّ ١/ ٥٥٩ والزَّمخشريّ ١/ ١٨٣ وزهر الأكم ٣/ ٢١٠ .

(٦) الأبيات بلا نسبة في الميدانيّ ١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ وزهر الأكم ٣/ ٢١٠ .

(٧) في ط : × . . . فهيَّمني الفكر .

وَقالُوا : « أَحْذَرُ من غُرابٍ »[1] .

● وَحَكى المَسْعوديُّ[2] عن بَعْضِ حُكَماءِ الفُرْسِ ، أَنَّهُ قالَ : أَخَذْتُ من كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَ ما فيهِ ، حَتَّى انْتَهى بي ذلكَ إلى الكَلْبِ وَالهِرَّةِ وَالخِنْزيرِ والغُرابِ . قِيلَ لَهُ : فَما أَخَذْتَ من الكَلْبِ ؟ قالَ : إِلْفَهُ لأَهْلِه ، وَذَبَّهُ عن صاحِبِه . قِيلَ : فما أَخَذْتَ من الهِرَّةِ ؟ قالَ : حُسْنَ تَأَنِّيها ، وَتَمَلُّقَها عند المَسْأَلَةِ . قِيلَ : فَمَا أَخَذْتَ من الخِنْزيرِ ؟ قَالَ : بُكورَهُ في حَوائِجِهِ . قِيلَ : فَمَا أَخَذْتَ من الغُرابِ ؟ قَالَ : شِدَّةَ حَذَرِهِ .

وَقَالُوا : « أَغْرَبُ من غُرابٍ »[3] . وَ« أَشْبَهُ بِالغُرابِ من الغُرابِ »[4] .

● غَريبَةٌ : رَأَيْتُ في كِتابِ « الدَّعَواتِ » للإمامِ أَبي القاسِمِ الطَّبرانيّ ، وَفي « تاريخِ ابن النَّجّار » في تَرجَمَةِ أَبي يَعقُوب يُوسف بن الفَضْلِ الصَّيْدَلانيّ ، وَفي « الإِحْياءِ » في « كِتابِ آدابِ السَّفر » عن زَيْد بن أَسْلَم ، عن أَبيهِ ، قالَ[5] :

بَيْنَما عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ جالِسٌ يَعرضُ النَّاسَ ، إِذْ هُوَ برجُلٍ معهُ ابنُه ، فقالَ لَهُ : وَيْحَكَ ، ما رَأَيْتُ غُراباً أَشْبَهَ بِغُرابٍ من هَذَا بِكَ قَطُّ . قالَ : يا أَميرَ المُؤمنين ، هَذا ، وَما وَلَدَتْهُ أُمُّهُ إِلاَّ وَهيَ مَيِّتَةٌ ؛ فَاسْتَوَى عُمر جالِساً ،

---

(١) الميدانيّ ١/ ٢٢٦ وحمزة ١/ ١٩٦ والعسكريّ ١/ ٣٩٦ وَالزَّمخشريّ ١/ ٦٢ وفصل المقال ٤١٩ وأَمثال أَبي عُبيد ٣٦٠ .

(٢) القول لبزرجمهر بن البختكان في مروج الذهب ٤/ ٣٧٤ وثمار القلوب ١/ ٥٥٧ و ٢/ ٦٧٥ والتوفيق ٣٥ و ٦٢ والمجالسة ٢/ ١٨٨ وعيون الأَخبار ٢/ ١٢٣ وتلخيص المُتشابه ١/ ٥٧٧ وحمزة ١/ ٦٢ .

(٣) الميدانيّ ٢/ ٦٧ وحمزة ١/ ٣٢١ والعسكريّ ٢/ ٧٩ والزمخشريّ ١/ ٢٦٠ .

(٤) حمزة ١/ ٢٣٦ والعسكريّ ١/ ٥٦١ و ٢/ ٢٤٧ والزمخشريّ ١/ ١٨٩ .

(٥) الدُّعاء للطَّبرانيّ ٤/ ١١٨٣ والمنتقى من مكارم الأَخلاق ١٧٨ والمحاسن والمساوىء ١/ ٤٥٧ وإِحياء علوم الدِّين ٢/ ٢٢٤ .

وَقالَ لَهُ : حَدِّثْني حَديثَهُ . قالَ : يَا أَميرَ المُؤمنينَ ، خَرَجْتُ لِسَفَرٍ وَأُمُّهُ حامِلٌ بِهِ ، فقالَتْ : تَخْرُجُ وَتَتْرُكُني على هَذِهِ الحَالِ حامِلاً مُثْقَلَةً ؟ فقُلتُ : أَسْتَوْدِعُ اللهَ ما فِي بَطْنِكِ ؛ ثمَّ خَرَجْتُ ، فَغِبْتُ أَعْواماً ، ثمَّ قَدِمْتُ فإذا بابي مُغْلَقٌ ، فَقُلْتُ : ما فَعَلَتْ فُلانَةُ ؟ قَالُوا : ماتَتْ ، فَقُلتُ : إنّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ راجِعُونَ ؛ ثمَّ انْطَلَقْتُ إلى قَبْرِها فَبَكَيْتُ عِنْدَها ، ثمَّ رَجعْتُ فَجلسْتُ إلى بَنِي عَمِّي ؛ فَبَيْنَما أَنا كَذلكَ إِذِ ارْتَفَعَتْ لِي نارٌ من بَيْنِ القُبُورِ ، فَقُلتُ لِبَني عَمِّي : ما هَذِهِ النَّارُ ؟ فَقَالُوا : تُرَى على قَبْرِ فُلانَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ ! فَقُلْتُ : إنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ راجِعُونَ ، أَما وَاللهِ لَقد كانَتْ صَوَّامَةً قَوَّامَةً ، عَفيفَةً مُسْلِمَةً ؛ انْطَلِقُوا بنا إلَيْها .

فَانْطَلَقْنَا ، فَأَخَذْتُ النَّاسَ ، وَأَتَيْتُ القَبْرَ ، فإذا القَبْرُ مَفْتُوحٌ ، وإذا هِيَ جالِسَةٌ وَهَذا الوَليدُ يَدُور حَوْلَها ، وإذا مُنادٍ يُنادِي : أَيُّها المُسْتَوْدِعُ رَبَّهُ وَدِيعَتَهُ ، خُذْ وَدِيْعَتَكَ ؛ أَما واللهِ لو اسْتَوْدَعْتَ أُمَّهُ لَوَجَدْتَها . فَأَخَذْتُهُ ، وَعادَ القَبْرُ كما كان واللهِ يا أَميرَ المُؤمنين .

قَالَ أَبُو يَعَقُوب : فَحَدَّثْتُ بِهذا الحَدِيثِ في الكُوفَةِ ، فقَالُوا : نَعم ، هذا الرَّجُلُ كان يُقالُ لَهُ : خَزينُ القُبُورِ .

● وَقَريبٌ من هذا الخَبرِ في غَريبِ اتِّفاقِهِ ، وَلَطِيفِ مَساقِهِ ، ما حَكاهُ الحافِظُ المِزِّيُّ في « تَهذيبِهِ »[1] في تَرْجَمةِ عُبيد بن واقِد اللَّيْثِيّ البَصْرِيّ ، أَنَّهُ قَالَ :

خَرَجْتُ أُريدُ الحَجَّ ، فَوقفْتُ على رَجُلٍ بَينَ يَديهِ غُلامٌ من أَحْسَنِ الغِلْمَانِ صُورَةً ، وَأَكْثَرِهِمْ حَرَكَةً ، فَقُلتُ : من هَذا ؟ وَمَنْ يَكُونُ ؟ قالَ : ابْني ، وَسَأُحَدِّثُكَ عنهُ : خَرَجْتُ مَرَّةً حاجّاً ، وَمَعي أُمُّ هذا الغُلام ، وَهِيَ حامِلٌ بِهِ ، فَلَمَّا كُنَّا في بَعْضِ الطَّرِيقِ ، ضَرَبَها الطَّلْقُ ، فَوَلَدَتْ هَذا الغُلامَ ، وَماتَتْ ،

---

(١) تهذيب الكمال ١٩/٢٤٦ .

وَحضَرَ الرَّحِيلُ ، فَأَخَذْتُ الصَّبيَّ ، فَلَفَفْتُهُ في خِرْقَةٍ ، وَجَعَلْتُهُ في غارٍ ، وَبَنَيْتُ عَلَيْهِ أَحْجاراً ، وارْتَحَلْتُ وَأَنا أَرَى أَنَّهُ يَمُوتُ من ساعَتِهِ ؛ فَقَضَيْنا الحَجَّ وَرَجَعْنا ، فَلَمَّا نَزَلْنا ذلكَ المَنْزِلَ ، بادَرَ بَعضُ أَصْحابي إِلى الغارِ فَنَقَضَ الأَحْجارَ ، فإِذا هُوَ بالصَّبيِّ يَلْتَقِمُ إِبْهامَيْهِ ، فَنَظَرْنا فإِذا اللَّبَنُ يَخْرُجُ منهُما ، فاحْتَمَلْتُهُ مَعي ، فَهذا هُو الذِي تَرَى .

الخَواصُّ[1] : إذا عُلِّقَ مِنْقارُ الغُرابِ على إِنْسانٍ : حُفِظَ من العَيْنِ .

وَكَبِدُهُ : تُذْهِبُ الغِشاوَةَ اكْتِحالاً .

وإِذا عُلِّقَ طِحالُهُ على إِنْسَانٍ : هَيَّجَ العِشْقَ .

وإِذا سُقِيَ إِنْسانٌ من دَمِهِ مع نَبيذٍ : أَبْغَضَ النَّبيذَ حَتَّى لا يَرْجِعَ يَشْرَبُهُ .

وَبَيْضُهُ : إِذا طُرِحَ في النُّورَةِ : نَفَعَ مُسْتَعْمِلَهُ .

وَدَمُهُ : إِذا جُفِّفَ وَحُشِيَ بِهِ البَواسِيرُ ، أَبْرَأَها .

وَقَلْبُهُ وَرَأْسُهُ : إِذا طُرِحا في النَّبِيذِ ، وَسَقى الإِنْسَانُ منهُ من يُرِيدُ مَحَبَّتَهُ ، فإِنَّ الشَّارِبَ يُحِبُّ السَّاقِيَ مَحَبَّةً عَظِيمَةً .

وَلَحْمُ المُطَوَّقِ : إِذا أُكِلَ مَشْوِيّاً ، نَفَعَ القُولَنْجَ .

وَمَرارَةُ الغُرابِ : إِذا طُلِيَ بها إِنْسانٌ مَسْحُورٌ ، بَطَلَ عنهُ السِّحْرُ .

وإِذا غُمِسَ الغُرابُ الأَسْوَدُ بِرِيْشِهِ في الخَلِّ ، وَطُلِيَ بِهِ الشَّعْرُ ، سَوَّدَهُ .

وَزِبْلُ الغُرابِ الأَبْلَقِ الذِي يُسَمَّى اليَهوديُّ : يَنْفَعُ الخَنازِيرَ والخَوانِيقَ ؛ وَإِنْ صُرَّ في خِرْقَةٍ وَعُلِّقَ على الصَّبيِّ الذي لَمْ يَبْلُغِ الحِلْمَ : نَفَعَهُ من السُّعالِ المُزْمِنِ وَقَطَعَهُ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٦ .

وإذا أَكَلَ الغُرابُ الكُتْلَةَ ، سقط وَلَمْ يَقْدِرْ على الطَّيرانِ ، لا سِيَّما في زَمَنِ الصَّيْفِ .

التَّعبيرُ[1] : الغُرابُ في المَنامِ : يَدُلُّ على رَجُلٍ مُخامِرٍ غَدَّارٍ ، واقِفٍ مع حَظِّ نَفْسِهِ .

وَرُبَّما دَلَّ على الحِرْصِ في المَعاشِ ؛ وَرُبَّما كان حَفَّاراً ، وَمِمَّنْ يَسْتَحِلُّ قَتْلَ النَّفْسِ .

وَرُبَّما دَلَّ على الحَفْرِ في الأَرْضِ وَدَفْنِ الأَمْواتِ ، لِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة : ٣١] الآية .

وَرُبَّما دَلَّ الغُرابُ على الغُرْبَةِ وَالتَّشاؤُمِ بالأَخبارِ والغُمُومِ وَالأَنْكادِ ، وَطُولِ السَّفَرِ ، وَعلى ما يُوجِبُ الدُّعاءَ عَلَيْهِ من أَهْلِهِ وَأَقارِبِهِ ، أَوْ سُلْطانِهِ ، لِسُوءِ تَدْبيرِهِ .

وَغُرابُ الزَّرْعِ : يَدلُّ على وَلَدِ الزِّنا ، وَالرَّجُلِ المَمْزُوجِ بِالخَيْرِ والشَّرِّ .

وَالغُرابُ الأَبْقَعُ : يَدلُّ على رَجُلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ ، كَثيرِ الخِلافِ ، وَهوَ من المَمْسُوخِ .

فَمَنْ صادَ غُراباً ، نَالَ مالاً حَراماً في ضِيْقٍ بِمُكابَدَةٍ .

وَلَحْمُ كُلِّ طَيْرٍ وَرِيْشُهُ وَعَظْمُهُ : مَالٌ لِمَنْ حَواهُ في المَنامِ .

وإذا رَأى الغُرابَ على زَرْعٍ ، أَوْ شَجَرٍ ، فإِنَّهُ شُؤْمٌ .

وَمَنْ رَأَى غُراباً في دارِهِ ، فإِنَّ فاسِقاً يَخُونُهُ في امْرَأَتِهِ .

وَمَنْ رَأَى غُراباً يُحَدِّثُهُ ، فإِنَّهُ يُرْزَقُ وَلَداً خَبيثاً .

وَقالَ ابْنُ سِيرِينَ : بل يَغْتَمُّ غَمّاً شَديداً ، ثمَّ يُفَرَّجُ عنهُ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ٣٧ و ٩٨ و ١٩١ وتفسير الواعظ ٢٩٨ .

وَمَنْ رَأَى كَأَنَّهُ يَأْكلُ لَحْمَ غُرابٍ ، فإِنَّهُ يَأْخُذُ مالاً من قِبَلِ اللُّصوصِ .

وَمَنْ رَأى غُراباً على بابِ المَلِكِ ، فإِنَّهُ يَجْنِي جِنايَةً يَندمُ عَليها ، أَو يقتلُ أَخاهُ ثمَّ يَنْدَمُ على ذلكَ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ [المائدة : ٣١] .

فإِنْ رَأَى الغُرابَ يَبْحَثُ ، فَالدَّلِيلُ قَوِيٌّ على قَتْلِ الأَخِ .

وَمَنْ رَأَى غُراباً خَدَشَهُ ، فإِنَّهُ يَهلكُ في البَرِّيَّةِ ، أَوْ يَنالُهُ أَلَمٌ وَوَجَعٌ .

وَمَنْ رَأى كَأَنَّهُ أُعْطِيَ غُراباً : نَالَ سُرُوراً .

وَقالَ أَرطاميدورس : الغُرابُ الأَبْقَعُ : يَدُلُّ على طُولِ الحَياةِ ، وَبَقاءِ المَتاعِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على العَجائِزِ ، وَذلكَ لِطُولِ عُمْرِ الغُرابِ ، وَهُنَّ رُسُلُ النِّساءِ .

● وَمِنَ الرُّؤْيَا المُعَبَّرَةِ[١] : أَنَّ رَجُلاً رَأى كَأَنَّ غُراباً سَقَطَ على الكَعْبَةِ ، فَقَصَّها على ابْنِ سِيرينَ ، فقالَ : رَجُلٌ فاسِقٌ يَتَزَوَّجُ بامْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ ؛ فَتَزَوَّجَ الحَجَّاجُ بابْنَةِ عبدِ اللهِ بن جَعفر بن أَبي طالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم أَجمعين .

٧١٨ الغُرُّ : بِضَمِّ الغَيْنِ : ضَرْبٌ من طَيْرِ المَاءِ أَسْوَدُ ، الواحِدَةُ غُرَّةٌ ؛ الذَّكَرُ والأُنْثى في ذلكَ سَواءٌ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] .

٧١٩ الغُرْنَيْقُ : بِضَمِّ الغَيْنِ ، وَفَتْحِ النُّونِ : قالَ الجَوهرِيُّ والزَّمخشريُّ[٣] : إِنَّهُ طائِرٌ أَبْيَضُ ، طَوِيلُ العُنُقِ ، من طَيْرِ المَاءِ .

---

(١) الحيوان ٢/ ٣١٧ وتفسير الواعظ ٢٩٩ . والمفسِّر هو سعيد بن المسيّب في : تعبير الرُّؤيا ١٩١ وربيع الأَبرار ٥/ ٣٣٧ وطبقات ابن سعد ٧/ ١٢٤ وسير أَعلام النُّبلاء ٤/ ١٣٦ وتفسير الواعظ ٣٩٤ .

(٢) في المخصَّص ٨/ ١٥٣ : الغُرُّ : من طير الماءِ، واحدُها غَرَّاء؛ الذَّكر والأُنثى في ذلك سواء .

(٣) الصِّحاح « غرق » ٤/ ١٥٣٧ .

وَقالَ في « نِهايَةِ الغَرِيبِ »[1] : إنَّهُ الذَّكَرُ من طَيْرِ المَاءِ ؛ وَيُقالُ لَهُ : غُرْنَيْقٌ ، وَغُرْنُوقٌ ؛ وَقِيلَ : هُوَ الكُرْكِيُّ .

وَعَنْ أَبِي حَيْوَةَ الأَعرابيّ : أَنَّهُ إِنَّما سُمِّيَ بِذلكَ لِبَياضِهِ . قالَ الهُذَليُّ يَصِفُ غَوَّاصاً[2] : [من الطويل]

أَجازَ إِلَيْها لُجَّةً بَعْدَ لُجَّةٍ أَزَلُّ كَغُرْنَيْقِ الضُّحُولِ عَمُوجُ

وإِذا وُصِفَ بِهِ الرِّجالُ ، فَواحِدُهُم غِرْنَيْقٌ وَغِرْنَوْقٌ ، بِكَسْرِ الغَيْنِ ، وَفَتْحِ النُّونِ فِيهِما ؛ وَغُرْنُوقٌ بِالضَّمِّ فِيهِما ؛ وَقيلَ : الغَرانِيقُ وَالغَرانِقَةُ : طُيُورٌ سُودٌ في حَدِّ البَطِّ .

● رَوى « الطَّبرانيُّ »[3] بإِسْنادٍ صَحيحٍ ، عن سَعيد بن جُبيرٍ ، أَنَّه قَالَ : ماتَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما بالطَّائِفِ ، فَشَهِدْنا جنازَتَهُ ، فَجاءَ طائِرٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ على خِلْقَةِ الغُرْنَيْقِ ، حتَّى دَخَلَ في نَعْشِهِ ، ثم لَمْ يُرَ خارِجاً منهُ ؛ فَلَمَّا دُفِنَ تُلِيَتْ هَذِهِ الآيَةُ على شَفيرِ القَبْرِ ، لَمْ نَدْرِ من تَلاها ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر : ٢٧ ـ ٣٠] .

● ثمَّ رَوى « مسلم » عن عبدِ اللهِ بن يامين نَحْوَهُ ، إلاَّ أَنَّهُ قالَ : جَاءَ طائِرٌ أَبْيَضُ يُقالُ لَهُ الغرنوق .

وَفي رِوايَةٍ : كَأَنَّهُ قُبْطِيَّةٌ ؛ وَالقُبْطِيَّةُ : ثِيابٌ بِيضٌ من كَتَّانٍ تُنْسَجُ بِمصرَ

---

(١) النِّهاية ٣/ ٣٦٤ .

(٢) هو أَبو ذؤيب الهذليّ ، والبيت في ديوان الهذليين ١/ ٥٦ وشرح أَشعار الهذليين ١/ ١٣٤ . والأَزلّ : الأَرسح ـ يعني الغائص الذي يريد الدُّرَّة ـ . والضُّحول : الضَّحل . وعموج : السَّابحُ .

(٣) المعجم الكبير ١٠/ ٢٣٦ والمستدرك ٣/ ٥٤٣ وأَنساب الأَشراف ٣/ ٥٤ ومختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٢٩ وسير أَعلام النُّبلاء ٣/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨ والنِّهاية ٣/ ٣٦٤ والبداية والنِّهاية ١٢/ ١٠٩ .

تُنْسَبُ إِلى القُبْطِ ، فَرْقاً بَيْنَ الأَنامِ وَالثِّيابِ ، وَالجَمْعُ القَباطيّ .

● قَالَ القَزوينيُّ[1] : [قالَ صاحِبُ المَنْطِقِ :] الغِرْنَوقُ : من الطُّيُورِ القَواطِعِ ، وَهِيَ إِذا أَحَسَّتْ بِتَغَيُّرِ الزَّمانِ ، عَزَمَتْ عَلى الرُّجُوعِ إِلى بِلادِها ، فعندَ ذلكَ تَتَّخِذُ قائِداً حارِساً ، ثمَّ تَنْهَضُ مَعاً ، فإِذا طارَتْ تَرتَفِعُ في الهَواءِ حَتَّى لا يَعرِضَ لَها شَيْءٌ من السِّباعِ ، فإِذا رَأَتْ غَيْماً ، أَو غَشِيَها اللَّيْلُ ، أَو سَقَطَتْ للطُّعْمِ ، أَمْسَكَتْ عن الصِّياحِ كَيْ لا يُحِسَّ بِها العَدُوُّ .

وإِذا أَرادَتِ النَّوْمَ ، أَدْخَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنْها رَأْسَهُ تَحْتَ جَناحِه ، لِعِلْمِهِ أَنَّ الجَناحَ أَحْمَلُ للصَّدْمَةِ من الرَّأْسِ ، لِما فِيهِ من العَيْنِ التي هِيَ أَشْرَفُ الأَعْضاءِ ، وَالدِّماغِ الذي هُو مِلاكُ البَدَنِ ؛ وَيَنامُ كُلُّ واحِدٍ منها قائِماً على إِحْدى رِجْلَيْه ، حَتَّى لا يَكُونَ نَوْمُهُ ثَقِيلاً .

وَأَمَّا قائِدُها وَحارِسُها فَلا يَنامُ ، وَلا يُدْخِلُ رَأْسَهُ في جَناحِهِ ، وَلاَ يَزالُ يَنظُرُ في جَميعِ الجَوانِبِ ؛ فإِذا أَحَسَّ بِأَحَدٍ ، صاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ .

● ثمَّ[2] حَكَى عن يَعقُوب بن إِسحاق السَّرَّاج ، أَنَّهُ قالَ : رَأَيْتُ رَجُلاً من أَهْلِ رُومِيَّةَ ، قالَ :

رَكِبْتُ بَحْرَ الزِّنْجِ ، فَأَلْقَتْني الرِّيحُ إِلى بَعضِ الجَزائِرِ ، فَوَصَلْتُ مِنْها إِلى مَدينَةٍ أَهْلُها أُناسٌ قامَتُهُم قَدْرُ ذِراعٍ ، وَأَكْثَرُهُم عُورٌ ؛ فَاجْتَمَعَ عليَّ منهم جَمْعٌ ، فَأَخَذُوني وانْتَهَوْا بي إِلى مَلِكِهِم ، فَأَمَرَ بِحَبْسِي ، فَحُبِسْتُ في شِبْهِ قَفَصٍ ، [فَكَسَرْتُهُ فَأَمَّنُوني ،] ثمَّ رَأَيْتُهم فِي بَعضِ الأَيَّامِ يَسْتَعِدُّونَ لِلقِتالِ ، فَسَأَلْتُهم ، فَقالُوا : لَنا عَدُوٌّ يَأْتِينا في مِثْلِ هذِهِ الأَيَّامِ ؛ فَلَمْ نَلبثْ إِلاَّ وَقَدْ طَلَعَتْ عَليهم عِصابَةٌ من الغَرانِيقِ ؛ وَكانَ عَوَرُهُم من نَقْرِها أَعْيُنَهم ؛ فَأَخَذْتُ عَصاً ،

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٢ ومسالك الأبصار ٢٠/٨٦ .

(٢) عجائب المخلوقات ٩١ .

وَشَدَدْتُ عليها ، فطارَتْ وَهرَبَتْ ، فَأَكْرَمُونِي لِذلكَ .

فائِدَةٌ : قَالَ القاضِي عِياضٌ وَغَيْرُهُ[1] : إنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا قَرأَ سُورَةَ « والنَّجْمِ » وَقالَ : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النَّجم : ١٩ ـ ٢٠] قالَ : تِلْكَ الغَرانيقُ العُلا ، وإِنَّ شَفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى ؛ فَلَمَّا خَتَمَ السُّورَةَ سَجَدَ ، وَسَجَدَ مَن مَعَهُ من المُسْلِمينَ وَالكُفَّارِ ، لَمَّا سَمِعُوهُ أَثْنَى على آلِهَتِهِم ، ثمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَعالَى عَلَيْهِ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحجّ : ٥٢] الآية .

وَأَجابُوا[1] عنه بِضَعْفِ الحَدِيثِ ، فإِنَّهُ لَمْ يُخَرِّجْهُ أَحَدٌ من أَهْلِ الصَّحيحِ ؛ وَلا رَواهُ ثِقَةٌ بِإِسْنادٍ صَحيحٍ سَليمٍ مُتَّصِلٍ ؛ وَإِنَّما أُولِعَ بِهِ وَبِمِثْلِهِ المُفَسِّرُونَ والمُؤَرِّخُونَ المُولَعُونَ بِكُلِّ غَريبٍ ، المُتَلَقِّفُونَ لِكُلِّ صَحِيحٍ وَسَقِيمٍ .

وَالذي[1] منهُ في « الصَّحيح » : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَرأَ ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ وَهو بِمَكَّةَ ، فَسَجَدَ وَسَجَدَ معهُ المُسْلمونَ والمُشْرِكُونَ ، وَالجِنُّ والإِنْسُ .

هَذَا تَوْهِينُهُ من جِهَةِ النَّقْلِ .

وَأَمَّا[1] من جِهَةِ المعنى ، فقد قامَتِ الحُجَّةُ ، وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ على عِصْمَتِه ﷺ وَنَزاهَتِهِ عن مِثْلِ هَذَا ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعالى للشَّيْطانِ عَلَيْهِ وَلا عَلَى أَحَدٍ من الأَنْبِياءِ سَبيلاً .

وَعلى[2] تَقديرِ صِحَّةِ ما رَوَوْهُ ، وَقَد أَعاذَنا اللهُ من صِحَّتِهِ ، فَالرَّاجِحُ في تَأْوِيلِهِ عِنْدَ المُحَقِّقينَ : أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كان ـ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعالَى ـ يُرَتِّلُ القُرْآنَ تَرْتِيلاً ، وَيُفَصِّلُ الآياتِ تَفْصِيلاً في قِراءَتِهِ ؛ فَمَنْ ثَمَّ تَرَصَّدَ الشَّيْطانُ لِتلكَ السَّكْتاتِ ، وَدَسَّ كَلاماً في تِلْكَ الكَلِماتِ ، مُحاكِياً نَغْمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحيثُ

---

(١) الشفا للقاضي عياض ٦٤٤ ـ ٦٤٨ .

(٢) الشّفا ٦٥٠ ـ ٢٥٢ .

يَسْمَعُهُ من دَنَا إِلَيْهِ من الكُفَّارِ ، فَظَنُّوها من قَوْلِهِ ﷺ ، وَلَمْ يَقْدَحْ ذلكَ عندَ المُسلِمينَ ؛ بَلْ رَوَى مُوسى بن عُقبةَ [فِي « مَغازِيهِ » :] أَنَّ المُسْلمينَ لَمْ يَسْمَعُوها ، وَإِنَّما أَلْقاها الشَّيْطانُ في أَسْماعِ الكُفَّارِ وَعُقُولِهم .

وَأَيْضاً[1] : فَمُجاهِدٌ وَالكَلْبِيُّ فَسَّرا الغَرانِيقَ العُلا ، بِأَنها المَلائِكَةُ ؛ وَذلكَ أَنَّ الكُفَّارَ كانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ تَعالى، كَما حَكاهُ جَلَّ وَعَلا عَنهم، وَرَدَّهُ عَلَيْهِم في السُّورَةِ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النَّجم : ٢١] فَأَنْكَرَ اللهُ تَعالى كُل ذَلكَ من قَوْلِهِم ؛ وَرَجاءُ الشَّفاعَةِ من المَلائِكَةِ صَحيحٌ ، فَلَمَّا تَأَوَّلَهُ المُشْرِكُونَ على أَنَّ المُرادَ بِهِ ذِكْرُ آلِهَتِهِم ، وَلَبَسَ عليهمُ الشَّيْطانُ ذلكَ ، وَزَيَّنَهُ في قُلُوبِهم ، وَأَلْقاهُ إِلَيْهِم ، نَسَخَ اللهُ تَعالى ما أَلْقَى الشَّيْطانُ ، وَأَحْكَمَ آياتِهِ ، وَرَفَعَ تِلاوَةَ ما حَاوَلَهُ الشَّيْطانُ ، كَمَا نُسِخَ كَثيرٌ من القُرْآنِ وَرُفِعَتْ تِلاوَتُهُ .

وَكانَ[1] في إِنْزالِ اللهِ تَعالى لِذلكَ حِكْمَةٌ ، وَفِي نَسْخِهِ حِكْمَةٌ ، لِيُضِلَّ بِهِ من يَشاءُ وَيَهْدِي بِهِ من يَشاءُ ، وَما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفاسِقِينَ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحجّ : ٥٣ ـ ٥٤] .

● **فائِدَةٌ أُخرى** : رَوَى الإمامُ محمَّد بن الرَّبيع الجِيزِيّ في « مُسْنَدِ من دَخَلَ مِصْرَ من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم » عن عُقبةَ بن عامِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ[2] : كُنْتُ عندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخدمُهُ ، فإِذا أَنا بِرِجالٍ من أَهْلِ الكِتابِ ،

---

(١) الشّفا ٦٥٠ ـ ٢٥٢ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢١٥ ـ ٢١٦ .

معهم مَصاحِفُ أَو كُتُبٌ ، فَقالُوا : اسْتَأْذِنْ لَنا على رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَكانِهِم ، فقالَ ﷺ : « مَا لِي وَلَهُمْ ؟ يَسْأَلُونِي عَمَّا لا أَدْرِي ، إِنَّما أَنا عَبْدٌ لا عِلْمَ لِي إِلاَّ ما عَلَّمَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ » . ثمَّ قالَ ﷺ : « أَبْغِنِي وَضُوءاً » فَتَوَضَّأَ ، ثمَّ قامَ إِلى مَسْجِدٍ في بَيْتِهِ ، فَرَكَعَ رَكعَتين ، فَلَمْ يَنْصَرِفْ حتَّى عَرَفْتُ السُّرُورَ في وَجْهِهِ والبِشْرَ ، ثمَّ قالَ ﷺ : « اذْهَبْ فَأَدْخِلْهُمْ ، وَمَنْ وَجَدْتَ من أَصْحابي بِالبابِ فَأَدْخِلْهُ مَعَهم » .

قالَ : فَأَدْخَلْتُهم ، فَلَمَّا رُفِعُوا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : « إِنْ شِئْتُم أَخْبَرْتُكُمْ عَمَّا أَرَدْتُم أَنْ تَسْأَلُونِي ، قَبْلَ أَنْ تَتكلَّمُوا ، وَإِنْ شِئْتُمْ تكلَّمُوا بِهِ وَأُخْبِرُكُمْ » فَقَالُوا : بَلْ أَخْبِرْنا قبلَ أَنْ نتكلَّمَ . قالَ ﷺ : « جِئْتُم تَسْأَلُوني عن ذِي القَرْنَيْنِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَمَّا تَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَكُمْ :

إِنَّ أَوَّلَ أَمْرِهِ : أَنَّهُ غُلامٌ من الرُّومِ ، أُعْطِيَ مُلْكاً ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ ساحِلَ أَرْضِ مِصْرَ ، فابْتَنَى عِنْدَهُ مَدِينَةً يُقالُ لَها الإِسْكَنْدَرِيَّة ، فَلَمَّا فَرَغَ من بنائِها أَتاهُ مَلَكٌ ، فَعَرَجَ بِهِ حَتَّى اسْتَقَلَّهُ فَرَفَعَهُ ، ثمَّ قَالَ لَهُ : انْظُرْ مَاذا تَرَى تَحْتَكَ ؟ قَالَ : أَرَى مَدِينَتِي ، وَأَرى مَدائِنَ مَعَها ؛ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ وَقالَ : انْظُرْ ماذا تَحْتَكَ ؟ قَالَ : قد اخْتَلَطَتْ مَدِينَتي مَعَ المَدائِنِ فَلا أَعْرِفُها ، ثمَّ زادَ فقالَ : انْظُرْ . فقالَ : أَرى مَدِينَتِي وَحْدَها ، لا أَرَى مَعَها غَيْرَها ، فقالَ لَهُ المَلَكُ : إِنَّما تِلْكَ الأَرْضُ كُلُّها ، وَالذِي تَرَى مُحِيطاً بها هُوَ البَحْرُ ، وَإِنَّما أَرادَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرِيَكَ الأَرْضَ ، وَقَدْ جَعَلَ لَكَ سُلْطاناً ؛ وَسَوفَ تُعَلِّمُ الجاهِلَ ، وَتَبُثُّ العِلْمَ .

فَسارَ حَتَّى بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ، ثمَّ سارَ حَتَّى بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ، ثمَّ أَتَى السَّدَّيْنِ ، وَهُمَا جَبَلانِ لَيِّنانِ يَزْلَقُ عَنْهُما كُلُّ شَيْءٍ ، فَبَنَى السَّدَّ ، ثمَّ جَاءَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، ثمَّ قَطَعَهُمْ ، فَوَجَدَ قَوْماً وُجُوهُهم وُجُوهُ الكِلابِ ، يُقاتِلُونَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، ثمَّ قَطَعَهُم ، فَوَجَدَ قَوْماً قِصاراً يُقاتِلُونَ القَوْمَ الذِينَ وُجُوهُهم وُجُوهُ الكِلابِ ، ثُمَّ مَضَى فَوَجَدَ أُمَّةً من الغَرانِيقِ يُقاتِلُونَ القَوْمَ القِصارَ ، ثمَّ مَضَى

فَوَجَدَ أُمَّةً من الحَيَّاتِ ؛ تَلْتَقِمُ الحَيَّةُ مِنها الصَّخْرَةَ العَظِيمَةَ ، ثمَّ أَفْضَى إلى البَحْرِ المُحِيْطِ بِالأَرْضِ » .

فَقَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّ أَمْرَهُ كان هَكَذَا كَمَا ذَكَرْتَ ، وَإِنَّا نَجِدُهُ هَكَذا في كُتُبِنا .

● وَرُوِيَ[1] أَنَّ ذا القَرْنَيْنِ لَمَّا بَنَى السَّدَّ وَأَحْكَمَهُ ، انْطَلَقَ يَسِيرُ حتَّى وَقَعَ على أُمَّةٍ صالِحَةٍ ، يَهْدُونَ بالحَقِّ وَبه يَعْدِلُونَ ، مُقْسِطَةٍ مُقْتَصِدَةٍ ، يَقْسِمُونَ بالسَّوِيَّةِ ، وَيَحكمُونَ بالعَدْلِ ، وَيَتَراحَمُونَ ، حالُهُم واحِدَةٌ ، وَكَلِمَتُهُمْ واحِدَةٌ ، وَأَخْلاقُهُم مُسْتَقِيْمَةٌ ، وَطَرِيقَتُهم مُسْتَوِيَةٌ ، وَقُبُورُهم بأَبْواب بُيُوتِهم ، وَلَيْسَ لِبيُوتِهِم أَغْلاقٌ ، وَلَيْس عَليهم أُمَراءُ ، وَلا بَيْنَهم قُضاةٌ ، وَلا بَيْنَهُم أَغْنِياءُ وَلا فُقَراءُ ، وَلا أَشْرافٌ ، وَلا مُلُوكٌ ؛ لا يَخْتَلِفُونَ ولا يَتفاضَلُونَ ، وَلا يَتَنازَعُونَ ولا يَتَسابُّونَ ، وَلا يَقْتَتِلُونَ ، وَلا يَضْحَكُونَ وَلا يَحْزَنُونَ ، وَلا تُصِيبُهمُ الآفاتُ التي تُصِيبُ النَّاسَ ؛ وَهُمَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْماراً ، وَلَيْسَ فِيهم مِسْكِينٌ ولا فَقِيرٌ ، وَلا فَظٌّ وَلا غَلِيظٌ .

فَلَمَّا رَأَى ذلكَ ذُو القَرْنَيْنِ ، عَجِبَ من أَمْرِهِم ، وَقالَ : خَبِّرُونِي أَيُّها القَوْمُ خَبَرَكُم ، فإِنِّي قد أَحْصَيْتُ الدُّنْيا كُلَّها ، بَرَّها وَبَحْرَها ، شَرْقَها وَغَرْبَها ، فَلَمْ أَرَ أَحَداً مِثْلَكُم ، فَخَبِّرُونِي خَبَرَكُمْ . قالُوا : نَعم ، فَسَلْ عَمَّا تُرِيدُ .

فقالَ : خَبِّرُونِي ، ما بَالُ قُبوركم على أَبْواب بُيُوتِكم ؟ قالُوا : عَمْداً فَعَلْنا ذلكَ ، لِئَلاَّ نَنْسَى المَوْتَ ، وَلِئَلاَّ يَخْرُجَ ذِكْرُهُ من قُلُوبِنا .

قَالَ : فَما بَالُ بُيوتِكم لَيسَ عَلَيْها أَغْلاقٌ ؟ قَالُوا : لَيْسَ فِيْنا مُتَّهَمٌ ، وَلَيْسَ مِنَّا إِلاَّ أَمينٌ .

قَالَ : فَما بالُكم لَيْسَ عَليكم أُمراءُ ؟ قالُوا : لا حاجَةَ لَنا بِذَلكَ .

قَالَ : فَما بَالُكم لَيسَ عَلَيْكُمْ حُكَّامٌ ؟ قَالُوا : لأَنَّا لا نَخْتَصِمُ .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٢٥ .

قالَ : فَما بالكم لَيْسَ فِيكُم أَغْنِياءُ ؟ قَالُوا : لأَنّنا لا نَتكاثَرُ بِالأَمْوالِ .

قَالَ : فَما بالُكم لَيْسَ فِيكُم مُلُوكٌ ؟ قالُوا : لأَنَّا لا نَرْغَبُ في مُلْكِ الدُّنْيا .

قَالَ : فَما بالكم لَيْس فِيكُم أَشْرافٌ ؟ قَالُوا : لأَنَّا لا نَتفاخَرُ .

قَالَ : فَما بَالُكُم لا تَتَنَازَعُونَ ولا تَخْتَلِفُونَ ؟ قَالُوا : من صَلاحِ ذاتِ بَيْنِنا .

قَالَ : فَما بالُكُم لا تَقْتَتِلُونَ ؟ قَالُوا : من أَجْلِ أَنَّا سُسْنا أَنْفُسَنا بِالحِلْمِ .

قَالَ : فَما بالُ كَلِمَتُكم واحِدَةٌ ، وَطَرِيقَتُكم مُستقِيمَةٌ ؟ قَالُوا : من قِبَلِ أَنَّا لا نَتكاذَبُ ، وَلا نَتخادَعُ ، وَلا يَغْتابُ بَعْضُنا بَعْضاً .

قَالَ : فَأَخْبِرُوني من أَيِّ شَيْءٍ تَشابَهَتْ قُلُوبُكم ، وَاعْتَدَلَتْ سَرائِرُكم ؟ قَالُوا : صَحَّتْ نِيّاتُنا ، فَنُزِعَ بِذلكَ الغِلُّ من صُدُورِنا والحَسَدُ من قُلُوبِنا .

قَالَ : فَما بَالُكم لَيْسَ فِيكُم مِسْكِينٌ وَلا فَقيرٌ ؟ قَالُوا : من قِبَلِ أَنَّا نَقْتَسِمُ بِالسَّوِيَّةِ .

قَالَ : فَمَا بَالُكُمْ لَيْسَ فِيكم فَظٌّ غَلِيظٌ ؟ قَالُوا : من قِبَلِ الذُّلِّ وَالتَّواضُعِ لِرَبِّنَا .

قَالَ : فَلأَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْماراً ؟ قَالُوا : من قِبَلِ أَنَّا نَتعاطَى بِالحَقِّ ، وَنَحْكُمُ بِالعَدْلِ .

قالَ : فَلأَيِّ شَيْءٍ لا تَضْحَكُونَ ؟ قالُوا : لِئَلاَّ نَغفلَ عن الاسْتِغْفارِ .

قالَ : فما بَالُكم لا تَحْزَنُونَ ؟ قالُوا : من أَجْلِ أَنَّا وَطَنَّا أَنْفُسَنا لِلبَلاءِ مُذْ كُنَّا أَطْفالاً ، فَأَحْبَبْناهُ وَحَرِصْنا عَلَيه .

قَالَ : فَلأَيِّ شَيْءٍ لا تُصِيبُكم الآفاتُ كَما تُصِيبُ النَّاسَ ؟ قَالُوا : لأَنَّا لا نَتَوَكَّلُ على غَيْرِ اللهِ تَعالى ، وَلا نَعْمَلُ بِالأَنْواءِ وَالنُّجُومِ .

قَالَ : حَدِّثُونِي ، هَكَذَا وَجَدْتُم آباءَكُمْ ؟ قَالُوا : نَعم ، وَجَدْنا آباءَنا

يَرْحَمُونَ مَساكِيْنَهم ، وَيُواسُونَ فُقَراءَهم ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُم ، وَيُحْسِنُونَ إِلى من أَسَاءَ إِلَيْهِم ، وَيَحْلُمُونَ على من جَهِلَ عَلَيهم ، وَيَصِلُونَ أَرْحامَهُم ، وَيُؤَدُّونَ أَمانَتَهم ، وَيَحْفَظُونَ وَقْتَ صَلَواتِهم ، وَيُوفُونَ بِعُهُودِهِم ، وَيَصْدُقُونَ في مَواعِيدِهم ؛ فَأَصْلَحَ اللهُ بِذلكَ أَمْرَهُم ، وَحَفِظَهم ما دامُوا أَحْياءَ ؛ وَكانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَخْلُفَهم بِذلكَ في عَقِبِهِم .

فقالَ ذُو القَرْنَيْنِ : لو كُنْتُ مُقِيماً عِنْدَ أَحَدٍ ، لأَقَمْتُ عندَكم ؛ وَلكِنْ لَمْ أُومَرْ بِالإِقامَةِ .

وَقَدْ ذَكَرْنا الاخْتِلافَ بينَ العُلَماءِ في نَسَبِهِ ، وَاسْمِهِ ، وَنُبُوَّتِهِ ، في « بابِ السِّينِ المُهملَةِ » في « السّعلاةِ » .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُ الغَرانِيقِ ، لأَنَّها من الطَّيِّباتِ .

الخَواصُّ[١] : زِبْلُ الغُرْنَيْقِ : يُسْحَقُ بِالماءِ ، وَتُبَلُّ فِيهِ فَتيلَةٌ ، وَيُجْعَلُ في الأَنْفِ ؛ يَنْفَعُ من كُلِّ قَرْحَةٍ تَكُونُ فِيها . وَاللهُ أَعلَمُ .

٧٢٠ **الغِرْغِرُ** : بِالكَسْرِ : الدَّجاجُ البَرِّيُّ ؛ الواحِدُ غِرْغِرَةٌ[٢] ؛ وَأَنْشَدَ أَبو عَمرٍو لابْنِ أَحْمَرَ[٣] : [من الطويل]

أَلَفُّهُمُ بِالسَّيْفِ من كُلِّ جانِبٍ كَمَا لَفَّتِ العِقْبانُ حِجْلى وَغِرْغِرا

● وَفِي كِتابِ « الغَرِيب » قالَ الأَزهريُّ[٤] : كان بَنو إِسرائِيلَ من أَهْلِ تِهامَةَ ، أَعَزَّ النَّاس على اللهِ ، فَقَالُوا قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ ، فَعاقَبَهُمُ اللهُ تَعالَى

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٧ .

(٢) عن الصِّحاح « غرر » ٢/ ٧٦٩ .

(٣) هُو عمرو بن أَحمر الباهليّ والبيت له في الصِّحاح « غرر » ، ولم يرد في ديوانه . وهو بلا نسبة في اللِّسان والتَّاج « غرر » ، ومعجم مقاييس اللُّغة ٤/ ٣٨٢ .

(٤) المستطرف ٢/ ٥٠٨ . وفي النِّهاية ٣/ ٣٦٠ : وفي حديث الزُّهريّ .

بِعُقُوبَةٍ تَرَوْنَها الآنَ بِأَعْيُنِكُمْ : جَعَلَ رِجالَهُم القِرَدَةَ ، وَبُرَّهم الذُّرَةَ ، وَكِلابَهُم الأُسودَ ، وَرُمَّانَهُم الحَنْظَلَ[١] ، وَعِنَبَهُم الأَراكَ ، وَجَوْزَهُم السَّرْوَ ، وَدجاجَهم الغِرْغِرَ ، وَهُوَ دَجاجُ الحَبَشِ ، لا يُنْتَفَعُ بِلَحْمِهِ لِرائِحَتِهِ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، لأَنَّ العَرَبَ لا تَسْتَخْبِثُهُ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

٧٢١ الغِرْناقُ : بِالكَسْرِ : طائِرٌ ؛ حَكاهُ ابنُ سِيْدَه[٢] .

٧٢٢ الغَزالُ : وَلَدُ الظَّبْيَةِ إِلى أَنْ يَقْوى وَيَطْلُعَ قَرْناهُ ؛ والجَمْعُ غِزْلَةٌ وَغِزْلانٌ ، مِثْلُ غِلْمَةٍ وَغِلْمانٍ ، وَالأُنْثى غَزالَةٌ . كَذا قالَهُ ابنُ سِيْدَه وَغَيرُهُ[٣] .

وَاسْتَعْمَلَهُ الحَريريُّ في آخِرِ « المَقامَةِ الخامِسَةِ » كَذلِكَ في قَوْلِهِ[٤] : « فَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الغَزالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ الغَزالَةِ » . أَرادَ بِالأَوَّلِ الشَّمْسَ ، وَبِالثَّاني الأُنْثى من أَوْلادِ الظِّبَاءِ .

وَقَدْ غَلَّطَهُ في ذلكَ بعضُهم ، وَالصَّوابُ عَدَمُ تَغْليطِهِ ، فإِنَّهُ مَسْمُوعٌ مُسْتَعْمَلٌ نَظْماً وَنَثْراً .

● قَالَ الصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ في « شَرْحِ لامِيَّةِ العَجَمِ »[٥] وَما أَحْسَنَ قَوْلَ القائِلِ : [من الوافر]

غَـدَوْتُ مُفَكِّـراً فـي سِـرِّ أُفْـقٍ   إذا مـا العِلْـمُ مَبْـدَؤُهُ الجَهـالَـهْ[٦]

---

(١) في اللِّسان والتَّاج « غرر » : ورُمَّانُهم المَظَّ . قلت : والمظُّ : شجرٌ ينبت في جبال السَّراة ولا يحمل ثمراً . (القاموس) .

(٢) هو الغرنيق ذاته ، ولا حاجة لإفراده هنا ؛ وينظر القاموس والتَّاج « غرنق » .

(٣) المخصَّص ٨/ ٢٢ والصِّحاح واللِّسان والتَّاج « غزل » .

(٤) مقامات الحريريّ ٣٨ وشرح الشَّريشيّ ١/ ٢١٧ .

(٥) الغيث المسجم ٢/ ٢٤٣ .

(٦) في الغيث : × أرانا العلم من بعد الجهاله .

فَمـا طُـوِيَـتْ لَـهُ سُبُـلُ الـدَّراري   إلـى أَنْ أَظْفَـرَتْـهُ بـالغَـزَالَـهْ[١]

قَالَ : وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ العَلاَّمَةُ أَبُو الثَّناء مَحمود[٢] في وَصْفِ العُقاب[٣] :

[من المتقارب]

تَـرَى الطَّيْـرَ وَالـوَحْـشَ فـي كَفِّهـا   وَمِنْقـارِهـا ذا عِظَـامٍ مُـزالَـهْ
فَلَـوْ أَمْكَـنَ الشَّمْـسُ مـن خَـوْفِهـا   إذا طَلَعَـتْ مـا تَسَمَّـتْ غَـزالَـهْ

قَالَ : وَقَدْ غَلَّطُوا الحَريريّ في قَوْلِهِ : « فَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الغَزالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ الغَزالَةِ » . وَقَالُوا : لَمْ تَقُلِ العَرَبُ الغَزالَةَ إِلاَّ للشَّمْسِ ، فَلَمَّا أَرادُوا تَأْنِيثَ الغَزالِ ، قَالُوا : الظَّبْيَةَ[٤] .

ثمَّ هِيَ بعدَ ذلكَ ظَبْيَةٌ ، وَالذَّكَرُ ظَبْيٌ ، قَالَهُ في « التَّحْرير » . وَقَالَ : اعْتَمِدْهُ ، فَقَدْ وَقَعَ فِيهِ تَخْلِيطٌ في كُتُبِ الفُقَهاءِ .

قُلْتُ : وَقَدْ وَقَعَ هو في ذلكَ في بابِ « مُحَرَّماتِ الإحْرامِ » ، وَوَقَعَ للرَّافعيِّ أَيضاً بعضُ اخْتِلافٍ تَقَدَّمَ التَّنبيهُ على بَعْضِهِ في الكَلامِ على حُكْمِ الظَّبْيِ .

● وَقَدْ تَنازَعَ جَمالُ الدِّينِ يَحْيَى بن مَطْرُوح ، وَأَبُو الفَضْلِ جعفر بن شَمْس الخِلافَةِ في بَيْتٍ ، كُلٌّ مِنْهُما ادَّعاهُ ، وَهُوَ هَذا[٥] : [من الكامل]

وَأَقُـولُ : يَـا أُخْـتَ الغَـزالِ مَـلاحَـةً   فَتَقُـولُ : لا عَـاشَ الغَـزالُ ولا بَقِـي

---

(١) في الغيث : . . . شبك الدّراري× .

(٢) أبو الثناء محمود بن سلمان بن فهد ، الكاتب البليغ ، صاحب ديوان الإنشاء بدمشق ؛ توفي سنة ٧٢٥ هـ . (الوافي بالوفيات ٢٥/ ٣٠١) .

(٣) هما له في الغيث المسجم ٢/ ٢٤٣ والوافي ٢٥/ ٣٢٤ .

(٤) انتهى النَّقل عن الغيث المسجم .

(٥) وفيات الأعيان ٦/ ٢٦١ . وقال ابن خلّكان : وحلف لي ابن مطروح أَنَّ البيت له ؛ وكان محترزاً في أقواله ، ولم تُعرف منه الدَّعوى بما ليس له ، واللهُ المطَّلعُ على السَّرائر .

● وَبها سُمِّيَتِ المَرْأَةُ غَزالَةً ؛ وَهِيَ امْرَأَةُ شَبيب بن يَزيد الشَّيبانيّ الخارِجي[1] ، خَرَجَ في خِلافَةِ عَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوان ، والحَجَّاجُ أَميرُ العِراقِ يَوْمئذٍ ، وَخَرَجَ بِالمَوْصِلِ ، وَهَزَمَ عَساكِرَ الحَجَّاج ؛ وَحَصَرَهُ في قَصْرِ الكُوْفَةِ ، وَضَرَبَ بَابَ القَصْرِ بِعَمُودِهِ فَنَقَبَهُ ، وَبَقِيَتِ الضَّرْبَةُ فِيهِ إِلى أَنْ خَرِبَ قَصْرُ الإِمارَةِ .

وَكانت زَوجتُهُ غَزالَةُ نَذَرَتْ أَنْ تُصَلِّيَ في مَسْجِدِ الكُوفَةِ رَكْعَتَين ، تَقْرَأُ فِيهِما بِسُورَةِ البَقَرَةِ وآلِ عِمران ، فَفَعَلَتْ ، وَكانَتْ شَجيعَةً ؛ وَقِيلَ فِيها[1] : [من مجزوء الكامل]

وَفَّــتْ غَـــزالَـــةُ نَـــذْرَهـــا يَـــا رَبِّ لا تَغْفِـــرْ لَهَـــا

وَهَرَبَ الحَجَّاجُ في بَعْضِ حُرُوبِهِ مع شَبيبٍ من غَزالَةَ ، فَعَيَّرَهُ عِمرانُ بن حِطَّان السَّدوسيّ بِقَوْلِه[2] : [من الكامل]

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الحُرُوبِ نَعامَةٌ فَتْخاءُ تَنْفِرُ مِن صَفِيْرِ الصَّافِرِ
هَلاَّ كَرَرْتَ إِلى غَزالَةَ في الوَغَى بَلْ كان قَلْبُكَ في جَناحَيْ طائِرِ

● وَحُكِيَ أَنَّ الحَجَّاجَ لَمَّا بَرَزَ لَهُ شَبيبٌ الخارِجيُّ في بَعْضِ أَيَّام مُحارَبَتِه ، أَبْرَزَ إِلَيْهِ غُلاماً لَهُ ، أَلْبَسَهُ لِباسَهُ المَعْرُوفَ بِهِ ، وَأَرْكَبَهُ فَرَسَهُ الذي لَمْ يَكُنْ يُقاتِلُ إِلاَّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رآهُ شَبيبٌ غَمَسَ نَفْسَهُ في الحَرْبِ إِلى أَنْ خَلَصَ إِلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ بِعَمُودٍ كان بِيَدِهِ ، وَهوَ يَظُنُّهُ الحَجَّاجَ ، فَلَمَّا أَحَسَّ الغُلامُ بِالضَّرْبَةِ ، قَالَ : أَخ ـ بِالخَاءِ المُعجمَةِ ـ فعرفَ شَبيبٌ منهُ بِهذِهِ اللَّفْظَةِ أَنَّهُ عَبْدٌ ، فانْثَنى عنهُ وَقَالَ : قَبَّحَ اللهُ ابْنَ أُمِّ الحَجَّاجِ ، أَيَتَّقِي المَوْتَ بِالعَبِيدِ ؟

---

(١) عن وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٤ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٤٨٨ .
(٢) شعر الخوارج ٢٥ ووفيات الأعيان والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٤٥٠ .

● قَالَ الجوهريُّ : وَالعَرَبُ إِنَّما تنطقُ بِهذِهِ اللَّفْظَةِ بالحاءِ المُهملَةِ .

● وَلَمَّا[1] عَجزَ الحجَّاجُ عن شَبيبٍ ، بَعَثَ إِليْهِ عَبْدُ المَلِكِ عَساكِرَ كَثيرَةً من الشَّامِ ، فتكاثَرُوا عَلى شَبيبٍ ، فَهَرَبَ ؛ فَلَمَّا حَصَلَ على جِسْرِ دُجَيْلٍ بالأَهْوازِ ، نفَرَ بِهِ فَرَسُهُ ، وَعليْهِ الحَديدُ الثَّقيلُ من دِرْعٍ وَنَحْوِهِ ، فَأَلْقاهُ في المَاءِ ؛ فَقَالَ لَهُ بعضُ أَصْحابِهِ : أَغَرَقاً يا أَميرَ المُؤمنين ؟ قَالَ : ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

فَلَمَّا غَرِقَ أَلْقاهُ دُجَيْلٌ إِلى السَّاحِلِ ، فَحَمَلُوهُ إِلى الحَجَّاجِ ، فَشَقَّ بَطْنَهُ واسْتَخْرَجَ قَلْبَهُ ، فإِذا هُوَ كَالحَجَرِ ، إِذا ضُرِبَتْ بِهِ الأَرْضُ نَبا عَنْها ، فَشُقَّ فكان داخِلَهُ قَلْبٌ صَغيرٌ كَالكُرَةِ ، فَشُقَّ فَأُصِيبَ فِيهِ عَلَقَةٌ من الدَّمِ .

وَكانَ شَبيبٌ إِذا صَاحَ على الجَيْشِ ، لا يَلْوِي أَحَدٌ على أَحَدٍ .

● وَلَمَّا غَرِقَ أَحْضَرَ عبدُ المَلِكِ عِتْبانَ الحَروريَّ ، وَهو يَرى رَأْيَ الخَوارِجِ ، فَقَالَ : يا عَدُوَّ اللهِ ، أَلَسْتَ القائِلَ[2] : [من الطَّويل]

فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كان مَرْوانُ وَابْنُهُ ... وَعَمْرٌو وَمِنْكُمْ هاشِمٌ وَحَبيبُ
فَمِنَّا حُصَيْنٌ وَالبَطِينُ وَقَعْنَبٌ ... وَمِنَّا أَميرُ المُؤمنينَ شَبيبُ

فَقَالَ : لَمْ أَقُلْ ذلكَ يَا أَميرَ المُؤمنين ؛ وَإِنَّما قُلْتُ : وَمِنَّا أَميرَ المؤمنينَ شَبيبُ ؛ فَقَبِلَ قَوْلَهُ ، وَعَفا عَنْهُ .

وَهَذا الجَوابُ في نِهايَةِ الحُسْنِ ، فإِنَّهُ إِذا كان قَوْلُهُ : وَمِنَّا أَميرُ المؤمنينَ

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٥ .

(٢) معجم الشُّعراء ١٠٩ ووفيات الأعيان ٢/ ٤٥٦ وعيون الأخبار ٢/ ١٥٥ والبصائر والذَّخائر ٦/ ٦٦ والمستجاد ٢٤٤ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٢٠٤ وشعر الخوارج ٦٤ . والبيتان ضمن قطعة في مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٦٥ لأَبي المنهال الخارجيّ . وهو كنية عتبان الخارجي المذكور ، كما نبّه عليه ابن خلّكان ٢/ ٤٥٧ . وفي مروج الذَّهب ٤/ ٢٧ لمصقلة بن عتبان .

شَبيبٌ ، مَرْفُوعاً ؛ كان مُبتدأً ، فيَكُونَ شَبيبٌ أَميرَ المُؤمنين ؛ وَإِذا نَصَبَ كَانَ ، مَعْناه : وَمِنَّا يا أَميرَ المؤمنينَ شَبيبٌ .

وَلَمْ يَخْرُجْ عليهم أَحَدٌ مثلُ شَبيبٍ ، فإِنَّ أَيَّامَهُ طالَتْ ، وَهَزَمَ عَساكِرَ كَثيرَةً ، وَجَبَى الخَراجَ .

● وَقَالَ يُوسُف الجَوهريُّ[1] : [من الكامل]

وإِذا الغَزالَةُ في السَّماءِ تَرَفَّعَتْ ... وَبَدا النَّهارُ لِوَقْتِهِ يَتَرَجَّلُ
أَبْدَتْ لِقَرْنِ الشَّمْسِ وَجْهاً مِثْلَهُ ... تَلْقَى السَّماءَ بِمِثْلِ ما تَسْتَقْبِلُ

أَرادَ بالغَزالَةِ : الشَّمْسَ وَقْتَ ارْتِفاعِها ؛ فيُقالُ : طَلَعَتِ الغَزالَةُ ؛ وَلا يُقالُ : غَرَبَتِ الغَزالَةُ .

● وَقَدْ أَبْدَعَ الصَّفِيُّ الحَلِّيُّ في غُلامٍ قَلَعَ ضِرْسَهُ ، وَأَجادَ حيثُ قالَ[2] :

[من الوافر]

لَحَى اللهُ الطَّبِيبَ لَقَدْ تَعَدَّى ... وَجَاءَ لِقَلْعِ ضِرْسِكَ بِالمُحالِ[3]
أَعاقَ الظَّبْيَ في كِلْتا يَدَيْهِ ... وَسَلَّطَ كَلْبَتَيْنِ عَلَى غَزالِ

● وَفي « سُنَنِ أَبي داود » من حَديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، الذي رَواهُ « مُسلمُ »[4] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ المُشْرِكُونَ : إِنَّهُ يقدمُ عَلَيْكُم غَداً قَوْمٌ وَهَنَتْهُمُ الحُمَّى ؛ فَلَمَّا كان الغَدُ ، جَلَسُوا مِمَّا يَلي الحِجْرَ ،

---

(١) البيتان له في دُرَّة الغوَّاص ١٢٩ والمحبُّ والمحبوب ١/ ١٨٥ والوافي بالوفيات ٢٩/ ٣٧٠ . وهما بلا نسبة في أَسرار البلاغة ٣١٦ وشرح الواحديّ لديوان المتنبيّ ١/ ١٨٣ والشّريشيّ ٣/ ٨٥ .

(٢) ديوانه ٢/ ٨٦٦ .

(٣) في أ ، ب : . . . الحكيم لقد تعدّى × .

(٤) البخاريّ ٢/ ١٦١ و ٥/ ٨٦ ومسلم (١٢٦٦) وأَبو داود (١٨٨٦) والنَّسائيّ (٢٩٤٥) ومسند أَحمد ١/ ٢٩٠ و ٢٩٥ و ٣٠٦ و ٣٧٣ .

فَأَمَرَ النَّبيُّ ﷺ أَصْحابَهُ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلاثَةَ أَشْواطٍ ، وَيَمْشُوا ما بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ ، لِيَرى المُشْرِكُونَ جَلَدَهُم . فقَالَ المُشْرِكُونَ : هَؤُلاءِ الَّذينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الحُمَّى قد وَهَنَتْهُم ؟ هَؤُلاءِ كَأَنَّهُمُ الغِزْلانُ .

فإنْ قِيلَ : هَذَا الحَديثُ يُعارِضُهُ ما فِي « صَحيحِ مسلم » عن ابنِ عُمر وجابرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، قالا : « إنَّ النَّبيَّ ﷺ رَمَلَ من الحَجَرِ الأَسْوَدِ حَتَّى انْتَهى إِلَيْهِ ثَلاثَةَ أَطْوَافٍ » .

فَالجَوابُ : أَنَّ حَديثَ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما كان في عُمْرَةِ القَضَاءِ سَنَةَ سَبْعٍ ، قبلَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَهْلُها مُشركينَ حِينئِذٍ[١] ، وَحديثُ ابن عُمر وجابرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم كان في حِجَّةِ الوَدَاعِ ، فَيَكُونُ مُتَأَخِّراً ، فَتَعَيَّنَ الأَخْذُ بِهِ ، وَهُوَ الصَّحيحُ من المَذْهَبِ .

وَحُكْمُ الغَزَالِ : الحِلُّ ، كَما تَقَدَّمَ في « بابِ الظَّاءِ » فِي لَفْظِ « الظَّبْي » .

وَفِيهِ ـ إِذا قَتَلَهُ المُحْرِمُ ، أَوْ فِي الحَرَمِ ـ عَنْزٌ . كَذا في « المُحرَّر » وَ« المِنْهاجِ » و« التَّنْبيه » و« المَناسِك » وَغيرها .

وَاسْتَدَلُّوا لذلكَ بِقَضاءِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم فِيهِ بذلكَ .

وَالذِي في « زوائِد الرَّوْضَةِ » وَصَحَّحَهُ في « شَرْحِ المُهَذَّبِ » تِبَعاً للإمامِ : أَنَّ الغزالَ اسْمٌ للصَّغِير من وَلَدِ الظِّباءِ ، ذَكَراً كان أَوْ أُنْثى ، إلى أَنْ يَطلعَ قَرْناهُ ، ثمَّ الذَّكَرُ ظَبْيٌ ، وَالأُنْثى ظَبْيَةٌ ؛ فَفِي الغَزالِ ما فِي الصِّغارِ ؛ فإنْ كان ذَكَراً فَجَدْيٌ ، وَإِنْ كان أُنْثى فَعَناقٌ .

الأَمثالُ : قَالُوا : « أَنْوَمُ من غَزالٍ »[٢] لأَنَّهُ إذا رَضَعَ أُمَّهُ فَرِوِيَ ، امْتَلأَ نَوْماً .

---

(١) وكذا قال ابن الأثير في النّهاية ٢/ ٢٦٦ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ٣٥٥ وحمزة ٢/ ٤٠١ والعسكريّ ٢/ ٣١٩ والزمخشريّ ١/ ٤٢٦ .

وَقَالُوا : « تَرَكْتُ الشَّيْءَ تَرْكَ الغَزَالِ لِظِلِّه »[1] . وَظِلُّهُ : كِناسُهُ الذِي يَسْتَظِلُّ بِهِ من شِدَّةِ الحَرِّ ؛ وَهُوَ إِذا نَفَرَ منهُ ، لا يَعُودُ إِلَيْهِ أَلْبَتَّةَ .

وَقَالُوا : « أَغْزَلُ من غَزالٍ »[2] . وَمُغازَلَةُ النِّسَاءِ : مُحادَثَتُهُنَّ ؛ وَيُوصَفُ بالغَزَلِ غَيْرُ الغَزَالِ من الحَيوانِ ، كَما قِيلَ[3] : [من مجزوء الرجز]

قَدْ أَلْبَسَتْنِي في الهَوَى ... مَلابِسَ الصَّبِّ الغَزِلْ[4]
إِنْسانَةٌ فَتَّانَةٌ ... بَدْرُ الدُّجَى مِنْها خَجِلْ[5]
إذا زَنَتْ عَيْنِي بِها ... فَبِالدُّمُوعِ تَغْتَسِلْ

وَقد تَقَدَّمَ في « الظَّبْي » قَولُهم : « تَرْكُ الغَزالِ لِظِلِّه » .

● وَمِنْ مَحاسِنِ شِعْرِ المُتَنَبِّي[6] : [من الوافر]

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزالا

وَأَنْشَدَ الثَّعالبيُّ لِبَعضِ شُعَراءِ عَصْرِه[7] : [من الوافر]

رَنا ظَبْياً وَغَنَّى عَنْدَلِيبا ... وَلاحَ شَقائِقاً وَمَشَى قَضِيبا

الخَواصُّ[8] : دِماغُ الغَزالِ يُدافُ بِدُهْنِ الغَارِ ، وَيُغْلَى ، ثُمَّ يُؤْخَذُ منهُ فَيُدافُ بِماءِ الكَمُّونِ ، وَيُشْرَبُ منهُ قَدْرَ جُرْعَةٍ ، يَنْفَعُ للسُّعالِ .

---

(١) أَمثال أَبي عبيد ١٧٩ وفصل المقال ٢٦٧ .
(٢) لم يرد في كتب الأَمثال .
(٣) الأَبيات للثّعالبيّ ، في ديوانه ١١١ ـ ١١٢ . وقد مضى الثّاني والثّالث في « الإِنس » .
(٤) في أ ، ب : لقد كستني . . . × .
(٥) في أ ، ب : . . . تيّاهةٌ × .
(٦) ديوانه ٣/ ٢٢٤ .
(٧) البيت للثّعالبيّ نفسه ، في المبهج ١١٦ وفقه اللُّغة ٣٤٤ وديوانه ٢٤ .
(٨) مفردات ابن البيطار ٣/ ١٥٠ وتذكرة داود ١/ ٢٤٥ .

وَمَرارَتُهُ : تُخْلَطُ بِقَطِرانٍ وَمِلْحٍ ، وَيَشربُ مِنْها صاحِبُ السُّعالِ الذِي يَقذفُ القَيْحَ وَالدَّمَ جُزْءاً بِماءٍ حارٍّ ، يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللهِ تَعالى .

وَشَحْمُهُ : إذا طَلَى بِهِ إِنْسانٌ إِحْلِيلَهُ ، وَجامَعَ امْرَأَتَهُ ، لَمْ تُحِبَّ سِواهُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في خَواصِّ الظَّبْيِ : أَنَّ لَحْمَ الغَزالِ حارٌّ يابِسٌ ، وَأَنَّهُ يَنْفَعُ من القُولَنْجِ والفالِجِ ، وَأَنَّهُ أَصْلَحُ لُحُومِ الصَّيْدِ ، وَاللهُ أَعلَمُ .

٧٢٣ **الغَضَارَةُ** : القَطاةَ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[١] . وَسَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ القاف » .

٧٢٤ **الغَضْبُ** : الثَّوْرُ ، والأَسَدُ[٢] . وَقَدْ تَقَدَّمَا في « بابِ الهَمْزَةِ » وَ« الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ » .

٧٢٥ **الغَضَفُ** : القَطَا الجَوْنِيُّ ؛ شَكْلٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ العَرَبِ[٣] .

٧٢٦ **الغَضُوفُ** : الأَسَدُ ، وَالحَيَّةُ الخَبِيثَةُ[٤] . وَقَدْ تَقَدَّما في « بابِ الهَمْزَةِ » و« الحاءِ المُهملَةِ » .

٧٢٧ **الغَضِيْضُ** : وَلَدُ البَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ[٥] . وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « البَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ » في « بابِ الباءِ المُوَحَّدَةِ » .

٧٢٨ **الغَطْرَبُ** : الأَفْعَى . عن كُراعٍ[٦] .

---

(١) المخصص ٨/ ١٥٨ واللِّسان « غضر » ٥/ ٣٢٦٤ .

(٢) القاموس والتاج « غضب » .

(٣) المخصص ٨/ ١٥٧ ، واللِّسان « غضف » ٥/ ٣٢٦٨ .

(٤) القاموس والتَّاج « غضف » .

(٥) كذا ! وفي القاموس واللِّسان والتَّاج « غضض » : الغَضُّ : الحديث النِّتاج من أَولاد البقر ؛ جمعه الغضاض كحبالٍ .

(٦) اللِّسان « غطرب » ٥/ ٣٢٦٩ . وانظر ما مضى « العظرب » .

وَقالَ بَعضُهم : هَذَا تَصْحِيفٌ ، إِنَّما هُوَ بِالعَيْنِ المُهملَةِ وَالظَّاءِ المُعْجَمَةِ .

٧٢٩ الغِطْرِيفُ : فَرْخُ البازِي ، وَالذُّبابُ ، وَالسَّيِّدُ الشَّرِيفُ ، وَالسَّخِيُّ . وَالجَمْعُ : غَطارِفَةٌ[١] .

٧٣٠ الغَطَلَّسُ : كَعَمَلَّسٍ : الذِّئْبُ[٢] . وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الذَّالِ المُعْجَمَةِ » .

٧٣١ الغَطاطُ : بِالفَتْحِ : ضَرْبٌ من القَطا ، غُبْرُ الظُّهُورِ والبُطُونِ وَالأَبْدانِ ، سُودُ بُطُونِ الأَجْنِحَةِ ، طِوالُ الأَرْجُلِ وَالأَعْناقِ ، لِطافٌ ؛ لا تَجْتَمِعُ أَسْراباً ، وَأَكْثَرُ ما تَكُونُ ثَلاثاً أَوِ اثْنَتَيْنِ . الواحِدَةُ غَطاطَةٌ . كَذا قالَهُ الجَوهَرِيُّ[٣] .

وَقَالَ ابْنُ سِيْدَه[٤] : الغَطاطُ : القَطَا ، وَقِيلَ : القَطَا ضَرْبانِ : فَالقِصارُ الأَرْجُلِ ، الصُّفْرُ الأَعْناقِ ، السُّودُ القَوادِمِ ، الصُّهْبُ الخَوافِي ، هِيَ الكُدْرِيَّةُ والجُونِيَّةُ . والطِّوالُ الأَرْجُلِ ، البِيْضُ البُطُونِ ، الغُبْرُ الظُّهُورِ ، الواسِعَةُ العُيُونِ : هِيَ الغَطاطُ . وَقِيلَ : الغَطاطُ : ضَرْبٌ من الطَّيْرِ ، لَيْسَ من القَطَا .

٧٣٢ الغُفْرُ : بِالضَّمِّ : وَلَدُ الأُرْوِيَّةِ ؛ وَالجَمْعُ : أَغْفارٌ[٥] .

وَالغِفْرُ : بِالكَسْرِ : وَلَدُ البَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ[٥] .

---

(١) القاموس والتَّاج « غطرف » .

(٢) القاموس والتَّاج « غطلس » .

(٣) الصِّحاح « غطط » ٣/١١٤٦ . والنَّصّ بحروفه في المخصَّص ٨/١٥٧ إلاَّ أَنَّ فيه : الغَطاط : ضَرْبٌ من الطَّير ، ليس من القطا ، وهي غُبر الظُّهور . . . . وسينبّه عليه المؤلّف في نهاية المادَّة .

(٤) المخصَّص ٨/١٥٧ .

(٥) اللِّسان « غفر » ٥/٣٢٧٥ .

٧٣٣ **الغَمَّاسَةُ** : مُشَدَّدَة : طائِرٌ يَنْغَمِسُ فِي المَاءِ كَثِيراً[١] ، وَلِذلكَ عَدّوهُ من طَيْرِ المَاءِ ؛ وَالجَمْعُ غَمَّاسٌ .

٧٣٤ **الغُنافِرُ** : بالضَّمِّ : الضِّبْعانُ الكَثِيرُ الشَّعَرِ[٢] . وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « الضَّبُعِ » في « بابِ الضَّادِ المُعجمةِ » .

٧٣٥ **الغَنَمُ** : الشَاءُ ، لا واحِدَ لَهُ من لَفْظِهِ ؛ وَالجَمْعُ : أَغْنامٌ وَغُنُومٌ وَأَغانِيمُ ؛ وَغَنَمٌ مُغَنَّمَةٌ : أَي كَثيرَةٌ . هَذِهِ عِبارَةُ « المُحكم »[٣] .

وَقَالَ الجَوهريُّ : الغَنَمُ : اسْمٌ مُؤَنَّثٌ مَوْضُوعٌ لِلْجِنْسِ ، يَقَعُ عَلى الذُّكُورِ والإناثِ ، وَعَلَيْهِما جميعاً ؛ وَإِذا صَغَّرْتَها أَلْحَقْتَها الهَاءَ ، فَقُلْتَ : غُنَيْمَةٌ ؛ لأَنَّ أَسْماءَ الجُموعِ التي لا واحِدَ لَها من لَفْظِها ، إذا كانَتْ لِغَيْرِ الآدَمِيِّينَ ، فَالتَّأْنِيثُ لَها لازِمٌ . يُقالُ : لَهُ خَمْسٌ من الغَنَمِ ذُكُورٌ ، فَتُؤَنِّثُ العَدَدَ ، وَإِنْ عَنَيْتَ الكِباشَ ، إذا كان يَلِيهِ « مِن الغَنَمِ » ذُكُورٌ ، لأَنَّ العَدَدَ يَجْري في تَذْكِيرِهِ وَتَأْنِيثِهِ على اللَّفْظِ لا عَلى المَعْنَى ؛ وَالإِبِلُ كَالغَنَمِ في جَمِيعِ ما ذَكَرْناهُ .

● وَقَدْ أَجادَ الإمامُ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه حيثُ يَقُولُ[٤] : [من الطويل]

سَأَكْتُمُ عِلْمِي عن ذَوِي الجَهْلِ طاقَتِي ... ولا أَنْثُرُ الدُّرَّ النَّفِيسَ على الغَنَمْ
فَإِنْ يَسَّرَ اللهُ الكَرِيمُ بِفَضْلِهِ ... وَصادَفْتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمْ
بَثَثْتُ مُفِيداً واسْتَفَدْتُ وِدادَهُمْ ... وإلاَّ فَمَخْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَمْ
فَمَنْ مَنَحَ الجُهَّالَ عِلْماً أَضاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ المُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ

● رَوَى « عبدُ بن حُميد »[٥] بِسَنَدِهِ إلى عَطِيَّةَ [بن سعد] ، عن أَبي سَعيد

---

(١) اللِّسان « غمس » ٥/ ٣٢٩٧ .
(٢) القاموس « غنفر » ٢/ ١٠٨ .
(٣) والمخصَّص ٧/ ١٧٦ .
(٤) الأَبيات في ديوانه ٦٣ (بيجو) . وهي ـ عدا الأَوَّل ـ في ديوانه ٩٢ (بهجت) .
(٥) والبخاريّ ٤/ ٩٧ و ١٥٤ و ٥/ ١٢٢ ومسلم (٥٢) والتِّرمذيّ (٢٢٤٣) والمُوَطَّأ ٢/ ٩٧٠ =

الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، قالَ : افْتَخَرَ أَهْلُ الإبِلِ وَأَهْلُ الغَنَمِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « السَّكينَةُ والوَقارُ في أَهْلِ الغَنَمِ ، والفَخْرُ والخُيَلاءُ في أَهْلِ الإِبِلِ » .

وَهوَ في « الصَّحيحين » بِأَلْفاظٍ مُختلفَةٍ ، مِنْها : « السَّكِينَةُ وَالوَقارُ في أَهْلِ الغَنَمِ ، وَالفَخْرُ والرِّيَاءُ في الفَدَّادينَ أَهْلِ الخَيْلِ وَالوَبَرِ » .

وَفي لَفْظٍ : « الفَخْرُ والخُيَلاءُ في أَصْحابِ الإِبِلِ ، وَالسَّكينَةُ والوَقارُ في أَصْحابِ الشَّاءِ » .

أَرادَ بِالسَّكِينَةِ : السُّكُونَ ؛ وَبِالوَقارِ : التَّواضُعَ ؛ وَأَرادَ بالفَخْرِ : التَّفاخُرَ بِكَثْرَةِ المَالِ وَالجَاهِ وغيرِ ذلكَ من مَراتِبِ أَهْلِ الدُّنْيا ؛ وَبالخُيَلاءِ : التَّكَبُّرَ والتَّعاظُمَ ، ومنه قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] .

وَمُرادُهُ بالوَبَرِ : أَهْلُ الإبِلِ ، لأَنَّهُ لَها كالصُّوفِ لِلضَّأْنِ ، وَالشَّعَرِ لِلْمَعْزِ ؛ وَلِذلكَ قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [النَّحل : ٨٠] .

وَهَذا منهُ ﷺ إِخبارٌ عن أَكْثَرِ حَالِ أَهْلِ الغَنَمِ وَأَهْلِ الإِبلِ وَأَغْلَبِه .

وَقيلَ : أَرادَ بِهِ عَليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، أَي بِأَهْلِ الغَنَمِ ، أَهْلَ اليَمَنِ ، لأَنَّ أَكْثَرَهُمْ أَهْلُ غَنَمٍ ، بِخِلافِ رَبيعَةَ وَمُضَرَ فإِنَّهم أَصْحابُ إبلٍ .

● وَرَوَى « مُسلم »(١) عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : « أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ فَأَعْطاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَأَتى قَوْمَهُ ، فَقَالَ : يَا قَوْمُ أَسْلِمُوا ، فَوَاللهِ إِنَّ محمَّداً لَيُعْطِي عَطاءَ رَجُلٍ لا يَخافُ الفَقْرَ .

= ومسند أحمد ٣/ ٩٦ .

(١) مسلم (٢٣١٢) ومسند أحمد ٣/ ١٧٥ و ٢٥٩ و ٢٨٤ .

وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الدَّالِ المُهملة » في الكَلامِ على « الدَّجاجِ » الحديثُ الذي رَواهُ ابْنُ ماجَه : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ الأَغْنِياءَ باتِّخاذِ الغَنَمِ ، وَأَمَرَ الفُقَراءَ باتِّخاذِ الدَّجاجِ » . وَقالَ : « عِنْدَ اتِّخاذِ الأَغْنِياءِ الدَّجاجَ ، يَأْذَنُ اللهُ بِهَلاكِ القُرَى » .

وَقَدْ بَيَّنَّا مَعناهُ في « شَرْحِ سُنَنِ ابنِ ماجَه » . وَبَيَّنَّا أَنَّ في إِسْنادِهِ عليَّ بن عُروة الدِّمشقيّ ، وَأَنَّ ابْنَ حِبَّانَ قالَ : كان يَضَعُ الحَديثَ .

وَالغَنَمُ على ضَرْبَيْنِ : ضائِنَةٌ وَماعِزَةٌ .

قالَ الجاحِظُ : اتَّفقُوا على أَنَّ الضَّأْنَ أَفْضَلُ من المَعْزِ .

قُلتُ : وَصَرَّحَ الأَصْحابُ بِذلكَ في الأُضْحِيَةِ أَوْ غيرِها .

وَاسْتَدَلُّوا عَلى أَفْضَلِيَّتِه بِأَوْجُهٍ : **منها**[1] : أَنَّ اللهَ تَعالَى بَدَأَ بِذِكْرِ الضَّأْنِ في القُرْآنِ ، فقالَ : ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأَنعام : ١٤٣] .

وَمنْها[1] : قَوْلُهُ تَعالَى حِكايَةً عن الخَصْمَيْنِ : ﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص : ٢٣] وَلَمْ يَقُلْ : تِسْعٌ وَتِسْعُونَ عَنْزاً ، وَلِي عَنْزٌ واحِدَةٌ .

وِمْنها[1] : قَوْلُهُ تعالَى : ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافَّات : ١٠٧] وَأَجْمَعُوا كَما قَالَ الجاحِظُ أَنَّهُ كَبْشٌ .

وَسَيَأْتِي الكَلامُ على ذَلِكَ إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الكَافِ » .

وَمِنْها[2] : أَنَّ الضَّأْنَ تَلِدُ في السَّنَةِ مَرَّةً وَتُفْرِدُ غالِباً ، وَالمَعْزُ تَلِدُ مَرَّتَيْنِ وَقَدْ تُثَنِّي وَتُثَلِّثُ ، وَالبَرَكَةُ أَكْثَرُ في الضَّأْنِ .

---

(١) الحيوان ٥/ ٤٥٥ .

(٢) الحيوان ٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧ .

ومنها[1] : أَنَّ الضَّأْنَ إذا رَعَتْ شَيْئاً من الكَلأِ فإِنَّهُ يَنْبُتُ ، وإذا رَعَتِ المَعْزُ شَيْئاً لا يَنْبُتُ ـ وَقَد تَقدَّمَ ـ لأَنَّ المَعْزَ تَقْلَعُهُ من أُصُولِهِ ، وَالضَّأْنُ تَرْعَى ما عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ .

وَمِنْها[2] أَنَّ صُوفَ الضَّأْنِ أَفْضَلُ من شَعْرِ المَعْزِ وَأَعَزُّ قِيْمَةً ، وَلَيْسَ الصُّوفُ إلاَّ لِلضَّأْنِ .

وَمِنْها[2] : أَنَّهُم كانُوا إذا مَدَحُوا شَخْصاً قَالُوا : إِنَّما هُوَ كَبْشٌ ، وإذا ذَمُّوهُ قَالُوا : إِنَّما هو تَيْسٌ ؛ وإذا أَرادُوا المُبالَغَةَ في الذَّمِّ قَالُوا : إِنَّما هُوَ تَيْسٌ في سَفِينَةٍ .

وِمَمَّا أَهانَ اللهُ بِهِ التَّيْسَ أَنْ جَعَلَهُ مَهْتُوكَ السِّتْرِ ، مَكْشُوفَ القُبُلِ والدُّبُرِ ، بِخِلافِ الكَبْشِ ، وَلِهذا شَبَّهَ النَّبيُّ ﷺ المُحَلِّلَ بالتَّيْسِ المُسْتَعار .

وَمِنْها[2] : أَنَّ رُؤُوسَ الضَّأْنِ أَطْيَبُ وَأَفْضَلُ من رُؤُوسِ الماعِزِ ، وَكَذلك لَحْمُها .

فإِنَّ[3] أَكْلَ لَحْمِ الماعِزِ يُحَرِّكُ المِرَّةَ السَّوداءَ ، وَيُوَلِّدُ البَلْغَمَ ، وَيُورِثُ النِّسْيَانَ ، وَيُفْسِدُ الدَّمَ ؛ وَلَحْمُ الضَّأْنِ عَكسُ ذلكَ . انتهى .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ أَبُو زَيدٍ : يُقالُ لِما تَضَعُهُ الغَنَمُ من الضَّأْنِ وَالمَعْزِ حالَ وَضْعِهِ : سَخْلَةً ، ذَكَراً كان أَو أُنْثى ، وَالجَمْعُ سَخْلٌ ـ بِفَتْحِ السِّينِ ـ وَسِخالٌ ـ بِكَسْرِها ـ ثمَّ لا يَزالُ اسْمُهُ ذلكَ ما دَامَ يَرْضَعُ اللَّبَنَ ، ثمَّ يُقالُ للذَّكَرِ والأُنْثى : بَهْمَةٌ ـ بِفَتْحِ البَاءِ ـ والجَمْعُ : بُهْمٌ ـ بِضَمِّها ـ .

وَيُقالُ لِوَلَدِ المَعْزِ حِينَ يُولَدُ: سَليلٌ وَسَلِيطٌ ؛ فإذا بَلَغَ أَربعةَ أَشْهُرٍ ، وَفُصِلَ

---

(١) الحيوان ٥/ ٤٧٠ .
(٢) الحيوان ٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧ .
(٣) الحيوان ٥/ ٤٦١ .

عن أُمِّهِ ، وَأَكَلَ من البَقْلِ ، فإذا كان من أَوْلادِالمَعْزِ ، فَهوَ جَفْرٌ ، وَالأُنْثَى جَفْرَةٌ ، وَالجَمْعُ : جِفارٌ .

وَذَكَرَ في « كِفايَةِ المُتَحَفِّظِ » : أَنَّ الجَفْرَ وَالجَفْرَةَ يَقَعانِ على الطِّفْلِ وَالطِّفْلَةِ من بَني آدَمَ حين يَأْكُلانِ الطَّعامَ . انتهى .

فإذا قَوِيَ وَأَتى عَليهِ حَوْلٌ فَهُوَ عَريضٌ ـ بفَتْحِ العَيْنِ المُهملَةِ ، وكَسْرِ الرَّاءِ وَالياءِ المُثَنَّاةِ التَّحتيَّةِ ، وَبالضَّادِ المُعجمَةِ في آخِرِهِ ـ وَجَمْعُهُ : عِرْضَانٌ بِكَسْرِ العَيْنِ[1] ؛ والعَتُودُ : نَوْعٌ منهُ ، وجَمْعُهُ : أَعْتِدَةٌ وعِتْدانٌ .

وقال يُونس : جَمْعُهُ أَعْتدَةٌ وعِتَدَةٌ[2] .

وهو في كلِّ ذلكَ جَدْيٌّ ، والأُنثى عَناقٌ ، إذا كان من أَوْلادِ المَعْزِ .

وَيُقالُ لَهُ إذا تبعَ أُمَّهُ : تِلْوٌ ، لأَنَّهُ يَتْلُو أُمَّهُ . وَيُقالُ للجَدْيِ : أُمَّرٌ ، بِضَمِّ الهَمزَةِ ، وَتَشْدِيدِ المِيمِ ، وَبالرَّاءِ المُهملَةِ في آخِرِهِ[3] .

وَيُقالُ لَهُ : هُلَّعٌ وَهُلَّعَةٌ ، بِضَمِّ الهاءِ وَتَشْديدِ اللاَّمِ[4] ؛ وَالبَكْرَةُ : العَناقُ أَيْضاً .

وَالعُطْعُطُ : الجَدْيُ ؛ فإذا أَتَى عَليهِ حَوْلٌ فَالذَّكَر تَيْسٌ ، وَالأُنْثى عَنْزٌ .

ثم يَكُونُ جَذَعاً في السَّنَةِ الثَّانيَةِ وَالأُنْثى جَذَعَةٌ ؛ فإذا طَعَنَ في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَهو ثَنِيٌّ ، وَالأُنْثَى ثَنِيَّةٌ ؛ فإذا طَعَنَ في السَّنَةِ الرَّابعَةِ كان رَباعِيَّاً ، وَالأُنثى رَباعِيَّةٌ ؛ ثمَّ يَكُونُ خُماسِيَّاً ، وَالأُنْثى خُماسِيَّةٌ ؛ ثمَّ يَكُونُ سُداسِيَّاً ، وَالأُنثى

---

(١) وعُرضان . بضمِّ العين . اللِّسان « عرض » .

(٢) في الصِّحاح « عتد » ٢/ ٥٠٥ : والجمع : أَعْتِدَةٌ وعِدَّانٌ ، وأَصْلُهُ : عِتْدانٌ ، فأُدغم .

(٣) كذا . وفي الصِّحاح « أمر » ٢/ ٥٨٢ : الإِمَّرُ : الصَّغير من ولد الضَّأن ، والأُنثى : إِمَّرَةٌ .

(٤) في الصِّحاح « هلع » ٣/ ١٣٠٨ : ويقال : ما له هِلَّعٌ ولا هِلَّعَةٌ . أَي : ما لَهُ جَديٌ وَلا عَناقٌ .

سُداسِيَّةً ؛ ثمَّ يَكُونُ صَالِغاً ، وَالأُنثى كذلكَ .

وَيُقالُ : صَلَغَ يَصْلَغُ صُلُوغاً ، وَالجَمْع : الصُّلَّغُ ، بِتَشْدِيدِ الصَّادِ وَاللاَّمِ .

قَالَ الأَصمعيُّ : الحُلاَّنُ والحُلاَّمُ : من أَولادِ المَعزِ خاصَّةً .

● وَفي الحَدِيثِ : « في الأَرْنَبِ يُصِيبُها المُحْرِمُ حُلاَّنٌ » .

● قالَ الجاحِظُ : وَقد قالُوا في أَوْلادِ الضَّأْنِ ، كَما قالُوا في أَوْلادِ المَعْزِ إلاَّ فِي مَواضِعَ .

● قَالَ الكِسائيُّ : هو خَرُوفٌ في العَرِيضِ من أَوْلادِ المَعْزِ ، وَالأُنْثى خَروفَةٌ . وَيُقالُ لَهُ : حَمَلٌ ، وَالأُنْثى رَخِلٌ ، بِفَتْحِ الرَّاءِ المُهملَةِ ، وَكَسْرِ الخَاءِ المُعجمَةِ ، وَجَمْعُهُ : رُخالٌ ، بِضَمِّ الرَّاءِ المُهملَةِ[1] ، وَهُو مِمَّا جُمِعَ على غَيْرِ قِياسٍ ، كما قَالُوا في المُرْضِعِ : ظِئْرٌ وَظُؤارٌ ، وَفي وَلَدِ البَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ : فَرِيرٌ وَفُرارٌ ، وَلِلشَّاةِ القَرِيبَةِ العَهْدِ بالنِّتاجِ : رُبَّى وَرُبابٌ ، وَلِلعَظْمِ الذي عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ من اللَّحْمِ عَرْقٌ وَعُراقٌ ، ، وَللمَوْلَودِ مع قَرِينِه : تَوْأَمٌ وَتُؤَامٌ .

وَالبَهْمَةُ : للذَّكَرِ والأُنْثى من أَوْلادِ الضَّأْنِ والمَعْزِ جَميعاً ، وَلا يَزالُ كذلكَ حَتَّى يَأْكُلَ وَيَجْتَرَّ ، ثم هُو قِرْقِرٌ ـ بِقافَيْنِ مَكْسُورتَيْنِ ـ وَالجَمْعُ : قِرْقارٌ وَقُرقُورٌ ، وَهَذا كُلُّهُ حِينَ يَأْكُلُ وَيَجْتَرُّ .

وَالجِلامُ ـ بِكَسْرِ الجِيْمِ ـ الجَدْيُ أَيْضاً . وَالبَذَجُ ـ بِفَتْحِ الباءِ المُوَحَّدَةِ ، وَالذَّالِ المُعجمَةِ ، وَبِالجِيمِ في آخِرِهِ ـ من أَوْلادِ الضَّأْنِ خاصَّةً ، وَالجَمْعُ : بِذْجانٌ .

● رَوَى « ابْنُ ماجه »[2] وشَيْخُهُ « ابن أَبي شَيْبَةَ » بِإِسْنادٍ صَحِيحٍ ، عن

---

(١) ورِخال ، بكسر الرَّاء . (الصِّحاح « رخل » ٤/١٧٠٨) .

(٢) ابن ماجه (٢٣٠٤) ومسند أَحمد ٦/٣٤٣ .

أُمِّ هانِىءٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لَها : « اتَّخِذِي غَنَماً ، فإِنَّ فِيها بَرَكَةً » .

● وَشَكَتْ[١] إِلَيْهِ امْرَأَةٌ أَنَّ غَنَمَها لا تَزْكُو ، فَقالَ لَها ﷺ : « مَا أَلْوانُها ؟ » قَالَتْ : سُودٌ ، فَقالَ : « عَفِّري » . أَي : اسْتَبْدِلِي أَغْناماً بِيْضاً ، فإِنَّ البَرَكَةَ فِيها » .

● وَفي الحَديثِ[٢] : « صَلُّوا في مَرابِضِ الغَنَمِ ، وَامْسَحُوا رُغامَها » . وَالرُّغامُ ما يَسِيلُ من الأَنْفِ .

● وَقَدْ تَقَدَّمَ في « البَهِيمَةِ » ما رَواهُ « أَبُو داود » في أَبْوابِ الطَّهَارَةِ ، عن لَقِيط بن صبرة : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَتْ له مِئَةُ شاةٍ لا يُرِيدُ أَنْ تَزِيدَ ، وَكانَتْ كُلَّما وَلَدَتْ سَخْلَةً ، ذَبَحَ مَكانَها شَاةً » .

● وَرَوى « مالِكٌ » و« البُخاريُّ » و« أَبُو داود » وَ« النَّسائي » و« ابنُ ماجه »[٣] عن أَبِي سَعيدٍ الخُدْرِيّ ، قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ المُسْلِمِ غَنَماً ، يَتْبَعُ بِها شَعَفَ الجِبالِ ، وَمَواقِعَ القَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِيْنِهِ من الفِتَنِ » .

شَعَفُ الجِبالِ : بِفَتْحِ الشِّيْنِ المُعْجمَةِ والعَيْنِ المُهملَةِ : رُؤُوسُها ؛ وَشَعَفُ كُلِّ شَيْءٍ : أَعلاهُ .

قَالَ ابنُ بَطَّالٍ : قَالَ أَبُو الزِّنادِ : خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ الغَنَمَ من بَيْنِ سائِرِ الأَشْيَاءِ ، حَضّاً عَلى التَّواضُعِ ، وَتَنْبيهاً على إِيْثارِ الخُمُولِ ، وَتَرْكِ الاسْتِعْلاءِ

---

(١) النِّهاية ٣/ ٢٦١ .

(٢) النِّهاية ٢/ ٢٣٩ . ويقالُ : رُعامَها ـ بالعين المهملة . النِّهاية ٢/ ٢٣٥ .

(٣) البخاريّ ٤/ ٩٧ وأبو داود (٤٢٦٧) والنَّسائيّ (٥٠٣٦) وابن ماجه (٣٩٨٠) والمُوَطَّأ ٢/ ٩٧٠ ومسند أَحمد ٣/ ٦ و ٣٠ و ٤٢ و ٥٧ .

والظُّهُورِ ؛ وَقَدْ رَعَى الأَنْبياءُ وَالصَّالِحُونَ الغَنَمَ .

● وَقالَ ﷺ : « مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلاَّ رَعَى غَنماً » . وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ السَّكِيْنَةَ فِي أَهْلِ الغَنَمِ .

● وَرَوَى « الطَّبرانيُّ » وَالبيهقيُّ في « الشُّعَبِ » عن نافعٍ[1] ، عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : أَنَّهُ خَرجَ في بَعْضِ نَواحِي المَدينَةِ ، وَمَعَهُ أَصْحابٌ لَهُ ، فَوَضَعُوا لَهُ السُّفْرَةَ ، فَمَرَّ بِهِم راعِي غَنَمٍ ، فَسَلَّمَ ، فقالَ لَهُ ابْنُ عُمر : هَلُمَّ يَا راعِي فَكُلْ مَعنا ؛ فَقالَ : إِنِّي صائِمٌ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَتَصُومُ في هَذَا اليَوْمِ الشَّديدِ الحَرِّ ، وأَنْتَ في هَذِهِ الجِبَالِ تَرْعَى هذِهِ الغَنَمِ ؟ فقالَ لَهُ : إِنِّي ـ واللهِ ـ أُبادِرُ أَيَّامِي هذِهِ الخالِيَةِ ؛ فقالَ لَهُ ابْنُ عُمر ـ يُرِيدُ أَنْ يَختبرَ وَرَعَهُ ـ : هَلْ لَكَ أَنْ تَبيعَنا شَاةً من غَنَمِكَ هذِهِ ، فَنُعْطِيكَ ثَمَنَها ، وَنُطْعِمُكَ من لَحْمِها ، فَتُفْطِرُ عَلَيْه ؟ فَقالَ : إِنَّها لَيْسَت لي،إِنَّها غَنَمُ سَيِّدِي ؛ فقالَ لَهُ ابْنُ عُمر : وَمَا عَسَى سَيِّدُكَ فاعِلاً إِذا فَقَدَها وَقُلْتَ : أَكَلَها الذِّئْبُ ؟ فَوَلَّى الرَّاعِي عنهُ وَهُوَ يَقُولُ : فَأَيْنَ الله ؛ يَرْفَعُ بِها صَوْتَهُ ، وَيُشِيرُ بِأُصْبَعِهِ إِلى السَّمَاءِ ؛ فَجَعلَ ابْنُ عُمر يُرَدِّدُ قَوْلَ الرَّاعِي ذلكَ .

فَلَمَّا قَدِمَ المدينَةَ ، اشْتَرَى العَبْدَ الرَّاعِي والغَنَمَ ، وَأَعْتَقَ العَبْدَ ، وَوَهَبَ مِنْهُ الأَغْنامَ .

● وَرَوَى « أَحمد »[2] بِإِسْنادٍ صَحِيحٍ ، عن أَبِي اليُسْرِ كَعب بن عَمرو رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ : وَاللهِ إِنِّي لَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ عَشِيَّةً ، إِذ أَقْبَلَتْ غَنَمٌ لِرَجُلٍ من اليَهُودِ تُرِيدُ حِصْنَهُم ، وَنَحْنُ مُحاصِرُوهُم ، إِذْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

---

(١) المعجم الكبير ١٢/ ٢٠٤ رقم (١٣٠٥٤) وشعب الإيمان ٦/ ٣٨٧ رقم (٨٦١٤) وتاريخ دمشق ٣٧/ ٥١ ـ ٥٣ ومختصره ١٣/ ١٦٣ .

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٢٧ .

« مَنْ [رَجُلٌ] يُطْعِمُنا من هَذِهِ الغَنَمِ ؟ » قُلْتُ : أَنا يا رَسُولَ اللهِ . قالَ : « فافْعَلْ » .

قالَ : فَخَرَجْتُ أَشْتَدُّ مِثْلَ الظَّلِيمِ ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إِليَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُوَلِّياً ، قالَ : « اللَّهُمَّ أَمْتِعْنا بِهِ » . فَأَدْرَكْتُ الغَنَمَ ، وَقَدْ وَصَلَ أَوائِلُها الحِصْنَ ، فَأَخَذْتُ شاتَيْنِ من آخِرِها ، فاحْتَضَنْتُهُما تَحتَ يَدَيَّ ، ثمَّ أَقْبَلْتُ بِهِما أَشْتَدُّ كَأَنَّهُ لَيْسَ مَعي شَيْءٌ ، حَتَّى أَلْقَيْتُهُما عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَذَبَحُوهُما وَأَكَلُوهُما .

وَكَانَ أَبُو اليُسْرِ رَضِيَ اللهُ عنه من آخِرِ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَوْتاً ؛ وَكانَ إذا حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيثِ بَكَى ، ثمَّ قَالَ : أُمْتِعُوا بِي لَعَمْرِي ، حَتَّى صِرْتُ آخِرَهم مَوْتاً . ا هـ .

وَكانَ أَبُو اليُسْرِ آخِرَ البَدْرِيِّينَ مَوْتاً ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم .

● وَفي « الاسْتِيعابِ » وَغَيرِهِ(١) : قِصَّةُ إِسْلامِ الأَسْوَدِ الحَبَشِيِّ الذِي كان يَرْعَى غَنَماً لعامر اليَهوديّ ، أَنَّهُ أَتَى النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ مُحاصِرٌ لِبَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ ، وَمَعَهُ الغَنَمُ ، فقالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلامَ ؛ فَعَرَضَهُ عَلَيْهِ ، فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَجِيراً لِصاحِبِ هَذِهِ الغَنَمِ ، وَهِيَ أَمانَةٌ عِنْدِي ، فَكَيفَ أَصْنَعُ فِيها ؟ فَقالَ : « اضْرِبْ في وُجُوهِها ، فَسَتَرْجِعُ إِلى رَبِّها » . فَقامَ الأَسْوَدُ فَأَخَذَ حَفْنَةً من حَصَى ، وَرَمَى بها فِي وُجُوهِها ، وَقَالَ : ارْجِعي إِلى صاحِبِكِ ، فَوَاللهِ لا أَصْحَبُكِ بَعْدَها أَبَداً ؛ فَرَجَعَتِ الغَنَمُ مُجْتَمِعَةً ، كَأَنَّ سائِقاً يَسُوقُها ، حَتَّى دَخَلَتِ الحِصْنَ ؛ ثُمَّ تَقَدَّمَ يُقاتِلُ مع المُسْلِمينَ ، فَأَصابَهُ حَجَرٌ فَقَتَلَهُ ، وَمَا صَلَّى للهِ صَلاةً قَطُّ ؛ فَأُتِيَ بِهِ إِلى النَّبيِّ ﷺ وَقَدْ سُجِّيَ بِشَمْلَةٍ كانَتْ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْه رَسُولُ اللهِ ﷺ ثمَّ أَعْرَضَ عنهُ ، فَقالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لِمَ أَعْرَضْتَ عنهُ ؟ فقالَ ﷺ : « إِنَّ مَعَهُ الآنَ

---

(١) الاستيعاب ١/ ٨٥ وسمّاه « أَسلم » وأُسد الغابة ١/ ٩٢ والإصابة ١/ ٢١٦ (١٣٢) .

زَوْجَتَيْهِ من الحُورِ العِيْنِ يَنْفُضانِ التُّرابَ عن وَجْهِهِ ، وَيَقُولانِ : تَرَّبَ اللهُ وَجْهَ من تَرَّبَ وَجْهَكَ ، وَقَتَلَ من قَتَلَكَ » .

قَالَ أَبُو عُمر : إِنَّما رَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الغَنَمَ إِلى الحِصْنِ ، لأَنَّ ذلكَ كان مُصالَحاً عَلَيْهِ ، أَوْ كان قَبْلَ حِلِّ الغَنائِمِ .

● وَفِي الحَدِيثِ[1] : أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قالَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ رَعَى الغَنَمَ » . قِيلَ : وَأَنْتَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « وَأَنا » .

● وَثَبَتَ في « صَحِيحِ البُخاريّ » و« سُنَنِ ابْنِ ماجه »[2] وَاللَّفْظُ لَهُ ، عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قَالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلاَّ راعِي غَنَمٍ » . فَقالَ لَهُ أَصْحابُهُ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : « وَأَنا كُنْتُ أَرْعاها لأَهْلِ مَكَّةَ بِالقَرارِيطِ » .

قَالَ سُويدٌ : يَعْنِي كُلَّ شَاةٍ بِقِيْراطٍ .

● وَفي « غَرِيبِ الحَدِيثِ » لِلقُتَبِيّ : « بُعِثَ مُوسَى عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وهو راعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثَ داود عَلَيْهِ السَّلامُ وهو راعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثْتُ وَأَنا راعِي غَنَمِ أَهْلِي بِأَجْياد » .

● وَفي الحَدِيثِ : « آجَرَ مُوسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ نَفْسَهُ ، بِعِفَّةِ فَرْجِهِ ، وَشِبَعِ بَطْنِه ، فقَالَ لَهُ خَتَنُهُ شُعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ لَكَ في غَنَمِي ما جاءَتْ بِهِ قالِبَ لَوْنٍ » .

جَاءَ تَفْسِيرُهُ في الحَدِيثِ : أَنَّها جاءَت عَلَى غَيْرِ أَلْوانِ أُمَّهاتِها ، كَأَنَّ لَوْنَها قد انْقَلَبَ[3] .

---

(١) البخاريّ ٦/ ٢١٣ و ٤/ ١٣٠ ومسلم (٢٠٥٠) ومسند أحمد ٣/ ٣٢٦ .
(٢) البخاريّ ٣/ ٤٨ وابن ماجه (٢١٤٩) .
(٣) عن النِّهاية ٤/ ٩٧ .

وَالحِكْمَةُ في أَنَّ اللهَ تَعالى جَعَلَ الرَّعْيَ في الأنْبياءِ ، تَقْدِمَةً لَهُمْ ، لِيَكُونُوا رُعاةَ الخَلْقِ ، وَلِتَكُونَ أُمَمُهُم رَعايا لَهُمْ .

● وَرَوَى الحاكِمُ في « مُسْتَدْرَكِهِ »[1] عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « رَأَيْتُ غَنماً سُوداً ، دَخَلَتْ فِيها غَنَمٌ كثيرَةٌ بيْضٌ » . قالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : « العَجَمُ يَشْرَكُونَكُم في دِيْنِكم وأَنْسابِكُمْ » . قَالُوا : العَجَمُ يَا رَسُولَ اللهِ ! . قالَ : « لَوْ كان الإِيْمانُ مُعَلَّقاً بِالثُّرَيَّا ، لَنالَهُ رِجالٌ من العَجَمِ » .

وَفي رِوايَةٍ[1] قَالَ ﷺ : « رَأَيْتُ فِي المَنامِ غَنَماً سُوداً ، يَتْبَعُها غَنَمٌ عُفْرٌ ؛ يا أَبا بَكْرٍ عَبِّرْها » . قَالَ : هِيَ العَرَبُ تَتْبَعُكَ ، ثم يَتْبَعُها العَجَمُ ؛ فقالَ ﷺ : « هَكَذَا عَبَّرَها المَلَكُ سَحَراً » .

● وَقَدْ[2] رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَنْزِعُ في قَليبٍ ، وَحَوْلَهُ أَغْنامٌ سُودٌ وَغَنَمٌ عُفْرٌ ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ نَزْعاً ضَعِيفاً ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ؛ ثمَّ جَاءَ عُمرُ ، فَاسْتَحالَتْ غَرْباً ـ يَعْنِي الدَّلْوَ ـ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً يَفْرِي فَرْيَهُ » .

فَأَوَّلَها النَّاسُ بِالخِلافَةِ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما .

وَلَو ذَكَرَ الغَنَمَ السُّودَ والعُفْرَ ، لَبَعُدَتِ الرُّؤْيَا عن مَعْنَى الخِلافَةِ والرِّعايَةِ ، إِذِ الغَنَمُ السُّودُ وَالعُفْرُ عِبارَةٌ عن العَرَبِ والعَجَمِ .

وَأَكْثَرُ المُحَدِّثِينَ لَمْ يَذْكُرُوا الغَنَمَ في هَذَا الحَدِيثِ ، وَذَكَرَهُ الإِمامُ أَحمدُ وَالبَزَّارُ في « مُسندَيْهِما » وَبِهِ يَصِحُّ المَعْنى .

---

(١) المستدرك ٤/ ٣٩٥ .

(٢) البخاريّ ٤/ ١٨٥ و ١٩٣ و ١٩٨ و ٨/ ٧٨ و ١٩٣ ومسلم (٢٣٩٢) وأحمد ٢/ ٢٨ و ٣٩ و ٨٩ و ١٠٤ و ١٠٧ و ٤٥٠ .

● وَدَخَلَ[1] أَبُو مُسْلِمٍ الخَوْلانيّ على مُعاوية ، فَقَالَ : السَّلامُ عليكَ أَيُّها الأَجيرُ ؛ فَقَالُوا : قُلْ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها الأَميرُ ؛ فقالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها الأَجيرُ ؛ فقالُوا : قُلْ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها الأَميرُ ؛ فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها الأَجيرُ ؛ فقالَ لَهُمْ مُعاوِيَةُ : دَعُوا أَبا مُسْلِمٍ ، فإِنَّهُ أَعْلَمُ بما يَقُولُ ؛ فقالَ أَبُو مُسلِمٍ : إِنَّما أَنْتَ أَجِيرٌ ، اسْتَأْجَرَكَ رَبُّ هَذِهِ الغَنَمِ لِرِعايَتِها ؛ فإِنْ أَنْتَ هَنَأْتَ جَرْباها ، وَداوَيْتَ مَرْضاها ، وَحَبَسْتَ أُولاها على أُخْراها ، وَفَّاكَ سَيِّدُها أَجْرَها ؛ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَهْنَأْ جَرْباها ، وَلَمْ تُداوِ مَرْضاها ، وَلَمْ تَحْبِسْ أُولاها على أُخْراها ، عاقَبَكَ سَيِّدُها .

● وَفِي « رِسالَةِ القُشيريّ » في « بابِ الدُّعاءِ »[2] : « أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، مَرَّ بِرَجُلٍ يَدْعُو وَيَتَضَرَّعُ ، فقالَ مُوسى : إِلَٰهِي ، لو كانَتْ حاجَتُهُ بِيَدِي لَقَضَيْتُها ؛ فَأَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلَيْهِ : يَا مُوسَى ، أَنا أَرْحَمُ بِهِ مِنْكَ ، وَلكنَّهُ يَدْعُونِي وَلَهُ غَنَمٌ ، وَقَلْبُهُ عِنْدَ غَنَمِهِ ، وَأَنا لا أَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ يَدْعُونِي وَقَلْبُهُ عِنْدَ غَيْرِي . فَذَكَرَ مُوسى للرَّجُلِ ذلكَ ، فانْقَطَعَ إِلى اللهِ بِقَلْبِهِ ، فَقُضِيَتْ حاجَتُهُ .

● وَفِي « المُجالَسَةِ » للدِّيْنَوَريّ[3] ، من حَديث حمَّاد بن زَيْدٍ ، عن مُوسى بن أَعْيَن الرَّاعِي ، قالَ :

كانَتِ الغَنَمُ وَالأُسْدُ وَالوَحْشُ تَرْعَى في خِلافَةِ عُمر بن عبدِ العَزيزِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ في مَوْضِعٍ واحِدٍ ، فَعَرضَ ذاتَ يَوْمٍ لِشاةٍ مِنْها ذِئْبٌ ، فَقُلْتُ : ﴿ إِنَّا

---

(١) حلية الأَولياء ٢/ ١٢٥ وتاريخ دمشق ٣٢/ ٥١٦ ـ ٥١٧ ومختصره ١١/ ٦٤ .

(٢) الرِّسالة القشيريّة ٥٣٠ ـ ٥٣١ .

(٣) المجالسة ٢/ ٧١ ـ ٧٢ وحلية الأَولياء ٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٨٠ ومختصره ١٩/ ١١٩ والبداية والنِّهاية ١٢/ ٧٠٢ .

لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، ما أَرَى الرَّجُلَ الصَّالِحَ إلاَّ قد هَلَكَ .

قالَ : فَحَسِبْناهُ ، فَوَجَدْناهُ قد مَاتَ في تِلْكَ السَّاعَةِ .

● وَعَن[١] عَبدِ الواحِدِ بن زَيد ، قالَ :

سَأَلْتُ اللهُ ثَلاثَ لَيالٍ أَنْ يُرِيَني رَفيقي في الجَنَّةِ ، فَقيلَ لِي : يَا عبدَ الواحِدِ ، رَفيقُكَ في الجَنَّةِ مَيْمُونَةُ السَّوْدَاءُ ؛ فَقُلْتُ : وَأَيْنَ هِيَ ؟ فَقِيلَ لِي : هِيَ في بَنِي فُلانٍ في الكُوفَةِ . فَذَهبتُ إِلى الكُوفَةِ أَسْأَلُ عَنْها ، فإذا هِيَ تَرْعَى غَنَماً ؛ فَأَتَيْتُ إِلَيْها ، فإذا غَنَمُها تَرْعَى مع الذِّئابِ ، وَهِيَ قائِمَةٌ تُصَلِّي ، فَلَمَّا فَرَغَتْ من صَلاتِها قالَتْ : يا ابْنَ زَيْدٍ ، لَيْسَ هذا المَوْعِدُ ؛ إِنَّما المَوْعِدُ الجَنَّةَ ؛ فَقُلتُ لَها : وَما أَدْراكَ أَنِّي ابْنُ زَيْدٍ ؟ قالَتْ : أَما عَلِمْتَ أَنَّ الأَرْواحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، ما تَعارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ ، وَما تَناكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ ؟ فقُلتُ لَها : عِظِيني ؛ فقالَتْ : وَاعَجَباً لِواعِظٍ يُوعَظُ ! فقُلتُ لَها : ما لِي أَرَى أَغْنامَكِ تَرْعَى مع الذِّئاب ؟ قَالَتْ : إِنِّي أَصْلَحْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ ، فَأَصْلَحَ اللهُ ما بَيْنِي وَبَيْنَ غَنَمِي وَالذِّئَابِ .

● **فائِدَةٌ** : في « المُوَطَّأ »[٢] عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَزَيْد بن خالد الجُهَنيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالا : إِنَّ رَجُلين اخْتَصَمَا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فقالَ أَحَدُهُما : اقْضِ بَيْنَنَا يا رَسُولَ اللهِ بِكِتابِ اللهِ تَعالَى . وَقالَ الآخَرُ ـ وَكانَ أَفْقَهَهُما ـ : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ ، اقْضِ بَيْنَنا بِكِتابِ اللهِ ، وَائْذَنْ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ ؛ فقالَ لَهُ : « تكَلَّمْ » . فقَالَ : إِنَّ ابْني كان عَسِيفاً[٣] عَلَى هَذَا ، فَزَنَى بامْرَأَتِهِ ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ على ابْني الرَّجْمَ ، فَافْتَدَيْتُهُ من غَنَمِي بِمئَةِ شَاةٍ وبِجارِيَةٍ لِي ؛ ثم

---

(١) حلية الأولياء ٦/١٥٨ وتاريخ دمشق ٤٣/٣٥١ ومختصره ١٥/٢٥٣ . ونُسب الخبر إلى إبراهيم بن أدهم ، في عقلاء المجانين ٢٩٢ .

(٢) المُوَطأ ٢/ ٨٢٢ والبخاريّ ٧/ ٣١٨ و ٨/ ٢٤ ومسلم (١٦٩٧/١٦٩٨) .

(٣) العسيف : الأجير .

إنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلى ابْنِي جَلْدَ مِئَةٍ وَتَغْرِيبَ عامٍ ، وَإِنَّما الرَّجْمُ على امْرَأَتِهِ . فَقَالَ ﷺ : « أَمَا وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُما بِكِتابِ اللهِ تَعالى ؛ أَمَّا غَنَمُكَ وَجارِيَتُكَ ، فَرَدٌّ عَلَيْكَ ، وَيُجْلَدُ ابْنُكَ مئةً وَيُغَرَّبُ عاماً » .

وَأَمَرَ ﷺ أُنَيساً الأَسْلَمِيَّ أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَةَ الآخرِ ، فإنِ اعْتَرَفَتْ فَلْيَرْجُمْها ؛ فاعْتَرَفَتْ ، فَرَجَمَها .

وَهَذَا الحَدِيثُ مَذْكُورٌ في « الصَّحيحين » .

● وَرَوى « البُخارِيُّ »[١] عن ابْنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما قالَ :

قَالَ عُمرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : إنَّ اللهَ بَعَثَ محمَّداً بالحَقِّ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتابَ ، وَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ آيَةَ الرَّجْمَ ، قَرَأْناها وَعَقَلْناها وَوَعَيْناها ، وَرَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَجَمْنا بَعْدَهُ ؛ وَأَخْشَى إِنْ طَالَ على النَّاسِ زَمانٌ أَنْ يَقُولَ قائِلٌ : وَاللهِ ما نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ في كِتابِ اللهِ ، فَيَضِلُّوا بتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَها اللهُ ؛ وَالرَّجْمُ في كِتابِ اللهِ حَقٌّ عَلى مَن زَنَى إذا أُحْصِنَ من الرِّجالِ والنِّساءِ ، إذا قامَتِ البَيِّنَةُ ، أَوْ كان الحَمْلُ ، أَوِ الاعْتِرافُ ؛ وَالرَّجْمُ نُسِخَتْ تِلاوَتُهُ وَبَقِيَ حُكْمُهُ .

وَقَالَ أَبُو حَنيفة : التَّغْرِيبُ مَنْسُوخٌ في حَقِّ البِكْرِ .

وَعامَّةُ أَهْلِ العِلْمِ على أَنَّهُ ثابتٌ ، لِمَا رَوَى ابْنُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما[٢] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ضَرَبَ وَغَرَّبَ ، وَأَنَّ أَبا بَكْرٍ ضَرَبَ وَغَرَّبَ ، وَأَنَّ عُمرَ ضَرَبَ وَغَرَّبَ » .

وَالمُحْصَنُ : من اجْتَمَعَتْ فِيهِ أَربعةُ أَوْصافٍ : العَقْلُ ، وَالبُلُوغُ ،

---

(١) البخاريّ ٨/ ٢٥ ومسلم (١٦٩١) .
(٢) التّرمذيّ (١٤٣٨) .

وَالحُرِّيَّةُ ، وَالإِصابَةُ ؛ فإِنْ زَنَى فَحَدُّهُ الرَّجْمُ مُسْلِماً كان أَوْ ذِمِّيّاً .

وَذَهبَ أَبُو حَنيفَةَ وأَصْحابُه إِلى أَنَّ الإِسْلامَ من شَرائِطِ الإِحْصَانِ ، فَلا رَجْمَ عَلى الذِّمِّيِّ عِنْدَهُم .

وَدَلِيلُنا : أَنَّهُ صَحَّ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ[1] : « أَنَّهُ رَجَمَ يَهُودِيَّيْنِ كانَا قد أُحْصِنَا » .

وَإِنْ كان الزَّانِي غَيْرَ مُحْصَنٍ ، بِأَنْ لَمْ يَجتمِعْ فِيهِ هَذِهِ الأَوْصَافُ الأَرْبَعَةُ ، نُظِرَ إِنْ كان غيرَ بالِغٍ ، أَوْ كان مَجْنُوناً ، فَلا حَدَّ عَلَيْهِ ؛ وإِنْ كان حُرّاً بالِغاً عاقِلاً ، غيرَ أَنَّهُ لَمْ يُصَبْ بِنِكاحٍ صَحِيحٍ ، فَعَلَيْهِ جَلْدُ مِئَةٍ وَتَغْرِيبُ عامٍ .

وإِنْ كان عَبْداً ، فَعَلَيْهِ جَلْدُ خَمسينَ ؛ وَفِي تَغْرِيبِهِ قَوْلانِ ؛ فإِنْ قُلْنا : يُغَرَّبُ ، فَقَوْلانِ:أَصَحُّهُما نِصْفُ سَنَةٍ ، كَمَا يُجْلَدُ خَمْسِينَ . وَلِهذِهِ المَسْأَلَةِ تَتِمَّاتٌ مَذْكُوراتٌ في كُتُبِ الفِقْهِ .

● وَذَكَرَ المُفَسِّرُونَ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] الآيـة . عـن ابْـنِ عَبَّـاسٍ وَقَتـادَةَ والزُّهريِّ[2] : أَنَّ رَجُلَين دَخَلا عَلى دَاوُد عليْهِ السَّلامُ ، أَحَدُهُما صاحِبُ حَرْثٍ ، وَالآخَرُ صاحِبُ غَنَمٍ ، فَقَالَ صاحِبُ الزَّرْعِ : إِنَّ هَذَا تَفَلَّتَتْ غَنَمُهُ لَيْلاً ، فَوَقَعَتْ في حَرْثِي ، فَأَفْسَدَتْهُ ، وَلَمْ تُبْقِ منهُ شَيْئاً ؛ فَأَعْطاهُ داوُدُ رِقابَ الغَنَمِ بِالحَرْثِ .

فَخَرَجا من عِنْدِهِ ، فَمَرَّا على سُلَيمانَ عليْهِ السَّلامُ ، فقَالَ : كَيْفَ قَضى بَيْنَكُما ؟ فَأَخْبَراهُ ، فقالَ سُليمانُ : لو وَليتُ أَمْرَكُما لَقَضَيْتُ بِغيرِ هذا ؛ فَدَعاهُ

---

(١) مسلم (١٦٩٩) و (١٧٠١) وأبو داود (٤٤٤٦) والتّرمذيّ (١٤٣٦ و ١٤٣٧) وابن ماجه (٢٥٥٦) .

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٣٢٦ والكشّاف ٢/ ٥٧٩ وتفسير ابن كثير ٣/ ١٨٦ والمستطرف ١/ ٥٠ .

داودُ ، فَقَالَ لهُ : بِحَقِّ النُّبُوَّةِ وَالأُبُوَّةِ يا بُنَيَّ ، إِلاَّ ما حَدَّثْتَني بالذي هُوَ أَرْفَقُ بالفَريقين ؟ فقالَ سُليمانُ : ادْفَعِ الغَنَمَ إلى صاحِبِ الحَرْثِ يَنتفعْ بِدَرِّها وَنَسْلِها وَصُوفِها وَمَنافِعِها ، وَيَبذرُ صاحِبُ الغَنَمِ لِصاحِبِ الحَرْثِ مِثلَ حَرْثِه ؛ فإذا صارَ الحَرْثُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ أُكِلَ ، دَفَعَ إلى أَهْلِهِ ، وَأَخَذَ صاحِبُ الغَنَمِ غَنَمَهُ ؛ فقالَ داوُدُ : القَضاءُ كَمَا قَضَيْتَ .

وَكانَ عُمْرُ سُلَيْمانَ يَوْمَ حَكَمَ بِهذا الحُكْمِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً .

والنَّفْشُ : الرَّعْيُ بِاللَّيْلِ ؛ وَالهَمَلُ : الرَّعْيُ بِالنَّهارِ ؛ وَهُمَا الرَّعْيُ بِلا راعٍ .

● وَنَختِمُ الكَلامَ على الغَنَمِ بما في أَوَّلِ « عَجائِبِ المَخْلُوقاتِ »(١) عن مُوسى بن عِمران عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، أَنَّهُ اجْتازَ بِعَيْنِ مَاءٍ في سَفْحِ جَبَلٍ ، فَتَوَضَّأَ منها ، ثم ارْتَقَى الجَبَلَ لِيُصَلِّي ، إِذْ أَقْبَلَ فارِسٌ ، فَشَرِبَ من مَاءِ العَيْنِ ، وَتَرَكَ عندَها كِيْساً فِيهِ دراهِم ، وَذَهَبَ مارّاً .

فَجَاءَ بعدَهُ راعِي غَنَمٍ ، فَرَأَى الكِيْسَ ، فَأَخَذَهُ وَمَضَى ؛ ثم جَاءَ بَعْدَهُ شَيْخٌ ، عَلَيْهِ أَثَرُ البُؤْسِ ، وَعَلى رَأْسِهِ حُزْمَةُ حَطَبٍ ، فَوَضَعَها هُناكَ ثم اسْتَلْقَى لِيَسْتَرِيحَ ، فَما كان إِلاَّ قَلِيلاً حَتَّى عادَ الفارِسُ يَطلبُ كِيْسَهُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَقْبَلَ على الشَّيْخِ يُطالِبُهُ بِهِ ، فَأَنْكَرَ ، فَلَم يَزالا كذلكَ حَتَّى ضَرَبَهُ ، وَلَم يَزَلْ يَضْرِبُهُ حَتَّى قَتَلَهُ .

فقالَ مُوسى : يَا رَبِّ ، كَيفَ العَدْلُ في هذِهِ الأُمورِ ؟ فَأَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلَيْهِ : إِنَّ الشَّيْخَ كان قد قَتَلَ أَبا الفارِسِ ، وَكانَ على الفارِسِ دَيْنٌ لأَبِي الرَّاعِي مِقْدارَ ما فِي الكِيْسِ ، فَجَرى بَيْنَهما القَصاصُ ، وَقُضِيَ الدَّيْنُ ، وَأَنا حَكَمٌ عَدْلٌ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٤ والسيف المهند ٢٨٩ .

● قَال فِي « كتابِ المُحكم والغايات » : قالَ أَصْحابُ التَّجارِبِ : وَمِمَّا يُورِثُ الغَمَّ : المَشْيُ بَيْنَ الأَغْنام ، وَالتَّعَمُّمُ جالِساً ، وَلُبْسُ السَّراوِيلِ قائِماً ، وَقصُّ اللِّحْيَةِ بالأَسْنانِ ، وَالقُعُودُ على أَسْكُفَّةِ البابِ ، وَالأَكْلُ بالشِّمالِ ، وَمَسْحُ الوَجْهِ بِالأَذْيالِ ، وَالمَشْيُ على قُشُورِ البَيْضِ ، وَالاسْتِنْجاءُ بِاليَمِينِ ، وَالضَّحِكُ في المَقابِرِ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُ الغَنَمِ وَبَيْعُها ، بالنَّصِّ والإِجْماعِ ، وَيَجِبُ في سائِمَتِها الزَّكاةُ ، ففي كُلِّ أَربعِينَ شَاةٍ شَاةٌ ، جَذَعَةُ ضَأْنٍ أَو ثَنِيَّةُ مَعْزٍ ، وَفي مئةٍ وإِحْدى وَعِشرينَ شاتانِ ، وَفي مئتين وواحِدَةٍ ثلاثُ شِياهٍ ، وَفي أَربعمئَةٍ أَرْبَعُ شِياهٍ ، ثمَّ في كُلِّ مئَةِ شاةٍ شاةٌ .

وَالسُّنَّةُ أَنْ تُقَلَّدَ إِذا جُعِلَتْ هَدْياً إِلى البَيْتِ العَتِيقِ ، لِما رَوَى « البُخاريُّ »[1] ، عن عائشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، أَنَّها قالَتْ : كُنْتُ أَفْتِلُ قَلائِدَ الهَدْيِ للنَّبيِّ ﷺ فقَلَّدَ الغَنَمَ .

وَهَذا الحَدِيثُ حُجَّةٌ للشَّافعيِّ وَأَحمد وإِسحاق وَأَبي ثَور ، في مَشْروعِيَّةِ ذلكَ .

وَقالَ مالِكٌ وَأَبو حَنيفَةَ : لا تُقَلَّدُ الغَنَمُ ؛ والظَّاهِرُ أَنَّ الحَدِيثَ لَمْ يَبْلُغْهُما .

● فَرْعٌ : فَتَحَ إِنْسانٌ مَراحَ غَنَمٍ ، فَخَرَجَتْ لَيْلاً وَرَعَتْ زَرْعاً ؛ فإِنْ كان الذِي فَتَحَهُ المالِكُ ، ضَمِنَ الزَّرْعَ ؛ وإِنْ كان غَيرَ المالِكِ لَمْ يَضْمَنْ .

وَالفَرْقُ أَنَّ المالِكَ يَلْزَمُهُ حِفْظُها في اللَّيْلِ ، فإِذا فَتَحَ عَلَيْها ضَمِنَ ؛ وَغيرُ المالِكِ لا يَلْزَمُهُ حِفْظُها ، فإِذا فَتَحَ عَلَيْها لَمْ يَضْمَنْ . قَالَهُ في « البَحْرِ » .

---

(١) البخاريّ ٢/١٨٢ و١٨٣ ومسلم (١٣٢١) والترمذيّ (٩٠٩) والنَّسائيّ (٢٧٧٥ - ٢٧٧٩) وابن ماجه (٣٠٩٥) .

وَسَيأْتي في « بابِ الميمِ » الإشارَةُ إلى إتْلافِ الماشِيَةِ .

وَأَمّا الأَمْثالُ : فقد تَقَدَّمَ بَعْضُها في « بابِ الجيمِ » وَبَعْضُها في « بابِ الشِّينِ المُعجمة » .

وَكذلكَ **الخَواصُّ** ؛ وَسَيأْتِي طَرَفٌ مِنْها في « المَعْزِ » في « بابِ الميمِ » إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى .

التَّعبيرُ(١) : الغَنَمُ في الرُّؤْيا : رَعِيَّةٌ صَالِحَةٌ طائِعَةٌ ، وَتَدُلُّ على الغَنِيمَةِ ، وَالأَزْواجِ ، وَالأَوْلادِ ، والأَمْلاكِ ، وَالزَّرْعِ ، وَالأَشْجارِ الحافِلَةِ بِالثِّمارِ .

فَذَواتُ الصُّوفِ نِساءٌ كَرِيماتٌ جَمِيلاتٌ ، ذَواتُ مالٍ وَعِرْضٍ مَسْتُورٍ .

وَالشَّعاري نِساءٌ صَالِحاتٌ فَقِيراتٌ ، ذَواتُ عِرْضٍ مَبْذُولٍ بكَشْفِ عَوْراتِهِنَّ ، خِلافاً لِذَواتِ الصُّوفِ ، فإِنَّ عَوراتِهِنَّ مَسْتُورَةٌ بِالأَلْيَةِ . قالَهُ ابْنُ المُقرِىءِ .

وَقالَ المقدسيُّ : من رَأَى أَنَّهُ يَسُوقُ مَعْزاً وَضَأْناً ، فإِنَّهُ يَلِي على عَرَبٍ وَعَجَمٍ . فإِنْ أَخَذَ من أَلْبانِها وَأَصْوافِها ، فإِنَّهُ يَجْنِي منهم أَمْوالاً .

وَمَنْ رَأَى غَنَماً واقِفَةً في مَكانٍ ، فإِنَّهُم رِجالٌ يَجتمِعُونَ في ذلكَ الموضِعِ في أَمْرٍ من الأُمُورِ .

وَمَنْ رَأَى غَنماً اسْتَقْبَلَتْهُ ، فإِنَّهم أَعْداءٌ يَظْفَرُ بِهِم .

وَمَنْ رَأَى شَاةً تَمْشِي أَمامَهُ ، وَهُوَ يَمْشِي خَلْفَها وَلا يُدْرِكُها ، تَعَطَّلَتْ عليْهِ مَعيشَتُهُ ، وَرُبَّما تَبِعَ امْرَأَةً ولا تَحصُلُ لَهُ .

وَأَلْيَةُ الغَنَمِ : مَالُ المرأَةِ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧٩ ـ ١٨١ وتفسير الواعظ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

وَمَنْ رَأَى كأَنَّهُ يَجُزُّ شَعْرَ الغَنَمِ ؛ فَلْيَحْذَرْ من الخُرُوجِ من دارِهِ ثلاثةَ أيَّامٍ .

وَقال جاماسب : من رَأى قَطِيعَ غَنَمٍ ، سُرَّ دائِماً ؛ وَمَنْ رَأى شَاةً واحِدَةً ، سُرَّ سَنَةً .

والنَّعْجَةُ امْرَأَةٌ ، فَمَنْ ذَبَحَ نَعْجَةً ، افْتَضَّ امرأَةً مُبارَكَةً ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ [ص : ٢٣] . وَمَنْ رَأى أَنَّ صُورَتَهُ تَحَوَّلَتْ على صُورَةِ غَنَمَةٍ ، نَالَ غَنِيمَةً .

٧٣٦ الغَوَّاصُ : طائِرٌ تُسَمِّيهِ أَهْلُ مِصْرَ : الغَطَّاسُ ، وَهُوَ القِرِلّى الآتي في « بابِ القَافِ » إنْ شَاءَ اللهُ تعالَى .

● قَالَ القَزوينيُّ في « الأَشْكالِ »[١] : هُوَ طائِرٌ يُوجَدُ بأَطْرافِ الأَنْهارِ ، يَغطسُ في المَاءِ ، وَيَصْطَادُ السَّمَكَ ، فَيَتَقَوَّتُ منهُ .

وَكَيْفِيَّةُ صَيْدِهِ : أَنَّهُ يَغُوصُ في المَاءِ مَنْكُوساً بقُوَّةٍ شَديدَةٍ ، وَيَمْكُثُ تَحْتَ المَاءِ إِلى أَنْ يَرى شَيْئاً من السَّمَكِ ، فَيَأْخُذَهُ وَيَصْعَدَ بِهِ .

وَمنَ العَجائِبِ لُبْثُهُ تحتَ المَاءِ ، وَيُوجَدُ كَثيراً بأَرْضِ البَصْرَةِ . انتهى .

● قَالَ بعضُهم[١] : رَأَيْتُ غَوَّاصاً غاصَ فَطَلَعَ بسَمَكَةٍ ، فَغَلَبَهُ غُرابٌ عليها فأَخَذَها منهُ ، فغاصَ مَرَّةً أُخرىٰ ، وطلع بسَمَكَةٍ أخرىٰ ، فَأَخذها منهُ الغُرابُ ، ثمَّ الثَّالِثَةُ كذلكَ ، فَلَمَّا اشْتَغَلَ الغُرابُ بِالسَّمَكَةِ ، وَثَبَ الغَوَّاصُ فَأَخَذَ بِرِجْلِ الغُرابِ ، وَغاصَ بِهِ تَحْتَ المَاءِ ، حتَّى مَاتَ الغُرابُ ، ثمَّ خَرَجَ هو من المَاءِ .

الحُكْمُ[٢] : أَكْلُهُ حَلالٌ ، وَهوَ المَفْهُومُ من كَلامِ الرَّافعيِّ وغَيرِهِ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٧ .

(٢) في الأُصول : الحكم : قال القزوينيّ : إن أكله حلال . . . ! . فنقلتُ قوله : قال القزوينيُّ إلى الخواصِّ ، فالنَّقل منه .

الخَواصُّ : قالَ القَزوينيُّ[١] : دَمُهُ يُجَفِّفُ ، وَيُسْحَقُ مع شَعْرِ إِنْسانٍ ، فإِنَّهُ يَنْفَعُ من الطِّحالِ ، وَكذلكَ عَظْمُهُ يُفعَلُ بِهِ مثلُ ذلكَ . وَاللهُ أَعلمُ .

٧٣٧ **الغَوْغَاءُ** : الجَرادُ ، إِذا احْمَرَّ وَبَدَتْ أَجْنِحَتُهُ[٢] ؛ وَهُوَ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ ، وَيُصْرَفُ وَلا يُصْرَفُ ؛ واحِدَتُهُ غَوْغاءَةٌ ، وَغَوْغاوَةٌ .

وَبِهِ سُمِّيَتْ سَفِلَةُ النَّاسِ ، المُنْتَسِبُونَ إِلى الشَّرِّ ، المُسْرِعُونَ إِلَيْهِ .

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ الرُّويانيّ : الغَوْغاءَةُ : من يُخالِطُ المُفْسِدِينَ والمُجْرِمِينَ ، وَيُخاصِمُ النَّاسَ بِلا حاجَةٍ ؛ وَلذلكَ قالُوا : « أَكْثَرُ من الغَوْغاءِ »[٣] .

● وَفي « تارِيخِ ابنِ النَّجّارِ » عن ابنِ المُبارَكِ ، قالَ[٤] : قَدِمْتُ على سُفيانَ الثَّوريِّ بمَكَّةَ ، فَوَجَدْتُهُ مَرِيضاً شارِبَ دَواءٍ ؛ فقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عن أَشْياءَ ؟ قالَ : قُلْ . قُلْتُ : أَخبرَنَي مَن النَّاسُ ؟ قالَ : الفُقَهاءُ . قُلْتُ : فَمَنِ المُلوكُ ؟ قالَ : الزُّهَّادُ . قُلتُ : فَمَنِ الأَشْرافُ ؟ قالَ : الأَتقِياءُ . قُلْتُ : فَمَنِ الغَوْغاءُ ؟ قالَ : الذينَ يَكتبُونَ الحَديثَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا بِهِ أَمْوالَ النَّاسِ . قُلْتُ : فَمَنِ السَّفِلَةُ ؟ قالَ : الظَّلَمَةُ . انتهى .

● **وَالغَوْغاءُ أَيْضاً** : شَيْءٌ يُشْبِهُ البَعُوضَ ، إِلاَّ أَنَّهُ لا يَعَضُّ وَلا يُؤْذِي[٥] .

٧٣٨ **الغُولُ** : بِالضَّمِّ : أَحَدُ الغِيْلانِ ، وَهُوَ جِنْسٌ من الجِنِّ والشَّياطِينِ ، وَهُم سَحَرَتُهُم .

● قَالَ الجَوهريُّ[٦] : هو من السَّعالِي ، والجَمْعُ : أَغْوالٌ ، وَغِيْلانٌ ؛

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٧ .

(٢) القاموس « غوغ » ٣/ ١١٤ .

(٣) الميدانيّ ٢/ ١٧١ وحمزة ٢/ ٣٦١ والعسكري ٢/ ١٣٧ والزمخشريّ ١/ ٢٨٩ .

(٤) الطّبقات السّنيّة ٤/ ١٩٥ .

(٥) الميدانيّ ٢/ ٦٥ .

(٦) الصّحاح « غول » ٥/ ١٧٨٦ .

وَكُلُّ ما اغْتَالَ الإِنْسَانَ فَأَهْلَكَهُ ، فَهُوَ غُولٌ ؛ وَالتَّغَوُّلُ : التَّلَوُّنُ .

● قَالَ كَعْبُ بن زُهير بن أَبي سُلمىٰ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1] : [من البسيط]

فَما تَدُومُ على حالٍ تكُونُ بها كَمَا تَلَوَّنُ في أَثْوابِها الغُولُ

وَيُقالُ : تَغَوَّلَتِ المَرْأَةُ : إذا تَلَوَّنَتْ ؛ وَيُقالُ : غَالَتْهُ غولٌ ، إِذا وَقَعَ في مَهْلَكَةٍ ؛ وَ« الغَضَبُ غُولُ الحِلْمِ » .

● فائِدَةٌ[2] : سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عُبَيْدَةَ عن قَوْلِه تَعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصَّافَّات : ٦٥] وإِنَّما يَقَعُ الوَعْدُ والإِيْعادُ بما قد عُرِفَ مِثْلُهُ ، وَهَذا لَمْ يُعْرَفْ ؟ فَأَجابَهُ : بأَنَّ اللهَ تَعالَى كَلَّمَ العَرَبَ على قَدْرِ كَلامِهِمْ ؛ أَمَا سَمِعْتَ امْرَأَ القَيْسِ كَيْفَ قَالَ[3] : [من الطويل]

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أَغْوالِ

وَهم لَمْ يَرَوْا الغُولَ قَطُّ ، ولكنَّهُ لَمَّا كان يَهولُهم ، أَوْعَدُوا بِهِ .

قالَ أَبو عُبَيْدَةَ : وَمن يَومئِذٍ عَمِلْتُ كِتابي الذي سَمَّيْتُهُ « المَجازَ »[4] .

● وَأَبُو عُبَيْدَةَ : كُنْيَتُهُ ؛ وَاسْمُهُ مَعْمَرُ بن المُثَنَّى البَصْرِيّ النَّحْوِيّ العَلاَّمَةُ ، كان يَعْرِفُ أَنْواعاً من العُلومِ ، وَكانَتِ العَرَبِيَّةُ وَأَخْبارُ العَرَبِ وَأَيَّامُها أَغْلَبَ عليهِ ، وَكانَ مع مَعرِفَتِهِ يَكْسِرُ الشِّعْرَ إذا أَنْشَدَهُ ، وَيَلْحَنُ إذا قَرَأَ القُرْآنَ ، وَكانَ يَرى رَأْيَ الخَوارِجِ ، وَكان لا يَقْبَلُ شَهادَتَهُ أَحَدٌ من الحُكَّامِ ، وَأَنَّهُ كان يُتَّهَمُ

---

(١) ديوانه ٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٥/٣٤١ ـ ٣٤٢ ونزهة الأَلباء ١٠٨ وثمار القلوب ١/١٥٧ وإِنباه الرُّواة ٣/٢٧٧ ـ ٢٧٨ ومعجم الأُدباء ٦/٢٧٠٦ ـ ٢٧٠٧ ووفيات الأَعيان ٥/٢٣٦ .
والسَّائل هو إِبراهيم بن إِسماعيل بن داود الكاتب العبرتانيّ .

(٣) ديوانه ٣٣ .

(٤) هو كتاب « مجاز القرآن » لأَبي عبيدة : طبع بتحقيق الدُّكتور فؤاد سزكين بالقاهرة .

بِالمَيْلِ إِلى الغِلْمانِ .

● قالَ[1] الأَصمعيُّ : دَخلْتُ يَوْماً أَنا وَأَبُو عُبَيْدَةَ إِلى المسجدِ ، فإِذا على الأُسْطُوانَةِ التي يَجلسُ إِليها أَبو عُبَيْدَةَ مَكْتوبٌ[2] : [من البسيط]

صَلَّى الإِلَـهُ عَلى لُـوطٍ وَشِيْعَتِـهِ أَبـا عُبَيْـدَةَ قُـلْ بِـاللهِ آمِيْنـا

قالَ : فقالَ لِي : يا أَصمعيُّ ، امْحُ هذا . فَرَكِبْتُ ظَهْرَهُ وَمَحَوْتُهُ ؛ ثم قُلْتُ : قد بَقِيَتِ الطَّاءُ . فقالَ : هِيَ شَرُّ الحُرُوفِ ، الطَّامَّةُ في الطَّاءِ ، امْحُها .

وَقيلَ : إِنَّهُ وُجِدَتْ وَرَقَةٌ في مَجْلِسِ أَبي عُبيدَةَ فِيها هذا البيتُ ، وَبَعْدَهُ :

فَـأَنْـتَ عِنْـدِي بِـلا شَـكٍّ بَقِيَّتُهُـمْ مُنْذُ احْتَلَمْتَ وَقَدْ جاوَزْتَ تِسْعِيْنا

● ورُوِيَ[3] أَنَّ عُبيـدَةَ خَـرَجَ إِلـى بِـلادِ فـارِسَ ، قـاصِـداً مُـوسَـى بـن عبدِ الرَّحمن الهِلاليّ ، فَلَمَّا قَدِمَ عليْهِ قالَ لِغِلْمانِهِ : احْتَرِزُوا من أَبي عُبيدَةَ ، فإِنَّ كَلامَهُ كُلُّهُ دِقٌّ . ثمَّ حَضَرَ الطَّعامُ ، فَصَبَّ بَعْضُ الغِلْمَانِ على ذَيْلِه مَرَقاً ، فقالَ لهُ مُوسى : قد أَصابَ ثَوْبَكَ مَرَقٌ ، وَأَنا أُعطِيكَ عِوَضَهُ عَشرةَ أَثْوابٍ ؛ فقالَ أَبو عُبيدَةَ : لا عَليكَ ، فإِنَّ مَرَقَكُمْ لا يُؤْذِي ؛ أَي ما فِيهِ دُهْنٌ ؛ فَفَطِنَ لَها مُوسَى وَسَكَتَ .

● تُوفِّيَ[4] أَبُو عُبيدَةَ في سَنَةِ تِسعٍ ومئتين . وَهذا أَبُو عُبيدَةَ بالهاءِ ، والقاسِمُ بن سَلام : أَبو عُبيدٍ بغيرِ هاءٍ ، وَكِلاهُما من أَهلِ اللُّغَةِ ؛ وَمَعْمَرُ : بِفَتْحِ المِيمَيْنِ بينَهُما عَيْنٌ مُهمَلَةٌ ساكِنَةٌ ، وآخِرُهُ راءٌ مُهملَةٌ ؛ وَكانَ والِدُ

---

(١) وفيات الأَعيان ٢/ ١٠٠ و ٥/ ٢٤١ ـ ٢٤٢ وديوان أَبي نواس ٢/ ٥٩ .

(٢) البيت ـ والذي سيأْتي ـ لأَبي نواس ، في ديوانه ٢/ ٥٩ (فاغنر) .

(٣) وفيات الأَعيان ٥/ ٢٤٠ .

(٤) ترجمته في : تاريخ بغداد ١٥/ ٣٣٨ وإِنباه الرُّواة ٣/ ٢٧٦ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٧٠٦ ووفيات الأَعيان ٥/ ٢٣٥ وتهذيب الكمال ٢٨/ ٣١٦ وسير أَعلام النُّبلاء ٩/ ٤٤٥ .

أَبي عُبيدَةَ من قَريةٍ من أَعمالِ الرَّقَّةِ يُقالُ لَها باجَروان ، وَهِيَ القَرْيَةُ التي اسْتَطْعَمَ أَهْلَها مُوسى والخَضِرُ عليهما السَّلامُ . كذا قالَهُ ابْنُ خلّكان وغيرُهُ .

وتقدَّمَ في « بابِ الحَاءِ المُهملةِ » في « الحُوتِ » عن السُّهيليّ أَنَّ القَرْيَةَ المَذْكُورَةَ في القُرْآنِ بَرْقَة . وَاللهُ تَعالى أعلمُ .

● وَرَوى الطَّبرانيُّ في « الدَّعواتِ » والبَزَّارُ[1] ، بِرِجالٍ ثِقاتٍ ، من حَديثِ سُهيل بن أَبي صالِح ؛ عن أَبيهِ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِذا تَغوَّلَتْ لَكُمُ الغِيْلانُ ، فنادُوا الأَذانَ ؛ فإِنَّ الشَّيْطانَ إِذا سَمِعَ النِّداءَ ، أَدْبَرَ وَلَهُ حُصاصٌ » . أَي : ضُراطٌ .

قَالَ النَّوويُّ في « الأَذْكارِ »[2] : إِنَّهُ حَدِيثٌ صَحيحٌ ، أَرشدَ ﷺ إِلى دَفْعِ ضَرَرِها بِذِكْرِ اللهِ تَعالى .

وَرَواهُ النَّسائيُّ في آخِرِ «سُنَنه الكُبْرى» من حَديثِ الحَسَنِ [البَصريّ]، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه، بلفظ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فإِنَّ الأَرْضَ تُطْوى باللَّيْلِ ؛ فإِذا تَغَوَّلَتْ لَكُمُ الغِيْلانُ ، فبادِرُوا بالأَذانِ».

● قَالَ النَّوويُّ رحمهُ اللهُ تَعالَى[3] : وَلذلكَ يَنبغي أَنْ يُؤَذِّنَ أَذانَ الصَّلاةِ إِذا عَرَضَ للإِنْسانِ شَيْطانٌ ، لِما رَوى « مُسلم »[4] عن سُهيل بن أَبي صالِحٍ ، أَنَّهُ قالَ : أَرْسَلَنِي أَبي إِلى بَني حارِثَةَ ، وَمعي غُلامٌ لَنا ، أَو صاحِبٌ لَنا ، فَناداهُ مُنادٍ من حائِطٍ باسْمِه ، فَأَشْرَفَ الذي معي على الحائِطِ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً ، فذكَرْتُ ذلكَ لأَبي ، فقالَ : لو شَعَرْتُ أَنَّكَ تَرى هَذا ما أَرْسَلْتُكَ ، وَلكنْ إِذا سَمِعْتَ

---

(١) الدُّعاء للطَّبرانيّ ٣/ ١٦٩٩ وعمل اليوم واللَّيلة لابن السُّنِّيّ (٥٢٣) والأَذْكار للنَّوويّ ٣٢٥ ومسند أَحمد ٣/ ٣٠٥ و ٣٨٢ .

(٢) لم يرد هذا الكلام في الأَذكار .

(٣) الأَذكار ١٨٦ .

(٤) مسلم (٣٨٩) .

صَوْتاً فنادِ بالصَّلاةِ ، فإنِّي سَمعتُ أَبا هُريرةَ يُحَدِّثُ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « إنَّ الشَّيْطانَ إِذا نُودِيَ بِالصَّلاةِ أَدْبَرَ » .

● وَرَوى « مُسلم »[1] عن جابرِ بن عبد اللهِ أَنَّه قالَ : إنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ وَلا غُولٌ » .

قالَ جُمْهُورُ العُلماءِ : كانَتِ العَرَبُ تَزعمُ أَنَّ الغِيْلانَ في الفَلَواتِ ، وَهيَ جِنْسٌ من الشَّياطِينِ تَتراءَى للنَّاسِ ، وَتَتَغَوَّلُ تَغَوُّلاً ـ أَي تَتَلَوَّنُ تَلَوُّناً ـ فَتُضِلُّهم عن الطَّرِيقِ وَتُهْلِكُهُم ، فَأَبْطَلَ النَّبيُّ ﷺ ذلكَ .

وَقالَ آخَرُونَ : لَيْسَ المُرادُ بالحَدِيثِ نَفْيُ وُجُودِ الغُولِ ، وإِنَّما مَعْناهُ إِبْطالُ ما تَزْعُمُهُ العَرَبُ من تَلَوُّنِ الغُولِ بِالصُّوَرِ المُختَلِفَةِ واغْتِيالِها .

قَالُوا : وَمَعْنى « لا غُول » : أَي لا تَستطيعُ أَنْ تُضِلَّ أَحَداً ؛ وَيَشْهدُ له حَديثٌ آخَرُ : « لا غُولَ ولكن السَّعالي » .

قالَ العُلماءُ : السَّعالي بِالسِّيْنِ المُهملةِ المَفتُوحَةِ ، والعَيْنِ المُهملةِ : سَحَرَةُ الجِنِّ ، كَما تَقَدَّمَ .

● ومنهُ ما رَوَى « التِّرمذيُّ » و« الحاكِمُ »[2] عن أَبي أَيُّوب الأَنصاريِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ قالَ : كانَتْ لي سَهْوَةٌ فِيها تَمْرٌ ، فكانَتْ تَجِيءُ الغُولُ كَهَيْئَةِ السِّنَّوْرِ فَتَأْخُذُ منهُ ، فَشَكَوْتُ ذلكَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ : « اذْهَبْ ، فإِذا رَأَيْتَها فَقُلْ : بِسمِ اللهِ ، أَجِيبي رَسُولَ اللهِ » .

قالَ : فَأَخَذَها ، فَحَلَفَتْ أَنْ لا تَعُودَ ، فَأَرْسَلَها ، وَجاءَ إِلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ : « مَا فَعَلَ أَسِيْرُكَ ؟ » قالَ : حَلَفَتْ أَلاَّ تَعُودَ . قالَ ﷺ : « كَذَبَتْ ، وَهي مُعاوِدَةٌ للكَذِبِ » .

---

(١) مسلم (٢٢٢٢) .
(٢) التِّرمذيّ (٢٨٨٠) والحاكم ٣/ ٤٥٩ وأَحمد ٥/ ٤٢٣ وأَبو نعيم في الدَّلائل (٥٤٥) .

قالَ : فَأَخَذَها مَرَّةً أُخْرى ، فَحَلَفَتْ أَلاَّ تَعُودَ ، فَأَرْسَلَها ، ثُمَّ جَاءَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ؟ » قالَ : حَلَفَتْ أَلاَّ تَعُودَ . قالَ ﷺ : « كَذَبَتْ ، وَهِيَ مُعاوِدَةٌ للكَذِبِ » .

قَالَ : فَأَخَذَهَا ، وَقالَ : ما أَنا بتارِكِكِ حتّى أَذْهَبَ بكِ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فقالَتْ : إِنِّي ذاكِرَةٌ لَكَ شَيْئاً ، آيَةُ الكُرْسِيِّ ، اقْرَأْها في بَيْتِكَ ، فَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ وَلا غَيْرُهُ ؛ فَجاءَ إِلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ؟ » فَأَخْبَرَهُ بِما قالَتْ ؛ فقالَ ﷺ « صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ » .

وَقالَ أَبُو عِيسى التِّرمذيُّ : هذا حَديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ .

● وَهَذا رَوَى مِثْلَهُ « البُخاريُّ »[1] فقالَ : قالَ عُثْمانُ بن الهيثم : حَدَّثَنا عَوف ، عن محمَّد بن سِيرين ، عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قالَ : وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكاةِ رَمضان ؛ وَذَكَرَ القِصَّةَ ، وَفيها : فقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، زعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُني كَلماتٍ يَنْفَعُني اللهُ بِها ، فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ ؛ فقالَ ﷺ : « مَا هِيَ ؟ » قُلْتُ : قَالَ : إِذا أَوَيْتَ إِلى فِراشِكَ ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرسيِّ كُلَّها ، فإِنَّهُ لا يَزالُ عليْكَ من اللهِ حافِظٌ ، وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطانٌ حتَّى تُصْبِحَ ، وَكانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ على الخَيرِ ؛ فقالَ ﷺ : « أَما إِنَّهُ صَدَقَكَ وَهوَ كَذُوبٌ ؛ تَعْلَمُ من تُخاطِبُ منذُ ثَلاثِ لَيالٍ يا أَبا هُريرةَ ؟ » قالَ : لا . قالَ ﷺ : « ذلكَ الشَّيْطانُ » .

● قَالَ النَّوويُّ رحمهُ اللهُ : وَهَذا الحَدِيثُ مُتَّصِلٌ ، فإِنَّ عُثمانَ بن الهيثم أَحَدُ شُيُوخِ البُخاريّ الذينَ رَوى عنهم في « صحيحه » ، وَأَمَّا قَولُ أَبي عبدِ اللهِ الحُمَيْديّ في « الجمْعِ بينَ الصَّحيحين » : أَنَّ البُخاريَّ أَخْرَجَهُ تَعْلِيقاً ، فَغَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ فإِنَّ المَذْهَبَ الصَّحيحَ المُختارَ عندَ العُلماءِ ، وَالذي عَليهِ المُحَقِّقُونَ ،

---

(١) البخاريّ ٣/ ٦٣ و ٤/ ٩٢ و ٦/ ١٠٤ ودلائل أَبي نعيم (٢٦٧) .

أَنَّ قَوْلَ البُخاريّ وغيْرِه : قالَ فُلانٌ ؛ مَحْمُولٌ على سَماعِهِ منهُ واتِّصالِه ، إذا لَمْ يَكُنْ مُدَلِّساً ، وكانَ قد لَقِيَهُ ، وهذا من ذلكَ ؛ وإنَّما المُعَلَّقَ ما أَسْقَطَ البُخارِيُّ فِيهِ شَيْخَهُ أَو أَكْثَرَ ، بأَن يَقُولَ في مثلِ هذا الحَدِيثِ : قالَ عَوْفٌ . أَوْ قالَ محمَّد بن سِيرين ، أَو قالَ أَبو هُريرة .

● وَرَوى الحاكم في « المُستدرك » و« ابن حِبَّان »[(1)] عن أُبيّ بن كَعبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ كان لَهُ جَرينُ تَمْرٍ ، وكانَ يَجِدُهُ يَنقصُ ، فَحَرَسَهُ لَيلةً ، فإذا هُوَ بِمِثْلِ الغُلامِ المُحْتَلِم . قالَ : فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ عليَّ السَّلامَ ؛ فقُلتُ : من أَنْتَ ؟ ناوِلْنِي يَدَكَ ، فَناوَلَنِي فإذا يَدُ كَلْبٍ وَشَعْرُ كَلْبٍ ؛ فقُلْتُ : أَجِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ ؟ فقالَ : بَلْ جِنِّيٌّ ؛ فَقُلتُ : إِنِّي أَراكَ ضَئِيلَ الخِلْقَةِ ، أَهكذا خَلْقُ الجِنِّ ؟ قالَ : لَقَدْ عَلِمَتِ الجِنُّ أَنَّ ما فِيهم أَشَدُّ مِنِّي ؛ فقُلتُ : ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ ؟ قالَ : بَلَغَني أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، فَأَحْبَبْتُ أَن أُصيبَ من طَعامِكَ ؛ فقُلتُ : فَما يُجِيرُنا منكُم ؟ قالَ : تَقرأُ آيَةَ الكُرْسِيِّ ، فإِنَّكَ إِنْ قَرَأْتَها غُدْوَةً ، أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُمْسِي ؛ وإِنْ قَرَأْتَها حِينَ تُمْسِي ، أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُصْبِحَ .

قالَ : فَغَدَوْتُ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فقالَ : « صَدَقَكَ الخَبيثُ » .

ثمَّ قالَ : صَحيحُ الإِسنادِ .

● وَرَوى « الحاكِمُ »[(2)] أَيضاً عن أَبي الأَسودِ الدُّؤَليّ ، قالَ : قُلتُ لِمُعاذ بن جَبَلٍ : حَدِّثني عن قِصَّةِ الشَّيْطانِ حِينَ أَخَذْتَهُ . فقالَ : جَعَلَني رَسُولُ اللهِ ﷺ على صَدَقَةِ المُسلمِينَ ، فَجعلْتُ التَّمْرَ في غُرْفَةٍ ، فَوَجَدْتُ فِيهِ نُقْصاناً ،

---

(١) المستدرك ١/ ٥٦٢ وابن حبَّان (٧٨٤) والنَّسائيّ في عمل اليوم واللَّيلة (٩٦٠ و ٩٦١) ودلائل أَبي نعيم (٥٤٤) .

(٢) المستدرك ١/ ٥٦٣ ودلائل أَبي نعيم (٥٤٧) .

فَأَخبرْتُ النَّبيَّ ﷺ فقالَ : « هَذا الشَّيْطانُ يَأْخُذُ منهُ » .

قالَ : فَدخلْتُ الغُرْفَةَ ، وَأَغْلَقْتُ البابَ عليَّ ، فجاءَتْ ظُلْمَةٌ عَظِيمَةٌ فَغَشِيَتِ البابَ ، ثمَّ تَصوَّرَ في صُورَةٍ أُخرى ، ثمَّ دَخَلَ إِليَّ من شِقِّ البابِ ، فَشَدَدْتُ إزارِي عليَّ ، فَجعَلَ يَأْكُلُ من التَّمْرِ ، فَوَثَبْتُ عليْهِ فَضَبَطْتُهُ ، فَالْتَفَّتْ يَدايَ عليْهِ ، فقُلْتُ : يا عَدُوَّ اللهِ ، ما جَاءَ بكَ هَا هُنا ؟ فقالَ : خَلِّ عَنِّي ، فإِنِّي شَيْخٌ كَبيرٌ ذُو عِيالٍ ، وَأَنا فَقِيرٌ ، وَأَنا من جِنِّ نَصيبين ، وَكانَتْ لَنا هَذهِ القَرْيَةُ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ صاحِبُكم ، فَلَمَّا بُعِثَ أُخْرِجْنا مِنْها ؛ فَخَلِّ عَنِّي فَلَنْ أَعُودَ إِلَيْكَ . فَخَلَّيْتُ عنهُ ، وَجاءَ جِبريلُ عليهِ السَّلامُ فَأَخْبرَ النَّبيَّ ﷺ بما قَالَ .

قَالَ : فَصلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ ، ثمَّ نادَى مُنادِيه : أَيْنَ مُعاذٌ ؟ فقُمْتُ إِلَيْهِ ، فقالَ ﷺ : « مَا فَعَلَ أَسِيْرُكَ يَا مُعاذُ ؟ » فَأَخْبَرْتُهُ ، فقالَ : « أَما إِنَّهُ سَيَعُودُ » .

قَالَ : فَعُدْتُ فَدخَلْتُ الغُرْفَةَ ، وَأَغْلَقْتُ عليَّ البابَ ، فَجاءَ الشَّيْطانُ فَدخلَ من شِقِّ البابِ ، فجعَلَ يَأْكُلُ من التَّمْرِ ، فَصَنَعْتُ به كَمَا صَنَعْتُ في المَرَّةِ الأُولى ، فقالَ : خَلِّ عَنِّي ، فإِنِّي لَنْ أَعُودَ إِلَيْكَ ؟ فَقُلْتُ : يَا عَدُوَّ اللهِ ، أَلَمْ تَقُلْ في المَرَّةِ الأُولى : لَنْ أَعُودَ ؛ ثمَّ عُدْتَ ؟ قالَ : فإِنِّي لَنْ أَعُودَ ، وَآيَةُ ذلكَ أَنْ لا يَقْرَأَ أَحَدٌ منكم خاتِمَةَ سُورَةِ البَقَرَةِ ، فيدخُلَ أَحَدٌ مِنَّا في بَيْتِهِ تلكَ اللَّيْلَةَ . ثمَّ قالَ : صَحيحُ الإِسْنادِ .

● وَفي « مسند الدَّارميّ »(١) عن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ :

خَرَجَ رَجُلٌ من الإِنْسِ ، فَلَقِيَهُ رَجلٌ من الجِنِّ ، فقالَ لَهُ : هَل لَكَ أَنْ تُصارِعَني ؟ فإِنْ صَرَعْتَني عَلَّمْتُكَ آيَةً إذا قَرَأْتَها حِينَ تَدخلُ بَيْتَكَ ، لَمْ يَدْخُلْهُ شَيْطانٌ .

---

(١) مسند الدّارمي ٢ / ٩٠٥ (٣٢٥٨) ودلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم (٢٦٨) .

فصارَعَهُ ، فَصَرَعَهُ الإِنْسِيُّ ، وَقالَ : إِنِّي أَراكَ ضَئِيلاً شَخِيتاً ، كَأَنَّ ذِراعَيْكَ ذِراعا كَلْبٍ ، أَفهكَذَا أَنْتُم أَيُّها الجِنُّ كُلُّكم ، أَم أَنْتَ من بَيْنِهم ؟ فقالَ : إِنِّي مِنهم لَضَليعٌ ؛ وَلكن عاوِدْني الثَّانِيَةَ ، فإِنْ صَرَعْتَني عَلَّمْتُكَ . فَصارَعَهُ ، فَصَرَعَهُ الإِنْسِيُّ ، فقالَ : تَقْرَأُ آيَةَ الكُرسيّ ، فإِنَّها لا تُقْرَأُ في بَيْتٍ إِلاَّ خَرَجَ منهُ الشَّيْطانُ ، لَهُ خَبَجٌ كَخَبَجِ الحِمارِ ، ثمَّ لا يَدْخُلُهُ حَتَّى تُصبحَ .

فَقيلَ لِعَبْدِ اللهِ : أَهوَ عُمر ؟ قالَ : وَمَنْ عَسَى أَن يَكُونَ إِلاَّ عُمَرُ .

قولُهُ : الضَّئِيلُ : مَعناهُ الدَّقيقُ النَّحيفُ . وَالشَّخِيْتُ : الهَزِيلُ الخَسِيسُ ، المُجْفِرُ الجَنْبَيْنِ . وَالضَّليعُ : الوافِرُ الأَضْلاعِ . وَالخَبَجُ : الضُّراطُ . وقولُهُ : إِلاَّ عُمَرُ - بِالرَّفْعِ - بَدلٌ من مَحَلِّ مِن ، وَمَحَلُّهُ الرَّفْعُ بِالابْتِداءِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الجيمِ » في الكَلامِ على لَفْظِ « الجِنِّ » حَديثٌ في « مُسندِ الدَّارميّ » بهذا المعنى .

● وَالذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ المُحَقِّقُونَ : أَنَّ الغُولَ شَيْءٌ يُخَوَّفُ بِهِ وَلا وُجُودَ لَهُ ، كَما قالَ الشَّاعِرُ[1] : [من البسيط]

الجُودُ والغُولُ وَالعَنْقاءُ ثالِثَةٌ ... أَسْماءُ أَشْياءَ لم تُوجَدْ وَلَمْ تَكُنِ

وَلذلكَ سَمَّوْا الغُولَ خَيْتَعُوراً ، وَهوَ كُلُّ شَيْءٍ لا يَدُومُ على حالَةٍ واحِدَةٍ ، وَيَضْمَحِلُّ كَالسَّرابِ ؛ وَكالذِي يَنزلُ من الكُوى في شِدَّةِ الحَرِّ كَنَسْجِ العَنْكَبُوتِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الخفيف]

كُلُّ أُنْثَى وإِنْ بَدَا لَكَ مِنْها ... آيَةُ الحُبِّ حُبُّها خَيْتَعُورُ

---

(١) مضى البيت في « العنقاء » . وروايته في ط هنا : الغُولُ والخِلُّ والعنقاء . . . × . والمثبت من أ ، ب .

(٢) البيت لحجر بن عمرو بن معاوية الكنديّ ، في التّذكرة الحمدونيّة ٧/ ٣٨٦ . وقد مضى تخريجه في « الخيتعور » .

وَقالَ قومٌ : الغُولُ : ساحِرَةُ الجِنِّ ، وَهي تَتَصَوَّرُ في صُوَرٍ شَتَّى ؛ وأَخَذُوا ذلكَ من قَوْلِ كَعب بن زُهير بن أَبي سُلْمَى رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : [من البسيط]

فَمَا تكُونُ على حالٍ تَدُومُ بِها ... كَمَا تَلَوَّنُ في أَثْوابِها الغُولُ

وَقد تَقَدَّمَ ذلكَ قَريباً .

● وفي « دَلائِلِ النُّبُوَّةِ » للبَيهقيّ ، في أَواخِرِه : عن عُمر بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ : إذا تَغَوَّلَتْ لأَحدِكُمُ الغِيْلانُ فَلْيُؤَذِّنْ ، فإِنَّ ذلكَ لا يَضُرُّهُ .

وَتزعمُ العَرَبُ أَنَّهُ إذا انْفَرَدَ الرَّجُلُ في الصَّحْراءِ ، ظَهَرَتْ لَهُ في خِلْقَةِ الإنْسانِ ، فلا يَزالُ يَتْبَعُها حتَّى يَضِلَّ عن الطَّريقِ ، فَتَدنُو منهُ ، وَتَتَمَثَّلُ لَهُ في صُوَرٍ مُختلفَةٍ ، فَتُهْلِكُهُ رَوْعاً .

وَقالُوا : إِذا أَرادَتْ أَنْ تُضِلَّ إِنْساناً ، أَوْقَدَتْ لَهُ ناراً ، فَيَقْصِدُها ، فَتَفْعَلُ بِهِ ذلكَ .

قَالُوا : وَخِلْقَتُها خِلْقَةُ إِنسانٍ ، وَرِجْلاها رِجْلا حِمارٍ .

● قالَ القَزوينيُّ[1] : وَرأَى الغُولَ جَماعَةٌ من الصَّحابَةِ ، منهم عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ حِينَ سافَرَ إِلى الشَّامِ قبلَ الإِسْلامِ ، فَضَرَبَها بِالسَّيْفِ .

وَذُكِرَ عن ثابت بن جابر الفَهْميّ[2] أَنَّهُ لَقِيَ الغُولَ ؛ وَذَكَرَ أَبْياتَهُ النُّونِيَّة في ذلكَ .

الأَمثالُ : قالَتِ العَرَبُ[3] : « فُلانٌ أَقْبَحُ من الغُولِ ، وَمِنْ زَوالِ النِّعْمَةِ ، وَمن قَوْلٍ بلا فِعْلٍ » . وَاللهُ تَعالَى أَعلَمُ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٣٦ .

(٢) هو تأَبَّطَ شَرّاً ، وأَبياتُهُ النُّونيَّة في ديوانه ٢٢٢ ـ ٢٢٧ وعجائب المخلوقات ٢٣٦ .

(٣) الميدانيُّ ٢/ ١٢٩ وحمزة ٢/ ٣٥١ والعسكريّ ٢/ ١١٥ والزمخشريّ ١/ ٢٧٦ .

٧٣٩ **الغَيْداقُ** : بِفَتْحِ الغَيْنِ : وَلَدُ الضَّبِّ ، وَهُوَ أَكْبَرُ من الحِسْلِ ؛ ذَكَرَهُ خَلَفٌ الأَحْمَرُ .

وَالغَيادِيقُ : الحَيَّاتُ[١] .

٧٤٠ **الغَيْطَلَةُ** : بِالفَتْحِ أَيْضاً : البَقَرَةُ الوَحْشِيَّةُ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] .

وَيُقالُ لِجَماعَةِ البَقَرِ الوَحْشِيِّ : الرَّبْرَبُ ـ بِباءَيْنِ مُوَحَّدَتَيْن ، وَراءَيْنِ مُهْمَلَتَين ـ وَكذلكَ : الإِجْلُ[٣] ـ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ ، وَبِالجِيمِ . قالَهُ في « الكِفايَةِ » .

٧٤١ **الغَيْلَمُ** : كَدَيْلَمٍ : ذَكَرُ السَّلاحِفِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ السَّلاحِفِ في « بابِ السِّينِ المهملة » .

٧٤٢ **العَيْهَبُ**[٤] : ذَكَرُ النَّعامِ ؛ وَالعَيْهَبُ : الذي لا عَقْلَ لَهُ . قالَهُ السُّهيليُّ في تَفْسِيرِ شِعْرِ مِكْرَزِ بن حَفْصٍ ، في أَوائِلِ غَزْوَةِ بَدْرٍ ؛ واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

---

(١) عن الصِّحاح « غدق » ٤/ ١٥٣٦ . وفي الأُصول : قال خلف الأَحمر : والغياديق . . . !! .

(٢) المخصَّص ٨/ ٣٧ . وليس فيه : الوحشيَّة .

(٣) الرَّبربُ والإِجْلُ : جماعة البقرة . المخصَّص ٨/ ٤١ .

(٤) في الأُصول : الغيهب [بالغين المُعجمة] وهذا مقتضى السِّياق ! وهو وهمٌ من المؤلِّف رحمه اللهُ ، فإنَّ الغيهب : الظُّلْمَةُ . فظَنَّهُ الظَّليم ، وفسَّرَهُ بأَنَّهُ ذَكَرُ النَّعامِ ، وليس بشيءٍ . قال ابن هشام في السِّيرة ١/ ٦١٢ والسُّهيلي في الرَّوض الأُنف ٥/ ٦٧ بصدد تفسير بيتٍ لمكرز بن حفص :

حَلَلْتُ بِهِ وِتْري ولم أَنْسَ ذَحْلَهُ إِذا ما تَناسَى ذَحْلَهُ كُلُّ عَيْهَب

« وَالعَيْهَبُ : الذي لا عَقْلَ لَهُ ؛ ويُقالُ لتَيْسِ الظِّباءِ ، وفحلِ النَّعامِ : العَيْهَبُ » .

وَقُلْتُ:وَهَذَا البَيْتُ نسبه الجوهريّ وابن منظور « عهب » إلى الشُّوَيْعر ، محمَّد بن حمران بن أَبي حُمران الجعفيّ ، وهو أَحد من سُمِّي في الجاهليَّة بمحمَّدٍ .

بابُ الفاءِ

٧٤٣ **الفاختَةُ** : واحِدَةُ الفَواخِتِ ، من ذَواتِ الأَطْواقِ[١] ؛ وَهِيَ بِفَتْحِ الفاءِ ، وَكَسْرِ الخاءِ المُعْجَمَةِ ، وَبِالتَّاءِ المُثَنَّاةِ في آخِرِها . قالَهُ في « الكِفايَةِ » .

وَيُقالُ لِلفاخِتَةِ : الصُّلْصُلُ أيضاً ، بِضَمِّ الصَّادَيْنِ المُهملتين . انتهى .

وَزَعَمُوا[٢] أَنَّ الحَيَّاتِ تَهْرُبُ من صَوْتِها .

● وَيُحْكَى[٢] أَنَّ الحَيَّاتِ كَثُرَتْ في أَرْضٍ ، فَشَكَوْا ذلكَ إلى بَعضِ الحُكَماءِ ، فَأَمَرَهُم بِنَقْلِ الفَواخِتِ إِلَيها ، فَفَعَلُوا ذلكَ ، فانْقَطَعَتِ الحَيَّاتُ عَنْها .

وَهيَ عِراقِيَّةٌ ، وَلَيسَتْ بِحِجازِيَّةٍ ؛ وَفيها فَصاحَةٌ وَحُسْنُ صَوْتٍ ، وَصَوْتُها يُشْبِهُ المُثَلَّثَ .

وَفي طَبْعِها الأُنْسُ بالنَّاسِ ، وَتَعيشُ في الدُّورِ .

وَالعَرَبُ تَصِفُها بالكَذِبِ ، فإِنَّ صَوْتَها عِنْدَهُم « هذا أَوانُ الرُّطَبِ » . وَتَقُولُ ذلكَ والنَّخْلُ لَمْ يَطْلُعْ ؛ قالَ الشَّاعِرُ[٣] : [من مجزوء الرجز]

أَكْذَبُ من فاخِتَةٍ   تَقُولُ وَسْطَ الكَرَبِ

---

(١) الصِّحاح « فخت » ١/٢٥٩ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٨٣ ومسالك الأبصار ٢٠/٨٧ .

(٣) البيتان بلا نسبة في ثمار القلوب ٢/٧١٣ والميداني ٢/١٦٧ وحمزة ١/٣٦٤ والعسكريّ ٢/١٧٣ والزمخشريّ ١/٢٩٢ والحيوان ١/٢٢٠ والكناية والتَّعريض ١٠٤ وشرح النَّهج ٢٠/١٩٦ « أكذب من فاختة » .

وَالطَّلْـــعُ لَـــمْ يَبْــدُ لَهـــا : هَـــــذا أَوانُ الـــــرُّطَـــبِ

قُلتُ : وَيُحتملُ أَنَّها إِنَّما وُصِفَتْ بالكَذِبِ ، لِما قالَهُ الغزاليُّ رحمهُ اللهُ تَعالى في « الإحياء » في أَواخِرِ « كِتاب الصَّبْر وَالشُّكْرِ »[1] : إِنَّ كَلامَ العُشَّاقِ الذينَ أَفْرَطَ حُبُّهُم ، يُسْتَلَذُّ بِسَماعِهِ وَلا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ .

كما حُكِيَ[1] أَنَّ فاخِتَةَ كان يُراوِدُها زَوْجُها فَتَمْنَعُهُ نَفْسَها ، فقالَ لَها : ما الذي يَمْنَعُكِ عَنِّي ، وَلَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْلِبَ لَكِ مُلْكَ سُليمانَ ظَهْراً لِبَطْنٍ ، لَفَعَلْتُ لأَجْلِكِ ؟ فَسَمِعَهُ سُليمانُ عليهِ السَّلامُ ، فاسْتَدْعاهُ وَقالَ : ما حَمَلَكَ على ما قُلْتَ ؟ فقالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنِّي مُحِبٌّ ، وَالمُحِبُّ لا يُلامُ ، وَكَلامُ العُشَّاقِ يُطْوَى وَلا يُحْكَى ؛ وَهو كَما قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [من الوافر]

أُرِيــدُ وِصــالَــهُ وَيُــرِيــدُ هَجْـرِي فَــأَتْــرُكُ مــا أُرِيــدُ لِمــا يُــرِيــدُ[2]

وَقد تَقَدَّمَ في « العصفُورِ » نظيرُ هذا .

● **فائِدَةٌ** : اعلمْ أَنَّ النَّاسَ قد كَثُرَ كَلامُهم في وَصْفِ المَحبَّةِ وَنَعْتِ العِشْقِ ، فَسَلَكَ كُلٌّ منهُم مَذْهباً أَدَّاهُ إِليهِ نَظَرُهُ وَاجْتِهادُهُ ؛ وسَأَختصِرُ من أَقْوالِهم قَدْراً يَسِيراً كافِياً .

● قالَ عبدُ الرَّحمن بن نَصْر : إِنَّ أَهْلَ الطِّبِّ يَجْعلُونَ العِشْقَ مَرَضاً ، يَتوَلَّدُ من النَّظَرِ والسَّماعِ ، وَيَجعلُونَ له عِلاجاً كَسَائِرِ الأَمْراضِ البَدَنِيَّةِ ؛ وَهوَ مَراتِبُ وَدَرَجاتٌ بَعْضُها فَوقَ بَعْضٍ .

فَأَوَّلُ مَرْتَبَةٍ منهُ تُسَمَّى **الاسْتِحْسانَ** ، وَهي المُتَوَلِّدَةُ من النَّظَرِ وَالسَّماعِ ؛ ثمَّ تَقْوى هَذِهِ المَرتَبَةُ بِطُولِ الذِّكْرِ في مَحاسِنِ المَحْبُوبِ وَصِفاتِهِ الجَميلَةِ ، فَتَصِيرُ **مَوَدَّةً** ، وَهِيَ المَيْلُ إِلَيْهِ ، وَالتَّأَلُّفِ بِشَخْصِهِ ؛ ثمَّ تَتأَكَّدُ المَوَدَّةُ فَتَصِيرُ **مَحَبَّةً** ،

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٤/ ١١٧ . والبيت الآتي فيه بلا نسبة .

(٢) في ب : × سأترك . . .

وَالمَحَبَّةُ هِيَ الائْتِلافُ الرُّوحانيُّ ؛ فإذا قَوِيَتْ هَذِهِ المَرْتَبَةُ صارَتْ **خُلَّةً** ، وَالخُلَّةُ من الآدَمِيِّيْنَ هِيَ تَمَكُّنُ مَحَبَّةِ أَحَدِهما من قَلْبِ صاحِبِهِ حَتَّى تَسْقُطَ بَيْنَهُما السَّرائِرُ ؛ فإذا قَوِيَتْ هذهِ المَرْتَبَةُ صارَتْ **هَوىً** ، وَالهَوى هُوَ أَنَّ المُحِبَّ لا يُخالِطُهُ في مَحَبَّةِ مَحْبُوبِهِ تَغَيُّرٌ ، وَلا يُداخِلُهُ تَلَوُّنٌ ، ثمَّ يَزِيدُ الحالُ فَيَصِيرُ **عِشْقاً** ، وَالعِشْقُ هُوَ إفْراطُ المَحَبَّةِ ، حَتَّى لا يَخلو المَعشُوقُ من تَخَيُّلِ العاشِقِ وَفِكْرِهِ ، وَذِكْرُهُ لا يَغِيبُ عن خاطِرِهِ وَذِهْنِهِ ، فَعِنْدَ ذلكَ تَشْتغلُ النَّفْسُ عن تَنَبُّهِ القُوَى الشَّهوانِيَّةِ ، فَيَمتنعُ من الطَّعامِ والشَّرابِ ، لاشْتِغالِ النَّفْسِ عن تَنَبُّهِ القُوى الشَّهوانِيَّةِ ، وَيَمتنعُ من الفِكْرِ وَالذِّكْرِ والتَّخَيُّلِ والنَّوْمِ ، لاسْتِضْرارِ الدِّماغِ ؛ فإذا قَوِيَ العِشْقَ صَارَ **تَتَيُّماً** ، وَفي هَذِهِ الحالَةِ لا يُوجَدُ فِي قَلْبِهِ فَضْلٌ لِغَيْرِ صُورَةِ المَعْشُوقِ ، وَلا تَرْضَى نَفْسُهُ سِواها ؛ فإذا تَزايَدَ الحالُ صَارَ **وَلَهاً** ، وَالوَلَهُ هُوَ الخُرُوجُ عن الحُدُودِ والتَّرْتِيبِ ، فَتَتَغَيَّرُ صِفاتُهُ ، وَلا تَنْضَبِطُ أَحْوالُهُ ، وَيَصِيرُ مُوَسْوِساً لا يَدْرِي ما يَقُولُ وَلا أَيْنَ يَذْهَبُ ، فَحِينئِذٍ تَعجَزُ الأَطِبَّاءُ عن مُداواتِهِ ، وَتَقْصُرُ آراؤُهم عن مُعالجَتِهِ لِخُرُوجِهِ عن الحَدِّ الضَّابِطِ .

● وَقَدْ أَجادَ القائِلُ حَيْثُ قالَ(١) : [من الطويل]

يَقُولُ أُناسٌ : لو نَعَتَّ لَنا الهَوَى ... وَوَاللهِ ما أَدْري لَهُمْ كَيْفَ أَنْعَتُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَحُدُّهُ ... وَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ وَقْتٌ مُوَقَّتُ
إذا اشْتَدَّ ما بِي كانَ آخِرَ حِيْلَتِي ... لَهُ وَضْعُ كَفِّي فَوْقَ خَدِّي وَأَصْمُتُ
وَأَنْضَحُ وَجْهَ الأَرْضِ طَوْراً بِعَبْرَتِي ... وَأَقْرَعُها طَوْراً بِظُفْرِي وَأَنْكُتُ
وَقَدْ زَعَمَ الواشُونَ أَنِّي سَلَوْتُها ... فَما لِي أَراها مِن بَعِيدٍ فَأَبْهَتُ ؟

---

(١) الأَبيات لأَبي العتاهية ، وليس في ديوانه منها ٥٠١ ، إلاَّ ثلاثة أَبيات ، وكذا في المستطرف ٣/ ٨٩ ـ ٩٠ والمحبّ والمحبوب ٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ . والقطعة بتمامها وزيادة بيت في محاضرة الأَبرار لابن عربيّ ٢/ ٤١٢ ـ ٤١٣ .

● قَالَ جالينُوس : العِشْقُ من فِعْلِ النَّفْسِ ، وَهُوَ كامِنٌ في الدِّماغِ والقَلْبِ والكَبِدِ ؛ وَفِي الدِّماغِ ثَلاثَةُ مَساكِنَ : التَّخَيُّلُ في مُقَدَّمِهِ ، وَالفِكْرُ في وَسَطِهِ ، وَالذِّكْرُ في مُؤَخَّرِهِ ؛ فَلا يَكُونُ أَحَدٌ عاشِقاً ، إلاَّ إذا كان بِحَيْثُ إذا فارَقَ مَعْشُوقَهُ لَمْ يَخْلُ منهُ تَخَيُّلُهُ وَفِكْرُهُ وَذِكْرُهُ ، فَيَمْتَنِعُ من الطَّعامِ والشَّرابِ لاشْتِغالِ قَلْبِهِ وَكَبِدِهِ ، وَمن النَّوْمِ لاشتِغالِ الدِّماغِ بالتَّخَيُّلِ والفِكْرِ للمَعْشُوقِ ، فتكُونُ جَميعُ مَساكِنِ النَّفْسِ قد اشْتَغَلَتْ بِهِ ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ كذلكَ لَمْ يَكُنْ عاشِقاً ؛ فإذا لَها العاشِقُ ، خَلَتْ هَذِهِ المَساكِنُ ، فَرَجَعَ إلى حالِ الاعْتِدالِ .

● وَقالَ أَبُو عليّ الدَّقَّاقُ : العِشْقُ : تَجاوُزُ الحَدِّ في المَحَبَّةِ ، وَلِهذا لا يُوصَفُ اللهُ تعالى بالعِشْقِ ، لأَنَّهُ لا يُوصَفُ بأَن يُجاوِزَ الحَدَّ في مَحَبَّةِ العَبْدِ ؛ وإِنَّما يُوصَفُ بالمَحَبَّةِ كَما قالَ تَعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة : ٥٤] فَمَحَبَّةُ اللهِ تَعالَى لِلعَبْدِ ، هِيَ إِرادَتُهُ لإِنْعامٍ مَخْصُوصٍ علَيْهِ ، كَما أَنَّ رَحْمَتَهُ إِرادَةُ الإِنْعامِ .

وَقالَ قَومٌ : مَحَبَّةُ اللهِ تَعالى لِلْعَبْدِ : مَدْحُهُ وَثَناؤُهُ عليْهِ ؛ وَقِيلَ : بَلْ مَحَبَّةُ اللهِ لِعَبْدِهِ : صِفَةٌ من صِفاتِ فِعْلِهِ ، فهيَ إِحْسانٌ مَخْصُوصٌ يَلِيقُ بالعَبْد .

وَأَمَّا مَحَبَّةُ العَبْدِ للهِ تَعالَى ، فَحالَةٌ يَجِدُها في قَلْبِهِ ، يَحْصُلُ مِنْها التَّعْظِيمُ لَهُ ، وإِيْثارُهُ رِضاهُ ، وَقِلَّةُ الصَّبْرِ عَنْهُ ، والاحْتِياجُ إِلَيْهِ ، وَالاسْتِئْناسُ بِذِكْرِهِ .

● وَقَدْ اخْتُلِفَ في اشْتِقاقِ المَحَبَّةِ والعِشْقِ ، فقالَ بعضُهم : **الحُبُّ** : اسْمٌ لِصَفاءِ المَوَدَّةِ ، لأَنَّ العَرَبَ تَقُولُ لِصَفاءِ بَياضِ الأَسْنانِ وَنَضارَتِها : حَبَبٌ ؛ وَقِيلَ : هُوَ مُشْتَقٌّ من حَبابِ المَاءِ ـ بِفَتْحِ الحَاءِ ـ وَهُوَ مُعْظَمُهُ ، لأَنَّ المَحَبَّةَ مُعْظَمُ ما فِي القُلُوبِ من المهمَّاتِ ؛ وَقِيلَ : اشْتِقاقُهُ من اللُّزُومِ وَالثَّباتِ ؛ يُقالُ : أَحَبَّ البَعيرُ ، إِذا بَرَكَ فَلَمْ يَقُمْ ؛ فَكَأَنَّ المُحِبَّ لا يَنْزِعُ قَلْبَهُ عن ذِكْرِ مَحْبُوبِهِ .

وَأَمَّا **العِشْقُ** : فاشْتِقاقُهُ من العَشَقَةِ ، وَهُوَ نَباتٌ يَلْتَفُّ بِأُصُولِ الشَّجَرِ التي

يُقارِبُها في مَنْبِتِها ، فَلا تَكادُ تتخلَّصُ منهُ إلاَّ بالمَوْتِ ؛ وَقيلَ : إنَّ العَشَقَةَ نَباتٌ أَصْفَرُ ، مُتَغَيِّرُ الأَوراقِ ، فَسُمِّيَ العاشِقُ بِهِ لاصْفِرارِهِ وَتَغَيُّرِ حالِهِ .

وَقيلَ : أَعَمُّ حالاتِ الحُبِّ وأَشْهَرُها ، وَأَعْظَمُ صِفاتِ الهَوَى وَأَظْهَرُها : ثَلاثَةُ أَوْصافٍ : مُلازَمَةٌ لا يَستطِيعُونَ دَفْعَها ، وَهِيَ النُّحُولُ والسَّقَمُ والذُّبُولُ . وَاللهُ أَعلمُ .

● وَهذا الطَّائِرُ يُعَمَّرُ كَثيراً ، وَقد ظَهَرَ منهُ ما عاشَ خَمْساً وَعِشْرِينَ سنةً ، وَما عاشَ أَربعِينَ سنةً ، كَما حَكاهُ أَبو حَيَّان التَّوحيديّ[1] وَأَرسطو قَبْلَهُ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُها وَبَيْعُها بالاتِّفاقِ .

الأَمْثالُ : قالُوا : « أَكْذَبُ من فاخِتَةٍ »[2] . وَقَالُوا : « فُلانٌ الفاخِتَةُ عِنْدَهُ أَبو ذَرٍّ »[3] .

الخَواصُّ[4] : دَمُها وَدَمُ الحَمامِ الأَسْوَدِ : إذا طُلِيَ بِهِما البَرَصُ ، غَيَّرَ لَوْنَهُ .

وَزِبْلُها : إذا عُلِّقَ على صَبِيٍّ يُصْرَعُ ، أَبْرَأَهُ .

وَدَمُها : إذا قُطِّرَ في العَيْنِ ، أَذْهَبَ الآثارَ المُزْمِنَةَ ، من ضَرْبَةٍ ، أَوْ قُرْحَةٍ ، أَو غيرِهما .

التَّعبيرُ[5] : قالَ ابْنُ المُقرِىءِ : الفَواخِتُ والقَمارِي والدُّبْسيّ

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٦٢ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ١٦٧ وحمزة ١/ ٣٦٤ والعسكريّ ٢/ ١٧٣ والزمخشريّ ١/ ٢٩٢ والحيوان ١/ ٢٢٠ وثمار القلوب ٢/ ٧١٢ وشرح النَّهج ٢٠/ ١٩٦ .

(٣) هذا من قول الصَّاحب بن عبَّاد في ثمار القلوب ١/ ١٧٣ والكِناية والتَّعريض ١٠٤ وخاص الخاصّ ٢٥ والتَّمثيل والمحاضرة ٤٤٨ وتحفة الوزراء ١٢٦ والإعجاز والإيجاز ١٢٠ .

(٤) مفردات ابن البيطار ٣/ ١٦١ وتذكرة داود ١/ ٢٤٧ .

(٥) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ وتفسير الواعظ ٢٩٩ .

وَما أَشْبَهَها : يَدُلُّ مُلْكُها في الرُّؤْيا على العِزِّ والجَاهِ وَظُهُورِ النِّعَمِ ؛ لأَنَّها لا تَكُونُ في الغالِبِ إلاَّ عِنْدَ المُتَنَعِّمِينَ .

وَرُبَّما دَلَّتْ على أَهْلِ العِبادَةِ والانْقِطاعِ والقِراءَةِ وَالتَّسْبيحِ والتَّهليلِ ؛ قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وَرُبَّما دَلَّتْ على المُطْربينَ ، وَأَصْحابِ اللَّهْوِ ، وَالغِناءِ وَالرَّقْصِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ على الزَّوجاتِ والإِماءِ .

وَقالَ المقدسيُّ : الفاخِتَةُ في المَنامِ : وَلَدٌ كَذَّابٌ ؛ وَقِيلَ : الفاخِتَةُ امْرَأَةٌ كَذَّابَةٌ غيرُ آلِفَةٍ ، وَفي دِينِها نَقْصٌ .

وَقالَ أَرطاميدورس : الفاخِتَةُ : امْرَأَةٌ صاحِبَةُ مُروءَةٍ وَشَكْلٍ . وَاللهُ أَعلمُ .

٧٤٤ الفَأْرُ : بالهَمْزِ : جَمْعُ فَأْرَةٍ ؛ وَمَكانٌ فَئِرٌ : أَي كَثِيرُ الفَأْرِ ؛ وَأَرْضٌ مَفْأَرَةٌ ، أَي : ذاتُ فَأْرٍ(١) .

● وَكُنْيَةُ الفَأْرَةِ(٢) : أُمُّ خَرابٍ ، وَأُمُّ راشِدٍ .

● وَهي أَصْنافٌ : الجُرَذُ ، وَالفَأْرُ المَعْرُوفان ، وَهُما كالجامُوسِ والبَقَرِ ، وَالبَخاتي والعِرابِ ؛ ومنها اليَرابيعُ ، وَالزَّبابُ والخُلْدُ ؛ فَالزَّبابُ أَصَمُّ ، وَالخُلْدُ أَعْمى ؛ وَفَأْرَةُ البِيْشِ ، وَفَأْرَةُ الإِبلِ ، وَفَأْرَةُ المِسْكِ ، وَذاتُ النِّطاقِ ، وَفَأْرَةُ البَيْتِ ؛ وَهِيَ الفُوَيْسِقَةُ التي أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ بِقَتْلِها في الحِلِّ والحَرَمِ .

وَأَصْلُ الفِسْقِ : الخُرُوجُ عن الاسْتِقامَةِ ، والجُورُ ؛ وَبِهِ سُمِّيَ العاصِي فاسِقاً ؛ وإِنَّما سُمِّيَتْ هذِهِ الحَيواناتُ فَواسِقَ على الاسْتِعارَةِ ، لِخُبْثِهِنَّ .

وَقِيلَ : لِخُروجِهِنَّ عن الحُرْمَةِ في الحِلِّ والحَرَمِ ؛ أَي لا حُرْمَةَ لَهُنَّ بِحالٍ .

---

(١) عن الصِّحاح « فأر » ٢/ ٧٧٧ .

(٢) المُرصَّع ١٥٤ و ١٨٤ و ٣٧٠ .

وَقِيلَ : سُمِّيَتْ بذلكَ لأَنَّها عَمَدَتْ إلى حِبالِ سَفينَةِ نُوحٍ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فقَطَعَتْها .

● وَرَوى الطَّحاوي في « أَحكامِ القُرآن »[1] بإسْنادِهِ عن يَزيد بن أَبي [زِيادٍ ، عن ابْنِ] نُعَيْمٍ ، أَنَّهُ سَأَلَ أَبا سَعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : لِمَ سُمِّيَتِ الفَأْرَةُ الفُوَيْسِقَةَ ؟ فقالَ : استَيقَظَ النَّبيُّ ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ ، وَقد أَخَذَتْ فَأْرَةٌ فَتيلَةَ السِّراجِ لِتَحْرِقَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ البَيْتَ ، فقَامَ إِلَيْها وَقَتَلَها ، وَأَحَلَّ قتْلَها للحَلالِ وَالمُحْرِمِ .

● وَفِي « سُنَنِ أَبي داود »[2] عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما قَالَ : جاءَتْ فَأْرَةٌ ، فَأَخَذَتْ تَجُرُّ الفَتيلَةَ ، فَجاءَتْ بِها فَأَلْقَتْها بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ على الخُمْرَةِ التي كان قاعِداً عَلَيْها ، فَأَحْرَقَتْ مِنْها مَوْضِعَ دِرْهَمٍ .

الخُمْرَةُ : السَّجَّادَةُ التي يَسْجُدُ عَلَيْها المُصَلِّي ؛ سُمِّيَتْ بذلكَ لأَنَّها تُخَمِّرُ الوَجْهَ ، أَي تُغَطِّيهِ .

● وَرَواهُ « الحاكم »[3] عن عِكرِمَة ، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، قَالَ : جاءَتْ فَأْرَةٌ ، فَأَخَذَتْ تَجُرُّ الفَتيلَةَ ، فَذَهَبَتِ الجارِيَةُ تَزْجُرُها ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « دَعِيها » فَجاءَتْ بِها فَأَلْقَتْها بينَ يَدَي النَّبيِّ ﷺ على الخُمْرَةِ التي كان قاعِداً عليها ، فَأَحْرَقَتْ مِنْها مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، فقالَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « إِذا نِمْتُم فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ ، فإِنَّ الشَّيْطانَ يَدُلُّ مثلَ هذهِ على هَذا فَتَحْرِقَكُمْ » . ثمَّ قالَ : صَحِيحُ الإِسْنادِ .

---

(١) وابن ماجه (٣٠٨٩) والزِّيادة منه .

(٢) أَبو داود (٥٢٤٧) .

(٣) المستدرك ٤/ ٢٨٤ وينظر البخاريّ ٤/ ٩٩ و ٧/ ١٤٣ والتّرمذيّ (٢٨٥٧) وأَبو داود (٣٧٣١) و (٣٧٣٣) .

● وَفِي « صحيحِ مُسلمٍ » وغيرِهِ[1] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ بِإِطْفاءِ النَّارِ عِندَ النَّوْمِ » .

وَعَلَّلَ ذلكَ بِأَنَّ « الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ على أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهم ناراً » .

● وَفي « الصَّحيح » أَيْضاً[2] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا تَتْرُكُوا النَّارَ في بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنامُونَ حتَّى تُطْفِئوها » .

قَالَ النَّوويُّ رحمهُ اللهُ تَعالى : هذا عامٌّ يَدخلُ فِيهِ نارُ السِّراجِ وَغَيْرُها .

وَأَمَّا القَنادِيلُ المُعَلَّقَةُ في المساجِدِ وَغَيْرِها ، فإِنْ خِيْفَ حَريقٌ بِسَبَبِها ، دَخَلَتْ في الأَمْرِ بالإِطْفاءِ ؛ وَإِنْ أُمِنَ ذلكَ ـ كَما هُوَ الغالِبُ ـ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لا بَأْسَ بِتَرْكِها ، لانْتِفاءِ العِلَّةِ التي عَلَّلَ بِها النَّبيُّ ﷺ ؛ وإِذا انْتَفَتِ العِلَّةُ زَالَ المَنْعُ .

وَقد تقدَّمَ في « بابِ الصَّادِ المهملةِ » في لَفْظِ « الصَّيْدِ » الكَلامُ على الفَواسِقِ الخَمْسِ وَما أُلْحِقَ بِها مِمَّا يُباحُ قَتْلُهُ للمُحْرِمِ وفي الحَرَمِ .

● وَالفَأْرُ نَوْعانِ : **جُرْذانٌ وَفِئْرانٌ** ، وَكِلاهُما لَهُ حاسَّةُ السَّمْعِ وَالبَصَرِ ؛ وَلَيْسَ في الحَيواناتِ أَفْسَدُ من الفَأرِ ، وَلا أَعْظَمُ أَذىً منهُ ؛ لأَنَّهُ لا يُبْقي على حَقِيرٍ وَلا جَليلٍ ، وَلا يَأْتي على شَيْءٍ إِلاَّ أَهْلَكَهُ وَأَتْلَفَهُ ؛ وَيَكْفِيهِ ما يُحْكَى عنهُ في قِصَّةِ سَدِّ مَأْرِبَ ، وَقَدْ تقدَّمت في « بابِ الخَاءِ المعجمةِ » في لَفْظِ « الخُلْدِ » .

● وَمَنْ[3] شَأْنِهِ : أَنَّهُ يَأْتي القارُورَةَ الضَّيِّقَةَ الرَّأْسِ ، فَيَحْتالُ حتَّى يُدْخِلَ فِيها ذَنَبَهُ ، فَكُلَّما ابْتَلَّ بِالدُّهْنِ أَخْرَجَهُ وامْتَصَّهُ ، حَتَّى لا يَدَعَ فِيها شَيْئاً .

---

(١) مسلم (٢٠١٢) و (٢٠١٥) .
(٢) أبو داود (٥٢٤٦) .
(٣) عجائب المخلوقات ٢٩٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢١ .

وَلا يَخْفى ما بَيْنَ الفَأْرِ والهِرِّ من العَداوَةِ ؛ وَالسَّبَبُ في ذلكَ ما تَقَدَّمَ في أَوَّلِ خواصِّ « الأَسَد » من حَديثِ زَيد بن أَسْلم رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَنَّ نُوحاً عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لمَّا حَمَلَ في السَّفينَةِ من كُلٍّ زَوْجَينِ اثْنَيْن ، شَكَى أَهْلُ السَّفينَةِ الفَأْرَةَ ، وَأَنَّها تُفْسِدُ طَعامَهم وَمَتاعَهم ؛ فَأَوْحى اللهُ تَعالى إِلى الأَسَدِ فَعَطَسَ ، فَخَرَجَتْ منهُ الهِرَّةُ ، فتَخَبَّأَتِ الفَأْرَةُ مِنْها .

● **تَذنيبٌ** : قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : اتَّخَذَ نُوحٌ السَّفينَةَ في سَنَتَيْنِ ، وَكانَ طُولُ السَّفِينَةِ ثَلاثمئة ذراعٍ ، وَعَرْضُها خَمْسُونَ ذِراعاً ، وَطُولُها في السَّماءِ ثَلاثُونَ ذِراعاً ، وَكانَتْ من خَشَبِ السَّاجِ ، وَجَعلَ لَها ثَلاثَ بُطُونٍ . فَحَمَلَ في البَطْنِ الأَسْفَلِ الوُحُوشَ والسِّباعَ والهَوامَّ ، وَفي البَطْنِ الأَوْسَطِ الدَّوابَّ وَالأَنْعامَ ، وَرَكِبَ هُو وَمَنْ معهُ في البَطْنِ الأَعْلَى مع ما يَحتاجُ إِلَيْهِ من الزَّادِ .

وَرُوِيَ أَنَّ الطَّبَقَةَ السُّفْلَى كانَتْ للدَّوابِّ والوُحُوشِ ، وَالوُسْطى للإِنْسِ ، وَالعُلْيا للطَّيْرِ ؛ فَلَمَّا كَثُرَتْ أَرْواثُ الدَّوابِّ ، أَوْحَى اللهُ تَعالى إِلى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَنِ اغمزْ ذَنَبَ الفِيْلِ ؛ فَفَعَلَ ، فَوَقَعَ منهُ خِنْزِيرٌ وَخِنْزِيرَةٌ ، فَأَقْبَلا على الرَّوْثِ ؛ فَلَمَّا وَقَعَ الفَأْرُ بِجَوْفِ السَّفِينَةِ ، جَعَلَ يَقْرِضُها وَحِبالَها ، فَأَوْحَى اللهُ تَعالى إِلَيْه : أَنِ اضرِبْ بَيْنَ عَيْنَيْ الأَسَدِ ؛ فَضَرَبَ فَخرجَ من مِنْخَرِهِ سِنَّوْرٌ وَسِنَّوْرَةٌ ، فَأَقْبَلا على الفَأْرِ .

● وَعَنِ الحَسَنِ ، قالَ : كان طُولُ السَّفينَةِ أَلْفاً وَمئتَيْ ذِراعٍ ، وَعَرْضُها ستّمئة ذِراعٍ .

وَالمَعرُوفُ ما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّ طُولَها ثلاثمئة ذِراعٍ ، وَعَرْضَها ستُّمئة ذِراعٍ[١] .

---

(١) كذا . وقد مضى أَن عرضَها خمسون ذراعاً ! .

وَقالَ قَتادَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : كان بابُها في عَرْضِها .

وَقالَ زَيْدُ بن أَسْلم : مَكَثَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ مئةَ سَنَةٍ يَغرسُ الأَشْجارَ وَيَقْطَعُها ، وَمئة عامٍ يَعملُ الفُلْكَ .

وَقالَ كَعبُ الأَحْبارِ : مَكَثَ نُوحٌ عليْهِ السَّلامُ في عَمَلِ السَّفينَةِ ثَلاثِينَ سنةً .

وَقيلَ : غَرَسَ الشَّجَرَ أَربعينَ سنةً ، وَجَفَّفَها أَربعينَ سنةً .

وَزَعَمَ أَهْلُ التَّوراةِ : أَنَّ اللهَ تَعالى أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ الفُلْكَ من خَشَبِ السَّاج ، وَأَنْ يَصْنَعَهُ أَزْوَرَ ، وَأَنْ يَطْلِيَهُ بالقارِ من داخِلِه وَمِنْ خارِجِه ، وَأَنْ يَجْعَلَ طُولَهُ ثَمانِينَ ذِراعاً ، وَعَرْضَهُ خَمسينَ ذِراعاً ، وَطُولَهُ في السَّمَاءِ ثَلاثِينَ ذِراعاً ؛ وَالذِّراعُ إِلى المَنْكِبِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ ثَلاثَ أَطْباقٍ سُفْلَى وَوُسْطَى وَعُلْيا ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِيهِ كُوىً ؛ فَصَنَعَهُ نُوحٌ كَما أَمَرَ اللهُ تَعالَى .

● وَأَمَّا **الزَّبابُ والخُلْدُ** : فَتَقَدَّمَا .

● وَأَمَّا **اليَرْبُوعُ** : فَسيأتي في بابِهِ .

● وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ العَيْنِ المُهملة » في لَفْظِ « العقعق » عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، أَنَّهُ قالَ : لَيْسَ شَيْءٌ من الحَيوانِ يَخْبَأُ قُوتَهُ إِلاَّ الإِنْسانُ والنَّمْلَةُ والفَأْرَةُ والعَقْعَقُ . وَبِهِ جَزَمَ في « الإِحْياءِ » في « بابِ التَّوَكُّلِ » .

وَعن بَعضِهم قالَ : رَأَيْتُ البُلْبُلَ يَحْتَكِرُ ؛ وَيُقالُ : إِنَّ للعقعق مَخابِىءَ ، إِلاَّ أَنَّهُ يَنْساها .

وَفي « البُخاريّ » و« مُسلم »[1] عن أَبي هُريرة ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « فُقِدَتْ أُمَّةٌ من بَني إِسرائِيلَ ، وَلا يُدْرَى ما فَعَلَتْ ، وَلا أَراها إِلاَّ الفَأْرَ ؛ أَلا تَراها إِذا وُضِعَ لَهَا لَبَنُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْهُ ، وإِذا وُضِعَ لَها لَبَنُ الشَّاءِ شَرِبَتْهُ » .

---

(١) البخاريّ ٤/ ٩٨ ومسلم (٢٩٩٧) ومسند أحمد ٢/ ٢٣٤ .

قَالَ النَّوويُّ وَغيرُهُ : وَمَعْنى هذا أَنَّ لُحُومَ الإِبلِ وأَلْبانَها حُرِّمَتْ على بَني إسرائِيلَ دُونَ لُحُومِ الغَنَمِ وأَلْبانَها ، فَدَلَّ امْتناعُ الفَأْرَةِ من لَبَنِ الإِبلِ دُونَ لَبَنِ الغَنَمِ على أَنَّها مِسْخٌ من بَني إِسْرائيلَ .

● وَأَمَّا **فَأْرَةُ البِيْشِ** : ـ وهو بِكَسْرِ الباءِ المُوَحَّدَةِ ، وَبالياءِ المُثَنَّاةِ تحت ، وَبالشِّينِ المُعْجَمَةِ في آخِرِهِ ، وَهُوَ السُّمُّ ـ فَدُوَيْبَّةٌ تُشْبِهُ الفَأْرَةَ وَلَيْسَتْ بِفَأْرَةٍ ، ولكنْ هَكذا تُسَمَّى ، وَتكُونُ في الغِياضِ والرِّياضِ ، وَهِيَ تَتَخَلَّلُها طَلَباً لِمَنابتِ السُّمُوم ، فَتأْكُلُها فَلا تَضُرُّها ، وَكَثيراً ما تَطْلبُ البِيْشَ ، وَهُوَ سُمٌّ قاتِلٌ ؛ كما تَقَدَّمَ هُنا وفي « بابِ السِّين المُهملة » في لَفْظِ « السَّمندل » . قالَهُ القَزوينيُّ في « الأَشْكالِ »[1] .

● وَأَمَّا **ذاتُ النِّطاق** : فَهِيَ فَأْرَةٌ مُنَقَطَّةٌ بِبَياضٍ ، وَأَعْلاها أَسْوَدُ ؛ شَبَّهُوها بالمرأَةِ ذاتِ النِّطاقِ ، وَهي التي تَلبسُ قَميصَين مُلَوَّنينِ ، وَتَشُدُّ وَسَطَها ، ثمَّ تُرْسِلُ الأَعْلى على الأَسْفَلِ . قالَهُ القَزوينيُّ أَيْضاً[2] .

● وَأَمَّا **فَارَةُ المِسْكِ** : فهيَ غيرُ مهْمُوزةٍ ، لأَنَّها من : فَارَ يَفُورُ ، وَهِيَ النَّافِجَةُ . كَذا قالَهُ الجَوهريُّ[3] .

وَفي « التَّحرير » : فَأْرَةُ المِسْكِ : مَهْمُوزَةٌ ، كَفَأْرِ الحَيَوانِ ، وَيَجُوزُ تَرْكُ الهَمْزَةِ كَما في نَظائِرِهِ ؛ وَقالَ الجوهريُّ وابْنُ مَكِّيّ : لَيْست مَهمُوزَةً ، وَهُوَ شُذُوذٌ منهما ؛ وَقَوْلُ الشَّاعِرِ[4] : [من الرجز]

---

(١) عجائب المخلوقات ٣٠٠ والحيوان ٥/٣١١ وثمار القلوب ١/٦١١ ومسالك الأبصار ٢٠/١٢٢ .

(٢) عجائب المخلوقات ٣٠٠ ومسالك الأبصار ٢٠/١٢٢ .

(٣) الصِّحاح « فأر » ٢/٧٧٧ .

(٤) الشَّطران لرؤبة بن العجَّاج في ديوانه ١٩١ وأساس البلاغة « ذبح » ١٤١ . وبلا نسبة في ثمار القلوب ١/٦١١ وإصلاح المنطق ٧ .

كَـــأَنَّ بَيْـــنَ فَكِّهـــا والفَـــكِّ فَـــأْرَةُ مِسْـــكٍ ذُبِحَـــتْ فـــي سُـــكِّ

مُرادُهُ : شُقَّتْ ؛ وَالذَّبْحُ : أَصْلُهُ الشَّقُّ وَالقَطْعُ . والسُّكُّ : ضَرْبٌ من الطِّيْبِ ، يُرَكَّبُ من مِسْكٍ وَغَيْرِهِ .

● وَقالَ الجاحِظُ[1] : فَأْرَةُ المِسْكِ نَوْعانِ : النَّوْعُ الأَوَّلُ دُوَيْبَّةٌ تكُونُ في بلادِ التُّبَّتِ ، تُصادُ لِنَوافِجِها وَسُرَرِها ؛ فإذا صِيْدَت شُدَّتْ بِعَصائِبَ ، وَتَبْقَى مُتَدَلِّيَةً ، فَيَجْتَمِعُ فِيها دَمُها ، فإذا أُحْكِمَ ذلكَ ذُبِحَتْ ، فإذا ماتَتْ قُوِّرَتِ السُّرَّةُ التي عُصِبَتْ ، ثمَّ تُدْفَنُ في الشَّعِيرِ حِيْناً حَتَّى يَسْتَحِيلَ ذلكَ الدَّمُ المُحْتَقِنُ هُناكَ ، الجامِدُ بعدَ مَوْتِها ، مِسْكاً ذَكِيّاً بعدَ أَنْ كان لا يُرامُ نَتْناً ؛ وَما أَكْثَرَ مَن يَأْكُلُها ، أَي الفَأْرَةُ ، عِنْدَنا .

قُلْتُ : وَتَعَجُّبُهُ من كَثْرَةِ آكِلِيْها ، يَدُلُّ على اسْتِطابَتِها ؛ وَالفُقَهاءُ لَمْ يَتَعَرَّضُوا لِهذا النَّوْعِ .

ثمَّ قالَ : والنَّوْعُ الثَّاني : جُرْذانٌ سُودٌ تَكُونُ في البُيُوتِ ، لَيْسَ عِنْدَها إلاَّ تِلْكَ الرَّائِحَةُ اللاَّزِمَةُ ؛ وَهذا النَّوْعُ رائِحَتُهُ كَرائِحَةِ المِسْكِ إلاَّ أَنَّهُ لا يُؤْخَذُ منه المِسْكُ .

وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الظَّاءِ المُشالَةِ » في لَفْظِ « الظَّبي » ذِكْرُ المِسْكِ وَحُكْمُهُ .

قُلْتُ : والمَشْهُورُ أَنَّ فَأْرَةَ المِسْكِ سُرَرُ الظِّبَاءِ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

● وَأَمَّا **فَأْرَةُ الإِبِلِ** فقالَ في « الصِّحاح »[2] : هيَ أَنْ تَفُوحَ منها رِيحٌ طَيِّبَةٌ ،

---

(١) الحيوان ٧/ ٢١٠ وينظر ٥/ ٣٠١ وشرح النَّهج ١٩/ ٣٤٥ وثمار القلوب ١/ ٦١٠ وعجائب المخلوقات ٣٠٠ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٢ واللِّسان والتَّاج « فأر » .

(٢) الصِّحاح « فأر » ٢/ ٧٧٧ والحيوان ٧/ ٢١٠ و ٥/ ٣٠٩ وشرح النَّهج ١٩/ ٣٥٠ وثمار القلوب ١/ ٦١١ .

وذلكَ إذا رَعَتِ العُشْبَ وَزَهْرَهُ ، ثمَّ شَرِبَتْ وَصَدَرَتْ عن المَاءِ ، نَدِيَتْ جُلُودُها ، فَفَاحَتْ مِنْها رائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ؛ فَيُقالُ لتلْكَ الرَّائِحَةِ : فَأْرَةُ الإبِلِ ، عن يَعقوب .

قالَ الرَّاعِي يَصِفُ إبِلاً[١] : [من الطويل]

لَهَـــا فَـــأْرَةٌ ذَفْـــراءُ كُـــلَّ عَشِيَّـــةٍ كَمَا فَتَقَ الكافُورَ بِالمِسْكِ فاتِقُهْ

● **وَأَمَّا الفَأْرَةُ التي خَرَّبَتْ سَدَّ مَأْرِبَ** : فهيَ الخُلْدُ ، وَقد تَقَدَّمَ ذِكْرُ قِصَّتِها في « بابِ الخَاءِ المُعجمَةِ » .

● وَرَوى « الحاكم » وَ« البَيهقيُّ » عن مُجاهِدٍ في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالىَ : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمَّد : ٤] يَعني : حَتَّى يَنْزِلَ عِيسى بن مَريمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَيُسْلِمَ كُلُّ يَهُوديٍّ ، وَكُلُّ نَصْرانيٍّ ، وَكُلُّ صاحِبِ مِلَّةٍ ؛ وَتَأْمَنُ الفَأْرَةُ الهِرَّ ، وَالشَّاةُ الذِّئْبَ ، وَلا تَقْرِضُ فَأْرَةٌ جِراباً ؛ وَتَذْهَبُ العَداوَةُ من الأَشْياءِ كُلِّها ، وَذلكَ ظُهُورُ الإسْلامِ على الدِّيْنِ كُلِّهِ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ جَميعِ أَنْواعِ الفَأْرِ إلاَّ اليَرْبُوعَ ، كَما سَيَأْتي في بابِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

وَيُكْرَهُ أَكْلُ سُؤْرِ الفَأْرِ .

● وَقالَ ابْنُ وَهْبٍ عن اللَّيْثِ[٢] : كان ابْنُ شِهابٍ ـ يَعْني الزُّهْريّ ـ يَكْرَهُ أَكْلَ التُّفَّاحِ الحامِضِ ، وَسُؤْرَ الفَأْرِ ؛ وَيَقُولُ : إِنَّهُما يُورِثانِ النِّسْيانَ ؛ وَكانَ يَشْرَبُ العَسَلَ وَيَقُولُ : إِنَّهُ يُورِثُ الذَّكاءَ .

● وَقَد جَمَعَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّيْنِ السّخاويّ ما يُورِثُ النِّسْيَانَ في أَبياتٍ ،

---

(١) ديوانه ١٩٠ .

(٢) جزء الزُّهريّ من تاريخ دمشق ٧٣ ـ ٧٤ ومختصره ٢٣/ ٢٣٢ .

فقالَ : [من الطويل]

تَوَقَّ خِصالاً خَوْفَ نِسْيَانِ ما مَضَى ... قِراءَةَ أَلْواحِ القُبُورِ تُدِيْمُها
وَأَكْلَكَ لِلتُّفَّاحِ ما كان حامِضاً ... وَكُزْبَرَةً خَضْراءَ فِيْها سُمُومُها
كَذا المَشْيُ ما بَيْنَ القِطارِ وَحَجْمُكَ الْـ ... ـقَفا وَمِنْها الهَمُّ وَهْوَ عَظِيمُها
وَمِنْ ذاكَ بَوْلُ المَرْءِ في الماءِ راكِداً ... كَذلِكَ نَبْذُ القَمْلِ لَسْتَ تُقِيْمُها
ولا تَنْظُرِ المَصْلُوبَ في حَالِ صَلْبِهِ ... وَأَكْلُكَ سُؤْرَ الفَأْرِ وَهْوَ تَمِيمُها

● **تَتِمَّةٌ** : رَوى « البُخاريُّ »(١) عن ابنِ عبَّاسٍ ، عن مَيمونَةَ بنتِ الحارث زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ قالَتْ : إِنَّ فَأْرَةً وَقَعَتْ في سَمْنٍ فَماتَتْ ، فَسُئِلَ النَّبيُّ ﷺ عَنْها فقالَ : « أَلْقُوها وَما حَوْلَها ، وَكُلُوهُ » .

وَرَواهُ « أَبُو داود » و« النَّسائيُّ »(١) عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بِمَعناهُ ؛ وَرَواهُ « التِّرمذيُّ » عنهُ ثمَّ قالَ : وَهُوَ غَيْرُ مَحْفُوظٍ ؛ سَمعتُ البُخاريَّ يَقُولُ : إِنَّهُ خَطَأٌ ، يَعْني من طَريقِ أَبي هُريرة .

قُلْتُ : وَالصَّوابُ أَنَّهُ صَحِيحٌ ؛ وَرَواهُ الطَّحاويّ في « بيانِ المُشْكِل » عنهُ بِلَفْظِ : « إِنْ كان جامِداً فَخُذُوها وَمَا حَوْلَها فَأَلْقُوهُ ، وإِنْ كان ذائِباً فاسْتَصْبِحُوا بِهِ » .

وإِنَّما لَمْ يُدْخِلِ البُخاريُّ في الحَديثِ قَوْلَهُ ﷺ : « وَإِنْ كان مائِعاً فَأَرِيقُوهُ » لأَنَّهُ من رِوايَةِ مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ ، فاسْتَرابَ بانْفِرادِ مَعْمَرٍ بها .

وَالعُلَماءُ مُجْمِعُونَ على أَنَّ حُكْمَ السَّمْنِ الجامِدِ تَقَعُ فِيهِ المَيْتَةُ ، أَنَّها تُلْقَى

---

(١) البخاريّ ١/ ٦٤ و ٦/ ٢٣٢ وأَبو داود (٣٨٤١) والتّرمذيّ (١٧٩٨) والنَّسائيّ (٤٢٥٨ ـ ٤٢٦٠) .

وَمَا حَوْلَها ، وَيُؤْكَلُ بَقِيَّتُهُ .

وَأَمَّا المائِعُ كَالخَلِّ وَالزَّيْتِ والسَّمْنِ المائِعِ وَاللَّبَنِ والشَّيْرَجِ والعَسَلِ المائِعِ ، فَلا خِلافَ أَنَّهُ لا يُؤْكَلُ .

وَالمَشْهُورُ جَوازُ الاسْتِصْباحِ بِهِ ، لكِنْ يُكْرَهُ ؛ وَقِيلَ : لا يَجُوزُ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المُدَّثِّر : ٥] .

قَالَ أَبُو العالِيَةِ والرَّبِيعُ : الرُّجْزُ ـ بِالضَّمِّ والكَسْرِ ـ النَّجاسَةُ ، وَالمَعْصِيَةُ .

وَكُلُّ هَذَا في غَيْرِ المَساجِدِ ؛ فَأَمَّا المَساجِدُ فَلا يُسْتَصْبَحُ بِهِ فِيها جَزْماً .

وَيَحِلُّ دَهْنُ السُّفُنِ بِهِ ، وَأَنْ يُتَّخَذَ صابُوناً يُغْسَلُ بِهِ وَلا يُباعُ .

وَقالَ أَبُو حَنيفةَ واللَّيْثُ : يَجُوزُ بَيْعُ الدُّهْنِ النَّجِسِ إِذا بُيِّنَ نَجاسَتُهُ .

وَقَالَ أَهْلُ الظَّاهِرِ : لا يَجُوزُ بَيْعُ السَّمْنِ ، وَلا الانْتِفاعُ بِهِ ، إِذا وَقَعَتْ فِيهِ الفَأْرَةُ ؛ وَيَجُوزُ بَيْعُ الزَّيْتِ والخَلِّ والعَسَلِ وَجَمِيعِ المائِعاتِ ، إِذا وَقَعَتْ فِيها .

قالُوا : لأَنَّ النَّهْيَ إِنَّما وَرَدَ في السَّمْنِ دُونَ غَيْرِهِ .

الأَمْثالُ : قَالُوا : « أَلَصُّ من فَأْرَةٍ »(١) ، و« أَكْسَبُ من فَأْرَةٍ »(٢) ، و« أَسْرَقُ من زَبابَةٍ »(٣) ، وَهِيَ الفَأْرَةُ البَرِّيَّةُ ، تَسْرِقُ كُلَّ ما تَحْتاجُ إِلَيْهِ وَما تَسْتَغْنِي عَنْهُ .

الخَواصُّ(٤) : قَالَ في كِتابِ « عيْنِ الخَواصّ » : رَأْسُ الفَأْرَةِ يُشَدُّ في خِرْقَةِ كَتَّانٍ ، وَيُعَلَّقُ على رَأْسِ صاحِبِ الصُّداعِ الشَّدِيدِ ، يَزُولُ صُداعُهُ ، وَيَنْفَعُ

---

(١) الميدانيّ ٢/ ٢٥٧ وحمزة ٢/ ٣٦٩ والعسكريّ ٢/ ١٨٠ والزمخشريّ ١/ ٣٢٨ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ١٦٨ وحمزة ٢/ ٣٦٥ والعسكريّ ٢/ ١٧٥ والزمخشريّ ١/ ٢٩٥ .

(٣) الميدانيّ ١/ ٣٥٣ وحمزة ١/ ٢٣٢ .

(٤) عجائب المخلوقات ٣٠١ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٣ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٥٣ وتذكرة داود ١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

من الصَّرَعِ .

وَعَيْنُ الفَأْرِ تُشَدُّ في قَلَنْسُوَةِ إنْسانٍ ، يَسْهُلُ المشْيُ عَلَيْه .

وإِنْ بُخِّرَ البَيْتُ بِزِبْلِ ذِئْبٍ ، أَوْ زِبْلِ كَلْبٍ ، هَرَبَتْ مِنْهُ الفِيْرانُ .

وإِنْ خُلِطَ العَجينُ بزِبْلِ حَمامٍ ، وَأَكَلَهُ الفَأْرُ أو أَيُّ حيوانٍ كانَ ، ماتَ .

وإِنْ دُقَّ بَصَلُ الفَأْرِ ، وَجُعِلَ على أَبْوابِ جِحرتهنَّ ، فَأَيُّ فَأْرٍ شَمَّ رائِحَتَهُ مَاتَ .

وإِنْ جُعِلَ على بابِ جُحْرِ الفَأْرِ وَرَقُ الدُّفْلَى مع القَلْقَنْدِ ، لَمْ تَبْقَ فِيهِ فَأْرَةٌ .

وإِنْ دُقَّ عَظْمُ ساقِ الجَمَلِ دَقًّا ناعِماً ، وَدِيْفَ بِماءٍ ، وَسُكِبَ في جِحَرةِ الفِئْرانِ فإِنَّهُ يَقْتُلُهُنَّ .

وإِنْ أُخِذَتْ فَأْرَةٌ ، وَقُطِعَ ذَنَبُها ؛ وَدُفِنَتْ وَسَطَ البَيْتِ ، لَمْ يَدْخُلْ ذلكَ البَيْتَ فَأْرٌ ما دامَتْ فِيهِ .

وإذا بُخِّرَ بِكَمُّونٍ وَلَوْزٍ وَنَطرونٍ عندَ جِحَرتهنَّ ، مُتْنَ من ساعَتِهِنَّ .

وإِنْ بُخِّرَ البَيْتُ بِحافِرِ بَغْلٍ أَسْوَدَ ، هَرَبَ منهُ الفَأْرُ .

وإِنْ عَلِّقَتْ عَيْنُ فَأْرَةٍ على مَن بِهِ حُمَّى الرِّبْعِ ، أَبْرَأَتْهُ .

وَذَنَبُ الفَأْرِ إذا جُعِلَ في جِلْدِ حِمارٍ ، وَجُعِلا في خِرْقَةِ حَرِيرٍ ، وَعُلِّقَ على اليَدِ اليُسْرى ، فَمَنْ يَكُونُ لَهُ حاجَةٌ فإِنَّها تُقْضَى عِنْدَ المُلُوكِ وغيْرِهِم .

وَبَوْلُ الفَأْرِ يَقْلَعُ الكِتابَةَ من الوَرَقِ ؛ وَطَرِيقُ أَخْذِ بَوْلِهِ : أَنْ يُصادَ في مَصْيَدَةٍ حَدِيدَةٍ ، وَيُوضَعُ إِناءٌ ، وَتُجْعَلُ المَصْيَدَةُ من نَاحِيَةِ الحَدِيدَةِ على فَمِ الإِناءِ ، وَيُرَى الفَأْرُ السِّنَّوْرَ ، فإِنَّهُ يَبُولُ من ساعَتِهِ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ .

وَيُكْتَبُ للفَأْرِ على أَرْبَعِ صَفائِح قَصدِيرٍ ، وَتُجعلُ في أَوْكارِ الفَأْرِ ، وهو هذا : يا ربيق يا سلويرا .

قُلْتُ : وَقَدْ أَذْكَرَني هذا مَا يَقْلَعُ الزَّيْتَ وَغيرَهُ من الأَدْهانِ من القِرْطَاسِ والجِلْدِ والرِّيْشِ وغيرِ ذلكَ : أَنْ يُؤْخَذَ التُّرابُ الذي يَجْعَلُهُ النِّساءُ في رُؤُوسِهِنَّ في الحَمَّامِ ، الأَزْرَقُ المُحترقُ ، فَيُدَقَّ ناعِماً كَالكُحْلِ ، وَيُوضَعَ على القِرْطاسِ الذي أَصابَهُ الزَّيْتُ أَوْ غيرُهُ ، وَيُثَقَّلَ تَثْقِيلاً جَيِّداً يَوْماً وَلَيلَةً ، ثمَّ يُرْفَعَ ، فإِنَّ القِرطاسَ يَصيرُ نَقِيَّاً لَيْسَ بِهِ أَثَرٌ ؛ وهو سِرٌّ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ .

وَأَمَّا **سُمُّ الفَأْرِ** : فهوَ التُّرابُ الهالِكُ عندَ أَهْلِ العِراقِ ، وَهو السّكُّ ، يُؤْتَى بِهِ من خُراسانَ من معادِنِ الفِضَّةِ ؛ وَهُو نَوْعان : أَبيضُ وأَصفرُ ، إِنْ جُعِلَ في عَجِينٍ وَطُرِحَ في البَيْتِ ، وَأَكلَ منهُ الفَأْرُ ، ماتَ ؛ وكذلكَ كُلُّ فَأْرَةٍ تَجِدُ رِيْحَ تلكَ الفَأْرَةِ ، حتَّى يَمُوتَ الجَمِيعُ .

التَّعبيرُ(١) : قالَ المعَبِّرُونَ : الفَأْرَةُ في الرُّؤْيا : امْرَأَةٌ فاسِقَةٌ ؛ لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « اقْتُلُوا الفُوَيْسِقَةَ » .

وَقِيلَ : الفأْرَةُ : امْرَأَةٌ يَهودِيَّةٌ نائِحَةٌ مَلْعُونَةٌ ، أَو رَجُلٌ يَهُوديٌّ فاسِقٌ ، أَو لِصٌّ نَقَّابٌ .

وَرُبَّما دَلَّ الفَأْرُ على الرِّزْقِ ؛ فَمَنْ رَأَى فَأْراً في بَيْتِهِ كَثِيراً ، كَثُرَ رِزْقُهُ ؛ لأَنَّهُ لا يَكُونُ إِلاَّ في مَكانٍ فِيهِ رِزْقٌ .

وَمَنْ خَرَجَ الفَأْرُ من مَنْزِلِهِ : قَلَّتْ بَرَكَتُهُ وَنِعْمَتُهُ .

وَمَنْ مَلَكَ فَأْراً : مَلَكَ خادِماً ، لأَنَّ الفَأْرَ يَأْكُلُ مِمَّا يَأْكُلُ الإِنْسانُ ، وكذلكَ الخادِمُ يَأْكُلُ مِمَّا يَأْكُلُ سَيِّدُهُ .

وَمَنْ رَأَى فَأْراً يَلعبُ في دارِهِ ، نَالَ خِصْباً في تِلكَ السَّنَةِ ، لأَنَّ اللَّعِبَ لا يَكُونُ إِلاَّ من الشِّبَعِ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ٤٥ و ٣٨ و ١٨٥ وتفسير الواعظ ٣١٢ .

وَأَمَّا الفَأْرُ الأَبيضُ وَالأَسْوَدُ ، فإِنَّهُ يَدُلُّ على اللَّيْلِ والنَّهارِ ؛ فَمَنْ رَآهُ يَغْدُو وَيَرُوحُ ، فإِنَّهُ يَدُلُّ على طُولِ حَياتِهِ .

وَمَنْ رَأَى الفَأْرَ كَأَنَّهُ يَقرِضُ في ثِيابِهِ ، فَهُوَ مُعْلِنٌ بما يَمُرُّ من أَجَلِهِ .

وَمَنْ رَأَى فَأْراً يَنْقُبُ ، فإِنَّهُ لِصٌّ نَقَّابٌ ، فَلْيَحْذَرْهُ . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٧٤٥ **الفادِرُ** : المُسِنُّ من الأَوْعالِ[١] .

٧٤٦ **الفازِرُ** : بِالزَّاي قَبلَ الرَّاءِ : نَمْلٌ أَسْوَدُ فِيهِ حُمْرَةٌ[٢] .

٧٤٧ **الفاشِيَةُ** : الماشِيَةُ ؛ وَجَمْعُها : فَواشٍ ، وَهِيَ التي تَفْشُو من المَالِ ، كَالإِبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ السَّائِمَةِ ، لأَنَّها تَفْشُو ، أَي تَنْتَشِرُ في الأَرْضِ ؛ وَيُقالُ : أَفْشَى الرَّجُلُ : إِذا كَثُرَتْ مَواشِيهِ .

● رَوى « مُسلم » في « الأَشربَةِ » و« أَبُو داود » في « الجِهادِ »[٣] من حَديثِ أَبي خَيْثَمَةَ ، عن أَبي الزُّبَيْرِ ، عن جابِرٍ ، قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تُرسِلُوا مَواشِيَكُمْ وَصِبْيانَكُمْ إِذا غابَتِ الشَّمْسُ ، حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ العِشاءِ » زادَ أَبُو داود : « فإِنَّ الشَّياطِينَ تَعِيثُ إِذا غابَتِ الشَّمْسُ » .

وَفَحْمَةُ العِشاءِ : ظُلْمَتُها واسْوِدادُها ؛ شَبَّهَ سَوادَها بِالفَحْمِ ؛ وَفَسَّرَها بَعْضُهم بِإِقْبالِ أَوَّلِ ظَلامِهِ .

● وَفي الحَدِيثِ[٤] : « ضُمُّوا فَواشِيَكُم إِذا دَخَلَ اللَّيْلُ » .

وَسَيَأْتِي في « بابِ المِيمِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ هذا الكَلامِ .

---

(١) عن الصِّحاح « فدر » ٢/ ٧٧٩ .

(٢) عن القاموس « فزر » ٢/ ١١٣ .

(٣) مسلم (٢٠١٣) وأَبو داود (٢٦٠٤) .

(٤) النِّهاية ٣/ ٤٤٩ .

٧٤٨ **الفاعُوسُ** : كَجامُوسٍ : الحَيَّةُ ، وَالوَعْلُ ، وَالأَفْعَى . قالَهُ ابْنُ الأَعرابيّ ؛ وَأَنْشَدَ في ذلكَ[١] : [من الرجز]

قَـدْ يَهْلِـكُ الأَرْقَـمُ والفـاعُـوسُ　　وَالأَسَـدُ المُـدَرَّعُ النَّهُـوسُ

قالَ : وَلَمْ يَأْتِ في الكَلامِ « فاعُول » لامُ الفِعْلِ منهُ سِيْنٌ ، إلاَّ : الفاعُوسُ : وَهو الحَيَّةُ والوَعْلُ ؛ وَالبابُوسُ : وَهُوَ الصَّبيُّ الرَّضِيعُ ؛ وَالرَّامُوسُ : وهو القَبْرُ ؛ وَالقامُوسُ : وَهُو وَسَطُ البَحْرِ ؛ وَالقابُوسُ : وَهُوَ الجَميلُ الوَجْهِ ؛ وَالفاطُوسُ : وَهُوَ دابَّةٌ يُتَشَاءَمُ بها ؛ وَالفانُوسُ : وَهو النّمّامُ ؛ وَالجامُوسُ : وهو ضَرْبٌ من البَقَرِ ؛ وَالجارُوسُ : وَهُوَ الكَثِيرُ الأَكْلِ .

وَقالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : وَالكابُوسُ : وَهو الذِي يَقَعُ على الإِنْسَانِ في نَوْمِهِ ؛ وَالنَّامُوسُ : وَهُوَ صاحِبُ سِرِّ الخَيْرِ ؛ وَالجاسُوسُ : وهو صاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ .

● وَفي « الصَّحيحين »[٢] : أَنَّ وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ قالَ : هَذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ على مُوسى بن عِمران ﷺ .

قَالَ النَّوويُّ وَغَيْرُهُ : اتَّفَقُوا على أَنَّ المُرادَ بِهِ هُنا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ وَسُمِّيَ بذلكَ لأَنَّ اللهَ تَعالَى خَصَّهُ بِالوَحْي وَعِلْمِ الغَيْبِ .

وسيأتي هذا أيضاً في « باب النون » إن شاء الله تعالى في لفظ « النّاموس » . والله تعالى أعلمُ .

٧٤٩ **الفاطُوسُ** : سَمَكَةٌ عَظِيمَةٌ تَكْسِرُ السُّفُنَ ، وَالمَلاَّحُونَ يَعْرِفُونَها ، فَيَتَّخِذونَ خِرَقَ الحَيْضِ ، وَيُعَلِّقُونَها على السَّفِيْنَةِ ، فإِنَّها تَهْرُبُ منهُم . قالَهُ القَزوينيُّ[٣] .

---

(١) الشَّطران في اللِّسان والتَّكملة « فعس » بلا نسبة . والأَوَّل وقبله آخر في التَّاج .

(٢) البخاريّ ١/ ٣ ومسلم (١٦٠) ومسند أَحمد ٦/ ٢٢٣ و ٢٣٣ .

(٣) عجائب المخلوقات ١٠٤ . وفيه : القاطوس (بالقاف) .

ولعلَّ هَذَا هُوَ حُوتُ الحَيْضِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في « بابِ الحَاءِ المُهملة » .

٧٥٠ **الفالِجُ** : بالجِيمِ في آخِرِهِ : الجَمَلُ الضَّخْمُ ذو السَّنامَيْنِ ، يُحْمَلُ من الهِنْدِ[١] ، وَهُوَ الدُّهانِجُ بِفَتْحِ الدَّالِ[٢] ، وَبِالجِيمِ في آخِرِهِ ، كَما تَقَدَّمَ في « بابِ الدَّالِ المُهملةِ » .

وَفي الحَدِيثِ[٣] : أَنَّ فالِجاً تَرَدَّى في بِئْرٍ .

٧٥١ **فَالِيَةُ الأَفاعِي** : بَناتُ وَرْدان .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في آخِرِ « بابِ الواوِ » .

وَقِيلَ : هي ضَرْبٌ من الخَنافِسِ رُقْطٌ ، تَأْلَفُ العَقارِبَ في جِحَرَةِ الضَّبِّ[٤] .

الأَمثالُ : قَالَتِ العَرَبُ : « أَتَتْكُمْ فالِيَةُ الأَفاعِي »[٥] وَجَمْعُها : الفَوالِي ، لأَنَّها إِذا خَرَجَتْ يُعْلَمُ أَنَّ الضَّبَّ خارِجٌ لا مَحالَةَ ؛ وإِذا رُؤِيَتْ فِي الجُحْرِ ، عُلِمَ أَنَّ وَراءَها العَقارِبُ والحَيَّاتِ والأَفاعي . يُضْرَبُ لأَوَّلِ شَرٍّ يُنْتَظَرُ بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ . وَاللهُ تَعالَى أَعلمُ .

٧٥٢ **فَتَّاحُ** : كَصَيَّاحٍ : طائِرٌ يُكْنَى أُمَّ عَجْلان[٦] ؛ تَقدَّمَ في آخِرِ « بابِ العَيْنِ المُهملَةِ » .

---

(١) عن الصِّحاح « فلج » ١/ ٣٣٦ . وفيه : يُحمل من السِّند للفِحْلَةِ .

(٢) بل هو بضمِّ الدَّال . القاموس والصِّحاح « دهنج » .

(٣) النِّهاية ٣/ ٤٦٩ .

(٤) اللِّسان « فلا » ٥/ ٣٤٧٠ .

(٥) الميدانيّ ١/ ٦٨ .

(٦) في المرصع ٢٤٤ : أُمُّ عجلان : طائرٌ أَسود ، يُقال له : قَوْبَع . وقيلَ : إِنَّه طائرٌ أَسود ، أَبيضُ الذَّنَبِ ، يُكثِرُ تحريك ذَنَبِهِ ، ويُسَمَّى الفَتَّاح .

٧٥٣ **القَتَعُ**[١] : دُودٌ أَحْمَرُ يَأْكُلُ الخَشَبَ : قالَ الشَّاعِرُ[٢] : [من البسيط]

غَـداةَ غـادَرْتُهُـمْ قَتْلَـى كَـأَنَّهُـمُ خُشْبٌ تَقَصَّفُ في أَجْوافِها القَتَعُ

الواحِدَةُ : قَتَعَةٌ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

٧٥٤ **الفَحْلُ** : الذَّكَرُ من ذِي الحافِرِ والظِّلْفِ والخُفِّ وغَيْرِ ذلكَ من ذِي الرُّوحِ . وَجَمْعُهُ : أَفْحُلٌ وَفُحُولٌ وَفُحُولَةٌ وَفِحالٌ وَفِحالَةٌ[٣] .

● قالَ « البُخارِيُّ » في « الجِهادِ »[٤] : وَقالَ راشِدُ بن سَعْدٍ : كان السَّلَفُ يَسْتَحِبُّونَ الفُحُولَةَ من الخَيْلِ ، لأَنَّها أَجْرَى وَأَجْرَأُ . أَي : أَسْرَعُ وَأَجْسَرُ .

● وَرَوَى الحافِظُ أَبُو نُعيْمٍ من طَرِيقِ غَيْلان بن سَلَمَةَ الثَّقَفيّ ، قالَ[٥] :

خَرَجْنَا مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أَسْفارِهِ ، فَرَأَيْنا منهُ عَجَباً ؛ جاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ كان لِي حائِطٌ فِيه عَيْشِي وَعَيْشُ عِيالِي ، وَلِي فِيهِ ناضِحانِ فَحْلانِ ، وَقَد مَنَعانِي أَنْفُسَهما وَحائِطِي وَما فِيهِ ، فَلا يَقدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنوَ منهما ؛ فَنَهَضَ نَبيُّ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الحائِطَ ، فقالَ لِصاحِبِهِ : « افْتَحْ » . فَقَالَ : إِنَّ أَمْرَهُما عَظِيمٌ . فقالَ ﷺ : « افْتَحْ » . فَلَمَّا حَرَّكَ البابَ ، أَقْبَلا وَلَهُما رُغاءٌ وَجَلَبَةٌ ، فلمَّا انْفَرَجَ البابُ ، وَنَظَرا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ بَرَكا ثُمَّ سَجَدا ، فَأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ بِرُؤُوسِهما ، ثم دَفَعَهُما إِلى صاحِبِهِما ، وَقالَ : « اسْتَعْمِلْهُما وَأَحْسِنْ عَلَفَهُما » . فقالَ القَوْمُ : تَسجُدُ لَكَ البَهائِمُ ، أَفَلا تَأْذَنُ

---

(١) في الأُصول : الفتع [بالفاء] . تصحيف . وإِدراجه في سياق حرف الفاء ، وهمٌ من المؤلِّف رحمه الله ، صوابه بالقاف . وسيأتي في موضعه في باب القاف .

(٢) البيت بلا نسبة في مصادر المادَّة : المخصَّص ٨/ ١٢١ والعين ١/ ١٤٧ والجمهرة ١/ ٤٠٢ ومعجم مقاييس اللُّغة ٥/ ٥٦ واللِّسان وَالتَّاج والتَّكملة « قتع » .

(٣) القاموس « فحل » .

(٤) البخاريّ ١/ ٢١٨ .

(٥) دلائل النُّبوَّة (٢٨٥) ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٢٣ .

لَنا بالسُّجُودِ لَكَ ؟ فقالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « إِنَّ السُّجُودَ لا يَنْبَغِي إلاَّ لِلْحَيِّ القَيُّومِ الذِي لا يَمُوتُ ، وَلَوْ أَمَرْتُ أَحداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسجدَ لِزَوْجِها » .

وَرَواهُ الطَّبرانيُّ من حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، قالَ : وَرِجالُهُ ثِقاتٌ .

● وَرَوَى الحافِظُ الدِّمياطيُّ في « كِتابِ الخَيْلِ »[1] : عن عُروة البارِقيّ ، أَنَّهُ قَالَ : كانَتْ لِي أَفْراسٌ ، وَفِيها فَحْلٌ شِراؤُهُ عِشْرُونَ أَلفَ دِرْهَمٍ ، فَفَقَأَ عَيْنَهُ دِهْقانٌ ؛ فَأَتَيْتُ عُمرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَكَتَبَ إِلى سعدِ بن أَبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَنْ خَيِّرِ الدِّهْقانَ بَيْنَ أَنْ يُعطيَهُ عِشرِينَ أَلْفاً وَيَأْخُذَ الفَحْلَ ، وَبينَ أَنْ يَغْرَمَ رُبْعَ الثَّمَنِ ؛ فقالَ الدِّهقانُ : ما أَصْنَعُ بِالفَحْلِ ؟ وَغَرِمَ رُبْعَ الثَّمَنِ .

وَقَد تقدَّمَتِ الإشارَةْ إلى هَذَا في لَفْظِ « الحَيوان » .

● وَفي « الصَّحيحين » وغيرِهما[2] : « يَعَضُّ أَحَدُكُمْ أَخاهُ كَمَا يَعَضُّ الفَحْلُ » .

● وَفي « السُّنن »[3] : « يَضْرِبُ أَحَدُكُم امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الفَحْلِ » .

● وَرَوَى الشَّافعيُّ رحمهُ اللهُ تَعالى في « مُسنَدِه » بإِسْنادٍ على شَرْطِ مُسلمٍ ، عن عبدِ اللهِ بن الزُّبير رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قالَ : إِنَّ لَبَنَ الفَحْلِ لا يُحَرِّمُ ؛ وَمَعناهُ : أَنَّ حُرْمَةَ الرَّضاعِ لا تَثْبُتُ بَيْنَ المُرْتَضِعِ وَبَيْنَ زَوْجِ المُرْضِعَةِ الذي اللَّبنُ منهُ ، وإِنَّما تَنتشِرُ الحُرْمَةُ إِلى أَقارِبِ المُرْضِعَةِ لا غَيْر .

---

(١) فضل الخيل للدِّمياطيّ ٩٥ .

(٢) البخاري ٨/ ٤١ ومسلم (١٦٧٣) .

(٣) البخاريّ ٧/ ٨٣ .

وَرُوِيَ هذا عن ابْنِ عُمر وابْنِ الزُّبيرِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ؛ وَبِهِ قالَ داودُ الأَصَمُّ ، وَهُوَ اخْتِيارُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابن بِنْتِ الشَّافعيّ .

وَالذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الفُقَهاءُ السَّبْعَةُ ، وَالأَئِمَّةُ الأربعةُ وَغيرُهم من عُلَماءِ الأُمَّةِ : أَنَّ حُرْمَةَ الرَّضاعِ تَثْبُتُ بينَ المُرْتَضِعِ ، وَبَيْنَ المُرْضِعَةِ وَبَيْنَ زَوْجِها الذي منهُ اللَّبَنُ ، فَتَكُونُ المُرْضِعَةُ أُمّاً لَهُ ، وَزَوْجُها أَباً لَه ، كَما إذا وَلَدَتْهُ من مائِه ، وَكانا أَبَوَيْنِ لَهُ ، لِحَديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها المُتَّفَقِ على صِحَّتِهِ في قِصَّةِ أَفْلَح بن أَبي القُعَيْسِ[1] ، وَحَديثِها أَيْضاً المُتَّفَقِ عَلَيْهِ[2] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « يَحْرُمُ من الرَّضاعِ ما يَحْرُمُ من النَّسَبِ » .

وَإِنَّما تَثْبُتُ حُرْمَةُ الرَّضاعِ بِشَرطَيْنِ ، **أَحَدُهُما** : أَنْ يَكُونَ قَبْلَ استِكْمالِ المَوْلُودِ حَوْلَيْنِ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ولقَوله ﷺ[3] : « لا يَحْرُمُ من الرَّضاعِ إلاّ ما يَفْتِقُ الأَمْعاءَ » . وفي روايةٍ[4] : « لا رَضاعَ إلاّ ما أَنْشَرَ العَظْمَ ، وأَنْبَتَ اللَّحْمَ » .

وإنَّما يَكونُ هذا في حالِ الصِّغَرِ .

وعندَ أَبي حَنيفةَ مُدَّةُ الرَّضاعِ ثلاثونَ شَهْراً ، لقوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وَالشَّرْطُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ خَمْسَ رَضعاتٍ مُتَفَرِّقاتٍ ، كُلُّ رَضْعَةٍ إلى الشِّبَعِ ؛ رُوِيَ ذلكَ عن عائِشَةَ وعبدِ اللهِ بن الزُّبير رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، وبِهِ

---

(١) أُسد الغابة ١/١٢٦ (ترجمة أَفلح بن أَبي القعيس) والبخاريّ ٣/١٤٩ ومسلم (١٤٤٥) وأَبو داود (٢٠٥٧) وابن ماجه (١٩٤٩) .

(٢) البخاريّ ٦/١٢٨ ومسلم (١٤٤٥) وأَبو داود (٢٠٥٥) وابن ماجه (١٩٣٧ و ١٩٣٨) .

(٣) ابن ماجه (١٩٤٦) .

(٤) أَبو داود (٢٠٥٩ و ٢٠٦٠) .

قالَ مالِكٌ وَالشَّافعيُّ .

وَذَهَبَ جَماعَةٌ من أَهْلِ العِلْمِ إِلى أَنَّ قَليلَ الرَّضاعِ وَكَثِيرَهُ مُحَرِّمٌ ؛ وَهوَ قولُ ابنِ عبَّاسٍ وابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم .

وَرُوِيَ عن سَعيد بن المُسَيّبِ ، وإِلَيْهِ ذَهَبَ الثَّوريُّ وَمالِكٌ في إِحْدَى الرِّواياتِ ، وَالأَوزاعيُّ وعبدُ اللهِ بنُ المُبارك وَأَبو حَنيفةَ .

● فإنْ كان للرَّجلِ خَمْسُ بَناتٍ ، أَو زَوْجاتٍ ، أَوْ أُمَّهاتِ أَوْلادٍ ، فَأَرْضَعَتْ كُلُّ واحِدَةٍ رَضْعَةً واحِدَةً جَنيناً واحِداً ؛ فَفِيهِ ثلاثَةُ أَوْجُهٍ : أَحَدُها : لا يَقَعُ التَّحرِيمُ ؛ وَالثَّاني : يَصِيرُ ابْناً للمُرْضِعاتِ ؛ وَالثَّالِثُ : يَصيرُ ابْناً لَهُ وللمُرْضِعاتِ ؛ فإِنْ وَصَلَ اللَّبَنُ إِلى جَوْفِهِ بِحَقْنِهِ ، فَفِيهِ قَولانِ ؛ وإِنِ اخْتَلَطَ اللَّبَنُ بِمائِعٍ ، وَوَصَلَ إِلى جَوْفِهِ ، ثَبَتَتُ الحُرْمَةُ وإِنْ كان مَغْلُوباً على أَصَحِّ القَولَيْنِ ؛ وَلِلمَسْأَلَةِ فُرُوعٌ مَبْسُوطَةٌ في كُتُبِ الفِقْهِ .

قُلْتُ : وَقَدْ أَذْكَرَني اللَّبَنُ حَدِيثاً رَواهُ « الإِمامُ أَحمد »[1] عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا أَخافُ على أُمَّتِي إِلاَّ اللَّبَنَ ، فإِنَّ الشَّيْطَانَ بَيْنَ الرَّغْوَةِ والصَّرِيحِ » .

● وَرَوَى أَيْضاً[2] من حَديثِ عُقبة بن عامِر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « سَيَهْلِكُ من أُمَّتِي أَهْلُ اللَّبَنِ » . قِيلَ : من هُمْ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « أُناسٌ يُحِبُّونَ اللَّبَنَ ، فَيَخْرُجُونَ من الجَماعَاتِ وَيَتركُونَ الجُمُعاتِ » .

قَالَ الحربيُّ : أَظُنُّهُ أَرادَ : يَتَباعَدُونَ عن الأَمْصارِ ، وعن صَلاةِ الجَماعَةِ ، وَيَطلبُونَ مَواضِعَ اللَّبَنِ في المَراعِي وَالبَرارِي والبَوادِي .

---

(١) مسند أَحمد ٢/ ١٧٦ .

(٢) مسند أَحمد ٤/ ١٤٦ و ١٥٥ .

وَقالَ غَيْرُهُ : أَرادَ قَوْماً أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ .

● وَفي « صَحيحِ البُخاريّ »[1] من حَدِيثِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عن عَسْبِ الفَحْلِ » .

وَالأَشْهَرُ في تَفْسِيرِه : أَنَّهُ ضِرابُ الفَحْلِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الوافر]

وَلَــوْلا عَسْبُـهُ لَــرَدَدْتُمُـوهُ وَشَـرُّ مَنِيْحَـةٍ فَحْـلٌ يُعـارُ[3]

وَقِيلَ : المُرادُ : ثَمَنُ مائِهِ ؛ فَفِي رِوايَةِ الشَّافعيِّ وَأَحمد وأَبي داود ، في بَعضِ نُسَخِهِ : « نَهَى عن ثَمَنِ عَسْبِ الفَحْلِ » .

وَقِيلَ : العَسْبُ : أُجْرَةُ ضِرابِهِ ، فَيَحْرُمُ ثَمَنُ مائِهِ ، وَكَذا أُجْرَتُهُ في الأَصَحِّ .

الأَمثالُ : قالَ العَسكريُّ[4] : وَمِنَ الأَمْثالِ المُسْتَحْسَنَةِ قَوْلُهم : « ذلكَ الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أَنْفُهُ » . وَقَد تَمَثَّلَ بِهِ وَرَقَةُ بن نَوْفَل في النَّبيِّ ﷺ حِينَ خَطَبَ خَديجَةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها .

وَيُقالُ : بَلْ تَمَثَّلَ بِهِ أَبُو سُفيان بن حَرْبٍ حِينَ خَطَبَ النَّبيُّ ﷺ ابْنَتَهُ أُمَّ حَبيبَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها .

قَالَ : وَأَصْحابُ الحَدِيثِ يَرْوُونَهُ : « الفَحْلُ لا يُقْرَعُ أَنْفُهُ » . بِالرَّاءِ .

اهـ .

---

(١) البخاريّ ٣/ ٥٤ وأبو داود (٣٤٢٩) والنَّسائيّ (٤٦٧١ ـ ٤٦٧٥) وابن ماجه (٢١٦٠) ومسند أَحمد ٢/ ١٤ وابن حبَّان (٥١٥٦) ومستدرك الحاكم ٢/ ٤٢ .

(٢) البيت لزهير بن أَبي سُلمى ، في ديوانه ٣٠١ .

(٣) في ب : × . . . تيسٌ يعار .

(٤) هو أَبو أَحمد العسكري ، في كتابه شرح ما يقع فيه التَّصحيف والتَّحريف ١/ ٤٣٨ (ط . دمشق) و ٣٢٤ (ط . القاهرة) .

قَالَ الشَّمَّاخُ[١] : [من الوافر]

إِذا ما اسْتافَهُنَّ ضَرَبْنَ مِنْهُ   مَكانَ الرُّمْحِ من أَنْفِ القَدُوعِ

قَوْلُهُ : اسْتافَهُنَّ : يَعْنِي حِماراً يَسْتافُ أُنْثَى ، فَيَرْمَحْنَهُ إِذا اسْتافَهُنَّ ؛ وَالسَّوْفُ : الشَّمُّ .

وَقَوْلُهُ : مَكانَ الرُّمْحِ من أَنْفِ القَدُوعِ : أَرادَ بالقَدُوعِ : المَقْدُوعَ ؛ وَهذا من الأَضْدادِ . يُقالُ : طَرِيقٌ رَكُوبٌ ، إِذا كانَتْ تُرْكَبُ ؛ وَرَجُلٌ رَكُوبٌ للدَّوابِّ : إِذا كان يَرْكَبُها ، وَناقَةٌ رَغُوثٌ : إِذا كانَتْ تُرْضِعُ ، وَحُوارٌ رَغُوثٌ إِذا كان يَرْضَعُ ؛ وَشَاةٌ حَلُوبٌ : إِذا كانَتْ تُحْلَبُ ؛ وَرَجُلٌ حَلُوبٌ : إِذا كان يَحْلبُ الشَّاةَ ؛ وَالقَدُوعُ هُنا : البَعِيرُ ، قُدِعَ أَنْفُهُ ، وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ النَّاقَةَ الكَرِيمَةَ ، وَلا يَكُونُ كَرِيماً ، فَيُضْرَبُ أَنْفُهُ بِالرُّمْحِ حَتَّى يَرجِعَ . يُقالُ : قُدِعَ أَنْفُهُ عن كذا : أَي مُنِعَ عنهُ .

● وَأَنْشَدَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ الدِّمْياطيّ في أُمِّ الفَضْلِ زَوْجَةِ العَبَّاسِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ لعَبْدِ اللهِ بن يَزيد الهِلاليّ[٢] : [من الرجز]

مَا أَنْجَبَتْ نَجِيبَةٌ من فَحْلِ   بِجَبَلٍ نَعْلَمُهُ أَوْ سَهْلِ
كَسِتَّةٍ من بَطْنِ أُمِّ الفَضْلِ   زَوْجَةِ عَمِّ المُصْطَفَى ذِي الفَضْلِ
خاتَمِ الأَنْبِيا وَخَيْرِ الرُّسْلِ   أَكْرِمْ بِهامِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلِ

● وَقالُوا[٣] : « الفَحْلُ يَحْمِي شَوْلَهُ مَعْقُولا » .

وَالشَّوْلُ : تَقَدَّمَ في « بابِ الشِّينِ المُعجمَةِ » أَنَّها النُّوقُ التي جَفَّ لَبَنُها ، وارْتَفَعَ ضَرْعُها ، وَأَتَى عَلَيْها من نِتاجِها سَبعةُ أَشْهُرٍ أَو ثمانيةٌ ، الواحِدَةُ شائِلَةٌ ؛

---

(١) ديوانه ٢٢٩ .
(٢) الأبيات في أنساب الأشراف ٣/ ٢٣ وتاريخ دمشق ٣٩/ ٣٤٠ ومختصره ١٤/ ١٣٤ .
(٣) الميدانيّ ٢/ ٧٢ والعسكريّ ٢/ ٩١ والزمخشريّ ١/ ٣٣٨ وأبو عبيد ١٠٨ .

وَالشَّوْلُ جَمْعٌ على غَيْرِ قِياسٍ .

وَمَعْقُولاً : نَصْبٌ على الحَالِ ، أي أَنَّ الحُرَّ يَحتملُ الأَمْرَ الجَلِيلَ في حِفْظِ أَهْلِهِ وَحَرِيمِهِ ، وإنْ كانَتْ بِهِ عِلَّةٌ .

● وَقَد تَمَثَّلَ بذلكَ هاشِمُ بنُ عُتْبَةَ بن أَبي وَقَّاصٍ ، أَخي سَعْدِ بن أَبي وَقَّاصٍ ، حِينَ فُقِئَتْ عَيْنُهُ باليَرْمُوكِ ، وهُوَ الذي افْتَتَحَ جَلُولاءَ من بلادِ فارِس وَهَزَمَ الفُرْسَ ، وَكانَتْ جَلُولاءُ تُسَمَّى فَتْحَ الفُتُوحِ ، وَبَلَغَتْ غَنائِمُها ثَمانِيَةَ عَشَرَ أَلف أَلفٍ ؛ وَشَهِدَ صِفِّيْنَ مع عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكانَتْ معهُ الرَّايَةُ وهو على الرَّجّالَةِ ، وَقُتِلَ يومئذٍ وَهو يَقُولُ[1] : [من الرجز]

أَعْــوَرُ يَبْغِـــي أَهْلَـــهُ مَحَــلاّ قَــدْ عــالَــجَ الحَيَــاةَ حَتَّــى مَــلاّ

لا بُــــدَّ أَنْ يَفُــــلَّ أَوْ يُفَــــلاّ

فَقُطِعَتْ رِجْلُهُ يَومئِذٍ ، وَهو يُقاتِلُ من دَنا منهُ ، وَهو بارِكٌ ، وَيَقُولُ[2] :

[من الرَّجز]

الفَحْــلُ يَحْمِــي شَــوْلَــهُ مَعْقُــولا

وَفِيهِ يَقُولُ أَبو الطُّفَيْلِ عامِرِ بن واثِلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3] : [من الرجز]

يــا هــاشِــمَ الخَيْــرِ جُــزِيْــتَ الجَنَّــهْ قــاتَلْــتَ فــي اللهِ عَــدُوَّ السُّنَّــهْ

● وَمِنْ أَحْكامِ الفَحْلِ : أَنَّ مَن غَصَبَ فَحْلاً ، وأَنْزاهُ على شاتِهِ ، فَالوَلَدُ للغاصِبِ ، وَلا شَيْءَ عليهِ للإِنْزاءِ ، لَكِنْ إذا نَقَصَ الفَحْلُ بِذلكَ ، غُرِمَ أَرْشَ

---

(١) الأشطار في : وقعة صفِّين ٣٥٥ ونسب قريش ٢٦٤ والاشتقاق ١٥٤ وتاريخ الطَّبريّ ٥/ ٤٠ و ٤٤ ومروج الذَّهب ٣/ ١٣٠ و ١٩٥ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٥١ والاستيعاب ٤/ ١٥٤٧ وأُسد الغابة ٥/ ٣٧٧ وشرح النَّهج ٨/ ١١ .

(٢) الشَّطر في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٥١ والاستيعاب ٤/ ١٥٤٧ وأُسد الغابة ٥/ ٣٧٧ .

(٣) الشَّطران في وقعة صفِّين ٣٥٩ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٥١ والاستيعاب ٤/ ١٥٤٧ وأُسد الغابة ٥/ ٣٧٧ .

نَقْصِهِ ؛ وإنْ غَصَبَ شَاةً ، وَأَنْزى عَلَيْها فَحْلاً ، فَالوَلَدُ لِصاحِبِ الشَّاةِ .

● **تَذْنِيبٌ** : قَالَ يُونس : جَمِيعُ الأَلْبانِ مُعْتَدِلَةٌ .

وَقالَ الرَّازِي : الحُلْوُ حارٌّ ، وَأَجْوَدُهُ ما كانَ من ضَأْنٍ فَتِيٍّ ، وَهُوَ يَنْفَعُ الصَّدْرَ وَالرِّئَةَ ، وَيَضُرُّ أَصْحابَ الحمياتِ ؛ وَهوَ يُوَلِّدُ غِذاءً جَيِّداً ، وَيُوافِقُ أَصْحابَ الأَمْزِجَةِ المُعتدِلَةِ والصِّبْيانَ ؛ وَأَجْوَدُ أَكْلِهِ في الرَّبِيعِ .

وَأَمَّا اللَّبَنُ الحامِضُ : فَبارِدٌ رَطْبٌ ، وَأَجْوَدُهُ الكَثِيرُ الزُّبْدِ ؛ وَهُوَ يَنْفَعُ لِتَسْكِينِ العَطَشِ ، وَيَضُرُّ بالأَسْنانِ واللِّثَةِ ؛ وَيَدْفَعُ ضَرَّهُ التَّمَضْمُضُ بماءِ العَسَلِ ؛ وَيُوَلِّدُ خَلْطاً مَحْمُوداً ، وَيُوافِقُ أَصْحابَ الأَمْزِجَةِ المُعتدِلَةِ والغِلْمانَ ، وَأَجْوَدُ اسْتِعْمالِهِ في الصَّيْفِ .

وَيُختارُ اللَّبَنُ بَعدَ الوِلادَةِ بِأَربعِينَ يَوْماً ، وَيَختلفُ بِحَسَبِ صَنْعَتِه ؛ فَالمَطْبُوخُ مع الحِنْطَةِ وَالأَرُزِّ ، يُوافِقُ أَصْحابَ الأَمْزِجَةِ الحارَّةِ ؛ وَما نُزِعَ زُبْدُهُ وَمائِيَّتُهُ ، وَيُقالُ لَهُ : الوَدَعُ ، يَنْفَعُ الأَمْزِجَةَ الحارَّةَ .

وإذا أُلْقِيَ في اللَّبَنِ الحَصَا المُحَمَّى حَتَّى تَذْهَبَ مائِيَّتُهُ ، نَفَعَ من الذَّرَبِ .

وَالذي أُخْرِجَ غِلْظُهُ بِالأَنْفِحَةِ ، إذا خُلِطَ بِالسَّكَنْجَبين السُّكَّرِيِّ ، نَفَعَ من الحَكَّةِ والجَرَبِ .

وَلَبَنُ الأُتُنِ : يَنْفَعُ من السِّلِّ والدِّقِّ ؛ وَلَبَنُ اللِّقاحِ نافِعٌ من الاسْتِسْقاءِ إذا خُلِطَ مع أَبْوالِها .

وَما خَثَرَ من اللَّبَنِ فهُوَ بارِدٌ ، يُمْسِكُ الطَّبْعَ ، وَيُوَلِّدُ خَلْطاً غَلِيظاً ، وَسُدداً وحِجارَةً في الكِلى . انتهى .

● **تَتِمَّةٌ** : اللَّبَنُ في المَنامِ : فِطْرَةُ الإِسْلامِ ؛ وَهُوَ مالٌ حَلالٌ يَنالُهُ بِلا تَعَبٍ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [النحل : ٦٦] .

وَأَمَّا الرَّائِبُ : فَهُوَ مالٌ حَرامٌ ، لِحُمُوضَتِهِ وَخُرُوجِ دُسُومَتِهِ .

وَلَبَنُ الغَنَمِ : مالٌ شَريفٌ ؛ وَلَبَنُ البَقَرِ : غِنىً ؛ وَلَبَنُ الخَيْلِ : ثَناءٌ حَسَنٌ ؛ وَلَبَنُ الثَّعْلَبِ : شِفاءٌ من مَرَضٍ؛ وَلَبَنُ البَغْلِ: عُسْرٌ وَهَوْلٌ ؛ وَلَبَنُ النَّمِرِ : عَدُوٌّ يَظْهَرُ ؛ وَلَبَنُ الأَسَدِ : مَالٌ من سُلْطانٍ ؛ وَلَبَنُ حِمارِ الوَحْشِ : شَكٌّ في الدِّيْنِ ؛ وَلَبَنُ الخِنْزيرِ : مُصيبَةٌ في العَقْلِ ؛ وَمالٌ لِمَنْ شَرِبَهُ في المَنامِ ، وَقِيلَ : إصابَةُ مالٍ عَظِيمٍ ، لكنْ يُخْشَى على عَقْلِ شارِبِهِ ؛ وَلَبَنُ ابْنِ آدَمَ : زِيادَةٌ في المَالِ ، إذ هُوَ زادٌ في الثَّدْيِ ، وَلا يُحْمَدُ لِمَنْ رَضَعَهُ ، فإنَّهُ يَدلُّ على دَاءٍ مَكْرُوهٍ .

قالَ محمَّد بن سِيرين : لا أُحِبُّ الرَّاضِعَ وَلا المُرْضِعَ ؛ فإنْ شَرِبَهُ المَرِيضُ : شُفِيَ من مَرَضِهِ ، لأَنَّ بِهِ كان نَشْؤُهُ وَقُوَّتُهُ .

وَمَنْ بَدَّدَ اللَّبَنَ : فَقَدْ ضَيَّعَ دِيْنَهُ ؛ وَمَنْ رَأى اللَّبَنَ يَخرجُ من الأَرْضِ : فإنَّها فِتْنَةٌ يُراقُ فِيها الدَّمُ على قَدْرِ ذلكَ اللَّبَنِ .

وَلَبَنُ الكِلابِ والذِّئَابِ والسَّنانِيرِ : خَوْفٌ ، أَو مَرَضٌ ؛ وَقِيلَ : إنَّ لَبَنَ الذِّئْبِ : مَالٌ من سُلْطانٍ ، وَرِياسَةٌ على قَوْمٍ ؛ وَلَبَنُ الهَوامِّ : من شَرِبَهُ فإنَّهُ يُصالِحُ أَعْداءَهُ . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٧٥٥ الفُدْسُ : بِالضَّمِّ : العَنْكَبُوتُ . وَالجَمْعُ فِدَسَةٌ ، كَقِرَدَةٍ[١] .

٧٥٦ الفَرَا : الحِمارُ الوَحْشِيُّ . وَالجَمْعُ : الفِراءُ ، مِثْلُ جَبَلٍ وَجِبالٍ .

● وَفي المَثَلِ[٢] : «كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا» . قالَهُ النَّبيُّ ﷺ لأَبي سُفيان ابن الحارِث ؛ وَقيلَ : لأَبي سُفيان بن حَرْبٍ . كَذَا قَالَهُ أَبو عُمر ابن عبدِ البَرِّ[٣] .

---

(١) عن القاموس « فدس » ٢/ ٢٤٤ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ١٣٦ والعسكريّ ٢/ ١٦٢ والزمخشريّ ٢/ ٢٢٤ وأبو عبيد ٣٥ وفصل المقال ١٠ ـ ١١ .

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٦٧٦ .

وَقالَ السُّهيليُّ : الصَّحيحُ أَنَّهُ ﷺ قالَهُ لابنِ حَرْبٍ يَتأَلَّفُهُ بِهِ ، وَذلكَ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ على النَّبيِّ ﷺ فَحُجِبَ قليلاً ، ثمَّ أُذِنَ لَهُ ؛ فَلَمَّا دَخلَ قالَ : ما كِدْتَ تَأْذَنُ لِي حَتَّى تَأْذَنَ لِحِجارَةِ الجَلْهَتَيْنِ ـ وَهُما جانِبا الوادِي ـ فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « يا أَبَا سُفْيان ، أَنْتَ كَما قِيلَ : كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا » . قالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ ذلكَ يَتأَلَّفُهُ على الإِسْلامِ ، يَعْنِي : إِذا حَجَبْتُكَ قَنَعَ كُلُّ مَحْجُوبٍ .

وقالَ في كَلامِهِ على فَتْحِ مَكَّةَ : الأَصَحُّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَهُ لأَبي سُفيان بن الحارِثِ ، وَكانَ رَضِيعَ النَّبيِّ ﷺ ، أَرْضَعَتْهُما حَليمَةُ ، وَكانَ آلَفَ النَّاسِ لَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، لا يُفارِقُهُ ؛ فَلَمَّا بُعِثَ ﷺ كان أَبْعَدَ النَّاسِ ، وَأَهْجاهُم لَهُ ، إِلى أَنْ أَسْلَمَ فَكانَ أَصَحَّ النَّاسِ إِيْماناً ، وَأَلْزَمَهُم لِرَسُولِ اللهِ ﷺ .

● وَأَصْلُ هَذَا المَثَلِ : أَنَّ جَماعَةً ذَهَبُوا إِلى الصَّيْدِ ، فَصادَ أَحَدُهُم ظَبْياً ، وَالآخَرُ أَرْنَباً ، وَالآخَرُ حِمارَ وَحْشٍ ، فَاسْتَبْشَرَ صاحِبُ الأَرْنَبِ وَصاحِبُ الظَّبْيِ بما نالا ، وَتَطاوَلا على الثَّالِثِ ؛ فقالَ الثَّالِثُ : كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا : أَي الذِي رُزِقْتُ وَظَفِرْتُ بِهِ ، مُشْتَمِلٌ على ما عِنْدَكُما ؛ وَذلكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِيما يَصِيدُهُ النَّاسُ أَعْظَمُ من حِمارِ الوَحْشِ ، ثمَّ اشْتَهَرَ ذلكَ المَثَلُ ، وَاسْتُعْمِلَ في كُلِّ حاوٍ لِغَيْرِهِ ، وَجامِعٍ لَهُ .

● قالَ الشَّاعِرُ[1] : [من الطويل]

يَقُولُونَ : كافاتُ الشِّتاءِ كَثِيرَةٌ ... وَمَا هِيَ إِلاَّ واحِدٌ غَيْرُ مُمْتَرى
إِذا صَحَّ كافُ الكِيْسِ فَالكُلُّ حاصِلٌ ... لَدَيْكَ ، وَكُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا[2]

● تَلْمِيحٌ إِلى قَوْلِ ابْنِ سُكَّرة[3] : [من البسيط]

---

(١) البيتان بلا نسبة في خزانة الأدب للحمويّ ٣ / ٧ .

(٢) في أ : × . . وكل الصَّيد يوجد في الفرا . وهي رواية الخزانة .

(٣) المقطع من أ . وبيتا ابن سكرة في : التَّوفيق للتَّلفيق ١٤٢ ومقامات الحريريّ ١٩٣ وشرح=

جَاءَ الشِّتاءُ وَعِنْدِي من حَوائِجِهِ   سَبْعٌ إذا القَطْرُ عن حاجاتِنا حُبِسا
كِنٌّ وكِيسٌ وكانُونٌ وَكَأْسُ طلىً   مع الكِبابِ وَكُسٌّ ناعِمٌ وَكِسا

٧٥٧ الفَراشُ : دَوابُّ مثلُ البَعُوضِ ، واحِدَتُها : فَراشَةٌ ؛ وَهِيَ التي تَطِيرُ وَتَتَهافَتُ في السِّراجِ لِضَعْفِ إبْصارِها ، فهي بِسَبَبِ ذلكَ تَطلُبُ ضَوْءَ النَّهارِ ، فإذا رَأَتِ المسكِينَةُ السِّراجَ باللَّيْلِ ظَنَّتْ أَنَّها في بَيْتٍ مُظْلِمٍ ، وأَنَّ السِّراجَ كُوَّةٌ في البَيْتِ المُظْلِمِ إلى المَوْضِعِ المُضِيءِ ، فَلا تَزالُ تَطلُبُ الضَّوْءَ ، وَتَرْمِي بِنَفْسِها إلى النَّارِ ، فإذا جاوَزَتْها وَرَأَتِ الظَّلامَ ، ظَنَّتْ أَنَّها لَمْ تُصِبِ الكُوَّةَ ، وَلَمْ تَقْصِدْها على السَّدادِ ، فَتَعُودُ إِلَيْها مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ حَتَّى تَحترقَ .

● قالَ الإمامُ حُجَّةُ الإسْلامِ الغَزاليُّ : وَلَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّ هذا لِنُقْصانِ فَهْمِها وَجَهْلِها ؛ ثُمَّ قالَ : فاعْلَمْ أَنَّ جَهْلَ الإنْسانِ أَعْظَمُ من جَهْلِها ، بل صُورَةُ الإنْسانِ في الإكْبابِ على الشَّهواتِ ، والتَّهافُتِ فِيها ، أَعْظَمُ جَهالَةً مِنْها ، لأَنَّهُ لا يَزالُ يَرْمِي بِنَفْسِهِ فِيها إلى أَنْ يَنغمسَ فِيها ، ويَهلكَ هَلاكاً مُؤَبَّداً ؛ فَلَيْتَ جَهْلَ الآدميِّ كان كَجَهْلِ الفَراشِ ، فإنَّها باغْتِرارِها بظاهِرِ الضَّوْءِ ، إنِ احْتَرَقَتْ تَخَلَّصَت في الحالِ ؛ وَالآدميُّ يَبْقَى في النَّارِ أَبَدَ الآبادِ ، أَو مُدَّةً مَدِيدَةً ؛ وَلِذلكَ كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّكُمْ تَتَهافَتُونَ في النَّارِ تَهافُتَ الفَراشِ ، وَأَنا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ » . انتهى .

● وَلَقَدْ أَجادَ مُهَلْهِلُ بن يَمُوتٍ في قَوْلِهِ[1] : [من البسيط]

جَلَّتْ مَحاسِنُهُ عن كُلِّ تَشْبِيهِ   وَجَلَّ عن واصِفٍ في الحُسْنِ يَحْكِيهِ

= الشّريشيّ ٣/ ٢٥٣ و ٢٥٩ والوافي بالوفيات ٣/ ٣١٠ ومعاهد التّنصيص ٣/ ١٠ وشذرات الذّهب ٤/ ٤٥٦ وخزانة الأدب للحمويّ ٢/ ٦٨ و ٣/ ٧ .

(١) الأبيات في وفيات الأعيان ٧/ ٥٩ ومقدّمة كتابه سرقات أبي نواس ٢٦ . وصدّرها ابن خلّكان بقوله : ومن المنسوب إلى مهلهل .

انْظُرْ إلى حُسْنِهِ وَاسْتَغْنِ عن صِفَتي   سُبْحانَ خالِقِهِ سُبْحانَ بارِيْهِ
النَّرْجِسُ الغَضُّ والوَرْدُ الجَنِيُّ لَهُ   وَالأُقْحُوانُ النَّضِيرُ الغَضُّ فِي فِيْه
دَعا بِأَلْحاظِهِ قَلْبي إلى عَطَبي   فَجاءَهُ مُسْرِعاً طَوْعاً يُلَبِّيْهِ
مِثْلَ الفَراشَةِ تَأْتِي إِذْ تَرَى لَهَباً   إِلى السِّراجِ فَتُلْقي نَفْسَها فِيْهِ

● وَقالَ عَوْنُ الدِّين [ابْنِ] العَجميّ في الخالِ والعِذارِ(١) : [من الوافر]

لَهِيْبُ الخَدِّ حِيْنَ بَدا لِطَرْفِي   هَوى قَلْبِي عَلَيْهِ كَالفَراشِ
فَأَحْرَقَهُ فَصارَ عَلَيْهِ خالاً   وَها أَثَرُ الدُّخانُ على الحَواشِي

● فائِدَةٌ : قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ [القارعة : ٤] شَبَّهَهُمْ بِالفَراشِ في الكَثْرَةِ ، وَالانْتِشارِ ، وَالضَّعْفِ ، وَالذِّلَّةِ ، وَالتَّطايُرِ إِلى الدَّاعِي من كُلِّ جانِبٍ كَمَا يَتَطَايَرُ الفَراشُ .

● رَوى « مُسلم »(٢) عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : سَمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ مَثَلي وَمَثَلَكُمْ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ ناراً ، فَجَعَلَ الجَنادِبُ والفَراشُ يَقَعْنَ فِيها ، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عنها ، وأَنا آخُذُ بِحُجَزِكم عن النَّارِ ، وَأَنْتُم تَفَلَّتُونَ من يَدِي » .

● وَرَوى « مُسلمٌ » أَيضاً(٣) عن ابْنِ مَسعُودٍ ، قالَ : لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، وَهِيَ في السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، إِلَيْها يَنْتَهِي ما يُعْرَجُ من الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْها ، وإِلَيْها يَنْتَهِي ما يُهْبَطُ بِهِ من فَوْقِها فَيُقْبَضُ

---

(١) البيتان له في وفيات الأعيان ٦/ ٢٥٢ وفوات الوفيات ٢/ ٦٧ والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٩٩ وكشف الحال في وصف الخال ٩٥ . وهو سليمان بن عبد المجيد بن حسن ، عون الدِّين ابن العجميّ ، الحلبي الكاتب ؛ توفِّي سنة ٦٥٦ هـ بدمشق . (ترجمته في مصادر البيتين) .
(٢) مسلم (٢٢٨٤ و ٢٢٨٥) ومسند أحمد ٣/ ٣٦١ و ٣٩٢ .
(٣) مسلم (١٧٣) .

مِنْها ؛ قالَ تَبارَكَ وتعالَى : ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النَّجم : ١٦] قال : فَراشٌ من ذَهَبٍ .

● وَرَوى البَيهقيُّ في « الشُّعبِ »[١] عن النَّوّاسِ بن سِمْعان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَا لِي أَراكُمْ تَتَهافَتُونَ في الكَذِبِ تَهافُتَ الفَراشِ في النَّارِ ، كُلُّ الكَذِبِ مَكْتُوبٌ إلاَّ الكَذِبَ في الحَرْبِ ، وَالكَذِبَ في إِصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ ، وَكَذِبَ الرَّجُلِ على امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَها » .

الحُكْمُ : تَحْرِيمُ الأَكْلِ .

الأَمْثالُ : قَالُوا : « أَطْيَشُ من فَراشَةٍ »[٢] و« أَضْعَفُ[٣] ، وَأَذَلُّ[٤] ، وَأَجْهَلُ[٥] ، وَأَخَفُّ[٦] ، وَأَخْطَأُ[٧] من فَراشَةٍ » لأَنَّها تُلْقِي نَفْسَها في النَّارِ ؛ كَما قَالُوا : « أَخْطَأُ وأَجْهَلُ من ذُبابٍ » . لأَنَّهُ يُلْقِي نَفْسَهُ في الطَّعامِ الحارِّ وَفِيمَا يُهْلِكُهُ .

● قَالَ الشَّاعِرُ[٨] : [من الطَّويل]

سَفاهَةُ سِنَّوْرٍ وَحِلْمُ فَراشَةٍ ... وَإِنَّكَ مِن كَلْبِ المُهارِشِ أَجْهَلُ

التَّعبيرُ[٩] : الفَراشُ في المَنامِ : عَدُوٌّ ضَعِيفٌ ، مَهِينٌ ، عَظِيمُ الكَلامِ .

---

(١) شعب الإيمان ٤/ ٢٠٧ رقم (٤٧٩٨) .
(٢) الميدانيّ ١/ ٤٣٨ وحمزة ١/ ٢٨٩ والعسكريّ ٢/ ٢٣ والزمخشريّ ١/ ٢٣٠ والمؤرج ٦٢ وأبو عبيدة ٣٧٤ .
(٣) الميدانيّ ١/ ٤٢٧ وحمزة ١/ ٢٧٧ والعسكريّ ٢/ ٣ والزمخشريّ ١/ ٢١٦ .
(٤) لم يرد في كتب الأمثال .
(٥) الميدانيّ ١/ ١٨٨ وحمزة ١/ ١٢١ والعسكريّ ١/ ٣٣٤ والزمخشريّ ١/ ٥٨ .
(٦) الميداني ١/ ٢٥٤ و ٢٥٥ وحمزة ١/ ١٧٠ والعسكريّ ١/ ٤٢٨ والزمخشريّ ١/ ١٠٤ .
(٧) الميدانيّ ١/ ٢٦١ وحمزة ١/ ١٩٥ والعسكريّ ١/ ٤٤١ والزمخشريّ ١/ ١٠٢ .
(٨) البيت بلا نسبة في ثمار القلوب ٢/ ٧٣١ .
(٩) تعبير الرُّؤيا ١٩٥ وتفسير الواعظ ٣٠٥ .

وَقالَ أَرطاميدورس : الفَراشُ للفَلاَّحِينَ ، يَدُلُّ على البَطالَةِ ، واللهُ تَعالى أَعلمُ .

٧٥٨ الفُرافِصَةُ : بِالضَّمِّ : اسْمٌ لِلأَسَدِ . وَبِالفَتْحِ اسْمٌ لِرَجُلٍ .

وَقِيلَ[١] : كُلُّ فُرافِصَةٍ في العَرَبِ ، فَهُوَ بِالضَّمِّ ، إِلاَّ فَرافِصَة أَبا نائِلَة صِهْرَ عُثْمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، فإِنَّهُ بِالفَتْحِ .

وَهُوَ الذِي ذَكَرَهُ مالِكٌ في « المُوَطَّأ » في أَبْوابِ الصَّلاةِ[٢] ، عن يَحْيَى بن سَعيدٍ ، وَرَبيعة بن عبدِ الرَّحمنِ ، عن القاسِمِ بن محمَّد : أَنَّ الفُرافِصَةَ بن عُمَيْرٍ الحَنَفيّ ، قالَ : ما أَخَذْتُ سُورَةَ يُوسُفَ إِلاَّ من قِراءَةِ عُثْمانَ بن عَفَّانَ إِيَّاها في الصُّبْحِ ، من كَثْرَةِ ما كانَ يُرَدِّدُها لَنا .

٧٥٩ الفَرْخُ : وَلَدُ الطَّائِرِ ، هذا هُوَ الأَصْلُ ، وَقَدِ اسْتُعْمِلَ في كُلِّ صَغيرٍ من الحَيوانِ والنَّباتِ .

وَالأُنْثى فَرْخَةٌ ؛ وَجَمْعُ القِلَّةِ : أَفْرُخٌ وَأَفْراخٌ ، وَالكَثْرَةِ : فِراخٌ[٣] .

● رَوَى « أَبو داود »[٤] بِإِسْنادٍ صَحيحٍ على شَرْطِ الشَّيخينِ ، عن عبدِ اللهِ بن جَعفر : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمْهَلَ آلَ جَعفرٍ ثَلاثاً ، ثمَّ أَتاهُم ، فقالَ : « لا تَبْكُوا على أَخِي بَعْدَ اليَوْمِ » ، ثمَّ قالَ ﷺ : « ادْعُوا إِليَّ بَني أَخِي » . فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّنا أَفْرُخٌ ، فقالَ ﷺ : « ادْعُوا إِليَّ الحَلاَّقَ » . فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُؤُوسَنا .

● وَرَوَى البَزَّارُ عن عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ

---

(١) القول لابن حبيب في المؤتلف والمختلف ٣٢ .

(٢) المُوَطَّأ ١/ ٨٢ .

(٣) عن الصِّحاح « فرخ » ١/ ٤٢٨ .

(٤) رواه النَّسائيّ (٥٢٢٧) وأَحمد في المسند ١/ ٢٠٤ .

كان في بَعْضِ مَغازِيه ، فَبَيْنما هم يَسيرُونَ إذْ أخَذُوا فَرْخَ طَيْرٍ ، فَأَقْبَلَ أَحَدُ أبَوَيْه حتَّى سَقَطَ على أَيْدِي الَّذِينَ أَخَذُوا الفَرْخَ ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلا تَعْجَبُونَ لِهذا الطَّيْرِ ، أُخِذ فَرْخُهُ فَأَقْبَلَ حتَّى سَقَطَ في أَيْدِيهم ؟ » قالُوا : بَلى يَا رَسُولَ اللهِ ؛ فَقالَ ﷺ : « واللهِ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبادِهِ من هَذَا الطَّيْرِ بِفَرْخِه » .

● وَفي « سُنن أَبي داود » في أَوائِلِ « كِتابِ الجَنائِزِ »[١] من حَدِيثِ عامِرِ الرَّامِ أَخي الخُضْرِ ـ بِضَمِّ الخَاءِ ، وإِسْكانِ الضَّادِ المُعجمتين ، وهو فَرْدٌ في الأَسْماءِ ـ قالَ : بينَما نَحنُ عندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ ، عَلَيْه كِساءٌ ، وَفي يَدِهِ شَيْءٌ ، قد لَفَّ عَليهِ طَرَفَ كِسائِهِ ، فقالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ أَقْبَلْتُ ، فَمَرَرْتُ بِغَيْضَةِ شَجَرٍ ، فَسَمعتُ فِيها أَصْواتَ فِراخِ طائِرٍ ، فَأَخَذْتُهُنَّ ، فَوَضَعْتُهُنَّ في كِسائِي ، فجاءَتْ أُمُّهُنَّ ، فاسْتَدارَتْ على رَأْسِي ، فَكَشَفْتُ لَها عَنْهُنَّ ، فَوَقَعَتْ عليْهِنَّ ، فَلَفَفْتُها مَعهنَّ ، وَها هُنَّ فِيهِ مَعي ؛ فقالَ ﷺ : « ضَعْهُنَّ عنكَ » . فَوَضَعَهُنَّ ، وَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إلاَّ لُزُومَهُنَّ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ لأَصْحابِهِ : « أَتَعْجَبُونَ لِرَحْمَةِ أُمِّ الفِراخِ فِراخَها ؟ » قَالُوا : نَعم يَا رَسُولَ اللهِ . قالَ ﷺ : « فَوَالذِي بَعَثَني بالحَقِّ نَبِيّاً ، للهُ أَرْحَمُ بِعِبادِهِ من أُمِّ هَؤُلاءِ الأَفْراخِ بِفِراخِها ؛ ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ من حيثُ أَخَذْتَهُنَّ » . فَرَجَعَ بِهِنَّ ، وَأُمُّهُنَّ تُرَفْرِفُ عليْهِنَّ .

● وَرَوى « مُسلم »[٢] عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِنَّ للهِ مئةَ رَحْمَةٍ ، قَسَمَ مِنْها رَحْمَةً في دَارِ الدُّنْيا ، فَبِها يَعطِفُ الرَّجُلُ على وَلَدِهِ ، وَالطَّيْرُ على فِراخِهِ ، فإِذا كان يَوْمُ القِيامَةِ صَيَّرَها مئةَ رَحْمَةٍ ، فَعادَ بِها على الخَلْقِ » .

---

(١) أبو داود (٣٠٨٩) .

(٢) مسلم (٢٧٥٢) وابن ماجه (٤٢٩٣ و ٤٢٩٤) ومسند أحمد ٢/ ٤٣٤ و ٥/ ٤٣٩ .

قالَ أَيُوبُ السِّخْتيانيّ : إنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَسَمَها في دارِ الدُّنْيا ، وَأَصابَنِي مِنْها الإِسْلامُ ، وإِنِّي لأَرْجُو من تِسْعٍ وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ما هُوَ أَكْثَرُ من ذلكَ .

● وَرَوى « مُسلم » أَيضاً و« النَّسائيُّ » و« التِّرمذيُّ »[1] عن ثابتٍ ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ عادَ رَجُلاً من المُسلمينَ قد خَفَتَ - وَفي رِوايَةِ التِّرمذيِّ قد جَهِدَ - فَصارَ مِثْلَ الفَرْخِ ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « هَلْ كُنْتَ تَدْعُو اللهَ بِشَيْءٍ ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ ؟ » قالَ : نَعم ، كُنْتُ أَقُولُ : اللَّهُمَّ ما كُنْتَ مُعاقِبِي بِهِ في الآخِرَةِ ، فَعَجِّلْهُ لِي في الدُّنْيا ؛ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « سُبْحانَ اللهِ ! إِنَّكَ لا تُطِيقُهُ ، وَلا تَسْتَطِيعُهُ ؛ أَفَلا قُلْتَ : اللَّهُمَّ آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ ؟ » . قالَ : فَدَعا اللهَ لَهُ ، فَشَفاهُ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : مِثْلَ الفَرْخِ : أَنَّهُ ضَعُفَ ، وَنَحَلَ جِسْمُهُ ، وَخَفِيَ كَلامُهُ ؛ وَتَشْبِيهُهُ لَهُ بِالفَرْخِ ، يَدُلُّ على أَنَّهُ تناثَرَ أَكْثَرُ شَعْرِهِ ؛ وَيُحْتَمَلُ أَن يَكُونَ شَبَّهَهُ بِهِ لِضَعْفِهِ ؛ وَالأَوَّلُ أَوْقَعُ في التَّشْبِيهِ ، وَمَعلُومٌ أَنَّ مثلَ هذا المَرَضِ لا يَبْقَى معهُ شَعَرٌ وَلا قُوَّةٌ .

وَفي هذا الحَدِيثِ النَّهْيُ عن الدُّعاءِ بِتَعْجِيلِ العُقُوبَةِ ، وَفِيهِ فَضْلُ الدُّعاءِ « اللَّهُمَّ آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً ، وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنا عَذابَ النَّارِ » .

وَفِيهِ جَوازُ التَّعَجُّبِ بِقَولِ : « سُبْحانَ اللهِ » .

وَقَوْلُهُ ﷺ : « إِنَّكَ لا تُطِيقُهُ » يَعْنِي أَنَّ عَذابَ الآخِرَةِ لا يُطِيقُهُ أَحَدٌ في الدُّنْيا ، لأَنَّ نَشْأَةَ الدُّنْيا ضَعِيفَةٌ ، لا تَحْتَمِلُ العَذابَ الشَّدِيدَ وَالأَلَمَ العَظِيمَ ، بل إِذا عَظُمَ على الإِنْسانِ هَلَكَ وَماتَ .

وَأَمَّا النَّشْأَةُ الآخِرَةُ فَهِيَ لِلْبَقاءِ ، إِمَّا في النَّعِيمِ أَوِ العَذابِ ، إِذْ لا مَوْتَ ،

---

(١) مسلم (٢٦٨٨) والنَّسائيّ في عمل اليوم واللَّيلة (١٠٥٣) والتِّرمذيّ (٣٤٨٧) ومسند أَحمد ٣/ ١٠٧ و ٢٨٨ .

كَما قالَ اللهُ تَعالَى في حَقِّ الكُفَّارِ : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النِّساء : ٥٦] . نَسْأَلُ اللهَ العافِيَةَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ .

ثمَّ إنَّ النَّبيَّ ﷺ أَرْشَدَهُ إلى أَحْسَنِ ما يُقالُ ، لأَنَّها من الدَّعواتِ الجَوامِعِ التي تَتَضَمَّنُ خَيْرَ الدُّنيا والآخِرَةِ ؛ وذلكَ أَنَّ النَّكِرَةَ في سِياقِ الطَّلَبِ عامَّةٌ ، فكَأَنَّهُ يَقُولُ : أَعْطِني كُلَّ حالَةٍ حَسَنَةً ، في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

وَقَدْ اخْتَلَفَتْ أَقْوالُ المُفَسِّرِينَ في الآيَةِ اخْتِلافاً يَدُلُّ على عَدَمِ التَّوْفِيقِ ، وَعلى قِلَّةِ التَّأَمُّلِ لِوَضْعِ الكَلِمَةِ ؛ فَقِيلَ : الحَسَنَةُ في الدُّنْيا : العِلْمُ والعِبادَةُ ، وفي الآخِرَةِ : الجَنَّةُ والمَغْفِرَةُ . وَقيلَ : العافِيَةُ ؛ وَقيلَ : المضالُ وَحُسْنُ المآلِ . وَقِيلَ : المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ وَالحُورُ العِيْنُ ؛ وَالصَّحِيحُ الحَمْلُ على العُمُومِ .

قَالَ النَّوويُّ : وَأَظْهَرُ الأَقْوالِ في تَفْسِيرِ الحَسَنَةِ : أَنَّها في الدُّنْيا العِبادَةُ والعافِيَةُ ، وَفي الآخِرَةِ الجَنَّةُ والمَغفرَةُ . وَقِيلَ : الحَسَنَةُ : نَعيمُ الدُّنْيا ، وَنَعيمُ الآخِرَةِ .

● وَفي « تارِيخِ ابنِ النَّجّارِ » وَ« عَوالِي أَبي عبدِ اللهِ محمَّد بن عبد اللهِ بن المُثَنَّى بن أَنَسٍ بن مالِكٍ الأَنْصاريّ ، قاضِي البَصْرَةِ وعالِمِها وَمُسْنِدِها ـ وَهُوَ من كِبارِ شُيُوخِ البُخاريّ ـ من حَدِيثِ الحَسَنِ بن أَبي الحَسَنِ البصريّ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[1] : كَانَ فِيمَنْ كان قَبْلَكُم رَجُلٌ يَأْتِي وَكْرَ طائِرٍ ، كُلَّما أَفْرَخَ أَخَذَ فِراخَهُ ، فَشَكَا ذلكَ الطَّائِرُ إِلى اللهِ تَعالى ما يَفْعَلُ بِهِ ، فَأَوْحَى اللهُ تَعالى إِلَيْهِ : إِنْ عادَ فَسأُهْلِكُهُ ؛ فَلَمَّا أَفْرَخَ ذلكَ الطَّيْرُ ، خَرَجَ ذلكَ الرَّجُلَ كَما كان يَخْرُجُ ، فَبَيْنَما هُو في بَعْضِ الطَّرِيقِ ، سَأَلَهُ سائِلٌ ،

---

(١) يقارن بما ورد في ربيع الأبرار ٢/ ٣٩١ والفرج بعد الشِّدَّة للتَّنوخيّ ٤/ ١٣٣ والمستطرف ١/ ٣٧ .

فَأَعْطاهُ رَغِيفاً كان معهُ يَتَغَذَّاهُ ، ثمَّ مَضَى حتَّى أَتَى الوَكْرَ ، وَوَضَعَ سُلَّمَهُ ، ثمَّ صَعَدَ فَأَخَذَ الفَرْخَيْنِ ، وَأَبواهُما يَنْظُرانِ إِلَيْهِ ، فقالا : رَبَّنا ، إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيْعادَ ، وَقَدْ وَعَدْتَنا أَنَّكَ تُهْلِكُ هذا إذا عادَ ، وَقَدْ عادَ وَأَخَذَ فَرْخَيْنا وَلَمْ تُهْلِكْهُ ؛ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِما : أَلَمْ تَعْلَما أَنِّي لا أُهْلِكُ أَحَداً تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ في يَوْمِهِ بِمَوْتَةِ سُوءٍ ؟ وَقَد تَصَدَّقَ » .

● **فائِدَةٌ** : كانَتْ رُؤْيَةُ فَرْخِ الطَّائِرِ سَبَباً لِتَمَنِّي حَنَّةَ امْرَأَةِ عِمْرانَ الوَلَدَ ؛ وَذلكَ أَنَّها كانَتْ عاقِراً ، لَمْ تَلِدْ إِلى أَنْ عَجَزَتْ ؛ فَبَيْنَما هِيَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ ، إِذْ رَأَتْ طائِراً يَزُقُّ فَرْخاً ، فَتَحَرَّكَتْ نَفْسُها لِلوَلَدِ ، وَتَمَنَّتْهُ ، فقالَتْ : ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران : ٣٥] أي : السَّميعُ لِدُعائِي ، العَليمُ بِضَميرِي ؛ فَنَذَرَتْ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ على بَيْتِ المَقْدِسِ ، فَيَكُونَ من سَدَنَتِهِ وَخَدَمَتِهِ ؛ وَكانَ ذلكَ في شَرِيعَتِهِم جائِزاً ؛ فَحَمَلَتْ بِمَرْيَمَ ، وَهَلَكَ عِمْرانُ وَهِيَ حامِلٌ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عِمران : ٣٦ ـ ٣٧] وَوَصَفَها بِأَنَّها : ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء : ٩١ ، والتَّحريم : ١٢] .

قالَ الزَّمخشريُّ(١) : إِحْصاناً كُلِّيّاً عن الحَلالِ والحَرامِ جَمِيعاً ، كَما قالَ تَعالى : ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم : ٢٠] .

وَقالَ السُّهَيْلِيُّ : ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يُرِيدُ : فَرْجَ القَمِيصِ ، أَي لَمْ يَتَعَلَّقْ بِثَوْبِها رِيبَةٌ ، فَهِيَ طاهِرَةُ الأَثْوابِ ؛ وَفُرُوجُ القَمِيصِ أَرْبَعَةٌ : الكُمَّانِ ، وَالأَعلىٰ ، وَالأَسْفَلُ ، فَلا يَذْهَبَنَّ فِكْرُكَ إِلى غَيْرِ هَذَا ؛ وَهَذا من لَطِيفِ الكِنايَةِ ، لأَنَّ القُرْآنَ أَنزَهُ مَعنىً ، وَأَوْجَزُ لَفْظاً ، وَأَلْطَفُ إِشارَةً ، وَأَحْسَنُ عِبارَةً ، من أَنْ

---

(١) الكشَّاف ٢/ ٥٨٢ .

يُرِيدَ ما يَذْهَبُ إِلَيْهِ وَهْمُ الجاهِلِ ، لا سِيَّمَا والنَّفْخُ من رُوحِ القُدُسِ ، بِأَمْرِ القُدُّوسِ ؛ فَأَضِفِ القُدُسَ إِلى القُدُّوسِ ، وَنَزِّهِ المُقَدَّسَةَ عن الظَّنِّ الكاذِبِ وَالحَدْسِ الغائِبِ . وَبِاللهِ التَّوفِيقُ .

● فَرْعٌ : وَمِنْ أَحْكامِ الفَرْخِ : أَنَّهُ إِذا غَصَبَ إِنسانٌ بَيْضاً ، فَحَضَنَهُ دَجاجَةٌ ؛ كانَتِ الفِراخُ لِصاحِبِ البَيْضِ ، لأَنَّها من عَيْنِ المَغْصُوبِ .

وَقالَ أَبُو حَنيفةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : يَضْمَنُ البَيْضَ ، وَلا يَرُدُّ الفِراخَ ، وَاسْتَدَلَّ على ذلكَ بِأَنَّهُ خَلْقٌ سِوى البَيْضِ . قالَ تَعالَى في سُورَةِ المُؤمنون : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

وَفي « التُّحْفَةِ المَكِّيَّةِ » للقاضِي نَصْر العِماديّ ، عن إِبراهِيم بن أَدْهَم رَحِمَهُ اللهُ تَعالى ، أَنَّهُ قالَ(١) :

بَلَغَني أَنَّه كان رَجُلٌ من بَني إِسْرائيلَ ، ذَبَحَ عِجْلاً بَيْنَ يَدَيْ أُمِّهِ ، فَأَيْبَسَ اللهُ يَدَهُ ؛ فَبينَما هُو ذاتَ يَوْمٍ جالِسٌ ، وإِذا بِفَرْخِ طائِرٍ سَقَطَ من وَكْرِهِ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ وَيُبَصْبِصُ إِلى أَبَوَيْهِ ، وَأَبَواهُ يَنْظُرانِ وَيُبَصْبِصانِ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ ذلكَ الرَّجُلُ ، وَرَدَّهُ إِلى وَكْرِهِ رَحْمَةً لَهُ ، فَرَحِمَهُ اللهُ لِرَحْمَتِهِ لِذلكَ الفَرْخِ ، وَرَدَّ عليْهِ يَدَهُ بِما صَنَعَ . وَاللهُ تَعالَى أَعلمُ .

التَّعبِيرُ : الفِراخُ المَشْوِيَّةُ في المَنامِ : مَالٌ وَرِزْقٌ بِتَعَبٍ ، لِمَسِّهِ النَّارَ ؛ فَمَنْ رَأى أَنَّهُ أَكَلَ لَحْمَ فِراخٍ نَيِّئاً ، فإِنَّهُ يَغْتابُ أَهْلَ بَيْتِ النَّبيِّ ﷺ وَأَشْرافِ النَّاسِ .

وَمَنْ أَكَلَ لَحْمَ فِراخِ السِّباعِ من الطَّيْرِ ، كالشَّاهِينِ والصَّقْرِ وَالعُقَابِ وَنَحْوِها ، فإِنَّهُ يَغْتابُ أَوْلادَ المُلُوكِ ، أَوْ يَنكِحُهُم .

وَمَنِ اشْتَرَى فَرْخاً مَشْوِيّاً ، فإِنَّهُ يَسْتأْجِرُ أَجِيراً . وَاللهُ تَعالَى أَعلمُ .

٧٦٠ **الفَرَسُ** : واحِدُ الخَيْلِ . وَالجَمْعُ : أَفْراسٌ ، الذَّكَرُ وَالأُنْثى في

---

(١) القند في ذكر علماء سمرقند ٨٤ .

ذلكَ سَواءٌ ، وَأَصْلُهُ التَّأْنِيثُ . وَحَكَى ابْنُ جِنِّيّ والفَرَّاءُ : فَرَسَةٌ .

وَقالَ الجَوهريُّ[1] : هُوَ اسْمٌ يَقَعُ على الذَّكَرِ وَالأُنْثى ، وَلا يُقالُ لِلأُنْثَى : فَرَسَةٌ ؛ وَتَصْغِيرُ الفَرَسِ : فُرَيْسٌ ؛ وإِنْ أَرَدْتَ الأُنْثى خاصَّةً لَمْ تَقُلْ إِلاَّ : فُرَيْسَةٌ بِالهاءِ .

وَلَفْظُها مُشْتَقٌّ من الافْتِراسِ ، لأَنَّها تَفْتَرِسُ الأَرْضَ بِسُرْعَةِ مَشْيِها .

وَراكِبُ الفَرَسِ : فارِسٌ ، وهُوَ مِثْلُ لابِنٍ وَتامِرٍ ؛ أَي : صاحِبُ لَبَنٍ ، وَصاحِبُ تَمْرٍ .

وَفارِسٌ : أَي صاحِبُ فَرَسٍ ؛ وَيُجْمَعُ على : فَوَارِسَ ، وَهُوَ شاذٌّ لا يُقاسُ عَلَيْهِ .

● رَوَى « أَبُو داود »[2] و« الحاكم » عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يُسَمِّي الأُنْثى من الخَيْلِ فَرَساً » .

قَالَ ابْنُ السِّكِّيْتِ : يُقالُ لِراكِبِ ذِي الحافِرِ ، من فَرَسٍ ، أَوْ بَغْلٍ ، أَو حِمارَةٍ : فارِسٌ . قالَ الشَّاعِرُ[3] : [من الطويل]

وَإِنِّي امْرُؤٌ لِلْخَيْلِ عِنْدِي مَزِيَّةٌ ... على فارِسِ البِرْذَونِ أَوْ فارِسِ البَغْلِ

● وَقالَ[4] عُمارة بن عَقيل بن بِلال بن جَرير : لا أَقُولُ لِصاحِبِ البَغْلِ : فارِسٌ ، وَلَكِنْ أَقُولُ : بَغَّالٌ ؛ وَلا أَقُولُ لِصاحِبِ الحِمارِ : فارِسٌ ، وَلَكِنْ أَقُولُ : حَمَّارٌ .

---

(١) الصِّحاح « فرس » ٣/ ٩٥٧ واللِّسان والتَّاج « فرس » .
(٢) أَبو داود (٢٥٤٦) .
(٣) البيت بلا نسبة في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج وَأَساس البلاغة « فرس » .
(٤) الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « فرس » .

● وَكُنْيَةُ الفَرَسِ[1] : أَبُو شُجاعٍ ، وَأَبُو طالِبٍ ، وَأَبُو مُدْرِكٍ ، وَأَبو مَضاءٍ ، وَأَبُو المِضْمَارِ ، وَأَبُو المُنَجِّي .

● وَالفَرَسُ أَشْبَهُ الحَيَوانِ بالإِنْسانِ ، لِما يُوجَدُ فِيهِ من الكَرَمِ ، وَشَرَفِ النَّفْسِ ، وَعُلُوِّ الهِمَّةِ .

وَتَزعُمُ العَربُ أَنَّهُ كان وَحْشِيّاً ؛ وَأَوَّلُ من ذَلَّلَهُ وَرَكِبَهُ إسماعِيلُ عليْهِ السَّلامُ .

وَمِنَ الخَيْلِ ما لا يَبُولُ وَلا يَرُوثُ ما دَامَ راكِبُهُ عَليْهِ .

وَمِنْها ما يَعْرِفُ صاحِبَهُ ، وَلا يُمَكِّنُ غَيْرَهُ من الرُّكُوبِ عَلَيْهِ .

وَكانَ لِسُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ خَيْلٌ ذَواتُ أَجْنِحَةٍ .

وَالخَيْلُ نَوْعانِ : هَجِينٌ وَعَتِيقٌ ؛ وَالفَرْقُ بَيْنَهُما : أَنَّ عَظْمَ البِرْذَوْنِ أَعْظَمُ من عَظْمِ الفَرَسِ ، وَعَظْمُ الفَرَسِ أَصْلَبُ وَأَثْقَلُ من عَظْمِ البِرْذَوْنِ ، وَالبِرْذَوْنُ أَحْمَلُ من الفَرَسِ ، وَالفَرَسُ أَسْرَعُ من البِرْذَوْنِ ، وَالعَتِيقُ بِمَنْزِلَةِ الغَزالِ ، وَالبِرْذَوْنُ بِمَنْزِلَةِ الشَّاةِ .

فَالعَتِيقُ من الخَيْلِ : ما أَبَواهُ عَرَبِيّانِ ؛ سُمِّيَ بِذَلكَ لِعِتْقِهِ من العُيُوبِ وسَلامَتِه من الطَّعْنِ فِيهِ بالأُمُورِ المُنْقِصَةِ .

وَالعَتيقُ[2] : الكَرِيمُ من كُلِّ شَيْءٍ ، وَالخِيارُ من كُلِّ شَيْءٍ : التَّمْرُ ، وَالمَاءُ ، وَالبازِي ، وَالشَّحْمُ .

وَسُمِّيَتِ الكَعْبَةُ : البَيْتَ العَتِيقَ ، لِسَلامَتِها من عَيْبِ الرِّقِّ ، لأَنَّها لَمْ يَمْلِكْها مَلِكٌ من المُلُوكِ الجبابِرَةِ قَطُّ .

---

(١) المُرَصَّع ٢١٠ و ٢٣٠ و ٣٠١ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٧٠ . ويزاد : أَبو منقذ .

(٢) الصِّحاح « عتق » ٤/ ١٥٢١ .

وَسُمِّيَ[1] أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ عَتِيقاً لِجَمالِهِ ؛ وَيُقالُ : لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لَهُ : « أَنْتَ عَتِيقُ الرَّحْمٰنِ من النَّارِ » وَلَمْ يَزَلْ بِعَيْنِ الرِّضا من اللهِ ؛ وَيُقالُ : لأَنَّ أُمَّهُ كان لا يَعِيشُ لَها وَلَدٌ ، فَلَمَّا عاشَ سَمَّتْهُ عَتِيقاً ، لأَنَّهُ عَتَقَ من المَوْتِ .

● فائِدَةٌ : قالَ الزَّمخشريُّ في تَفْسيرِهِ « سُورَة الأَنْفالِ »[2] : وَفي الحَدِيثِ : « إِنَّ الشَّيْطانَ لا يَقْرَبُ صاحِبَ فَرَسٍ عَتِيقٍ ، وَلا داراً فِيها فَرَسٌ عَتِيقٌ » .

● وَرَوَى الحافِظُ شَرَفُ الدِّين الدِّمْياطيّ في « كِتابِ الخَيْلِ »[3] حَدِيثاً ، عَزاهُ إِلى ابْنِ مَنْدَه في « كِتابِ الصحابَةِ » وإِلى ابْنِ سَعْد في « الطَّبقاتِ » وإِلَى ابن قانِعٍ في « مُعْجَمِ الصَّحابَةِ » من حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بن عَرِيب المُلَيْكيّ ، عن أَبِيه ، عن جَدِّهِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَخْبُلُ أَحَداً في دارٍ فِيها فَرَسٌ عَتيقٌ » . انتهى .

وَكَذلكَ رَواهُ الحارِثُ بن أَبي أُسامة ، عن المُلَيْكيّ ، عن أَبيهِ ، عن جَدِّهِ ، عن النَّبيِّ ﷺ ؛ وَرَواهُ الطَّبرانيُّ في « مُعجمه » ، وابْنُ عَدِيٍّ في « كامِلِهِ » في تَرْجَمَةِ سَعيد بن سِنان ، ثمَّ ضَعَّفَهُ .

● وَرَوَى القاضِي أَبو القاسم عليّ بن محمَّد النَّخَعيّ في « كِتاب الخَيْلِ » وَهو كِتابٌ لَطِيفٌ ، نُسْخَتُهُ مَوقوفَةٌ بِالفاضِلِيَّةِ ، قالَ : حَدَّثَنا الحسنُ بن عليّ بن عفَّان ، قال : حدَّثنا الحسنُ بن عَطِيَّة ، عن طَلْحة بن زَيْدٍ ، عن الوَضِين بن

---

(١) الصِّحاح « عتق » ٤/ ١٥٢١ .

(٢) الكشَّاف ٢/ ١٦٦ .

(٣) فضل الخيل ٧٩ وطبقات ابن سعد ٩/ ٤٣٦ وميزان الاعتدال ٢/ ١٤٤ وجرّ الذيل للسيوطيّ ٥٢ والمعجم الكبير ١٧/ ١٧١ .

عَطاء ، عن سُلَيْمان بن يَسارٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ في هذِهِ الآيَةِ ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] قالَ[1] : « هُمُ الجِنُّ لا يَدْخُلُونَ داراً فِيها فَرَسٌ عَتِيقٌ » .

وَقالَ مُجاهد في تَفسيرِ هذهِ الآيَةِ : هُم بَنُو قُرَيْظَة . وَقالَ السُّدِّيُّ : هُمْ أَهْلُ فارِس . وقالَ الحَسَنُ : هُمُ المُنافِقُونَ ؛ وَقِيلَ : هم كُفَّارُ الجِنِّ ، كَما تَقَدَّمَ .

قالَ ابنُ عبدِ البَرِّ في « التَّمهيد » : الفرَسُ العَتِيقُ : هو الفارِهُ عندَنا .

وَقالَ صاحِبُ « العَيْن »[2] : هُوَ السَّابِقُ .

● وَفي « المُستدرك »[3] من حَدِيثِ مُعاوية بن حُدَيْج ـ بالحاءِ المُهملةِ المَضْمُومَةِ ، وَالدَّالِ المُهملةِ المَفْتُوحَةِ ، وَبالجِيمِ في آخِرِهِ ، وَهوَ الذي أَحْرَقَ محمَّد بن أَبي بَكْرٍ بمصرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ كما تَقَدَّمَ ـ عن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « مَا مِنْ فَرَسٍ عَرَبيٍّ إلاَّ يُؤْذَنُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَدَعْوَتَيْنِ ، يَقولُ : اللَّهُمَّ ، كَما خَوَّلْتَني مَنْ خَوَّلتني ، فاجْعَلْني من أَحَبِّ مالِهِ وَأَهْلِه إِلَيْهِ » . ثمَّ قالَ : صَحِيحُ الإِسْنادِ .

● ولهذا الحَديثِ قِصَّةٌ ذَكَرَها النَّسائيُّ في « كِتابِ الخَيْل » من « سُنَنِه » فقالَ : قالَ أَبو عُبيدَةَ[4] : قالَ مُعاويةُ بنُ حُدَيْجٍ : لَمَّا افْتُتِحَتْ مِصْرُ ، كان لِكُلِّ قَوْمٍ مَراغَةٌ يُمَرِّغُونَ فِيها دَوابَّهُم ، فمرَّ مُعاويةُ بِأَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، وهو يُمَرِّغُ فَرَساً لَهُ ، فَسَلَّمَ عليْهِ ، ثمَّ قالَ : يَا أَبا ذَرٍّ ، مَا هذا الفَرَسُ ؟ فقالَ :

---

(١) فضائل الخيل ٧٩ وجرّ الذَّيل ٥١ ـ ٥٢ .

(٢) لم يرد هَذَا في العين « عتق » ١/ ١٤٦ .

(٣) المستدرك ٢/ ٩٢ والنَّسائيّ (٣٥٧٩) وجرّ الذَّيل ٥١ .

(٤) الخيل لأَبي عبيدة ١١٤ وحلية الفرسان ٤٠ ـ ٤١ والخيل لابن جزيّ ٤٢ وجرّ الذَّيل ٥٠ ـ ٥١ .

هذا فَرَسٌ لا أَراهُ إلاَّ مُسْتجابَ الدُّعاءِ. قالَ: وَهَل تَدْعو الخَيْلُ وَتُجابُ؟ قالَ: نَعم، لَيْسَ من لَيْلَةٍ إلاَّ وَالفَرَسُ يَدْعو فِيها رَبَّهُ، فيَقُول: رَبِّ إنَّكَ سَخَّرْتَنِي لابْنِ آدَمَ، وَجَعَلْتَ رِزْقِي في يَدِهِ، اللَّهُمَّ فاجْعَلْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ من أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ؛ فَمِنْها المُسْتَجابُ ومنها غيرُ المُستجابِ، وَلا أَرَى فَرَسِي هذا إلاَّ مُسْتَجاباً.

● وَرَوى «الحاكِمُ»(١) عن عُقبة بن عامِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه، مَرْفُوعاً قالَ: «إذا أَرَدْتَ أَنْ تَغْزُوَ، فَاشْتَرِ فَرَساً أَدْهَمَ مُحَجَّلاً مُطْلَقَ اليَمِينِ، فإنَّكَ تَغْنَمُ وَتَسْلَمُ». ثمَّ قالَ: صَحيحٌ على شَرْطِ مُسلمٍ.

● وَالهَجِينُ: الذي أَبُوهُ عَرَبيٌّ وَأُمُّهُ عَجَمِيَّةٌ؛ وَالمُقْرِفُ: وَهو بضَمِّ المِيمِ، وإسْكانِ القافِ، وبِالرَّاءِ المُهملةِ، والفاءِ في آخِرِهِ: عَكْسُهُ؛ وَكَذلكَ في بَنِي آدَمَ.

● وَأَنْشَدَ أَبو عُبيدٍ القاسِمُ بن سلاَّم(٢) لهِندٍ ابْنَةِ النُّعمانِ بن بَشيرٍ(٣): [من الطويل]

وَهَلْ هِنْدُ إلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... سَلِيْلَةُ أَفْراسٍ تَجَلَّلَها بَغْلُ
فإنْ نَتَجَتْ مُهْراً كَرِيماً فَبِالْحَرى ... وإنْ يَكُ إقْرافٌ فَمِنْ قِبَلِ الفَحْلِ(٤)

---

(١) المستدرك ٢/ ٩٢ وجرّ الذَّيل ٥٨.

(٢) وهذا من أوهام الدَّميريّ رحمه الله؛ فهو ينقل هنا عن أدب الكاتب لابن قتيبة ٤١ ـ ٤٢ وفيه: وأنشدَ أَبُو عُبَيْدَةَ لهند بنت النُّعمان... فَظَنَّهُ «أَبُو عُبيد» فزاد: «القاسم بن سلاَّم» للتَّوضيح، فأخطأ.

(٣) البيتان لهند بنت النُّعمان تهجو زوجها روح بن زنباع، في أدب الكتاب لابن قتيبة ٤٢ والاقتضاب ٣/ ٤٩ وبلاغات النِّساء ١٣٣ وأخبار النِّساء ١١١ ووفيات الأعيان ٣/ ٩٥ والمستطرف ١/ ١٨٦ وهما لأُختها حميدة بنت النُّعمان في الأغاني ٨/ ٢٣٠ و ١٦/ ٥٤ وبلاغات النِّساء ١٣٣ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٥/ ١٦٩ والتَّنبيه على القالي في أماليه ٣١ والاقتضاب ٣/ ٤٩.

(٤) في البيت ـ بهذه الرِّواية ـ إقواءٌ. وعند البطليوسيّ: × ... فقد أقرف الفحلُ.

قالَ البَطَلْيَوْسيُّ في « شَرْحِهِ »[1] : هَكَذا رَوَيْناهُ[2] : « فَمِنْ قِبَلِ الفَحْلِ » ؛ والرِّوايةُ الأُخرى :

وإنْ يَكُ إِقْرافٌ فَما أَنْجَبَ الفَحْلُ

وَقالَ[3] : وقد رُوِيَ هذا الشِّعْرُ لِحُمَيْدَةَ بنتِ النُّعمانِ بن بَشيرٍ ، وأَنَّها قالَتْهُ في الفَيْضِ بن عَقيلٍ الثَّقفيِّ ؛ فَمَنْ رَواهُ لِحُمَيْدَةَ رَوى :

وَمـا أَنـا إِلاَّ مُهْـرَةٌ عَـرَبِيَّـةٌ

وَكانَتْ حُميدَةُ في أَوَّلِ أَمْرِها تحتَ الحارِثِ بن خالِدٍ المَخزوميّ ، فتَرَكَتْهُ ، وَقالَتْ فِيهِ[4] : [من المتقارب]

فَقَـدْتُ الشُّيُـوخَ وَأَشْيـاعَهُـمْ ... وَذَلِـكَ مِـن بَعْـضِ أَقْـوالِيَـهْ
تَـرى زَوْجَـةَ الشَّيْـخِ مَغْمُـومَـةً ... وَتُمْسِـي لِصُحْبَتِـهِ قـالِيَـهْ

فَطَلَّقَها الحارِثُ ، وَتَزَوَّجَها رَوْحُ بنُ زِنْباعٍ ، فَتَرَكَتْهُ ، وَقَلَتْهُ ، وَهَجَتْهُ ، فقالَتْ فِيهِ[5] : [من الطويل]

بَكَى الخَزُّ مِن رَوْحٍ وَأَنْكَرَ جِلْدَهُ ... وَعَجَّتْ عَجِيجاً من جُذامَ المَطارِفُ
وَقالَ العَباءُ : نَحْنُ كُنَّا ثِيابَهُمْ ... وَأَكْسِيَةٌ مَطْرُوحَةٌ وَقَطائِفُ

فَطَلَّقَها رَوْحٌ ، وَقالَ : سَاقَ اللهُ إِلَيْكِ فَتىً يَسْكَرُ وَيَقيءُ في حِجْرِكِ ؛ فَتَزَوَّجَها الفَيْضُ بن عَقيلٍ الثَّقفيّ ، فَكانَ يَسْكَرُ وَيَقيءُ في حِجْرِها ، فَكانَتْ

---

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب للبطليوسيّ ٢/ ٢٨ ـ ٢٩ و ٣/ ٤٩ .
(٢) زاد البطليوسيّ : عن أبي عليّ البغداديّ (= القالي) .
(٣) الاقتضاب ٢/ ٢٨ ـ ٢٩ و ٣/ ٤٩ ـ ٥٠ والأغاني ٩/ ٢٢٧ وما بعد .
(٤) الاقتضاب ٢/ ٢٩ و ٣/ ٥٠ . وهما من قطعة بلا نسبة في الحماسة بشرح المرزوقيّ ٤/ ١٨٤٠ .
(٥) الاقتضاب ٢/ ٢٩ و ٣/ ٥٠ وسمط اللآلي ١/ ١٨٠ والأغاني ٩/ ٢٢٩ وبلاغات النِّساء ١٣٢ .

تَقُولُ : أُجِيبَتْ فِيَّ دَعْوَةُ رَوْحِ بنِ زِنْباعٍ ؛ وَكانَتْ تَهْجُوهُ وَتَقُولُ[1] : [من البسيط]

سُمِّيْتَ فَيْضاً وَما شَيْءٌ تَفِيضُ بِهِ ... إلاَّ بِسَلْحِكَ بَيْنَ البابِ وَالدَّارِ
فَتِلْكَ دَعْوَةُ رَوْحِ الخَيْرِ أَعْرِفُها ... سَقَى الإِلَهُ ثَراهُ الأَوْطَفَ السَّارِي

● قالَ البَطَلْيَوْسيّ[2] : قد أَنْكَرَ كَثِيرٌ من النَّاسِ رِوايَةَ « بَغْل » بالباءِ ، لأَنَّ البَغْلَ لا يَنْتَجُ .

قالُوا : وَالصَّوابُ : « نَغْلٌ » بِالنُّونِ ، وَهوَ الخَسيسُ من الدَّوابِّ .

● وفي « سُنَنِ البيهقيّ » في « كِتابِ البُيُوعِ »[3] :

أَنَّ عَبْدَ الرَّحمن بن عَوف اشْتَرى من عُثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما فَرَساً بأَرْبعينَ أَلْفاً .

● وَالفَرَسُ الذي اشْتَراهُ النَّبيُّ ﷺ من الأَعرابيِّ ، وَشَهِدَ لَهُ بِهِ خُزَيْمَةُ ، اسْمُهُ المُرْتَجِزُ ، واسْمُ الأَعرابيِّ سَواءُ بنُ الحارِثِ المُحاربيّ[4] ؛ وَكانَ النَّبيُّ ﷺ ابْتاعَهُ منهُ ، فَاسْتَتْبَعَهُ لِيَقْبِضَ ثَمَنَهُ مِنهُ ، فَأَسْرَعَ النَّبيُّ ﷺ المَشْيَ ، وَأَبْطَأَ الأَعْرابيُّ ، فَسَاوَمَهُ رِجالٌ لا يَشعرُونَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ابْتاعَهُ منهُ ، فَنادَى الأَعرابيُّ : إِنْ كُنْتَ مُبْتاعاً هذا الفَرَسَ وإِلاَّ بِعْتُهُ ؛ فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « أَوَ لَيْسَ قد

---

(١) الاقتضاب ٢/ ٢٩ و ٣/ ٥٠ وسمط اللآلي ١/ ١٨٠ والأغاني ٩/ ٢٣٢ وبلاغات النِّسَاءَ ١٣٥ .

(٢) الاقتضاب ٢/ ٢٩ و ٣/ ٤٩ .

(٣) وأبو داود (٣٦٠٧) والنَّسائيّ (٤٦٤٧) والحاكم في المستدرك ٢/ ١٧ و ١٨ وأحمد في المسند ٥/ ٢١٥ ـ ٢١٦ وابن سعد ٥/ ٢٩٧ وأُسد الغابة ٢/ ١٣٣ والمُرَصَّع ٢١٧ وفضل الخيل ١٦٥ وينظر ثمار القلوب ١/ ٤٤٩ و ٢/ ١٠٠٢ .

(٤) كذا ! وهو خلطٌ بين اسمين : سواء بن الحارث النَّجَّاريّ [ترجمته في أُسد الغابة ٢/ ٤٨٢] ، وسواء بن قيس المحاربيّ صاحب الفرس [ترجمته في أُسد الغابة ٢/ ٤٨٣] . وفي الأُصول : سواد . . . ! . وفي مستدرك الحاكم كالمثبت أعلاه .

ابْتَعْتُهُ مِنْكَ ؟ » فَقَالَ الأَعرابيُّ : لا واللهِ ؛ وَطَفِقَ الأعرابيُّ يَقُولُ : هَلُمَّ بشَهيدٍ ؛ فقالَ خُزيمةُ : أَنا أَشْهَدُ ؛ فَأَقْبَلَ النَّبيُّ ﷺ على خُزَيْمَةَ ، فقالَ : « بِمَ تَشْهَدُ ؟ » قالَ : بتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ الله ؛ فَجَعلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهادَةَ خُزَيْمَةَ بشَهادَةِ رَجُلَيْنِ .

● أَخْرَجَهُ « أَبو داود » و« النَّسائيّ » و« الحاكم » .

وَفي رِوايَةٍ في الحَدِيثِ : « هَلْ حَضَرْتَنا يَا خُزَيْمَةُ ؟ قالَ : لا . قال : « فَكَيفَ تَشْهَدُ بذلكَ ؟ » فقالَ خُزَيْمَةُ : بِأَبي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، أُصَدِّقُكَ على أَخْبارِ السَّماءِ ، وَما يَكُونُ في غَدٍ ، وَلا أُصَدِّقُكَ في ابْتِياعِكَ هذا الفَرَسَ ؟ فقالَ عَليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « إِنَّكَ لَذُو الشَّهادَتَيْنِ يَا خُزَيْمَةُ » .

وَفي رِوايَةٍ صَحيحَةٍ عندَ الطَّبرانيّ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ ، أَوْ شَهِدَ عَلَيْهِ ، فَحَسْبُهُ » .

قالَ السُّهيليُّ : وَفي « مُسْنَدِ الحارِثِ » زِيادَةٌ ، وَهِيَ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَدَّ الفَرَسَ على ذلكَ الأَعرابيِّ ، وَقالَ : « لا بارَكَ اللهُ لَكَ فِيها » . فَأَصْبَحَتْ من الغَدِ شائِلَةً بِرِجْلَيْها : أَي ماتَت .

● وَمِنْ أَغْرَبِ ما اتَّفَقَ لِخُزَيْمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، ما رَواهُ « الإِمامُ أَحمدُ » من عِدَّةِ طُرُقٍ ، بِرجالٍ ثِقاتٍ[1] : أَنَّهُ رَأَى في النَّوْمِ ، أَنَّهُ سَجَدَ على جَبْهَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجاءَ النَّبيُّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذلكَ ، فاضْطَجَعَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ فَسَجَدَ خُزيمةُ على جَبْهَتِهِ .

● وَفي « مسند الإمامِ أَحمد »[2] : عن رَوْحِ بنِ زِنْباعٍ أَنَّهُ رَوى عن تَميمٍ

---

(١) مسند أَحمد ٥/ ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ وابن سعد ٥/ ٢٩٩ .

(٢) مسند أَحمد ٤/ ١٠٣ وابن ماجه (٢٧٩١) ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٤٠ والخيل لابن جزيّ ٤٢ وجرّ الذَّيل ٤٩ .

الدَّاريّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قالَ : إنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ نَقَّى لِفَرَسِهِ شَعِيراً ، ثمَّ جاءَهُ حَتَّى يَعْلِفَهُ ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ شعيرَةٍ حَسَنَةً » . وَرَواهُ « ابنُ ماجه » بِمَعْناهُ .

● وَفي كُتُبِ الغَرِيبِ[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الرَّجُلَ القَوِيَّ ، المُبْدِيءَ المُعِيدَ على الفَرَسِ » .

المُبْدىءُ المُعِيدُ : أَي الذي أَبْدَى في غَزْوَةٍ ، وَأَعادَ فَغَزا مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ ، أَي جَرَّبَ الأُمُورَ طَوْراً بَعْدَ طَوْرٍ .

والفَرَسُ المُبدىءُ المُعيدُ : أَي الذي غَزا عليْهِ صاحِبُهُ مَرَّةً بعدَ أُخرى ؛ وَقِيلَ : هُوَ الذِي قد رُيِّضَ وأُدِّبَ وَصارَ طَوْعَ راكِبِهِ .

● وَفي « الصَّحيح »[2] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَكِبَ فَرَساً مَعْرُوراً لأَبي طَلْحَةَ ، وَقالَ : « إِنْ وَجَدْناهُ لَبَحْراً » .

● وَفي « الفائِقِ »[3] : إِنَّ أَهْلَ المَدينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً ، فَرَكِبَ ﷺ فَرَساً مُقْرِفاً ، وَرَكَضَ في آثارِهِم ، فَلَمَّا رجعَ قالَ : « إِنْ وَجَدْناهُ لَبَحْراً » .

قالَ حَمَّادُ بن سَلَمَةَ : كان هَذَا الفَرَسُ بَطِيئاً ، فَلَمَّا قالَ النَّبيُّ ﷺ هذا القَوْلَ ، صارَ سابِقاً لا يُلْحَقُ .

● وَرَوَى « النَّسائيُّ » و« الطَّبرانيُّ »[4] من حَديثِ عبدِ اللهِ بن أَبي الجَعْدِ ،

---

(١) عن النِّهاية ٣/٣١٦ .
(٢) البخـاريّ ٣/١٤٣ و ٢٠٩ و ٢١٦ ـ ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٨ و ٤/١٠ و ١١ و ٢٧ ومسلم (٢٣٠٧) وأبو داود (٤٩٨٨) والتِّرمذيّ (١٦٨٥ ـ ١٦٨٧) وابن ماجه (٢٧٧٢) والخيل لأبي عبيدة ١١٥ .
(٣) والنِّهاية ١/٩٩ .
(٤) وابن عبد البرّ في الاستيعاب ١/٢٤٦ وابن الأثير في أُسد الغابة ١/٣٤٥ .

أخي سالم بن أَبي الجَعْدِ ، عن جُعَيْلٍ الأَشْجعيّ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ قالَ : خرجْتُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ في بَعضِ غَزَواتِهِ ، وَأَنا على فَرَسٍ عَجْفاءَ ، فَكُنتُ في آخِرِ النَّاسِ ، فَلَحِقَني النَّبيُّ ﷺ فقالَ : « سِرْ يا صاحِبَ الفَرَسِ » فقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّها فَرَسٌ عَجْفاءُ ضَعيفَةٌ .

قالَ : فَرَفَعَ ﷺ مِخْفَقَةً كانَتْ معَهُ ، فَضَرَبَها بها ، وَقالَ : « اللَّهُمَّ بارِكْ لَهُ فِيها » . فَلَقد رَأَيْتُني ما أَمْلِكُ رَأْسَها ، حَتَّى صِرْتُ قُدَّامَ القَوْمِ ، وَلَقد بِعْتُ من بَطْنِها باثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً .

● وَرُوِيَ[1] عن خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّه كان لا يَركبُ في القِتالِ إلاَّ الإناثُ ، لِقِلَّةِ صَهِيلِها .

● قالَ ابنُ مُحيريز[1] : كان الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم يَسْتَحِبُّونَ ذُكُورَ الخَيْلِ عندَ الصُّفُوفِ ، وإِناثَ الخَيلِ عِندَ البَياتِ والغاراتِ .

● رَوى « البُخاريُّ »[2] عن سعيد المَقْبُريّ ، أَنَّهُ قالَ : سَمِعْتُ أَبا هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه يَقُولُ : قالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَنِ احْتَبَسَ فَرَساً في سَبيلِ اللهِ تَعالى إِيْماناً بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، واحْتِساباً ، وَتَصْديقاً بِوَعْدِهِ ؛ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ في مِيْزانِهِ يَوْمَ القِيامَةِ » . يَعني حَسَناتٍ .

● وَرَوى « مالك »[3] عن زَيْد بن أَسْلَمَ ، عن أَبي صالح ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « الخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ ، وَلِرَجُلٍ

---

(١) فضل الخيل ١١٠ .

(٢) البخاريّ ٣/ ٢١٦ والنَّسائيّ (٣٥٨٢) ومسند أَحمد ٢/ ٣٧٤ والمستدرك ٢/ ٩٢ .

(٣) المُوَطَّأ ٢/ ٤٤٤ والبخاريّ ٣/ ٢١٧ ومسلم (٩٨٧) والنَّسائيّ (٣٥٦٣) وابن ماجه (٢٧٨٨) والمسند ١/ ٣٩٥ و ٢/ ٢٦٢ و ٣٨٣ وجرّ الذَّيل ٣٢ و ٣٣ وفضل الخيل ٦٣ و ٦٥ .

سِتْرٌ ، وَعلى رَجُلٍ وِزْرٌ .

فَأَمَّا الذي هيَ لهُ أَجْرٌ : فرجلٌ رَبَطَها في سَبيلِ اللهِ تَعالى ، فَأَطالَ لَها في مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ ، فَما أَصابَتْ في طِيَلِها ذلكَ من المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ ، كانَتْ لَهُ حَسَناتٍ ؛ وَلو أَنَّها قَطَعَتْ طِيَلَها ذلكَ ؛ فاسْتَنَّتْ شَرَفاً أَو شَرَفَيْنِ ، كانَتْ أَبْوالُها وَأَرْواثُها لَهُ حَسَناتٍ ، وَلَوْ أَنَّها مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ منهُ ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ تُسْقى منهُ ، كان ذلكَ لَهُ حَسَناتٍ ؛ فهيَ لذلكَ أَجْرٌ .

وَرَجُلٌ رَبَطَها تَغَنِّياً وَتَعَفُّفاً ، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ تَعالى في رِقابِها ولا ظُهُورِها ، فهيَ لذلكَ سِتْرٌ .

وَرَجُلٌ رَبَطَها فَخْراً ورِياءً ونِواءً[1] لأَهْلِ الإِسْلامِ ، فهيَ على ذلكَ وِزْرٌ » .

وَسُئِلَ ﷺ عن الحُمُرِ ، فقالَ : ما أَنْزَلَ اللهُ عليَّ فِيها شَيْئاً إلاَّ هذهِ الآيَةَ الجامِعَةَ الفاذَّةَ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزَّلزلة : ٧ ـ ٨] وقد تَقَدَّمَ قَريبٌ من ذلكَ .

● وَرَوَى ابْنُ حِبَّان في « صَحيحِهِ »[2] عن أَبي عامر الهَوْزَنيّ ، عن ابنِ كَبْشَةَ الأَنْماريّ ـ واسْمُهُ عَمرو بن سَعد ـ أَنَّه أَتاهُ فقالَ : أَطْرِقْني فَرَسَكَ ، فإِنِّي سَمعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقول : « مَنْ أَطْرَقَ فَرَساً ، فَعُقِبَ لَهُ ، كان لَهُ كَأَجْرِ سَبعِينَ فَرَساً حُمِلَ عليها في سَبيلِ اللهِ تَعالى ؛ وإِنْ لَمْ يُعْقِبْ كان كَأَجْرِ فَرَسٍ حُمِلَ عليْها في سَبيلِ اللهِ » .

● وَفي طَبْعِ الفَرَسِ[3] : الزَّهْوُ وَالخُيَلاءُ ، وَالسُّرُورُ بِنَفْسِهِ ، وَالمَحَبَّةُ لِصاحِبِهِ .

---

(١) النِّواء : المعاداة . (النِّهاية ٥/١٢٣) .

(٢) ابن حبَّان (٤٦٧٩) .

(٣) جرّ الذَّيل ١١٧ ـ ١١٨ نقلاً .

وَمِنْ أَخْلاقِهِ الدَّالَّةِ على شَرَفِ نَفْسِهِ وَكَرَمِهِ : أَنَّهُ لا يَأْكُلُ بَقِيَّةَ عَلَفِ غَيْرِهِ .

وَمن عُلُوِّ هِمَّتِهِ : أَنَّ أَشْقَرَ مَروان ، كان سائِسُهُ لا يَدخلُ عليْهِ إلاَّ بإِذْنٍ ، وَهوَ أَن يُحَرِّكَ لَهُ المِخْلاةَ ؛ فإِنْ حَمْحَمَ دَخَلَ ، وَإِنْ دَخَلَ وَلَمْ يُحَمْحِمْ شَدَّ عليه .

وَالأُنثى من الخَيلِ ذاتُ شَبَقٍ شَديدٍ ، وَلذلكَ تُطِيعُ الفَحْلَ من غيرِ نَوْعِها وَجِنْسِها .

● قالَ الجاحِظُ : وَالحَيْضُ يَعْرِضُ للإِناثِ منهنَّ ، لكنَّهُ قَليلٌ ، والذَّكَرُ يَنْزُو إلى تَمامِ أَربعِ سِنينَ ؛ وَرُبَّما عُمِّرَ إلى تِسْعِينَ ؛ وَالفَرَسُ يَرى المناماتِ كَبَني آدَمَ .

وَفي طَبْعِهِ : أَنَّهُ لا يَشْرَبُ المَاءَ إلاَّ كَدِراً ، فإِذا رآهُ صافِياً كَدَّرَهُ ؛ وَيُوصَفُ بِحِدَّةِ البَصَرِ ؛ وإِذا وَطِيءَ على أَثَرِ الذِّئْبِ ، خَدِرَتْ قوائِمُهُ حَتَّى لا يَكادَ يَتَحَرَّكُ ، وَيخرُجُ الدُّخانُ من جِلْدِهِ .

● قالَ الجَوْهَرِيُّ[1] : وَيُقالُ : إِنَّ الفَرَسَ لا طِحالَ لَهُ ، وَهو مَثَلٌ لِسُرْعَتِهِ وَحَرَكَتِهِ ؛ كَما يُقالُ : البَعِيرُ لا مَرارَةَ لَهُ ، أَي لا جَسارَةَ لَهُ .

● وَأَفادَ الإِمامُ أَبُو الفَرَجِ ابن الجَوزيّ : أَنَّ من واظَبَ على البَداءَةِ في لُبْسِ النَّعْلِ بِاليَمِينِ والخَلْعِ بِاليَسارِ ، أَمِنَ من وَجَعِ الطِّحالِ .

● وَأَفادَ غيرُهُ : أَنَّ « سُورَةَ المُمْتَحِنَةَ » إذا كُتِبَتْ وَغُسِلَتْ ، وَسُقِيَ المَطْحُولُ مَاءَها ، فإِنَّهُ يَبْرَأُ بإِذْنِ اللهِ تعالى .

● وَمِمَّا جُرِّبَ أَيضاً فَوُجِدَ نافِعاً ، أَنْ تُكْتَبَ هذه الحُرُوفُ على قِطْعَةِ فَرْوَةٍ ، وَتُعَلَّقَ على الجانِبِ الأَيْسَرِ ، وَتُتْرَكَ بِطُولِ الجُمُعَةِ ؛ وهذِهِ صُورةُ

---

(١) الصِّحاح « طحل » ٥/ ١٧٥٠ .

ما تكتبُ :

اداح ح هم مامل ملما   محد إلى راى   ٨٩٧٣

صالح صح وصح م له   صالح دو مانع من إلى أن تنصره ومره

● وَممَّا جُرِّبَ للطِّحالِ أَيْضاً : أَنْ يُكتبَ وَيُعَلَّقَ على العَضُدِ الأَيْسَرِ ، وَهُو هذا :

٢٥٩٤٨١٩٢٣ ح ح د د صوع

● وَمِمَّا جُرِّبَ للطِّحالِ أَيْضاً : أَن يُكتبَ في وَرَقةٍ ، وَيُحْرَقَ في مِلعقَةٍ على الطِّحالِ : **وعلم تضميرهم**

● وَمِمَّا جُرِّبَ أَيْضاً : أَنْ يُكتبَ في يَوْمِ السَّبتِ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَيُرْبَطَ بِخيطِ صُوفٍ ، وَيُعَلَّقَ على الجانِبِ الأَيْمَنِ مثلَ تَعليقِ السَّيْفِ ؛ وَهُو هذا كَما ترى :

ح ح ه د م ص ها ا ص

اح ا ا ح ماتت إلى الأَبد

● وَروينا في كتاب « المجالسة »[1] للدِّيْنَوَريّ المالِكيّ ، في أَوَّلِ الجُزءِ العاشِرِ : عن إِسماعيل بن يُونس ، قالَ : سَمِعْتُ الرِّياشيّ يَقُولُ : عن أَبي عُبيدةَ وَأَبي زَيْدٍ أَنَّهما قالا :

الفَرَسُ لا طِحالَ لَهُ ، وَالبَعِيرُ لا مَرارَةَ لَهُ ، وَالظَّلِيمُ لا مُخَّ لَهُ .

قالَ أَبو زَيْدٍ : وكذلكَ طَيْرُ الماءِ ، وَحِيْتانُ البَحْرِ ، لا أَلْسِنَةَ لها وَلا أَدْمِغَةَ ، والسَّمَكُ لا رِئَةَ لَهُ ، ولذلكَ لا يَتَنَفَّسُ ؛ وَكُلُّ ذِي رِئَةٍ يَتَنَفَّسُ .

● وَرَوى الجَماعَةُ إِلاَّ « ابنُ ماجه » من حَديثِ مالِكٍ ، عن الزُّهريّ ، عن

---

(١) المجالسة ٤/١٩٩ وعيون الأخبار ٢/٦٩ وجرّ الذيل ١١٧ .

سالِمٍ وحمزةَ ابنَيْ عبدِ اللهِ بن عُمر ، عن أَبيهِما رَضِيَ اللهُ عنهم ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِنْ يَكُنِ الخَيْرُ في شَيْءٍ ، ففي ثَلاثٍ : المرْأَةِ وَالدَّارِ والفَرَسِ » .

وَفي رِوايَةٍ : « الشُّؤْمُ في ثَلاثٍ : المَرْأَةِ والدَّارِ والفَرَسِ » .

وَفي رِوايَةٍ : « الشُّؤْمُ في أَرْبَعٍ : المَرْأَةِ وَالدَّارِ والفَرَسِ والخادِمِ »[1] .

قُلْتُ : وَقَدِ اختلفَ العُلماءُ في مَعنى هذا الحَديثِ ؛ فقيلَ : مَعناهُ على اعْتِقادِ النَّاسِ في ذلكَ ، لا أَنَّهُ خَبَرٌ من النَّبيِّ ﷺ عن إِثْباتِ الشُّؤْمِ .

● وَرُويَ ذلكَ عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ؛ ففي « مُسند أَبي داود الطَّيالسيّ »[2] عنها ، أَنَّهُ قِيلَ لَها : إِنَّ أَبا هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ يَقُولُ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الشُّؤْمُ في ثَلاثٍ : المَرْأَةِ والدَّارِ والفَرَسِ » . فقالَتْ عائِشةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها : لَمْ يَحْفَظْ أَبو هُريرةَ ، لأَنَّهُ دَخلَ ورَسُولُ اللهِ ﷺ يقُولُ : « قاتَلَ اللهُ اليَهُودَ ، يَقُولُونَ : الشُّؤْمُ في ثَلاثٍ : المرأَةِ والدَّارِ والفَرَسِ » . فَسَمِعَ آخِرَ الحَديثِ ، وَلَمْ يَسْمَع أَوَّلَهُ . اهـ .

قالَ البَطَلْيَوْسيّ : وهذا غيرُ مُنْكَرٍ أَن يعرضَ ، لأَنَّهُ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كان يَذْكُرُ في مَجالِسِهِ الأَخْبارَ حِكايَةً ، وَيَتَكَلَّمُ بِما لا يُرِيدُ بِهِ أَمْراً ولا نَهْياً ، وَلا أَنْ يَجْعَلَهُ أَصْلاً في دِينِهِ ، وذلكَ مَعلومٌ من فِعْلِهِ ، مَشْهُورٌ من قَوْلِهِ .

وَهذا نَظِيرُ ما اتَّفَقَ في قَوْلِهِ ﷺ : « إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكاءِ أَهْلِهِ عليْهِ » وهو في « الصَّحيحين » . لكنْ قالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها : إِنَّما مَرَّ

---

(١) مجموع هذه الرِّوايات في : البخاريّ ٣/٢١٧ ومسلم (١٧٤٧) وأَبو داود (٣٩٢٢) والنَّسائيّ (٣٥٦٨ ـ ٣٥٧٠) والتِّرمذيّ (٢٨٢٤) وابن ماجه (١٩٩٣ ـ ١٩٩٥) ومسند أَحمد ٢/ ٨٥ و ٢٨٩ و ٦/ ٢٤٠ وجرّ الذَّيل ٤٢ وفضل الخيل ١١١ ـ ١٢٠ .

(٢) مسند أَبي داود الطَّيالسيّ ٢١٥ وجرّ الذَّيل ٤٥ والإِجابة لإِيراد ما استدركته عائشة على الصَّحابة ١٢٧ ـ ١٣٠ .

رسولُ اللهِ ﷺ على يَهُودِيَّةٍ وهم يَبْكُونَ عليْها ، فقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « إِنَّهم يَبْكُونَ ، وإِنَّها لَتُعذَّبُ بِبُكاءِ أَهْلِها عَلَيْها » .

وَقالَ مالِكٌ وطائِفَةٌ : قَولُهُ ﷺ : « الشُّؤْمُ في ثَلاثٍ » الحَديثُ على ظاهِرِه ؛ فإِنَّ الدَّارَ قد يَجْعَلُ اللهُ سُكْناها سَبَباً للضَّرَرِ والهَلاكِ ، وَكذلكَ المرأَةُ والفَرَسُ والخادِمُ ، يجعلُ اللهُ الهَلاكَ أَوِ الضَّرَرَ عندَ وُجُودِهم بِقَضاءِ اللهِ وَقَدَرِه .

وَقالَ ابنُ القاسم : سُئِلَ مالِكٌ عن هذا ، فقالَ : كَم من دَارٍ سَكَنَها قَوْمٌ فَهَلَكُوا ، ثم سَكَنَها آخَرُونَ فَهلَكوا ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ عامٌّ على ظاهِرِهِ .

وَقالَ الخَطَّابيُّ وَكَثيرُونَ : هو في مَعْنى الاسْتِثْناءِ من الطِّيَرَةِ : أَي إِنَّ الطِّيَرَةَ مَنْهِيٌّ عنها ، إِلاَّ أَن يَكُونَ لَهُ دارٌ يَكرَهُ سَكَنَها ، أَوِ امرأَةٌ يَكْرَهُ صُحْبَتَها ، أَو فَرَسٌ ، أَو خادِمٌ يَكْرَهُ إِقامَتَهما ؛ فَلْيُفارِقِ الجَمِيعَ بِالبَيْعِ وَنَحْوِهِ ، وَطَلاقِ المرأَةِ .

وَقالَ آخَرُونَ : شُؤْمُ الدَّارِ : ضِيْقُها ، وَسُوءُ جِيْرانِها وَأَذاهُم ؛ وَشُؤْمُ المرأَةِ : عَدَمُ وِلادَتِها ، وَسَلاطَةُ لِسانِها ، وَتَعَرُّضُها للرِّيَبِ ؛ وَشُؤْمُ الفَرَسِ : أَنْ لا يُغْزى عليْها ؛ وَقِيلَ : حِرانُها وَغَلاءُ ثَمَنِها ؛ وَشُؤْمُ الخادِمِ : سُوءُ خُلُقِه ، وَقِلَّةُ تَعَهُّدِهِ لِما فُوِّضَ إِليه ؛ وَقيلَ : المُرادُ بِالشُّؤْمِ هُنا ، عَدَمُ المُوافَقَةِ .

وَاعْتَرَضَ بعضُ المُلْحِدَةِ بِحديثِ « لا طِيَرَةَ » على هذا ، وَأَجابَ ابنُ قُتيبةَ وغيرُهُ : بِأَنَّ هذا مَخْصوصٌ من حَديثِ « لا طِيَرَةَ » أَي : لا طِيَرَةَ إِلاّ في هذهِ الثَّلاثَةِ .

قَالَ الحافِظُ الدِّمياطيُّ[1] : وَمِنْ أَغْرَبِ ما وَقَعَ لِي في تَأْوِيلِه ، ما رَوَيْناهُ

---

(١) فضل الخيل ١١٩ .

بالإسْنادِ الصَّحيحِ عن يُوسف بن مُوسى القَطَّان ، عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن الزُّهْريِّ ، عن سالِم ، عن أَبيهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « البَرَكَةُ في ثَلاثٍ : في الفَرَسِ والمَرْأَةِ وَالدَّارِ » .

قالَ يُوسفُ : سَأَلْتُ سُفيان بن عُيَيْنة عن مَعنى هذا الحَديثِ ، فقالَ سُفيانُ : سَأَلْتُ عنهُ الزُّهريَّ ، فقالَ الزُّهريُّ : سَأَلْتُ عنهُ سالِماً ، فقالَ سالِمٌ : سَأَلْتُ عنهُ أَبي عبدَ الله بن عُمر ، فقالَ عبدُ الله بن عُمر : سَأَلْتُ عنهُ النَّبيَّ ﷺ فقالَ : « إذا كان الفَرَسُ ضَرُوباً ، فهوَ مَشْؤُومٌ ؛ وإذا كانَتِ المَرْأَةُ قد عَرَفَتْ زَوْجاً غيرَ زَوْجِها ، فَحَنَّتْ إلى الزَّوْجِ الأَوَّلِ ، فهيَ مَشؤُومَةٌ ؛ وإذا كانَتِ الدَّارُ بَعيدَةً عن المسجدِ ، فَلا يُسْمَعُ فِيها الأَذانُ والإقامَةُ ، فهيَ مَشْؤُومَةٌ ؛ وإذا كُنَّ بغَيرِ هذِهِ الصِّفاتِ فَهُنَّ مُبارَكاتٌ » .

وَفِي « المُوَطَّأ »[1] : أَنَّ رَجُلاً أَخْبَرَ النَّبيَّ ﷺ أَنَّهم سَكَنُوا داراً ، وَعَدَدُهُم كَثيرٌ ، وَمالُهُم وافِرٌ ؛ فَقَلَّ العَدَدُ ، وَذَهَبَ المالُ ؛ فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « دَعُوها ذَميمَةً » . وَأَمَرَهم ﷺ بالخُرُوجِ مِنْها لاعْتِقادِهِم ذلكَ فِيها ، وَظَنِّهم أَنَّ الذَّهابَ للعَدَدِ والنَّفادَ للمالِ ، إنَّما كانَ مِنْها ، وَلَيْسَ كَما ظَنُّوا ؛ ولكنَّ البارِي سُبْحانَهُ وَتَعالَى جعلَ ذلكَ وَقْتاً لِظُهُورِ قَضائِهِ وَقَدَرِهِ ، فَيَجهلُ الخَلْقُ ذلكَ ، فَيَنْسُبُونَهُ إلى الجَمادِ الذي لا يَنْفعُ وَلا يَضُرُّ ؛ وَهذا كَقَوْلِهِ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ، وَلا يُورِدْ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » . لأَنَّ اللهَ تَعالى يَخْلُقُ الجَرَبَ في الصَّحِيحِ ، فيعتقدُ المُصِحُّ أَنَّ ذلكَ من الجَرَبِ ، فَيَتَأَذَّى قَلْبُهُ وَدِيْنُهُ .

وَقد تَقَدَّمَتِ الإشارَةُ إلى ذلكَ .

وهذِهِ الدَّارُ كانَتْ دَارَ الأَسْوَدِ بن عَوْفٍ ، أَخِي عَبْدِ الرَّحْمنِ بن عَوفٍ

---

(١) الموطأ ٢/ ٩٧٢ وأبو داود (٣٩٢٤) .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَهُوَ السَّائِلُ .

● وَفي « سُنَنِ أَبي داود »[1] من حَدِيثِ فَرْوَةَ بن مُسَيْكٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرْضٌ عِنْدَنا يُقالُ لَها : أَرْضُ أَبْيَنَ ، هِي أَرْضُ رِيْفِنا ومِيْرَتِنا ، وإِنَّها وَبِئَةٌ ـ أَو قالَ : وَباؤُها شَديدٌ ـ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « دَعْها عَنْكَ ، فإِنَّ من القَرَفِ التَّلَفُ » .

قالَ ابْنُ الأَثيرِ[2] : القَرَفُ : مُلابَسَةُ الدَّاءِ ، وَمُداناةُ المَرَضِ . وَالتَّلَفُ : الهَلاكُ .

وهذا لَيْسَ من بابِ العَدْوَى ، وإِنَّما هُو من بابِ الطِّبِّ ، فإِنَّ اسْتِصْلاحَ الهواءِ من أَعْوَنِ الأَشْياءِ على صِحَّةِ الأَبْدانِ ؛ وَفَسادُ الهَواءِ من أَسْرَعِ الأَشْياءِ إِلى الأَسْقامِ .

● **فائِدَةٌ** : قالَ السُّهيليُّ في الكَلامِ على غَزْوَةِ ذِي قَرَدٍ[3] : في الفَرَسِ عِشْرُونَ عُضْواً[4] ، كُلُّ عُضْوٍ مِنْها يُسَمَّى باسْمِ طائِرٍ ، فَمِنْها : النَّسْرُ ، وَالنَّعامَةُ ، وَالهامَةُ ، والباز ، وَالسَّمامَةُ ، وَالسَّعْدانَةُ ـ وهِيَ الحَمامَةُ ـ وَالقَطاةُ ، وَالذُّبابُ ، والعُصْفُورُ ، والغُرابُ ، وَالصُّرَدُ ، وَالخَرَبُ ـ وهو ذَكَرَ الحُبارى ـ ، والنَّاهِضُ ـ وهو فَرْخُ العُقابِ ـ والخُطَّافُ ؛ ذَكَرَها وَبَقِيَّتَها الأَصْمعيُّ ، وَرَوى فِيها شِعْراً لِجَريرٍ[5] .

---

(١) أَبو داود (٣٩٢٣) .

(٢) النِّهاية ٤/ ٤٦ .

(٣) الرَّوض الأُنف ٧/ ١٢ . وأَسماء الطَّير في الفرس ، في : الخيل لأَبي عُبيدة ١٥٣ وحلية الفرسان ٦٣ ونوادر القالي ١٩٣ وأَخبار الزَّجّاجيّ ٢١٢ والمزهر ١/ ٣٧٧ وجرّ الذَّيل ٧٧ ـ ٨١ .

(٤) أَوصلها السُّيوطيّ إِلى خمسة وثلاثين اسماً ، ونظمها في أُرجوزة سمَّاها : « حُسْنُ السَّيْرِ ، فِيما في الفرس من أَسماء الطَّير » تجدها في جرِّ الذَّيل ٨٠ ـ ٨١ .

(٥) خبر الأَصمعيّ مع الرَّشيد ، وإِنشاده شعراً لجرير ، في : العقد الفريد ١/ ١٦٦ ـ ١٧٢ وحلية=

● تَتِمَّةٌ : رَوَى « الإمامُ أَحمد »[1] بإِسْنادٍ صَحيحٍ ، عن أَبي الطُّفَيْلِ : أَنَّ رَجُلاً وُلِدَ لَهُ غُلامٌ على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَتى بِهِ النَّبيَّ ﷺ ، فَأَخَذَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِبَشَرَةِ جَبْهَتِهِ ، وَدَعا لَهُ بالبَرَكَةِ ، فَنَبَتَتْ شَعْرَةُ جَبْهَتِهِ كَهَيْئَةِ غُرَّةِ الفَرَسِ[2] ، وَشَبَّ الغُلامُ .

فَلَمَّا كان زمنُ الخَوارِجِ أَحَبَّهُم ، فَسَقَطَتِ الشَّعْرَةُ من جَبْهَتِهِ ، فَأَخَذَهُ أَبُوهُ فَقَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ ، مَخافَةَ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ .

قالَ : فَدَخَلْنا عَلَيْهِ فَوَعَظْناهُ ، وَقُلْنا لَهُ : أَلَمْ تَرَ إِلى بَرَكَةِ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَيفَ وَقَعَتْ من جَبْهَتِكَ ؟ فما زِلْنا بِهِ حتَّى رَجَعَ عن رَأْيِهم ؛ فَرَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الشَّعْرَةَ بعدُ في جَبْهَتِهِ وَتَابَ ، وَلَمْ تَزَلْ إِلى أَنْ ماتَ » .

● وَرَوَى « الطَّبرانيُّ »[3] عن عائذ بن عَمرو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قالَ : أَصابَتْنِي رَمْيَةٌ وَأَنا أُقاتِلُ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنين في وَجْهي ؛ فَلَمَّا سالَتِ الدِّماءُ على وَجْهِي وَلِحْيَتِي وَصَدْرِي ، سَلَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدِّماءَ عَنِّي ، ثمَّ دَعا لِي ، فَكانَ ذلكَ المَوْضِعُ الذي أَصابَتْهُ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ في صَدْرِي ، لَهُ غُرَّةٌ سائِلَةٌ كَغُرَّةِ الفَرَسِ » .

● وَذَكَرَ ابْنُ ظَفَر في « أَعلامِ النُّبُوَّةِ »[4] : أَنَّ حَبْراً يَهُودِيّاً أَوطَنَ مَكَّةَ ، فَأَتى ذاتَ غُدْوَةٍ إِلى مَجْلِسٍ فِيهِ مَلأٌ من بَنِي عبدِ مَناف وَبَني مَخْزُومٍ ، فقالَ :

= الفرسان ٦٤ ـ ٦٧ .

(١) مسند أحمد ٥/ ٤٥٦ .

(٢) كذا في ط . وفي أ : كغرَّة الفرس ! وفي ب : كهيئة الفرس ! . وفي المسند : **كهيئة القوس** .

قلت : وعليه ، فلا شاهد فيه ؛ وإيراد هذا الخبر هنا سببه التَّصحيف لا غير ! .

(٣) المعجم الكبير للطَّبرانيّ ١٨/ ٢٠ رقم (٣٢) .

(٤) البداية والنِّهاية ٣/ ٣٩١ ـ ٣٩٢ .

هَل وُلِدَ اللَّيْلَةَ فِيكم مَوْلُودٌ ؟ فقالُوا : ما نَعْلَمُهُ . فقَالَ : أَمَّا إِذا أَخْطأَكُم ، فاحْفَظُوا ما أَقُولُ لَكُم : وُلِدَ اللَّيْلَةَ نَبِيُّ هذِهِ الأُمَّةِ الآخِرَةِ ، وَآيَتُهُ أَنَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ شامَةٌ صَفْراءُ ، حَوْلَها شَعراتٌ مُتتابِعاتٌ كَأَنَّهُنَّ عُرْفُ فَرَسٍ ؛ يَمْتَنِعُ من الرَّضاعِ لَيْلَتَيْنِ .

فَتَصَدَّعَ القَوْمُ من مَجْلِسِهم يَتَعَجَّبُونَ لِقَولِهِ ، فلمَّا صارَوا إِلى منازِلِهم أَخْبَرَهُم نِساؤُهم أَنَّهُ قد وُلِدَ لعبدِ اللهِ بن عبدِ المُطَّلِبِ غُلامٌ ؛ فَلَمَّا الْتَقَوْا في نادِيهم تَحَدَّثُوا بذلكَ ، وجاءَهُمُ اليَهُودِيُّ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فقالَ : اذْهَبُوا بِي إِلَيْهِ حتَّى أَراهُ ؛ فَخَرَجُوا بِهِ ، فَدَخَلُوا على آمِنَةَ وَقَالُوا : أَخْرِجِي إِلَيْنا ابْنَكِ ؛ فَأَخْرَجَتْهُ لَهُم ، فَكَشَفُوا عن ظَهْرِهِ ، فَرَأَوْا خاتمَ النُّبُوَّةِ ، فَأُغْمِيَ على اليَهودِيِّ ؛ فلمَّا أَفاقَ سَأَلُوهُ ، فقالَ : خَرَجَتِ النُّبُوَّةُ من بَني إِسْرائِيلَ .

ثمَّ قالَ : لا تَفْرَحُوا بِهِ فَوَاللهِ لَيَسْطُوَنَّ عليْكُم سَطْوَةً ، يَخرُجُ خَبَرُها إِلى المَشْرِقِ والمَغْرِبِ .

● وَذَكَرَ الكَلْبِيُّ في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [التَّوبة : ٣٠] الآية :

أَنَّ النَّصارَى كانُوا على دِيْنِ الإِسْلامِ إِحْدى وثَمانِينَ سنةً بعدَ ما رُفِعَ عِيسى عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، يُصَلُّونَ إِلى القِبْلَةِ ، وَيَصُومُونَ رَمضانَ ، حتَّى وَقَعَ فِيما بَيْنَهم وَبَيْنَ اليَهُودِ حَرْبٌ .

وَكانَ في اليَهُودِ رَجُلٌ شُجاعٌ يُقالُ لَهُ : بولسُ ، وَكانَ قَتَلَ جُمْلَةً من أَصْحابِ عِيسَى عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فقالَ يَوْماً لِليَهُودِ : إِنْ كان الحَقُّ مع عِيسى ، فَكَفَرْنا بِهِ ، فَالنَّارُ مَصِيرُنا ، فَنحنُ مَغْبُونُونَ إِنْ دَخَلُوا الجَنَّةَ وَدَخَلْنا النَّارَ ، ولكنْ سَأَحْتَالُ وَأُضِلُّهُم حتَّى يَدْخُلُوا النَّارَ .

وَكانَ لَهُ فَرَسٌ يُقالُ لَهُ : العُقابُ ، يُقاتِلُ عَلَيْهِ ، فَعَرْقَبَ فَرَسَهُ ، وَأَظْهَرَ

النَّدامَةَ ، وَوَضَعَ على رَأْسِهِ التُّراب ، فقالَتْ لَهُ النَّصارَى : من أَنْتَ ؟ فقالَ : بُولُس عَدُوُّكُم ، وَقد نُودِيتُ من السَّماءِ : أَنْ لَيْسَ لَكَ تَوْبَةٌ إِلاَّ أَنْ تَتَنَصَّرَ ، وَقَدْ تُبْتُ ؛ فَأَدْخَلُوهُ الكَنِيسَةَ ، فَدَخَلَ بَيْتاً فِيْها فَأَقامَ سَنَةً لا يَخْرُجُ منهُ لا لَيْلاً وَلا نَهاراً ، حتَّى تَعَلَّمَ الإِنْجِيلَ ، ثمَّ خَرَجَ فقالَ : نُودِيتُ : إِنَّ اللهَ تَعالى قد قَبِلَ تَوْبَتَكَ ؛ فَصَدَّقُوهُ وَأَحَبُّوهُ .

ثمَّ مَضَى إِلى بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَاسْتَخْلَفَ علَيْهِم نَسْطُورا ، وَعَلَّمَهُ أَنَّ عِيسى وَمَرِيمَ والإِلَهَ ، كانُوا ثَلاثَةً ؛ ثمَّ تَوَجَّهَ إِلى الرُّومِ وَعَلَّمَهُمُ اللاَّهُوتَ والنَّاسُوتَ ، وَقالَ لَهُمْ : لَمْ يَكُنْ عِيسى بِإِنْسٍ وَلا بِجِنٍّ ، وَلكِنَّهُ ابْنُ اللهِ ؛ وَعَلَّمَ ذلكَ رَجُلاً يُقالُ لَهُ : يَعقُوب .

ثمَّ دَعَا رَجُلاً يُقالُ لَهُ : مَلْكان ، وَقالَ لَهُ : إِنَّ الإِلَهَ لَمْ يَزَلْ وَلا يَزالُ عِيسى .

فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ منهم دَعَا هَؤُلاءِ الثَّلاثَةَ واحِداً واحِداً ، وَقالَ لِكُلِّ واحِدٍ منهم : أَنْتَ خالِصَتِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ عِيسَى في المَنامِ فَرَضِيَ عنِّي ؛ وَقَالَ لِكُلِّ واحِدٍ منهم : إِنِّي غَداً أَذْبَحُ نَفْسِي ، فادْعُ النَّاسَ إِلى نِحْلَتِكَ .

ثمَّ دَخَلَ المَذْبَحَ فَذَبَحَ نَفْسَهُ ، وَقالَ : إِنَّما أَفْعَلُ ذلكَ لِمَرْضاةِ عِيسَى .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ ثالِثِهِ دَعا كُلُّ واحِدٍ منهمُ النَّاسَ إِلى نِحْلَتِهِ ، فَتَبِعَ كُلَّ واحِدٍ منهم طائِفَةٌ من النَّاسِ ، فَافْتَرَقَتِ النَّصارَى ثَلاثَ فِرَقٍ : نَسْطوريَّة ، وَيَعقوبيَّة ، وَمَلْكانيَّة ؛ فاخْتَلَفُوا واقْتَتَلُوا ، فقالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ ﴾ [التَّوبة : ٣٠] الآية .

قَالَ أَهْلُ المَعانِي : لَمْ يَذْكُرِ اللهُ تَعالى قَوْلاً مَقْرُوناً بِالأَفْواهِ والأَلْسُنِ ، إِلاَّ كان ذلك زُوراً .

● وَذَكَرَ الإمامُ ابْنُ بَلْبان والغزاليُّ[1] وغيرُهما :

أَنَّ الرَّشيدَ لَمَّا وَلِيَ الخِلافَةَ ، زارَهُ العُلَماءُ بِأَسْرِهِم إلاَّ سُفيان الثَّوريّ فإنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ ، وَكانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ صُحْبَةٌ ، فَشَقَّ عليْهِ ذلكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ كِتاباً يَقولُ فيهِ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

من عَبدِ اللهِ هارُون أَمير المُؤمنين إلى أَخِيهِ في اللهِ سُفيان بن سَعيد الثَّوريّ ، أَمَّا بَعدُ يا أَخِي :

فَقَد عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ آخَى بيْنَ المؤمنينَ ، وَقد آخَيْتُكَ في اللهِ مُؤاخاةً لَمْ أَصْرِمْ فِيها حَبْلَكَ ، وَلَمْ أَقْطَعْ مِنْها وُدَّكَ ، وإنِّي مُنْطَوٍ لَكَ على أَفْضَلِ المَحَبَّةِ وَأَتَمِّ الإرادَةِ ، وَلَوْلا هذِهِ القِلادَةُ التي قَلَّدنيها اللهُ تَعالى لأَتَيْتُكَ وَلَو حَبْواً ، لِما أَجِدُ لَكَ في قَلْبِي من المَحَبَّةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ من إخْوانِي وإخْوانِكَ إلاَّ زَارَني ، وَهَنَّأَني بما صِرْتُ إليْهِ ، وَقد فَتَحْتُ بُيُوتَ الأَمْوالِ ، وَأَعْطَيْتُهُم من المَواهِبِ السَّنِيَّةِ ما فَرِحَتْ بِهِ نَفْسِي وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنِي ؛ وَقَدِ اسْتَبْطَأْتُكَ ، وَقَدْ كَتَبْتُ كِتاباً مِنِّي إِلَيْكَ ، أُعْلِمُكَ بالشَّوْقِ الشَّدِيدِ إلَيْكَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ ـ يا أَبا عبدِ اللهِ ـ ما جاءَ في فَضْلِ زِيارَةِ المُؤْمِنِ وَمُواصَلَتِهِ ؛ فإذا وَرَدَ عَليكَ كِتابي هذا فَالعَجَلَ العَجَلَ .

ثمَّ أَعْطى الكِتابَ لِعَبَّادٍ الطَّالِقانِيّ ، وَأَمَرَهُ بإيْصالِهِ إلَيْهِ ، وَأَنْ يُحصي عليهِ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ دَقِيقَ أَمْرِهِ وَجليلَهُ لِيُخْبِرَهُ بِهِ .

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٢/ ٣٠٩ ـ ٣١١ .
قلتُ : ولد سفيان الثَّوريّ سنة خمسٍ ، أو ستٍّ ، أو سبعٍ وتسعين للهجرة ، وتوفِّي سنة إحدى وستِّين ومئة . وولد الرَّشيد سنة ثمان وأربعين ومئة ، وولي الخلافة سنة سبعين ومئة . فكيف يكون الرَّشيد صديقاً للإمام الثَّوريّ ، وعمره عند وفاة الثَّوريّ لم يتجاوز الثَّلاثة عشر عاماً . وولي الرَّشيد الخلافة بعد وفاة الثَّوريّ بتسع سنين ! ! ؟ .

قَالَ عَبَّادٌ : فانْطَلَقْتُ إلى الكُوفَةِ ، فَوَجَدْتُ سُفيانَ في مَسْجِدِهِ ، فلَمَّا رآنِي على بُعْدٍ قامَ وَقالَ : أَعُوذُ باللهِ السَّميعِ العَلِيمِ من الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ من طارِقٍ يَطْرُقُ إلاَّ بِخَيْرٍ .

قالَ : فَنزلتُ عن فَرَسِي بِبابِ المسْجِدِ ، فقَامَ يُصَلِّي وَلَمْ يَكُنْ وَقْتَ صَلاةٍ ، فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ ، فَما رَفَعَ أَحَدٌ من جُلَسائِهِ رَأْسَهُ إِليَّ .

قالَ : فَبقيتُ واقِفاً ، وَما منهم أَحَدٌ يَعْرِضُ عليَّ الجُلُوسَ ، وَقَدْ عَلَتْنِي من هَيْبَتِهِم الرِّعْدَةُ ، فرَمَيْتُ بالكِتابِ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى الكِتابَ ، ارْتَعَدَ وَتباعَدَ منهُ ، كَأَنَّهُ حَيَّةٌ عُرِضَتْ لَهُ في مِحْرابِهِ ، فَرَكَعَ وَسَجَدَ وَسَلَّمَ ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ في كُمِّهِ ، وَأَخَذَهُ وَقَلَّبَهُ بيَدِهِ ، وَرَماهُ إلى مَن كان خَلْفَهُ ، وَقالَ : لِيَقْرَأْهُ بعضُكم ، فإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَنْ أَمَسَّ شَيْئاً مَسَّهُ ظالِمٌ بيَدِهِ .

قالَ عَبَّادٌ : فَمَدَّ بعضُهم يَدَهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَرْتَعِدُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ تَنْهَشُهُ ، ثمَّ قَرَأَهُ ، فَجَعَلَ سُفيانُ يَتَبَسَّمُ تَبَسُّمَ المُتَعَجِّبِ ، فَلَمَّا فَرَغَ من قِراءَتِهِ قالَ : اقْلِبُوهُ واكْتُبُوا للظَّالِمِ على ظَهْرِهِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبا عَبدِ اللهِ ، إِنَّهُ خَليفَةٌ ، فلو كَتَبْتَ إِلَيْهِ في بَياضٍ نَقِيٍّ لَكانَ أَحْسَنَ ؛ فقالَ : اكْتُبُوا للظَّالِمِ في ظَهْرِ كِتابِهِ ، فإِنْ كان اكْتَسَبَهُ من حَلالٍ فَسَوْفَ يُجْزَى بِهِ ، وإِنْ كان اكْتَسَبَهُ من حَرامٍ فَسَوْفَ يَصْلَى بِهِ ؛ وَلا يَبْقَى شَيْءٌ مَسَّهُ ظالِمٌ بيَدِهِ عِنْدَنا ، فَيُفْسِدَ عَلَيْنا دِينَنا .

فَقيلَ لهُ : ما نَكتبُ إِليْهِ ؟ قالَ : اكْتُبُوا لَهُ :

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

مِنَ العَبْدِ المَيِّتِ سُفيانَ ، إِلى العَبْدِ المَغْرُورِ بالآمالِ هارُون ، الذِي سُلِبَ حَلاوَةَ الإِيْمانِ ، وَلَذَّةَ قِراءَةِ القُرْآنِ ؛ أَمَّا بعدُ :

فإِنِّي كَتبْتُ إِلَيْكَ أُعلِمُكَ أَنِّي قد صَرَمْتُ حَبْلَكَ ، وَقَطَعْتُ وُدَّكَ ، وَإِنَّكَ قد جَعَلْتَنِي شاهِداً عَلَيْكَ بإِقْرارِكَ على نَفْسِكَ فِي كِتابِكَ بَما هَجَمْتَ عَلى بَيْتِ مالِ

المُسْلِمينَ ، فَأَنْفَقْتَهُ في غَيْرِ حَقِّه ، وَأَنفَذْتَهُ بغَيْرِ حُكْمِه ؛ وَلَمْ تَرْضَ بما فَعَلْتَهُ وَأَنْتَ ناءٍ عَنِّي ، حَتَّى كَتَبْتَ إِليَّ تُشْهِدُنِي على نَفْسِك .

فَأَمَّا أَنا فإِنِّي قد شَهِدْتُ عَلَيْكَ ، أَنا وإِخْواني الذينَ حَضَرُوا قِراءَةَ كِتابِكَ ، وَسَنُؤَدِّي الشَّهادَةَ غداً بيْنَ يَدَي اللهِ الحَكَمِ العَدْلِ .

يَا هارُونُ ، هَجَمْتَ على بيتِ مالِ المُسْلِمينَ بغَيْرِ رِضاهُم ، هل رَضِيَ بِفِعْلِكَ المُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهم ، وَالعامِلُونَ عَلَيْها في أَرْضِ اللهِ ، وَالمُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ ، وابْنِ السَّبيلِ ؟ أَمْ رَضِيَ بذلكَ حَمَلَةُ القُرْآنِ وَأَهْلُ العِلْمِ ؟ - يَعْنِي العامِلِين - أَم رَضِيَ بِفِعْلِكَ الأَيْتامُ والأَرامِلُ ؟ أَمْ رَضِيَ بِذلكَ خَلْقٌ من رَعِيَّتِكَ ؟

فَشُدَّ يَا هارُونُ مِئْزَرَكَ ، وَأَعِدَّ للمَسْأَلَةِ جَواباً وللبَلاءِ جِلْباباً .

وَاعْلَمْ أَنَّكَ سَتقفُ بَيْنَ يَدَي الحَكَمِ العَدْلِ ، فاتَّقِ اللهَ في نَفْسِكَ إِذا سُلِبْتَ حَلاوَةَ العِلْمِ وَالزُّهْدِ ، وَلَذَّةَ قِراءَةِ القُرْآنِ ، وَمُجالَسَةَ الأَخْيارِ ؛ وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ ظالِماً ، ولِلظَّالِمينَ إِماماً .

يَا هارُونُ ، قَعَدْتَ على السَّريرِ ، وَلَبِسْتَ الحَرِيرَ ، وَأَسْبَلْتَ سُتُوراً دُونَ بابِكَ ، وَتَشَبَّهْتَ بالحَجَبَةِ بِرَبِّ العالَمِينَ ، ثمَّ أَقْعَدْتَ أَجْنادَكَ الظَّلَمَةَ دُونَ بابِكَ وَسِتْرِكَ ، يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَلا يُنْصِفُونَ ، وَيَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَحُدُّونَ الشَّارِبَ ، وَيَزْنُونَ وَيَحُدُّونَ الزَّاني ، وَيَسْرِقُونَ وَيَقْطَعُونَ السَّارِقَ ، وَيَقْتُلُونَ وَيَقْتُلُونَ القاتِل .

أَفَلا كانَتْ هَذِهِ الأَحْكامُ عَلَيْكَ وعَلَيْهِم ، قبلَ أَنْ يَحكمُوا بها عَلى النَّاسِ ؟ فَكيفَ بكَ يا هارُونُ غَداً إِذا نادَى المُنادِي من قِبَلِ اللهِ : احْشُرُوا الظَّلَمَةَ وَأَعْوانَهُم ؛ فَتَقَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَيَداكَ مَغْلُولَتان إِلى عُنُقِكَ ، لا يَفُكُّهما إِلاَّ عَدْلُكَ وإِنْصافُكَ ، وَالظَّالِمُونَ حَوْلَكَ وَأَنْتَ لَهُمْ إِمامٌ أَو سائِقٌ إِلى النَّارِ ؟ .

وَكَأَنِّي بِكَ يا هارُونُ ، وَقَدْ أُخِذْتَ بِضِيْقِ الخِناقِ ، وَوَرَدْتَ المَساقَ ،

وَأَنْتَ تَرى حَسَناتِكَ في مِيْزانِ غَيْرِكَ ، وسَيِّئَاتِ غَيْرِكَ في مِيْزانِكَ [زِيادةً] على سَيِّئاتِكَ ، بلاءً على بَلاءٍ ؛ وَظُلْمَةً فَوْقَ ظُلْمَةٍ .

فاتَّقِ اللهَ يا هارُونُ في رَعِيَّتِكَ ، وَاحْفَظْ مُحمَّداً ﷺ في أُمَّتِهِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ هذا الأَمْرَ لَمْ يَصِرْ إِلَيْكَ إِلاَّ وَهُوَ صائِرٌ إِلى غَيْرِكَ ؛ وكذلكَ الدُّنيا تفعَلُ بأَهْلِها واحِداً بعدَ واحِدٍ ، فمنهم من تَزَوَّدَ زاداً نَفَعَهُ ، ومنهم من خَسِرَ دُنْياهُ وآخِرَتَهُ ؛ وَإِيَّاكَ ثمَّ إِيَّاكَ أَن تكتبَ إِليَّ بعدَ هذا ، فإِنِّي لا أُجِيبُكَ . وَالسَّلامُ .

وَأَلْقَى الكِتابَ مَنْشُوراً من غَيْرِ طَيٍّ وَلا خَتْمٍ ؛ فَأَخَذْتُهُ ، وَأَقبلْتُ بِهِ إِلى سُوقِ الكُوفَةِ ، وَقد وَقَعَتِ المَوْعِظَةُ بِقَلْبي ، فَنادَيْتَ : يَا أَهلَ الكُوفَةِ ، مَن يَشْتَرِي رَجُلاً هَرَبَ إِلى اللهِ ؟ فَأَقْبَلُوا إِليَّ بالدَّراهِمِ والدَّنانِيرِ ، فَقُلْتُ : لا حاجَةَ لِي بالمالِ ، ولكنْ جُبَّةُ صُوفٍ ، وَعَباءَةٌ قَطْوانِيَّةٌ ؛ فَأُتيتُ بذلكَ ، فَنزَعْتُ ما كَانَ عليَّ من الثِّيابِ التي كُنْتُ أُجالِسُ بها أَميرَ المؤمنين ، وأَقبلتُ أَقُودُ الفَرَسَ الذي كان مَعي إِلى أَنْ أَتَيْتُ بابَ الرَّشِيدِ حافِياً راجِلاً ، فَهَزَأَ بي مَن كان على البابِ ، ثمَّ اسْتُؤْذِنَ لِي ، فلمَّا رآني على تِلْكَ الحالَةِ ، قامَ وَقَعَدَ ، وَجَعَلَ يَلْطِمُ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ ، وَيَدْعُو بالوَيْلِ وَالحَرَبِ ، وَيَقُولُ : انْتَفَعَ الرَّسُولُ وَخابَ المُرْسِلُ ، ما لِي وللدُّنْيا ، وَالمُلْكُ يَزُولُ عَنِّي سَرِيعاً ؟ .

فَأَلْقَيتُ الكِتابَ إِلَيْهِ مِثلَ ما دُفِعَ إِليَّ ، فَأَقبلَ يقرؤُهُ وَدُمُوعُهُ تَتَحَدَّرُ على وَجْهِهِ وهوَ يَشْهَقُ ، فقالَ بعضُ جُلَسائِهِ : يا أَميرَ المؤمنين ، قد اجْتَرَأَ عَلَيْكَ سُفيانُ ، فَلَوْ وَجَّهْتَ إِلَيْهِ فَأَثْقَلْتَهُ بالحَدِيدِ ، وَضَيَّقْتَ عَلَيْهِ بالسِّجْنِ ، فَجَعلْتَهُ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ . فقالَ هارُونُ : اتْرُكُوا سُفيانَ وَشَأْنَهُ يا عَبيدَ الدُّنْيا ؛ المَغْرُورُ مَن غَرَرْتُمُوهُ ، وَالشَّقِيُّ واللهِ حَقّاً مَن جالَسْتُمُوهُ ؛ إِنَّ سُفيانَ أُمَّةٌ وَحْدَهُ .

وَلَمْ يَزَلْ كِتابُ سُفيانَ عندَ الرَّشِيدِ ، يَقْرَؤُهُ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ وَيَبْكِي حتَّى تُوُفِّي رحمهُ اللهُ تَعالى .

● وَذَكَرَ « ابنُ السَّمعانيّ » وغيرُهُ[1] : أَنَّ المَنْصورَ كان يَبْلُغُهُ عن سُفيانَ الإِنْكارُ عليْهِ في عَدَمِ إقامَةِ الحَقِّ ؛ فَتَطَلَّبَهُ المَنْصُورُ ، فَهَرَبَ إِلى مَكَّةَ ؛ فَلَمَّا حَجَّ المَنْصُورُ ، بَعَثَ بالخَشَّابينَ أَمامَه ، وَقالَ : حَيْثُما وَجَدْتُم سُفيانَ فاصْلُبُوهُ ، فَوَصَلَ الخَشَّابُونَ وَنَصَبُوا الخَشَبَ ، فَأَتى الخبرُ بذلكَ وسُفيانُ نائِمٌ ، وَرَأْسُهُ في حِجْرِ الفُضَيْلِ بن عِياضٍ وِرِجْلاهُ في حِجرِ سفيان بن عُيَيْنَةَ ، فقالا لَهُ خَوْفاً عليهِ وَشَفَقَةً : لا تُشْمِتْ بنا الأَعداءَ . فقامَ وَمَشَى إِلى الكَعبَةِ ، والْتَزَمَ أَسْتارَها عِندَ المُلْتَزَمِ ، ثمَّ قالَ : وَرَبِّ هذِهِ البَنِيَّةِ لا يَدْخُلُها ـ يَعني المَنصورَ ـ فَزَلَقَتْ راحِلَتُهُ في الحَجُونِ ، فَوَقَعَ من على ظَهْرِها ، فَماتَ لِوَقْتِه ، فَخَرَجَ سُفيانُ وَصَلَّى عليه .

وَقد تَقَدَّمَتِ الإِشارَةُ إِلى ذِكْرِ شَيْءٍ من مَناقِبِهِ وَوَفاتِهِ في « بابِ الحاءِ المهملةِ » في لَفظِ « الحِمارِ » .

الحُكْمُ : قالَ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : ما لَزِمَ اسْمَ الخَيْلِ من العِرابِ والمَقارِيفِ وَالبَراذِينِ ، فَأَكْلُها حَلالٌ ؛ وهو قَوْلُ القاضي شُريح والحسنِ وابنِ الزُّبَيْرِ وَعَطاءٍ وَسَعيدِ بن جُبيْرٍ وَحَمَّادِ بن زَيْدٍ واللَّيْثِ بنِ سعدٍ وابنِ سِيرين والأَسْوَد بنِ يَزيد وَسُفيان الثَّوريِّ وأَبي يُوسف ومحمَّد بن الحسن وابنِ المباركِ وأَحمد وإِسحاق وَأَبي ثَوْرٍ وَجَماعَةٍ من السَّلَفِ .

● وَقالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ : ما أَكَلْتُ أَطْيَبَ من مَعْرِفَةِ بِرْذَوْنٍ .

وَدليلُ هذا ما اتَّفَقَ عليْهِ « البُخاريُّ ومسلم »[2] من حَديثِ جابرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قالَ : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عن لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ،

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٤١ .

(٢) البخاريّ ٥/ ٧٨ و ٦/ ٢٢٩ ومسلم (١٩٤١) وأبو داود (٣٧٨٨) والتّرمذيّ (١٧٩٣) والنَّسائيّ (٤٣٢٧ ـ ٤٣٣٠) وابن ماجه (٣١٩١) .

وَأَرْخَصَ في لُحُومِ الخَيْلِ » .

● وَذَهَبَ أَبو حَنيفةَ ومالكٌ الأَوزاعيُّ إلى أَنَّها مَكْرُوهَةٌ ، إلاَّ أَنَّ كَراهَتَها عندَ مالِكٍ كَراهَةُ تَنْزيهٍ لا كَراهَةَ تَحْريمٍ ، واسْتَدَلُّوا بما في « سُنَنِ أَبي داود » و« النَّسائيّ » و« ابن ماجه »[1] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن أَكْلِ لُحُومِ الخَيْلِ والبِغالِ والحَميرِ » ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النَّحل : ٨] .

● وَقالَ صاحِبُ « الهِدايَةِ » من الحَنفيَّةِ : فإِنْ قُلْتَ : الآيَةُ خَرَجَتْ مَخْرَجَ الامْتِنانِ ، وَالأَكْلُ من أَعْلَى منافِعِها ، وَالحَكِيمُ لا يَتْرُكُ الامْتِنانَ بِأَعْلَى النِّعَمِ ويَمْتَنُّ بِأَدْناها .

قُلْتُ : الجَوابُ : أَنَّ الآيَةَ خَرَجَتْ مَخْرَجَ الغالِبِ ؛ لأَنَّ الغالِبَ في الخَيْلِ إِنَّما هوَ الزِّينَةُ والرُّكُوبُ دُونَ الأَكْلِ ، كَما خَرَجَ قَوْلُهُ ﷺ : « وَلْيَسْتَنْجِ بِثَلاثَةِ أَحْجارٍ » مَخْرَجَ الغالِبِ ، لأَنَّ الغالِبَ أَنَّ الاسْتِنْجاءَ لا يَقَعُ إلاَّ بِالأَحْجارِ . انتهى .

● وَقالَ الشَّافعيُّ وَمَنْ وافَقَهُ : لَيْسَ المُرادُ من الآيَةِ بَيانُ التَّحلِيلِ وَالتَّحريمِ ، بَلِ المُرادُ منها تَعريفُ اللهِ عِبادَهُ نِعَمَهُ ، وَتَنْبِيهُهُم على كَمالِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِه .

وَأَمَّا الحَدِيثُ الذي اسْتَدَلَّ بِهِ أَبُو حَنيفةَ ومالِكٌ وَمَن وافَقَهما : فقالَ الإِمامُ أَحمد : لَيْسَ لَهُ إِسْنادٌ جَيِّدٌ ، وَفِيهِ رَجُلانِ لا يُعْرَفانِ ، وَلا نَدَعُ الأَحادِيثَ الصَّحيحَةَ لِهذا الحَديثِ .

● وَقَدْ رَوَى « الشَّيخان »[2] عن جابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : « نَهى

---

(١) أَبو داود (٣٧٩٠) والنَّسائيّ (٤٣٣١ ـ ٤٣٣٢) وابن ماجه (٣١٩٨) .

(٢) البخاريّ ٥/ ٧٨ و ٦/ ٢٢٩ ومسلم (١٩٤١) وأَبو داود (٣٧٨٨) والتّرمذيّ (١٧٩٣) =

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عن لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ، وَأَذِنَ في لُحُومِ الخَيْلِ » .

وَفي لَفْظٍ[1] : « أَطْعَمَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ لُحُومَ الخَيْلِ ، وَنَهانا عن لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ » رَواهُ « التِّرمذيُّ » وَصَحَّحَهُ .

وَفي لَفْظٍ : « سافَرْنا ـ يَعْني ـ مع النَّبيِّ ﷺ فَكُنَّا نَأْكُلُ لُحُومَ الخَيْلِ ، وَنَشْرَبُ أَلْبانَها » .

● وَفي « الصَّحيحين »[2] عن أَسماء بنتِ أَبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، أَنَّها قالَتْ : « نَحَرْنا فَرَساً على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَكَلْناها » .

وَفي رِوايَةٍ « وَنحنُ بِالمَدينةِ » .

● وَفي « مُسندِ الإمامِ أَحمد »[3] : « نَحَرْنا فَرَساً على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَكَلْناها نَحْنُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ » .

● وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما قالَ : إِنَّ الفَرَسَ إِذا الْتَقَتِ الفِئَتانِ ، تَقُولُ : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ ؛ وَلذلكَ كان لَهُ من الغَنِيمَةِ سَهْمانِ .

وَكذلكَ رَواهُ عبدُ اللهِ بن عُمر بن حَفصٍ ، عن عبدِ اللهِ بن عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، عن النَّبيِّ ﷺ ؛ ولا يُعْطَى إِلاَّ لِفَرَسٍ واحِدٍ ، عَرَبيّاً كان أَوْ غيرَ عَربيٍّ ؛ لأَنَّ اللهَ سُبحانَهُ وَتَعالى قالَ : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال : ٦٠] . وَلم يُفَرِّقْ بَيْنَ عَرَبيٍّ وغيْرِهِ ، وَلَمْ يَرِدْ في

= والنَّسائيّ (٤٣٢٧ ـ ٤٣٣٠) وابن ماجه (٣١٩١) .

(١) البخاريّ ٥/ ٧٨ و ٦/ ٢٢٩ ومسلم (١٩٤١) وأَبو داود (٣٧٨٨) والتّرمذيّ (١٧٩٣) والنَّسائيّ (٤٣٢٧ ـ ٤٣٣٠) وابن ماجه (٣١٩١) .

(٢) البخاريّ ٦/ ٢٢٩ ومسلم (١٩٤٢) والخيل لأَبي عُبيدة ١١٤ .

(٣) مسند أَحمد ٦/ ٣٤٦ و ٣٥٣ .

شَيْءٍ من الأَحادِيثِ تَفرِقَةٌ ، بَلِ الجَمْعُ مثلُ قولِه ﷺ : « الخَيْلُ مَعْقودٌ في نَواصِيها الخَيْرُ إلى يوم القِيامَةِ ، الأَجْرُ والغَنِيمةُ » .

● وَقالَ الإمامُ أَحمد : لِما سِوى العَربيّ سَهْمٌ ، وَللعَربيِّ سَهْمانِ ، لأَثَرٍ وَرَدَ في ذلكَ عن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، لكنَّهُ لَمْ يَصِحَّ عنهُ ؛ وَلا يُعْطى لِفَرَسٍ أَعْجَفَ ، وَما لا غَناءَ بِهِ ، لأَنَّهُ كَلٌّ على صاحِبِهِ .

● وَيَتَعَهَّدُ الإمامُ الخَيْلَ إذا دَخَلَ دارَ الحَرْبِ ، وَلا يُدْخِلُ إلاَّ فَرَساً شَديداً ، وَيُسْهِمُ للفَرَسِ المُسْتعارِ والمُسْتأْجَرِ ، وَيَكُونُ ذلكَ للمُستعيرِ والمُستَأْجِرِ ؛ وَالأَصَحُّ أَنَّهُ يُسْهِمُ للفَرَسِ المَغْصُوبِ ، لِحُصُولِ النَّفْعِ بِهِ ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ للرَّاكِبِ ، وَقيلَ : للمالِكِ .

وَلَو كان القِتالُ في مَاءٍ ، أَوْ حِصْنٍ ، وَأُحْضِرَ فَرَسٌ ، أُسْهِمَ لَهُ ، لأَنَّهُ قد يَحتاجُ إِلَيْه .

وَلَوْ أَحْضَرَ اثْنانِ فَرَساً مُشْتَرَكاً بينَهما ، فَقِيلَ : لا يُعْطَيانِ سَهْمَ الفَرَسِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ واحِدٌ منهُما بِفَرَسٍ تامٍّ ؛ وَقيلَ : يُعْطى كُلُّ واحِدٍ منهما سَهْمَ فَرَسٍ ، لأَنَّ معهُ فَرَساً قد يَرْكَبُها ؛ وَقيلَ : يُعْطَيانِ سَهْمَ فَرَسٍ مُناصَفَةً ؛ وَلَعَلَّ هذا هُوَ الأَصَحُّ .

وَلَو رَكِبَ اثْنانِ فَرَساً ، وَشَهِدا الوَقْعَةَ ؛ فعَن بعضِ الأَصْحابِ : أَنَّهما كفارِسَيْنِ ، لَهُما سِتَّةُ أَسْهُمٍ ؛ وعن بعضِهم : أَنَّهما كَراجِلَيْنِ ، لِتَعَذُّرِ الكَرِّ والفَرِّ ؛ وَقِيلَ : لَهُما أَربعَةُ أَسْهُمٍ ، سَهْمانِ لَهُما ، وَسَهْمانِ للفَرَسِ ؛ وَاخْتارَ ابن كَجٍّ وَجْهاً رابعاً حَسَناً ، وَهُوَ أَنَّهُ : إِنْ كان فِيه قُوَّةُ الكَرِّ والفَرِّ مع رُكُوبِهِما ، فَأَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ ، وَإِلاَّ فَسَهْمانِ .

● **فائِدَةٌ أَجنبِيَّةٌ** : قالَ في « شِرْعَةِ الإِسْلام » : إِنَّ مُقَدَّمَ العَسْكَرِ يَنْبغي لَهُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِأَصنافٍ من الخَلْقِ ، فَيَكُونَ في قَلْبِ الأَسَدِ ، لا يَجْبُنُ وَلا يَفِرُّ ؛ وَفي

كِبْرِ النَّمِرِ ، لا يَتَوَاضَعُ للعَدُوِّ ؛ وَفي شَجاعَةِ الدُّبِّ ، يُقاتِلُ بِجَميعِ جَوارِحِهِ ؛ وَفِي الحَمْلَةِ كَالخِنْزِيرِ ، لا يُوَلِّي دُبُرَهُ إذا حَمَلَ ؛ وَفي الغارَةِ كَالذِّئْبِ ، إذا أَيِسَ من وَجْهٍ أَغارَ من وَجْهٍ ؛ وَفي حَمْلِ السِّلاحِ الثَّقِيلِ كَالنَّمْلَةِ ، تَحملُ أَضْعافَ وَزْنِ بَدَنِها ؛ وَفي الثَّباتِ كالحَجَرِ ، لا يَزُولُ عن مَكانِهِ ؛ وَفي الصَّبْرِ كالحِمارِ ، إذا أَثْقَلَهُ ضَرْبُ السُّيُوفِ ، وَطَعْنُ الرِّماحِ ، وَنُصُولُ السِّهامِ ؛ وَفِي الوَفاءِ كالكَلْبِ ، إذا دَخَلَ سَيِّدُهُ النَّارَ تَبِعَهُ ؛ وَفي الْتِماسِ الفُرْصَةِ كَالدِّيكِ ؛ وَفي الحِراسَةِ كالكُرْكيّ ؛ وفي التَّعَبِ كاليَعَرِ ، وهِيَ دُوَيْبَّةٌ تَكُونُ بِخُراسان ، تَسْمَنُ على التَّعَبِ والكَدِّ والشَّقاءِ ، كَما سَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الياءِ »(١) .

● فَرْعٌ : حِمارٌ نَزا على فَرَسٍ فَأَحْبَلَها ، يَكُونُ لَبَنُ الفَرَسِ حَلالاً طاهِراً ، وَلا حُكْمَ للفَحْلِ في اللَّبَنِ في هذا المَوْضِعِ بِخِلافِ الأَناسيِّ ، لِأَنَّ لَبَنَ الفَرَسِ حادِثٌ من العَلَفِ ، فهو تابِعٌ لِلَحْمِها ، وَلَمْ يَسْرِ وَطْءُ الفَحْلِ إلى هذا اللَّبَنِ ، فإِنَّهُ لا حُرْمَةَ هُناكَ تُنْتَشَرُ من جِهَةِ الفَحْلِ إلاَّ إلى الوَلَدِ خاصَّةً ، فإِنَّهُ يَكُونُ منهُ ومن الأُمِّ ، فَغَلَبَ عليْهِ التَّحريمُ ؛ وَأَمَّا اللَّبَنُ فَلَمْ يَتَكَوَّنْ بِوَطْئِهِ ، وإِنَّما تَكَوَّنَ من العَلَفِ ، فَلَمْ يَكُنْ حَراماً .

● **فائِدَةٌ** : كان للنَّبيِّ ﷺ أَفْراسٌ :

السَّكْبُ : اشْتَراهُ من أَعرابيٍّ من بَني فَزارَةَ بِعَشْرَةِ أَواقٍ بِالمدينةِ ، وَكانَ

---

(١) وهَذَا كلُّه مأخوذٌ من قول عظماء التُّرك : ينبغي أَن يكونَ في القائد العظيم القيادة عشر خصال من أَخلاق الحيوان : جرأَة الأَسد ، وختْل الذِّئب ، وَرَوَغان الثَّعلب ، وحملة الخنزير ، وصبر الكلب على الجراحة ، وتحنُّن الدَّجاجة ، وسخَاء الدِّيك ، وحذر الغراب ، وحراسة الكركيّ وهداية الحمام . [التَّوفيق ٦١ وثمار القلوب ١/ ٥٧٠ ـ ٥٧١ والتَّمثيل والمحاضرة ١٥٣ والحيوان ٢/ ٣٥٣ والمنتقى من مكارم الأَخلاق ٢١٨ والفخريّ ٥٨ وسراج الملوك ٢/ ٦٨٠ والمستطرف ٢/ ٥٩] .

أَدْهمَ ، وَكانَ اسْمُهُ عندَ الأَعرابيِّ الضَّرِسُ ، فَسَمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ السَّكْبُ ، وَهو من سَكْبِ المَاءِ كَأَنَّهُ سَيْلٌ ؛ وَالسَّكْبُ أَيْضاً : شَقائِقُ النُّعمانِ .

وَهوَ أَوَّلُ فَرَسٍ غَزا عليْهِ النَّبيُّ ﷺ .

وَسَبْحَة : وهو الذي سابَقَ عليْهِ ﷺ فَسَبَقَ ، فَفَرِحَ بذلكَ .

والمُرْتَجِزُ : الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ؛ سُمِّيَ بذلكَ لِحُسْنِ صَهيلِهِ .

ولِزاز : قَالَ السُّهيليُّ : وَمعناهُ أَنَّهُ لا يُسابِقُ شَيْئاً إِلاَّ لَزَّهُ ، أَي أَثْبَتَهُ .

الظَّرِبُ واللَّحيفُ : قالَ السُّهيليُّ : كَأَنَّهُ يُلْحِفُ الأَرْضَ بِجَرْيِهِ ، وَيُقالُ فِيهِ : اللَّخِيفُ ـ بِالخاءِ المُعجمة ـ ذَكَرَهُ البُخاريُّ في « جامعِهِ » من حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما .

وَالوَرْدُ : أَهْداهُ لَهُ تَميمٌ الدَّاريُّ ، فَأَعْطاهُ عُمر بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ؛ فَحَمَلَ عليهِ في سَبيلِ اللهِ تَعالى ؛ وَهوَ الذي وَجَدَهُ يُباعُ بِرُخْصٍ .

هَذهِ السَّبْعَةُ مُتَّفَقٌ عَلَيْها . وَقِيلَ : كان لَهُ ﷺ غَيْرُها ، وَهِيَ : **الأَبْلَقُ** ، **وَذُو العُقَّالِ** ، **والمُرْتَجِلُ** ، **وَذُو اللِّمَّةِ** ، **والسِّرْحانُ** ، **واليَعْبُوبُ** ، **وَالبَحْرُ** ، وَكانَ كُمَيْتاً ، **والأَدْهَمُ** ، **وَمُلاوِحٌ** ، **وَالطِّرْفُ** ، بِكَسْرِ الطَّاءِ المُهملةِ ، **والشَّحاءُ** ، **وَالمِرْوَاحُ والمِقْدامُ** ، **وَمَنْدُوبٌ والضَّريرُ** ، ذَكَرَهُ السُّهيليُّ في أَفْراسِهِ ﷺ .

فَهَذِهِ خمسَةَ عَشَرَ فَرَساً مُختلفٌ فِيها ؛ وَقد بَسَطَ الكَلامَ عليْها الحافِظُ الدِّمْياطيّ وغَيْرُهُ[1] .

● **الأَمْثالُ** : قالَ ﷺ : « بُعِثْتُ أَنا وَالسَّاعَةُ كَفَرَسَيْ رِهانٍ ، كادَتْ تَسْبِقُ إِحْداهُما الأُخْرى بِأُذُنِها » .

---

(١) مَضى بعض ذلك في « الخيل » . وينظر فصل الخيل ١٦٤ ـ ١٧٠ وجرّ الذّيل ١٠٣ ـ ١٠٩ .

وَقالُوا : « هُمَا كَفَرَسَيْ رِهانٍ »[١] . يُضْرَبُ للاثْنَيْنِ يَسْتَوِيانِ في الشَّيْءِ ؛ وَهذا التَّشْبيهُ يَقَعُ في الابْتِداءِ لا في الانْتِهاءِ ، لِأَنَّ النِّهايَةَ تُجْلَىٰ عن سَبْقِ أَحَدِهِما لا مَحالَةَ .

وَقالُوا : « أَبْصَرُ من فَرَسٍ »[٢] و« أَطْوَعُ »[٣] و« أَشَدُّ » .

وَقالُوا : « فُلانٌ كَالأَشْقَرِ ، إِنْ تَقَدَّمَ نُحِرَ ، وإِنْ تَأَخَّرَ عُقِرَ »[٤] . لأَنَّ العَرَبَ تَتَشاءَمُ من الأَفْراسِ بِالأَشْقَرِ .

● تَتِمَّةٌ : ذَكَرَ في « الإِحياء » في البابِ الثَّالثِ من « كِتابِ أَحْكامِ الكَسْبِ »[٥] :

رُوِيَ عن بَعضِ الغُزاةِ في سَبيلِ اللهِ قالَ : حَمَلْتُ على فَرَسِي لِأَقْتُلَ عِلْجاً ، فَقَصَّرَ بي فَرَسي فَرَجَعْتُ ، ثم دَنا مِنِّي العِلْجُ ، فَحَمَلْتُ ثانِيَةً فَقَصَّرَ بي فَرَسِي ، ثمَّ حَمَلْتُ الثَّالثَةَ فَقَصَّرَ بي فَرَسِي ، وَكُنتُ لا أَعتادُ منهُ ذلكَ ، فَرَجعتُ حَزِيناً ، وَجلَسْتُ مُنَكَّسَ الرَّأْسِ ، مُنْكَسِرَ القَلْبِ ، لِما فاتَنِي من العِلْجِ ؛ وَمَا ظَهَرَ لي من خُلُقِ الفَرَسِ ؛ فَوَضَعْتُ رَأْسِي على عَمُودِ الفُسْطاطِ وَفَرَسِي قائِمٌ ، فَرَأَيْتُ في المَنامِ كان الفَرَسَ يُخاطِبُني وَيَقُولُ لِي : بِاللهِ عَلَيْكَ ، أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ العِلْجَ عليَّ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وَأَنْتَ بِالأَمْسِ اشْتَرَيْتَ لي عَلَفاً ، وَدَفَعْتَ في ثَمَنِهِ دِرْهَماً زائِفاً ؟ لا يَكُونُ هذا أَبَداً .

---

(١) الميدانيّ ٢/ ٣٩١ والعسكريّ ٢/ ٣٦٩ وأبو عُبيد ١٣٤ والزمخشريّ ٢/ ٢٢٠ وثمار القلوب ١/ ٥٤١ .

(٢) الميدانيّ ١/ ١١٥ وحمزة ١/ ٧٧ والزمخشريّ ١/ ٢٢ .

(٣) الميدانيّ ١/ ٤٤١ وحمزة ١/ ٢٨٤ والعسكريّ ٢/ ١٤ والزمخشريّ ١/ ٢٢٦ .

(٤) ثمار القلوب ١/ ٥٤٠ والميدانيّ ٢/ ١٤٠ والزمخشريّ ٢/ ٢٠٣ وفصل المقال ٣٧٦ والتَّمثيل والمحاضرة ٣٣٩ .

(٥) إحياء علوم الدِّين ٢/ ٦٨ .

فانْتَبَهْتُ فَزِعاً ، وَذَهَبْتُ إلى العَلاَّفِ ، وَأَبْدَلْتُ لَهُ ذلكَ الدِّرْهَمَ . ا هـ .

● **تَتِمَّةٌ أُخْرى** : رَوى ابْنُ بَشكوال في كِتابِ « المُستغيثين باللهِ عَزَّ وَجَلَّ » عن عبدِ اللهِ بن المُبارَكِ ، المُجْمَعِ على دِينِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ ، أَنَّهُ قالَ :

خَرجْتُ إلى الجِهادِ ومَعي فَرَسٌ ، فَبَيْنا أَنا في بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ صُرِعَ الفَرَسُ ، فَمَرَّ بي رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ ، طَيِّبُ الرَّائِحَةِ ، فقالَ : تُحِبُّ أَنْ تَرْكَبَ فَرَسَكَ ؟ قُلتُ : نَعم . فَوَضَعَ يَدَهُ على جَبْهَةِ الفَرَسِ حتَّى انْتَهى إلى مُؤَخَّرِهِ ، وقالَ : أَقْسَمْتُ عليْكِ أَيَّتُها العِلَّةُ بِعِزَّةِ عِزَّةِ اللهِ ، وَبِعَظَمَةِ عَظَمَةِ اللهِ ، وَبِجَلالِ جَلالِ اللهِ ، وَبِقُدْرَةِ قُدْرَةِ اللهِ ، وَبِسُلْطانِ سُلْطانِ اللهِ ، وَبلا إِلَه إلاَّ الله ، وَبِما جَرى بِهِ القَلَمُ من عِنْدِ اللهِ ، وَبِلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ ، إلاَّ انْصَرَفْتِ .

قالَ : فانْتَفَضَ الفَرَسُ وَقامَ ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ بِرِكابي ، وَقالَ : ارْكَبْ ؛ فَرَكِبْتُ وَلَحِقْتُ بِأَصْحابي .

فَلَمَّا كان من غَداةِ غَدٍ ، وَظَهَرْنا على العَدُوِّ ، فإذا هُوَ بَيْنَ أَيْدِينا ، فَقُلْتُ : أَلَسْتَ صاحِبي بِالأَمْسِ ؟ قالَ : بَلَى ؛ فَقُلْتُ : سَأَلْتُكَ باللهِ ، من أَنْتَ ؟ فَوَثَبَ قائِماً . فاهْتَزَّتِ الأَرْضُ تَحْتَهُ خَضْراءَ ، فإذا هُوَ الخَضِرُ عليْهِ السَّلامُ .

قالَ ابْنُ المبارَكِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : فَما قُلْتُ هذِهِ الكَلِماتِ على عَلِيلٍ ، إلاَّ شُفِيَ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى[1] .

الخَواصُّ[2] : إذا عُلِّقَتْ سِنُّ الفَرَسِ العَرَبِيِّ على صَبِيٍّ ، سَهُلَ طُلُوعُ أَسْنانِهِ بلا أَلَمٍ .

وإِنْ وُضِعَتْ سِنُّهُ تَحتَ رَأْسِ مَن يَغُطُّ في النَّوْمِ ، انْقَطَعَ غَطِيطُهُ .

---

(١) مضى الخبر .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٤٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٩ .

وَلَحْمُهُ يَطْرُدُ الرِّياحَ .

وَعَرَقُهُ : يُطْلَى بِهِ عانَةُ الصَّبِيِّ وإِبْطُهُ ، فَلا يَنْبُتُ فِيهما شَعَرٌ ؛ وَهُوَ سُمٌّ قاتِلٌ للسِّباعِ والثَّعابِينِ جَميعاً .

وإِذا أُخِذَتْ شَعْرَةٌ من ذَنَبِ فَرَسٍ ، وَجُعِلَتْ على بابِ بَيْتٍ مَمْدُودَةً ، لَمْ يَدخلْ ذلكَ البيتَ بَقٌّ ما دامَتِ الشَّعرَةُ كذلكَ .

وإِنْ شَرِبَتْ امْرَأَةٌ دَمَ بِرْذَوْنٍ ، لَمْ تَحْبَلْ أَبَداً .

وَرَمادُ حافِرِ الفَرَسِ إِذا خُلِطَ بزَيْتٍ ، وَجُعِلَ على الخَنازِيرِ ، أَبْرَأَها .

وإِذا سُقِيَت امرأَةٌ لَبَنَ فَرَسٍ ، وَهيَ لا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَبَنُ فَرَسٍ ، وَجامَعَها زَوْجُها من ساعَتِها ، حَمَلَتْ منهُ بإِذْنِ اللهِ تَعالى ؛ وإِنْ شَرِبَتْهُ بِالعَسَلِ ، صارَتْ مُجامَعَتُها لَذيذَةً .

وإِذا سُحِقَ بَصَلُ الفَأْرِ ، وَمُسِحَ بِهِ أَسْنانُ الفَرَسِ الحَرُونِ ، لانَ وَذَهَبَتْ صُعُوبَتُهُ .

وَزِبْلُ الفَرَسِ إِذا جُفِّفَ وَسُحِقَ وَذُرَّ على الجِراحاتِ ، قَطَعَ دَمَها ؛ وإِنْ كُحِّلَ بِهِ البَياضُ العارِضُ في العين ، أَزالَهُ ؛ وإِنْ دُخِّنَ بِهِ ، أَخْرَجَ الوَلَدَ من البَطْنِ .

● **فَصْلٌ في صِبْغِ البَراذِينِ** : قالَ صاحِبُ « عَيْنِ الخَواصِّ » : إِذا سُخِّنَ المَاءُ تَسْخِيناً شَديداً ، بِحَيْثُ يُذْهِبُ الشَّعَرَ ، وَصُبَّ على البِرْذَوْنِ ، فإِنَّهُ يَحلقُ شَعْرَهُ ذلكَ ، ويَنبتُ لَه شَعرٌ مُخالفٌ لِما ذهبَ عنهُ من اللَّونِ .

قالَ : وَمِمَّا يُصَيِّرُ الأَشْهَبَ أَدْهَمَ : أَنْ يُؤخَذَ مَرداسَنْجٌ وَعَفْصٌ وَزِنْجارٌ وَنُورَةٌ وزاجُ الأَساكِفَةِ وَطِيْنٌ خُوزيٌّ بالسَّوِيَّةِ ، يُدَقُّ الجَميعُ ، وَيُعْجَنُ بماءٍ حارٍّ ، وَيُصْبَغُ بِهِ الفَرَسُ وَالبِرْذَوْنُ ، وَيُتْرَكُ يَوْماً وَلَيْلَةً ، ثمَّ يُغْسَلُ من الغَدِ فَيَصِيرُ أَدْهَمَ ؛ وإِنْ طُلِيَ بعْضُ جَسَدِهِ بذلكَ ، وَتُرِكَ بَعْضُهُ ، كان أَبْلَقَ .

وَمِمَّا يُصَيِّرُ بِهِ الأَدْهَمُ أَبْرَشَ : الحُرُضُ إذا طُبِخَ مع وَرَقِ الدِّفْلى ، وَصُفِّيَ ماؤُهُ ، ثمَّ طُبِخَ أَيْضاً مع القلى وَمُخّ جَوْزٍ سائِلٍ ، ثمَّ يُغْسَلُ بِهِ البَراذِينُ ، فَتَصِيرُ شَهْباءَ .

وَمِمَّا يُصَيِّرُ الأَشْهَبَ أَدْهَمَ أَيْضاً : أَن يُؤْخَذَ قُشُورُ الجَوْزِ الرَّطْبِ ، وتُطْبَخَ مع الآسِ وَوَسَخِ الحديدِ ، ثمَّ يغسلُ به البِرْذَوْنَ غَسْلاً نَقِيّاً ، وَيُطْلَى بذلكَ ، فَيَصيرُ أَدْهَمَ ، وَيَبْقَى سَوادُهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . واللهُ أَعلَمُ .

التَّعبيرُ[١] : الفَرَسُ في الرُّؤْيا تُعَبَّرُ للحامِلِ بِوَلَدٍ ذَكَرٍ فارِسٍ ، وَتُعَبَّرُ بِرَجُلٍ ، وَتِجارَةٍ ، وَشَرِيكٍ ، وَامرأَةٍ .

فَمَنْ رَأَى فَرَساً ماتَ في يَدِهِ ، فذلكَ مَوْتُ من يُنْسَبُ إِلَيْهِ الفَرَسُ من الوَلَدِ ، أَوِ المرأَةِ ، أَوِ الشَّرِيكِ .

وَالفَرَسُ الأَبْلَقُ في الرُّؤيا : أَميرٌ مَشْهُورٌ . وَقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في « بابِ الخاءِ المُعجَمَةِ » في لَفْظِ « الخَيلِ » .

وَالفَرَسُ الأَسْوَدُ والأَدْهَمُ : يَدُلاَّنِ على المالِ ؛ وَالأَصْفَرِ والمَرِيضِ : يَدُلاّنِ عَلَى المَرَضِ لِمَنْ رَكِبَ أَحَدَهُما أَوْ كِلَيْهِما ؛ وَالأَشْقَرُ : يَدُلُّ على دَيْنٍ وَحُزْنٍ ؛ وقِيلَ : فِتْنَةٍ .

وَقالَ ابنُ سِيرين رحمهُ اللهُ : لا أُحِبُّ الأَشْقَرَ ، لِشَبَهِهِ بالدَّمِ .

وَالأَشْهَبُ : يُعَبَّرُ بِرَجُلٍ صاحِبِ قَلَمٍ . كذا عَبَّرَهُ ابنُ سِيرينَ ، وقالَ : أَلا تَراهُ سَواداً في بَياضٍ ؟ .

وَالكُمَيْتُ : يَدُلُّ على القُوَّةِ واللَّهْوِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على الحَرْبِ والضَّرْبِ .

وَمَن رَكِبَ فَرَساً ، وَأَجْراهُ حتَّى عَرِقَ ، فإِنَّهُ يَرْكَبُ أَمْراً فِيهِ هَوى نَفْسٍ ،

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧١ وتفسير الواعظ ٢٦٥ وما بعد .

وَتَلَفُ مالٍ ، لِمَكانِ العَرَقِ ، وَالعَرَقُ أَيضاً تَعَبٌ .

وَأَمَّا الرَّكْضُ ، فإِنَّهُ ارْتِكابُ هَوىً ، لِقَوْلِهِ تعالى : ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ [الأنبياء : ١٣] .

وَمَنْ نَزَلَ عن فَرَسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نِيَّةٌ في الرُّجُوعِ ، فَإِنَّهُ يُعْزَلُ إِنْ كان والِياً .

وَالفَرَسُ الجَمُوحُ : رَجُلٌ مَجْنُونٌ ، وَالحَرُونُ : مُتَهاوِنٌ ، بَطِيْءٌ بَطِرٌ .

وَمَنْ رَأَى شَعرَ ذَنَبِ فَرَسِهِ كَثِيراً : زادَ مالُهُ وأَوْلادُهُ ؛ وإِنْ كان سُلطاناً : كَثُرَ جَيْشُهُ ؛ وَمَنْ قُطِعَ ذَنَبُ فَرَسِهِ ، فإِنَّهُ لا يُخلفُ وَلَداً ؛ وإِنْ كان لَهُ أَوْلادٌ فإِنَّهم يَمُوتُونَ ؛ وإِنْ كان سُلْطاناً ، ذَهَبَ جَيْشُهُ ؛ وكذلكَ إذا كان مَنْتُوفاً : تَفَرَّقَ الجَيْشُ الذي يَتْبَعُ صاحِبَ الفَرَسِ .

وَمَنْ رَكِبَ فَرَساً ، وَكانَ مِمَّنْ يَلِيقُ بِهِ رُكُوبُ الخَيْلِ ، نَالَ عِزّاً وَجاهاً وَمالاً ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « الخَيْلُ مَعْقُودٌ في نَواصِيْها الخَيْرُ » . وَرُبَّما صادَفَ رَجُلاً جَواداً ، وَرُبَّما سافَرَ ، لأَنَّ السَّفَرَ مُشْتَقٌّ من الفَرَسِ ؛ فإذا كان حِصاناً ، تَحَصَّنَ من عَدُوِّهِ ؛ وإِنْ كان مُهْراً ، رُزِقَ وَلَداً جَمِيلاً ؛ وإِنْ كان إِكْدِيشاً ، رُبَّما عاشَ زَماناً ؛ وإِنْ كان بِرْذَوْناً ، تَوَسَّطَ حالُهُ ، وَعاشَ لا يَسْتَغْني ولا يَفْتَقِرُ ؛ وإِنْ كان الفَرَسُ حَجْراً ، تَزَوَّجَ إِنْ كان أَعْزَبَ امرأَةً ذاتَ جَمالٍ ومالٍ وَنَسْلٍ ؛ والأَصِيلُ : شَرِيفٌ بالنِّسْبَةِ إِلى غَيرِ الأَصيلِ ؛ وَرُبَّما دَلَّتِ الفَرَسُ على الدَّارِ الحَسَنَةِ البِناءِ .

وَقالَ ابنُ المُقرىءِ : من رَأَى أَنَّهُ رَكِبَ فَرَساً أَشْهَبَ : نَالَ عِزّاً وَنَصْراً على العَدُوِّ ، لأَنَّهُ من خَيْلِ المَلائِكَةِ ؛ وَالأَدْهَمُ هَمٌّ ؛ وَالأَغَرُّ المُحَجَّلُ : عِلْمٌ وَوَرَعٌ وَدِيْنٌ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « إِنَّكُم سَتَرِدُونَ عليَّ يَوْمَ القِيامَةِ غُرّاً مُحَجَّلين من أَثَرِ الوُضُوءِ » .

وَمَنْ رَكِبَ كُمَيْتاً : رُبَّما شَرِبَ خَمْراً ، لأَنَّهُ من أَسْمائِها .

وَمَنْ رَكِبَ فَرَساً لِغَيْرِهِ : نَالَ مَنْزِلَتَهُ ، أَو عَمِلَ بِسُنَّتِهِ ، خُصُوصاً إِنْ كان مَرْكُوباً مَعروفاً ، وَيَليقُ بِهِ . انتهى .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَقُودُ فَرَساً : فإِنَّهُ يَطلبُ خِدْمَةَ رَجُلٍ شَرِيفٍ ؛ ولا خَيْرَ في رُكُوبِ الفَرَسِ في غَيرِ مَحَلِّ الرُّكُوبِ ، كَالسَّطْحِ والحائِطِ وَالحَبْسِ .

وَرُبَّما دَلَّ الفَرَسُ الخَصِيُّ على خادِمٍ .

وَاعتبرْ بكلِّ مَركوبٍ ما يَليقُ ؛ فَالسَّرْجُ للفَرَسِ ، وَالكُورُ للجَمَلِ ، وكذلكَ المَحْمَلُ والهَوْدَجُ والمِحَفَّةُ للبغالِ ، وَالبَراذِعُ للحَمِيرِ ؛ فَمَنْ رَكِبَ حَيواناً بِما يَلِيقُ بِهِ من العِدَّةِ ، تكَلَّفَ أَو كَلَّفَ غَيْرَهُ ما لا يَلِيقُ .

وَالدَّابَّةُ بِلا لِجامٍ ولا مِقْوَدٍ : امرأَةٌ زانِيَةٌ ، لأَنَّها كيفَما أَرادَتْ مَشَتْ ؛ وكذلكَ الفَرَسُ العاثِرُ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَأْكُلُ لَحمَ فَرَسٍ : نَالَ ثَناءً حَسَناً ، واسْماً صالِحاً ؛ وَقيلَ : إِنَّهُ مَرَضٌ ، لِصُفْرَتِهِ .

وَمَنْ نازَعَهُ فَرَسُهُ : خَرَجَ عليهِ عَبْدُهُ ؛ وإِنْ كان تاجِراً ، خَرَجَ عليهِ شَريكُهُ .

● وَمن الرُّؤْيا المُعَبَّرَةِ[1] : أَنَّ رَجُلاً أَتى ابنَ سِيرين رحمةُ اللهِ تعالىٰ عليه ، فقال : رَأَيتُ كأَنِّي راكِبٌ على فَرَسٍ ، قوائِمَهُ من حَديدٍ ، فقال له ابن سيرين رحمهُ اللهِ : تَوَقَّعِ المَوْتَ . وَاللهُ تعالى أَعلمُ .

٧٦١ فَرَسُ البَحْرِ : حَيوانٌ[2] يُوجَدُ في نِيْلِ مِصْرَ ، لَهُ ناصِيَةٌ كَناصِيَةِ

---

(١) تفسير الواعظ ٢٦٧ .

(٢) عجائب المخلوقات ١٠٤ ومسالك الأبصار ٢٠/١٤٨ والحيوان ٧/١٢٩ .

الفَرَسِ ، وَرِجْلاهُ مَشْقُوقَتانِ كالبَقَرِ ؛ وَهوَ أَفْطَسُ الوَجْهِ ، لَهُ ذَنَبٌ قَصِيرٌ يُشْبِهُ ذَنَبَ الخِنْزِيرِ ، وَصُورَتُهُ تُشْبِهُ صُورَةَ الفَرَسِ ، إلاّ أَنَّ وَجْهَهُ أَوْسَعُ ، وَجِلْدَهُ غَليظٌ جِدّاً ؛ وَهوَ يَصْعَدُ إِلى البَرِّ فَيَرْعى الزَّرْعَ ، وَرُبَّما قَتَلَ الإِنْسانَ وغَيْرَهُ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ كَالخَيْلِ المُتَوَحِّشَةِ التي تَعْدُو في غالِبِ أَحْيانِها .

الخَواصُّ[١] : إذا أُحْرِقَ جِلْدُهُ ، وَخُلِطَ بِدَقيقِ كِرْسَنَّةٍ ، وَطُلِيَ بِهِ داءُ السَّرطانِ ، أَبْرَأَهُ في ثَلاثَةِ أَيّامٍ .

وَمَرارَتُهُ : إذا تُرِكَتْ في المَاءِ ثَلاثِينَ يَوْماً ، ثُمَّ سُحِقَتْ ، واكْتُحِلَ بِها أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْماً ، أَو أَربعةً وعشرين ، بِعَسَلٍ لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ ، أَذْهَبَتِ الماءَ الأَسْوَدَ من العَيْنِ .

وَسِنُّهُ نافِعَةٌ لِوَجَعِ البَطْنِ ، إذا عُلِّقَتْ على من أَشْرَفَ على المَوْتِ من وَجَعِ المَعِدَةِ من التُّخْمَةِ والامْتِلاءِ ، يَبْرَأُ بإِذْنِ اللهِ تَعالى .

وَجِلْدُهُ : إذا دُفِنَ في وَسَطِ قَرْيَةٍ ، لَمْ يَقَعْ فِيها شَيْءٌ من الآفاتِ ؛ وإذا أُحْرِقَ وَجُعِلَ على الوَرَمِ ، أَذْهَبَهُ ، وَسَكَّنَ وَجَعَهُ .

التَّعبيرُ : الفَرَسُ البَحْرِيُّ في الرُّؤيا : يدلُّ على كَذِبٍ ، وأَمْرٍ لا يَتِمُّ .

● **فَصْلٌ**[٢] : وَالبَحْرُ في الرُّؤْيا : يُعَبَّرُ بِمَلِكٍ ، وَحَبْسٍ لِمَنْ وَقَعَ فِيهِ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ الخُرُوجُ منهُ ، وَبِرَجُلٍ عالِمٍ وَكَريمٍ ، فيُقالُ : بَحْرُ عِلْمٍ ، وَبَحْرُ كَرَمٍ .

وَيُعَبَّرُ بالدُّنْيا ؛ فَمَنْ رَأَى كَأَنَّهُ قاعِدٌ على مَتْنِ البَحْرِ ، أَو مُضطجعٌ عليْهِ ، فإِنَّهُ يُداخِلُ مَلِكاً ، وَيَكونُ منهُ على خَطَرٍ ؛ لأَنَّ المَاءَ لا يُؤْمَنُ من الغَرَقِ فِيه .

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٤٨ والحيوان ٧/ ١٢٩ .

(٢) تعبير الرُّؤيا ١٣٤ وتفسير الواعظ ٤٠٩ وما بعد .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ شَرِبَ من ماءِ البحرِ : نالَ مالاً من المَلِكِ ؛ فإنْ شَرِبَهُ كُلَّهُ نالَ مَالَ المَلِكِ كُلَّهُ .

وَمَنْ رَأَى البَحْرَ من بَعِيدٍ وَلَمْ يُخالِطْهُ ، فإِنَّ ذلكَ أَمْرٌ يَفُوتُهُ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَشْرَبُ من مائِهِ ، وَلَهُ شَرِيكٌ ، فإِنَّهُ يُفارِقُهُ لِقَولِهِ تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ [البقرة : ٥٠] .

وَمَنْ رَأَى كَأَنَّهُ يَمْشِي في البَحْرِ في طَرِيقٍ يابسٍ : فإِنَّهُ يَأْمَنُ من الخَوْفِ ، لِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٧٧] .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ غاصَ في البَحْرِ لِيُخْرِجَ شَيْئاً من الدُّرِّ ، فإِنَّهُ يَدخلُ في غامِضِ العِلْمِ .

وَمَنْ قَطَعَ البَحْرَ سَبْحاً إِلى الجانِبِ الآخَرِ ، فإِنَّهُ يَنْجُو من هَوْلٍ وَغَمٍّ .

وَمَنْ سَبَحَ في البَحْرِ في زَمَنِ الشِّتاءِ ، نالَهُ هَمٌّ من قِبَلِ مَلِكٍ ، أَوْ أَصابَهُ مَرَضٌ ، أَو يُحْبَسُ ، أَو يَنالُهُ وَجَعٌ من الرِّياحِ .

وإذا دَخَلَ البَحْرُ إلى دَرْبِ النَّاسِ ، وَبَلَّ القِماشَ ، أَو أَكَلَ وَحْشُهُ طَعامَ النَّاسِ ، فإِنَّ المَلِكَ يَظلمُ أَهْلَ تِلكَ النَّاحِيَةِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على طُولِ الشَّقاءِ في تِلكَ السَّنَةِ ، لا سِيَّما إذا كان مُضطرباً كَثِيرَ المَوْجِ ؛ فإِنَّهُ يَدُلُّ على مَضارَّ كَثيرةٍ .

● **وَالبُحَيْرَةُ** في الرُّؤْيا : تدلُّ على القُضاةِ ، وَالوُلاةِ ، والمَوالِي الذينَ يَفعلونَ الأَشْياءَ بِالأَمْرِ .

وَالبُحَيْرَةُ الصَّغيرَةُ : تدلُّ على امرأَةٍ غَنِيَّةٍ .

وَالبَحْرُ إِذا كان هادِئاً : دَلَّ على البَطالَةِ .

والبُحَيْرَةُ للمُسافِرِ تَدُلُّ على تَعذُّرِ السَّفَرِ .

● **تتمَّةٌ** : وَأَمَّا **النَّهْرُ** في الرُّؤْيا : فإِنَّهُ يدلُّ على رجلٍ جَليلٍ ؛ فَمَنْ دَخلَ في نَهْرٍ ، فإِنَّهُ يُخالِطُ رَجُلاً من الأَكابِرِ .

وَلا يُحْمَدُ الشُّرْبُ من النَّهرِ ؛ وَقيلَ : إِنَّهُ يَدُلُّ على سَفَرٍ لِمَنْ دَخلَهُ ، لأَنَّ ماءَهُ مُتَنَقِّلٌ مُسافِرٌ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ وَثَبَ من النَّهْرِ إِلى الجانِبِ الآخَرِ ، فإِنَّهُ يَنْجُو من هَمٍّ ، وَيُنْصَرُ على عَدُوِّهِ ؛ وَالدُّخولُ في النَّهْرِ : دَخُولٌ في عَمَلِ السُّلْطانِ .

وإِذا جَرَى المَاءُ في الأَسْواقِ ، وَالنَّاسُ يَتَوَضَّؤُونَ منهُ ، وَيَنْتَفِعُونَ بهِ ، فذلكَ عَدْلٌ من السُّلْطانِ ؛ فإِنْ جَرَى فوقَ الأَسْطِحَةِ ، وَبَلَّ قِماشَ النَّاسِ في دُورِهِم ، فذلكَ جَوْرٌ من السُّلْطانِ ، أَو عَدُوٌّ يَطْغَى على النَّاسِ .

وَمَنْ رَأَى نَهْراً خَرجَ من دارِهِ ، وَلَمْ يَضُرَّ أَحَداً ، فإِنَّهُ مَعْرُوفٌ منهُ يَصِلُ إِلى النَّاسِ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّه صارَ نَهْراً ، فإِنَّهُ يَمُوتُ بِنَزْفِ الدَّمِ .

● **فَصْلٌ** : وَأَمَّا رُؤْيَةُ عَيْنِ الماءِ ، فإِنَّها كَرامَةٌ وَنِعْمَةٌ وَبُلُوغُ أُمْنِيَةٍ ، إِذا كان الرَّائِي مَسْتُوراً .

وَمَنْ رَأَى كأَنَّ عَيْناً نَبَعَتْ من دارِهِ ، دَلَّ على مُشترى جاريةٍ ؛ فإِنْ خَرَجَتْ من الدَّارِ إِلى ظاهِرِها ، فإِنَّهُ مالٌ قد ذَهَبَ .

وَالمَاءُ الرَّاكِدُ في الدَّارِ : هَمٌّ باقٍ ، فإِنْ كان صافِياً ، فَهَمٌّ مع صِحَّةِ جِسْمٍ ؛ وَلا يُكْرَهُ من العُيُونِ إِلاَّ ما رَكَدَ ماؤُهُ وَلَمْ يَجْرِ .

وَمَنْ شَرِبَ من مَاءِ عَيْنٍ ، أَصابَهُ هَمٌّ ، فإِنْ كان بارِداً فَلا بَأْسَ بِهِ . وَاللهُ تعالى أَعلمُ .

٧٦٢ الفَرْشُ : صِغارُ الإِبلِ . وَقيلَ : هُو من الإِبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ

ما لا يَصْلُحُ إلاَّ لِلذَّبْحِ ؛ ومنه قولُه تَعالى : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ [الأنعام : ١٤٢] قَدَّمَ الحَمُولَةَ على الفَرْشِ ، لأَنَّها أَعْظَمُ في الانْتِفاعِ ، إِذ يُنْتَفَعُ بِها في الأَكْلِ والحَمْلِ .

قالَ الفَرَّاءُ : وَلَمْ أَسْمَعْ للفَرْشِ بِجَمْعٍ .

قالَ : وَيُحْتَمَلُ أَن يَكُونَ مَصْدراً سُمِّيَ بِهِ ، من قَوْلِهِم : فَرَشَها اللهُ تَعالَى فَرْشاً : أَي بَثَّها بَثًّا[١] .

٧٦٣ **الفُرانِقُ** : بِضَمِّ الفاءِ : البَبْرُ البَرِيدُ ، وهو الذي يُنْذِرُ بِالأَسَدِ[٢] .

وقد تَقَدَّمَ في « بابِ الباءِ المُوحَّدةِ » .

٧٦٤ **الفُرْفُرُ** : كَهُدْهُدٍ : طَيْرٌ من طُيُورِ الماءِ ، صَغيرُ الجُثَّةِ على قَدْرِ الحَمامِ .

٧٦٥ **الفُرْفُورُ** : كَعُصْفُورٍ : طائِرٌ . قالَهُ الجَوهريُّ[٣] ؛ وَلعلَّهُ الذي قَبْلَهُ .

٧٦٦ **الفَرَعُ** : بِفَتْحِ الفاءِ والرَّاءِ المهملةِ ، وبالعَيْنِ المُهملةِ في آخِرِهِ : أَوَّلُ نِتاجِ البَهيمَةِ[٤] .

● ثَبَتَ في « الصَّحيحين »[٥] عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا فَرَعَ وَلا عَتِيرَةَ » .

---

(١) الصِّحاح « فرش » ٣/ ١٠١٤ .

(٢) الصِّحاح « فرق » ٤/ ١٥٤٣ .

(٣) الصِّحاح « فرر » ٢/ ٧٨٠ . وهو الذي قبله في المخصَّص ٨/ ١٦٢ .

(٤) الصِّحاح « فرع » ٣/ ١٢٥٧ .

(٥) البخاريّ ٦/ ٢١٧ ومسلم (١٩٧٦) وأبو داود (٢٨٣١) والتِّرمذي (١٥١٢) والنَّسائيّ (٤٢٢٢ ـ ٤٢٢٣) وابن ماجه (٣١٦٨) والنهاية ٣/ ٤٣٥ .

وذلكَ أَنَّهم كانُوا يَذْبَحُونَهُ ولا يَأْكُلُونَه ، رَجاءَ البَرَكَةِ في الأُمِّ ، وَكَثْرَةِ نَسْلِها .

وَالعَتيرَةُ ـ بِفَتْحِ العَيْنِ المُهملَةِ ـ : ذَبيحَةٌ كانُوا يَذْبَحُونَها في اليَوْمِ الأَوَّلِ من شَهْرِ رَجَب ، وَيُسَمُّونَها الرَّجَبِيَّةَ .

الحُكْمُ : في كَراهَتِهِما وَجْهانِ ؛ الصَّحيحُ الذي نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافعيُّ ، واقْتَضَتْهُ الأَحادِيثُ ، أَنَّهُما لا يُكْرَهانِ ، بَلْ يُسْتَحَبَّانِ .

● وَرَوى « أَبُو داود »[(١)] بإِسْنادٍ حَسَنٍ : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن مُعاقَرَةِ الأَعْرابِ » . وَهي مُفاخَرَتُهم ، فإِنَّهم كانُوا يَتَفاخَرُونَ بِأَنْ يَعْقِرَ كُلُّ واحِدٍ منهم عَدَداً من إِبِلِهِ ، فَأَيُّهُمْ كان عَقْرُهُ أَكْثَرَ كان غالِباً ؛ فَكَرِهَ النَّبيُّ ﷺ لَحْمَها ، لِئَلاَّ يَكُونَ مِمَّا أُهِلَّ بِهِ لِغيرِ اللهِ تَعالى .

● وَرَوى « أَبُو داود »[(٢)] أَيضاً : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن طَعامِ المُتبارِيَيْنِ .

● **فائِدَةٌ** : حَكى الإِمامُ العَلاَّمَةُ أَبُو الفَرَجِ الأَصْبَهانيّ وغَيرُهُ[(٣)] : أَنَّ الفَرَزْدَقَ الشَّاعِرَ المشهُورَ ، وَاسْمُهُ هَمَّام بن غالِبٍ ، كان أَبُوهُ غالِبٌ رَئِيسَ قَوْمِهِ ، وَأَنَّ أَهْلَ الكُوفَةِ أَصابَتْهُم مَجاعَةٌ ، فَعَقَرَ غالِبٌ أَبو الفَرَزْدَقِ المذكُورِ لأَهْلِهِ ناقَةً ، وَصَنَعَ مِنْها طَعاماً ، وَأَهْدَى إِلى قَوْمٍ من بَني تَميمٍ جِفاناً من ثَرِيدٍ ، وَوَجَّهَ جَفْنَةً منْها إِلى سُحَيْم بن وَثِيْلٍ الرِّياحيّ رئيسِ قَوْمِهِ ؛ وَهوَ القائِلُ[(٤)] :

[من الوافر]

---

(١) أَبو داود (٢٨٢٠) .

(٢) أَبو داود (٣٧٥٤) .

(٣) الأَغاني ٢١/ ٢٨٢ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١١٩ ووفيات الأَعيان ٦/ ٨٦ وأَمالي القالي ٣/ ٥٢ وخزانة البغداديّ ٣/ ٥٨ وَالنَّقائض ١/ ٤١٤ .

(٤) البيت مطلع الأَصمعيَّة الأُولى . الأَصمعيات ١٧ .

أَنــا ابْــنُ جَــلا وَطَــلاَّعُ الثَّنــايــا مَتــى أَضَــعِ العِمــامَــةَ تَعْــرِفُــونــي

وَقَدْ تَمَثَّلَ بِذلكَ الحَجَّاجُ في خُطْبَتِهِ يَوْمَ قَدِمَ الكُوفَةَ أَميراً .

فَكَفَأَها سُحَيْمٌ ، وَضَرَبَ الذي أَتى بها ، وَقالَ : أَنا مُفْتَقِرٌ إلى طَعامِ غالِبٍ ؟ إذا نَحَرَ هو ناقَةً ، نَحَرْتُ أَنا أُخْرى ؛ فَوَقَعَتِ المُعاقَرَةُ بَيْنَهما ، فَعَقَرَ سُحَيْمٌ لأَهْلِهِ ناقَةً ، فَلَمَّا أَنْ كان من الغَدِ عَقَرَ لَهُمْ غالِبٌ ناقَتَيْنِ ، فَعَقَرَ سُحَيْمٌ لأَهْلِهِ ناقَتَيْنِ ؛ فَلَمَّا كان اليَوْمُ الثَّالِثُ عَقَرَ غالِبٌ لأَهْلِهِ ثَلاثاً ، فَعَقَرَ سُحيمٌ لأَهْلِهِ ثَلاثاً ؛ فَلَمَّا كان اليَوْمُ الرَّابِعُ عَقَرَ غالِبٌ مِئَةَ ناقَةٍ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ سُحَيْمٍ هذا القَدْرُ ، فَلَمْ يَعقرْ شَيْئاً ، وَأَسَرَّها في نَفْسِهِ .

فَلَمَّا انْقَضَتِ المَجاعَةُ ، وَدَخَلَ النَّاسُ الكُوفَةَ ، قالَ بَنُو رِياحٍ لِسُحَيْمٍ : جَرَرْتَ عَلَيْنا عارَ الدَّهْرِ ، هَلاَّ نَحَرْتَ مثلَ ما نَحَرَ غالِبٌ ، وَكُنَّا نُعْطِيكَ مَكانَ كُلِّ ناقَةٍ ناقَتَين ؟ فاعْتَذَرَ بِأَنَّ إِبِلَهُ كانَتْ غائِبَةً ، ثمَّ عَقَرَ ثلاثمئة ناقَةٍ ؛ وَقالَ لِلنَّاسِ : شَأْنَكُمْ وَالأَكْلَ ؛ وَكانَ ذلكَ في خِلافَةِ أَميرِ المُؤمنين عليٍّ بن أَبي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ ، فَاسْتُفْتِيَ في حِلِّ الأَكْلِ مِنْها ، فَقَضَى بِحُرْمَتِها ، وَقالَ : هذهِ ذُبِحَتْ لِغَيْرِ مَأْكَلَةٍ ، وَلَمْ يَكُنِ المَقْصُودُ مِنْها إلاَّ المُفاخَرَةَ والمُباهاةَ ؛ فَأُلْقِيَتْ لُحُومُها على كُناسَةِ الكُوفَةِ ، فَأَكَلَها الكِلابُ وَالعِقْبانُ والرَّخَمُ .

٧٦٧ الفُرْعُلُ : كَقُنْفُذٍ : وَلَدُ الضَّبُعِ[١] ؛ وَالجَمْعُ : الفَراعِلُ .

● رَوَى « البَيهقيُّ » عن عبدِ اللهِ بن زَيْدٍ ، قالَ[٢] : سَأَلْتُ أَبا هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه عن وَلَدِ الضَّبُعِ ؟ فقالَ : ذاكَ الفُرْعُلُ ، فِيهِ نَعْجَةٌ من الغَنَمِ .

قالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الفُرْعُلُ عِندَ العَرَبِ : وَلَدُ الضَّبُعِ ؛ وَالذي يُرادِ من هذا

---

(١) الصِّحاح « فرعل » ٥/ ١٧٩٠ .

(٢) النِّهاية ٣/ ٤٣٧ .

الحَديثِ قَوْلُهُ : نَعْجَةٌ من الغَنَمِ ، يَعْني أَنَّها حَلالٌ بِمَنْزِلَةِ الغَنَمِ .

● قالَ الكُمَيْتُ[١] : [من الطَّويل]

وَتَسْمَعُ أَصْواتَ الفَراعِلِ حَوْلَهُ   يُعاوِينَ أَوْلادَ الذِّئابِ الهَقالِسا

يَعْني : حَوْلَ الماءِ الذي وَرَدُوهُ .

الأَمْثالُ : قَالُوا : « أَغْزَلُ من فُرْعُلٍ »[٢] . وَهُوَ من الغَزَلِ والمُراوَدَةِ .

وَقالَ المَيْدانيُّ : هو من الغَزَلِ ؛ بِمَعْنى الخَرَقِ ؛ يُقالُ : غَزَلَ الكَلْبُ : إذا تَبِعَ الغَزالَ ، فإذا أَدْرَكَهُ ثَغا الغَزالُ في وَجْهِهِ ، فَفَتَرَ وَدَهَشَ ؛ وَلَعلَّ الفُرْعُلَ يَفعلُ ذلكَ إذا تَبِعَ صَيْدَهُ ، فقالُوا : « أَغْزَلُ من فُرْعُلٍ » . انتهى .

● وَقالَ ابنُ هِشامٍ[٣] : إنَّ عِكْرِمَةَ بن أَبي جَهْلٍ أَلْقى رُمْحَهُ يَوْمَ الخَنْدَقِ وانْهَزَمَ ، فقالَ فِيهِ حسَّانُ بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[٤] : [من المتقارب]

وَفَرَّ وَأَلْقَى لَنا رُمْحَهُ   لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ

وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيْـ   ـمِ ما إنْ يَجُورُ عنِ المَعْدِلِ

وَلَمْ تُلْقِ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِساً   كَأَنَّ قَفاكَ قَفا فُرْعُلِ

٧٦٨ **الفَرْقَدُ** : وَلَدُ البَقَرَةِ ؛ وَأَبو فَرْقَدٍ : كُنْيَةُ الثَّوْرِ الوَحْشِيِّ[٥] .

٧٦٩ **الفِرْنِبُ** : بِكَسْرِ الفاءِ ، قالَ ابنُ سِيْدَه : هو الفَأْرُ ، وَقِيلَ : وَلَدُ الفَأْرِ من اليَرْبُوعِ[٦] .

---

(١) ديوانه ١/ ٢٠٧ .
(٢) الميدانيّ ٢/ ٦٥ وحمزة ١/ ٣٢٣ والعسكريّ ٢/ ٨٦ والزمخشري ١/ ٢٦١ .
(٣) السِّيرة النَّبويَّة ٢/ ١٢٦ .
(٤) ديوانه ١/ ٥٠٩ (عرفات) و ٢٦١ (حنفي) .
(٥) الصِّحاح « فرقد » ٢/ ٥١٩ والقاموس « فرقد » والمرصَّع ٢٦٧ .
(٦) اللِّسان « فرنب » ٥/ ٣٤٠٥ .

٧٧٠ **الفُرْهُودُ** : كَجُلْمُودٍ : وَلَدُ السَّبُعِ ؛ وَقِيلَ : وَلَدُ الوَعِلِ ؛ وَيُقالُ أَيضاً للغُلامِ الغَلِيظِ[١] . وَصَرَفُوهُ فقالُوا : تَفَرْهَدَ : إذا سَمِنَ .

٧٧١ **الفَرُّوجُ** : الفَتِيُّ من الدَّجاجِ ، وَالضَّمُّ فِيها لُغَةٌ . حَكاها اللِّحْيانيُّ ؛ وَالجَمْعُ : الفَرارِيْجُ . أَنْشَدَ الجَوهريُّ عن الأَصمعيِّ[٢] : [من الرَّجز]

أَقْبَلْنَ مِنْ نِيرٍ وَمِنْ سُواجِ وَالقَوْمُ قد مَلُّوا مِنَ الإِدْلاجِ
يَمْشُونَ أَفْواجاً على أَفْواجِ مَشْيَ الفَرارِيْجِ مَعَ الدَّجاجِ

وَحُكْمُهُ وَخَواصُّهُ : كَالدَّجاجِ .

وَأَمَّا تَعبيرُهُ[٣] : فَالفَرارِيجُ في الرُّؤْيا : هِيَ أَوْلادُ السَّبْيِ ، لأَنَّ الدَّجاجَ جَوارٍ .

وَمَنْ سَمِعَ أَصْواتَ الفَرارِيجِ ، فإِنَّهُ يَسْمَعُ كَلامَ قَوْمٍ فَسَقَةٍ .

وَمَنْ أَكَلَ لَحْمَ الفَرارِيجِ ، أَكَلَ مالاً من رَجُلٍ كَرِيمٍ .

وَالفَرارِيجُ : تَدُلُّ على أَمْرٍ يَتَأَلَّفُ عاجِلاً بِلا تَعَبٍ ، لأَنَّ الفَرارِيجَ لا تَحْتاجُ إِلى كُلْفَةِ التَّربِيَةِ . وَاللهُ تَعالَى أَعلمُ .

٧٧٢ **الفَرِيْرُ والفُرارُ** : وَلَدُ النَّعْجَةِ والماعِزَةِ والبَقَرَةِ ؛ وَيُقالُ : هو من أَوْلادِ المَعْزِ ما صَغُرَ جِسْمُهُ ؛ وَقِيلَ : الفَرِيرُ : واحِدٌ ، وَالفُرارُ : جَمْعٌ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٤] .

---

(١) اللِّسان « فرهد » ٥/٣٤٠٦ .

(٢) الشَّطران الأَوَّل والثَّاني في الصِّحاح « سوج » ١/٣٢٣ والتَّاج « رجج » ومعجم البلدان « سُواج » ٣/ ٢٧١ بلا نسبة . والأَربعة في اللِّسان « رجج » . وعنه في هامش الصِّحاح « رجج » ١/٣١٨ . ونير وسواج : موضعان .

(٣) تعبير الرُّؤيا ١٩٢ .

(٤) المخصَّص ٧/١٨٩ . وفي الصِّحاح « فرر » ٢/ ٧٨٠ : ولد البقرة الوحشيَّة .

٧٧٣ **فَسافِسُ** : كَخَنافِس : حَيوانٌ كَالقَرادِ ، شَدِيدُ النَّتْنِ . قالَهُ ابْنُ سِيْنا[(١)] .

وَقالَ القَزويني[(١)] : يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ البَقَّ .

إِذا سُحِقَتْ وَجُعِلَتْ في ثُقْبَةِ الإِحْلِيلِ ، نَفَعَتْ من عُسْرِ البَوْلِ .

وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الباء » الإِشارَةُ إِلى هذا .

٧٧٤ **الفَصِيْلُ** : وَلَدُ النَّاقَةِ إِذا فُصِلَ عن رَضاعِ أُمِّهِ ؛ وَهو فَعيلٌ بِمَعنى مَفْعُولٍ ، كَجَريحٍ وَقَتيلٍ ، بِمَعْنى مَجْرُوحٍ وَمَقْتُولٍ ؛ وَالجَمْعُ : فُصْلانٌ ، بِضَمِّ الفاءِ ، وَفِصالٌ ، بِكَسْرِها[(٢)] .

● رَوَى الإِمامُ « أَحمد » و« مُسلم »[(٣)] عن زَيْد بن أَرْقَم رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ : خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ على أَهْلِ قُباءَ وَهُمْ يُصَلُّونَ الضُّحَى ، فقالَ ﷺ : « صَلاةُ الأَوَّابِينَ ، إِذا رَمِضَتِ الفِصالُ » .

وَهي أَنْ تَحْمَى الرَّمْضاءُ ، وَهِيَ الرَّمْلُ ، فَتَبْرُكَ الفِصالُ من شِدَّةِ حَرِّها وإِحْراقِها أَخْفافَها .

● وَرَوَى « الإِمامُ أَحمد » أَيضاً و« أَبُو داود »[(٤)] من حَديثِ دُكَيْن بن سَعيد الخَثْعَميّ ، قالَ : أَتَيْنا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ أَربعُونَ وَأَربعمئةِ راكِبٍ ، نَسْأَلُهُ الطَّعامَ ، فقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « يا عُمَرُ ، اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُم » . فقَامَ

---

(١) عجائب المخلوقات ٣٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٤ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٦٢ .

(٢) الصِّحاح « فصل » ٥/ ١٧٩١ .

(٣) مسلم (٧٤٨) ومسند أحمد ٤/ ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٧٢ و ٣٧٥ . والشَّرح الآتي عن النِّهاية ٢/ ٢٦٤ .

(٤) مسند أحمد ٤/ ١٧٤ وفيه : « اذهب فأعطهم » .

عُمر وَقُمْنا مَعَهُ ، فَصَعَدَ بنا إلى غُرْفَةٍ ، فَأَخْرَجَ المِفْتاحَ ، فَفَتَحَ البابَ ، فإذا في الغُرفَةِ من التَّمْرِ شِبْهُ الفَصِيلِ الرَّابِضِ ، فقالَ : شَأْنَكُم ؛ فَأَخَذَ كُلٌّ مِنَّا ما شَاءَ من ذلكَ التَّمْرِ ؛ ثمَّ الْتَفَتُّ وإنِّي لَمِنْ آخِرِهِم ، فَكَأَنَّما لَمْ نَرْزَأْ منهُ تَمْرَةً .

● وَقالَ ابنُ عَطِيَّةَ في تَفسيرِ « سُورَةِ الفَلَقِ » : حَدَّثَني ثِقَةٌ ، أَنَّهُ رَأَى عِنْدَ بَعْضِهِم خَيْطاً أَحْمَرَ ، قد عُقِدَتْ فيهِ عُقَدٌ على فُصْلانٍ ، فَمُنِعَتْ بذلكَ رَضاعَ أُمَّهاتِهِنَّ ؛ فَكانَ إذا حَلَّ عُقْدَةً ، جَرى ذلكَ الفَصِيلُ إلى أُمِّهِ في الحِينِ فَرَضَعَ .

● فَرْعٌ : دَخَلَ فَصِيلُ رَجُلٍ في بَيْتِ رَجُلٍ ، وَلَمْ يُمْكِنْ إخْراجُهُ إلاَّ بِنَقْضِ البناءِ ؛ فإِنْ كان بِتَفْرِيطِ صاحِبِ البَيْتِ ، بِأَنْ غَصَبَهُ وَأَدْخَلَهُ ، نُقِضَ وَلَمْ يَغْرَمْ صاحِبُ الفَصِيلِ شَيْئاً ؛ وإِنْ كان بِتَفْرِيطِ صاحِبِ الفَصِيلِ ، نُقِضَ البِناءُ وَلَزِمَهُ أَرْشُ النَّقْضِ ؛ وَإِنْ دَخَلَ بِنَفْسِهِ ، نُقِضَ أَيْضاً ، وَلَزِمَ صاحِبَ الفَصِيلِ أَرْشُ النَّقْضِ على المَذْهَبِ ؛ وَبِهِ قَطَعَ العِراقِيُّونَ ؛ وَقيلَ : وَجْهانِ ، ثانِيْهُما : لا أَرْشَ عَليهِ .

الأَمثالُ : قالُوا : « أَتْخَمُ من فَصِيلٍ »[(١)] . لأَنَّهُ يَرْضَعُ أَكْثَرَ مِمَّا يُطِيقُ ثمَّ يُتْخَمُ .

وَقالُوا : « كَفَضْلِ ابنِ المَخاضِ على الفَصِيلِ »[(٢)] : أَي الذي بَيْنَهُما من الفَضْلِ قَليلٌ ؛ يُضْرَبُ للمُتقارِبَيْنِ في رُجُولِيَّتِهِما .

وَقالُوا : « اسْتَنَّتِ الفِصالُ حَتَّى القَرْعَى »[(٣)] . يُضْرَبُ للذي يَتَكَلَّمُ مع الذي لا يَنْبَغي لَهُ أَنْ يُتَكَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِجَلالَةِ قَدْرِهِ ؛ وَالقَرْعَى : جَمْعُ قَرِيعٍ ،

---

(١) الميدانيّ ١/ ١٥٠ وحمزة ١/ ٩٧ والعسكريّ ١/ ٢٨٦ والزمخشري ١/ ٣٤ .

(٢) الميداني ٢/ ١٤١ والزمخشري ٢/ ٢٢٠ والمؤرج ٧٨ .

(٣) الميداني ١/ ٣٣٣ و ٢/ ٣٩ والعسكريّ ١/ ١٠٨ والزمخشري ١/ ١٥٨ وأبو عبيد ٢٨٦ وفصل المقال ٣١٨ و ٤٠٢ .

كَمَرِيضٍ وَمَرْضَى ، وهُوَ الذي بهِ قَرَعٌ ، بالتَّحريكِ ، وَهو بَثْرٌ أَبْيَضُ يَطْلُعُ في الفِصالِ ؛ وَدَواؤُهُ المِلْحُ وَحَبابُ أَلْبانِ الإِبلِ . وَاللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

التَّعبيرُ : الفَصِيلُ في المَنامِ : وَلَدٌ شَرِيفٌ ؛ وَكُلُّ صَغِيرٍ من الحَيَوانِ إذا مَسَّهُ الإِنْسانُ ، فهو هَمٌّ . وَاللهُ أَعلمُ .

٧٧٥ **الفَلْحَسُ** : كَجَعْفَرٍ : الكَلْبُ ، وَالدُّبُّ المُسِنُّ .

وَفَلْحَسٌ[١] : رَجُلٌ من رُؤَساءِ بَني شَيْبانَ ، كان إذا أُعْطِيَ سَهْمَهُ من الغَنِيمةِ ، سَأَلَ سَهماً لامْرَأَتِهِ ، وَسَهماً لِناقَتِهِ ؛ فَقيلَ : « أَسْأَلُ من فَلْحَسٍ » .

٧٧٦ **الفُلُوُّ** ، والفَلُوُّ والفِلْوُ : بِضَمِّ الفاءِ ، وَفَتْحِها ، وَكَسْرِها : المُهْرُ الصَّغِيرُ ؛ والجَمْعُ : أَفْلاءٌ .

● قالَ سِيبويه : لَمْ يُكَسِّرُوهُ على فُعُلٍ كَراهَةَ الإِخْلالِ ، وَلا كَسَّرُوهُ على فِعْلانٍ كَراهَةَ الكَسْرَةِ قَبْلَ الواوِ ، وإِنْ كان بَيْنَهُما حاجِزٌ ، لأَنَّ السَّاكِنَ لَيْسَ بِحاجِزٍ حَصِينٍ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] .

● وَقالَ الجوهريُّ[٣] : الفَلُوُّ : بِتَشْدِيدِ الواوِ : المُهْرُ ، لأَنَّهُ يُفْتَلى عن أُمِّهِ ، أَي يُفْطَمُ ؛ وقد قالوا لِلأُنْثى : فُلُوَّةٌ ، كَما قَالُوا : عَدُوٌّ وَعَدُوَّةٌ ؛ وَالجَمْعُ : أَفْلاءٌ ، مِثْلُ عَدُوٍّ وَأَعْداءَ ، وَفَلاوى ، مِثْلُ خَطايا ، وأَصْلُهُ فَعائِلُ .

● وقال أَبو زَيْدٍ : إذا فَتَحْتَ الفاءَ شَدَّدْتَ الواوَ ، وإذا كَسَرْتَ خَفَّفْتَ ، فقلتَ : فِلْوٌ ، مِثالُ جِرْوٍ . وَفَلَوْتُهُ عن أُمِّهِ ، وافْتَلَيْتُهُ : إذا فَطَمْتَهُ ؛ وَفَرَسٌ مُفْلٍ

---

(١) الميداني ١/٣٤٧ وحمزة ١/٢٢٩ والعسكريّ ١/٥٣٢ والزمخشري ١/١٥٢ والصِّحاح واللِّسان والتّاج « فلحس » .

(٢) وعنه اللِّسان « فلو » ٥/٣٤٦٩ .

(٣) الصِّحاح « فلو » ٦/٢٤٥٦ ، واللِّسان .

وَمُفْلِيَةٌ : ذاتُ فَلُوٍّ . ا هـ .

● وَفي « الصَّحيحين » وغيرِهما[1] ، عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ من كَسْبٍ طَيِّبٍ ، إِلاَّ أَخَذَها الرَّحْمٰنُ بيَمِيْنِهِ ، وَإِنْ كانَتْ تَمْرَةً ، فَيُرَبِّيها كَما يُرَبِّي أَحَدُكُم فُلُوَّهُ أَو قَلُوصَهُ ، حتَّى تكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ » .

وَفي رِوايَةٍ : « فَتَرْبُو في كَفِّ الرَّحْمٰنِ حتَّى تكُونَ أَعْظَمَ من الجَبَلِ » .

● قالَ الماوَرديُّ وغَيْرُهُ : هذا الحَدِيثُ وَشَبهُهُ ، إِنَّما عَبَّرَ بهِ النَّبيُّ ﷺ على ما اعْتادَهُ في خِطابِهم لِيَفْهَمُوا ، فَكَنَّى هُنا عن قَبُولِ الصَّدَقَةِ بِأَخْذِها بِالكَفِّ ، وَعن تَضْعِيفِ أَجْرِها بِالتَّربِيَةِ .

● قالَ القاضِي عِياضٌ : لَمَّا كان الشَّيْءُ الذي يُرْتَضى وَيُعَزُّ يُتَلَقَّى باليَمِينِ وَيُؤْخَذُ بِها ، اسْتُعْمِلَ في مِثْلِ هذا ، واسْتُعِيْرَ للقَبُولِ والرِّضا ، إِذِ الشِّمالُ بِضِدِّ ذلكَ في هذا .

قالَ : وَقيل : المُرادُ بكَفِّ الرَّحمٰنِ هُنا ، وَبيَمِينِهِ : كَفُّ الذي تُدْفَعُ إِلَيْهِ الصَّدَقَةُ ويَمِينُهُ ؛ وإِضافَتُها إِلى اللهِ تَعالى ، إِضافَةُ مُلْكٍ واخْتِصاصٍ ، لِتُوضَعَ هٰذِهِ الصَّدَقَةُ فِيها للهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قالَ : وَقد قِيلَ في تَرْبِيَتِها وَتَعْظِيمِها حتَّى تكُونَ أَعْظَمَ من الجَبَلِ : إِنَّ المُرادَ بذلكَ تَعْظِيمُ ذاتِها ، وَيُبارِكُ اللهُ تَعالى فِيها ، ويَزِيدُها من فَضْلِها ، حتَّى تَثْقُلَ في المِيْزانِ .

وَهذا الحَدِيثُ نَحوَ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

---

(١) البخاريّ ٢/١١٣ و ٨/١٧٨ ومسلم (١٠١٤) والتّرمذيّ (٦٦١) والنَّسائيّ (٢٥٢٥) وابن ماجه (١٨٤٢) .

● وَفي « سُنن أَبي داود »[1] : من حَديثِ الزُّبَيْرِ بن العَوَّام ، أَنَّهُ حَمَلَ على فَرَسٍ يُقالُ لَهُ : غَمْرٌ أَوْ غَمْرَةٌ ؛ فَرَأَى مُهْراً أَوْ مُهْرَةً من أَفْلائِها تُباعُ ، تُنْسَبُ إِلى فَرَسِهِ ، فَنَهى عَنْها ؛ أَي نَهى عن ابْتِياعِها وعن إِدْخالِها في مُلْكِهِ بعد أَنْ تَصَدَّقَ بِها . وَاللهُ تَعالَى أَعلمُ .

٧٧٧ **الفَناةُ** : البَقَرَةُ . والجَمْعُ : فَنواتٌ[2] .

٧٧٨ **الفَنَكُ** : كَالعَسَلِ : دُوَيْبَّةٌ يُؤْخَذُ مِنْها الفَرْوُ .

● وَقالَ ابْنُ البَيْطارِ[3] : إِنَّهُ أَطْيَبُ من جَمِيعِ الفِراءِ ، يُجْلَبُ كَثِيراً من بِلادِ الصَّقالِبَةِ ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ في لَحْمِهِ حَلاوَةٌ ، وَهو أَبْرَدُ من السَّمُّورِ ، وَأَعْدَلُ وَأَحَرُّ من السِّنْجابِ ، يَصْلُحُ لأَصْحابِ الأَمْزِجَةِ المُعْتَدِلَةِ .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ ، لأَنَّهُ من الطَّيِّباتِ .

● وَنَقَلَ الإِمامُ أَبُو عُمر ابن عبدِ البَرِّ في « التَّمهيدِ » عن أَبي يُوسف ، أَنَّهُ قالَ في الفَنَكِ والسِّنْجابِ والسَّمُّورِ : كُلُّ ذلكَ سَبُعٌ ، مثلُ الثَّعْلَبِ وابْنِ عِرْسٍ .

٧٧٩ **الفَنِيْقُ** : الفَحْلُ[4] الكَرِيمُ من الإِبلِ ، الذي لا يُرْكَبُ وَلا يُهانُ لِكَرامَتِه عليهم ؛ وَجَمْعُهُ فُنُقٌ وَأَفْناقٌ .

● وَمنهُ حَدِيثُ الحَجّاجِ لَمَّا حَصَرَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِمكَّةَ ، وَنَصَبَ المنْجَنيقَ عَليها ، وَقالَ[5] : [من الرجز]

---

(١) هو في سنن ابن ماجه (٢٣٩٣) .

(٢) القاموس المحيط « فنا » ٤/ ٣٧٧ .

(٣) مفردات ابن البيطار ٣/ ١٦٨ . وقال داود في تذكرته ١/ ٢٥٢ : فنك : طائرٌ أَبيض يُقارب الرّخ . . . !

(٤) عن النِّهاية ٣/ ٤٧٦ .

(٥) الشَّطر في النِّهاية واللِّسان « فنق » بلا نسبة .

٧٨٠ **الفَهْدُ** : واحِدُ الفُهُودِ ؛ وَفَهِدَ الرَّجُلُ : أَشْبَهَ الفَهْدَ في كَثْرَةِ نَوْمِهِ وَتمَرُّدِهِ[١] .

● وَفي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ : « إِنْ دَخَلَ فَهِدَ »[٢] .

وَزَعَمَ أَرسطو[٣] : أَنَّهُ يَتَوَلَّدُ بينَ نَمِرٍ وَأَسَدٍ ، وَمِزاجُهُ كَمِزاجِ النَّمِرِ ، وَفي طَبْعِهِ مُشابَهَةٌ لِطَبْعِ الكَلْبِ في أَدْوائِهِ وَدَوائِهِ .

وَيُقالُ : إِنَّ الفَهْدَةَ إِذا أَثْقَلَتْ بِالحَمْلِ ، حَنَّ عليها كُلُّ ذَكَرٍ يَراها من الفُهُودِ ، وَيُواسِيْها من صَيْدِهِ ؛ فَإِذا أَرادَتِ الوِلادَةَ ، هَرَبَتْ إِلى مَوْضِعٍ قد أَعَدَّتْهُ لذلكَ .

● وَيُضْرَبُ بِالفَهْدِ المَثَلُ في كَثْرَةِ النَّوْمِ ، وَهو ثَقيلُ الجُثَّةِ ، يَحْطِمُ ظَهْرَ الحَيوانِ في رُكُوبهِ .

وَمن خُلُقِهِ الغَضَبُ ، وَذلكَ أَنَّهُ إِذا وَثَبَ على فَرِيسَةٍ ، لا يَتَنَفَّسُ حَتَّى ينالَها ، فَيَحْمَى لذلكَ ، وَتمتلىءُ رِئَتُهُ من الهَواءِ الذي حَبَسَهُ ؛ فَإِذا أَخْطَأَ صَيْدَهُ ، رَجَعَ مُغْضَباً ، وَرُبَّما قَتَلَ سائِسَهُ .

● قالَ ابنُ الجَوزيّ : إِنَّ الفَهْدَ يُصادُ بِالصَّوْتِ الحَسَنِ .

قالَ : وَمَتى وَثَبَ على الصَّيْدِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَلم يُدْرِكْهُ غَضِبَ ؛ وَمن خُلُقِهِ أَنَّهُ يَأْنَسُ لِمَنْ يُحْسِنُ إِلَيْهِ ، وَكِبارُ الفُهُودِ أَقْبَلُ لِلتَّأْدِيبِ من صِغارِها .

---

(١) عن الصِّحاح « فهد » ٢/ ٥٢٠ .

(٢) قال في النِّهاية ٣/ ٤٨١ : أي نام وغفل عن معايب البيت التي يلزمني إصلاحُها ـ والفهد يوصف بكثرة النَّوم ـ فهي تصفُه بالكرم وحسن الخُلق ، فكأنَّه نائمٌ عن ذلك أو ساهٍ ، وإنَّما هو مُتناومٌ ومتغافل .

(٣) المستطرف ٢/ ٥١٠ .

وَأَوَّلُ[1] من اصْطادَ به كُلَيْبُ بنُ وائِلٍ ؛ وَأَوَّلُ من حَمَلَهُ على الخَيْلِ يَزيدُ بن مُعاوية بن أَبي سُفيان ، وَأَكْثَرُ من اشْتُهِرَ باللَّعِبِ بها أَبُو مُسلم الخُراسانيّ .

● فائِدَةٌ[2] : سُئِلَ الكِيا الهَرّاسيّ الفَقِيهُ الشّافعيُّ ، عن يَزيد بن مُعاوية ، هل هو من الصَّحابَةِ أم لا ؟ وهل يَجُوزُ لَعْنُهُ أَم لا ؟ فأَجابَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ من الصَّحابَةِ ، لأَنَّهُ وُلِدَ في أَيّام عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ وَأَمّا قَولُ السَّلَفِ ، فَفِيهِ لِكُلٍّ واحِدٍ من أَبي حَنيفة ومالِكٍ وأَحمد قَوْلان : تَصريحٌ وَتَلْويحٌ ؛ وَلنا قَوْلٌ واحِدٌ : التَّصْريحُ دُونَ التَّلويحِ ؛ وَكيفَ لا يَكُونُ كذلكَ وهو المُتَصَيِّدُ بِالفَهْدِ ، وَاللاَّعِبُ بالنَّرْدِ ، وَمُدْمِنُ الخَمْرِ ؛ وَمن شِعْرِهِ في الخَمْرِ قولُه[3] : [من الطَّويل]

أَقُولُ لِصَحْبٍ ضَمَّتِ الكَأْسُ شَمْلَهُمْ ... وَداعِي صَباباتِ الهَوىٰ يَتَرَنَّمُ
خُذُوا بِنَصِيبٍ مِن نَعِيمٍ وَلَذَّةٍ ... فَكُلٌّ وإِنْ طَالَ المَدَى يَتَصَرَّمُ

وَكَتَبَ فَصْلاً طَويلاً أَضْرَبْنا عن ذِكْرِهِ ، ثمَّ قَلَبَ الوَرَقَةَ وَكَتَبَ : وَلو مُدِدْتُ بِبَياضٍ لأَطْلَقْتُ العِنانَ ، وَبَسَطْتُ الكَلامَ ، في مَخازي هذا الرَّجُلِ .

● وَقد[4] أَفْتى الغَزاليُّ في هذِهِ المسأَلَةِ بِخِلافِ ذلكَ ؛ فإِنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ يُصَرِّحُ بِلَعْنِ يَزيدَ بن مُعاوية ، هل يُحْكَمُ بِفِسْقِهِ ، أَم يَكُونُ ذلكَ مُرَخَّصاً فِيه ؟ وَهل كان يُريدُ قَتْلَ الحُسَيْنِ ، أَم كان قَصْدُهُ الدَّفْعَ ؟ وَهل يُسَوَّغُ التَّرَحُّمُ عليْهِ ، أَمِ السُّكُوتُ عنهُ أَفْضَلُ ؟ .

---

(١) المستطرف ٢/ ٥١٠ .

(٢) عن وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩ . ونقله كذلك ابن العماد في شذرات الذَّهب ٦/ ١٥ ـ ١٦ .

(٣) ديوانه ٥٩ ووفيات الأَعيان ٣/ ٢٨٧ وشذرات الذَّهب ٦/ ١٦ .

(٤) النَّقل مستمرٌّ عن ابن خلّكان .

فَأجابَ : لا يَجُوزُ لَعْنُ المُسلِمِ أَصْلاً ، وَمَنْ لَعَنَ المُسْلِمَ فَهُوَ المَلْعُونُ . وقد قالَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « المُسْلِمُ لَيسَ بلَعَّانٍ » . وَكَيفَ يَجُوزُ لَعْنُ المُسلمِ وَقَدْ وَرَدَ النَّهيُ عن ذلكَ ؟ وَحُرْمَةُ المُسْلِمِ أَعظمُ من حُرْمَةِ الكَعْبَةِ بنَصٍّ من النَّبيِّ ﷺ ؛ وَيَزِيدُ صَحَّ إسْلامُهُ ، وَمَا صَحَّ قَتْلُهُ للحُسيْنِ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، وَلا أَمْرُهُ وَلا رِضاهُ بذلكَ ؛ وَمَهْما لَمْ يَصِحَّ ذلكَ عنهُ ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُظَنَّ ذلكَ بِهِ ، فإنَّ إساءَةَ الظَّنِّ أَيضاً بالمُسلمِ حَرامٌ . قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] وقالَ ﷺ : « إنَّ اللهَ حَرَّمَ من المُسلمِ دَمَهُ وَمالَهُ وَعِرْضَهُ ، وَأَن يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ » .

وَمَنْ أَرادَ أَنْ يَعلمَ حَقيقةَ مَن الذِي أَمَرَ بِقَتْلِهِ ، لَمْ يَقْدِرْ على ذلكَ ؛ وإذا لَمْ يُعْلَمْ وَجَبَ إحْسانُ الظَّنِّ بكُلِّ مُسلمٍ يُمكنُ إِحْسانُ الظَّنِّ بِهِ ؛ وَمع هذا لو ثَبَتَ على مُسلمٍ أَنَّهُ قتلَ مُسْلِماً ، فَمَذْهَبُ أَهْلِ الحَقِّ أَنَّهُ لَيْسَ بِكافرٍ ، وَالقَتْلُ لَيْسَ بِكُفْرٍ بل هُو مَعْصِيَةٌ .

وإذا مَاتَ القاتِلُ فَرُبَّما ماتَ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، وَالكافِرُ لو تابَ من كُفْرِهِ لَمْ يَجُزْ لَعْنُهُ ، فَكيفَ مَن تَابَ مِن قَتْلٍ ؟ .

وَلَمْ يُعْرَفْ أَنَّ قاتِلَ الحُسيْنِ مَاتَ قَبْلَ التَّوْبَةِ ، وَهو الذِي يَقْبلُ التَّوْبَةَ عن عِبادِهِ .

فإذاً لا يَجُوزُ لَعْنُ أَحَدٍ مِمَّنْ مَاتَ من المُسلمين ، وَمَنْ لَعَنَهُ كان فاسِقاً عاصِياً للهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْ جازَ لَعْنُهُ فَسَكَتَ ، لَمْ يَكُنْ عاصِياً بالإجْماعِ ، بلْ لو لَمْ يَلعنْ إِبلِيسَ طُولَ عُمُرِهِ ، لا يُقالُ لَهُ في القِيامَةِ : لِمَ لَمْ تَلْعَنْ إبلِيسَ ؟ وَيُقالُ لِلاَّعِنِ : لِمَ لَعَنْتَ ؟ وَمنْ أَيْنَ عَرَفْتَ أَنَّهُ مَلْعُونٌ ؟ .

وَالمَلْعُونُ هو المُبْعَدُ من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَذلكَ لا يُعْرَفُ إلاّ فِيمَنْ مَاتَ كافِراً ، فإنَّ ذلكَ عُلِمَ بِالشَّرْعِ ؛ وَأَمَّا التَّرحُّمُ عليْهِ فجائِزٌ ، بل مُسْتَحَبٌّ ، بل

داخِلٌ في قَوْلِنا : اللَّهُمَّ اغفِرْ للمُؤمِنينَ والمُؤْمِناتِ ، فإنَّهُ كان مُؤْمِناً . ا هـ .

● والكِيا الهَرّاسيّ[1] : هُوَ أَبُو الحَسَنِ ، عِمادُ الدِّينِ ، عليّ بن محمَّد الطَّبَريّ ، كان من رُؤُوسِ مُعيدِي إمام الحَرَمَيْنِ ، وَثانِي الغَزاليّ ؛ وَتُوُفِّيَ في المُحَرَّمِ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمسمئة ببغدادَ ، وَحَضَرَ دَفْنَهُ الشَّريفُ أبو طالِبٍ الزَّيْنبيّ ، وقاضِي القُضاةِ أَبُو الحَسَن ابن الدَّامغانيّ ، مُقَدَّما الطَّائِفَةِ الحَنَفِيَّةِ ؛ وَكَانَ بَيْنَهُما وبَيْنَهُ في حالِ الحَياةِ مُنافَسَةٌ ، فَوَقَفَ أَحَدُهُما عِندَ رَأْسِهِ ، وَالآخَرُ عِندَ رِجْلَيْهِ ، فقالَ ابنُ الدَّامغانيّ[2] : [من الوافر]

وَمـا تُغْنِـي النَّـوادِبُ والبَـواكِـي وَقَـدْ أَصْبَحْـتَ مِثْـلَ حَـدِيـثِ أَمْـسِ

وَأَنْشَدَ الزَّيْنَبيُّ[3] : [من الكامل]

عُقِـمَ النِّسـاءُ فَمَـا يَلِـدْنَ شَبِيْهَـهُ إِنَّ النِّسـاءَ بِمِثْلِـهِ عُقُـمُ

● وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الحاءِ المهملة » في « الحَمامِ » ذِكْرُ شَيْءٍ من مَناقِبِ الإمامِ الغزاليّ ، وَوَفاتِهِ ، رَحمهُ اللهُ تَعالى .

● وَذَكَرَ ابنُ خلّكان[4] : أَنَّ الرَّشِيدَ خَرَجَ مَرَّةً إلى الصَّيْدِ ، فَانْتَهَى بِهِ الطَّرْدُ إلى مَوْضِعِ قَبْرِ عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ الآنَ ، فَأَرْسَلَ فُهُوداً على صَيْدٍ ، فَتَبِعَتِ الصَّيْدَ إلى مَوْضِعِ قَبْرِهِ ؛ وَوَقَفَتِ الفُهُودُ عِندَ مَوْضِعِ القَبْرِ الآنَ ، وَلَمْ تَتَقَدَّمْ على الصَّيْدِ ، فَتَعَجَّبَ الرَّشيدُ من ذلكَ ، فَجاءَهُ رَجلٌ من أَهْلِ الخِبْرَةِ ، وَقالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، أَرَأَيْتُكَ إِنْ دَلَلْتُكَ على قَبْرِ ابْنِ عَمِّكَ

---

(١) ترجمته في : وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٦ والمنتخب من السِّياق ٥٩٨ وطبقات السُّبكي ٧/ ٢٣١ وسير أعلام النُّبلاء ١٩/ ٣٥٠ وطبقات الإسنوي ٢/ ٥٢٠ والنُّجوم الزَّاهرة ٥/ ٢٠١ وشذرات الذَّهب ٦/ ١٥ .

(٢) البيت بلا نسبة في وفيات الأعيان وطبقات السبكي وطبقات الإسنوي .

(٣) البيت لأبي دهبل الجمحيّ ، في ديوانه ٦٦ . وروايته في ط : . . . فلا يلدن . . . × . .

(٤) لم أقف على هذا النص في وفيات الأعيان .

عليّ بن أَبي طالِبٍ ، ما لِي عِنْدَك ؟ قالَ : أَتَمُّ مَكْرُمَةٍ . قالَ : هذا قَبْرُهُ ؛ فقالَ لَهُ الرَّشِيدُ : من أَيْنَ عَلِمْتَ ذلكَ ؟ قالَ : كُنتُ أَجِيءُ مع أَبي فنزُورُ قَبْرَهُ ؛ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ كان يَجِيءُ مع جعفر الصَّادِقِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ فَيَزُورُهُ ، وأَنَّ جَعفراً كان يجيءُ مع أبيه محمّد الباقِر فيزورُهُ ، وَأَنَّ محمَّداً كان يَجِيءُ مع أَبيهِ عليّ زَيْنِ العابدِين فَيَزورُهُ ، وَأَنَّ عَلِيّاً كان يَجِيءُ مع أَبِيهِ الحُسين فَيَزُورُهُ ، وَكانَ الحُسينُ أَعْلَمَهُمْ بِمَكانِ القَبْرِ .

فَأَمَرَ الرَّشِيدُ أَن يُحجرَ المَوْضِعُ ، فَكانَ أَوَّلَ أَساسٍ وُضِعَ فِيهِ ، ثمَّ تَزايَدَتِ الأَبْنِيَةُ فِيهِ في أَيَّامِ السَّامانِيَّةِ وَبَني حَمْدانَ ، وَتفاقَمَ في أَيَّامِ الدَّيْلَمِ ، أَي أَيَّام بَنِي بُوَيْهٍ .

قالَ[1] : وَعَضُدُ الدَّوْلَةِ ، هُوَ الذِي أَظْهَرَ قَبْرَ عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، وَعَمَّرَ المَشْهَدَ هُناكَ ، وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ .

ولِلنَّاسِ في هذا القَبْرِ اخْتِلافٌ مُتَبايِنٌ ؛ حَتَّى قِيلَ : إِنَّهُ قَبْرُ المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ الثَّقفيّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ؛ وأَصَحُّ ما قِيلَ : إِنَّهُ مَدْفُونٌ بِقَصْرِ الإِمارَةِ بِالكُوفَةِ . انتهى .

قُلتُ : وَعليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، لا يُعْرَفُ قَبْرُهُ على الحَقيقَةِ[2] .

● وَعَضُدُ الدَّوْلَةِ : اسْمُهُ فَنَّاخُسْرُو ، أَبُو شُجَاعٍ ، بن رُكْنِ الدَّولَةِ أَبي عليّ الحَسَن بن بُوَيْهٍ الدَّيْلَميّ . وَكانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَعْظَمَ بَني بُوَيْهٍ مَمْلَكَةً ، دانَتْ لَهُ العِبادُ والبِلادُ ، وَأَطاعَهُ كُلُّ صَعْبِ القِيادِ ، وَهُوَ أَوَّلُ من خُوطِبَ بِالمَلِكِ في الإِسْلامِ ، كَما تَقَدَّمَ ، وَأَوَّلُ من خُطِبَ لَه على المَنابِرِ بِبَغدادَ بعدَ الخَلِيفَةِ ،

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٥٥ .

(٢) وانظر ما جاء في كتاب مقتل أمير المؤمنين ، لابن أبي الدُّنيا ٧٢ ـ ٧٥ .

وَيُلَقَّبُ بتاجِ المِلَّةِ أَيْضاً ؛ وَكَانَ مُحِبّاً للعُلُومِ وَأَهْلِها ، وكانَ يُحسنُ إليهم ، وَيَجلسُ مَعهم ، وَيُفاوِضُهُم ، فَقَصَدَهُ العُلماءُ والشُّعراءُ من كُلِّ بَلَدٍ ، وَصَنَّفُوا لَهُ الكُتُبَ وامْتَدَحُوهُ ؛ وَقد تَقَدَّمَ ذِكْرُ وَفاتِهِ في « بابِ الهَمْزَةِ » في لَفْظِ « الإِوَزِّ » .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ ، لأَنَّهُ ذُو نابٍ ، فَأَشْبَهَ الأَسَدَ ، لَكِنَّهُ يَجُوزُ بَيْعُهُ للصَّيْدِ ، وَلا خِلافَ في جَوازِ إجارَتِهِ .

الأَمثالُ : قالُوا : « أَثْقَلُ رَأساً من الفَهْدِ »[1] . و« أَنْوَمُ من فَهْدٍ »[2] . و« أَوْثَبُ من فَهْدٍ »[3] . و« أَكْسَبُ من فَهْدٍ »[4] . وَذَلكَ أَنَّ الفُهُودَ الهَرِمَةَ التي تَعجزُ عن الصَّيْدِ لأَنْفُسِها ، تَجتَمِعُ عل فَهْدٍ فَتِيٍّ ، فَيَصِيدُ لَها في كُلِّ يومٍ شِبَعَها .

الخَواصُّ[5] : أَكْلُ لَحْمِهِ ، يُورِثُ حِدَّةَ الذِّهْنِ ؛ وَقُوَّةَ البَدَنِ .

وَمَنْ سُقِيَ من دَمِهِ ، غَلَبَتْ عليْهِ البلاهةُ . وبُرْثُنُهُ إذا ترِكَ في مَوضِعٍ ، هَرَبَ منه الفأر .

وقال صاحبُ « عين الخَواص » : قرأتُ في بعضِ الكُتُبِ : أَنَّ بَوْلَ الفَهْدِ ، إذا تَحَمَّلَتْ بِهِ امْرَأَةٌ ، لَمْ تَحْبَلْ ، وَرُبَّما تَصِيرُ عاقِراً .

---

(١) الميداني ١/ ١٥٨ .

(٢) الميداني ١/ ١٥٨ و ٢/ ٣٥٥ وحمزة ٢/ ٤٠٠ والعسكري ٢/ ٣١٨ والزمخشري ١/ ٤٢٦ وأبو عبيد ٣٦١ .

(٣) الميداني ٢/ ٣٨١ وحمزة ٢/ ٤١٥ والعسكري ٢/ ٣٢٩ والزمخشري ١/ ٤٢٧ .

(٤) الميداني ٢/ ١٦٩ وحمزة ٢/ ٣٦٦ والعسكري ٢/ ٣٦٦ والزمخشري ١/ ٢٩٥ .

(٥) عجائب المخلوقات ٢٦٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٣ .

التَّعبيرُ[1] : الفَهْدُ في المَنام : عَدُوٌّ مُذَبْذَبٌ ، لا يُظْهِرُ العَداوَةَ وَلا الصَّداقَةَ ؛ فَمَنْ نازَعَهُ نازَعَ إِنْساناً كذلك .

وقالَ ابنُ المُقرِىءِ : إِنَّ رُؤْيَتَهُ تَدُلُّ على العِزِّ والرِّفْعَةِ والدَّلالِ ، مع الصَّخَبِ والعِياطِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ عَلَى ما يَدُلُّ عليْهِ الجارِحُ من الوَحْشِ ، وَاللهُ تَعالى أَعلَمُ .

٧٨١ **الفُورُ** : بِالضَّمِّ : الظِّباءُ ؛ وَهُوَ جَمْعٌ لا واحِدَ لَهُ من لَفْظِهِ .

يُقالُ : « لا أَفْعَلُ كذا ما لأْلأَتِ الفُورُ بِأَذْنابِها » ، أَي : حَرَّكَتْها[2] ؛ وَيُرْوَى : « مَا لأْلأَتِ العُفْرُ بِأَذْنابِها » ؛ وَهِيَ الظِّباءُ أَيضاً .

٧٨٢ **الفولع** : طائِرٌ أَحمرُ الرِّجْلَيْنِ ، كأن رَأْسَهُ شيب مصبوغ ، ومنها ما يَكُونُ أَسْود الرَّأْسِ وَسائر خلقه أَغبر . حَكاهُ ابْنُ سِيْدَه .

٧٨٣ **الفيصورُ** : كَقيطون : الحِمار النَّشيط .

٧٨٤ **الفُوَيْسِقَةُ** : الفَأْرَةُ .

● رَوَى « البُخاريُّ » و« أَبُو داود » و« التِّرمذيّ »[3] عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « خَمِّرُوا الآنِيَةَ ، وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ ، وَأَجِيْفُوا الأَبْوابَ ، وَكُفُّوا صِبْيانَكُمْ ؛ فإِنَّ للجِنِّ سَيَّارَةً خَطَفَةً ، وَأَطْفِئُوا المَصابِيحَ عِنْدَ الرُّقادِ ، فإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ رُبَّما أَخَذَتِ الفَتِيلَةَ ، وَأَحْرَقَتْ أَهْلَ البَيْتِ » .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٦ وتفسير الواعظ ٢٨٨ .

(٢) الصِّحاح « فور » ٢/٧٨٣ .

(٣) البخاريّ ٤/٩٩ والأدب المفرد (١٢٣١) وأبو داود (٣٧٣١) و (٣٧٣٣) والتِّرمذيّ (٢٨٥٧) والنَّسائيّ في عمل اليوم واللَّيلة (٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

قِيلَ : سُمِّيَتْ فُوَيْسِقَةً ، لِخُرُوجِها على النَّاسِ ، واغْتِيالِها إِيَّاهُم في أَمْوالِهِم بِالفَسادِ .

وَأَصْلُ الفِسْقِ : الخُرُوجُ ؛ وَمِن هذا سُمِّيَ الخارِجُ عن الطَّاعَةِ فاسِقاً ؛ يُقالُ : فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ عن قِشْرِها : إِذا خَرَجَتْ عنهُ .

٧٨٥ **الفَيَّادُ** : كَصَيَّادٍ : ذَكَرُ البُومِ ؛ وَيُقالُ : الصَّدَى[١] .

٧٨٦ **الفِيْلُ** : مَعْرُوفٌ ؛ وَجَمْعُهُ : أَفْيالٌ ، وَفُيُولٌ ، وَفِيَلَةٌ . قالَ ابنُ السِّكِّيتِ ، وَلا تَقُلْ : أَفْيِلَةٌ . وَصاحِبُهُ فَيَّالٌ .

قالَ سِيبويه : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ فِيلٍ : فُعْلٌ ، فَكُسِرَ من أَجْلِ الياءِ ، كَما قالُوا : أَبْيَضُ وَبِيْضٌ[٢] .

● وَكُنْيَتُهُ[٣] : أَبُو الحَجَّاجِ ، وأَبُو الحِرْمازِ ، وَأَبُو دَغْفَلٍ ، وَأَبُو كُلْثُوم ، وَأَبُو مُزاحِم . والفِيْلَةُ : أُمُّ سَبِيلٍ .

● وَفي « رَبِيعِ الأَبْرارِ »[٤] : كُنْيَةُ فيلِ أَبْرَهَةَ مَلِكِ الحَبَشَةِ : أَبُو العَبَّاسِ ، وَاسْمُهُ مَحْمُودٌ .

● وَقَدْ أَلْغَزَ بعضُهم في اسْمِهِ ، فقالَ[٥] : [من الخفيف]

مَا اسْمُ شَيْءٍ تَرْكِيْبُهُ مِن ثَلاثٍ ... وَهُو ذُو أَرْبَعٍ تَعالَى الإِلَهُ
« فِيك » تَصْحِيْفُهُ وَلَكِنْ إِذا مَا ... عَكَسُوهُ يَصِيْرُ « لِي » ثُلُثاهُ[٦]

---

(١) عن الصّحاح « فيد » ٢/ ٥٢١ .
(٢) عن الصّحاح « فيل » ٥/ ١٧٩٤ .
(٣) المرصّع ١٣٧ و ١٦٦ و ٢٨٧ و ٣٠٢ و ٢٠١ و ٣٧٠ .
(٤) ربيع الأبرار ٥/ ٤٣٣ .
(٥) البيتان للصّلاح الصّفديّ في أعيان العصر ٢/ ١٦ وألحان السّواجع [التّرجمة ٢٠] . وبلا نسبة في المستطرف ٣/ ١٤٧ .
(٦) في أ ، ط : فيل . . . × .

● والفِيَلَةُ[1] ضَرْبَانِ : فِيْلٌ وَزَنْدَبيلٌ ؛ وَهُما كالبَخاتي والعِرابِ ، وَالجَواميسِ والبَقَرِ ، وَالخَيْلِ والبَراذِينِ ، والجُرَذِ والفَأْرِ ، وَالنَّمْلِ والذَّرِّ ؛ وبعضُهم يقُول : الفِيْلُ : الذَّكَرُ ، وَالزَّنْدَبيْلُ : الأُنْثى .

وَهذا النَّوعُ لا يُلاقِحُ إلاّ في بلادِهِ وَمعادِنِهِ وَمَغارِسِ أَعْراقِهِ ، وإِنْ صارَ أَهْلِيّاً ؛ وَهوَ إِذا اغْتَلَمَ أَشْبَهَ الجَمَلَ في تَرْكِ الماءِ والعَلَفِ ، حتَّى يَتَوَرَّمَ رَأْسُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لِسُوَّاسِهِ إِلاَّ الهَرَبُ منهُ ؛ وَرُبَّما جَهِلَ جَهْلاً شَديداً .

وَالذَّكَرُ[2] يَنْزُو إِذا مَضَى لهُ من العُمرِ خَمسُ سِنينَ ، وَزمانُ نَزْوِهِ الرَّبيعُ ؛ وَالأُنْثى تَحملُ سَنتين ، وإِذا حَمَلَتْ لا يَقْرَبُها الذَّكَرُ ، وَلا يَمَسُّها ، وَلا يَنْزُو علَيْها إِذا وَضَعَتْ إِلاَّ بعدَ ثلاثِ سِنينِ .

● وَقالَ عبدُ اللَّطيفِ البَغداديّ : إِنَّها تَحملُ سَبعَ سِنين ، وَلا يَنْزُو إِلاَّ على فِيْلَةٍ واحِدَةٍ ، وَلَهُ علَيْها غَيْرَةٌ شَديدَةٌ ؛ فإِذا تَمَّ حَمْلُها وأَرادَتِ الوَضْعَ ، دَخَلَتِ النَّهْرَ حتَّى تَضَعَ وَلَدَها ، لأَنَّها لا تَلِدُ إِلاَّ وهيَ قائِمةٌ ، وَلا فَواصِلَ لِقوائِمِها ، فَتَلِدُ والذَّكَرُ عندَ ذلكَ يَحْرُسُها وَوَلَدَها من الحَيَّاتِ .

وَيُقالُ : إِنَّ الفِيلَ يَحْقِدُ كالجَمَلِ ، فَرُبَّما قَتلَ سائِسَهُ حِقْداً عليْهِ .

وتَزعمُ[2] الهندُ أَنَّ لِسانَ الفِيلِ مَقْلُوبٌ ، وَلَوْلا ذلكَ لَتكَلَّمَ .

ويَعْظَمُ[2] ناباهُ ، وَرُبَّما بلغَ الواحدُ منهما مئةَ مَنٍّ .

وَخُرْطُومُهُ[2] من غُضْرُوفٍ ، وَهوَ أَنْفُهُ وَيَدُهُ التي يُوصِلُ بها الطَّعامَ والشَّرابَ إِلى فَمِهِ ، وَيُقاتِلُ بها ، وَيَصِيحُ وَلَيسَ صِياحُهُ على مِقْدارِ جُثَّتِهِ ، لأَنَّهُ كَصِياحِ الصَّبيِّ ؛ وَلَهُ فِيهِ من القُوَّةِ بحيثُ يَقْلَعُ بِهِ الشَّجرةَ من مَنابِتِها .

---

(١) ربيع الأبرار ٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٢ .

(٢) المستطرف ٢/ ٥١٠ .

وَفِيهِ من الفَهْمِ ما يَقبلُ بِهِ التَّأْدِيبَ ، وَيَفعلُ ما يَأْمُرُهُ بِهِ سائِسُهُ من السُّجُودِ للمُلُوكِ ، وغير ذَلكَ من الخَيْرِ وَالشَّرِّ في حَالَتَيْ السِّلْمِ والحَرْبِ .

وَفِيهِ من الأَخْلاقِ : أَن يُقاتلَ بعضُه بَعْضاً ، والمَقهُورُ منهُما يَخْضَعُ للقاهِرِ .

وَالهندُ تُعَظِّمُهُ لِما اشْتَمَلَ عليْهِ من الخِصالِ المحمودَةِ ، من عُلُوِّ سَمْكِهِ ، وَعِظَمِ صُورَتِهِ ، وَبَديعِ مَنْظَرِهِ ، وَطُولِ خُرْطُومِهِ ، وَسَعَةِ أُذُنَيْهِ ، وَثِقَلِ حَمْلِهِ ، وَخِفَّةِ وَطْئِهِ ؛ فإِنَّهُ رُبَّما مَرَّ بالإنْسانِ فَلا يَشعرُ بِهِ لِحُسْنِ خَطْوِهِ واسْتِقامَتِه .

وَيَطُولُ عُمره ؛ فقد حَكَى أَرسطُو أَنَّ فِيلاً ظَهَرَ أَنَّ عُمرَهُ أَربعمئةُ سنةٍ ، واعْتُبِرَ ذلكَ بالوَسْمِ .

وَبَيْنَهُ وَبيْنَ السِّنَّورِ عَداوَةٌ طَبيعِيَّةٌ ، حتَّى إِنَّ الفِيلَ يَهربُ منهُ ، كما أَنَّ السَّبُعَ يَهربُ من الدِّيكِ الأَبيضِ ، وَكما أَنَّ العَقْرَبَ متى أَبْصَرَتِ الوَزَغَةَ ماتَتْ .

● وَذَكَرَ القَزوينيُّ[1] : أَنَّ فَرْجَ الفِيْلَةِ تَحْتَ إِبْطِها ، فإذا كان وَقْتُ الضِّرابِ ارْتَفَعَ وَبَرَزَ للفَحْلِ حتَّى يتمَكَّنَ من إِتْيانِها ، فَسُبْحانَ مَن لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ .

● وَفي « الحِلْيةِ » في تَرجَمَةِ أَبي عبدِ اللهِ القَلانَسيّ[2] : أَنَّهُ رَكِبَ البَحْرَ في بعضِ سِياحاتِهِ ، فَعَصَفَتْ عليهِمُ الرِّيحُ ، فَتَضَرَّعَ أَهْلُ السَّفِينَةِ إِلى اللهِ تعالى ، ونَذَرُوا النُّذُورَ إِنْ نَجّاهُمُ اللهُ تَعالى ، وَأَلَحُّوا على أَبي عبدِ اللهِ في النَّذْرِ ، فَأَجْرَى اللهُ على لِسانِهِ أَن قالَ : إِنْ خَلَّصَنِي اللهُ تَعالى مِمّا أَنا فِيهِ لا آكُلُ لَحْمَ الفِيْلِ ؛ فانْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ ، وَأَنْجاهُ اللهُ تَعالى وَجماعَةً من أَهْلِها إِلى السَّاحِلِ ،

---

(١) لم أقف على هذا النَّص في عجائب المخلوقات .

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٠ ونشوار المحاضرة ٣/ ١٩٥ والفرج بعد الشِّدَّة ٤/ ١٢٩ وطبقات المناوي ٤/ ١٥٩ ونفحات الأُنس ١٦٥ .

فَأَقامُوا بِهِ أَيّاماً من غَيرِ زادٍ ؛ فبينَما هم كذلكَ إِذا هُم بِفيلٍ صَغيرٍ ، فَذَبَحُوهُ وأَكَلُوا لَحْمَهُ سِوَى أَبي عبدِ اللهِ ، فَلَمْ يَأْكُلْ منهُ وَفاءً بِالعَهْدِ الذي كان منهُ .

قالَ : فَلَمّا نامَ القومُ ، جاءَتْ أُمُّ ذلكَ الفِيلِ تَتْبَعُ أَثَرَهُ وَتَشُمُّ الرّائِحَةَ ، فكلُّ من وَجَدَتْ منهُ رائِحَةَ لَحْمِهِ داسَتْهُ بِيَدَيْها ورِجْلَيْها إِلى أَنْ تَقْتُلَهُ .

قال : فَقَتَلَتِ الجَمِيعَ ، ثمَّ أَتَتْ إِليَّ ، فَلَمْ تَجِدْ منِّي رائِحَةَ اللَّحْمِ ، فَأَشارَتْ إِليَّ أَنْ أَرْكَبَها ، فَرَكِبْتُها ، فسارَتْ بي سَيْراً شَديداً اللَّيْلَ كُلَّهُ . ثمَّ أَصْبَحْتُ في أَرْضٍ ذاتِ حَرْثٍ وَزَرْعٍ ، فَأَشارَتْ إِليَّ أَن أَنْزِلَ ، فَنَزَلْتُ عن ظَهْرِها ، فَحَمَلَني أُولئِكَ القَوْمُ إِلى مَلِكِهم ، فَسَأَلَني تَرجمانُه ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالقِصَّةِ ، فقالَ لِي : إِنَّ الفِيْلَةَ قد سارَت بِكَ في هذِهِ اللَّيْلَةِ مَسِيرَةَ ثَمانِيَةِ أَيّامٍ .

قالَ : فَلَبِثْتُ عندَهم إِلى أَن حُمِلْتُ وَرَجَعْتُ إِلى أَهلي .

● وَفي كِتابِ « الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ » للقاضِي التَّنوخيّ ، قالَ[1] : حدَّثَني الأَصْبَهانيُّ من حِفْظِهِ ، قالَ : قَرَأْتُ في بَعْضِ الأَخْبارِ الأَوائِلِ :

أَنَّ الإِسْكَنْدرَ لَمّا انْتَهى إِلى الصِّيْنِ وَنازَلَها ، أَتاهُ حاجِبُهُ ذاتَ لَيْلَةٍ ، وَقدْ مَضَى من اللَّيْلِ شَطْرُهُ ، فقالَ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ مَلِكِ الصِّيْنِ بِالبابِ ، يَسْتَأْذِنُ بِالدُّخُولِ عَلَيْكَ ، فقالَ : ائْذَنْ لَهُ ؛ فَلَمّا دَخَلَ وَقَفَ بينَ يَدَيْه ، وَقَبَّلَ الأَرْضَ ، ثمَّ قالَ : إِنْ رأَى المَلِكُ أَنْ يُخْلِيَني فَلْيَفْعَلْ ؛ فَأَمَرَ الإِسْكَنْدَرُ مَن بِحَضْرَتِهِ بِالانْصِرافِ ، فانْصَرَفُوا وَلَمْ يَبْقَ سِوى حاجِبِهِ ، فقالَ لَهُ الرَّسُولُ : إِنَّ الذي جِئْتُ لَهُ لا يَحتملُ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ غيرُ المَلِكِ ؛ فَأَمَرَ الإِسْكَنْدَرُ بِتَفْتيشِه ، فَفُتِّشَ فَلَمْ يُوجَدْ معهُ شَيْءٌ من السِّلاحِ ، فَوَضَعَ الإِسْكندرُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَيْفاً مُصْلَتاً ، وَقالَ لهُ : قِفْ مَكانَكَ ، وَقُلْ ما شِئْتَ . وَأَمَرَ حاجِبَهُ بِالانْصِرافِ ؛ فَلَمّا خَلا المَكانُ

---

(١) الفرج بعد الشِّدَّة للتنوخي ٢/ ٣٤٠ ونَشوار المحاضرة ٧/ ١٩٣ ولباب الآداب لأُسامة ١٢٩ والمستجاد ٤٦ ـ ٤٩ وثمرات الأَوراق ٢٦٣ .

قالَ لَهُ الرَّسُولُ : اعْلَمْ أَنِّي أَنَا مَلِكُ الصِّيْنِ لا رَسُولٌ لَهُ ، وَقدْ حَضرتُ بَينَ يَديكَ لِأَسْأَلَكَ عَمَّا تُرِيدُ منِّي ، فإِنْ كان مِمَّا يُمكنُ الانْقِيادُ لَهُ وَلو على أَصْعَبِ الوُجُوهِ ، أَجَبْتُ إِلَيْهِ ، وَاغْتَنَيْتُ أَنا وَأَنْتَ عن الحَرْبِ . فقالَ لَهُ الإِسْكندَرُ : وَمَا آمَنَكَ مِنِّي ؟ قالَ : عِلْمِي بِأَنَّكَ رَجلٌ عاقِلٌ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنا عَداوَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ ، وَلا مُطالَبَةٌ بِذَحلٍ ؛ وَلِعِلْمِي أَيْضاً أَنَّكَ تَعلمُ أَنَّ أَهْلَ الصِّيْنِ مَتَى قَتَلْتَني لا يُسْلِمُونَ إِلَيكَ مُلْكَهُم ، وَلا يَمْنَعُهُم عَدَمُهُمْ إِيَّايَ أَنْ يُنَصِّبُوا لأَنفُسِهِم مَلِكاً غَيْرِي ، ثمَّ تُنْسَبُ أَنْتَ إِلى غَيرِ الجَمِيلِ وَضِدِّ الحَزْمِ .

فَأَطرقَ الإِسْكَنْدَرُ مُفكِّراً في مَقالَتِهِ ، ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيهِ ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُ صِدْقُ قَوْلِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ رَجلٌ عاقِلٌ ؛ فقالَ لَهُ : أُرِيدُ منكَ ارْتِفاعَ مُلْكِكَ ثَلاثَ سِنينَ عاجِلاً ، وَنِصْفَ ارْتِفاعِهِ في كُلِّ سَنَةٍ ؛ فقالَ لَهُ مَلِكُ الصِّيْنِ : هل غَيرُ هذا شيْءٌ ؟ قال : لا . قالَ : قد أَجَبْتُكَ إِلى ذلكَ ؛ قالَ : فَكَيْفَ يَكُونُ حالُكَ حِينئذٍ ؟ قالَ : أَكُونُ قَتِيلَ أَوَّلِ مُحارِبٍ ، وَأَكْلَةَ أَوَّلِ مُفْتَرِسٍ .

قالَ : فإِنْ قَنِعْتُ منكَ بارْتِفاعِ سَنَتيْنِ ، كَيفَ يَكُونُ حالُكَ ؟ قالَ : أَصْلَحُ ما يَكُونُ ذلكَ مُذْهِباً لِجَمِيعِ لَذَّاتِي .

قالَ : فإِنْ قَنعْتُ منكَ بِالسُّدُسِ ؟ قالَ : يَكُونُ السُّدُسُ مُوَفَّراً ، وَالباقِي للجَيْشِ وَلِأَسْبابِ المُلْكِ .

قالَ : قد اقْتَصَرْتُ منكَ على هذا . فَشَكَرَهُ وانْصَرَفَ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّباحُ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ ، أَقْبَلَ جَيشُ الصِّيْنِ حتَّى طَبَّقَ الأَرْضَ كَثْرَةً ، وَأَحاطَ بِجَيشِ الإِسكندرِ حتَّى خافُوا الهَلاكَ ، فَتَواثَبُوا إِلى خُيُولِهم ، فَرَكِبُوها واسْتَعَدُّوا ، فَبينَما هم كذلكَ إِذْ ظَهَرَ مَلِكُ الصِّيْنِ على فِيلٍ عَظِيمٍ ، وَعليْهِ التَّاجُ ؛ فَلَمَّا رَأَى الإِسكَنْدَرَ تَرَجَّلَ وَمَشى إِلَيْهِ ، وَقَبَّلَ الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فقالَ لَهُ الإِسْكَنْدَرُ : أَغَدَرْتَ ؟ فقالَ : لا واللهِ ؛ فقالَ : ما هذا الجَيْشُ ؟

قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَكَ أَنِّي لَمْ أُطِعْكَ من قِلَّةٍ وَلا ضَعْفٍ ، وَأَنْ ترى هَذا الجَيْشَ ، وَما غابَ عنكَ أَكْثَرُ منهُ ؛ لكنِّي رَأَيْتُ العالَمَ الأَكْبَرَ مُقْبِلاً عَلَيْكَ ، مُمَكَّناً لَكَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ومِنْكَ ، وَأَكْثَرَ عَدداً ؛ فعَلِمْتُ أَنَّهُ من حارَبَ الإِلَهَ غُلِبَ وَقُهِرَ ، فَأَرَدْتُ طاعَتَهُ بطاعَتِكَ ، وَالذِّلَّةَ لأَمْرِهِ بالذِّلَّةِ لَكَ ؛ فقالَ لَهُ الإِسْكَنْدَرُ : ليسَ ينبغي أَن يُؤْخَذُ من مِثْلِكَ شَيْءٌ ، وَما رَأَيْتُ أَحَداً يَسْتَحِقُّ التَّفْضِيلَ والوَصْفَ بالعَقْلِ غَيْرَكَ ، وَقَدْ أَعْفَيْتُكَ من جَمِيعِ ما أَرَدْتُهُ مِنكَ ، وَأَنا مُنصرفٌ عنكَ ؛ فقالَ لَهُ مَلِكُ الصِّينِ : أَمَّا إِذْ فعلْتَ ذلكَ فإِنَّكَ لا تَخْسَرُ .

ثمَّ قَدَّمَ لَهُ مَلِكُ الصِّيْنِ من الهدايا والتُّحَفِ والأَلْطافِ أَضْعافَ ما قَرَّرَهُ معهُ ، وَرَحَلَ الإِسْكَنْدَرُ عنهُ .

● **قُلتُ** : وَقد أَذْكَرَتْنِي هذِهِ الحِكايَةُ ، ما حَكاهُ صاحِبُ « ابْتِلاءِ الأَخْيارِ » عن الإِسْكَنْدَرِ مع مَلِكَةِ الصِّيْنِ الأَقْصى ، قالَ[1] :

إِنَّ الإِسْكَنْدَرَ لَمَّا سارَ في الأَرْضِ وَفَتَحَ البِلادَ ، سَمِعَتْ بِهِ مَلِكَةُ الصِّيْنِ ، فَأَحْضَرَتْ من أَبْصَرَ صُورَةَ الإِسكَنْدَرِ مِمَّنْ يَعرفُ التَّصْوِيرَ ، وَأَمَرَتْهُم أَنْ يُصَوِّرُوا صُورَتَهُ في جَمِيعِ الصَّنائِعِ خَوْفاً منهُ ، فَصَوَّرُوهُ في البُسُطِ والأَوانِي والرُّقُومِ ، ثمَّ أَمَرَتْ بِوَضْعِ ما صَنَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْها ، وَصارَتْ تَنظرُ لذلكَ حتَّى أَثْبَتَتْ مِعْرِفَتَهُ .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْها الإِسكندرُ ، وَنازَلَ بَلَدَها قالَ الإِسْكَنْدَرُ للخَضِرِ يَوْماً : قد خَطَرَ لِي شَيْءٌ أَقُوله لَكَ ، قالَ : وَما هو ؟ قالَ : أُرِيدُ أَنْ أَدخلَ هذِهِ البَلْدَةَ مُتَنَكِّراً ، وَأَنظرَ كَيفَ يُعملُ فِيها ؟ قالَ : افعَلْ ما بَدَا لَكَ .

فَلَمَّا دَخَلَها الإِسْكَندرُ ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ المَلِكَةُ من حِصْنِها ، فَعَرَفَتْهُ لِلصُّوَرِ التي عِنْدَها ، فَأَمَرَتْ بإِحْضارِهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْها ، أَمَرَتْ بِهِ فَوُضِعَ في مَطْمُورَةٍ لا يَعْرِفُ اللَّيْلَ فِيها من النَّهارِ ، فَبَقِيَ فِيها ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، لا يَأْكُلُ ولا يَشْرَبُ ، حَتَّى كادَتْ قُوَّتُهُ أَنْ تسقطَ ، واخْتَبَطَ عَسْكَرُهُ لأَجلِ غَيْبَتِهِ ، وَالخَضِرُ

---

(١) ابتلاء الأخيار ١٠٢ ـ ١٠٣ .

يُسَكِّنُهُمْ وَيُسَلِّيهم .

فَلَمَّا كان اليَوْمُ الرَّابِعُ ، مَدَّتْ مَلِكَةُ الصِّيْنِ سِماطاً نحوَ مئَةِ ذِراعٍ ، وَوَضَعَتْ فِيهِ أَواني الذَّهَبِ والفِضَّةِ والبِلَّوْرِ ، وَمَلأَتْ أَوانِيَ الذَّهَبِ بِاللُّؤْلُؤِ والزَّبَرْجَدِ ، وَأَوانِيَ الفِضَّةِ بالدُّرِّ والياقُوتِ الأَحْمَرِ وَالأَصْفَرِ ، وأَوانِيَ البِلَّوْرِ بالذَّهَبِ والفِضَّةِ ؛ وَما فِي ذلكَ شَيْءٌ يُؤْكَلُ إلاَّ أَنَّهُ مالٌ لا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إلاَّ اللهُ تَعالى ؛ وَأَمَرَتْ فَوُضِعَ في أَسْفَلِ السِّماطِ صَحْنٌ فِيهِ رَغِيفٌ من خُبْزِ البُرِّ ، وَشَرْبَةٌ من الماءِ ؛ وَأَمَرَتْ بِإِخْراجِ الإِسْكَنْدَرِ ، وَأَجْلَسَتْهُ على رَأْسِ السِّماطِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَأَبْهَرَهُ ذلكَ ، وأَخَذَتْ تِلْكَ الجَواهِرُ بِبَصَرِهِ ، وَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئاً لِلأَكْلِ ، ثُمَّ نَظَرَ فَرَأَى في أَدْنى السِّماطِ إناءً فِيهِ طَعامٌ ، فقامَ من مَكانِهِ وَمَشَى إِلَيْهِ ، وَجَلَسَ عندَهُ وَسَمَّى وَأَكَلَ ؛ فَلَمَّا فَرَغَ من أَكْلِهِ ، شرب من الماءِ قَدْرَ كِفايَتِهِ ، ثُمَّ حَمِدَ اللهَ تَعالى وقامَ وَجَلَسَ مَكانَهُ أَوَّلاً .

فَخَرَجَتْ عليْهِ ، فقالَتْ لَهُ : يا سُلْطانُ ، بعدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ما صَدَّ عنكَ هذا الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ وَالجَوْهَرُ سُلطانَ الجُوعِ ، وَقَدْ أَغْناكَ عن هذا كُلِّهِ ما قِيْمَتُهُ دِرْهَمٌ واحِدٌ ؛ فَما لَكَ والتَّعرُّضَ إلى أَمْوالِ النَّاسِ وأَنْتَ بِهذِهِ المَثابَةِ ؟ فقالَ لَها الإِسْكَنْدَرُ : لَكِ بِلادُكِ وَأَمْوالُكِ ، وَلا بَأْسَ عَلَيْكِ بعدَ اليومِ ؛ فقالَتْ لَهُ : أَمَّا إِذْ فَعَلْتَ هذا فإِنَّكَ لا تَخْسَرُ .

ثُمَّ إِنَّها قَدَّمَتْ لَهُ جَمِيعَ ما كانَتْ قد أَحْضَرَتْهُ ، وَكانَ شَيْئاً يُحَيِّرُ النَّاظِرَ ، وَيُذْهِلُ الخاطِرَ ، وَمِنَ المَواشِي شَيْئاً كَثِيراً .

فَنَزَلَ إِلى عَسْكَرِهِ ، وَقَبِلَ هَدِيَّتَها ، وَرَحَلَ عَنْها .

وَذَكَرَ غَيْرُهُ : أَنَّهُ كان في الهَدِيَّةِ ثلاثمئة فِيلٍ ، وَأَنَّهُ دَعاها إِلى اللهِ تَعالى ، فَآمَنَتْ وآمَنَ أَهْلُ مَمْلَكَتِها .

● **غَريبَةٌ** : ذَكَرَ صاحِبُ « النَّشْوارِ »[1] :

أَنَّ خارِجِيّاً خَرَجَ على مَلِكِ الهِنْدِ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الجُيُوشَ ، فَطَلَبَ الأَمانَ فَأَمَّنَهُ ، فَسارَ الخارِجِيُّ إِلى المَلِكِ ، فَلَمَّا قَرُبَ من بَلَدِ المَلِكِ ، أَمَرَ المَلِكُ الجَيْشَ بالخُرُوجِ إِلى لِقائِهِ ، فَخَرَجَ الجَيْشُ بآلاتِ الحربِ ، وَخَرَجَتِ العامَّةُ تَنتظِرُ دُخُولَهُ ، فَلَمَّا أَبْعَدُوا فِي الصَّحْراءِ ، وَقفَ النَّاسُ يَنتظِرُونَ قُدُومَ الرَّجُلِ ، فَأَقبلَ وهو راجِلٌ في عِدَّةِ رِجالٍ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبُ دِيباجٍ ، وَمِئْزَرٌ في وَسَطِهِ جَرْياً على زِيِّ القَوْمِ ، فَتَلَقَّوْهُ بالإِكْرامِ ، وَمَشَوْا معهُ حتَّى انْتَهى إِلى فِيلَةٍ عَظِيمَةٍ قد أُخرِجَتْ للزِّيْنَةِ ، وَعَلَيْها الفيَّالُونَ ، وَفِيها فِيلٌ عَظِيمٌ يَخْتَصُّهُ المَلِكُ لِنَفْسِهِ ، وَيَرْكَبُهُ في بَعضِ الأَوقاتِ ، فقالَ لَهُ الفَيَّالُ لَمَّا قَرُبَ منهُ : تَنَحَّ عن طَرِيقِ فِيلِ المَلِكِ ، فَلَمْ يُبْدِ لَهُ جَواباً ؛ فَأَعادَ عَلَيْهِ القَوْلَ ، فَلَمْ يُبْدِ لَهُ جَواباً ، فقالَ لَهُ : يَا هذا ، احْذَرْ على نَفْسِكَ ، وَتَنَحَّ عن طَرِيقِ فِيلِ المَلِكِ . فقالَ لَهُ الخارِجِيُّ : قُلْ لِفِيلِ المَلِكِ يَتَنَحّى عن طَرِيقي .

فَغَضِبَ الفَيَّالُ ، وَأَغْرَى الفِيْلَ به بِكَلامٍ كَلَّمَهُ بِهِ ، فَغَضِبَ الفِيلُ ، وَعَدا إِلى الخارجيِّ ، وَلَفَّ خُرْطُومَهُ عليْهِ ، وشَالَهُ الفِيلُ شَيْلاً عَظِيماً ـ وَالنَّاسُ يَرَوْنَهُ ـ ثمَّ خَبَطَ بِهِ الأَرْضَ ، فإِذا هُوَ قد وَقَعَ منتصباً على قَدَمَيْهِ ، قابضاً على خُرْطُومِ الفِيلِ ، فَزادَ غَضَبُ الفِيلِ ، فَشالَهُ الثَّانِيَةَ أَعْظَمَ من الأُولى وَعَدا ، ثمَّ رَمَى بِهِ الأَرْضَ ، فإِذا هُوَ قد حَصَلَ مُسْتَوِياً على قَدَمَيْهِ مُنْتَصِباً ، قابضاً على الخُرْطُومِ ، وَلَمْ يُنَحِّ يَدَهُ عَنهُ ؛ فشَالَهُ الفِيلُ الثَّالِثَةَ ، وَفعلَ بِهِ مِثلَ ذلكَ ، فَحَصلَ على الأَرْضِ مُنْتَصِباً قابضاً على الخُرطومِ ، وَسَقَطَ الفِيلُ مَيِّتاً ، لأَنَّ قَبْضَهُ على الخُرْطُومِ تِلكَ المُدَّةِ ، مَنَعَهُ من التَّنَفُّسِ فقَتَلَهُ .

فَأُخْبِرَ المَلِكُ بذلك ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ؛ فقالَ لَهُ بَعضُ وُزرائِهِ : يَجِبُ أَيُّها

---

(١) نَشوار المحاضرة ١/١٠٨ .

المَلِكُ أَنْ تَسْتَبْقي مِثْلَ هذا ، وَلا يُقْتَلَ ؛ فإِنَّ فِيهِ جَمالاً للمَمْلَكَةِ ؛ وَيُقالُ : إِنَّ للمَلِكِ خادِماً قَتَلَ فيلاً بِقُوَّتِهِ وَحِيَلِهِ من غَيْرِ سِلاحٍ ؛ فَعَفا عنهُ وَاسْتَبْقاهُ .

● وَذَكَرَ الطُّرْطُوشِيُّ وَغَيْرُهُ[1] : أَنَّ الفِيلَ دَخَلَ دِمَشْقَ في زَمَنِ مُعاوِيَةَ بن أَبي سُفيان رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُما ، فَخَرَجَ أَهْلُ الشَّامِ لِيَنْظُرُوهُ ، لأَنَّهُم لَمْ يَكُونُوا رَأَوْا الفِيلَ قَبلَ ذلكَ ، وَصعدَ مُعاوِيَةُ سَطْحَ القَصْرِ للفُرْجَةِ ، فَلاحَتْ منهُ الْتِفاتَةٌ ، فَرَأَى رَجُلاً مع بَعضِ حَظاياهُ في بَعضِ حُجَرِ القَصْرِ ، فَنَزَلَ مُسْرِعاً إِلى الحُجْرَةِ ، فَطَرَقَ بابَها ؛ فَقِيلَ : مَنْ ؟ قالَ : أَميرُ المُؤمنينَ ، فَفُتِحَ البابُ ، إِذْ لا بُدَّ من فَتْحِهِ طَوْعاً أَوْ كُرْهاً ، فَدَخَلَ أَميرُ المُؤمنين مُعاوِيَة ، فَوقفَ على رَأْسِ الرَّجُلِ وَهُوَ مُنَكِّسٌ رَأْسَهُ ، وَقَدْ خافَ خَوْفاً عَظِيماً ؛ فقالَ لَهُ مُعاوِيَةُ : يَا هذا ، ما الذي حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ ، من دُخُولِكَ قَصْرِي ، وَجُلوسِكَ مع بَعْضِ حُرَمِي ؟ أَمَا خِفْتَ نِقْمَتي ؟ أَمَا خَشِيْتَ سَطْوَتِي ؟ أَخْبِرْني يَا وَيْلَكَ ما الذِي حَمَلَكَ على ذلكَ ؟ فقالَ : يَا أَميرَ المُؤمنين ، حَمَلَني على ذلِكَ حِلْمُكَ ؛ فقالَ لَهُ مُعاوِيَةُ : أَرَأَيْتَ إِنْ عَفَوْتُ عنكَ ، تَسْتُرُها عَلَيَّ فَلا تُخْبِرُ بِها أَحَداً ؟ قالَ : نَعَم ! .

فَعَفا عنهُ ، وَوَهَبَ لَهُ الجارِيَةَ وَما فِي حُجْرَتِها ، وَكانَ شَيْئاً لَهُ قِيْمَةٌ عَظِيمَةٌ .

قالَ الطُّرطوشيُّ : فانْظُرْ إِلى هذا الدَّهاءِ العَظِيمِ ، وَالحِلْمِ الواسِعِ ، كَيْفَ طَلَبَ السِّتْرَ من الجانِي ! . انتهى .

● **فائِدَةٌ**[2] : لَمَّا كان أَوَّلُ المُحَرَّم ، سنةَ اثنتين وَثَمانِينَ من تاريخِ ذِي

---

(١) سراج الملوك ١/ ٣١٢ والمستطرف ١/ ٥٧٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣ ـ ٥٤ وتاريخ الطَّبريّ ٢/ ١٣١ ـ ١٣٧ وأَخبار مكَّة ١٤٠ ـ ١٤٧ والبداية والنِّهاية ٣/ ١٤٠ ـ ١٤٨ والرَّوض الأُنف ١/ ١٤٧ ـ ١٥٩ .

القَرْنَيْنِ ، وَكانَ النَّبيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ حَمْلاً في بَطْنِ أُمِّهِ ، حَضَرَ أَبْرَهَةُ الأَشْرَمُ مَلِكُ الحَبَشَةِ يُرِيدُ هَدْمَ الكَعْبَةِ ، وَكانَ قد بَنى كَنِيسَةً بِصَنْعاءَ ، وَأَرادَ أَنْ يَصْرِفَ إِلَيْها الحاجَّ ، فَخَرَجَ رجلٌ من بَني كِنانَةَ ، فَقَعَدَ فِيها لَيْلاً ، فَأَغْضَبَهُ ذلكَ ، وَحَلَفَ لَيَهْدِمَنَّ الكَعْبَةَ .

فَخَرَجَ ومعهُ جَيشٌ عَظِيمٌ ، وَمعهُ فِيْلَهُ مَحمودٌ ، وَكانَ قَوِيّاً عَظِيماً واثْنا عَشَرَ فِيْلاً غيرَهُ ـ وَقيلَ : ثمانية ـ فَلَمَّا بَلَغَ المُغَمَّسَ ، وَهو على ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ من مَكَّةَ ، مَاتَ دَلِيلُهُ أَبُو رِغالٍ هُناكَ ، فَرَجَمَتِ العَرَبُ قَبْرَهُ ، وَالنَّاسُ يَرْجُمُونَهُ إِلى الآنَ .

● وَرَوَى أَبو عليّ بن السَّكَنِ في « سُنَنِهِ الصِّحاح » : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا كان بِمَكَةَ ، وَأَرادَ أَنْ يَقضيَ حاجَةَ الإِنْسانِ خَرجَ إِلى المُغَمَّسِ .

ثم إِنَّ أَبْرَهَةَ بَعَثَ خَيْلاً لَهُ إِلى مَكَّةَ ، فَأَخَذَتْ مِئتَيْ بَعِيرٍ لعبْدِ المُطَّلِبِ ، فَهَمَّ أَهْلُ الحَرَمِ بِقِتالِهِ ، ثم عَرَفُوا أَنَّهم لا طاقَةَ لَهُمْ بِهِ فَتَرَكُوهُ .

وَبعثَ أَبْرَهَةُ إِلى أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُ لَهُمْ : إِنِّي لَمْ آتِ لِحَرْبِكُمْ ، وإِنَّما جِئْتُ لِهَدْمِ هذا البَيتِ ، فإِنْ لَمْ تَتَعَرَّضُوا دُونَهُ بِحَرْبٍ ، فَلا حاجَةَ لِي بِدِمائِكُمْ ؛ فقالَ عبدُ المُطَّلِبِ لِرَسُولِهِ : وَاللهِ لا نُرِيدُ حَرْبَهُ ، وَما لَنا به من حاجَةٍ ؛ هذا بَيْتُ اللهِ ، وَبَيْتُ خَليلِهِ إِبراهيم ﷺ فَهوَ يَحْمِيهِ مِمَّنْ يُرِيدُ هَدْمَهُ .

ثمَّ خَرَجَ عبدُ المُطَّلِبِ إِلى أَبْرَهَةَ ، وَكانَ عبدُ المُطَّلِبِ جَسِيماً وَسِيماً ، ما رَآهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَحَبَّهُ ، وَكانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ ؛ فَقِيلَ لأَبْرَهَةَ : هذا سَيِّدُ قُرَيْشٍ الذي يُطْعِمُ النَّاسَ في السَّهْلِ ، وَيُطْعِمُ الوَحْشَ وَالطَّيْرَ في رُؤُوسِ الجبالِ .

فَلَمَّا رآهُ أَجَلَّهُ ، وَأَجْلَسَهُ معهُ على سَريرِهِ ، ثمَّ قالَ لِتَرْجُمانِهِ : قُلْ لَهُ : سَلْ حاجَتَكَ ؟ فقالَ : حاجَتِي أَنْ يَرُدَّ المَلِكُ عليَّ مِئتي بَعيرٍ أَصابَها لي . فَلَمَّا قالَ ذلكَ قالَ لَهُ أَبْرَهَةُ : قُلْ لَهُ : قد كُنْتَ أَعْجَبْتَني حِينَ رَأَيْتُكَ ، ثمَّ زَهدْتُ فِيكَ

حِينَ كَلَّمْتَني ؛ أَتُكَلِّمُني في مِئَتَيْ بَعِيرٍ ، وَتَتْرُكُ بَيْتاً هو دِينُكَ وَدِيْنُ آبائِكَ ، قد جِئْتُ لِهَدْمِهِ ، فَلَمْ تُكَلِّمْني فِيهِ ؟ .

فقالَ عبدُ المُطَّلِبِ : إِنِّي أَنا رَبُّ الإِبِلِ ، وَإِنَّ للبَيْتِ رَبّاً سَيَمْنَعُهُ منكَ ؛ قالَ أَبْرَهَةُ : ما كَانَ لِيَمْتَنِعَ مِنِّي ! فقالَ عبدُ المُطَّلِبِ : أَنْتَ وَذاكَ . فَرَدَّ أَبْرَهَةُ على عَبْدِ المُطَّلِبِ إِبِلَهُ ، ثمَّ انْصَرَفَ إلى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمُ الخَبَرَ ، وَأَمَرَهُم بالخُرُوجِ من مَكَّةَ إلى الجِبالِ وَالشِّعابِ ، ثمَّ قامَ عبدُ المُطَّلِبِ فَأَخَذَ بِحَلقَةِ بابِ الكَعْبَةِ ، وَدَعا اللهَ تعالى ، ثمَّ قالَ[1] : [من مجزوء الكامل]

لا هُـــــمَّ إِنَّ المَــــــرْءَ يَمْـ ـنَـعُ رَحْلَـهُ فـامْنَـعْ حِـلالَـكْ
وانْصُــــــرْ علـــــى آلِ الصَّلِيْـ ـبِ وَعَــابِـدِيْــهِ اليَــوْمَ آلَــكْ
لا يَغْلِبَـــــــنَّ صَلِيْبُهُــــــمْ وَمِحَـــالُهُـــمْ أَبَــداً مِحَــالَــكْ

ثمَّ أَرْسَلَ حَلقَةَ البابِ ، وانْطَلَقَ هُوَ وَمَنْ معهُ من قُرَيشٍ إلى الجِبالِ ، يَنظُرُونَ ما أَبْرَهَةُ فاعِلٌ بمَكَّةَ إذا دَخَلَها ؟ . فحينئِذٍ جاءَتْ قُدْرَةُ الواحِدِ الأَحَدِ ، القادِرِ المُقْتَدِرِ ، فَأَصْبَحَ أَبْرَهَةُ مُتَهَيِّئاً لِدُخُولِ مَكَّةَ وَهَدْمِ البَيْتِ ، وَقَدَّمَ فِيْلَهُ مَحمُوداً أَمامَ جَيْشِهِ ، فَلَمَّا وُجِّهَ الفِيلُ إلى مَكَّةَ ، أَقْبَلَ نُفَيْلُ بن حَبيب ـ كذا في سِيرَةِ ابنِ هِشامٍ ، وَقالَ السُّهيليُّ : نُفَيْلُ بنُ عبدِ اللهِ بن جَزْء بن عامِرِ بن مالِك ـ فَأَخَذَ بأُذُنِ الفِيلِ ، وقالَ : ابرُكْ مَحمود ، أَوِ ارجِع راشِداً ، فإِنَّكَ في بَلَدِ اللهِ الحَرامِ ؛ ثمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ لَهُ ، فَبَرَكَ الفِيلُ ، فَضَرَبُوهُ بالحَدِيدِ حتَّى أَدْمَوْهُ لِيَقُومَ ؛ فَأَبى ، فَوَجَّهُوهُ إلى اليَمَنِ فقامَ يُهَرْوِل ، فَوَجَّهُوهُ إلى الشَّامِ فَفَعَلَ مثلَ ذلكَ ، فَوَجَّهُوهُ إلى مَكَّةَ فَبَرَكَ .

فَعِندَ ذلكَ أَرْسَلَ اللهُ عليهم طَيْراً أَبابيلَ ، تَرمِيهم بحِجارَةٍ من سِجِّيلٍ ، فَتَساقَطُوا بِكُلِّ طَرِيقٍ ، وَهَلَكُوا على كُلِّ مَنْهَلٍ ، وَأُصِيبَ أَبْرَهَةُ حتَّى تَساقَطَ

---

(١) الأَبيات في مصادر الخبر .

أَنْمُلَةً أَنْمُلَةً ، حتَّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعاءَ وَهُو مثلُ فَرْخِ الطَّائِرِ ، فَما مَاتَ حتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عن قلْبِه ، وَانْفَلَتَ وَزِيرُهُ ، وَطائِرٌ يُحلِّقُ فَوْقَهُ حتَّى بَلَغَ النَّجاشِيَّ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ القِصَّةَ ، فَلَمَّا أَتَمَّها ، وَقَعَ عَلَيْهِ الحَجَرُ فَخَرَّ مَيِّتاً بَيْنَ يَدَيْه .

وإلى هَذِهِ القِصَّةِ أَشَارَ النَّبيُّ ﷺ بقَوْلِهِ في الحَدِيثِ الصَّحيحِ[١] : « إِنَّ اللهَ تَعالَى حَبَسَ عن مَكَّةَ الفِيْلَ ، وَسَلَّطَ عَلَيها رَسُولَهُ والمُؤْمنين » .

● وَفي « صِحيح البُخاريّ » و« سُنَنِ أَبي داود » و« النَّسائيُّ »[٢] من حَدِيثِ المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ وَمَروانَ بن الحَكَمِ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُما ، يُصَدِّقُ كُلُّ واحِدٍ منهُما حَدِيثَ صاحِبِه ، قالا :

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَة ، حتَّى إِذا كان بالثَّنِيَّةِ التي يُهْبَطُ عَليهم مِنها ، بَرَكَتْ بِهِ راحِلَتُهُ ، فقالَ النَّاسُ : حَلْ حَلْ ، فَأَلَحَّتْ ، فقالُوا : خَلأَتِ القَصْواءُ ؛ فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَا خَلأَتِ القَصْواءُ ، وَما ذَاكَ لَها بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَها حابِسُ الفِيْلِ » .

الخِلاءُ في الإِبلِ : كَالحِرانِ في الخَيْلِ ؛ وَالمَعْنى في التَّمثِيلِ بِحَبْسِ الفِيْلِ ، أَنَّ الصَّحابَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم لو دَخَلُوا مَكَّةَ ، لَوَقَعَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ قُرَيشٍ قِتالٌ في الحَرَمِ ، وَأُرِيقَ فِيه دِماءٌ ، وَكانَ مِنْهُ الفَسادُ ؛ وَلَعلَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى قد سَبَقَ في عِلْمِه ، وَمَضَى فِي قَضائِه ، أَنَّهُ سَيُسْلِمُ جَماعَةٌ من أُولَئِكَ الكُفَّارِ ، وَسَيَخْرُجُ من أَصْلابِهم قَوْمٌ مُؤْمنُونَ ؛ فَلَوْ اسْتُبِيحَتْ مَكَّةُ ، لانْقَطَعَ ذَلِكَ النَّسْلُ ، وَتَعَطَّلَتْ تلكَ العَواقِبُ . وَاللهُ أَعلَمُ .

قِيلَ : كان أَبْرَهَةُ المَذْكُورُ جَدَّ النَّجاشِيِّ الذي كان في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ ، وَكانَ مَوْلِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عامَ الفِيلِ ، بعدَ هَلاكِ أَصْحابِ الفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْماً .

---

(١) البخاري ١/ ٣٦ و ٣/ ٩٤ ومسلم (١٣٥٥) .

(٢) البخاري ٣/ ١٧٨ وأبو داود (٢٧٦٥) ومسند أحمد ٤/ ٣٢٣ و ٣٢٩ .

قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها : رَأَيْتُ قائِدَ الفِيْلِ وسائِسَهُ أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ ، يَسْتَطْعِمانِ النَّاسَ بِمَكَّةَ .

● وَرُوِي[1] أَنَّ عَبدَ المَلِكِ بن مَرَوانَ ، قالَ لِقَباث بن أَشْيَمَ الكِنانيّ : يَا قَباثُ ، أَنْتَ أَكْبَرُ أَم رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ فقالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَأَنا أَسَنُّ مِنهُ ؛ وُلِدَ ﷺ عامَ الفِيْلِ ، وَوَقَفَتْ بِي أُمِّي على رَوْثِ الفِيْلِ ، وَهُوَ أَخْضَرُ ، وَأَنا أَعْقِلُهُ .

● قَالَ السُّهيليُّ : قَوْلُهُ : فَبَرَكَ الفِيْلُ ؛ فِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّ الفِيْلَ لا يَبْرُكُ ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فَعَلَ فِعْلَ البارِكِ الذي يَلْزَمُ مَوْضِعَهُ وَلا يَبْرَحُ ، فَعُبِّرَ بالبُرُوكِ عن ذلكَ ؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُون بُروكُهُ سُقُوطُهُ إِلى الأَرْضِ ، لِمَا دَهَمَهُ من أَمْرِ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى .

قالَ : وَقد سَمِعْتُ مَن يَقُولُ : إِنَّ في الفِيَلَةِ صِنْفاً يَبْرُكُ كما يَبْرُكُ الجَمَلُ ، فإِنْ صَحَّ ، وَإِلاَّ فتَأْوِيلُهُ كَمَا قَدَّمْناهُ .

قالَ : وَقَوْلُ عبدِ المُطَّلِبِ : لا هُمَّ الخ . إِنَّ العَرَبَ تَحذفُ الأَلفَ واللاَّمَ من « اللَّهُمَّ » وَتَكْتَفِي بِما بَقِيَ . والحِلالُ : مَتاعُ البَيْتِ ، وَأَرادَ بِهِ سُكَّانَ الحَرَمِ . وَمَعْنى مِحالَكَ : كَيْدَكَ وَقُوَّتَكَ .

وَالكَنِيْسَةُ التي بَناها أَبْرَهَةُ بِصَنْعاءَ تُسَمَّى القُلَّيْس ، مثلَ القُبَّيْطِ ، سُمِّيَتْ بذلكَ لارْتِفاعِ بنائِها وَعُلُوِّها ؛ وَمِنْهُ القَلانِسُ لأَنَّها في أَعْلَى الرُّؤُوسِ . يُقالُ : تَقَلَّسَ الرَّجُلُ ، وَتَقَلْنَسَ ، إذا لَبِسَ القَلَنْسُوَةَ ؛ وَتَقَلَّسَ طَعاماً : إذا ارْتَفَعَ من مَعِدَتِهِ إِلى فِيهِ .

● وَكانَ[2] أَبْرَهَةُ قد اسْتَذَلَّ أَهْلَ اليَمَنِ في بِنائِها ، وَكَلَّفَهُم فِيها أَنْواعاً من

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٣٠٣ وأُسد الغابة ٤/ ٣٧٩ والإصابة ٥/ ٣١٠ (رقم ٧٠٧١) .

(٢) البداية والنِّهاية ٣/ ١٤٠ وأَخبار مكَّة ١٣٨ _ ١٤٠ .

السُّخَرِ ، وكانَ يَنْقُلُ إِلَيْها الرُّخامَ المُجَزَّعَ والحِجارَةَ المَنقُوشَةَ بالذَّهَبِ والفِضَّةِ من قَصْرِ بَلقيسٍ صاحِبَةِ سُليمانَ بن داود عليْهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وكان من مَوْضِعِ هذِهِ الكَنِيسَةِ على فَراسِخَ ، ونَصَبَ فِيها صُلْباناً من الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، ومَنابرَ من العاجِ والآبَنُوسِ ، وكانَ يُشْرِفُ منها على عَدَن .

وكانَ[1] حُكْمُهُ في العامِلِ فِيها إذا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ قبلَ أَنْ يَعملَ ، قَطَعَ يَدِهِ ؛ فَنامَ رَجلٌ من العُمَّالِ ذاتَ يَوْمٍ حتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، فجَاءَتْ أُمُّهُ معهُ - وهِيَ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ - فتَضَرَّعَتْ إِلَيْهِ تَسْتَشْفِعُ لابْنِها ، فَأَبى إلاَّ قَطْعَ يَدِهِ ، فقالَت : اضْرِبْ بِمِعْوَلِكَ اليَوْمَ ، فاليَوْمَ لَكَ وَغداً لِغَيْرِكَ ؛ فقالَ : وَيْحَكِ ! ما قُلْتِ ؟ قالَتْ : نَعم ، كَما صَارَ هذا المُلْكُ من غَيْرِكَ إِلَيْكَ ، فهوَ خارجٌ عن يَدِكَ بِمِثْلِ ما صَارَ إِلَيْكَ . فَأَخَذَتْهُ مَوْعِظَتُها ، وَعَفا عن وَلَدِها ، وَأَعْفَى النَّاسَ من السُّخَرِ فِيها .

فَلَمَّا هَلَكَ ، وَمُزِّقَتِ الحَبَشَةُ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، أَقْفَرَ ما حَوْلَ هَذِهِ الكَنِيسَةِ ، وَكَثُرَ حَوْلَها السِّباعُ وَالحَيَّاتُ ؛ وَكانَ كُلُّ من أَرادَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْها شَيْئاً أَصابَتْهُ الجِنُّ ، فَبَقِيَتْ من ذلكَ العَهْدِ بما فِيها من العُدَدِ ، وَالخَشَبِ المُرَصَّعِ بالذَّهَبِ ، والآلاتِ المُفَضَّضَةِ التي تُساوي قَناطِيرَ مُقَنْطَرَةً من الأَمْوالِ إلى زَمَنِ أَبي العَبَّاسِ السَّفَّاح ، فَذَكَرُوا لَهُ أَمْرَها ، وَمَا يُتَهَيَّبُ من جِنِّها ، فَلَمْ يَرُعْهُ ذلكَ ، وَبَعَثَ إِلَيْها أَبَا العَبَّاسِ ابن الرَّبيع ، عامِلَهُ على اليَمَنِ ، وَمَعهُ أَهْلُ الحَزْمِ وَالجَلادَةِ ، فَخَرَّبَها ، وَاسْتَأْصَلَها ، وَحَصَّلَ مِنْها مالاً كَثِيراً ، وَبَاعَ مِنْها ما أَمْكَنَ بَيْعُهُ من رُخامِها وَآلاتِها ، فَخَفِيَ بعدَ ذلكَ رَسْمُها ، وَانْقَطَعَ خَبَرُها ، وَدَرَسَتْ آثارُها .

وَكانَ الذِي يُصِيبُهم من الجِنِّ يَنْسِبُونَهُ إلى كُعَيْبٍ وامْرَأَتِهِ ، وَهُما صَنَمانِ

---

(١) أخبار مكّة ١/ ١٣٩ .

كانَتِ الكَنِيسَةُ بُنِيَتْ عَلَيْهِما ، فَلَمَّا كُسِرَ كُعَيْبٌ وامْرَأَتُهُ ، أُصِيبَ الذِي كَسَرَهُما بِالجُذامِ ، فَافْتُتِنَ بذلكَ رَعاعُ اليَمَنِ وَطَغامُهم .

● وَذَكَرَ[1] أبو الوَلِيدِ الأَزرقِيُّ : أَنَّ كُعَيْباً كان من خَشَبٍ ، وَأَنَّ طُولَهُ كان سِتِّينَ ذِراعاً .

● وإلى قِصَّةِ أَبْرَهَةَ ، أَشَرْتُ بِقَوْلي في « المنظومةِ » في أَوَّلِ « كِتابِ السِّيَرِ » : [من الرجز]

فَجاءَهُمْ أَبْرَهَةُ بالفِيلَهْ ... وَبجُيُوشٍ أَقْبَلَتْ مُحْتَفِلَهْ
وَأَمَّهُمْ في عَسْكَرٍ كَاللَّيْلِ ... مُسْتَظْهِراً بِرَجْلِهِ والخَيْلِ[2]
وَقَدْ أَتَى الأَسْوَدُ نَحْوَ الحَرَمِ ... وَاسْتَاقَ ما كانَ بِهِ مِن نِعَمِ
فَأَمَّ ذاكَ الوَقْتِ عَبْدُ المُطَّلِبْ ... أَبْرَهَةَ والسَّعْيَ في الخَيْرِ طَلَبْ
فَمُذْ رَأَى أَبْرَهَةٌ وَجْهاً سَما ... مَهابَةً عَظَّمَهُ رَبُّ السَّما
انْحَطَّ عَن سَرِيْرِهِ مُنْهَبِطا ... وَقَعَدا على بِساطٍ بُسِطا
وَقالَ : سَلْ ما شِئْتَ مِن أُمُورِ ... فقالَ : رُدَّ مِئَتَيْ بَعِيرِ
قَدْ أُخِذَتْ مِن جُمْلَةِ الأَمْوالِ ... فقالَ : قد هَوَّنْتَ في السُّؤَالِ
لَوْ قُلْتَ لِي : لا تَهْدِمَنَّ البَيْتا ... وارْجِعْ وَعُدْ مِن حَيْثُما أَتَيْتا
قابَلْتُ ما قُلْتَ بالامْتِثالِ ... مِنْ غَيْرِ إِمْهالٍ وَلا إِهْمالِ
فقالَ : هَذِي إِبِلِي وَهَذا ... بَيْتٌ لَهُ خالِقُهُ أَعاذا
لا أَسْأَلُ اليَوْمَ سِواهُ فِيهِ ... إِنَّ لَهُ رَبّاً عَلا يَحْمِيهِ
ثُمَّ أَتَى شَيْبَةُ بابَ الكَعْبَهْ ... فَقَالَ إِذْ يَسْأَلُ فِيهِ رَبَّهْ :
يا رَبِّ لا أَرْجُو لَهُمْ سِواكا ... يا رَبِّ فامْنَعْ عَنْهُمُ حِماكا
إِنَّ عَدُوَّ البَيْتِ مَن عاداكا ... فامْنَعْهُمُ أَنْ يُخْرِبُوا قُراكا

---

(١) أخبار مكّة ١/ ١٣٩ .
(٢) في أ : وافاهم . . . × .

فَـأَجْلَبُـوا بِـرَجْلِهِـمْ والخَيْـلِ وَأَقْبَلُـوا كَقِطَـعٍ مِـن لَيْـلِ
مَحْمُـودُهُ مَـن فَـوْقَـهُ مَـذْمُـومُ بَهِيمَـةٌ سَـوادُهُ بَهِيـمُ
يَـرُومُ هَـدْمَ البَيْـتِ ذِي الأَرْكـانِ وَقَتْـلَ مَـن فِيـهِ مِـن السُّكَّـانِ
وَيَسْتَحِـلُّ الحَـرَمَ المُعَظَّمـا وَيَسْتَبِيـحُ البَلَـدَ المُحَـرَّمـا
فَقَـامَ يَـدْعُـو اللهَ عَبْـدُ المُطَّلِـبْ بِـدَعَـواتٍ جَيْشُهُـنَّ مـا غُلِـبْ
فـي يَـدِهِ حَلْقَتُـهُ الـوُثْقـى التـي مَـا خَـابَ مـن أَمْسَكَهـا فـي أَزْمَـةِ
فَـأَنْجَـزَ اللهُ لَـهُ مـا طَلَبَـهْ وَأَنْجَـحَ الـرَّبُّ العَظِيـمُ مَطْلَبَـهْ
وَفِيْلُهُـمْ مَحْمُـودُ لَيْـلٌ داجـي وَكَـانَ يُكْنَـى بِـأَبـي الحَجَّـاجِ
وَقـالَ قَـوْمٌ : بِـأَبـي العَبَّـاسِ وَكَـانَ مَعْـرُوفـاً بِعِظَـمِ البـاسِ
أَمْسَكَـهُ بِـأُذْنِـهِ نُفَيْـلُ قـالَ لَـهُ وَشـاعَ هـذا القِيْـلُ :
ابْـرُكْ أَوِ ارْجِـعْ راشِـداً مَحمـودُ فـإِنَّ هَـذَا بَلَـدٌ مَحْمُـودُ
فَـأَوْجَعُـوهُ بِـالحَـديـدِ ضَـرْبـاً لِلسَّيْـرِ نَحْـوَ البَيْـتِ وَهْـوَ يَـأْبَـى
وَإِنْ يُـوَجَّـهْ لِسِـواهُ يَبْتَـدِرْ ثُـمَّ عَلَيْـهِ أَحَـدٌ لَـمْ يَقْتَـدِرْ
فَـأَرْسَـلَ اللهُ علـى الـذِي فَجَـرْ طَيْـرَ أَبابِيـلٍ رَمَـتْ جِنْسَ الحَجَـرْ
مُهَيَّـأً لِلْقَـوْمِ مِـن سِجِّيْـلِ فَهُـمْ كَعَصْـفٍ بَعْـدَهـا مَـأْكُـولِ
وَالمَلِـكُ المُطـاعُ عُضْـواً عُضْـوا مُـزِّقَ ثُـمَّ لَـمْ يَنَـلْ مُـرْجُـوَّا
وَكـانَ عـامُ الفِيْـلِ عـامَ المَـوْلِـدِ لأَحْمَـدِ خَيْـرِ الـوَرَى مُحَمَّـدِ

● **فائِدَةٌ أُخرى** : إذا دَخَلَ إِنسانٌ عَلى من يَخافُ شَرَّهُ ، فَلْيَقْرَأْ : « كٓهيعٓصٓ ـ حمٓ عٓسٓقٓ » وَعَدَدُ حُرُوفِ الكَلمَتَين عَشرَةٌ ، يَعقِدُ لِكُلِّ حرفٍ إِصْبَعاً من أَصابعِه ، يَبْدَأُ بِإِبْهام يَدِهِ اليُمْنَى ، وَيَختِمُ بِإِبْهام يَدِهِ اليُسْرى ؛ فإذا فرغَ عَقْدُ جَمِيعِ الأَصابِعِ ، قَرَأَ في نَفْسِه سُورَةَ الفِيلِ ، فإذا وَصَلَ إلى قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ تَـرْمِيهِم ﴾ كَرَّرَ لَفْظَ ﴿ تَـرْمِيهِم ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، يَفتحُ في كُلِّ مَرَّةٍ إِصْبَعاً من الأَصابعِ المَعْقُودَةِ ، فإذا فعلَ ذلكَ أَمِنَ شَرَّهُ ؛ وَهوَ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ .

● وَمِنَ الفوائِدِ المُجَرَّبَةِ[1] : ما أَفادَنِيه بعضُ أَهْلِ الخَيْرِ والصَّلاح : أَنَّ مَن قَرَأَ « سُورَةَ الفِيلِ » أَلْفَ مَرَّةٍ ، في كُلِّ يَوْمٍ مئة مَرَّةٍ ، عشْرَةَ أَيَّامٍ مُتوالِيَةً ، وَيَقصِدُ مَن يُرِيدُهُ بالضَّمائِرِ ؛ وَفي اليَوْمِ العاشِرِ يَجْلِسُ على مَاءٍ جارٍ ، وَيقُولُ : اللَّهُمَّ ، أَنْتَ الحاضِرُ ، المُحِيطُ بِمَكْنُوناتِ الضَّمائِرِ ؛ اللَّهُمَّ عَزَّ الظَّالِمُ ، وَقَلَّ النَّاصِرُ ، وَأَنْتَ المُطَّلِعُ العالِمُ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّ فُلاناً ظَلَمَني وآذاني ، وَلا يَشْهَدُ بذلك غَيْرُكَ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّكَ مالِكُهُ فَأَهْلِكْهُ ؛ اللَّهُمَّ سَرْبِلْهُ سِرْبالَ الهَوانِ ، وَقَمِّصْهُ قَمِيصَ الرَّدَى ؛ اللَّهُمَّ اقْصِفْهُ ؛ يُكَرِّرُ هذِهِ اللَّفْظَةَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، ثمَّ يَقُولُ : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [غافر : ٢١] فإِنَّ اللهَ يُهْلِكُه وَيَكْفِيه شَرَّهُ ، وَهُوَ سِرٌّ لَطِيفٌ مُجَرَّبٌ .

● وَرُوِي[2] أَنَّ عَمرو بن مَعدي كَرِبَ الزُّبيديَّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، حَمَلَ يَوْمَ القادِسِيَّةِ على رُسْتَمَ ، وَهو الذي كان قَدَّمَهُ يَزْدَجرد مَلِكُ الفُرْسِ يَوْمَ القادِسِيَّةِ على قِتالِ المُسلمينَ ، فاستقبَلَ عَمْرٌو رُسْتَمَ ، وَكانَ رُسْتَمُ على فِيلٍ عَظِيمٍ ، فَحَذَفَ عَمْرٌو قَوائِمَهُ بِضَرْبَةٍ ، فَسَقَطَ رُسْتَمٌ ، وَسَقَطَ الفِيْلُ عليْهِ مع خُرْجٍ كان عَلَيْهِ فِيهِ أَربَعُونَ أَلْفَ دِينارٍ ، فَقُتِلَ رُسْتَمٌ ، وانْهَزَمَتِ العَجَمُ ؛ وَهَذِهِ الضَّرْبَةُ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِها في الجاهِلِيَّةِ ولا في الإِسْلامِ .

● وَرُوِيَ أَنَّ الرُّومَ حَمَلَتِ القَوائِمَ المَذْكُورَةَ ، وَعَلَّقُوها في كَنِيسَةٍ لهُمْ ، فكانُوا إِذا عُيِّرُوا بانْهِزامٍ يَقُولُون : لَقِينا قَوْماً هَذِهِ ضَرْبَتُهُم ؛ فَيَتَرَجَّلُ أَبْطالُ الرُّومِ ، فَيَرَوْنَها وَيَتَعَجَّبُونَ من ذلكَ .

● وَذَكَرَ أَبُو العبَّاسِ المُبَرّد[3] : أَنَّ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ،

---

(١) المستطرف ٢/ ٥١٢ .

(٢) المستطرف ٢/ ٧٤ .

(٣) الكامل ١/ ٩٠ .

قالَ يَوْماً : مَن أَجْوَدُ العَرَبِ ؟ قِيلَ لَهُ : حاتِمٌ : قالَ : فَمَنْ فارِسُها ؟ قِيلَ : عَمرو بن معدي كربٍ . قالَ : فَمَنْ شاعِرُها ؟ قِيلَ : امْرُؤُ القَيْسِ . قالَ : فَأَيُّ سُيُوفِها أَمْضَى ؟ قِيلَ صَمْصَامَةُ عَمرو بن معدي كرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

فَأَفادَ السُّهيليُّ : أَنَّ صَمْصَامَةَ عَمْرو بن معدي كربٍ ، كانَتْ حَدِيدَةً وُجِدَتْ عِندَ الكَعْبَةِ ، من دَفْنِ جُرْهُمَ أَوْ غيره[1] .

وَأَنَّ ذا الفَقارِ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كان من تِلْكَ الحَدِيدَةِ أَيضاً .

قالَ : وإِنَّما سُمِّيَ ذا الفَقَارِ ، لأَنَّهُ كان في وَسَطِهِ مِثلُ فَقَرَاتِ الظَّهْرِ ، وَكانَ قَبْلَهُ ﷺ للعاصِ بن مُنَبِّهٍ ، سَلَبَهُ منهُ يَوْمَ بَدْرٍ[2] .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ الفِيْلِ على المَشْهُورِ ؛ وَعَلَّلَهُ في « الوَسيطِ » بِأَنَّهُ ذُو نابٍ ، مُكادِحٌ ـ أَي : مُغالِبٌ مُقاتِلٌ .

وَفي وَجْهٍ شَاذٍّ حَكاهُ الرَّافعيُّ ، عن أَبي عبدِ اللهِ البُوشَنْجيّ ، وَهو من أَئِمَّةِ أَصْحابِنا : أَنَّهُ حَلالٌ .

وَقالَ الإِمامُ أَحمد : لَيْسَ الفِيلُ من أَطْعِمَةِ المُسلِمينَ .

وَقالَ الحَسَنُ : هُوَ مَمْسوخٌ . وَكَرِهَهُ أَبو حَنيفة ؛ وَرَخَّصَ في أَكْلِهِ الشَّعْبيُّ .

وَيَصِحُّ بَيْعُهُ ، لأَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ، وَيُقاتَلُ بِهِ وَعَلَيْهِ ، وَراكِبُهُ يُرْضَخُ لَهُ من الفَيْءِ أَكْثَرُ من راكِبِ البَغْلِ .

---

(١) أخبار الصَّمصامة في : ثمار القلوب ٢/ ٨٨٥ والأغاني ١٥/ ٢١١ والتذكرة الحمدونية ٢/ ٤٧٢ والغيث المسجم ٢/ ١٩٤ والعقد الفريد ١/ ١٨٠ وربيع الأبرار ٤/ ٢٠٣ وزهر الآداب ٧٨٠ وديوان المعاني ٢/ ٧٨٠ والمستطرف ٢/ ٨٤ .

(٢) وينظر في أخبار ذي الفقار : تاج العروس « فقر » ١٣/ ٣٤١ والمرصَّع ٢٧٢ وشرح النَّهج ١/ ٢٩ والمناقب والمثالب ٦٧ .

وَلا يَطْهُرُ الفِيلُ عِنْدَنا بِالذَّبْحِ ، وَلا يَطْهُرُ عَظْمُهُ بِالتَّنْقِيَةِ ، سواءٌ أُخِذَ منهُ بعدَ ذَكاتِهِ أَو بَعْدَ مَوْتِهِ .

وَلَنا وَجْهٌ شاذٌّ : أَنَّ عِظامَ المَيْتَةِ طاهِرَةٌ ، وَهُوَ قَوْلُ أَبي حَنيفة وَمَن وافَقَهُ ، لكِنَّ المَذْهَبَ نَجاسَتُها مُطْلَقاً .

وعِندَ مالكٍ : أَنَّ عَظْمَهُ يَطهرُ بِصَقْلِهِ ، كَما تَقَدَّمَ في « بابِ السِّينِ المُهملةِ » في لفظِ « السُّلَحْفاةِ » .

وَلا يَجُوزُ بَيْعُهُ ، وَلا يَحِلُّ ثَمَنُهُ ، وَبهذا قالَ طاوُوسٌ ، وَعَطاءُ بن أَبي رَباحٍ ، وَعُمر بن عبدِ العزيز ، وَمالِكٌ ، وَأَحمد .

وَقَالَ ابْنُ المُنْذر : رَخَّصَ فِيهِ عُروة بن الزُّبير ، وابْنُ سِيرين ، وَابْنُ جُريجٍ ، ثمَّ قالَ ابْنُ المُنذرِ : ومذهبُ ابن حَزْمٍ أَصَحُّ .

وَفي « الشَّامِل » : أَنَّ جِلْدَ الفِيلِ لا يُؤَثِّرُ فِيهِ الدِّباغُ لِكَثافَتِهِ .

وَفي صِحَّةِ المُسابَقَةِ على الفِيلِ وَجْهان ، وَقِيلَ : قَوْلانِ : أَصَحُّهما أَنَّها تَصِحُّ ، لِمَا رَوَى الشَّافعيُّ و« أَبُو داود » و« التِّرمذيُّ » و« النَّسائيُّ » و« ابنُ ماجه » و« ابنُ حِبَّان » وَصَحَّحَهُ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا سَبَقَ إِلاَّ في خُفٍّ ، أَو حافِرٍ ، أَوْ نَصْلٍ » . وَالسَّبَقُ ـ بفَتْحِ الباءِ ـ ما يُجْعَلُ لِلسَّابِقِ على سَبْقِهِ من جُعْلٍ ، وَجَمْعُهُ : أَسْباقٌ ؛ وَأَمَّا السَّبْقُ ـ بإِسْكانِ الباءِ ـ فَهُوَ مَصْدَرُ سَبَقْتُ الرَّجُلَ سَبْقَةً ؛ وَالرِّوايَةُ الصَّحيحةُ في هذا الحَدِيثِ : « لا سَبَقَ » بِفَتْحِ الباءِ ، وَأَرادَ به أَنَّ الجُعْلَ والعَطاءَ لا يُسْتَحَقُّ إِلاّ في سِباقِ الخَيْلِ والإِبلِ والنِّصالِ ، لأَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ عُدَّةٌ في قِتالِ العَدُوِّ ، وَفي بَذْلِ الجُعْلِ عليها تَرغيبٌ في الجِهادِ ؛ وَلَمْ يَذْكُرِ الشَّافعيُّ الفِيلَ .

وَقالَ أَبُو إِسحاق : تَجُوزُ المُسابَقَةُ عَلَيْهِ ، لأَنَّهُ يُلْقَى عليهِ العَدُوُّ كَما يُلْقى على الخَيلِ ، وَلأَنَّهُ ذُو خُفٍّ ؛ وَالصُّورَةُ النَّادِرَةُ تَدخلُ في العُمُومِ على الأَصَحِّ

عِندَ الأُصوليّين .

وَمِنَ الأَصْحابِ مَن قالَ : لا تَصِحُّ المُسابَقَةُ عليْهِ ؛ وبِهِ قالَ أَحمدُ وَأَبو حنيفة ، لأَنَّهُ لا يَحصلُ الكَرُّ والفَرُّ عليهِ ، فَلا معنى للمُسابَقَةِ عليْهِ .

فإنْ قالَ قائِلٌ : فالإِبلُ كَالفِيلِ في هذا المَعْنى ؟ فَالجَوابُ : أَنَّ العَرَبَ تُقاتِلُ على الإِبلِ أَشَدَّ القِتالِ ، وذلكَ لهم عادَةٌ غالِبَةٌ ، وَالفِيلُ لَيْسَ كذلِكَ ؛ وَمَن قالَ بالأَوَّلِ قالَ : إِنَّهُ يَسْبِقُ الخَيلَ في بِلادِ الهِنْدِ ، وَاللهُ أَعلمُ .

● **تَذْنيبٌ**[1] : في سَنَةِ تِسْعينَ وخَمسمئةٍ سارَ [مَلِكُ] بنارس أَكبرُ مُلُوكِ الهِنْدِ ، وَقَصَدَ بِلادَ الإِسْلامِ ، فَطَلَبَهُ الأَميرُ شِهابُ الدِّينِ الغُوريّ صاحِبُ غَزْنَةَ ، فالْتَقى الجَمْعانِ على نَهْر ماجُون .

قالَ ابنُ الأَثيرِ : وَكانَ مع الهِنْديِّ سَبعمئة فِيلٍ ، وَمِن العَسْكَرِ أَلْفُ أَلْفِ نَفْسٍ ، فَصَبَرَ الفَريقانِ ، وَكانَ النَّصْرُ لِشِهابِ الدِّينِ الغُوريّ ، وَكثُرَ القَتْلُ في الهُنُودِ حتَّى جافَت منهمُ الأَرضُ ، وَأَخَذَ شِهابُ الدِّينِ تِسْعِينَ فِيْلاً ، وَقتَلَ مَلِكَهُم [مَلك] بنارس ، وَكانَ قد شَدَّ أَسْنانَهُ بالذَّهَبِ ، فَمَا عُرِفَ إِلاَّ بذلكَ ، وَدَخَلَ شِهابُ الدِّينِ بِلادَ بنارس ، وَأَخَذَ من خَزائِنِهِ أَلْفاً وأَربعمئة حِمْلٍ من المَالِ ، وَعادَ إِلى غَزْنَةَ .

قالَ : وَكانَ من جُمْلَةِ الفِيَلَةِ التي أَخَذَها شِهابُ الدِّيْنِ الغُوريّ فِيلٌ أَبْيَضُ ؛ حَدَّثَني بِذلكَ من رآهُ . ا هـ .

الأَمْثالُ : قالُوا : « آكَلُ من فِيلٍ »[2] ، و« أَشَدُّ من فِيلٍ »[3] ، و« أَعْجَبُ

---

(١) عن الكامل لابن الأثير ١٢/ ١٠٥ والبداية والنِّهاية ١٦/ ٦٦٤ وتاريخ الإسلام [٥٨١ ـ ٥٩٠] ص ٩٢ .

(٢) الميداني ١/ ٨٦ وحمزة ١/ ٧٣ والعسكري ١/ ٢٠١ والزَّمخشري ١/ ٦ .

(٣) الميداني ١/ ٣٨٩ وحمزة ١/ ٢٦١ والعسكري ١/ ٥٦٥ والزمخشري ١/ ١٩٤ .

من خَلْقِ فِيلٍ »[١] .

● رُوِيَ[٢] أَنَّهُ كان في مَجْلسِ الإمامِ مالِكِ بنِ أَنَسٍ رحمَهُ اللهُ تَعالى جَماعَةٌ يَأْخذُونَ عنهُ العِلْمَ ، فقالَ قائِلٌ : قد حَضَرَ الفيلُ ، فخرَجَ أَصْحابُهُ كُلُّهم للنَّظَرِ إِلَيْهِ ، إلاَّ يَحْيى بن يَحْيى اللَّيْثيّ الأَنْدَلُسيّ ، فإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ ، فقالَ لَهُ مالِكٌ : لِمَ لَمْ تَخْرُجْ لِتَرَى هذا الخَلْقَ العَجِيبَ ، فإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ببلادِكَ ؟ فقالَ : إِنَّما جِئْتُ من بَلَدِي لأَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَتعَلَّمَ من هَدْيِكَ وَعِلْمِكَ ، وَلَمْ أَجِئْ لأَنْظُرَ إِلى الفِيلِ . فَأُعْجِبَ بِهِ مالِكٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَسَمَّاهُ : عاقِلَ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ .

ثم إِنَّ يَحْيى عادَ إِلى الأَنْدَلُسِ ، وانْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّئاسَةُ بِها ، وَبِهِ اشْتُهِرَ مذهبُ مالِكٍ في تلكَ البِلادِ ؛ وَأَشهرُ رِواياتِ « المُوَطَّأ » وأَحْسَنُها رِوايَةُ يَحْيى .

وَكانَ مُعَظَّماً عندَ الأُمراءِ ، وَكانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ ؛ تُوُفِّيَ سنةَ أَربعٍ وَثَلاثين ومئتين ؛ وَقَبْرُهُ بِمَقْبَرَةِ ابنِ عَيَّاشٍ بِظاهِرِ قُرطبةَ يُسْتَسْقى بِهِ[٣] .

● وَنَظِيرُ هذِهِ الحِكايَةِ ، ما اتَّفَقَ لأَبي عاصِمِ النَّبيلِ ، واسْمُهُ الضَّحَّاكُ بن مَخْلَد بن الضَّحَّاكِ[٤] ، فإِنَّهُ كان بالبَصْرَةِ ، فَقَدِمَها فِيلٌ ، فَذَهَبَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فقالَ لَهُ ابنُ جُرَيْجٍ : ما لَكَ لا تَخرُجُ تَنظرُ إِلى الفِيلِ ؟ فقالَ : لأَنِّي لا أَجِدُ منكَ عِوَضاً ، فقالَ لَهُ : أَنْتَ النَّبيلُ ؛ فَكانَ إِذا أَقبلَ يَقُولُ ابنُ جُرَيْجٍ : جاءَ النَّبيلُ .

قالَ البُخاريُّ : سمعتُ أَبا عاصِمٍ يقُولُ : منذُ عَقلتُ أَنَّ الغِيْبَةَ حَرامٌ ،

---

(١) لم يرد في كتب الأمثال .

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ١٤٤ ونفح الطيب ٢/ ٩ وبغية الملتمس ٥١٠ وجذوة المقتبس ٣٨٢ وترتيب المدارك ٣/ ٣٨٢ وسير أعلام النُّبلاء ١٠/ ٥٢١ .

(٣) ترجمته في مصادر الخبر .

(٤) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٨٧ وسير أعلام النُّبلاء ٩/ ٤٨٢ .

ما اغْتَبْتُ أَحَداً قطُّ .

وَقالُوا : « أَثْقَلُ من فِيلٍ »(١) . قالَ الشَّاعِرُ(٢) : [من مجزوء الرمل]

أَنْـــتَ يَـــا هٰـــذا ثَقِيـــلٌ   وَثَقِيـــــلٌ وَثَقِيـــلُ
أَنْـــتَ فـــي المَنْظَـــرِ إِنْسـا   نٌ وفـــي المِيْـــزانِ فِيْـــلُ

الخواصُّ(٣) : مَن سُقِيَ من وَسَخِ أُذُنِ الفِيلِ ، يَنامُ سبعةَ أَيَّامٍ .

وَمَرارَتُهُ يُطْلى بِها البَرَصُ ، وَيُتْرَكُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، فإِنَّهُ يَذهبُ .

وَعَظْمُهُ يُعَلَّقُ على رِقابِ الصِّبْيانِ ، يَدفعُ عنهم الفَزَعَ .

وإِذا عُلِّقَ العاجُ الذي هو عَظْمُهُ على شَجرةٍ ، لم تُثمرْ تِلكَ السَّنَة .

وإِذا بُخِّرَ الكَرْمُ والزَّرْعُ والشَّجَرُ بِعَظْمِهِ ، لَمْ يَقربْ ذلكَ المَكانَ دُودٌ ؛ وإِنْ دُخِّنَ بِهِ في بيتٍ فِيهِ بَقٌّ ، ماتَ البَقُّ .

وَمن سُقِيَ من نُشارَةِ العاجِ في كُلِّ يومٍ وزْنَ دِرهمين بِماءٍ وَعَسَلٍ ، جادَ حِفْظُهُ ؛ وإِنْ شَرِبَتْها المرأَةُ العاقِرُ سبعةَ أَيَّامٍ ، ثمَّ جُومِعَتْ بعدَ ذلكَ ، حَبِلَتْ بإِذْنِ اللهِ تَعالى .

وَجِلْدُهُ إِذا شُدَّ منهُ قطعةٌ على مَن بِهِ حُمَّى نافِضٌ ، تَزُولُ عنهُ ؛ وإِذا نامَ عليْهِ صاحِبُ التَّشَنُّجِ ، يَزُولُ عنهُ .

وإِذا أُحْرِقَ زِبْلُهُ ، وَسُحِقَ بِعَسَلٍ ، وَطُلِيَ بِهِ الأَجفانُ التي سَقَطَ شَعْرُها ، نَبَتَ .

---

(١) ثمار القلوب ٢/ ٩٤٤ .

(٢) البيتان بلا نسبة في ثمار القلوب ٢/ ٩٤٥ وربيع الأبرار ٢/ ٣٠٨ والمستطرف ٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٦٤ ومفردات ابن البيطار ٣/ ١٧٢ وتذكرة داود ١/ ٢٥٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٩ والمستطرف ٢/ ٥١٣ .

وإذا شَرِبَتِ المرأةُ بَوْلَهُ ـ وهي لا تعلمُ ـ ثمَّ جُومِعَتْ ، لَمْ تَحْبَلْ .

وَزِبْلُهُ إذا عُلِّقَ عليْها ، لَمْ تَحْبَلْ ما دامَ عَلَيْها .

وَدُخانُ جِلْدِهِ يُبْرِىءُ البَواسِيرَ .

التَّعبيرُ[1] : الفِيلُ في المَنامِ : مَلِكٌ أَعجميٌّ ، مُهابٌ ، بَلِيدُ القَلْبِ ، حامِلُ الأَثْقالِ ، عارِفٌ بالحَرْبِ والقِتالِ . فَمَنْ رَكِبَ فِيلاً ، أَوْ مَلَكَهُ ، أَوْ تَحَكَّمَ عليْهِ ، اتَّصَلَ بِسُلطانٍ وَنالَ منهُ مَنْزِلَةً سَنِيَّةً ، وعاشَ عُمْراً طَويلاً في عِزٍّ ورِفْعَةٍ .

وَقِيلَ : إنَّ الفِيلَ رَجلٌ ضَخْمٌ أَعجميٌّ ؛ فَمَنْ رَكِبَ فِيلاً ـ وكانَ ذا طَوْعٍ لَهُ ـ فإنَّهُ يَقهرَ رَجُلاً ضَخْماً أَعجميّاً شَحيحاً ؛ وَمَنْ رَكِبَ فِيلاً في نَوْمِهِ بالنَّهارِ ، فإنَّهُ يُطَلِّقُ زوجَتَهُ ، لأَنَّهُ كان في الزَّمَنِ المُتقدِّمِ في بِلادِ الفِيلَةِ : مَن طَلَّقَ زَوْجَتَهُ ، أُرْكِبَ فِيلاً ، وَطِيْفَ بِهِ ، حتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ .

ومَن رَكِبَ من المُلُوكِ فِيلاً وهو في حربٍ ، فإنَّهُ يَهلكُ ، لِقَوْلِهِ تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل : ١] إلى آخِرِ السُّورَةِ .

وَمَنْ رَكِبَ فِيلاً بِسَرْجٍ ، تَزَوَّجَ بنتَ رجلٍ ضَخْمٍ أَعجميٍّ ؛ وإنْ كان تاجِراً ، عَظُمَتْ تِجارَتُهُ .

وَمَنِ افْتَرَسَهُ فِيلٌ ، نزَلت بِهِ آفَةٌ من سُلطانٍ ؛ وإنْ كان مَرِيضاً مَاتَ .

وَمَنْ رَعَى فِيَلَةً ، فإنَّهُ يُؤاخِي مُلُوكَ العَجَمِ ؛ وَيَنْقادُونَ لَهُ .

وَمَنْ حلَبَ فِيْلَةً ، فإنَّهُ يَمْكُرُ بِرجُلٍ أَعجميٍّ ، وَيَنالُ منهُ مالاً .

وَقالَتِ اليَهُودُ : الفِيلُ في المَنامِ : مَلِكٌ كَرِيمٌ ، لَيِّنُ الجانِبِ ، ذُو مُداراةٍ ، صَبُورٌ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٤ وتفسير الواعظ ٢٨٣ .

وَمَنْ ضَرَبَهُ فِيلٌ بِخُرْطُومِهِ ، نَالَ خَيْراً ؛ وَمَنْ رَكِبَهُ نَالَ وزارَةً وَوِلايَةً ؛ وَمَنْ أَخَذَ شَيْئاً من رَوْثِهِ ، اسْتَغْنى .

وَيَدُلُّ أَيضاً على قَومٍ صالِحين ؛ وَقِيلَ : من يرَ الفيل يرَ أَمْراً شَدِيداً ثمَّ يَنْجُو منهُ .

وَقالَتِ النَّصارَى : من رَأى فيْلاً ، وَلَمْ يَرْكَبْهُ ، أَصابَهُ نُقْصانٌ في بَدَنِهِ ، أَوْ خُسرانٌ في مالِهِ .

وَمَنْ رَأى فِيلاً مَقْتُولاً في بَلْدَةٍ ، مَاتَ مَلِكُها ، أَو يُقْتَلُ رَجلٌ مَذكورٌ .

وَمَنْ قَتَلَ فِيلاً ، قَهَرَ رَجُلاً أَعْجَمِيّاً ؛ وَمَنْ أَلقاهُ الفِيلُ تَحْتَهُ وَلَمْ يُفارِقْهُ ، فإِنَّهُ يَمُوتُ .

وإِذا رُؤِيَ الفِيلُ في غيرِ بِلادِ النّوبَةِ ، فإِنَّهُ يَدُلُّ على فِتْنَةٍ ، وذلكَ لِقُبْحِ لَوْنِهِ وَسَماجَتِهِ ؛ وإِنْ رُؤِيَ في البِلادِ التي يُوجَدُ فِيها ، فهوَ رَجلٌ من أَشْرافِ النَّاسِ .

وَالمرأَةُ إِذا رأَتِ الفِيلَ ، فَلا يُحْمَدُ لَها ذلكَ على أَيِّ صِفَةٍ رَأَتْهُ .

وَتُعَبَّرُ الفِيَلَةُ بِالسِّنينِ كالبَقَرِ(١) .

وَخُرُوجُ الفِيلِ من بَلَدٍ فِيهِ طَاعُونٌ ، دَلِيلُ خَيْرٍ لَهُم ، وَزَوالُ الطَّاعُونِ عنهم .

وإِذا رُكِبَ الفِيلُ في بلَدٍ فِيهِ بُحيرةٌ ، فهوَ رُكُوبُ سَفينَةٍ ، واللهُ أَعلمُ .

فَصلٌ في فَضْلِ العَقْلِ وَزَيْنِهِ ، وَقُبْحِ الجَهْلِ وَشَيْنِهِ

● قالَ بعضُ الحُكَماءِ : العقلُ ما عُقِلَ بِهِ عن السَّيِّئاتِ ، وَحَضَّ القَلْبَ على الحَسَناتِ ؛ وَالعقلُ مَعْقِلٌ عن الدَّنِيّاتِ ، وَنَجاةٌ من المُهلكاتِ ، وَالنَّظَرُ

---

(١) بمعنى أَنَّها إِذا كانت سمينةً ، كانت السَّنة خصبةً كثيرة الخير ، وإِن كانت نحيفةً فبعكس ذلك .

في العَواقِبِ قبلَ حُلولِ المَصائِبِ ، وَالوُقُوفُ عندَ مَقادِيرِ الأَشْياءِ قَوْلاً وَفِعْلاً ، لِقَوْلِه ﷺ : « اعْقِلْها وَتَوَكَّلْ » .

وَقَدْ أَجْمَعَ الحُكماءُ والعُلَماءُ والفُقَهاءُ ، أَنَّ جَميعَ الأُمُورِ كلَّها قليلَها وجليلَها مُحتاجَةٌ إِلى العَقْلِ ، وَالعَقْلُ مُحتاجٌ إِلى التَّجربَةِ .

وَقالُوا : العَقْلُ سُلْطانٌ وَلَهُ جُنُودٌ ؛ فَرَأْسُ جُنودِهِ التَّجربَةُ ، ثمَّ التَّمْييزُ ، ثمَّ الفِكْرُ ، ثمَّ الفَهْمُ ، ثمَّ الحِفْظُ ، ثمَّ سُرُورُ الرُّوحِ ، لأَنَّ بِهِ ثَباتَ الجِسْمِ ؛ وَالرُّوحُ سِراجٌ نُورُهُ العَقْلُ ؛ وَفِي الحَدِيثِ : « مَا قَسَمَ اللهُ لِعِبادِهِ خَيْراً من العَقْلِ » .

● ورُويَ[1] أَنَّ جِبريلَ عليْهِ السَّلامُ أَتَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فقالَ : إِنِّي أَتَيْتُكَ بثَلاثٍ ، فاخْتَرْ واحِدَةً مِنها . فقالَ : وَما هِيَ ؟ فقالَ : الحَياءُ والعقلُ والدِّينُ ؛ فقالَ آدَمُ عليْهِ السَّلامُ : قد اخْتَرْتُ العَقْلَ ؛ فَخَرَجَ جِبْرِيلُ عليْهِ السَّلامُ إِلى الحَياءِ والدِّينِ ، فقالَ : ارْجِعا ، فَقَدِ اخْتارَ العَقْلَ عليكُما ؛ فقالا : إِنَّا أُمِرْنا أَنْ نَكُونَ مع العقلِ حيثُ كانَ .

● وَقالَ بعضُهم : مَن اسْتَرْشَدَ إِلى طَرِيقِ الحَزْمِ بِغَيْرِ دَلِيلِ العَقْلِ ، فَقَدْ أَخْطَأَ مِنْهاجَ الصَّوابِ .

وَالعَقْلُ مِصْباحٌ يُكْشَفُ بِهِ عن الجَهالَةِ ، وَيُبْصَرُ بِهِ الفَضْلُ من الضَّلالَةِ ؛ وَلَوْ صُوِّرَ العقلُ لأَظْلَمَتْ معهُ الشَّمْسُ ، وَلَوْ صُوِّرَ الجَهْلُ لأَضاءَ معهُ اللَّيْلُ .

وَمَا[2] شَيْءٌ أَحسَنَ من عَقْلٍ زانَهُ أَدَبٌ ، وَمِنْ عِلْمٍ زانَهُ وَرَعٌ ، وَمِنْ حِلْمٍ زَانَهُ رِفْقٌ ، وَمن رِفْقٍ زانَهُ تَقْوىٰ .

---

(١) المناقب والمثالب ٢٦ وعيون الأخبار ١/٢٨١ وروضة العقلاء ٨ وبهجة المجالس ١/٥٤٢ .

(٢) الفوائد والأخبار ٢١ وربيع الأبرار ٤/٥٨ والمستطرف ٢/٣١٣ .

● وَرُوِيَ أَنَّ جِبريلَ عليْهِ السَّلامُ ، أَتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ : يَا محمَّد ، أَتَيْتُكَ بمكارِمِ الأَخْلاقِ كُلِّها في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، فقالَ : « وَما هِيَ ؟ » فقالَ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] وَهُوَ ـ يَا محمَّد ـ عَفْوُكَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وإِعْطاءُ من حَرَمَكَ ، وَصِلَةٌ من قَطَعَكَ ، وإِحْسانُكَ إلى من أَساءَ إِلَيْكَ ، وَاسْتِغْفارُكَ لمن اغْتابَكَ ، وَنُصْحُكَ لمن غَشَّكَ ، وَحِلْمُكَ عَمَّنْ أَغْضَبَكَ » .

فَهَذِهِ الخِصالُ قد تَضَمَّنَتْ مَكارِمَ الأَخْلاقِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

● وَأَنْشَدَ بعضُهم في مَعنى ذلكَ فقالَ : [من المتقارب]

خُـذِ العَفْـوَ وَأْمُـرْ بعُـرْفٍ كَمَـا ... أُمِـرْتَ وَأَعْـرِضْ عـن الجـاهِلِيْـنْ
وَلِـنْ فـي الكَـلامِ لِكُـلِّ الأَنـامِ ... فَمُسْتَحْسَـنٌ مـن ذَوِي الجـاهِلِيْـنْ

● وَمِنْ طُرُقِ العَمَلِ الحَمِيدَةِ : القَناعَةُ كَنْزٌ لا يَفْنَى ، وَالصَّدَقَةُ ، وَهِيَ عِزٌّ باقٍ ؛ وَتَمامُ عِزِّ الرَّجُلِ ، اسْتِغْناؤُهُ عن النَّاسِ .

وَمن طُرُقِهِ أَيْضاً الحياءُ ؛ وَقَدْ قِيلَ[١] : [من الطويل]

إذا قَـلَّ مَـاءُ الـوَجْـهِ قَـلَّ حيـاؤُهُ ... وَلا خَيْـرَ فـي وَجْـهٍ إذا قَـلَّ مَـاؤُهُ

وَمِنْ طُرُقِهِ أَيْضاً حُسْنُ الخُلُقِ ؛ رُوي عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « أَكْمَلُ المُؤمنينَ إِيْماناً ، أَحْسَنُهُم خُلُقاً » .

● وَرُوِيَ[٢] أَنَّ يَحْيَى بن زَكَرِيَّا عَلَيْهما السَّلامُ لَقِيَ عِيسى بن مَريم عَليهما السَّلامُ ، فَتَبَسَّمَ عِيسى في وَجْهِهِ ، فقالَ يَحْيى : ما لِي أَراكَ لاهِياً كَأَنَّكَ آمِنٌ ؟ فقالَ عِيسى : ما لِي أَراكَ عابِساً كَأَنَّكَ آيِسٌ ؟ فقالا : لا نَبْرَحُ حتَّى يَنْزِلَ عَلينا

---

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس ، في ديوانه ١١٩ .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ١٣٤ .

وَحْيٌ ؛ فَأَوْحَى اللهُ تعالى إليْهما : أَحَبُّكُما إليَّ أَحْسَنُكُما خُلُقاً .

● تَتِمَّةٌ : ذَكَرَ الغزاليُّ وابنُ بَلْبانَ وغيرُهما[1] : أَنَّ أَبا جعفر المنصُورَ ، حَجَّ وَنَزَلَ في دارِ النَّدْوَةِ ، وَكانَ يَخْرُجُ سَحَراً فَيَطُوفُ بالبَيْتِ ؛ فَخَرَجَ ذاتَ لَيْلَةٍ سَحَراً ، فبينَما هُوَ يَطُوفُ إِذْ سَمِعَ قائِلاً يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ البَغْيِ وَالفَسادِ في الأَرْضِ ، وَما يَحُولُ بَيْنَ الحَقِّ وأَهْلِهِ من الطَّمَعِ ؛ فَهَرْوَلَ المَنْصورُ في مِشْيَتِهِ حتَّى مَلأَ مَسامِعَهُ ، ثمَّ رجعَ لِدارِ النَّدوَةِ ، وَقالَ لِصاحِبِ الشُّرطَةِ : إِنَّ بالبيتِ رِجلاً يَطوفُ ، فائْتِني بِهِ ؛ فَخَرَجَ صاحِبُ الشُّرطَةِ فوجدَ رَجُلاً عندَ الرُّكْنِ اليمانيِّ ، فقالَ : أَجِبْ أَميرَ المُؤمنين ؛ فَلَمَّا دَخلَ عليه قالَ : ما الذي سَمِعْتُكَ آنِفاً تَشْكُو إلى اللهِ من ظُهُورِ البَغْيِ والفَسادِ في الأَرْضِ ، وَما يَحُولُ بينَ الحَقِّ وأَهْلِهِ من الطَّمَعِ ؟ فَوَاللهِ لَقدْ حَشَوْتَ مَسامِعي ما أَمْرَضَني ؛ فقالَ لَهُ : يَا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّ الذي دَخَلَهُ الطَّمَعُ حتَّى حالَ بينَ الحقِّ وأَهْلِهِ ، وَامْتَلأَتْ بِلادُ اللهِ بذلكَ بَغْياً وَفَساداً ، أَنْتَ ؛ فقالَ المَنصُورُ : ما هذا ؟ أَو قالَ : وَيْحَكَ ، كَيفَ يدخُلني الطَّمَعُ ، والصَّفْراءُ والبَيْضاءُ بِبابي ، وَمُلْكُ الأَرْضِ في قَبْضَتِي ؟ فقالَ الرَّجلُ : سُبْحانَ اللهِ يا أَميرَ المؤمنين ! وَهل دَخلَ أَحداً من مَطْمَعٍ ما دَخَلَكَ ؟ اسْتَرْعاكَ اللهُ أُمُورَ المُؤمنينَ وَأَمْوالَهم ، فَأَهْمَلْتَ أُمُورَهم ؛ واهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أَمْوالِهم ، واتَّخَذْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ حِجاباً من الجِصِّ والآجُرِّ ، وَحَجَبَةً معهم السِّلاحُ ، وَأَمَرْتَ أَنْ لا يَدخُلَ عليْكَ إِلاَّ فُلانٌ وفُلانٌ ، نَفَراً اسْتَخْلَصْتَهُم لِنَفْسِكَ ، وَآثَرْتَهُم على رَعِيَّتِكَ ، وَلَمْ تَأْمُرْ بإِيْصالِ المَظْلُومِ ولا الجائِعِ ولا العاري ، وَلا أَحَدُ إِلاَّ وَلَهُ في هذا المَالِ حَقٌّ ، فَلَمَّا رَآكَ هؤُلاءِ الذِينَ اسْتَخْلَصْتَهم لِنَفْسِكَ وآثَرْتَهُم على رَعِيَّتِكَ ، تَجمعُ الأَمْوالَ ولا تَقْسِمها ، قالُوا : هذا قد خانَ اللهَ وَرَسُولَه ، فَما لَنا لا نَخُونُهُ ؛ فَأَجْمَعُوا على

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩ .

أَنْ لا يَصِلَ إِلَيْكَ من أُمُورِ النَّاسِ إلاّ ما أَرادُوا ، فَصارَ هَؤُلاءِ شُركاءَكَ في سُلْطانِكَ ، وَأَنْتَ غافِلٌ عنهُم ، فإذا جاءَ المَظْلُومُ إلى بابِكَ ، وَجَدَكَ قد أَوْقَفْتَ ببابِكَ رَجُلاً يَنظرُ في مَظالِمِ النَّاسِ ، فإِنْ كان الظَّالِمُ من بطانَتِكَ عَلَّلَ صاحِبُ المَظالِمِ بالمَظْلُومِ ، وَسَوَّفَ بِهِ من وَقْتٍ إلى وَقْتٍ ، فإذا جَهِدَ وَظَهَرْتَ أَنْتَ ، صَرَخَ بَيْنَ يَدَيكَ ، فَيُضْرَبُ ضَرْباً شَديداً لِيَكُونَ نَكالاً لِغَيْرِهِ ، وَأَنْتَ تَرى ذلكَ ولا تُنكِرُ ؛ وَلَقَدْ كانَت الخُلَفاءُ قَبْلَكَ من بَنِي أُمَيَّةَ إذا انْتَهَتْ إِلَيْهِم الظُّلامَةُ ، أُزِيلَتْ فِي الحالِ .

وَلَقد كُنْتُ أُسافِرُ الصِّيْنَ يا أَميرَ المُؤمنينَ ، فَقَدِمْتُهُ مَرَّةً ، فَوَجَدْتُ المَلِكَ الذِي بِهِ قد فَقَدَ سَمْعَهُ ، فَبَكَى ؛ فقالَ لهُ وُزراؤُهُ : ما يُبْكِيكَ أَيُّها المَلِكُ ، لا أَبْكَى اللهُ لَكَ عَيْناً ؟ فقال : واللهِ ما بَكيتُ لِمُصيبَةٍ نَزَلَتْ بي ، وإِنَّما أَبْكِي لِمَظْلُومٍ يَصرُخُ بالبابِ فَلا أَسمعُ صَوْتَهُ ؛ ثمَّ قالَ : إنْ كان سَمْعي قد ذَهَبَ ، فإِنَّ بَصَرِي لَمْ يَذْهَبْ ؛ نادُوا في النَّاسِ أَنْ لا يَلبسَ أَحَدٌ ثَوْباً أَحْمَرَ إلاَّ مَظْلُوماً .

وَكانَ يَركبُ الفِيلَ طَرَفَي النَّهارِ ، وَيَدُورُ في البَلَدِ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ أَحَداً لابِساً ثَوْباً أَحْمَرَ ، فَيعلمَ أَنَّهُ مَظْلُومٌ فَيُنْصِفَهُ ؛ هذا ـ يا أَميرَ المُؤمنين ـ رَجُلٌ مُشْرِكٌ ، غَلَبَتْ رَأْفَتُهُ على شُحِّ نَفْسِهِ بالمُشْرِكِينَ ، فَكَيْفَ لا تَغْلِبُ رَأْفَتُكَ على شُحِّ نَفْسِكَ بِالمُؤمنين ، وَأَنتَ مُؤمنٌ باللهِ ، وابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟

يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّما تَجْمَعُ المالَ لإِحْدَى ثَلاثٍ : إنْ قُلتَ : إِنَّما أَجمعُ المالَ لِلولَدِ ، فقد أَراكَ اللهُ عِبْرَةً فِيمَنْ تَقَدَّمَ مِمَّنْ جَمَعَ المالَ لِلوَلَدِ ، فَلم يُغْنِ ذلكَ عنهُ ، بل رُبَّما ماتَ فَقيراً ذَليلاً حَقِيراً ؛ إذ قد يَسقطُ الطِّفْلُ من بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْسَ لَهُ مالٌ ، وَلا عَلى وَجْهِ الأَرْضِ من مالٍ إلاَّ وَدُونَهُ يَدٌ شَحِيحَةٌ تَحْوِيهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَلطفُ اللهُ تعالى بذلكَ الطِّفلِ حتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ فِيهِ ، وَيَحْوِي ما حَوَتْهُ تِلكَ اليَدُ الشَّحيحةُ ؛ ولَسْتَ بالذِي تُعطي ، وإِنَّما اللهُ المُعْطي .

وإِنْ قُلْتَ : إِنَّما أَجْمَعُهُ لِمُصِيبَةٍ تَنزلُ بِي ؛ فقد أَراكَ اللهُ سُبْحانَه وتَعالى

عِبْرَةٌ في المُلُوكِ والقُرُونِ الذِينَ خَلَوْا من قَبْلِكَ ، ما أَغْنَى عنهم ما أَعَدُّوا من الأَمْوالِ والرِّجالِ والكُراعِ حِينَ أَرادَ اللهُ بهم ما أَرادَ .

وإِنْ قُلْتَ : إِنَّما أَجْمَعُهُ لِغايَةٍ هِيَ أَجْسَمُ من الغايَةِ التي أَنْتَ فِيها ؛ فَوَاللهِ ما فَوْقَ مَنْزِلَتِكَ إِلاَّ مَنزِلَةٌ لا تُدْرَكُ إِلاَّ بالعَمَلِ الصَّالِحِ .

فَبَكَى المَنْصُورُ بُكاءً شَديداً ، ثمَّ قالَ : كَيْفَ أَعملُ ، وَالعُلَماءُ قد فَرَّتْ مِنِّي ، وَالعُبَّادُ لَمْ تَقْرَبْ مِنِّي ، وَالصَّالِحُونَ لَمْ يَدْخلوا عَليَّ ؟ فقالَ : يَا أَميرَ المؤمنين ، افْتَحِ البابَ ، وَسَهِّلِ الحِجابَ ، وانْتَصِرْ للمَظْلُومِ ، وَخُذْ من المَالِ ما حَلَّ وَطَابَ ، واقْسِمْهُ بالحَقِّ والعَدْلِ ؛ وَأَنا ضامِنٌ مَن هَرَبَ منكَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْكَ . فقالَ المَنْصُورُ : نَفعلُ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى .

وَجاءَهُ المُؤَذِّنُونَ ، فآذَنُوهُ بالصَّلاةِ ، فقامَ وَصَلَّى ؛ فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ ، طَلَبَ الرَّجُلَ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فقالَ لِصاحِبِ الشُّرطَةِ : عَلَيَّ بالرَّجُلِ السَّاعَةَ ؛ فَخرجَ يَتَطَلَّبُهُ ، فَوَجَدَهُ عِندَ الرُّكْنِ اليَمانيِّ ؛ فقالَ لَهُ : أَجِبْ أَميرَ المُؤمنين ؛ فقالَ لَهُ : لَيْسَ إِلى ذلكَ سَبيلٌ ؛ فقالَ : إِذَنْ يَضربُ عُنُقي ؛ فقالَ : لا ولا إِلى ضَرْبِ عُنُقِكَ من سَبيلٍ ؛ ثمَّ أَخْرَجَ من مِزْوَدٍ كان مَعَهُ رَقّاً مَكْتُوباً ، فقالَ : خُذْهُ ، فإِنَّ فِيهِ دُعاءَ الفَرَجِ ، مَن دَعا بِهِ صَباحاً وَماتَ من يَوْمِهِ ماتَ شَهيداً ، وَمَنْ دَعا بِهِ مَساءً وَماتَ من لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهيداً ؛ وَذَكَرَ لَهُ فَضْلاً عظيماً وَثَواباً جَزِيلاً .

فَأَخَذَهُ صاحِبُ الشُّرطَةِ وَأَتَى المَنْصُورَ ، فَلَمَّا رآهُ قالَ لَهُ : وَيْلَكَ ، أَوَتُحْسِنُ السِّحْرَ ؟ قالَ : لا واللهِ يا أَميرَ المؤمنين ؛ ثمَّ قَصَّ عليْهِ القِصَّةَ ، فَأَمَرَ المَنْصُورُ بنَقْلِهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بأَلْفِ دِينارٍ ؛ وَهو هَذا :

اللَّهُمَّ كَما لَطفْتَ في عَظَمَتِكَ وَقُدْرَتِكَ دُونَ اللُّطَفاءِ ، وَعَلَوْتَ بعَظَمَتِكَ على العُظَماءِ ، وَعَلِمْتَ ما تَحْتَ أَرْضِكَ كَعِلْمِكَ ما فَوْقَ عَرْشِكَ ، فَكانَتْ

وَساوِسُ الصُّدُورِ كَالعَلانِيَةِ عِنْدَكَ ، وَعَلانِيَةُ القَوْلِ كَالسِّرِّ في عِلْمِكَ ، فانْقادَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِكَ ، وَخَضَعَ كُلُّ ذِي سُلْطانٍ لِسُلْطانِكَ ، وَصارَ أَمْرُ الدُّنْيا والآخِرَةِ كُلُّهُ بِيَدِكَ ؛ اجْعَلْ لِي من كُلِّ غَمٍّ وهَمٍّ ، أَصْبَحْتُ أَوْ أَمْسَيْتُ فِيهِ ، فَرَجاً وَمَخْرَجاً .

اللَّهُمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عن ذُنُوبِي ، وَتَجاوُزَكَ عن خَطِيئَتِي ، وَسَتْرَكَ على قَبِيحِ عَمَلِي ، أَطْمَعَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ ما لا أَسْتَوْجِبُهُ منكَ مِمَّا قَصَّرْتُ فِيهِ ، فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِناً ، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِساً ؛ فإِنَّكَ المُحسنُ إِليَّ ، وَأَنا المُسيءُ إِلى نَفْسِي فِيما بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؛ تَتَوَدَّدُ إِليَّ بِالنِّعَمِ ، وَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ بِالمَعاصِي ؛ فَلَمْ أَجِدْ كَرِيماً أَعْطَفَ منكَ على عَبْدٍ لَئِيمٍ مِثْلِي ؛ ولكِنَّ الثِّقَةَ بكَ حَمَلَتْني على الجَراءَةِ عليكَ ؛ فَجُدِ اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ وإِحْسانِكَ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ .

وَرُوِيَ أَنَّ الرَّجُلَ المذْكُورَ كان الخَضِرَ عليْهِ السَّلامُ .

٧٨٧ **الفَيْنَةُ**(١) : طائِرٌ يُشْبِهُ العُقابَ ، إِذا خافَ البَرْدَ انْحَدَرَ إِلى اليَمَنِ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

وَالفَيْناتُ(٢) : السَّاعاتُ ، يُقالُ : لَقِيْتُهُ الفَيْنَةَ بعدَ الفَيْنَةِ . أَي الحِيْنَ بعدَ الحِيْنِ ؛ وإِنْ شِئْتَ حَذَفْتَ الأَلِفَ واللاَّمَ ، فَقُلْتَ : لَقِيْتُهُ فَيْنَةً .

فَكَأَنَّ هذا الطَّائِرَ لَمّا كانَ في حِيْنٍ يَنْحَدِرُ إِلى اليَمَنِ ، وَفِي حِيْنٍ آخَرَ يَنْحَدِرُ عَنْها ، سُمِّيَ باسْمِ الزَّمانِ .

٧٨٨ **أَبو فِراسٍ** : كُنْيَةُ الأَسَدِ ؛ يُقالُ : فَرَسَ الأَسَدُ فَرِيْسَتَهُ ، يَفْرِسُها

---

(١) كذا ذكر المؤلِّف اسم هذا الطَّائر ، ثمَّ عَلَّل سبب التسمية بما لا طائل تحته ، وكلُّ ذلك وهمٌ منه رحمه الله . وصوابه كما في المخصص ١٤٨/٨ : الفَيْئَةُ : طائرٌ يشبه العُقاب ، فإذا خاف البرد انحدرَ إلى اليمن . هو من الفَيء ، وهو الرُّجوع ؛ وكأَنَّها مُخَفَّفَةٌ عن فَيْعِلَة .

(٢) عن الصِّحاح « فين » ٢١٧٩/٦ .

فَرْساً ، وَافْتَرَسَها : أَي دَقَّ عُنُقَها .

وَأَصْلُ الفَرْسِ هذا ، ثمَّ كَثُرَ حتَّى قِيلَ لِكُلِّ قَتْلٍ : فَرْسٌ .

● وَبِهِ سُمِّيَ أَبو فِراس ابن حَمْدان ، أَخُو[1] سَيْفِ الدَّوْلة ابن حَمْدان ، وَكانَ مَلِكاً جَلِيلاً ، وَشاعِراً مُجيداً ، حتَّى قِيلَ : بُدِىءَ الشِّعْرُ بِمَلِكٍ ، وَخُتِمَ بِمَلِكٍ ؛ بُدِىءَ بامْرِىءِ القَيْسِ ، وَاسْمُهُ حُنْدُجٌ ، وَخُتِمَ بِأَبي فِراسٍ .

وَنَظِيرُ ذلكَ قَولُهم : بُدِئَتِ الرَّسائِلُ بِعبدِ الحَمِيدِ ، وخُتِمَتْ بابنِ العَمِيدِ .

واللهُ تعالى أَعلمُ .

* * *

(١) كذا قال رحمه الله ، وهو سبق قلمٍ منه ؛ صوابه : ابن عمِّ سيف الدَّولة .

بابُ القافِ

٧٨٩ **القادِحَةُ** : الدُّودَةُ ؛ يُقالُ : قَدَحَ الدُّودُ في الأَسْنانِ والشَّجَرِ قَدْحاً . قَالَهُ الجَوهريُّ[١] .

٧٩٠ **القارَةُ** : الدُّبَّةُ[٢] .

٧٩١ **القارِيَةُ** : كَسارِيَةٍ ؛ هذا[٣] الطَّائِرُ القَصِيرُ الرِّجْلَيْنِ ، الطَّويلُ المِنْقارِ ، الأَخضَرُ الظَّهْرِ ، تُحِبُّهُ العَرَبُ ، وَتَتَيَمَّنُ بِهِ ، وَيُشَبِّهُونَ بِهِ الرَّجُلَ السَّخِيَّ ؛ وَهيَ مُخَفَّفَةٌ . قالَ الشَّاعِرُ[٤] : [من الوافر]

أَمِنْ تَرْجِيْعِ قارِيَةٍ تَرَكْتُم سَباياكُمْ وَأُبْتُمْ بِالعَناقِ

قالَ ابْنُ الأَعرابيِّ[٥] : مَعنى البَيْتِ : أَفَزِعْتُمْ لَمَّا سَمِعْتُمْ تَرْجِيعَ هذا الطَّائِرِ ؛ وَتَرَكْتُمْ سَباياكُم ، وَرَجَعْتُم بِالخَيْبَةِ ، فَالعَناقُ هُنا : الخَيْبَةُ . والجَمْعُ : القَوارِي .

قَالَ يَعقُوبُ : والعامَّةُ تَقُولُ : قارِيَّةٌ . بِالتَّشْدِيدِ[٦] . كذا قالَهُ الجَوهريُّ[٧] .

---

(١) الصِّحاح « قدح » ١/ ٣٩٤ .

(٢) الصِّحاح واللِّسان « قور » .

(٣) الصِّحاح « قرا » ٦/ ١٤٦١ .

(٤) البيت بلا نسبة في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « عنق » و« قرا » ومعجم المقاييس ٤/ ١٦٤ والأَساس « قرو » ٣٦٤ والاقتضاب ٢/ ١٠٣ وإصلاح المنطق ١٨١ .
وروايته في أ : أمن تسجيع . . . × .

(٥) الصِّحاح « عنق » ٤/ ١٥٣٤ وإصلاح المنطق ١٨١ .

(٦) إصلاح المنطق ١٨١ . وقال في القاموس « قري » : وبالتَّشديد : طائرٌ إذا رأوه استبشروا بالمطر ، كأَنَّه رسول الغيث ، أَو مقدّمة السَّحاب .

(٧) الصحاح « قرا » ٦/ ١٤٦١ .

● وَقالَ البَطَلْيَوْسِيُّ في « الشَّرْحِ »[1] : العَرَبُ تَتَيَمَّنُ بِالقَوارِي ، وَتَتَشاءَمُ بِها ؛ فَأَمَّا تَيَمُّنُهُم بِها ، فإنَّها تُبَشِّرُ بِالمَطَرِ إذا جاءَت ، وَالسَّماءُ خالِيَةٌ من السَّحابِ[2] ؛ قالَ النَّابغَةُ الجَعْدِيُّ[3] : [من الطويل]

وَلا زَالَ يَسْقِيْهـا وَيَسْقِـي بِـلادَهـا ... مِـنَ المُـزْنِ رَجَّـافٌ يَسُـوقُ القَـوارِيـا

وأَمّا تَشاؤُمُهُم بها : فإِنَّ أَحَدَهُم إذا لَقِيَ مِنْها واحدة من غير غَيْمٍ ولا مَطَرٍ ، خاف وَرَجَعَ .

● وَقالَ ابْنُ سِيْدَه[4] : القارِيَةُ : طَيْرٌ أَخْضَرُ يُحِبُّها الأَعْرابُ ، وَيُشَبِّهُونَ الرَّجُلَ السَّخِيَّ بِها ؛ وذلكَ لأَنَّها تُنْذِرُ بالمَطَرِ .

● قالَ بَعْضُهم[5] : وَمن ذلكَ قَوْلُ النَّبيِّ ﷺ : « النَّاسُ قَواري اللهِ في الأَرْضِ » . أَي شُهُودُهُ ؛ لأَنَّ بَعْضَهم يَتْبَعُ أَحْوالَ بَعْضٍ ، فإِذا شَهِدُوا لإِنْسانٍ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فقَدْ وَجَبَ ؛ وَالقَوارِي : واحِدُها قارٍ ، وهُو جَمْعٌ شاذٌّ .

قُلْتُ : وَيَدُلُّ لِصِحَّةِ هذا المَعْنى قولُه عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « أَنْتُمْ شُهداءُ اللهِ في الأَرْضِ » .

وَحُكْمُها : الحِلُّ ؛ لأَنَّ العَرَبَ كانَتْ تَأْكُلُها . قالَهُ الصَّيْمريُّ وغيرُهُ .

وَقالُوا في « كِتابِ الحَجِّ » : الحَمامُ يُفْدَى بِشاةٍ ؛ وَما دُونَهُ من القَوارِي

---

(١) الاقتضاب ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٢) في الاقتضاب : وفي السَّماء مخيلةُ غيثٍ .

(٣) ديوانه ١٨٤ .

(٤) المخصص ٨/ ١٦٣ .

(٥) هو ابن الأثير في النِّهاية ٤/ ٥٦ . وينظر أساس البلاغة « قرو » ٣٦٤ .

وغيرِها يُفْدَى بالقِيْمَةِ ؛ وهذا دَليلٌ على حِلِّ أَكْلِها ، وَتَصْرِيحٌ بِأَنَّ القارِيَةَ لَيْسَتْ من الحَمامِ ؛ وَكَلامُ أَهْلِ اللُّغَةِ لا يُساعِدُهُ .

فقَدْ قالَ ابْنُ السِّكِّيتِ في « إِصلاحِ المَنْطِقِ »[1] : القَوارِي : طُيُورٌ خُضْرٌ ، لَها تَرجيعٌ . وَقد تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ هَدِيرِ الحَمامِ بالتَّرْجِيعِ في صَوْتِهِ ، وَتَقَدَّمَ أَنَّ غَيْرَ الحَمامِ يُشارِكُهُ في العَبِّ ؛ وإذا كان الحَمامُ يُشارِكُها في العَبِّ ، أُلْغِيَ اعْتِبارُهُ ، وَوَجَبَ اعْتِبارُ الهَدِيرِ وهو التَّرْجِيعُ ، فَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ القارِيَةُ من الحَمامِ تُفْدَى بِشاةٍ دُونَ القِيْمَةِ كَسَائِرِ الحَمامِ ؛ ولِلنَّظَرِ في هذا التَّعارُضِ مَجالٌ .

٧٩٢ القاقُ[2] : طائِرٌ مائِيٌّ طَوِيلُ العُنُقِ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، كَما تَقَدَّمَ .

٧٩٣ القاقُمُ[3] : دُوَيْبَّةٌ تُشْبِهُ السِّنْجابَ ، إِلاَّ أَنَّهُ أَبْرَدُ منهُ مِزاجاً وَأَرْطَبُ ، وَلِهذا هو أَبْيَضُ يَقَقٌ ؛ وَيُشْبِهُ جِلْدُهُ جِلْدَ الفَنَكِ ، وَهُوَ أَعَزُّ قِيْمَةً من السِّنْجابِ .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ ، لأَنَّهُ من الطَّيِّباتِ .

٧٩٤ القانِبُ : الذِّئْبُ العَوَّاءُ ؛ وَالمَقانِبُ : الذِّئابُ الضَّارِيَةُ[4] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « الذِّئْبِ » في « بابِ الذَّالِ المُعجمَةِ » .

٧٩٥ القاوندُ[5] : طائِرٌ يَتَّخِذُ وَكْرَهُ على ساحِلِ البَحْرِ ، وَيَحضُنُ بَيْضَهُ

---

(١) لم يرد هَذَا القول في إصلاح المنطق ، ولكن التَّرجيع مذكور في البيت .
(٢) هو القاق والقوق أيضاً . (اللِّسان والقاموس « قوق ») .
(٣) المستطرف ٢/٥١٣ .
(٤) القاموس « قنب » .
(٥) المستطرف ٢/٥١٣ . **قلت** : وهذه الصِّفات لطائرٍ يُقال له : فنون ، كما في عجائب المخلوقات ٨٥ .

سَبعةَ أَيَّامٍ في الرَّملِ ، وَتَخرجُ أَفْراخُهُ في اليَوم السَّابِعِ ، ثمَّ يَزُقُّها سبعة أَيَّامٍ أَيضاً . وَالمُسافِرُونَ في البَحرِ يَتَيَمَّنُونَ بِهذِهِ الأَيَّامِ ، وَيُوقِنُونَ بِطِيْبِ الوَقْتِ وَحُلُولِ أَوانِ السَّفَرِ .

وَقيلَ : إنَّ اللهَ تعالى إِنَّما يُمْسِكُ البَحرَ عن هَيَجانهِ في زَمَنِ الشِّتاءِ ، عن بَيْضِ هذا الطَّائِرِ وفِراخِهِ ، لِبِرِّهِ بأَبَوَيْهِ عِندَ كِبَرِهِما ؛ وذلكَ أَنَّهُما إذا كَبُرا حَمَلَ إِلَيْهِما قُوتَهُما ، وَعالَهُما حَياتَهُما إلى أَنْ يَمُوتا .

وهذا الطَّائِرُ المُتَّخَذُ منهُ شَحْمُ القاوَنْدِ المعرُوفُ ، وَهوَ يُقِيمُ المُقْعَدَ ، وَيُحَلِّلُ البَلاغِمَ المُزْمِنَةَ .

● وَفي « المفردات »[1] : دُهنُ القاوَنْدِ مَعرُوفٌ كالسَّمْنِ ، يُؤْتَى بِهِ من بلادِ اليَمَنِ ، وَمِن الحَبَشَةِ والهِنْدِ ؛ وَيُقالُ : إِنَّهُ يُسْتَخْرَجُ من ثَمَرِ شَجَرَةٍ كَالجَوزِ ، وَيُطْحَنُ في المَعاصِرِ ، وَيُسْتَخْرَجُ ؛ يَنْفعُ الأَمراضَ البارِدَةَ ، وَأَوْجاعَ الأَعْصابِ .

٧٩٦ **القَبْجُ** : بِفَتْحِ القافِ ، وإِسْكانِ الباءِ المُوَحَّدَةِ ، وَبِالجِيمِ في آخِرِهِ . واحِدُهُ قَبْجَةٌ : الحَجَلُ .

وَالقَبْجَةُ[2] : اسْمُ جِنْسٍ يَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنثى حتَّى تَقُولَ : يَعقوب ، فَيَخْتَصُّ بالذَّكَرِ ، وَكَذلِكَ الدُّرَّاجَةُ حتَّى تقُولَ : حَيْقُطان ، وَالبُومَةُ حتَّى تقُول : صَدىً أَوْفيَّادٌ ، وَالحُبارَى حتَّى تَقُولَ : خَرَبٌ ، وَكَذا النَّعامَةُ حتَّى تقُولَ : ظَلِيمٌ ، وَالنَّحْلةُ حتَّى تقُولَ : يَعْسوب ؛ وَمِثْلُهُ كَثيرٌ .

● وَقالَ كُراعٌ في « المُجَرَّدِ » : القَبْجُ : فارِسيٌّ مُعَرَّبٌ ، لأَنَّ القافَ والجِيمَ ، أَوِ الكافَ ، لا يَجتمِعانِ في كَلامِ العَرَبِ ، كالجُوالِقِ ، وَجِلَّقَ ،

---

(١) مفردات ابن البيطار ٤/ ٣ وتذكرة داود ١/ ٢٥٤ .

(٢) عن الصِّحاح « قبج » ١/ ٣٣٧ .

وَالقَبْجَ ، وَالكَيْلَجَةَ ـ وهو مِكْيالٌ صَغِيرٌ ـ وَما كان نَحوَ ذَلِكَ . وَفِراخُ القَبْجِ تَخرُجُ كَما تَخْرُجُ الفَرارِيجُ كما تَقَدَّمَ ؛ وإناثُهُ تَبِيضُ خَمْسَ عشْرَةَ بَيْضَةً .

وَالذَّكَرُ يُوصَفُ بالقُوَّةِ على السِّفادِ ، كما يُوصَفُ الدِّيكُ والعُصْفُورُ ؛ وَلِكَثْرَةِ سِفادِهِ يَقْصِدُ مَوْضِعَ البَيْضِ ، فَيَكْسِرُهُ لِئَلاَّ تَشتغلَ الأُنثى بِحَضْنِهِ عَنْهُ ؛ ولهذا الأُنثى إذا أَتَى أَوانُ بَيْضِها تَهربُ وتَخْتَبِىءُ ، رَغْبَةً في الفِراخِ .

وَهِيَ إذا هَرَبَتْ بِهذا السَّبَبِ ، ضارَبَتِ الذُّكُورُ بعضَها بَعْضاً ، وَكَثُرَ صِياحُها ، ثمَّ إِنَّ المَقْهُورَ يَتْبَعُ القاهِرَ ، وَيَسْفِدُ القَوِيُّ الضَّعِيفَ .

وَالقَبْجُ يُغَيِّرُ أَصْواتَهُ بِأَنْواعٍ شَتَّى بِقَدْرِ حاجَتِهِ إِلى ذلكَ ؛ وَيُعَمَّرُ خَمْسَ عشرَةَ سنةً .

وَمِن عَجِيبِ أَمْرِها ما حَكاهُ القَزوينيُّ(١) : أَنَّه إِذا قَصَدَها الصَّيَّادُ ، خَبَّأَتْ رَأْسَها تَحْتَ الثَّلْجِ ، وَتَحسبُ أَنَّ الصَّيَّادَ لا يَراها .

وَذُكُورُها شَديدَةُ الغَيْرَةِ على إناثِها ، والأُنْثى تَلْقَحُ من رائِحَةِ الذَّكَرِ(٢) .

وَهَذا النَّوْعُ كُلُّهُ يُحِبُّ الغِناءَ وَالأَصْواتَ الطَّيِّبَةَ ؛ وَرُبَّما وَقَعَتْ من أَوْكارِها(٣) عِندَ سَماعِ ذلكَ ، فَيَأْخُذُها الصَّيَّادُ .

وَحُكْمُها : حِلُّ الأَكْلِ ، لأَنَّها من الطَّيِّباتِ .

الخَواصُّ(٤) : قالَ عبدُ المَلِكِ بن زُهْرٍ : مَرارَةُ الذَّكَرِ مِنْها ، إِذا اكْتُحِلَ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٨ .

(٢) هذا يتعارض مع قوله آنفاً : والذّكر يوصف بالقوّة على السّفاد ! .

(٣) المعروف أَنَّ أوكار الحجل لا تكون إلاّ على الأرض ، فكيف تقع من أَوكارها ؟ ولعلّ الصّواب ما ذكره العمريّ : وهو يحبُّ الغناء والأَصوات الطّيّبة ، فربّما وقع جاثماً عند السّماع شوقاً ، حتّى يأتيه الصّيّاد ويأخذه .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٨٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٨ ـ ٨٩ ومفردات ابن البيطار [حجل] ٢/ ١٢ ـ ١٣ .

بها ، تَنفَعُ من نُزُولِ الماءِ ، وإِنْ خُلِطَتْ مع ماءِ الرَّازيانج ، واكْتُحِلَ بِها ، أَبْرَأَتْ من العَشا بِاللَّيْلِ .

وَشَحْمُهُ يَنْفَعُ السَّكْتَةَ واللُّوقَةَ سُعُوطاً .

وَقالَ أَرسطو : مَرارَةُ القَبْجِ : إِذا خُلِطَتْ بِدُهْنِ زِئْبَقٍ ؛ وَسُعِّطَ بِها المَحْمُومُ ساعَةَ يُحَمُّ ، فإِنَّهُ يَبْرَأُ .

قالَ : وَصِفَةُ صَيْدِهِنَّ : أَنْ يُعْجَنَ لَهُنَّ دَقِيقُ الشَّعِيرِ بِالخَمْرِ ، وَيُوضَعَ لَهُنَّ حَتَّى يَأْكُلْنَ ، فإِذا أَكَلْنَهُ سَكِرْنَ ، فَيُصَدْنَ .

٧٩٧ القُبَّرَةُ : بِضَمِّ القافِ ، وَتَشْدِيدِ الباءِ المُوَحَّدَةِ : واحِدَةُ القُبَّرِ[١] .

قالَ الجَوهريُّ[١] : وَقَدْ جاءَ في الشِّعْرِ : قُنْبُرَةٌ ؛ كَما تَقُولُهُ العامَّةُ[٢] .

● وَقالَ البَطَلْيَوْسيُّ في « شَرْحِ أَدَبِ الكاتِبِ »[٣] : وَقُنْبَرَةُ أَيْضاً ، بِإِثْباتِ النُّونِ .

قالَ : وَهيَ لُغَةٌ فَصِيحَةٌ ، وَهُوَ ضَرْبٌ من الطَّيْرِ يُشْبِهُ الحُمَّرَةَ .

● وَكُنْيَةُ الذَّكَرِ منهُ[٤] : أَبُو صابِرٍ ، وَأَبُو الهَيْثَمِ ؛ وَالأُنثى : أُمُّ العُلْعُلِ .

● قالَ طَرَفَةُ ، وَكانَ يَصْطادُها[٥] : [من الرَّجز]

يَــا لَــكِ مِــن قُبَّـرَةٍ بِمَعْمَــرِ ... خَـلا لَـكِ الجَـوُّ فَبِيْضِـي واصْفِـري

---

(١) الصِّحاح « قبر » ٢/ ٧٨٤ ـ ٧٨٥ .

(٢) أنشد أبو عبيدة : [من الرَّجز]

جـــاءَ الشِّتـــاءُ واجْتَـــأَلَّ القُنْبُـــرُ ... وَجَعَلَـــتْ عَيــنُ الحَــرُورِ تَسْكُــرُ

(٣) الاقتضاب ٢/ ١٨١ .

(٤) المُرصَّع ٢١٩ و ٢٤٦ و ٣٧١ .

(٥) ديوانه ١٥٧ ـ ١٥٨ . وتنسب إلى كُليب وائل ، في الاقتضاب ٣/ ٢٣٠ واللِّسان « قبر » عن ابن برّيّ ، وفصل المقال ٣٦٤ .

قَـدْ رُفِـعَ الفَـخُّ فَمـاذا تَحْـذَرِي   وَنَقِّـرِي مـا شِئْـتِ أَنْ تُنَقِّـرِي
قَـدْ ذَهَـبَ الصَّيَّـادُ عَنْـكِ فَـأَبْشِـرِي   لا بُـدَّ مـن أَخْـذِكِ يَـوْمـاً فـاحْـذَرِي

● وَالسَّبَبُ في قَوْلِه ذلكَ[1] : أَنَّهُ كان مع عَمِّهِ في سَفَرٍ ، وَهوَ ابن سَبْعِ سِنين ، فَنَزَلُوا على ماءٍ ، فَذَهَبَ طَرَفَةُ بِفَخٍّ فَنَصَبَهُ للقَنابِرِ ، وَبَقِيَ عامَّةَ يَوْمِه لَمْ يَصِدْ شَيْئاً ، ثمَّ حَمَلَ فَخَّهُ وَعادَ إِلى عَمِّهِ ، فَحَمَلُوا وَرَحَلُوا من ذلكَ المَكانِ ، فَرَأى القنابِرَ يَلْقَطْنَ ما نَثَرَ لَهُنَّ من الحَبِّ ، فقالَ ذلكَ .

قالَ أَبو عَمرٍو : وَالمُرادُ بِالجَوِّ هُنا : ما اتَّسَعَ من الأَوْدِيَةِ ؛ وَحَذَفَ طَرَفَةُ النُّونَ من قَوْلِه : « فَماذا تَحْذَرِي » لِوِفاقِ القافِيَةِ ، أَو لالْتِقاءِ السَّاكِنَيْنِ .

● قالَ أَبُو عُبيدٍ[2] : يُرْوَى عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قالَ لابْنِ الزُّبَيْرِ حِينَ خَرَجَ الحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ إِلى العِراقِ :

خَلا لَكِ الجَوُّ فَبِيْضِي واصْفِرِي

● وَلِطَرَفَةَ بن العَبْدِ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ[3] مع عَمرو بن المُنذرِ بن امْرِىءِ القَيْسِ ، لَمَّا كَتَبَ لَهُ وللمُتَلَمِّسِ صَحيفتينِ ، ويُقالُ لَهُ : عَمرو بن هِنْدٍ ، وَكانَ لا يَتَبَسَّمُ ولا يَضْحَكُ ، وَكانَتِ العَرَبُ تُسَمِّيه : مُضَرِّطَ الحِجارَةِ ، لِشِدَّةِ مُلْكِه ؛ فإِنَّهُ مَلَكَ ثَلاثاً وَخَمسينَ سنةً ، وَكانَتِ العَرَبُ تَهابُهُ هَيْبَةً شَدِيدَةً .

وَقالَ السُّهيليُّ : إِنَّهُ هُو عَمرو بن المُنذرِ بن ماءِ السَّماءِ ، وَهِنْدُ أُمُّهُ ،

---

(١) الاقتضاب ٣/ ٢٣٠ والمحاسن والمساوىء ٢/ ٢١٦ والفاخر ١٧٩ والميدانيّ ١/ ٢٣٩ والزَّمخشري ٢/ ٧٥ وفصل المقال ٣٦٤ .
(٢) أَمثال أَبي عبيد ٢٥١ والمحاسن والأَضداد ١٣٠ ـ ١٣١ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٢ و ١٢/ ٣٢٥ .
(٣) ثمار القلوب ١/ ٣٥٢ والشِّعر والشُّعراء ١/ ١٨١ ومختارات ابن الشّجريّ ١/ ٣٠ والفاخر ٧٣ والمعارف ٦٤٩ وأَسماء المغتالين ٢/ ٢١٢ وخزانة البغداديّ ٢/ ٤٢٠ وشرح أَبيات المغني ٢/ ٢٦٢ والنِّهاية ٣/ ١٣ وسمط اللآلي ١/ ٣٠١ وعقلاء المجانين ٦٨ .

وَسَمِّيَ أَبُوهُ المنذرُ بابْنِ مَاءِ السَّماءِ ، لِشِدَّةِ جَمالِهِ ، وَهُوَ المُنذرُ بنُ الأَسْوَد ، وَيُعْرَفُ عَمرٌو بِمُحَرِّقٍ ، لأَنَّهُ حَرَّقَ مَدِينةً يُقالُ لَها : مَلْهَم ، وَهِيَ عِندَ اليَمامَةِ . وقالَ القُتَبيُّ والمُبرّدُ : سُمِّيَ مُحَرِّقاً لأَنَّهُ حَرَّقَ مئةً من بَني تَميمٍ ، مَلَكَ ثَلاثاً وخَمْسينَ سنةً .

وَكانَ طَرَفَةُ غُلاماً مُعْجِباً ، فَجعلَ يَتَخَلَّجُ في مِشْيَتِهِ بَيْنَ يَدَيْه ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً كادَتْ تَقْتَلِعُهُ من مَجْلِسِهِ ، فقَالَ لَهُ المُتَلَمِّسُ حِين قاما : يا طَرَفَةُ ، إِنِّي أَخافُ عَلَيْكَ من نَظْرَتِهِ إِلَيْكَ ؛ فقالَ طَرَفَةُ : كَلاَّ ؛ ثمَّ إِنَّهُ كَتبَ لَهُما كِتابيْنِ إِلى المُكَعْبَرِ ، وَكانَ عامِلَهُ على البَحرينِ وعُمان ، فَخَرَجا من عِندِهِ ، وَسارا حَتَّى إذا هَبَطا بأَرْضٍ قَرِيبَةٍ من الحِيْرَةِ ، فإِذا هُما بِشَيْخٍ معهُ كِسْرَةٌ يَأْكُلُها ، وَهُوَ يَتَبَرَّزُ ، وَيَقْصَعُ القَمْلَ ، فقالَ لَهُ المُتَلَمِّسُ : باللهِ ما رَأَيْتُ شَيْخاً أَحْمَقَ وأَضْعَفَ ، وَأَقَلَّ عَقْلاً مِنْكَ ! فقالَ لَهُ : وَما الذِي أَنْكَرْتَ عليَّ ؟ فقالَ : تَتَبَرَّزُ ، وَتَأْكُلُ ، وَتَقْصَعُ القَمْل ؟ قالَ : إِنِّي أُخرِجُ خَبِيثاً ، وَأُدْخِلَ طَيِّباً ، وَأَقْتُلُ عَدُوّاً ؛ وَلكنَّ أَحمقَ مِنِّي وَأَلأَمُ ، حامِلُ حَتْفِهِ بِيَمِينِهِ لا يَدْرِي ما فِيهِ .

فتَنبَّهَ المُتَلَمِّسُ وَكَأَنَّما كان نائِماً ، فإِذا هُوَ بِغُلامٍ من أَهْلِ الحِيْرَةِ يَسْقِي غُنَيْمَةً لَهُ من نَهْرِ الحِيْرَةِ ، فقالَ لَهُ المُتَلَمِّسُ : يَا غُلامُ ، أَتَقْرَأُ ؟ قالَ : نَعم . قالَ : اقْرَأْ هَذِهِ ؛ فإِذا فِيها : باسْمِكَ اللَّهُمَّ ، من عَمرو بن هِنْدٍ إِلى المُكَعْبَرِ : إِذا أَتاكَ كِتابِي هذا مع المُتَلَمِّسِ ، فاقْطَعْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْه ، وَادْفِنْهُ حَيّاً .

فَأَلْقَى الصَّحِيفَةَ في النَّهْرِ ، وَقالَ : يا طَرَفَةُ ، مَعكَ وَاللهِ مِثْلُها ؟ فقالَ : كَلاَّ ، ما كانَ لِيَكْتُبَ لِي مِثْلَ ذلكَ ؛ ثمَّ أَتَى طَرَفَةُ إِلى المُكَعْبِرِ ، فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَدَفنَهُ حَيّاً .

فَضُرِبَ المَثَلُ بِصَحِيفَةِ المُتَلَمِّسِ ، لِمَنْ يَسْعَى في حَتْفِهِ بِنَفْسِهِ وَيَغرِّرُ بِها .

وَسَتَأْتي الإِشارَةُ إِلى هَذِهِ القِصَّةِ في « بابِ الكافِ » في لَفظِ « الكروان » .

وَكانَ سببُ إِحْراقِ عَمرو بن هند لِبَني تَميمٍ كَما قالَهُ القُتَبيُّ والمُبَرِّدُ[1] :

أَنَّ عَمْراً كان له أَخٌ، وهو أَسْعَدُ بن المنذر ، وكان مُسْتَرْضَعاً في بني دارمٍ ، فانصرف ذات يومٍ من صَيْدِهِ وبه نَبيذٌ ، فَمَرَّ بإِبِلٍ لِسُوَيْدِ بنِ رَبيعة التَّميميّ ، فَنحَرَ مِنْها بَكْرَةً ، فَرماهُ سُوَيْدٌ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ؛ فَلَمَّا سَمِعَ عَمرو بن هِنْدٍ بِقَتْلِ أَخيهِ ، حَلَفَ لَيُحَرِّقَنَّ منهُم مئةَ رجلٍ . فَأَخَذَ مِنهُم تِسعةً وَتِسْعينَ رَجُلاً فَقَذَفَهُم في النَّارِ ، ثمَّ أَرادَ أَن يبرَّ قَسَمَهُ بِعَجُوزٍ منهم لِيُكْمِلَ العَدَدَ ، فقالَتْ : هَلاَّ فَتىً يَفْدي هذِهِ العَجُوزَ بِنَفْسِهِ ؟ ثمَّ قالَتْ : هَيْهاتَ ، صارَتِ الفِتْيانُ حُمَماً .

وَمَرَّ وافِدُ البَراجِمِ ، فاشْتَمَّ رائِحَةَ اللَّحْمِ ، فَظَنَّ أَنَّ المَلِكَ قد اتَّخَذَ طَعاماً ، فَعَرَجَ إِلَيْهِ ، فَأُتِيَ بِهِ إِلَيْهِ ، فقالَ لَهُ : مَن أَنْتَ ؟ قالَ : أَنا وافِدُ البَراجِمِ ؛ فقالَ لَهُ عَمرٌو : إِنَّ الشَّقِيَّ وافِدُ البَراجِمِ . فَذَهَبَتْ مَثَلاً ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُذِفَ في النَّارِ .

وَقَدْ أَشارَ إِلى ذلكَ ابْنُ دُرَيْدٍ في « مَقْصورته » بِقَوْلِهِ[2] : [من الرجز]

ثُمَّ ابْنَ هِنْدٍ باشَرَتْ نِيرانُهُ ... يَوْمَ أُوارتٍ تَميماً بِالصَّلَى

وَأُوارت : مَوْضِعٌ ، وَهُوَ جَمْعٌ واحِدُهُ أُوارَةٌ ؛ وَتَميمٌ قَبيلَةٌ ، وَالصَّلى : وَهْجُ النَّارِ .

● وَالقُبَّرَةُ : غَبراءُ ، كَبيرَةُ المِنْقارِ ، كَأَنَّما على رَأْسِها قُنْزَعَةٌ ؛ وَهذا الضَّرْبُ من العُصفورِ قاسي القَلْبِ ، وفي طَبْعِهِ أَنَّهُ لا يَهُولُهُ صَوْتُ صائِحٍ ؛ وَرُبَّما رُمِيَ بِالحَجَرَةِ ، فَاسْتَخَفَّ بِالرَّامِي ، وَلَطِىءَ بِالأَرْضِ حَتَّى يَتَجاوَزَهُ

---

(١) كامل المبرد ١ / ٢٢١ والمعارف ٦٤٨ والميدانيّ ١/ ٩ وحمزة ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ والعسكريّ ١/ ١٢١ ـ ١٢٢ والزّمخشريّ ١/ ٤٠٥ وفصل المقال ٤٥٤ وأبو عبيد ٣٢٨ وشرح مقصور ابن دريد للتّبريزيّ ٤٨ ـ ٥١ .

(٢) المقصورة بشرح التّبريزيّ ٤٨ .

الحَجَرُ ؛ وَبِهذا السَّبَبِ لا يَزالُ مَأْخُوذاً أَوْ مَقْتُولاً ، لأَنَّ الرَّامي يَحْمِلُهُ الحَنَقُ عليْهِ على مُداوَمَةِ ضَرْبِهِ حَتَّى يُصِيبَهُ ؛ وَهُوَ يَضَعُ وَكْرَهُ على الجادَّةِ حُبّاً لِلأُنْسِ .

● رَوَى الإمامُ الحافِظُ أبو بَكرِ الخَطِيبُ البَغداديُّ ، بِإسْنادٍ عن داود بن أَبي هِنْدٍ ، قالَ[1] :

صادَ رَجُلٌ قُبَّرَةً ، فَقالَتْ : ما تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي ؟ قالَ : أَذْبَحُكِ وآكُلُكِ ؛ فقالَتْ : واللهِ إِنِّي لا أُسْمِنُ وَلاأُغْنِي من جُوعٍ ، وَما أَشْفِي من قَرَمٍ ؛ وَلَكِنِّي أُعَلِّمُكَ ثَلاثَ خِصالٍ هِيَ خَيْرٌ لَكَ من أَكْلِي ؛ أَمَّا الواحِدَةُ فَأُعَلِّمُكَ إِيَّاها وَأَنا على يَدِكَ ، وَالثَّانِيَةُ إذا صِرْتُ على الشَّجَرَةِ ، وَالثَّالِثَةُ إِذا صِرْتُ على الجَبَلِ . قالَ : نَعم .

فقالَتْ وهِيَ على يَدِهِ : لا تَأْسَفَنَّ على ما فاتَكَ ؛ فَخَلَّى عَنْها ؛ فلَمَّا صارَتْ على الشَّجَرَةِ ، قالَتْ : لا تُصَدِّقَنَّ بِما لا يَكُونُ ؛ فَلَمَّا صارَتْ عَلَى الجَبَلِ ، قَالَتْ : يَا شَقِيُّ لو ذَبَحْتَنِي لَوَجَدْتَ في حَوْصَلَتِي دُرَّةً وَزْنُها عِشْرُونَ مِثْقالاً .

قالَ : فَعَضَّ عَلَى شَفَتَيْهِ وَتَلَهَّفَ ، ثمَّ قالَ : هاتِي الثَّالِثَةَ ؛ فقالَتْ : قد نَسِيْتَ الثِّنْتَيْنِ الأُوْلَيَيْنِ ، فَكَيفَ أُعَلِّمُكَ الثَّالِثَةَ ؟ قالَ : وَكيفَ ؟ قالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لا تَأْسَفَنَّ على ما فاتَكَ ؟ وَقَدْ تَأَسَّفْتَ عليَّ ؛ وَقُلْتُ لَكَ : لا تُصَدِّقَنَّ بِما لا يَكُونُ ، وَقَدْ صَدَّقْتَ ؛ فإِنَّهُ لو جَمَعْتَ عِظامِي وَرِيْشِي وَلَحْمِي ، لَمْ تَبْلُغْ عِشْرِينَ مِثْقالاً ، فَكَيْفَ يَكُونُ في حَوْصَلَتِي دُرَّةٌ وَزْنُها عِشْرُونَ مِثْقالاً ؟ .

● وَحَكَى القُشَيْرِيُّ في « رِسالَتِهِ »[2] عن ذِي النُّونِ المِصْرِيِّ رحمَهُ اللهُ ،

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٦٨ وأخبار الأذكياء ٢٥٣ ـ ٢٥٤ وإحياء علوم الدّين ٣/ ٢٠٧ .

(٢) الرّسالة القشيريّة ١/ ٥٩ ـ ٦٠ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٤٧ والمستطرف ٣/ ٢٨٥ وطبقات المناوي ١/ ٥٩٨ .

أَنَّهُ سُئِلَ عن سَبَبِ تَوْبَتِهِ ، فقالَ : خَرَجْتُ من مِصْرَ إلى بَعْضِ القُرَى ، فَنِمْتُ في بَعْضِ الصَّحارى ، ثُمَّ فَتَحْتُ عَيْنِي ، فإذا أنا بقُبَّرَةٍ عَمْياءَ سَقَطَتْ من وَكْرِها ، فانْشَقَّتْ لَها الأَرْضُ ، وَخَرَجَ مِنْها سُكُرُّجَتانِ[1] ، إحْداهُما فِضَّةٌ والأُخْرى ذَهَبٌ ، في إحْداهُما سِمْسِمٌ وَالأُخْرى ماءٌ ، فَجَعَلَتْ تَأْكُلُ من هَذِهِ وَتَشْرَبُ من هَذِهِ .

قالَ : فَتُبْتُ وَلَزِمْتُ البابَ إلى أَنْ قَبِلَني ، وَعَلِمْتُ أَنَّ من لَمْ يُضيِّعِ القُبَّرَةَ لا يُضَيِّعُني .

وَحُكْمُها : حِلُّ الأَكْلِ بالإجْماعِ ، وَوُجُوبُ الجَزاءِ على المُحْرِمِ بِقَتْلِها .

الخَواصُّ[2] : لَحْمُها يَحْبِسُ البَطْنَ ، وَيَزِيدُ في الباهِ ؛ وَبَيْضُها يَفعلُ ذلكَ .

وإذا دِيفَ زِبْلُها بريْقِ إنْسانٍ ، وَطُلِيَ بِهِ الثَّآلِيلُ ، قَلَعَها .

وإذا كَرِهَتِ المَرْأَةُ زَوْجَها ، فَلْيَطْلِ ذَكَرَهُ بِشَحْمِها وَيُجامِعْها ، فَإنَّها تُحِبُّهُ .

● **تَتِمَّةٌ** : في الأَسْماءِ ؛ **قُنْبَر**[3] : بِضَمِّ القافِ ، وإسْكانِ النُّونِ ، وَفَتْحِ الباءِ المُوَحَّدَةِ : جَدُّ سِيبَوَيْه عَمرو بن عُثْمان بن قُنْبَر ؛ وَسِيبَوَيْه : لَقَبٌ لَهُ ، وَهِيَ لَفْظَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ مَعْناها : رائِحَةُ التُّفّاحِ .

وَقُنْبُرُ[4] : بِضَمَّتَيْنِ : جَدُّ إبراهِيم بن عليّ بن قُنْبُر البَغداديّ ، عن نَصْرِ اللهِ القَزّازِ .

---

(١) السُّكُرُّجة : إناءٌ صغيرٌ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٨٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٩ ومفردات ابن البيطار ٤/ ٣٩ .

(٣) المشتبه ٥٣٥ وتوضيح المشتبه ٧/ ٢٥٠ وفي الإكمال ٤/ ٤٢٠ وتكملة الإكمال ٤/ ٦٥٢ : قَنْبَر [بفتح القاف وإسكان النُّون وفتح الباء] .

(٤) المشتبه ٥٣٥ ، وتوضيح المشتبه ٧/ ٢٥٠ .

وَجَدُّ أَبي الفَتْحِ محمَّد بن أَحمد بن قُنْبُر البَزَّاز ، وغيرهما .

وَأَمَّا قَنبَر[1] : بفَتْحِ القافِ والباءِ : فَأَبُو الشَّعْثاءِ قَنْبَر ، وهُوَ يَروي عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما وغيرِهِ ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّان في الثِّقاتِ[2] .

وَقَنْبَر مَولى عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه . قالَ ابْنُ أَبي حاتم[3] : رَوى عن عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَكانَ حاجِبَهُ .

● قالَ الشَّيْخُ في « المُهَذّب » في « كِتابِ القَضاءِ » : وَلا يُكْرَهُ للإمامِ أَنْ يَتَّخِذَ حاجِباً ، لأَنَّ يَرْفأَ كان حاجِبَ عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَالحَسَنَ كان حاجِبَ عُثمانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، وَقَنْبَرَ كان حاجِبَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

● قالَ محمَّد بن السَّمَّاك : مَن عَرَفَ النَّاسَ داراهُم ، وَمَن جَهِلَهُم ماراهُم ؛ وَرَأْسُ المُداراةِ تَرْكُ المُماراةِ .

● قيلَ[4] : جَلَسَ أَبو يُوسف ، يَعقوب [بن إِسحاق ،] ابنُ السِّكِّيتِ يَوْماً مع المُتَوَكِّلِ ، وَكانَ يُؤَدِّبُ أَوْلادَهُ ، فَجاءَهُ المُعْتَزُّ والمُؤَيَّدُ وَلَدا المُتَوَكِّلِ ، فقال لَهُ : يَا يَعقُوبُ ، أَيُّما أَحَبُّ إِلَيْكَ ، ابْنايَ هذانِ أَمِ الحَسَنُ والحُسَيْنُ ؟ فقالَ : واللهِ إِنَّ قَنْبَراً خادِمَ عَليِّ بن أَبي طالبٍ خيرٌ منكَ وَمِنْ ابْنَيْكَ . فقالَ المُتَوَكِّلُ لِلأَتْراكِ : سُلُّوا لِسانَهُ من قَفاهُ ؛ فَفَعَلُوا بِهِ ذلكَ ، فَماتَ في لَيْلَةِ الاثْنينِ ، لِخَمْسٍ خَلَوْنَ من رَجَبٍ ، سَنَةَ أَربعٍ وأَربعينَ ومئتين .

---

(١) المشتبه ٥٣٥ وتوضيح المشتبه ٧/ ٢٥٠ .

(٢) والبخاريّ في التّاريخ الكبير ٧/ ١٩٧ وابن أَبي حاتم في الجرح والتّعديل ٧/ ١٤٦ والأَمير في الإكمال ٧/ ١٠٠ .

(٣) الجرح والتّعديل ٧/ ١٤٦ والإكمال ٧/ ١٠٠ .

(٤) وفيات الأَعيان ٦/ ٣٩٥ و ٤٠٠ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٨٤١ وطبقات الزُّبيديّ ٢٠٣ وإنباه الرُّواة ٤/ ٥٠ وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ١٨ وبغية الوعاة ٢/ ٣٤٩ والبلغة للفيروزأَبادي ٢٨٨ وإشارة التّعيين ٣٨٦ وحاشية البغداديّ على شرح بانت سعاد ١/ ٢٤٨ وتاريخ الخلفاء ٤١٠ .

ثمَّ إنَّ المُتوَكِّلَ أَرْسَلَ لِوَلَدِهِ عَشرَةَ آلافِ دِرهمٍ ، وَقالَ : هَذِهِ دِيةُ والِدِكَ . كَذا حَكاهُ ابْنُ خلّكان في تَرْجَمَتِه[1] .

● وَمِنَ العَجَبِ أَنَّهُ كان قَبلَ ذلكَ بِيَسِيرٍ أَنْشَدَ لِوَلَدَي المُتَوَكِّلِ وَهُوَ يُعَلِّمُهُما[2] : [من الطويل]

يُصابُ الفَتَى من عَثْرَةٍ بِلِسانِهِ ... وَلَيْسَ يُصابُ المَرْءُ من عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ بِالقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ ... وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرا على مَهْلِ

● وَمن محاسِنِ شِعْرِ ابْنِ السِّكِّيتِ[3] : [من الوافر]

إذا اشْتَمَلَتْ عَلَى اليَأْسِ القُلُوبُ ... وَضَاقَ لِما بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيْبُ
وَأُوْطِنَتِ المَكارِهُ واسْتَقَرَّتْ ... وَأَرْسَتْ في أَماكِنِها الخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لانْكِشافِ الضُّرِّ وَجْهاً ... وَلا أَغْنَى بِحِيْلَتِهِ الأَرِيْبُ
أَتاكَ على قُنُوطٍ مِنْكَ عَفْوٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المُسْتَجِيبُ

---

(١) ترجمته في مصادر الخبر .

(٢) البيتان للإمام جعفر الصَّادق في العقد الفريد ٢/ ٤٧٣ وبلا نسبة في عيون الأَخبار ٢/ ١٨٠ وبهجة المجالس ١/ ٨٨ ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٩ .

(٣) الأَبيات لابن السِّكيت في وفيات الأعيان ٦/ ٣٩٩ وحاشية البغداديّ على شرح بانت سعاد ١/ ٢٤٨ .
وللإمام عليّ في مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٧٨ وتاريخ الخلفاء ٢١٦ وشرح أَبيات المغني ٤/ ١٩٣ .
وللإمام عليّ أَو لحسَّان بن ثابت ، في الحماسة البصريّة ٢/ ٧٨٥ . وليست في طبعات ديوان حسَّان .
وفي بهجة المجالس ١/ ١٧٩ لأَحمد بن محمود ، أَو أَحمد بن صالح .
وفي سمط اللآلي ٣/ ٩٥٤ لمحمَّد بن يسير ، وهي في ديوانه ١٣٣ .
وبلا نسبة في : الفرج بعد الشِّدَّة للتَّنوخيّ ٥/ ٤٦ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٤٣ وربيع الأَبرار ٤/ ٤٠٥ والمجتبى لابن دريد ١٦٦ وأَمالي القَالِي ٢/ ٣٠٣ ولباب الآداب لأُسامة ٣٦١ وديوان المعاني ٢/ ١٠٦٥ ومجموعة المعاني ٣٣٦ .

وَكُـلُّ الحـادِثـاتِ إذا تَنـاهَـتْ فَمَـوْصُـولٌ بِهـا فَـرَجٌ قَـرِيْـبُ

وَعُرِفَ أَبُوهُ بالسِّكِّيتِ ، لأَنَّهُ كان كَثِيرَ السُّكُوتِ ، طَوِيلَ الصَّمْتِ ؛ وَكُلُّ ما كَانَ على فِعيِّلٍ أَوْ فِعْلِيلٍ ، فإِنَّهُ مَكْسُورُ الأَوَّلِ .

وَكانَ ابْنُ السِّكِّيتِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إماماً في اللُّغَةِ ، مُكْثِراً من نَقْلِ الغَرِيبِ ، وَلَهُ تَصانِيفُ مُفِيدَةٌ .

٧٩٨ **القُبَعَةُ** : بضَمِّ القافِ ، وَتَخْفِيفِ الباءِ المُوَحَّدَةِ ، والعَيْنِ المُهملَةِ المَفْتُوحَتَين : طُوَيْئِرٌ أَبْقَعُ مثلُ العُصْفُورِ ، يَكُونُ عِندَ جِحَرَةِ الجِرْذانِ ، فإذا فَزِعَ أَو رُمِيَ بِحَجَرٍ انْقَبَعَ فِيها . ذَكَرَهُ ابنُ السِّكِّيْتِ المَذكورُ قَبْلَهُ(١) .

وَقولُهُ : انْقَبَعَ فِيها ، أَي دَخَلَ الجُحْرَ فَالْتَجأَ فِيه .

٧٩٩ **القبيطُ** : كَحمير : طائِرٌ مَعْروفٌ(٢) .

٨٠٠ **القَتَعُ** : بفَتْحِ القافِ والتَّاءِ المُثَنَّاةِ ، والعَيْنِ المُهملَةِ : دُودٌ [حُمْرٌ] يَكُونُ في الخَشَبِ يَأْكُلُهُ ؛ الواحِدَةُ : قَتَعَةٌ ، يَنْزُو ثمَّ يَقَعُ(٣) .

٨٠١ **ابْنُ قِتْرَةَ** : ضَرْبٌ من الحَيَّاتِ ، لا يَسْلَمُ مَن لَدَغَتْهُ ؛ وَقِيلَ : هو ذَكَرُ الأَفْعى ، وَهوَ نَحْوٌ من الشِّبْرِ .

وَأَبُو قِتْرَةَ : كُنْيَةُ إِبْليس . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه وغَيْرُهُ(٤) .

٨٠٢ **القِذَّانُ** : بِكَسْرِ القافِ ، وَبالدَّالِ المُهملةِ(٥) المُشَدَّدَةِ : البَراغِيثُ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

---

(١) إصلاح المنطق ٤٢٩ ـ ٤٣٠ . وفيه : فإذا فزع أَو رُمي انجحر .

(٢) كذا في الأُصول ، ولم أَقف على حقيقته ، ولا على ضبطه ، في معاجم اللُّغة . ولعلَّ المؤلِّف أَشكل عليه ما جَاءَ في القاموس « قبط » : والقُبَّيطُ . . . والقُبَيْطاءُ ـ كَحُمَيْراء ـ النَّاطف ! .

(٣) القاموس واللِّسان « قتع » .

(٤) القاموس واللِّسان « قتر » والمُرصَّع ٢٧٧ و ٢٧٣ .

(٥) بل هو بالذَّال المعجمة المشدَّدة . المخصَّص ١١٨/٨ ، القاموس واللِّسان « قذذ » .

وَقالَ غَيْرُهُ : هُوَ دُوَيْبَّةٌ تَقْرُبُ من البُرغُوثِ ، تَقْرُصُ . قالَ الراجِزُ[1] : [من الرجز]

يَـــا أَبَتـــا أَرَّقَنِـــي القِـــذَّانُ فَـــالنَّـــوْمُ لا تَطْعَمُـــهُ العَيْنـــانُ

قَالَهُ أَبو حاتم في « كِتابِ الطَّير » .

وَقيلَ : القِذَّانُ : يُوجَدُ كَثيراً بِالبِلادِ والطُّرُقِ الرَّمْلِيَّةِ ، وَالنَّاسُ يُسَمُّونَهُ الدَّلَمَ ، يَقْرُصُ الإبِلَ وغَيْرَها .

٨٠٣ القُرادُ : واحِدُ القِرْدانِ ؛ يُقالُ قَرِّدْ بَعِيْرَكَ ، أَي انْزَعْ منهُ القُرادَ[2] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلامُ عليْهِ في « الحَلَم » .

● وَقَدْ ذَكَرْنا أَنَّ مَذْهَبَنا اسْتِحْبابُ قَتْلِ القُرادِ في الإِحْرامِ وغَيْرِهِ .

وَقالَ العَبْدَرِيُّ : يَجُوزُ لِلمُحْرِمِ عِنْدَنا أَنْ يُقَرِّدَ بَعِيْرَهُ ؛ وَبِهِ قالَ ابْنُ عُمر وابنُ عَبَّاس ، وَأَكْثَرُ الفُقَهاءِ ؛ وَقالَ مالِكٌ : لا يُقَرِّدُهُ .

قالَ ابنُ المُنذرِ : وَمِمَّنْ أَباحَ تَقْرِيدَ البَعِيرِ : عُمر وابنُ عبَّاسٍ وجابرُ بن زَيْدٍ وَعَطاءٌ والشَّافعيُّ وَأَحمدُ وإِسحاقُ وَأَصحابُ الرَّأْيِ ؛ وَكَرِهَهُ ابنُ عُمر ومالكٌ .

● وَرُوِيَ عن سَعيد بن المُسَيّب ، أَنَّهُ قالَ في المُحْرِمِ يَقْتُلُ قُرادَةً : يَتَصَدَّقُ بِتَمْرَةٍ أَو تَمْرَتَيْنِ .

قالَ ابنُ المُنذرِ : وبالأَوّلِ أَقولُ .

وَتَقْرِيدُ البَعِيرِ : أَنْ يُنْزَعَ القُرادُ منهُ ؛ وَفَسَّرَهُ ابْنُ الأَثِيرِ وغَيْرُهُ[3] : بِأَنَّهُ

---

(١) الشَّطران لرؤبة بن العجّاج بن شدقم الباهليّ الشَّاعر ـ وهو غير رؤبة بن العجّاج الرّاجز ـ في المؤتلف والمختلف للآمديّ ١٧٦ وبلا نسبة في التّاج « قذذ » ٩/٤٥٦ .

(٢) عن الصِّحاح « قرد » ٢/٥٢٣ .

(٣) النِّهاية ٤/٣٦ واللِّسان « قرد » ٥/٣٥٧٦ .

الطَّبُوعُ الذي يَلْصَقُ بِجِسْمِهِ .

● وَفي قَصيدَةِ كَعْبِ بن زُهيرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يَصِفُ ناقَتَهُ[1] : [من البسيط]

يَمْشِي القُرادُ عَلَيْها ثُمَّ يُزْلِقُهُ عَنْها لَبانٌ وَأَقْرابٌ زَهالِيلُ

اللَّبانُ : الصَّدْرُ . وَالأَقْرابُ : الخَواصِرُ . وَالزَّهالِيلُ : المُلْسُ .

● وَفي حَديثِ أَبي جَهْلٍ : إِنَّ محمَّداً نَزَلَ يَثْرِبَ ، وإِنَّهُ حَنِقٌ عليكُم ، نَفَيْتُمُوهُ نَفْيَ القُرادِ عن المَسامعِ ـ يَعْني الآذانَ ـ : أَي أَخْرَجْتُمُوهُ من مَكَّةَ إِخْراجَ اسْتِئْصالٍ ؛ لأَنَّ أَخْذَ القُرادِ عن الدَّابَّةِ قَلْعُهُ بالكُلِّيَّةِ ؛ وَالأُذُنُ أَخَفُّ الأَعْضاءِ شَعَراً ، بل أَكْثَرُها شَعَراً عَلَيْهِ ، فَيَكُونُ النَّزْعُ مِنْها أَبْلَغُ .

الأَمثالُ : قالُوا : « أَسْمَعُ من قُرادٍ »[2] . وَذلكَ أَنَّهُ يَسمعُ وَطْءَ أَخْفافِ الإِبلِ من مَسيرَةِ يَوْمٍ ، فَيَتَحَرَّكُ لَها .

● قالَ أَبُو زِياد الأَعرابيّ : رُبَّما رَحَلَ النَّاسُ عن دِيارِهم بالبادِيَةِ ، وَتَركُوها قِفاراً ، وَالقِرْدانُ مُنْتَشِرَةٌ في أَعْطانِ الإِبلِ ، ثمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيْها عَشر سِنين ، وَعِشرينَ سنةً ، وَلا يَخْلُفُهُم فِيها أَحَدٌ سِواهُم ، ثمَّ يَرجِعُونَ إِلَيْها فَيَجدُونَ القِرْدانَ في تلكَ المَواضِعِ أَحْياءَ ، وَقَدْ أَحَسَّتْ بروائِحِ الإِبلِ قبلَ أَنْ تُوافي ، فَتَتَحَرَّكُ لَها ؛ وَلذلكَ قالَتِ العَرَبُ : « أَعْمَرُ من قُرادٍ »[3] .

● وَقالَ حَمزةُ : العَرَبُ تَزعمُ أَنَّ القُرادَ يَعيشُ سَبعمئة سنةٍ ، وهذا من أَكاذِيبِهم ؛ وإِنَّما الضَّجَرُ منهم بِهِ دَعاهُم إِلى هذا القَوْلِ فِيه .

---

(١) ديوانه ١٢ .

(٢) الميدانيّ ١/ ٣٤٩ وحمزة ١/ ٢٢٨ والعسكريّ ١/ ٥٣١ والزَّمخشريّ ١/ ١٧٣ وأبو عبيد ٣٦٠ وفصل المقال ٤٩٢ .

(٣) الميداني ٢/ ٥٠ وحمزة ١/ ٣١٣ والعسكريّ ٢/ ٧٤ والزَّمخشري ١/ ٢٥٣ .

وَهوَ في **الرُّؤيا** : يَدُلُّ على الأَعْداءِ والحُسَّادِ الأَخِسَّاءِ ؛ وإِنْ رُؤِيَ الدَّلَمُ مُنْتَشِراً في الأَرْضِ والرَّمْلِ ، فهو كذلكَ أَيضاً . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٨٠٤ القِرْدُ : حَيوانٌ مَعرُوفٌ .

وَكُنْيَتُهُ(١) : أَبو خالِدٍ ، وَأَبُو خُبيبٍ ، وَأَبُو خَلَفٍ ، وَأَبو زَنَّة ، وَأَبو قِشَّةٍ .

وَهُوَ بِكَسْرِ القافِ وسُكُونِ الرَّاءِ ، وَجمْعُهُ قُرُودٌ ، وَقَدْ يُجمعُ على قِرَدَةٍ - بِكَسْرِ القافِ وفَتْحِ الرَّاءِ المُهملةِ - وَالأُنثى قِرْدَةٌ - بِكَسْرِ القافِ وإِسْكانِ الرَّاءِ - وَجَمْعُها قِرَدٌ - بِكَسْرِ القافِ وَفَتْحِ الرَّاءِ - مِثْلُ قِرْبَةٍ وَقِرَبٍ .

وَهُوَ(٢) حيوانٌ قَبيحٌ ، مَلِيحٌ ، ذكيٌّ ، سَرِيعُ الفَهْمِ ، يَتَعَلَّمُ الصَّنْعَةَ .

● حُكِيَ(٢) أَنَّ مَلِكَ النُّوبَةِ أَهْدَى إِلى المُتَوَكِّلِ قِرْداً خَيَّاطاً ، وَآخَرَ صائِغاً .

● وَأَهْلُ(٢) اليَمَنِ يُعَلِّمُونَ القِرَدَةَ القِيامَ بِحَوائِجِهم ، حَتَّى إِنَّ القَصَّابَ وَالبَقَّالَ يُعَلِّمُ القِرْدَ حِفْظَ الدُّكَّانِ حتَّى يَعُودَ صاحِبُهُ ؛ وَيُعَلِّمُ السَّرِقَةَ فَيَسْرِقُ .

● نَقَلَ الشَّيْخان عن القاضي حُسين ، أَنَّهُ قالَ : لو عُلِّمَ القِرْدُ النُّزولَ إِلى الدَّارِ ، وإِخْراجَ المَتاعِ ، فَنَقَّبَ وَأُرْسِلَ القِرْدُ ، فَأَخْرَجَ المَتاعَ ، يَنْبَغي أَنْ لا يُقْطَعَ ، لأَنَّ لِلحَيَوانِ اخْتِياراً .

● وَنَقَلَ البَغويُّ في « بابِ حَدِّ الزِّنا » : أَنَّ المرأَةَ لو مَكَّنَتْ من نَفْسِها قِرْداً ، فَوَطِئَها ، فَعَلَيْها ما عَلَى واطِىءِ البَهِيمَةِ ؛ فَتُعَزَّرُ في الأَصَحِّ ، وتُحَدُّ في قَوْلٍ ، وَتُقْتَلُ في قَوْلٍ .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم في قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة : ٧] أَي أَتْقَنَهُ ؛ وَقالا : لَيسَتِ القُرُودُ

---

(١) المرصَّع ١٥٢ و ١٥٣ و ١٩٤ و ٢٧٤ و ٣٧٠ . وأبو قيس .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٦٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٣ .

حَسَنَةً ، وَلكنَّها مُتقَنَةٌ مُحْكَمَةٌ ، فَجَمِيعُ المَخْلُوقاتِ حَسَنَةٌ ، وإنْ تَفاوَتَتْ إلى حَسَنٍ وَأَحْسَنَ ؛ قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين : ٤] .

● وَالقِرَدَةُ[١] تَلِدُ في البَطْنِ الواحِدِ العَشْرَةَ والاثْني عَشَرَ .

وَالذَّكَرُ ذُو غَيْرَةٍ شَديدَةٍ على الإناثِ .

وَهَذا الحَيوانُ شَبيهٌ بالإنْسانِ في غالِبِ حالاتِه ، فإنَّهُ يَضْحَكُ ، وَيَطْرَبُ ، وَيُقْعِي ، وَيَحْكي ، وَيتناوَلُ الشَّيْءَ بيَدِهِ ، وَلَهُ أَصابِعُ مُفَصَّلَةٌ إلى أَنامِلَ وَأَظافِرَ ؛ وَيَقْبَلُ التَّلْقِينَ والتَّعْلِيمَ ، وَيَأْنَسُ بالنّاسِ ، وَيَمْشي على أَرْبَعٍ مِشْيَتَهُ المُعْتادَةَ ، وَيَمْشي على رِجْلَيْهِ حِيْناً يَسِيراً ؛ وَلِشُفْرِ عَيْنَيْه الأَسْفَلِ أَهْدابٌ ، وَلَيْسَ ذلكَ لِشَيْءٍ من الحيوانِ سِواهُ ، وَهوَ كالإنْسانِ ؛ وإذا سَقَطَ في الماءِ غَرِقَ كالآدَميِّ الذي لا يُحْسِنُ السِّباحَةَ ؛ وَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بالزَّواجِ والغَيْرَةِ على الإناثِ ، وَهُما خَصْلَتانِ من مَفاخِرِ الإنْسانِ ، وإذا زادَ بِهِ الشَّبَقُ اسْتَمْنى بِفِيهِ ؛ وَتَحملُ الأُنثى أَوْلادَها كَما تَحملُ المرأَةُ .

وَمِنْ سِرِّ هذا الحَيَوانِ : أَنَّ الطَّائِفَةَ من هذا النَّوْعِ إذا أَرادَتِ النَّوْمَ ، يَنامُ الواحِدُ في جَنْبِ الآخَرِ ، حَتَّى يَكُونُوا سَطْراً واحِداً ؛ وَإذا تَمَكَّنَ النَّوْمُ مِنْها ، نَهَضَ أَوَّلُها من الطَّرَفِ الأَيْسَرِ ، فإذا قَعَدَ صاحَ ، فَيَنْهَضُ مَن كان يَلِيه ، وَيَفْعَلُ كَفِعْلِهِ حَتَّى يَكُونَ هذا إلى آخِرِهم ، يَفْعَلُونَ ذلكَ في اللَّيْلِ كُلِّهِ مِراراً ؛ وَبسببِ ذلكَ تَبِيتُ في أَرْضٍ وَتُصْبِحُ في أُخْرى .

وَفيهِ من قَبُولِ التَّأْدِيبِ والتَّعلِيمِ ما لا يَخْفى ، وَلَقَدْ دُرِّبَ قِرْدٌ لِيَزِيدَ على رُكُوبِ الحِمارِ ، وَسابَقَ بِهِ مَعَ الخَيْلِ ؛ وَفِيهِ يَقُولُ يَزِيدُ لَمَّا سَبَقَ بِأَتانٍ رَكِبَها فارِساً[٢] : [من الطَّويل]

فَمَنْ مُبْلِغُ القِرْدَ الذي سَبَقَتْ بِهِ ... جَوادَ أَمِيرِ المُؤمِنينَ أَتانُ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٦٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٣ .

(٢) ديوان يزيد ٣٣ بروايات مختلفة .

تَعَلَّقْ أَبا قَيْسٍ بِها إِنْ رَكِبْتَها   فَلَيْسَ عَلَيْها إِنْ هَلَكْتَ ضَمانُ

● رَوَى ابنُ عَدِيٍّ في « كامِلِهِ »[1] عن أَحمد بن طاهرِ بن حَرملة ، ابن أَخي حَرْمَلَةَ بن يَحْيى ، أَنَّهُ قالَ : رَأَيْتُ بِالرَّمْلَةِ قِرْداً يَصُوغُ ؛ فإِذا أَرادَ أَنْ ينفخَ ، أَشارَ إِلى رَجُلٍ حتَّى يَنفخَ لَهُ .

● وَفيهِ[2] في تَرجمةِ يوسف بن محمَّد بن المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إِذا رَأَى القِرْدَ خَرَّ ساجِداً .

وَهُو في « المُستدرك » قُبيلَ كِتابِ الجُمعةِ ، ذَكَرَهُ شاهِداً .

● وَفيهِ[3] في تَرجَمَةِ ضِمامِ بنِ إِسماعيل ، أَنَّهُ رَوى عن أَبي قَبيل :

أَنَّ مُعاويَةَ صعدَ المِنبَرَ يَوْمَ جُمْعَةٍ ، فقالَ في خُطْبَتِهِ : أَيُّها النَّاسُ ، إِنَّ المالَ مالُنا ، والفَيْءَ فَيْؤُنا ؛ مَن شِئْنا أَعْطَيْنا ، ومَن شِئْنا مَنَعْنا . فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ .

فَلَمَّا كان في الجُمعةِ الثَّانِيَةِ قالَ كذلكَ ؛ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ؛ فَلَمَّا كانَت الجُمعةُ الثَّالِثَةُ قالَ كذلكَ ، فقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ[4] ، فقالَ : كَلاَّ يا مُعاويَةُ ، أَلا إِنَّ المَالَ مالُنا ، وَالفَيْءَ فَيْؤُنا ؛ مَن حالَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ حاكَمْناهُ إِلى اللهِ تَعالى بِأَسْيافِنا .

فَنَزَلَ مُعاويةُ ، وَأَرْسَلَ إِلى الرَّجُلِ ، فَأُدْخِلَ عليه ، فقالَ القَوْمُ : هَلَكَ الرَّجُلُ ؛ ثمَّ فتَحَ مُعاويةُ الأَبوابَ ، فدخلَ عليه الناسُ ، فوَجَدوا الرَّجُلَ معهُ على السَّريرِ ؛ فقالَ مُعاويةُ : أَيُّها النَّاسُ ، إِنَّ هذا الرَّجُلَ أَحْيانِي ، أَحْياهُ الله ؛ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « سَتكُونُ أَئِمَّةٌ من بَعْدِي ، يَقُولُونَ فَلا يُرَدُّ

---

(١) الكامل في الضُّعفاء ١/ ٣٢٣ وميزان الاعتدال ١/ ١٠٥ ولسان الميزان ١/ ٤٨٧ .

(٢) الكامل ٨/ ٤٨٤ وميزان الاعتدال ٤/ ٤٧٢ والمستدرك ١/ ٢٧٦ .

(٣) الكامل ٥/ ١٦٦ وميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٩ والمعجم الكبير للطَّبرانيّ ١٩/ ٣٩٣ رقم (٩٢٥) ومسند أَبي يعلى ١٣/ ٣٧٤ ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٥٠ ـ ٥١ .

(٤) هو أَبو بحريَّة ، عبد اللهِ بن قيس السَّكونيّ . (مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٥١) .

عَليهم ، يَتقاحَمُونَ في النَّارِ كَما تَتقاحَمُ القِرَدَةُ » .

وإِنِّي تكَلَّمْتُ أَوَّلَ جُمعَةٍ ، فَلَمْ يَرُدَّ عليَّ أَحَدٌ شَيْئاً ، فَخَشِيْتُ أَنْ أَكُونَ منهم ، ثُمَّ تَكَلَّمْتُ في الجُمعَةِ الثَّانِيَةِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عليَّ أَحَدٌ شَيئاً ؛ فَقُلْتُ في نَفْسي : أَنْتَ من القَوْمِ ؛ فتَكَلَّمْتُ في الجُمعَةِ الثَّالِثَةِ ، فقامَ إِليَّ هذا الرَّجُلُ ، فَرَدَّ عليَّ فَأَحْيانِي ، أَحياهُ اللهُ ، فَرَجَوْتُ أَنْ يُخْرِجَني اللهُ منهم . ثمَّ أَعطاهُ وأَجازَهُ .

وَرَواهُ ابْنُ سَبُعٍ في « شِفاءِ الصُّدُورِ » كذلكَ ، وَرَواهُ الطَّبرانيُّ في « مُعجَمِهِ الكَبير » و« الأَوْسطِ » ، وَرَواهُ الحافِظُ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ ، وَرِجالُهُ ثِقاتٌ .

● وَذَكَرَ القَزوينيُّ في « عجائِبِ المخلُوقات »[1] : أَنَّ مَن تَصَبَّحَ بوَجْهِ قِرْدٍ عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، أَتاهُ السُّرُورُ ، وَلا يَكادُ يَحْزَنُ ، واتَّسَعَ رِزْقُهُ ، وَأَحَبَّتْهُ النِّساءُ حُبّاً شَدِيداً ، وَأُعْجِبْنَ بِهِ ؛ وَفِيما قالَ نَظَرٌ ظاهِرٌ .

● **فائِدَةٌ أُخرى** : رَوى « الإِمامُ أَحمدُ »[2] عن أَبي صالِحٍ ، عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِنَّ رَجُلاً حَمَلَ مَعَهُ خَمْراً في سَفِينَةٍ لِيَبيعَهُ ، وَمَعُهُ قِرْدٌ . قالَ : فَكانَ الرَّجُل إِذا باعَ الخَمْرَ شابَهُ بِالماءِ ثمَّ باعَهُ .

قالَ : فَأَخَذَ القِرْدُ الكِيْسَ ، فَصَعَدَ بِهِ فَوْقَ الدَّقَلِ ، فَجعَلَ يَطْرَحُ دِيْناراً في البَحْرِ ، وَدِيْناراً في السَّفِينَةِ ، حتّى قَسَمَهُ » .

● وَرَواهُ البَيْهقيُّ عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَيْضاً بِمَعناهُ ، ولَفْظُهُ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا تَشُوبُوا اللَّبَنَ بِالماءِ ، فإِنَّ رَجُلاً فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ ، كان يَبِيعُ اللَّبَنَ وَيَشُوبُهُ بِالماءِ ، فَاشْتَرَى قِرْداً ، وَرَكِبَ البَحْرَ ، حتّى

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٦٥ .

(٢) مسند أحمد ٢/ ٣٠٦ و٣٣٥ و٤٠٧ ومروج الذهب ٢/ ٣٧٢ .

إذا لَجَّجَ فِيهِ ، أَلْهَمَ اللهُ القِرْدَ صُرَّةَ الدَّنانِيرِ ، فَأَخَذَها ، وصَعَدَ الدَّقَلَ ، فَفَتَحَ الصُّرَّةَ وصاحِبُها يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ دِيْناراً فَرَمَى بِهِ في البَحْرِ ، وَدِيْناراً في السَّفِينَةِ ، حَتَّى قَسَمَها نِصْفَيْن ؛ فَأَلْقَى ثَمَنَ الماءِ في البَحْرِ ، وَثَمَنَ اللَّبَنِ في السَّفِينَةِ » .

● قالَ : وَمَرَّ أَبُو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بإِنْسانٍ يَحملُ لَبَناً ، وقَدْ خَلَطَهُ بالماءِ ، فقالَ لَهُ أَبُو هُريرةَ : كَيفَ بِكَ يَوْمَ القِيامَةِ ، حَيثُ يُقالُ لَكَ : خَلِّصِ المَاءَ من اللَّبَنِ ؟ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمزَةِ » في لَفْظِ « الأَسوَدِ السَّالِخِ » حَدِيثٌ يَتَعَلَّقُ بِهذا . واللهُ تَعالى أَعلمُ .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : رَوى الحاكِمُ في « المُستدرك »[1] عن الأَصَمِّ [محمَّد بن يعقوب] ، عن الرَّبيع [بن سُليمان] ، عن الشَّافعيِّ ، عن يَحْيى بن سُليم ، عن ابْنِ جُرَيْجٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، قالَ :

دَخَلْتُ على ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، وَهُوَ يَقْرَأُ في المُصْحَفِ ـ قبلَ أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهُ ـ وَيَبْكِي ، فَقُلتُ : لَهُ : ما يُبْكِيكَ ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ ؟ فقالَ : هذِهِ الآيَةَ : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف : ١٦٣] الآية ، ثمَّ قالَ : أَتَعرِفُ أَيْلَةَ ؟ قُلْتُ : وَما أَيْلَةُ ؟ قالَ : قَرْيَةٌ كان بها أُناسٌ من اليَهُودِ ، حَرَّمَ اللهُ عليهم صَيْدَ الحِيْتانِ يَوْمَ السَّبْتِ ، فكانَتِ الحِيْتانُ تَأْتِيهِم في يَوْمِ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً بيْضاً سِماناً كَأَمْثالِ المَخاضِ ؛ فإِذا كان غَيرُ يومِ السَّبْتِ لا يَجِدُونَها ، وَلا يُدْرِكُونَها إلاّ بِمَشَقَّةٍ وَمَؤُونَةٍ .

ثمَّ إِنَّ رَجُلاً منهم أَخَذَ حُوتاً يَوْمَ السَّبْتِ ، فَرَبَطَهُ إِلى وَتَدٍ في السَّاحِلِ ، وَتَرَكَهُ في الماءِ ، حتَّى إِذا كان الغَدُ أَخَذَهُ فَأَكَلَهُ ، فَفَعَلَ ذلكَ أَهْلُ بَيْتٍ منهم ،

---

(١) المستدرك ٢/ ٣٢٢ .

فَأَخَذُوا وَشَوَوْا ، فَوَجَدَ جِيرانُهم رِيْحَ الشِّواءِ ، فَفَعلُوا كَفِعْلِهِمْ ، وَكَثُرَ ذلكَ فيهم ، فافترقُوا فِرَقاً ؛ فِرْقَةٌ أَكَلَتْ ، وَفِرْقَةٌ نَهَتْ ، وَفِرْقَةٌ قالَتْ : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٦٤] فقَالَتِ الفِرْقَةُ التي نَهَتْ : إِنَّا نُحَذِّرُكُمْ غضبَ اللهِ وَعِقابَهُ أَن يُصيبَكُم بِخَسْفٍ أَو قَذْفٍ أَو بعضِ ما عِنْدَهُ من العَذابِ ؛ وَاللهِ ما نُساكِنُكم في مَكانٍ أَنْتُم فِيهِ .

وَخَرَجُوا من السُّورِ ، ثمَّ غَدَوْا عليْهِ من الغَدِ ، فَضَرَبُوا بابَ السُّورِ ، فَلَمْ يُجِبْهُم أَحَدٌ ، فَتَسَوَّرَ إِنْسانٌ منهمُ السُّورَ ، فقالَ : قِرَدَةٌ وَاللهِ ، لَها أَذْنابٌ ، تَتَعاوَى .

ثمَّ نَزَلَ فَفَتَحَ البابَ ، وَدَخلَ النَّاسُ عليْهِم ، فَعَرَفَتِ القِرَدَةُ أَنسابَها من الإِنْسِ ، وَلَمْ تَعرفِ الإِنْسُ أَنسابَها من القِرَدَةِ .

قالَ : فَيَأْتِي القِرْدُ إِلى نَسيبِهِ وَقَريبِهِ فَيَحْتَكُّ بهِ وَيَلْصَقُ إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ الإِنْسيُّ : أَنْتَ فُلانٌ ؟ فَيُشِيرُ برأْسِهِ : أَنْ نعَمْ ، وَيَبْكِي ، وَتَأْتي القِرْدَةُ إِلى نَسيبِها وَقَريبِها الإِنْسيِّ ، فَيَقُولُ : أَنْتِ فُلانَةٌ ؟ فَتُشِيرُ بِرَأْسِها : أَنْ نَعم ، وَتَبْكِي .

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : فاسْمَع اللهَ يَقُولُ : ﴿ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوٓءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥] فَلا أَدْرِي ما فَعلَتِ الفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ ، فَكَمْ قد رَأَيْنا من مُنْكَرٍ وَلَمْ نَنْهَ عنهُ .

قالَ عِكْرِمَةُ : فقُلتُ : ما تَرَى ـ جَعَلَني اللهُ فِداكَ ـ أَنَّهم قد أَنْكَرُوا وَكرِهُوا حِينَ قالُوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الأعراف : ١٦٤] ؟ فَأَعْجَبَهُ قَوْلِي ذلكَ ، وَأَمَرَ لِي بِبُرْدَيْنِ غَلِيظَيْنِ ، فَكَسانِيْهِما .

ثمَّ قالَ : هذا صَحِيحُ الإِسْنادِ .

وَأَيْلَةُ : بَيْنَ مَدْيَنَ والطُّورِ ، على شاطِئِ البَحْرِ . وقالَ الزُّهريُّ : القَرْيَةُ

طَبَرِيَّة الشَّامِ .

● وَفي « مَعالِمِ التَّنزيل » : قالَ عِكْرِمَةُ : فقُلْتُ لَهُ : جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ ، أَلا تَراهُم قد أَنْكَرُوا وَكَرِهُوا ما هُم عَلَيْهِ ، وَقالُوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ ؟ وإِنْ لَمْ يَقُلِ اللهُ : أَنْجَيْتُهُمْ ، لَمْ يَقُلْ : أَهْلَكْتُهُمْ ؛ فَأَعْجَبَهُ قَوْلي ، ورَضِيَ بِهِ ، وأَمَرَ لِي بِبُرْدَيْنِ غَليظَيْنِ فَكَسانِيْهما ، وَقالَ : نَجَتِ السَّاكِتَةُ .

● وَفي « المُستدرك » أَيضاً[١] : عن مُسلم الزّنجيّ ، عن العَلاءِ ، عن أَبيهِ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « رَأَيْتُ في مَنامي ، كان بَني الحَكَمِ بن أَبي العاصِ يَنْزونَ على مِنْبَري كَما تَنْزُو القِرَدَةُ » . فَما رُؤيَ النَّبيُّ ﷺ مُسْتَجْمِعاً ضاحِكاً حتَّى ماتَ . ثمَّ قالَ : صَحِيحُ الإِسْنادِ على شَرْطِ مُسْلم .

● وَرَوى الطَّبرانيُّ في « مُعجمه الأَوسط »[٢] من حَديثِ أَبي سَعيدٍ الخُدْريّ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « في آخِرِ الزَّمانِ ، تَأْتي المَرْأَةُ فَتَجِدُ زَوْجَها قد مُسِخَ قِرْداً ، لأَنَّهُ لا يُؤْمِنُ بالقَدَرِ » .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : اخْتَلَفَ العُلَماءُ في المَمْسُوخِ ، هل يُعْقِبُ أَم لا ؟ على قَولين : أَحَدُهما : نَعم ؛ وَهُوَ قَوْلُ الزَّجّاجِ والقاضِي أَبي بَكْرٍ بن العَرَبيّ المالِكيّ .

وَقالَ الجُمهُورُ : لا يَكُونُ ذلكَ .

قالَ ابْنُ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : لَمْ يَعِشْ مَمْسُوخٌ قَطُّ أَكْثَرَ من ثَلاثَةِ

---

(١) لم أَقف عليه في المستدرك . وهو في مسند أَبي يعلى (٦٤٦١) والبداية والنهاية ٩/ ٢٧٠ و ١١/ ٧٧١ .

(٢) المعجم الأَوسط ٧/ ٢٠١ رقم (٧١٥٠) .

أَيّامٍ ، وَلا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ .

وَاحْتَجَّ الأَوَّلُونَ بقَولِهِ ﷺ[1] : « فُقِدَتْ أُمَّةٌ من بَنِي إِسْرائِيلَ ، لا أَدْرِي ما فَعَلَتْ ، وَلا أَراها إِلاَّ الفَأْرَ ؛ أَلا تَرَوْنَها إِذا وُضِعَ لَها أَلْبانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْها ، وإِذا وُضِعَ لَها أَلْبانُ غَيْرِها شَرِبَتْها » . خَرَّجَهُ « مُسلم » عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

وَبِحَديثِ الضَّبِّ الذي رَواهُ « مسلم » عن أَبي سَعيدٍ وَجابِرٍ قالا[2] : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ أُتِيَ بِضَبٍّ ، فَأَبى أَنْ يَأْكُلَهُ ، وَقالَ : « لا أَدْرِي لَعَلَّهُ من القُرُونِ التي مُسِخَتْ » .

قالَ أَبُو بَكرٍ بن العَربيّ المالِكيّ : وَفي « البُخاريِّ »[3] عن عَمْرو بن مَيْمُونٍ ، أَنَّهُ قالَ : رَأَيْتُ في الجاهِلِيَّةِ قِرْدَةً قد زَنَتْ ، فَرَجَمُوها ، وَرَجَمْتُها مَعهم .

ثَبَتَ في بَعْضِ نُسَخِ البُخاريّ ، وَسَقَطَ من بَعْضِها .

وَالجَوابُ عن ذلكَ : أَنَّ الحُمَيْدِي في « الجَمْعِ بَينَ الصَّحيحينِ » قالَ : حَكَى أَبُو مَسْعُودٍ الدِّمشقيّ ، أَنَّ لعمرو بن مَيْمون الأَوْديّ في الصَّحيحين حِكايَةً من رِوايَةِ حُصَيْنٍ عنهُ ، قالَ : رَأَيْتُ في الجاهِلِيَّةِ قِرْدَةً قد زَنَتْ ، اجْتَمَعَ عَلَيْها قِرَدَةٌ فَرَجَمُوها ، وَرَجَمْتُها معهم . كَذا حَكاهُ أَبو مسعُودٍ ، وَلَمْ يَذكرْ في أَيِّ مَوْضِعٍ أَخْرَجَهُ البُخاريُّ .

فَبَحَثْنا عن ذلكَ ، فَوَجَدْناهُ في بعضِ النُّسَخِ ، لا فِي كُلِّها ، مَذْكُوراً في « كِتابِ أَيّامِ الجاهِلِيَّةِ » ، وَلَيْسَ في رِوايَةِ الفِرَبْريّ أَصْلاً شَيءٌ من هذا الخَبَرِ في

---

(١) مضى تخريج الحديث ، في « الفأر » .

(٢) مضى تخريجه ، في « الضَّبّ » .

(٣) البخاريّ ٤/ ٢٣٨ [كتاب مناقب الأنصار ، باب أَيَّام الجاهليَّة] .

القِرَدَةِ ، وَلَعلَّها من المُقْحَماتِ في كِتابِ البُخاريّ .

وَالذي قَالَهُ البُخاريُّ في « التَّارِيخِ الكَبيرِ »[1] قالَ : قال لِي نُعَيْم بن حمَّاد : أَخبرَنا هُشيم ، عن أَبي بَلْجٍ وَحُصين ، عن عَمرو بن مَيْمُون الأَوْديّ ، قالَ : رَأَيْتُ في الجاهِلِيَّةِ قِرْدَةً ، اجْتَمَعَ عَلَيْها قِرَدَةٌ فَرَجَمُوها ، وَرَجَمْتُها مَعهم . وَليسَ فِيهِ « قَدْ زَنَتْ » . فَلَئِنْ صَحَّتْ هذِهِ الرِّوايَةُ ، فإِنَّما أَخْرَجَها البُخاريُّ دَلِيلاً على أَنَّ عَمرو بن مَيمُونٍ قد أَدْرَكَ الجاهِلِيَّةَ ، وَلَمْ يُبالِ بظَنِّهِ الذِي ظَنَّهُ .

وَذَكَرَ أَبُو عُمر بن عبد البَرِّ في « الاستِيعابِ »[2] عَمرو بن مَيْمُونٍ ، وَقالَ : إِنَّهُ مَعْدُودٌ في كِبارِ التَّابِعينَ من الكُوفيِّينَ .

قالَ : وَهُوَ الذِي رَأَى الرَّجْمَ في الجاهِلِيَّةِ من القِرَدَةِ إِنْ صَحَّ ذلكَ ، لأَنَّ رُواتَهُ مَجْهُولُونَ .

وَذَكَرَ البُخاريُّ عن نُعيمٍ ، عن هُشيمٍ ، عن حُصَيْن ، عن عَمرو بن مَيمون الأَوْديّ مُخْتصراً ، قالَ : رَأَيْتُ في الجاهِلِيَّةِ قِرْدَةً زَنَتْ ، فَرَجَمُوها . فَذَكَرَهُ ، ثمَّ قالَ : والقِصَّةُ بِطُولِها تَدُورُ على عَبدِ المَلِكِ بن مُسلمٍ ، عن عِيسى بن حِطَّان ، وَلَيْسا مِمَّنْ يُحْتَجُّ بِهِما ، وَهَذا عِنْدَ جَماعَةٍ من أَهْلِ العِلْمِ مُنْكَرٌ إِضافَةُ الزِّنا إِلى غَيرِ مُكَلَّفٍ ، وإِقامَةُ الحُدُودِ على البَهائِمِ ؛ وَلَوْ صَحَّ لَكانُوا من الجِنِّ ، لأَنَّ العِباداتِ والتَّكْليفاتِ في الجِنِّ والإِنْسِ دُونَ غَيْرِهما . ا هـ .

● وَعَمرو بن مَيْمُونٍ المذكورُ : خَرَّجَ لَهُ أَصْحابُ الكُتُبِ السِّتَّةِ ، وَحَجَّ

---

(١) التَّاريخ الكبير ٦/ ٣٦٧ وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٦٥ .

(٢) الاستيعاب ٣/ ١٢٠٥ وأُسد الغابة ٤/ ٢٧٥ .

سِتِّيْنَ حِجَّةً ؛ تُوُفِّيَ في سَنَةِ خَمسٍ وسَبعينَ ، وَكانَ من الذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ تَعالى[1] .

● وَأَمَّا حَدِيثُ الضَّبِّ والفَأْرِ ، فَكانَ ذلكَ قَبلَ أَنْ يُوحَى إلَيْه ﷺ أَنَّ اللهَ تَعالى لَمْ يَجْعَلْ لِلمَمْسُوخِ نَسْلاً ؛ فَلَمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ ، زَالَ عنهُ ذلكَ التَّخَوُّفُ ، وَعَلِمَ أَنَّ الضَّبَّ والفَأْرَ لَيْسا مِمَّا مُسِخَ ؛ فعندَ ذلكَ أَخْبَرَنا بقولِه ﷺ لِمَنْ سَأَلَهُ عن القِرَدَةِ والخَنازِيرِ أَهِيَ مِمَّا مُسِخَ ؟ فقالَ ﷺ[2] : « إِنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْ قَوْماً ـ أَوْ يُعَذِّبْ قَوْماً ـ فَيَجعلَ لَهم نَسْلاً ؛ وإِنَّ القِرَدَةَ والخَنازِيرَ كانُوا قَبلَ ذلكَ » .

وَهذا نَصٌّ صَريحٌ رَواهُ عبدُ اللهِ بن مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ « مُسلم » في « كِتابِ القَدَرِ » .

وَثَبَتَتِ النُّصُوصُ بِأَكْلِ الضَّبِّ بِحَضْرَتِهِ ﷺ وَعلى مائِدَتِهِ ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ ؛ فَدَلَّ ذلكَ على صِحَّةِ ما قُلْناهُ .

● وَعَنْ مُجاهِدٍ ، في تَفسيرِ آيَةِ المَسْخِ في بَني إِسرائيلَ : إِنَّما مُسِخَتْ قُلُوبُهم فَقط ، وَرُدَّتْ أَفْهامُهم كَأَفْهامِ القِرَدَةِ . وهذا قَولٌ تَفَرَّدَ بِهِ عن جَميعِ المُسْلِمينَ .

الحُكْمُ : أَكْلُ القِرْدِ حَرامٌ عندَنا ، وَبِهِ قالَ عِكْرِمَةُ ، وَعَطاءٌ ، وَمُجاهِدُ ، وَالحَسَنُ ، وَابْنُ حَبِيب من المالِكِيَّةِ ؛ وَقالَ مالِكٌ وَجُمْهورُ أَصْحابِهِ : لَيْسَ بِحَرامٍ .

وَأَمَّا بَيْعُهُ فَيَجُوزُ ، لأَنَّهُ يَقْبَلُ التَّعْلِيمَ ، فَيُمْسِكُ الشَّمْعَةَ ، وَيَحْفَظُ الأَمْتِعَةَ .

وَقالَ ابنُ عبد البَرِّ في أَوائِلِ « التَّمهِيدِ » : لا أَعْلَمُ بينَ عُلماءِ المُسلمين

---

(١) ترجمته في : الاستيعاب وحلية الأولياء ٤/ ١٤٨ وأُسد الغابة ٤/ ٢٧٥ وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٦١ وسير أعلام النُّبلاء ٤/ ١٥٨ وتهذيب التَّهذيب ٨/ ١٠٩ .

(٢) مسلم (٢٦٦٣) ومسند أحمد ١/ ٣٩٠ و ٤٣٣ .

خِلافاً في أَنَّ القِرْدَ لا يُؤْكَلُ ، ولا يَجُوزُ بَيْعُهُ ، لأَنَّهُ مِمَّا لا مَنْفَعَةَ فِيهِ ؛ وَما عَلِمْتُ أَحَداً رَخَّصَ في أَكْلِهِ .

وَالكَلْبُ والفِيلُ وَذُو النَّابِ كُلُّهُ عِنْدِي مِثْلُهُ ، والحُجَّةُ في قولِ رَسولِ اللهِ ﷺ لا فِي قَوْلِ غَيْرِهِ ؛ وَما يَحتاجُ القِرْدُ وَمِثْلُهُ إِلى النَّهْي عنهُ ، لأَنَّهُ يَنْهي عن نَفْسِهِ بِزَجْرِ الطِّباعِ ، وَالنُّفُوسُ تَنْأَى عنهُ ، وَلَمْ يَبلغنا عن العَرَبِ وَلا عن غيرِهم أَكْلُهُ .

وَرُوِيَ عن الشَّعبيِّ ، قالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن لَحْمِ القِرْدِ ، لأَنَّهُ سَبُعٌ . فَيَدْخُلُ في عُمُومِ الخَبَرِ .

الأَمثالُ : مِنها قولُهُ[١] : [من الرجز]

واسْجُدْ لِقِرْدِ السُّوءِ في زَمانِهِ ... وَدارِهِ ما دُمْتَ في سُلْطانِهِ

وَقالُوا : « أَزْنَى من قِرْدٍ »[٢] ، و« أَحْكَى من قِرْدٍ »[٣] لأَنَّهُ يَحْكِي الإِنْسانَ في أَفْعالِهِ ، سِوى المَنْطِقِ .

قالَ أَبو الطَّيِّب[٤] : [من الطويل]

يَرُومُونَ شَأْوِي في الكَلامِ وإِنَّما ... يُحاكَى الفَتى فِيها خَلا المَنْطِقَ القِرْدُ

وَقالُوا : « أَقْبَحُ من قِرْدٍ »[٥] و« أَوْلَغُ من قِرْدٍ »[٦] لأَنَّهُ إِذا رَأَى الإِنْسانَ

---

(١) الشَّطران للعتابي في الحيوان ١/ ٣٥٥ . والأَوَّل ومعه آخر في ٧/ ١٦٦ والعقد الفريد ٢/ ٤٤٣ بلا نسبة .

(٢) الميداني ١/ ٣٢٦ والعسكريّ ١/ ٥٠٦ والزَّمخشريّ ١/ ١٤٩ . وزعم الهيثم بن عدي : أَنَّ قرداً اسم رجلٍ من هذيل ، يقال له : قرد بن معاوية .

(٣) الميداني ١/ ٢٢٩ وحمزة ١/ ١٣٤ والعسكريّ ١/ ٤٠٤ والزَّمخشريّ ١/ ٧٠ .

(٤) ديوانه ٢/ ٩ .

(٥) الميداني ٢/ ١٢٩ وحمزة ٢/ ٣٥١ والعسكري ٢/ ١١٥ والزمخشري ١/ ٢٧٧ .

(٦) الميداني ٢/ ٣٨١ والعسكري ٢/ ٣٥١ والزَّمخشري ١/ ٤٣٩ . وفي الدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٤١٥ : أَولغ من قرد .

تَوَلَّعَ بِفِعْلِ شَيْءٍ ، أَخَذَ يَفْعَلُهُ مِثْلَهُ .

الخَواصُّ : قالَ الجاحِظُ[1] : لَحْمُ القِرْدِ سَبيلُهُ سَبيلُ لَحْمِ الكَلْبِ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ منهُ وَأَخْبَثُ .

قالَ ابْنُ السُّويديّ[2] : إذا عُلِّقَ سِنُّهُ على إنْسانٍ ، لَمْ يَغْلِبْهُ النَّومُ وَلا الفَزَعُ باللَّيْلِ .

وَأَكْلُ لَحْمِهِ يَمنعُ من الجُذامِ .

وَجِلْدُهُ إذا عُلِّقَ على شَجَرَةٍ ، دَفَعَ عنها ضَرَرَ البَرْدِ ، وإذا اتُّخِذَ من جِلْدِهِ غِرْبالٌ ، وَغُرْبِلَ بِهِ الزَّرِيعَةُ وزُرِعَتْ ، فإنَّها تَسْلَمُ من آفاتِ الجَرادِ . وإذا سُقِيَ إنْسانٌ من دَمِ قِرْدٍ وَهُوَ حارٌّ ، خَرِسَ من وَقْتِهِ .

وإذا رَأَى القِرْدُ طَعاماً مَسْمُوماً ، خافَ وَصاحَ .

وإذا جُعِلَ شَعْرُهُ تَحْتَ رَأْسِ نائِمٍ ، رَأَى أَهْوالاً تُفْزِعُهُ .

التَّعبيرُ[3] : القِرْدُ في المَنامِ : رَجلٌ فِيهِ كُلُّ عَيْبٍ مُخالِفٍ ، لأَنَّ اللهَ تَعالَى نَهاهُ فَلَمْ يَنْتَهِ ، فَمَسَخَهُ .

وَمَنْ رَأَى قِرْداً يُقاتِلُهُ ، وَغَلَبَ القِرْد ، فإنَّ الرَّائي يَمْرَضُ وَيَبْرَأُ ؛ فإنْ غَلَبَهُ القِرْدُ ، فَلا يُرْجَى بُرْؤُهُ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ أَكَلَ لَحْمَ قِرْدٍ ، فإنَّهُ يُعالِجُ دَاءً لا يُرْجَى بُرْؤُهُ منهُ .

وقالَتِ النَّصارَى : من أَكَلَ لَحْمَ قِرْدٍ ، لَبِسَ جَديداً ؛ وَمَنْ وُهِبَ قِرْداً في مَنامِهِ ، انْتَصَرَ على عَدُوِّهِ .

---

(١) الحيوان ٤/ ٤١ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٦٥ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٣ .

(٣) تعبير الرُّؤيا ١٨٩ وتفسير الواعظ ٢٨٨ .

وَمَنْ رَأى قِرْداً عَضَّهُ خاصَمَ إِنْساناً .

وَمَنْ رَأى قِرْداً في فِراشِهِ ، فإِنَّ يَهُودِيّاً يَفْجُرُ بامْرَأَتِهِ ؛ وَكَذا إِذا أَكَلَ على مائِدَتِهِ .

والقِرْدُ : رَجُلٌ زَالَتْ نِعْمَتُهُ لِكَبيرَةٍ ارْتَكَبَها .

وَمَنْ نَكَحَ قِرْداً ، ارْتَكَبَ فاحِشَةً ، أَو خاصَمَ إِنْساناً .

وَقالَ أَرطاميدورس : القِرْدُ : رَجُلٌ مَكّارٌ خَدّاعٌ ، وَيَدُلُّ على مَرَضِ المَريضِ ، وَما يَحْدُثُ من القَمَرِ ، لأَنَّ القِرْدَ من حَيوانِ القَمَرِ .

وَقال جاماسب : من صادَ قِرْداً ، انْتَفَعَ من جِهَةِ السَّحَرَةِ والكَهَنَةِ . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٨٠٥ **القُرْدُوحُ** : الضَّخْمُ من القِرْدانِ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[١] .

٨٠٦ **القِرْشُ** : بِكَسْرِ القافِ ، وإِسْكانِ الرّاءِ المُهملةِ ، وَبالشِّيْنِ المُعجمَةِ في آخِرِهِ : دابَّةٌ عَظِيمةٌ من دَوابِّ البَحرِ ، تَمْنعُ السُّفُنَ من السَّيْرِ في البَحرِ ، وَتَدْفَعُ السَّفِينَةَ فَتَقْلِبُها ، وَتَضْرِبُها فتَكسِرُها[٢] .

● قالَ الزَّمخشريُّ[٢] : سَمعتُ بعضَ التُّجّارِ بِمَكَّةَ ، وَنَحْنُ قُعُودٌ عندَ بابِ بَني شَيْبَةَ ، وَهُوَ يَصِفُ لِيَ القِرْشَ ، فقالَ : هُوَ مُدَوَّرُ الخِلْقَةِ ، وَعِظَمُهُ كَما من مَقامِنا هذا إِلى الكَعْبَةِ ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ للسُّفُنِ الكِبارِ ، فَلا يَرُدُّهُ شَيْءٌ إِلاّ أَنْ يَأْخُذَ أَهْلُها المَشاعِلَ ، فَيَمُرُّ على وَجْهِهِ مِثْلَ البَرْقِ ؛ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ جَلَلٌ إِلاّ النّارَ ؛ وَبِهِ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشاً ؛ قالَ الشّاعِرُ[٣] : [من الخفيف]

---

(١) وعنه اللِّسان « قردح » ٥/ ٣٥٧٧ .

(٢) ربيع الأبرار ٥/ ٤٣٧ .

(٣) الأبيات للمشمرج بن عمرو الحميريّ في معجم الشُّعراء ٤٣٦ ـ ٤٣٧ والمنتظم ٢/ ٢٢٨ وربيع الأبرار ٥/ ٤٣٨ . وهي لتُبَّع في أخبار مكَّة للأزرقيّ ١/ ١٠٩ وللجمحيّ في مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٢٤ . وبلا نسبة في الديباج للختّلي ٧٢ .

وَقُـرَيْـشٌ هِـيَ الـتي تَسْكُـنُ البَحْـ ـرَ بهـا سُمِّيَـتْ قُـرَيْـشٌ قُـرَيْشـا
تَـأْكُـلُ الغَـثَّ والسَّمِيْـنَ ولا تَتْـ ـرُكُ فِيـه لِـذِي جَنـاحَيْـنِ رِيْشـا
هَكَـذا فـي البِـلادِ حَـيُّ قُـرَيْـشٍ يَـأْكُلُـونَ البِـلادَ أَكْـلاً كَمِيْشـا
وَلَهُـمْ آخِـرَ الـزَّمـانِ نَبِـيٌّ يُكْثِـرُ القَتْـلَ فِيْهِـمُ والخُمُـوشـا

الخُمُوشُ : الخُدُوشُ . وَأَكْلاً كَمِيشاً : أَي سَريعاً .

● وَقالَ ابْنُ سِيْدَه[1] : قُرَيْشُ : دابَّةٌ في البَحْرِ ، لا تَدَعُ دابَّةً إِلاَّ أَكَلَتْها ، فَجَمِيعُ الدَّوابِّ تَخافُها ؛ ثمَّ أَنْشَدَ البَيْتَ الأَوَّلَ .

● وَقالَ المُطَرِّزِيّ : هِيَ سَيِّدَةُ الدَّوابِّ البَحْرِيَّةِ وَأَشَدُّها ، وَكذلكَ قُرَيْشٌ ساداتُ النَّاسِ .

● وَحَكى أَبُو الخطَّابِ بن دِحْيَةَ في تَسميَةِ قُرَيشٍ ، وَفي أَوَّلِ من تَسَمَّى بِهِ ، عِشرينَ قَوْلاً .

● **فائِدَةٌ أَجنبِيَّةٌ** : قُرَيْشُ بن مالِكِ بن النَّضر بن كِنانَةَ ، جَدُّ النَّبيِّ ﷺ هُوَ الذي تُنْسَبُ إِلَيْهِ قُرَيشٌ ، وَمِنْ وُلْدِهِ بَدْرُ بن قُرَيش ، الذي سُمِّيَتْ به بَدْرٌ بَدْراً ؛ وَأُمُّ النَّضرِ بَرَّةُ بنتُ مُرِّ بن أُدِّ بن طابِخَةَ ، تَزَوَّجَها كِنانَةُ بعدَ مَوْتِ أَبِيه خُزَيْمَةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ النَّضرَ ، على ما كانَتِ الجاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ ، إِذا ماتَ الرَّجُلُ خَلَفَهُ على زَوْجَتِهِ بَعْدَهُ أَكْبَرُ بَنِيهِ من غَيْرِها . كذا قالَهُ السُّهَيْلِيُّ[2] رَحمهُ اللهُ تَعالى تِبَعاً للزُّبَيْرِ بن بَكَّار .

قالَ : وَلذلكَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النِّساء : ٢٢] أَي من تَحْليلِ ذلكَ قبلَ الإِسْلام .

وفائِدَةُ الاسْتِثْناءِ هُنا ، لِئَلاَّ يُعابَ نَسَبُ النَّبيِّ ﷺ ؛ وَلِيُعْلَمَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ

(١) وعنه اللِّسان « قرش » ٥/ ٣٥٨٦ .
(٢) الرَّوض الأُنف ١/ ٢٣٧ .

في أَجْدادِهِ نِكاحُ سِفاحٍ ؛ أَلا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ في شَيْءٍ نَهى عنهُ في القُرآن نحو ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء : ٣٢] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] ولا في شَيْءٍ من المَعاصِي التي نَهى عَنْها ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النِّساء : ٢٢] إلاّ في هذهِ الآيَةِ ، وَفي الجَمْعِ بين الأُخْتَيْن ، فإنَّ الجمعَ بَيْنَهُما كان مُباحاً في شَرْعِ مَن قَبْلَنا ؛ وَقَدْ جَمَعَ يَعقُوبُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بين الأُخْتَيْنِ وَهُما راحِيل وَلَيا ، فَقَولُهُ تَعالى : ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النِّساء : ٢٢] الْتِفاتٌ إلى هذا المَعْنى .

قالَ : وَهَذِهِ النُّكْتَةُ من الإمامِ أَبي بَكر ابن العربيّ .

● قالَ الحافِظُ قُطْبُ الدِّينِ عبد الكَرِيم(١) : وَلَمَّا وَقَفْتُ على هذا ، أَقَمْتُ مُفَكِّراً مُدَّةً ، لِكَوْنِ أَنَّ بَرَّةَ المذكورَةَ كانَتْ زَوْجاً لِخُزَيْمَةَ ، فَخَلَفَ عليْها كِنانَةُ بن خُزَيْمة ، فَجاءَ لَهُ مِنها النَّضْرُ بن كِنانة ؛ وأَنَّ هذا وَقَعَ في نَسَبِ النَّبيِّ ﷺ ، وقد رَوينا عن النبي ﷺ أَنَّهُ قالَ : « مَا وَلَدَني من سِفاحِ أَهْلِ الجاهليَّةِ شَيْءٌ ، إِنَّما وُلِدْتُ من نِكاحٍ كَنِكاحِ الإِسْلامِ » إلى أَنْ رَأَيْتُ أَبا عُثْمانَ عَمرو بن بَحر الجاحِظِ ، قالَ في كِتابٍ لَهُ سَمَّاهُ بِكِتابِ « الأَصْنامِ » :

وَخَلَفَ كِنانَةُ بن خُزَيْمَةَ على زَوْجَةِ أَبيهِ بَعدَ وَفاتِهِ ، وَهِيَ بَرَّةُ بنتُ أُدِّ بنِ طابخَةَ ، جَدّ كِنانَة بن خُزَيْمَةَ ؛ وَلَمْ تَلِدْ لِكِنانَةَ وَلَداً ذَكَراً وَلا أُنْثى ، وَلكِنْ كانَتِ ابْنَةُ أَخِيها بَرَّةُ بنتُ مُرِّ بنِ أُدِّ بن طَابِخَةَ تَحْتَ كِنانَةَ بن خُزَيْمَةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ النَّضْرُ ابن كِنانة(٢) .

قالَ : وإِنَّما غَلِطَ كَثِيرٌ من النَّاسِ ، لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ كِنانَةَ خَلَفَهُ على زَوْجَةِ

---

(١) قطب الدِّين ، أَبو طالب ، عبد الكريم بن القاضي أَبي الحسن عليِّ بن أَبي اليُمْنِ البغداديّ . (مجمع الآداب لابن الفوطيّ ٣/ ٤٠٠ ط . طهران) .

(٢) ينظر أُمَّهات النَّبيِّ ﷺ لابن حبيب ١٢٥ [ضمن جمهرة النَّسب لابن الكلبي - ط . الكويت] . وطبقات ابن سعد ١/ ٤٧ ففيهما ما يؤيِّد قول الجاحظ .

أَبِيهِ ، لاتِّفاقِ اسْمِهما ، وتَقارُبِ نَسَبِهما ، وَهُو الذي عليْهِ مَشايِخُنا وَأَهْلُ العِلْمِ والنَّسَبِ .

قالَ : وَمَعاذَ اللهِ أَنْ يَكُونَ أَصابَ نَسَبَ النَّبيِّ ﷺ نِكاحُ مَقْتٍ ، وَقد قالَ ﷺ : « مَا زِلْتُ أَخْرُجُ من نِكاحٍ كَنِكاحِ الإِسْلامِ ، حتَّى خَرَجْتُ من بَيْنِ أبي وَأُمِّي » .

ثُمَّ قالَ : وَمَنِ اعْتَقَدَ غيرَ هذا ، فقد كَفَرَ وَشَكَّ في هذا الخَبَرِ .

قالَ : والحَمْدُ للهِ الذي نَزَّهَهُ عن كُلِّ وَصْمٍ ، وَطَهَّرَهُ تَطْهِيراً . ا هـ .

قُلتُ : وَهذا أَرْجُو بِهِ الفَوْزَ للجاحِظِ في مُنْقَلَبِهِ ، وَأَنْ يَتجاوَزَ اللهُ عنهُ ما سَطَّرَهُ في كُتُبِهِ .

● وَأَشَرْتُ إِلى ذلكَ في أَوَّلِ « كِتابِ السِّيَرِ » من المَنْظُومَةِ بِقَوْلي : [من الرجز]

مُحَمَّــدٌ خَيْــرُ جَمِيــعِ الخَلْــقِ ... جَـاءَ مِـنَ الحَـقِّ لَنـا بـالحَـقِّ
دَعْــوَةُ إِبْــراهِيــمِ الخَليــلِ ... بِشــارَةُ المَسِيــحِ فــي التَّنْــزِيــلِ
الطَّيِّــبُ الأُصُــولِ والفُــرُوعِ ... الطَّــاهِــرُ المَحْتِــدِ واليَنْبُــوعِ
آبــاؤُهُ قــد طَهُــرَتْ أَنْســابــا ... وَشَــرُفَــتْ بَيْــنَ الــوَرَى أَحْســابــا
نِكــاحُهُــم مِثْــلُ نِكــاحِ الإِسْــلامْ ... كَــذا رَواهُ النُّجَبــاءُ الأَعْــلامْ
وَمَــنْ أَبـي أَوْ شَـكَّ فـي هـذا كَفَـرْ ... وَذَنْبُــهُ بِمــا جَنــاهُ مــا اغْتَفَــرْ
نَقَـلَ ذا الحـافِـظُ قُطْـبُ الـدِّيـنِ ... عَـنْ صـاحِـبِ « البَيـانِ وَالتَّبْيِيـنِ »

الحُكْمُ : أَفْتى شَيْخُنا جَمالُ الدِّينِ الإِسْنَوِيّ رحمهُ اللهُ تَعالى بِحِلِّ أَكْلِ القِرْشِ .

وَبِهِ صَرَّحَ الشَّيْخُ مُحِبُّ الدِّيْنِ الطَّبريّ ، شارح « التَّنبيه » في الكَلامِ على «التِّمْساحِ» ، ثمَّ اسْتَشْكَلَ بِهِ تَحْرِيمَ التِّمْسَاحِ ؛ وَهَذا يَدُلُّ على أَنَّهُ لا خِلافَ فِيهِ .

وَفي « نِهايَةِ ابنِ الأَثِيرِ » التَّصْريحُ بِحِلِّه[1] ؛ لَكِنْ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : إِنَّهُ يَأْكُلُ وَلا يُؤْكَلُ . وَلعلَّ مُرادَهُ أَنَّهُ يَأْكُلُ الحَيواناتِ البَحريَّةَ ، وَلا يَستطِيعُ أَحَدٌ منها أَنْ يَأْكُلَهُ .

● وَالقِرْشُ يُوجَدُ بِبَحْرِ القُلْزُمِ الذي غَرِقَ فِيهِ فِرْعَوْنُ ، وَهوَ عندَ عَقَبَةِ الحاجِّ ، كَما تَقَدَّمَ في « بابِ السِّينِ المهملَةِ » في الكَلامِ على « السَّقنقور » .

وإِطْلاقُ الجُمهُورِ ، وَنَصُّ الإمامِ الشَّافعيِّ ، وَالقُرآنُ العَزيزُ ، يَدُلُّ على جَوازِ أَكْلِ القِرْشِ ، لأَنَّهُ من السَّمَكِ ، وَمِمَّا لا يَعِيشُ إِلاَّ في الماءِ .

وَقد ذَكَرَ النَّوويُّ في « شَرْحِ المُهَذَّب » أَنَّ الصَّحيحَ : أَنَّ كُلَّ ما فِي البَحْرِ حَلالٌ ؛ وَيُحْمَلُ ما اسْتَثْناهُ الأَصْحابُ على ما يَعِيشُ في غَيرِ الماءِ .

التَّعبيرُ : رُؤْيَتُهُ في المَنامِ : تَدُلُّ على عُلُوِّ الهِمَّةِ ، وَالشَّرَفِ في النَّسَبِ ؛ فإِنَّهُ يَعْلُو وَلا يُعْلَى عليْهِ . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٨٠٧ **القِرْقِسُ** : بِكَسْرِ القافَيْنِ : البَعُوضُ[2] .

● قالَ الأَصْحابُ : يُسْتَحَبُّ قَتْلُ المُؤْذياتِ للمُحْرِمِ وَغَيْرِهِ ، كَالحَيَّةِ ، وَالعَقْرَبِ ، وَالخِنْزِيرِ ، وَالكَلْبِ العَقُورِ ، وَالغُرابِ ، وَالحِدَأَةِ ، وَالذِّئْبِ ، وَالأَسَدِ ، وَالنَّمِرِ ، وَالدُّبِّ ، وَالنَّسْرِ ، وَالعُقابِ ، وَالبُرْغُوثِ ، وَالبَقِّ ، وَالزُّنْبُورِ ، وَالقُرادِ ، وَالحَلَمَةِ ، وَالقِرْقِسِ ، وَما أَشْبَهها .

٨٠٨ **القِرْشامُ** : والقُرْشُومُ والقُراشِمُ : القُرادُ الضَّخْمُ[3] .

٨٠٩ **القَرَعْبلانَةُ** : دُوَيْبَّةٌ عَرِيضَةٌ مُحْبَنْطِئَةٌ ، عَظِيمَةُ البَطْنِ ؛ وَأَصْلُهُ

---

(١) لم يرد هذا في مادّة « قرش » . النِّهاية ٤/ ٤٠ .

(٢) الصِّحاح « جرجس » ٣/ ٩١٣ و « قرقس » ٣/ ٩٦٢ : وهو البعوض الصِّغارُ .

(٣) الصِّحاح « قرشم » ٥/ ٢٠١٠ واللِّسان ٥/ ٣٥٨٧ .

قَرَعْبَلٌ ، فَزِيْدَتْ فِيه ثَلاثَةُ أَحْرُفٍ ، لأَنَّ الاسْمَ لا يَكُونُ على أَكْثَرَ من خَمْسَةِ أَحْرُفٍ ؛ وَتَصْغِيرُهُ قُرَيْعِبَةٌ . قالَهُ الجوهريُّ[1] .

٨١٠ القُرْعُوشُ : القُرادُ الغَلِيظُ[2] .

٨١١ القُرْقُفُ : كَهُدْهُدٍ : طَيْرٌ صَغِيرٌ[3] .

٨١٢ القَرْقَفَنَّةُ : بِالنُّونِ المُشَدَّدَةِ ، كذا ضَبَطَهُ في « العُبابِ » .

● رَوَى الدِّيْنَوَرِيُّ في « المُجالسَةِ » والزَّمخشريُّ وابْنُ الأَثِيرِ[4] ، من حَدِيثِ وَهْبٍ : « إذا كان الرَّجُلُ لا يُنْكِرُ عَمَلَ السُّوْءِ على أَهْلِهِ ، جاءَ طائِرٌ يُقالُ لَهُ : القَرْقَفَنَّةُ ، فَيَقَعُ على مِشْرِيقِ بابِهِ ، فَيَمْكُثُ هُناكَ أَربعينَ يَوْماً ، فإِنْ أَنْكَرَ طَارَ وَذَهَبَ ، وإِنْ لَمْ يُنْكِرْ مَسَحَ بِجَناحَيْهِ على عَيْنَيْهِ ، فَصَارَ قُنْذُعاً دَيُّوثاً ؛ فَلَوْ رَأَى الرِّجالَ مع امْرَأَتِهِ ، لَمْ يَرَ ذلكَ قَبيحاً ، فذلكَ القُنْذُعُ الدَّيُّوثُ الذَّلِيلُ لا يَنْظُرُ اللهُ تَعالى إِلَيْهِ » .

● قالَ إبراهِيمُ الحَرْبِيُّ[4] : مِشْرِيقُ البابِ : مَدْخَلُ الشَّمْسِ . والقُنْذُعُ : الدَّيُّوثُ الذَّلِيلُ ، الذي لا يَغارُ ولا يَفْهَمُ ؛ وَذَكَرَهُ الهَرَوِيُّ بِمعناهُ .

٨١٣ القُرِلَّى : بِضَمِّ القافِ وَكَسْرِها وَفَتْحِها : مُلاعِبُ ظِلِّهِ ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الميم » .

● قالَ الجَواليقيُّ[5] : هُو فارِسيٌّ مُعَرَّبٌ .

---

(١) الصّحاح « قرعبل » ٥/ ١٨٠٠ .

(٢) كذا في الأُصول . وفي اللّسان « قرعش » ٥/ ٣٥٩٩ : القُرْعُوشُ والقِرْعَوْشُ : الجمل الذي له سنامان . وفي القاموس ٢/ ٢٩٥ : القُرْعُوشُ ـ كزُنْبُورٍ ـ: الجملُ له سنامان، وَوَلَدُ الأَسد.

(٣) القاموس « قرقف » ٣/ ١٩١ .

(٤) المجالسة ٦/ ٢٤٦ و ٧/ ١٢٧ والفائق ٢/ ٢٤١ والنّهاية ٢/ ٤٦٥ واللّسان « قرقف » .

(٥) في المعرّب ٣١٤ ، القِرلّى : الطّائر الذي يصطاد السّمك أَعجميٌّ معرَّبٌ .

● وَقالَ المَيْدانيُّ[1] : إِنَّهُ طائِرٌ صَغِيرُ الجِرْمِ ، حَدِيدُ البَصَرِ ، سَرِيعُ الاخْتِطافِ ، لا يُرَى إِلاَّ مُرَفْرِفاً على وَجْهِ الماءِ على جانِبٍ كَطَيَرانِ الحِدَأَةِ ، يَهْوِي بإِحْدَى عَيْنَيْهِ إِلى قَعْرِ الماءِ طَمعاً ، وَيَرْفَعُ الأُخْرى إِلى الهَواءِ حَذَراً ؛ فإِنْ أَبْصَرَ في الماءِ ما يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ من السَّمَكِ أَوْ غَيرِهِ انْقَضَّ عَلَيْهِ كَالسَّهْمِ المُرْسَلِ ، فَأَخْرَجَهُ من قَعْرِ الماءِ ؛ وإِنْ أَبْصَرَ فِي الهَواءِ جارِحاً مَرَّ في الأَرْضِ .

وَمِنْ أَسْجاعِ ابْنَةِ الخُسِّ[2] : كُنْ حَذِراً كالقِرِلَّى ، إِنْ رَأَى خَيْراً تَدَلَّى ، أَوْ رَأَى شَرّاً تَوَلَّى .

وَقالَ حَمزةُ : قد خالَفَ رُواةُ النَّسَبِ هذا التَّفْسيرَ فقالُوا : إِنَّ قِرِلَّى اسْمُ رَجُلٍ من العَرَبِ ، كان لا يَتَخَلَّفُ عن طَعامِ أَحدٍ ، وَلا يَتْرُكُ مَوْضِعَ طَمَعٍ إِلاَّ قَصَدَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ صادَفَ في طَرِيقٍ قد سَلَكَهُ خُصُومَةً ، تَرَكَ ذلكَ الطَّرِيقَ وَلَمْ يَمُرَّ بِهِ ؛ فَلِذلكَ قالُوا فِيهِ : أَطْمَعُ من قِرِلَّى ؛ فَهَذا ما حَكاهُ النَّسَّابُونَ في تَفْسِيرِ هذا المَثَلِ .

ثمَّ قالَ : وَأَنا أَقُولُ : إِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ هذا الرَّجُلُ تَشَبَّهَ بِهذا الطَّائِرِ ، وَتَسَمَّى باسْمِهِ .

قالَ الشَّاعِرُ[3] : [من المجتثّ]

يَا مَنْ جَفانِي وَمَلاّ نَسِيتَ أَهْلاً وَسَهْلا

---

(١) الميدانيّ ١/ ٢٦١ [أَخطف من قِرِلّى] وحمزة ١/ ١٩٥ وثمار القلوب ٢/ ٧١٥ وشرح ديوان أَبي نواس لحمزة ١/ ٣٥١ .

(٢) ابنة الخُسِّ ، هي : هند بنت الخُسِّ بن حابس بن قُريط الإياديّة . (سمط اللآلي ١/ ١٧٥ وأَعلام النِّساء ٥/ ٢٣١) . وقولها في : الميداني ١/ ٢٢٨ و ٢٦١ والزَّمخشريّ ١/ ٦٢ وثمار القلوب ٢/ ٧١٥ والرِّسالة البغداديّة ٦٣ .

(٣) الأَبيات لأَبي نواس ، في ديوانه ١/ ٣٥١ (فاغنر) و ٦٠٠ (غزالي) . يعاتب عمراً الورّاق . وهي بلا نسبة في مصادر المثل « أَخطف من قِرِلّى » واللِّسان والتّاج « قرل » .

وَمـــاتَ مَـــرْحَـــبُ لَمَّـــا رَأَيْـــتَ مـــالـــيَ قَـــلاً
إِنِّـــي أَظُنُّـــكَ تَحْكِـــي بِمـــا فَعَلْـــتَ القِـــرِلَّـــى

الحُكْمُ : يَحِلَّ أَكْلُهُ ، لأَنَّهُ من طَيْرِ الماءِ .

الأَمثالُ : قالُوا : « أَخْطَفُ »[1] و« أَطْمَعُ من قِرِلَّى »[2] و« أَحْذَرُ »[3] و« أَحْزَمُ من قِرِلَّى »[4] .

٨١٤ القِرْمِلُ : وَلَدُ البُخْتِيِّ . وَالقَرامِلُ : الإِبِلُ ذَواتُ السَّنامَيْنِ[5] .

● وَفي الحدِيثِ[6] : تَرَدَّى قِرْمِلٌ لِبَعْضِ الأَنْصارِ على رَأْسِهِ في بِئْرٍ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا على نَحْرِهِ ، فَسَأَلُوهُ ﷺ فقالَ : « جُوفُوهُ ، ثمَّ قَطِّعُوا أَعْضاءَهُ » .

● وَأَمَّا قَوْلُهم في المَثَلِ : « ذَلِيْلٌ عاذَ بِقَرْمَلَة »[7] : فَهِيَ شَجَرَةٌ ضَعِيفَةٌ ، لا شَوْكَ لَها .

قالَ جَريرٌ[8] : [من الكامل]

كَـــانَ الفَـــرَزْدَقُ إِذْ يَعُـــوذُ بِخـــالِـــهِ مِثْـلَ الـذَّلِيْـلِ يَعُـوذُ تَحْـتَ القَـرْمَـلِ

---

(١) الميداني ١/ ٢٦١ وحمزة ١/ ١٩٥ والعسكريّ ١/ ٤٤٢ والزَّمخشريّ ١/ ١٠٢ وثمار القلوب ٢/ ٧١٥ .

(٢) الميداني ١/ ٤٣٨ وحمزة ١/ ١٩٦ و ٢٩٢ و ٢٨٤ والعسكري ٢/ ١٤ والزَّمخشريّ ١/ ٢٢٥ .

(٣) الميداني ١/ ٢٢٨ وحمزة ١/ ١٣٣ والعسكري ١/ ٣٤٣ و٣٩٦ والزَّمخشريّ ١/ ٦٢ .

(٤) الميداني ١/ ٢٢٨ و٢٦٠ وحمزة ١/ ١٣٥ و ١٩٦ والعسكري ١/ ٤٠٧ والزَّمخشريّ ١/ ٦٥ وثمار القلوب ٢/ ٧١٥ .

(٥) عن الصِّحاح « قرمل » ٥/ ١٨٠١ .

(٦) عن النِّهاية ٤/ ٥٠ . و« جوفوه » : أي اطعنوا في جَوفه .

(٧) الميداني ١/ ٢٧٩ وحمزة ١/ ٢٠٦ والعسكري ١/ ٤٦٦ والزَّمخشريّ ٢/ ٨٦ .

(٨) ديوانه ٢/ ٩٤٢ .

يُضْرَبُ لِمَنِ اسْتَعانَ بِضَعيفٍ لا نُصْرَةَ لَهُ ؛ لأَنَّ القَرْمَلَةَ شَجَرَةٌ على ساقٍ ، لا تُكِنُّ ولا تُظِلُّ .

٨١٥ **القِرْمِيْدُ** : الأُرْوِيَّةُ[١] .

٨١٦ **القُرْمُودُ** : بِفَتْحِ القافِ[٢] : ذَكَرُ الوُعُولِ . حَكاهُ ابْنُ سِيْدَه .

٨١٧ **القَرَنْبى** : مَقْصُورٌ : دُوَيْبَّةٌ طَوِيلَةُ الرِّجْلَيْنِ ، مِثْلُ الخُنْفُساءِ أَوْ أَعْظَمُ مِنْها بِيَسِيرٍ .

● وَقالَ المَيْدانيُّ في قَوْلِهِم : « أَلْزَقُ من القَرَنْبى » : إِنَّها الجُعَلُ[٣] .

وَقالَ في مَوْضِعٍ آخر[٤] : مِثْلُ الخُنْفُسِ ، مُنَقَّطَةُ الظَّهْرِ ، طَويلَةُ القَوائِمِ .

وَفي « أَدَب الكاتِبِ »[٥] : إِنَّها أَكْبَرُ من الخُنْفَساءِ .

● قالَ الأَخْطَلُ يَصِفُ جارِيَةً وَبَعْلَها[٦] : [من الطويل]

أَلا يَا عِبادَ اللهِ قَلْبي مُتَيَّمٌ ... بِأَحْسَنِ مَن صَلَّى وأَقْبَحِهِمْ بَعْلا
يَنامُ إِذا نامَتْ على عُكُناتِها ... وَيَلْثِمُ فاها كَالسُّلافَةِ أَوْ أَحْلَى
يَدبُّ إِلى أَحْشائِها كُلَّ لَيْلَةٍ ... دَبِيْبَ القَرَنْبى باتَ يَعْلُو نَقاً سَهْلا

● قالَ الجاحِظُ[٧] : إِنَّها تَقْتاتُ الرَّوْثَ ، وَتَطْلُبُهُ كَما يَطْلُبُهُ الجُعَلُ .

---

(١) اللِّسان « قرمد » ٥/ ٣٦٠٦ والمخصَّص ٨/ ٢٩ .
(٢) بل هو بضمِّ القاف . (القاموس « قرمد » ١/ ٣٣٩) والمخصَّص ٨/ ٣٠ .
(٣) ليس كذلك ؛ قال الميدانيّ : وهو والجُعَل يتبعان الرَّجل إذا أراد الغائِطَ . . . وكذا قال الجاحظ في الحيوان ١/ ٢٣٨ .
(٤) الميدانيّ ٢/ ٩٧ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٥/ ١١٥ والكامل ٢/ ٥٩٥ .
(٥) أَدب الكاتِب ٢١٧ .
(٦) ليست في ديوانه ، وبعضها في الحيوان ٣/ ٥٢٥ و ٦/ ٣٨٦ وكامل المبرّد ٢/ ٥٩٥ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٠٠ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٥/ ١١٥ بلا نسبة .
(٧) ينظر الحيوان ١/ ٢٣٨ .

الأمثالُ : قَالُوا : « القَرَنْبى في عَيْنِ أُمِّها حَسْناءُ »[1] . وَقَالُوا : « أَلْزَقُ من قَرَنْبَى »[2] . لأَنَّ كُلَّ من بَاتَ بِالصَّحراءِ ، وَكُلَّ من قامَ إِلى الغائِطِ تَتْبَعُهُ ، لأَنَّها نَوْعٌ من الجُعَلِ .

قالَ الشَّاعِرُ[3] : [من الطويل]

وَلا أَطْرُقُ الجاراتِ بِاللَّيْلِ قابِعاً ... قُبُوعَ القَرَنْبَى أَخْلَفَتْهُ مَحاجِرُهْ

٨١٨ القَرْهَبُ : كَثَعْلَبٍ : الثَّوْرُ المُسِنُّ . قالَهُ الجَوهريُّ رحمهُ اللهُ تَعالى وغَيره[4] .

٨١٩ القِرَزُ : بِكَسْرِ القافِ ، وَبالرَّاءِ : نَوْعٌ من السِّباعِ[5] .

● قالَ الحُطَيْئَةُ لَمَّا حَبَسَهُ عُمر[6] : [من البسيط]

مَاذا تَقُولُ لأَفْراخٍ بِذِي مَرَخٍ ... خُمْصِ الحَواصِلِ لا مَاءٌ وَلا شَجَرُ[7]

أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يَا عُمَرُ[8]

أَنْتَ الإِمامُ الذي من بَعْدِ صاحِبِهِ ... أَلْقَى إِلَيْكَ مَقالِيدَ النُّهَى البَشَرُ

---

(١) الميدانيّ ٢/ ٩٧ والزَّمخشريّ ١/ ٣٣٩ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ٢٥٠ وحمزة ٢/ ٣٧١ والعسكريّ ٢/ ٢١٧ والزَّمخشريّ ١/ ٣٢٤ .

(٣) البيت لتميم بن أُبيّ بن مقبل ، في ديوانه ١٥٤ والحيوان ١/ ٢٣٨ و ٣١٧ و ٧/ ٥٩ والمعاني الكبير ٢/ ٦٢٨ .

(٤) الصِّحاح والقاموس « قرهب » . وزاد في القاموس : أَو الكبير الضَّخم .

(٥) هذه المادَّة من اجتهادات الدَّميري رحمه الله تعالى ، وقد أَخطأَ . إِذ ليس في معاجم اللُّغة ما يُؤَيِّدُ ما ذهب إِليه ؛ ولعلَّ مردَّ ذلك إِلى تصحيفٍ وقع في نسخةٍ من ديوان الحطيئة اطَّلع عليها المؤلِّف ، في البيت الخامس الآتي ، بدليل قول محقِّق الدِّيوان ٢١٠ : وأَصحّ الرِّوايات في البيت : القِرَزُ : جمع قِرَّةٍ ـ بالكسر ـ وهي البَرْدُ .

(٦) ديوانه ٢٠٨ ـ ٢١٠ .

(٧) في ب : × حمر الحواصل . . .

(٨) في ب : × فاخفض . . .

لَـمْ يُـؤْثِـرُوكَ بِهـا إِذْ قَـدَّمُـوكَ لَهـا لَكِـنْ لأَنْفُسِهِـمْ كـانَـتْ لَهَـا الأَثَـرُ
فامْنُنْ على صِبْيَةٍ بالرَّمْلِ مَسْكَنُهُمْ بَيْنَ الأَباطِحِ يَغْشاها بها القِزَرُ[1]
أَهْلِـي فِـداؤُكَ كَـمْ بَيْنـي وَبَيْنَهُـمُ مِـنْ عَـرْضِ دَوِّيَّـةٍ يَفْنى بِهـا الخَبَـرُ

٨٢٠ القَرْمُ : الفَحْلُ الكَريمُ من الإِبلِ ، الذي يُتْرَكُ من الرُّكُوبِ والعَمَلِ ، وَيُودَعُ لِلْفِحْلَةِ ؛ وَالجَمْعُ : قُرُومٌ[2] .

وَالقَرْمُ من الرِّجالِ : السَّيِّدُ العَظِيمُ ، المُجَرِّبُ لِلأُمُورِ ؛ وَعَلى المِثْلِ من ذلكَ قالَ الشَّاعِرُ : [من المُتقارب]

إِلـى المَلِـكِ القَـرْمِ وابْـنِ الهُمـامِ وَلَيْـثِ الكَتِيبَـةِ فـي المُـزْدَحَـمْ

عَطَفَ صِفَةً على صِفَةٍ لِشَيْءٍ واحِدٍ ، كَقَولِكَ : جَاءَني الظَّرِيفُ والعاقِلُ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ شَخْصاً واحِداً .

● رَوَى « مُسلم » و« النَّسائيُّ » و« أَبُو داود »[3] من حَدِيثِ ابْنِ شِهابٍ : أَنَّ عَبدَ المُطَّلِبِ بن رَبيعة بن الحارِثِ ، قالَ :

اجْتَمَعَ رَبيعَةُ بن الحارِثِ والعَبَّاسُ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَقالا : لو بَعَثْنا هَذَيْنِ الغُلامَيْنِ ـ عَبْدَ المُطَّلِبِ بن رَبيعة والفَضْلَ ـ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَلَّماهُ ، فَأَمَّرَهُما على هذهِ الصَّدَقاتِ ، فَأَدَّيا ما يُؤَدِّي النَّاسُ ، وَأَصابَا مِمَّا أَصابَ النَّاسُ .

فَبَيْنَما هُما في ذلكَ إِذْ جَاءَ عليُّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِما ، فَذَكَرَا لَهُ ذلكَ ، فقالَ : لا تَفْعَلا ، فَوَاللهِ ما هُوَ بفاعِلٍ ؛ وَأَلْقَى عَليٌّ رِداءَهُ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عليْهِ ، وَقالَ : أَنا أَبُو حَسَنٍ القَرْمُ ، وَاللهِ لا أَبْرَحُ من مَكانِي

---

(١) صواب الرِّواية : × . . . القِرَرُ . [= البرد] .
(٢) اللِّسان « قرم » ٥/ ٣٦٠٤ .
(٣) مسلم (١٠٧٢) وأبو داود (٢٩٨٥) والنَّسائي (٢٦٠٩) .

حتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكُمَا ابناكُما ؛ فَلَمَّا رَجعا قالا : ذَهَبْنا إِلى النَّبيِّ ﷺ فقُلْنا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ ، وَقَدْ بَلَغْنا النِّكاحَ ، وَقَدْ جِئْنا لِتُؤَمِّرَنا على بَعْضِ هذِهِ الصَّدَقاتِ ، فَنُؤَدِّي إِلَيْكَ ما يُؤَدِّي النَّاسُ ، وَنُصِيبُ كَما يُصِيبُونَ .

فَسَكَتَ ﷺ طَوِيلاً ، ثمَّ قالَ : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لا تَنْبَغي لآلِ محمَّدٍ ؛ إِنَّما هِيَ أَوْساخُ النَّاسِ ؛ ادْعُوا لي مَحْمِيَةَ بن جَزْءٍ وَنَوْفَلَ بن الحارث بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ » .

قالَ : فَجاآهُ ، فقالَ لِمَحْمِيَةَ : « أَنْكِحِ الفَضْلَ ابْنَتَكَ » . فَأَنْكَحَهُ ؛ وَقالَ لِنَوْفَلِ بنِ الحارِثِ : « أَنْكِحْ عَبْدَ المُطَّلِبِ ابْنَتَكَ » . فَأَنْكَحَهُ ؛ وَقالَ لِمَحْمِيَةَ : « أَصْدِقْ عنهما من الخُمُسِ كذا وكذا » . وَكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَهُ على الأَخْماسِ . انتهى مُلَخَّصاً .

قَوْلُهُ : وَأَنا أَبو حَسَنٍ القَرْمُ : هُو بِتَنْوِينِ حَسَنٍ . والقَرْمُ : مَرفُوعٌ . قالَ ذلكَ لأَجْلِ الذي كان عِنْدَهُ من عِلْمِ ذلكَ ، وَكانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يَقُولُ هذِهِ الكَلِمَةَ عِندَ الأَخْذِ في بَيانِ قَضِيَّةٍ تُشْكِلُ على غَيْرِهِ ، وَهو يَعْرِفُها ؛ وَلذلكَ جَرى كَلامُهُ هذا مَجْرَى المَثَلِ ، حتَّى قالُوا : قَضِيَّةٌ وَلا أَبا حَسَنٍ لَها : أَي : هذِهِ قَضِيَّةٌ مُشْكِلَةٌ ، وَلَيسَ هُناكَ مَن بيَّنَها ، كَما كان يَفعلُ أَبو الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، الذي هو عليُّ بن أَبي طالبٍ .

٨٢١ القُرَّةُ : بِالضَّمِّ : الضِّفْدَعَةُ . قالَهُ الجَوهريُّ رحمهُ اللهُ تعالى(١) .

٨٢٢ القَسْوَرَةُ : الأَسَدُ . قالَ اللهُ تَعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المُدَّثِّر : ٥٠ ـ ٥١] .

● رَوَى « البَزَّارُ » بِإِسْنادٍ صَحيحٍ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ،

---

(١) لم يقُلْهُ الجوهريُّ ، فاستدركه عليه الصَّاغانيّ في التَّكملة « قرر » ٣/ ١٦٤ . وهو في القاموس واللِّسان والتَّاج « قرر » . وقال الفيروز أبادي : بالضَّمِّ ، ويُثَلَّثُ .

أَنَّهُ قالَ : القَسْوَرَةَ : الأَسَدُ .

● قالَ الرَّاجِزُ : [من الرجز]

مُضَمَّـــــرٌ يَحْـــــذَرُهُ الأَبْطَـــالُ كَـــأَنَّـــهُ القَسْـــوَرَةُ الـــرِّئْبـــالُ

● وَرَوَى ابْنُ طَبَرْزَذ بإِسْنادِهِ إِلى الحَكَمِ بن عبدِ اللهِ بن خُطَّافٍ ، عن الزُّهريِّ ، عن أَبي واقِدٍ ، قالَ :

لَمَّا نَزَلَ عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ الجابِيَةَ ، أَتاهُ رَجلٌ من بَني تَغْلبَ ، يُقالُ لَهُ : رَوْحُ بن حَبيبٍ ، بِأَسَدٍ في تَابُوتٍ ، حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فقالَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَكَسَرْتُمْ لَهُ ناباً أَو مِخْلَباً ؟ قَالُوا : لا . قالَ : الحمدُ للهِ ؛ سَمعتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُول : « مَا صِيْدَ مَصيَدٌ إِلاَّ بِنَقْصٍ في تَسْبِيحِهِ ؛ يا قَسْوَرَةُ اعْبُدِ اللهَ ، ثمَّ خَلَّى سَبيلَهُ » .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الغَيْنِ المُعجمةِ » أَنَّهُ رُويَ عن أَبي بَكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ مِثْلُ ذلكَ في الغُرابِ .

● وَقالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما في القَسْوَرَةِ : هو بِلِسانِ العَرَبِ : الأَسَدُ ، وَبِلِسانِ الحَبَشَةِ : القَسْوَرَةُ ، وَبِلِسانِ فارِسَ : شير ، وَبِلِسانِ النَّبَطِ : أَرْنا .

● وَقِيلَ : القَسْوَرَةُ : فَعْوَلَةٌ من القَسْرِ ، وَهُوَ القَهْرُ ؛ سُمِّيَ الأَسَدُ بذلك لأَنَّهُ يَقْهَرُ السِّباعَ .

● وَقالَ ابْنُ جُبَيْرٍ : القَسْوَرَةُ : رِجالُ القَنْصِ ؛ وَقِيلَ : القَسْوَرَةُ : الرِّجالُ الشِّدادُ ؛ وَقالَ ثَعلب : القَسْوَرَةُ : سَوادُ أَوَّلِ اللَّيْلِ خاصَّةً لا آخِرُهُ ؛ وَالمَعْنى : فَرَّتْ من ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ؛ وَلا شَيْءَ أَشَدُّ نِفاراً من حُمُرِ الوَحْشِ ؛ وَاللَّفْظَةُ مَأْخُوذَةٌ من القَسْرِ ، الذي هُوَ الغَلَبَةُ والقَهْرُ .

٨٢٣ **القُشْعُمانُ** : كَالعُقْرُبانِ والثُّعْلُبانِ : النَّسْرُ[١] ؛ قالَ الشَّاعِرُ[٢] : [من الوافر]

تَرَكْتُ أَباكَ قد أَطْلَى وَمالَتْ ... عَلَيْهِ القُشْعُمانُ من النُّسُورِ

يُقالُ : أَطْلَى الرَّجُلُ ، أَي مالَتْ عُنُقُهُ لِلْمَوْتِ أَوْ لِغَيْرِهِ .

٨٢٤ **القِشَّةُ** : القِرْدَةُ . قالَهُ الجَوهريُّ رحمهُ اللهُ تعالى[٣] . وَقالَ الأَصمعيُّ : هِيَ الصَّغِيرَةُ من أَوْلادِها .

الأَمثالُ : قالُوا : « أَكْيَسُ من قِشَّةٍ »[٤] يُضْرَبُ مَثَلاً للصِّغارِ خاصَّةً .

٨٢٥ **القُصَيْرى** : مَقْصُوراً مُصَغَّراً : ضَربٌ من الأَفاعِي[٥] .

٨٢٦ **القِطُّ** : السِّنَّوْرُ ؛ وَالأُنْثى : قِطَّةٌ ؛ وَالجَمْعُ : قِطاطٌ وَقِطَطَةٌ . قالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : لا أَحْسَبُها عَرَبِيَّةً صَحِيحَةً .

قُلتُ : وَهُوَ مَحْجُوجٌ بِقَوْلِهِ ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ جَهَنَّمُ ، فَرَأَيْتُ فِيها المَرْأَةَ الحِمْيَرِيَّةَ ، صاحِبَةَ القِطِّ الذِي رَبَطَتْهُ ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ وَلَمْ تُسَرِّحْهُ » . كذا رَواهُ الرَّبِيعُ الجِيْزِيُّ في « مَنْ وَرَدَ مِصْرَ من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم » .

● وَلَمَّا[٦] اتَّصَلَتْ مَيْسُونُ بنتُ بَحْدَلٍ الكَلْبِيَّةُ أُمُّ يَزيد بن مُعاوية بِمُعاوِيَةَ ،

---

(١) في الصِّحاح « قشعم » ٥/ ٢٠١٢ : العظيمُ الذَّكرُ من النُّسور .

(٢) البيت بلا نسبة في اللِّسان « قشعم » . والصِّحاح وَالتَّاج « طلى » وديوان الأَدب للفارابي ٤/ ١٠٧ والمخصّص ٦/ ١٢٤ ومعجم مقاييس اللُّغة ٥/ ٦٤ .

(٣) الصِّحاح « قشش » ٣/ ١٠١٦ .

(٤) الفاخر ٨١ والميداني ٢/ ١٦٩ وحمزة ٢/ ٣٦٦ والعسكريّ ٢/ ١٧٥ والزمخشري ١/ ٢٩٧ وأَبو عبيد ٣٧٠ .

(٥) الصِّحاح « قصر » ٢/ ٧٩٣ .

(٦) الخبر والأَبيات في : تاريخ دمشق « جزء النساء » ٤٠٠ ومختصره ٢٦/ ٩٤ ودرَّة الغوَّاص ١٧٢ والأَشباه والنَّظائر للخالديّين ٢/ ١٣٧ والحماسة الشَّجريّة ٢/ ٥٧٣ والحماسة البصرية =

وَكانَتْ ذاتَ جَمالٍ باهِرٍ ، وَحُسْنٍ عامِرٍ ، أُعْجِبَ بها مُعاويةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَهَيَّأَ لَها قَصْراً مُشْرِفاً على الغُوطَةِ ، وَزَيَّنَهُ بِأَنْواعِ الزَّخارِفِ ، وَوَضَعَ فِيهِ من أَوانِي الفِضَّةِ والذَّهَبِ ما يُضاهِيهِ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ من الدِّيْباجِ الرُّوميِّ المُلَوَّنِ والمُوَشَّى ما هُوَ لائِقٌ بِهِ ؛ ثمَّ أَسْكَنَها مع وَصائِفَ لَها كَأَمْثالِ الحُورِ العِيْنِ .

فَلَبِسَتْ يَوْماً أَفْخَرَ ثِيابِها ، وَتَزَيَّنَتْ وَتَطَيَّبَتْ بما أُعِدَّ لَها من الحُليِّ والجَوْهَرِ الذي لا يُوجَدُ مثلُهُ ، ثمَّ جَلَسَتْ في رَوْشَنِها وَحَوْلَها الوَصائِفُ ، فَنَظَرَتْ إلى الغُوطَةِ وَأَشْجارِها ، وَسَمِعَتْ تَجاوُبَ الطَّيْرِ في أَوْكارِها ، وَشَمَّتْ نَسِيمَ الأَزْهارِ وَرَوائِحَ الرَّياحِينِ والنُّوارِ ، فَتَذَكَّرَتْ نَجْداً ، وَحَنَّتْ إلى أَتْرابِها وأُناسِها ، وَتَذَكَّرَتْ مَسْقَطَ رَأْسِها ، فَبَكَتْ وَتَنَهَّدَتْ ، فقالَتْ لَها بعضُ حَظاياها : ما يُبْكِيكِ ، وَأَنْتِ في مُلكٍ يُضاهِي مُلْكَ بِلقيسٍ ؟ فَتَنَفَّسَتِ الصَّعَداءَ ، ثمَّ أَنْشَدَتْ : [من الوافر]

لَبَيْتٌ تَخْفُقُ الأَرْواحُ فِيهِ ... أَحَبُّ إِليَّ من قَصْرٍ مُنِيفِ
وَلُبْسُ عَباءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي ... أَحَبُّ إِليَّ من لُبْسِ الشُّفُوفِ
وَأَكْلُ كُسَيْرَةٍ في كِسْرَ بَيْتِي ... أَحَبُّ إِليَّ من أَكْلِ الرَّغِيْفِ
وَأَصْواتُ الرِّياحِ بِكُلِّ فَجٍّ ... أَحَبُّ إِليَّ من نَقْرِ الدُّفُوفِ
وَكَلْبٌ يَنْبَحُ الطُّرَّاقَ دُونِي ... أَحَبُّ إِليَّ من قِطٍّ أَلُوفِ
وَبَكْرٌ يَتْبَعُ الأَظْعانَ صَعْبٌ ... أَحَبُّ إِليَّ من بَغْلٍ زَفُوفِ
وَخِرْقٌ من بَنِي عَمِّي نَحِيفٌ ... أَحَبُّ إِليَّ من عِلْجٍ عَنِيفِ

فَلَمَّا دَخَلَ مُعاويةُ عَرَّفَتْهُ الحَظِيَّةُ بما قالَتْ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ سَمِعَها وَهِيَ تُنشِدُ

= ٢/ ٩٤٠ وشرح شواهد المغني ٢/ ٦٥٣ وخزانة البغداديّ ٨/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤ وشرح أبيات المغني ٥/ ٦٤ ـ ٦٥ .

ونُسبت الأبيات في ربيع الأبرار ١/ ٢٠٨ لأعرابي . وفي البصائر والذَّخائر ٥/ ٢٦ وبلاغات النِّساء ١٦١ لامرأةٍ من ولد طلبة بن قيس بن عاصم المنقريّة .

ذلكَ ، فقالَ : ما رَضِيَتْ ابْنَةُ بَحْدَلَ حتَّى جَعَلَتْنِي عِلْجاً عَنيفاً ؟ هِي طالِقٌ ثَلاثاً ؛ مُرُوها فَلْتَأْخُذْ جَميعَ ما فِي القَصْرِ فهوَ لَها ؛ ثمَّ سَيَّرَها إِلى أَهْلِها بنَجْدٍ ، وَكانَتْ حامِلاً بيَزيدَ ، فَوَلَدَتْهُ بِالبادِيَةِ ، وَأَرْضَعَتْهُ سَنتين ، ثمَّ أَخَذَهُ مُعاويةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْها بعدَ ذلكَ .

وَالأَرْواحُ : جَمْعُ رِيْحٍ ؛ قالَ ذُو الرُّمَّةِ[1] : [من الطويل]

إِذا هَبَّتِ الأَرْواحُ من نَحْوِ جانِبٍ ... بِهِ أَهْلُ مَيٍّ هاجَ قَلْبي هُبُوبُها
هَوىً تَذْرِفُ العَيْنانِ مِنْهُ وإِنَّما ... هَوى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبيْبُها

فَقَدْ أَبْدَعَ وَأَحْسَنَ . فَمَنْ قالَ : هَبَّتِ الأَرْياحُ ، فَقَدْ أَخْطَأَ وَوَهِمَ ؛ وَالصَّوابُ : هَبَّتِ الأَرْواحُ كَما قالَ ذُو الرُّمَّةِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ عن مَيْسُون ؛ وَالعِلَّةُ في ذلكَ : أَنَّ أَصْلَ رِيْحٍ : رَوْحٌ ، لاشْتِقاقِها من الرَّوْحِ .

● وَرُوِيَ هذا الخَبَرُ على غَيرِ هذا الوَجْهِ ، فَأَوْرَدْتُهُ لِتَحصلَ منهُ الفائِدَةُ ، وَهُوَ :

قِيلَ : لَمَّا اتَّصَلَتْ مَيسُونُ بنتُ بَحْدَلٍ بمُعاوية ، وَنَقَلَها من البَدْوِ إِلى الشَّامِ ، كانَتْ تُكْثِرُ الحَنِينَ إِلى أُناسِها ، وَالتَّذَكُّرَ لِمَسْقَطِ رَأْسِها ، فاسْتَمَعَ علَيْها مُعاويةُ ذاتَ يَوْمٍ وهيَ تُنْشِدُ الأَبياتِ المُتَقَدِّمَةَ ، فَلَمَّا سَمِعَ مُعاويةُ الأَبياتِ قالَ : ما رَضِيَتْ ابْنَةُ بَحْدَل ، حَتَّى جَعَلَتْني عِلْجاً عَنِيفاً ؛ هِيَ طالِقٌ .

● وَحَكَى ابْنُ خلّكانَ وغيرُه[2] ، في تَرجمةِ الإِمامِ أَبي الحَسَن طاهر بن أَحمد بن بابْشاذ النَّحْويّ :

أَنَّهُ كان يَوْماً على سَطْحِ جامعِ مِصْرَ يَأْكُلُ شَيْئاً ، وعندَهُ بعضُ أَصْحابِهِ ،

---

(١) ديوانه ٢/ ٦٩٤ _ ٦٩٥ .

(٢) وفيات الأَعيان ٢/ ٥١٦ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٤٥٦ وإِنباه الرُّواة ٢/ ٩٦ والوافي بالوفيات ١٦/ ١٩٣ وبغية الوُعاة ٢/ ١٧ .

فَحضَرَهُم قِطٌّ ، فرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً ، فَأَخَذَها في فِيهِ وغابَ عنهم ؛ ثُمَّ عادَ إِليهِم ، فرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً ثانِيَةً ، فَأَخَذها وَذَهَبَ ؛ ثمَّ عادَ فرَمَوْا لَهُ شَيْئاً ، فأَخَذَهُ وَذَهَبَ ، ثمَّ عادَ فَفعلَ ذلكَ مِراراً كَثِيرةً ، وهُمْ يَرمُونَ لَهُ وَهُوَ يأْخُذُ وَيَغِيبُ ، ثُمَّ يَعُودُ من فَوْرِهِ ، فتَعَجَّبُوا منهُ فتَبِعُوهُ ، فإِذا هُوَ يَأْخُذُ ذلكَ الطَّعامَ وَيَدخلُ بِهِ إِلى خِرْبَةٍ فِيها شِبْهُ البَيْتِ الخَرابِ ، وَفِي سَطْحِ ذلكَ البَيْتِ قِطٌّ أَعْمى ، فإِذا هُوَ يَضَعُ الطَّعامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فتَعَجَّبُوا من ذَلكَ ، فقالَ الشَّيْخُ ابنُ بابْشاذ : إِذا كان هذا حَيواناً أَخْرَسَ ، قد سَخَّرَ اللهُ لَهُ هذا القِطَّ ، وَهو يَقُومُ بِكِفايَتِهِ ، وَلَمْ يَحْرِمْهُ الرِّزْقَ ، فَكَيفَ يُضَيِّعُ مِثْلِي ؟ ثمَّ قَطَعَ الشَّيْخُ عَلائِقَهُ ، وَتَرَكَ خِدْمَةَ السُّلْطانِ ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ ، وَتَرَكَ جَمِيعَ أَشْغالِهِ تَوَكُّلاً على اللهِ تَعالى ، إِلى أَنْ ماتَ في شَهرِ رَجَب ، سَنَةَ تِسعٍ وَسِتِّينَ وأَرْبعمئة[1] .

وبابْشاذ : كلِمَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ يَتَضَمَّنُ مَعْناها الفَرَحَ وَالسُّرُورَ .

وَحُكْمُهُ : تَقَدَّمَ بَعْضُهُ في « بابِ السِّينِ المهملَةِ » في لَفْظِ « السِّنَّوْرِ » ، وَسَيَأْتي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى بعضُهُ في « بابِ الهاءِ » في لَفْظِ « الهِرِّ » .

وَتَعْبِيرُهُ : سَيَأْتي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى أَيْضاً في « بابِ الهاءِ » .

٨٢٧ القَطَا : طائِرٌ مَعرُوفٌ ، واحِدُهُ قَطاةٌ ؛ والجَمْعُ : قَطَواتٌ وَقَطَياتٌ .

● وَمِمَّنْ ذَكَرَ أَنَّ القَطَا مِن الحَمامِ : الرَّافِعيُّ في « كِتابِ الحجِّ والأَطعمةِ » ؛ وَمِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ : ابْنُ قُتَيْبَةَ ؛ وَأَنْشَدَ قَوْلَ النَّابِغَةِ الذُّبْيانيّ[2] : [من البسيط]

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ   إِلى حَمامٍ شِراعٍ وارِدِ الثَّمَدِ

---

(١) ترجمته في مصادر الخبر .

(٢) ديوانه ١٤ .

قَالَ الأَصمعيُّ : هَذِهِ زَرْقاءُ اليَمامَةِ ، نَظَرَتْ إلى قَطا .

قالَ البَطَلْيَوسيُّ في « الشَّرح »(١) : وَلَيْسَ في بَيْتِ النَّابغَةِ دَلِيلٌ على أَنَّهُ أرادَ بالحَمامِ القَطا ، وإنَّما عُلِمَ ذلكَ بِالخَبَرِ المَرْوِيِّ عن زَرْقاءِ اليَمامَةِ ، أَنَّها نَظَرَتْ إلى قَطا فَقَالَتْ : [من مجزوء الرَّجز]

يَـــا لَيْـــتَ ذا القَطَـــا لَنَـــا وَمِثْـــلَ نِصْفِـــهِ مَعَـــهْ
إلـــى قَطـــاةِ أَهْلِنَـــا إذاً لَنَـــا قَطَـــا مِيَـــهْ

قالَ : وَقَوْلُهُ : « وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتاةِ الحَيِّ » أَي : أَصِبْ في أَمْرِكَ كَإِصابَةِ فَتاةِ الحَيِّ ؛ فهوَ من الحُكْمِ الذي يُرادُ به الحِكْمَةَ ، لا مِنَ الحُكْمِ الذي يُرادُ بهِ القَضاءُ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [يوسف : ٢٢] أي : حِكْمَةً .

قالَ : وَكَانَ الأَصمعيُّ يَرْوي « شِراعٍ » بِالشِّيْنِ المُعجمَةِ ، يُرِيدُ : الذي شَرَعَ في الماءِ .

وَرَوى غَيْرُهُ : « سِراعٍ » بالسِّيْنِ المُهمَلَةِ . والثَّمَدُ : الماءُ القَلِيلُ . ا هـ .

وكانَتْ عِدَّةُ الحَمامِ الذي رَأَتْهُ سِتّاً وَسِتِّيْنَ ، فَتَمَنَّتْ أَنْ يَكُونَ لَها هَذا الحَمامُ ، وَمِثْلُ نِصْفِهِ وَهُوَ ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ ، وَمَجْمُوعُ ذلكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، فإذا ضُمَّ إلى حَمامَتِها كان مئةً . وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الإِشارَةُ إلى ذلكَ في « بابِ الحاءِ المهملَةِ » في « الحَمام » .

● وَيُقالُ للقَطَاةِ(٢) : أُمُّ ثَلاثٍ ، لأَنَّها أَكْثَرُ ما تَبيضُ ثَلاثَ بَيْضاتٍ ؛ قالَ الشَّاعِرُ : [من الطويل]

---

(١) الاقتضاب ٣/٢١ ـ ٢٢ . ونُسب البيتان إلى ابنة الخُسِّ ، في ديوان النَّابغة بشرح ابن السِّكِّيت ١٥ .

(٢) عن المرصَّع ١١٤ . والبيت فيه بلا نسبة .

وَأُمٌّ ثَــلاثٍ إنْ شَبَبْــنَ عَقَقْنَهــا وإنْ مِتْنَ كان الصَّبْرُ مِنْها على نَصْبِ

يَقُولُ : إنْ شَبَّتْ فِراخُها فارَقَتْها ، فَكانَ ذلكَ عُقُوقاً لَها ؛ وإنْ مِتْنَ لَمْ تَصْبِرْ إلاّ وَهيَ حَزِينَةٌ قَلِقَةٌ . وَالنَّصْبُ : التَّعَبُ وَالبَلاءُ .

● وَيُقالُ[1] لِلقَطا والحَمامِ وَأَنْواعِها : أُمَّهاتُ الجَوازِلِ ؛ والجَوازِلُ : فِراخُها ؛ الواحِدُ : جَوْزَلٌ ؛ قالَ ذُو الرُّمَّةِ[2] : [من الطويل]

سِوى ما أَصابَ الذِّئْبُ مِنْهُ وَسُرْبَةٌ أَطـافَـتْ بِـهِ مـن أُمَّهـاتِ الجَـوازِلِ

وَقَدْ تَقَدَّمَ قَرِيبٌ من هذا في « بابِ الجِيمِ » .

● وَسُمِّيَتِ القَطا بِحِكايَةِ صَوْتِها ؛ فإنَّها تَقُولُ ذلكَ ؛ ولذلكَ تَصِفُها العَرَبُ بِالصِّدْقِ .

قالَ الكُمَيْتُ في وَصْفِها[3] : [من البسيط]

لا تَكْذِبُ القَوْلَ إنْ قالَتْ قَطا صَدَقَتْ إذْ كُــلُّ ذِي نِسْبَــةٍ لا بُــدَّ يَنْتَحِــلُ

● وَأَنْشَدَ أَبُو عُمر ابن عبدِ البَرِّ في « التَّمهِيدِ » قولَ الشَّاعِرِ ـ قَالَ المُبَرِّدُ : وَأَظُنُّهُ تَوْبَةَ بن الحُمَيِّرِ[4] ـ : [من الوافر]

كَـأَنَّ القَلْـبَ حِيْـنَ يُقـالُ يُغْـدَى بِلَيْلَــى العــامِـرِيَّــةِ أَوْ يُــراحُ
قَطــاةٌ غَــرَّهــا شَــرَكٌ فَبــاتَــتْ تُجــاذِبُــهُ وَقَــدْ عَلِـقَ الجَنــاحُ
فَـلا فِـي اللَّيْـلِ نـالَـتْ مـا تَـرَجَّـى وَلا فــي الصُّبْـحِ كــان لَهــا بَـراحُ

ثمَّ قالَ : وَقَوْلُهُ . غرَّها : قد تَصَحَّفَ عليْهِ ، فقالَ : غَرَّها : من الغُرُورِ ؛

---

(١) عن المرصَّع ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) ديوانه ٢/ ١٣٤٦ والمنتخب في محاسن أشعار العرب ٢/ ١٧٦ .

(٣) ديوانه ١/ ٣٣١ .

(٤) كامل المبرد ٢/ ٩٢٩ . والأبيات تنسب لتوبة في ديوانه ٨٥، وللمجنون في ديوانه ٩٠، ولنصيب في ديوانه ٧٤، ولقيس بن ذريح في ديوان قيس ولبنى ٧٣ .

وَلَيْسَ كذلِكَ ، إِنَّما هُوَ عَزَّها ، أَي : غَلَبَها ، كَما قَالَتِ العَرَبُ : من عَزَّ بَزَّ ، وَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ .

وَغَلِقَ الجَناحُ ، بِالغَيْنِ المُعْجَمَةِ ، من قَوْلِهم : لا يَغْلَقُ الرَّهْنُ على راهِنِهِ ؛ وَقَدْ تَصَحَّفَ بِالعَيْنِ المُهملَةِ . ا هـ .

● نُكْتَةٌ : ذَكَرَ الحَريريُّ في « الدُّرَّةِ »[1] : أَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ ـ وَهِيَ المَذْكُورَةُ في الشِّعْرِ ـ كانَتْ تَتكَلَّمُ بِلُغَةِ بَهْراءَ ، وذلكَ أَنَّهُم يَكْسِرُونَ حَرْفَ المُضارَعَةِ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ تِعْلَمُ ؛ وأَنَّها اسْتَأْذَنَتْ على عَبدِ المَلِكِ بنِ مَروان ، وَبِحَضْرَتِهِ الشَّعْبيُّ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَأْذَنُ لِي ـ يَا أَميرَ المُؤمنين ـ في أَنْ أُضْحِكَكَ مِنْها ؟ فقالَ : افْعَلْ ؛ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بها المَجْلِسُ قالَ لَها الشَّعبيُّ : يَا لَيْلَى ، ما بَالُ قَوْمُكِ لا يَكْتَنُونَ ؟ فقالَتْ لَهُ : وَيْحَكَ ، أَمَا نِكْتَنِي ؟ بِكَسْرِ حَرْفِ المُضارَعَةِ ، فقالَ لَها : لا واللهِ ، لو فَعَلْتُ لاغْتَسَلْتُ . فَخَجِلَتْ عندَ ذلكَ ، وَاسْتَغْرَقَ عبدُ المَلِكِ في الضَّحِكِ .

● وَفي غيرِ رِوايَةِ ابْنِ هِشامٍ ، في أَبياتِ هِندٍ بنتِ عُتبة ، أُمِّ مُعاوية بن أَبي سُفْيان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم[2] : [من مجزوء الرَّجز]

---

(١) درَّة الغوَّاص ٣٩٩ وخزانة البغداديّ ١١/ ٤٦٦ . ويقارن بما ورد في العقد الفريد ٦/ ٦٠ والغيث المسجم ١/ ٥٦ والرَّوضة الفيحاء ٣٥٢ و ٥٠٧ والمستطرف ١/ ١٨٩ .

(٢) الرجز في تاريخ الطَّبريّ ٢/ ٢٠٨ والنَّقائض ٢/ ٦٤١ وأَشعار النِّساء ٢٠٦ منسوبٌ إِلى امرأَةٍ من عجلٍ . وفي السِّيرة ٢/ ٦٨ والأَغانِي ١٥/ ١٩٠ والمحاسن والمساوىء ٢/ ١٣١ والمرصَّع ٢٣٤ والنِّهاية ٣/ ١٢٣ وثمار القلوب ١/ ٤٦١ و ٤٦٢ وشرح النَّهج ١٤/ ٢٣٥ والرَّوض الأُنف ٥ / ٣٠٧ منسوبٌ إِلى هند بنت عتبة تحرّض المشركين يوم أُحد . وفي الأَغاني ٢٤/ ٩٥ منسوبٌ إِلى ابنة الفِنْد الزِّمَّانيّ .

وفي اللِّسان « طرق » ٤/ ٢٦٦٣ وشرح شواهد المغني ٨٠٩ وشرح أَبيات المغني ٦/ ١٨٨ منسوبٌ إِلى هند بنت عتبة ، أَو هند بنت بياضة الإِياديّة ، قالَتْهُ حين لقيت إِيادٌ جيش الفُرس بالجزيرة ، وتمثَّلت به هند بنت عتبة يوم أُحد وليس لها .

نَحْـــــنُ بَنـــــاتُ طــــارِقْ   نَمْشِــــي علــــى النَّمـــارِقْ
مَشْــــيَ القَطـــا النَّـــواتِـــقْ

كَمَا ذَكَرَهُ الزُّبيرُ بن بَكَّارٍ ، وَقالَهُ السُّهيليُّ في « الرَّوْضِ الأُنُفِ » .

وَالمُرادُ بِالطَّارِقِ : النَّجْمُ ، تُرِيدُ : إِنَّ أَبانا نَجْمٌ في شَرَفِهِ وَعُلُوِّهِ ؛ قالَ اللهُ تَعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطَّارق : ١] يَعْني النَّجْمَ يَطْرُقُ لَيْلاً وَيَخْفى نَهاراً .

● قالَ الثَّعلبيُّ : أَنْشَدَ أَبُو القاسِمِ الحَسَنُ بن محمَّد المُفَسِّرُ ، قالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الحَسَنِ الكازَرونيّ ، قالَ : أَنْشَدَنِي ابْنُ الرُّوميّ(١) : [من البسيط]

يـا راقِـدَ اللَّيْـلِ مَسْـرُوراً بِـأَوَّلِـهِ   إِنَّ الحَـوادِثَ قـد يَطْـرُقْـنَ أَسْحـارا
لا تَفْـرَحَـنَّ بِلَيْـلٍ طـابَ أَوَّلُـهُ   فَـرُبَّ آخِـرِ لَيْـلٍ أَجَّـجَ النَّـارا

ثُمَّ فَسَّرَهُ تَعالى بِأَنَّهُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ، أَي المُضِيءُ .

● قالَ أَبو زَيدٍ : كانَتِ العَرَبُ تُسَمِّي الثُّرَيَّا : النَّجْمَ الثَّاقِبَ ؛ وَقِيلَ : هُوَ زُحَلٌ ، سُمِّيَ بِهِ لارْتِفاعِهِ .

● وَرَوَى ابْنُ الجوزيّ ، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، قالَ : الطَّارِقُ : نَجْمٌ في السَّماءِ السَّابعَةِ ، لا يَسْكُنُها غَيْرُهُ من النُّجُومِ ؛ فإِذا أَخَذَتِ النُّجُومُ أَمْكِنَتَها من السَّماءِ ، هَبَطَ وَكانَ مَعَها ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى مَكانِهِ من السَّماءِ السَّابِعَةِ ، وَهُوَ زُحَلُ ؛ فهو طارِقٌ حِينَ يَنْزِلُ ، وَطارِقٌ حِينَ يَصْعَدُ ! .

وَالنَّواتِقُ : الكَثِيراتُ الأَوْلادِ ، كَأَنَّها تَرْمِي بِالأَوْلادِ رَمْياً ؛ وَالنَّتْقُ : الرَّمْيُ وَالنَّفْضُ وَالحَرَكَةُ .

---

(١) ليسا في ديوانه . وهما لمحمَّد بن حازم الباهليّ في ديوانه ٥٦ . وبلا نسبة في البصائر والذَّخائر ١/٤٨ والتَّذكرة الحمدونيَّة ١/ ٨٩ .

● وَالقَطا نَوْعانِ[1] : كُدْرِيٌّ وَجُونِيٌّ ـ وَزادَ الجَوهريُّ نَوْعاً ثالِثاً ، وَهُوَ الغَطاطُ ـ فَالكُدْرِيُّ : غُبْرُ اللَّوْنِ ، رُقْشُ البُطُونِ والظُّهُورِ ، صُفْرُ الحُلُوقِ ، قِصارُ الأَذْنابِ ، وَهِيَ أَلْطَفُ من الجُونِيَّةِ .

وَالجُونِيَّةُ : سُودُ البُطُونِ وَالأَجْنِحَةِ والقَوادِمِ ، وَظَهْرُها أَغْبَرُ أَرْقَطُ تَعْلُوهُ صُفْرَةٌ ، وَهِيَ أَكبرُ من الكُدريِّ ، تَعْدِلُ جُونِيَّةٌ بِكُدْرِيَّتَيْنِ ؛ وإِنَّما سُمِّيَتِ الجُونِيَّةُ ، لأَنَّها لا تُفْصِحُ بِصَوْتِها إِذا صَوَّتَتْ ، وإِنَّما تُغَرْغِرُ بِصَوْتٍ في حَلْقِها ؛ والكُدْرِيَّةُ فَصِيحَةٌ تُنادِي باسْمِها .

وَلا تَضَعُ القَطاةُ بَيْضَها إِلاَّ أَفْراداً .

وَفِي طَبْعِها أَنَّها إِذا أَرادَتِ المَاءَ ، ارْتَفَعَتْ من أَفاحِيْصِها أَسْراباً لا مُتَفَرِّقَةً ، عِندَ طُلُوعِ الفَجْرِ ، فَتَقْطَعُ إِلى حِينِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مَسِيرَةَ سَبْعِ مَراحِلَ ، فَحينئِذٍ تَقَعُ على الماءِ فَتَشْرَبُ نَهْلاً ؛ وَالنَّهْلُ : شُرْبُ الإِبِلِ والغَنَمِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فإِذا شَرِبَتْ أَقامَتْ حَوْلَ المَاءِ مُتَشاغِلَةً إِلى مِقْدارِ ساعَتَيْنِ أَوْ ثلاثٍ ، ثمَّ تَعُودُ إِلى الماءِ ثانِيَةً .

وَهَذا يُبْعِدُ ما حَكاهُ الواحِدِيُّ المُفَسِّرُ في « شَرْحِهِ لِدِيْوانِ أَبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي » في قَوْلِهِ[2] : [من الكامل]

وإِذا المَكارِمُ والصَّوارِمُ وَالقَنا وَبَناتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ

إِنَّ أَعْوَجَ فَحْلٌ كَرِيمٌ كان لِبَني هِلال بن عامِرٍ ، وإِنَّهُ قِيلَ لِصاحِبِهِ : ما رَأَيْتَ من شِدَّةِ عَدْوِهِ ؟ فقالَ : ضَلَلْتُ في بادِيَةٍ وَأَنا راكِبُهُ ، فَرَأَيْتُ سِرْبَ قَطاً يَقْصِدُ المَاءَ ، فَتَبِعْتُهُ وَأَنا أَغُضُّ من لِجَامِهِ ، حَتَّى توافَيْنا المَاءَ دُفْعَةً واحِدَةً . اهـ .

---

(١) المخصَّص ٨/ ١٥٧ والصِّحاح «كدر» ٢/ ٨٠٤ و« غطط » ٣/ ١١٤٦ و« جون » ٥/ ٢٠٩٦ .

(٢) ديوان المتنبِّي بشرح الواحديّ ٢/ ٧١٢ ـ ٧١٣ وشرحه المنسوب للعكبريّ ٢/ ٢٧١ .

قُلْتُ : وَهَذَا أَغْرَبُ شَيْءٍ يَكُونُ ؛ فإِنَّ القَطَا شَديدَةُ الطَّيَرانِ ، وَإِذا قَصَدَتِ الماءَ اشْتَدَّ طَيَرانُها أَكْثَر ؛ ثمَّ ما كَفاهُ حتَّى قالَ : وَأَنَا أَغُضُّ من لِجامِهِ ؛ وَلَوْلا ذلكَ لَكانَ سَبَقَ القَطَا ! .

● وَتُوصَفُ القَطا بالهِدَايَةِ ، وَالعَرَبُ تَضْرِبُ بها المَثَلَ في ذلكَ ، لأَنَّها تَبيضُ في القَفْرِ ، وَتَسْقِي أَوْلادَها من البُعْدِ في اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، فَتَجيءُ في اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ وَفي حَواصِلِها المَاءُ ، فإِذا صارَتْ حِيالَ أَوْلادِها صاحَتْ : قَطا قَطا ؛ فَلَمْ تُخْطِ ، بِلا عَلَمٍ وَلا إِشارَةٍ وَلا شَجَرَةٍ ؛ فَسُبْحانَ مَن هَداها لذلكَ ؛ قالَ الشَّاعِرُ : [من الكامل]

وَالنَّاسُ أَهْدَى في القَبِيْحِ من القَطا　　　وَأَضَلُّ في الحُسْنَى من الغِرْبانِ

● وَقالَ أَبو زِيادٍ الكِلابيِّ : إِنَّ القَطَا تَطلبُ الماءَ من مَسِيرَةِ عِشْرِينَ لَيْلَةً ، وَفَوْقَها وَدُونَها ؛ وَالجُونِيَّةُ مِنْها تَخْرُجُ إِلى الماءِ قبلَ الكُدْرِيَّةِ ؛ قالَ عَنترةُ[(١)] :

[من الطَّويل]

وَأَنْتِ التي كَلَّفْتِني دَلَجَ السُّرَى　　　وَجُونُ القَطا بالجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ

● وَقالَ الشاعِرُ في وَصْفِها[(٢)] : [من البسيط]

أَمَّا القَطاةُ فإِنِّي سَوْفَ أَنْعَتُها　　　نَعْتاً يُوافِقُ نَعْتي بَعْضَ ما فِيْها

سَكَّاءُ مَخْطُوفَةٌ ، فِي رِيْشِها طَرَقٌ　　　سُودٌ قَوادِمُها ، صُهْبٌ خَوافِيْها

---

(١) ليس له ، هو لابن الدُّمينة في ديوانه ٤٢ . وهو في الحيوان ٣/ ٥٥ أَوّل ثلاثةٍ لبعض العشّاق . وينسب للمجنون في ديوانه ٢٤٧ .

(٢) قال أَبو الفرج في الأَغاني ٨/ ٢٥٨ : الشِّعر مختلفٌ في قائِلِه ؛ يُنسب إِلى أَوس بن غلفاء الهُجيميّ ، وإِلى مزاحم العُقيلي ، وإِلى العبّاس بن يزيد بن الأَسود الكِنْديّ ، وإِلى العُجير السَّلوليّ ، وإِلى عمرو بن عُقَيْل بن الحجّاج الهُجيمي ، وهو أَصحُّ الأَقوال . ثمَّ نَسَبَهما في ٢٦٤ إِلى عمرو بن عُقيل لا غير . وقال في ٢٥٩ : إِنَّ الجماعة المذكورين تساجلوا بينهم هذه الأَبيات . ورواهُما الجاحظ في الحيوان ٥/ ٥٧٩ بلا نسبة .

● وَقالَ مُزاحِم العُقَيْليّ في القَطاةِ وَفَرْخِها[1] : [من الطَّويل]

فَلَمَّـا دَعَتْـهُ بِـالقَطَـاةِ أَجـابَهَـا ... بِمِثْـلِ الـذِي قـالَـتْ لَـهُ لَـمْ تُبَـدِّلِ

● وَأَنْشَدَ ياقُوتُ في « مُعجمِ البُلْدانِ » لأَبِي العَنْبَسِ الصَّيْمَرِيِّ[2] : [من الخَفيف]

كَمْ مَرِيْضٍ قد عاشَ من بَعْدِ يَأْسٍ ... بَعْـدَ مَـوْتِ الطَّبيـبِ والعُـوَّادِ

قَـدْ يُصـادُ القَطـا فَيَنْجُـو سَليمـاً ... وَيَحُـلُّ القَضَـاءُ بِـالصَّيَّـادِ

● ذُكِرَ[3] أَنَّهُ كان بَيْنَ أَبي الفَضْلِ المَعْرُوفِ بابْنِ القَطَّان ، الشَّاعِرِ المَشْهُورِ بالبَغْداديِّ ، وَبَيْنَ الحَيْصَ بَيْصَ التَّميميّ الشَّاعِرِ ، مُناظَراتٌ ؛ مِنْها : أَنَّهُما حَضرا على سِماطِ الوَزيرِ ، فَأَخَذَ ابْنُ الفَضْلِ[4] قَطاةً مَشْوِيَّةً ، وَقَدَّمَها إِلى الحَيْص بَيْص ، فقالَ الحَيْصُ بَيْصُ للوَزيرِ : يَا مَوْلايَ ، هذا الرَّجُلُ يُؤْذِيني . قالَ : كَيْفَ ؟ قالَ : يُشيرُ إِلى قَوْلِ الشَّاعِرِ[5] : [من الطويل]

تَميمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى من القَطَا ... وَلَـوْ سَلَكَـتْ سُبْـلَ المَكـارِمِ ضَلَّـتِ

أَرَى اللَّيْـلَ يَجْلُـوهُ النَّهـارُ وَلا أَرَى ... خِـلالَ المَخـازِي عـن تَمِيـمٍ تَجَلَّـتِ

---

(١) من قصيدة طويلة في ديوانه ٣ ـ ١٥ (عن الشيخ محمود شاكر رحمه الله) وبعضها في طبقات ابن سلام ٢/ ٧٧٣ .

(٢) هما له في معجم البلدان ٣/ ٤٣٩ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٤٢١ وتاريخ بغداد ٢/ ٤٢ والمنتظم ١٢/ ٢٧٢ والمحمدون ١٨٦ والوافي بالوفيات ٢/ ١٩٢ والنُّجوم الزَّاهرة ٣/ ٧٤ . وبلا نسبة في المستطرف ٢/ ٣٦ . وهما لمنصور الفقيه أَنشدهما لنفسه ، في الطّيوريات ٢٥٢ . (واسمه : محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أَبي العنبس بن المغيرة بن ماهان ، كان شاعراً مطبوعاً ؛ توفِّي سنة ٢٧٥ هـ) .

(٣) عن وفيات الأَعيان ٦/ ٥٦ . وهو في الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

(٤) هو ابن القطَّان المذكور أَعلاه ، واسمه : أَبو القاسم ، هبة الله بن الفضل بن القطَّان عبد العزيز البغدادي (ابن خلّكان ٦/ ٥٣) .

(٥) الأَبيات للطِّرمَّاح بن حكيم ، في ديوانه ٥٩ .

وَلَـوْ أَنَّ بُـرْغُـوثـاً على ظَهْـرِ قَمْلَـةٍ يَكُـرُّ علـى صَفَّـيْ تَمِيـمٍ لَـوَلَّـتِ

● ولابْنِ الفَضْلِ نَوادِرُ ، مِنْها[1] : أَنَّهُ قَعَدَ يوماً يَأْكُلُ مع زَوْجَتِه طَعاماً ، فقالَ لَها : اكْشِفِي رَأْسَكِ . فَفَعَلَتْ ، فَقَرَأَ سُورَةَ الإِخْلاصِ ، فقالَتْ : ما الخَبَرُ ؟ فقالَ : إِذا كَشَفَتِ المَرْأَةُ رَأْسَها ، لَمْ تَحْضُرِ المَلائِكَةُ ؛ وإِذا قُرِئَتْ سُورَةُ الإِخْلاصِ ، هَرَبَتِ الشَّياطِينُ ، وَأَنا أَكْرَهُ الزَّحْمَةَ على المائِدَةِ ! .

● فائِدَةٌ : العَرَبُ تَصِفُ القَطا بِحُسْنِ المَشْيِ ، لِتَقارُبِ خُطاها ؛ وَمَشْيُها يُشْبِهُ مَشْيَ النِّساءِ الخَفِراتِ بِمِشْيَتِهِنَّ ؛ وَمِنْ أَحْسَنِ ما رَأَيْتُ في ذلكَ قَولُ هِنْدٍ بنتُ عُتْبَةَ يَومَ أُحُدٍ في غَيرِ رِوايَةِ ابْنِ هِشامٍ :

نَحْـــنُ بَنـــاتُ طـــارِقْ نَمْشِـــي علـــى النَّمـــارِقْ
مَشْـــيَ القَطـــا النَّـــواتِـــقْ

إِلى آخِرِ الرَّجَزِ كَما رَواهُ الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ ، كَما سَبَقَ .

قالَ السُّهيليُّ في «الرَّوْضِ»[2] : يُقالُ : إِنَّها تَمَثَّلَتْ بهذا الرَّجَزِ ، وَإِنَّهُ لِهِنْدٍ بنتِ طارِقٍ بن بَياضَة الإِيادِيَّة ، قالَتْهُ في حَرْبِ الفُرْسِ لإِيادٍ ؛ فَعَلَى هذا يَكُونُ إِنْشادُهُ « بَناتُ طارِقٍ » بِالنَّصْبِ على الاخْتِصاصِ ، كَما قالَ[3] : [من الرَّجز]

نَحْنُ بَني ضَبَّةَ أَصْحابُ الجَمَلْ

وإِنْ كانَتْ أَرادَتِ النَّجْمَ « فَبَناتُ » مَرْفُوعٌ ، لأَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأ ؛ أَي : نَحنُ شَرِيفاتٌ رَفِيعاتٌ كَالنُّجُومِ .

قالَ : وَهَذا التَّأْوِيلُ عِنْدِي بَعِيدٌ ، لأَنَّ طارِقاً وَصْفٌ لِلنَّجْمِ لِطُرُوقِهِ ، فَلَوْ أَرادَتْهُ لَقالَتْ : نَحْنُ بَناتُ الطَّارِقِ ؛ إِلاَّ أَنِّي رَأَيْتُ الزُّبَيْرَ بن بَكَّار قال في « كِتابِ

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٦٠ .
(٢) الرَّوض الأُنف ٥/ ٣٠٧ .
(٣) مضى تخريجه في « الجمل » .

أَنْسابِ قُرِيش »[1] :

حَدَّثني يَحْيَى بن عبدِ المَلِكِ الخُزاعيّ قالَ : جَلَسْتُ لَيلَةً وَراءَ الضَّحّاكِ بن عُثمان الحِزاميّ في مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ وَأنا مُتَقَنِّعٌ ، فَذَكَرَ الضَّحّاكُ وَأَصْحابُهُ قَوْلَ هِنْدٍ يَوْمَ أُحُدٍ :

نَحْنُ بَناتُ طارِق .

ثُمَّ قالُوا : ما طَارِقٌ ؟ فقُلْتُ : النَّجْمُ ؛ فَالْتَفَ الضَّحّاكُ وَقالَ : يا أَبا زَكَرِيّا ، كَيفَ ذلكَ ؟ فَقُلْتُ : قالَ اللهُ تَعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطّارق : ١ ـ ٣] كَأَنَّها قالَتْ : نَحْنُ بَناتُ النَّجْمِ ؛ فقالَ : أَحْسَنْتَ . انتهى .

وَمُرادُها بِالقَطا النَّواتِقِ : الكَثيراتُ الأَوْلادِ .

قالَ الجَوهريُّ[2] : نَتَقَتِ المَرْأَةُ : إذا كَثُرَ وَلَدُها ، فَهِيَ ناتِقٌ وَمِنْتاقٌ .

● وَمِنْ هذا ، الحَدِيثُ الذي رَواهُ « ابْنُ ماجه »[3] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « عَلَيْكُمْ بِالأَبْكارِ ، فإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْواهاً ، وأَنْتَقُ أَرْحاماً ، وَأَرْضَى بِاليَسِيرِ » .

وَحُكْمُها : حِلُّ الأَكْلِ بالإِجْماعِ .

وَعَدَّ الرّافعيُّ والأَصْحابُ في « كِتابِ الحَجِّ » القَطَا من الحَمامِ ، فَأَوْجَبُوا على المُحْرِمِ إِذا قَتَلَ الواحِدَةَ شاةً ، وإِنْ كان لا مِثْلَ لَها من النَّعَمِ .

قالَ الشَّيْخُ مُحِبُّ الدِّينِ الطَّبريّ : وَكَذلكَ عَدَّها من الحَمامِ الجَوهريُّ ، وَالمَشْهُورُ خِلافُهُ .

---

(١) ثمار القلوب ١/ ٤٦٢ .

(٢) الصِّحاح « نتق » ٤/ ١٥٥٨ .

(٣) ابن ماجه (١٨٦١) .

الأَمْثالُ : قَالُوا : « أَنْسَبُ من قَطاةٍ »[1] وَهُوَ من النِّسْبَةِ ، وَذلكَ أَنَّها إِذا صَوَّتَتْ ، فإِنَّها تَنْتَسِبُ ، لأَنَّها تُصَوِّتُ باسْمِ نَفْسِها فتَقُولُ : قَطا قَطا .

وَقالُوا : « أَصْدَقُ من القَطاةِ »[2] و« أَقْصَرُ من إِبْهامِ القَطاةِ »[3] . وَقَالُوا : « لَوْ تُرِكَ القَطَا لَيْلاً لَنامَ »[4] .

وَسَبَبُهُ أَنَّ عَمرو بنَ مامَةَ نَزَلَ على قَوْمٍ من مُراد ، فَطَرَقُوهُ لَيْلاً ، فَأَثارُوا القَطا من أَماكِنِها، فَرَأَتْها امْرَأَةٌ طائِرَةً ، فنَبَّهَتْ زَوْجَها ، فقالَ : إِنَّما هذِهِ القَطَا. فَقَالَتْ : لو تُرِكَ القَطَا لَيْلاً لَنامَ ؛ يُضْرَبُ لِمَنْ حُمِلَ على مَكْرُوهٍ من غَيْرِ إِرادَتِهِ .

وَقِيلَ[5] : قَالَتْهُ امْرَأَةٌ يُقالُ لَها : حَذامِ ، لَمَّا رَأَتِ القَطَا طَارَ لَيْلاً قَالَتْ :

[من الوافر]

أَلا يَا قَوْمَنا ارْتَحِلُوا وَسِيْرُوا ... فَلَوْ تُرِكَ القَطَا لَيْلاً لَناما

فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلى قَوْلِها ، وَأَخْلَدُوا إِلى مَضاجِعِهِم ، فقامَ فِيهم رَجُلٌ وَقالَ[6] : [من الوافر]

إِذا قالَتْ حَذامِ فَصَدِّقُوها ... فإِنَّ القَوْلَ ما قالَتْ حَذامِ

فَنَفَرَ القَوْمُ وارْتَحَلُوا ، والْتَجأُوا إِلى وادٍ قَرِيبٍ منهم ، فاعْتَصَمُوا بِهِ حتَّى أَصْبَحُوا ، وَامْتَنَعُوا من عَدُوِّهم .

---

(١) الميداني ٢/ ٣٤٧ وحمزة ٢/ ٢٦٥ و٢/ ٤٠٢ والعسكري ٢/ ٣١٩ والزمخشريّ ١/ ٣٩١ .

(٢) الميدانيّ ١/ ٤١٢ وحمزة ١/ ٢٦٥ والعسكريّ ١/ ٥٨٤ والزمخشريّ ١/ ٢٠٦ وأَبو عبيد ٣٦٣ وثمار القلوب ٢/ ٧٠٢ والتَّوفيق ٧١ والحيوان ٥/ ٥٧٣ .

(٣) الميدانيّ ٢/ ١٢٨ وحمزة ٢/ ٣٥١ والعسكريّ ٢/ ١١٥ والزمخشريّ ١/ ٢٨٣ وثمار القلوب ٢/ ٧٠٣ والحيوان ٦/ ١٣٧ .

(٤) الميدانيّ ٢/ ١٧٤ والزمخشريّ ٢/ ٢٩٦ وأَبو عبيد ٢٧١ وفصل المقال ٣٨٤ والفاخر ١٤٥ .

(٥) الخبر في مصادر المثل .

(٦) هو ديسم بن طارق ؛ في مصادر المثل .

يُضْرَبُ هذا البيتُ لِمَنْ ظَهَرَ منهُ الصِّدْقُ ؛ وَحَذامِ : مَبْنِيٌّ على الكَسْرِ ، مِثل أَمْسِ .

وَقالُوا : « بَيْضُ القَطا يَحْضُنُهُ الأَجْدَلُ »[1] وَقَد تَقَدَّمَ .

وَقالُوا : « لَيْسَ قَطا مِثْلُ قُطَيٍّ »[2] أَي : لَيسَ الأَكابِرُ مِثْلُ الأَصاغِرِ .

الخَواصُّ[3] : إذا أُحْرِقَتْ عِظامُ القَطا ، وَأُخِذَ من رَمادِها ، وَأُغْلِيَ بِزَيْتِ القاقِ ، وَطُلِيَ بِهِ رَأْسُ الأَقْرَعِ وَمَوْضِعُ الثَّعلَبِ ، أَنْبَتَ الشَّعَرَ ؛ وَقالَ ابْنُ زُهْرٍ : إِنَّهُ جَرَّبَهُ .

وَلَحْمُها عَسِرُ الهَضْمِ ، رَدِيءُ الغِذاءِ .

وإذا أُخِذَ رَأْسُها ، وَيُبِّسَ ، وَصُرَّ في خِرْقَةِ كَتَّانٍ جَديدَةٍ ، وَعُلِّقَ على فَخِذِ امْرَأَةٍ وَهيَ نائِمَةٌ ، أَخْبَرَتْ بِجَمِيعِ ما فِي نَفْسِها ، وَبِما فَعَلَتْهُ في يَوْمِها ؛ فَإِنْ خَلَّطَتْ في الكَلامِ ، فارْمِ بِهِ عَنْها لِئَلاَّ تَتَوَسْوَسَ . وإذا شُقَّ بَطْنُ قَطاتَيْنِ ذَكَرٍ وأُنثى ، وَطُبِخَ بَطْنُهما ، وَأُخِذَ دَسَمُهُما ، وَجُعِلَ في قارُورَةٍ ، وَدُهِنَ بِهِ إِنْسانٌ ، وَهوَ لا يَعْلَمُ ، أَحَبَّ الدَّاهِنِ حُبّاً شَدِيداً .

● **خاتِمَةٌ** : رَوَى « ابْنُ حِبَّانَ » وَغَيْرُهُ ، من حَدِيثِ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، و« ابنُ ماجه »[4] من حَدِيثِ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِداً وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطاةٍ ، بَنى اللهُ لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ » .

---

(١) الميداني ١/ ١٠٩ .

(٢) الميداني ٢/ ١٨١ والعسكريّ ٢/ ٢٠٢ والزمخشريّ ٢/ ٣٠٦ وأَبو عبيد ٢٩٢ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٨٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٠ ومفردات ابن البيطار ٤/ ٢٥ ـ ٢٦ .

(٤) ابن حبَّان (١٦١٠ و ١٦١١) وابن ماجه (٧٣٨) وعجائب المخلوقات ٢٨٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٠ .

وَفِي « صحيح مُسلم »[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ بَنى للهِ مَسْجِداً ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ مِثْلَهُ » .

مَفْحَصُ القَطاةِ : بفَتْحِ المِيمِ : مَوْضِعُها الذي تَجْثُمُ فِيهِ وَتَبِيضُ ، كَأَنَّها تَفْحَصُ عنهُ التُّرابَ ؛ أي تَكْشِفُهُ ؛ وَالفَحْصُ : البَحْثُ والكَشْفُ .

وَخُصَّتِ القَطاةُ بِهذا ، لأَنَّها لا تَبيضُ في شَجَرٍ وَلا على رَأْسِ جَبَلٍ ؛ إِنَّما تَجْعَلُ مَجْثَمَها على بَسِيطِ الأَرْضِ دُونَ سائِرِ الطُّيُورِ ، فَلِذلكَ شُبِّهَ بِهِ المَسْجِدُ ، وَلأَنَّها تُوصَفُ بِالصِّدْقِ ـ كَما تَقَدَّمَ ـ فَكَأَنَّهُ أَشارَ بذلكَ إِلى الإِخْلاصِ في بِنائِهِ .

كَما قالَ سَيِّدِي الشَّيْخُ العارِفُ باللهِ تَعالى أَبو الحَسَنِ الشَّاذليّ رحمهُ اللهُ تَعالى : خالِصُ العُبُودِيَّةِ : الانْدِماجُ في طَيِّ الأَحْكامِ من غَيْرِ شَهْوَةٍ وَلا إِرادَةٍ . وَهَذا شَأْنُ هذا الطَّائِرِ .

وَقِيلَ : إِنَّما شُبِّهَ بِذلكَ لأَنَّ أُفْحوصَها يُشْبِهُ مِحْرابَ المَسْجِدِ في اسْتِدارَتِهِ وَتَكْوِينِه .

وَقِيلَ : خَرَجَ ذلكَ مَخْرَجَ التَّرغيبِ بالقَلِيلِ عن الكَثِيرِ ، كَما خَرَجَ مَخْرَجَ التَّحذِيرِ بالقَليلِ عن الكَثِيرِ ، قوْلُهُ ﷺ[2] : « لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ ؛ يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ » .

وَلأَنَّ الشَّارِعَ يَضْرِبُ المَثَلَ في الشَّيْءِ بما لا يَكادُ يَقَعُ ، كَقَوْلِهِ ﷺ[3] : « وَلَوْ سَرَقَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ محمَّدٍ » وَهِيَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْها لا يُتَوَهَّمُ مِنها سَرِقَةٌ .

وَكَقَوْلِهِ ﷺ : « اسْمَعُوا وأَطِيعُوا وَلَوْ عَبْداً حَبَشِيّاً » . يَعْني : فَأَطِيعُوهُ ؛ وَقَدْ ثَبَتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « الأَئِمَّةُ من قُرَيْشٍ » .

---

(١) مسلم (٥٣٣) وابن حبّان (١٦٠٩) .

(٢) ابن حبّان (٥٧٤٨) ومسلم (١٦٨٧) .

(٣) مسلم (١٦٨٨) .

وَقيلَ : المُرادُ طاعَةُ من وَلاّهُ الإمامُ عَليكم ، وإنْ كان عَبْداً حَبَشِيّاً .

التَّعبيرُ[1] : القَطا في المَنامِ : يَدُلُّ على الصِّدْقِ ، وَالفَصاحَةِ ، وَالأُلْفَةِ ، وَالأُنْسِ ؛ وَرُبَّما دَلَّتِ القَطاةُ على امرأَةٍ مُعْجَبَةٍ بِنَفْسِها ، وَهيَ ذاتُ جَمالٍ غيرُ آلِفَةٍ . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٨٢٨ القَطَّا : بتَشديدِ الطَّاءِ . قالَ القَزوينيُّ[2] : سَمَكَةٌ عَظِيمةٌ ، ذَكَرُوا أَنَّ عَظْمَ ضِلْعِها يُتَّخَذُ منهُ قَنْطَرَةً يَعْبُرُ النَّاسُ عليها ؛ وَشَحْمُهُ إذا طُلِيَ بِهِ البَرَصُ يَزُولُ .

٨٢٩ القُطاميُّ : الصَّقْرُ . تُضَمُّ قافُهُ وَتُفْتَحُ[3] ؛ وهو من أَعْظَمِ الطُّيُورِ التي يُصادُ بها ، وَهو عَزيزُ الوُجُودِ .

٨٣٠ قُطْرُب : طائِرٌ يَجُولُ اللَّيْلَ كُلَّهُ لا يَنامُ .

وَقالُوا : « أَجْوَلُ من قُطْرُبٍ »[4] و« أَسْهَرُ من قُطْرُبٍ »[5] .

● وَقُطْرُبُ : لَقَبُ محمَّد بن المُسْتَنِير النَّحْويّ ، صاحِبُ « المُثَلَّث » وغيرُهُ ؛ كان من أَهْلِ العَرَبيَّةِ ، وكان حَرِيصاً على الاشْتِغالِ والتَّعلُّمِ ، فَكانَ يُبَكِّرُ إلى سِيْبَويه قبلَ حُضُورِ أَحَدٍ من التَّلامِذَةِ ، فقالَ لَهُ يَوْماً : ما أَنْتَ إلاّ قُطْرُبُ لَيْلٍ ؛ فَبَقِيَ عليْهِ هذا اللَّقَبُ . تُوُفِّيَ سنةَ سِتٍّ ومئتين[6] .

---

(١) تفسير الواعظ ٢٩٦ .

(٢) عجائب المخلوقات ١٠٤ . وفي ١٠٣ : **قطا** : صنفٌ من الدَّوابِّ الصَّدَفيَّة ، يوجد ببلاد الهند . . . .

(٣) الصِّحاح « قطم » ٥/ ٢٠١٤ .

(٤) الميداني ١/ ١٨٥ وحمزة ١/ ١١٦ و ٢/ ٤٤٦ والعسكري ١/ ٣٣٠ والزَّمخشري ١/ ١٦٩ .

(٥) الميداني ١/ ٣٥٥ وحمزة ١/ ١١٦ و ٢١٨ و ٢٣٤ والعسكري ١/ ٥٣٦ والزَّمخشري ١/ ١٧٥ .

(٦) ترجمته في : تاريخ بغداد ٤/ ٤٨٠ وإنباه الرُّواة ٣/ ٢١٩ ووفيات الأَعيان ٤/ ٣١٢ ومعجم=

وَالقُطْرُبُ والقُطْرُوبُ : قالَ ابْنُ سِيْدَه[1] : إِنَّهُ الذَّكَرُ من السَّعالى . وَقيلَ : هُما صِغارُ الجِنِّ . وَقِيلَ : القَطارِبُ صِغارُ الكِلابِ ، واحِدُها قُطْرُبٌ . وَالقُطْرُبُ : دُوَيْبَّةٌ لا تَسْتَرِيحُ نَهارَها سَعْياً .

● وَقالَ الإِمامُ محمَّد بن ظَفر : القُطْرُبُ : حَيوانٌ يَكُونُ بِالصَّعيدِ من أَرْضِ مِصْرَ ، يَظهرُ للمُنْفَرِدِ من النَّاسِ ، فَرُبَّما صَدَّهُ عن نَفْسِهِ إِذا كان شُجاعاً ، وإِلاَّ لَمْ يَنْتَهِ حتَّى يَنْكِحَهُ ، فإِذا نَكَحَهُ هَلَكَ .

وَهُم إِذا رأَوْا من ظَهَرَ لَهُ القُطْرُبُ قالُوا : أَمَنْكُوحٌ أَم مُرَوَّعٌ ؟ فإِنْ قالَ : مَنْكُوحٌ ؛ أَيِسُوا من حَياتِهِ . وإِنْ قالَ : مُرَوَّعٌ ؛ عالَجُوهُ .

قالَ : وَقَدْ رَأَيْتُ أَهْلَ مِصْرَ يَلْهَجُونَ بِذِكْرِهِ . انتهى .

وَالقُطْرُبُ[1] : الفَأْرُ ، وَالذِّئْبُ الأَمْعَطُ ، وَالسَّفِيهُ ، وَنَوْعٌ من المالِيْخُوليا .

● وَفي الحديثِ[2] : « لا يُلْفَيَنَّ أَحَدُكُم جِيْفَةَ لَيْلٍ ، قُطْرُبَ نَهارٍ » . وَهذا من كَلامِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، رَواهُ عنهُ آدَمُ ابن أَبي إِياسٍ العَسْقَلانيّ في « كِتابِ الثَّواب » مَوقُوفاً عليْهِ ، وَقِيلَ : مَرْفُوعاً .

وَقالُوا في مَعناهُ : إِنَّ القُطْرُبَ لا يَسْتَرِيحُ في النَّهارِ ؛ وَالمُرادُ : لا يَنامَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّيْلَ كُلَّهُ كأَنَّهُ جِيْفَةٌ ، ثمَّ يَكُونُ بِالنَّهارِ كَأَنَّهُ قُطْرُبٌ ، لِكَثْرَةِ جَوَلانِهِ ، وطَوَفانِهِ في أَمْرِ دُنْياهُ ؛ فإِذا أَمْسى كان كالاً تَعِباً ، فَيَنامُ لَيْلَهُ كُلَّهُ حتَّى يُصْبِحَ ، كَالجِيْفَةِ لا يَتَحَرَّكُ .

= الأدباء ٦/ ٢٦٤٦ والوافي بالوفيات ٥/ ١٩ وإِشارة التَّعيين ٣٣٨ .

(١) وعنه اللِّسان « قطرب » ٥/ ٣٦٧١ والتَّكملة ١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

(٢) النِّهاية ٤/ ٨٠ ـ ٨١ والميدانيّ ١/ ١٨٥ واللِّسان « قطرب » والتَّكملة ١/ ٢٤٤ .

٨٣١ **القُعْثُبانُ**: كَمِهْرَجان[١] : دُوَيْبَّةٌ كالخُنْفَساءِ . قالَهُ في « العُبابِ » .

٨٣٢ **القَعُودُ**[٢] : من الإِبلِ ، ما اتَّخَذَهُ الرَّاعِي للرُّكُوبِ وَحَمْلِ الزَّادِ ؛ وَالجَمْعُ : أَقْعِدَةٌ ، وَقُعُدٌ ، وَقِعْدانٌ ، وَقَعائِدُ .

وَقِيلَ : **القَعُودُ** : القَلُوصُ ؛ وَقِيلَ : البَكْرُ قبلَ أَنْ يُثْني ، ثمَّ هُوَ جَمَلٌ . **وَالقَعُودُ** : الفَصِيلُ .

٨٣٣ **القَعِيْدُ** : بِفَتْحِ القافِ : الجَرادُ الذِي لَمْ يَسْتَوِ جَناحاهُ .

والقَعِيْدُ من الوَحْشِ : الذي يَأْتِيكَ من وَرائِكَ ، وَهُو خِلافُ النَّطِيحِ[٣] .

٨٣٤ **القُعْقُعُ** : كَفُلْفُلٍ : طائِرٌ أَبْلَقُ ضَخْمٌ ، من طَيْرِ الماءِ ، طَوِيلُ المِنْقارِ . قالَهُ الجَوهرِيُّ رحمهُ اللهُ تَعالى[٤] . زَادَ ابْنُ سِيْدَه : وَفِيهِ بَياضٌ وسَوادٌ .

٨٣٥ **القِلْوُ** : بِالكَسْرِ : الحِمارُ الخَفِيفُ في السَّيْرِ[٥] .

٨٣٦ **القُلْقُلاني** : طائِرٌ كَالفَاخِتَةِ . قالَهُ الجَوهرِيُّ وَغَيْرُهُ[٦] .

٨٣٧ **القَلُوصُ** : من النُّوقِ : الشَّابَّةُ ، وَهي بِمَنْزِلَةِ الجارِيَةِ من النِّساءِ ؛ وَجَمْعُها قُلُصٌ وَقَلائِصُ ، مثل قَدُومٍ وَقُدُمٍ وقَدائِمَ[٧] . ثمَّ قالَ

---

(١) التَّمثيل غير صحيح . قال في القاموس « قعب » ١/ ١٢٣ : والقُعْثُبان ـ بالضَّمِّ ـ : دُوَيْبَّةٌ كالخُنْفَساء . وفي التَّكملة ١/ ٢٤٤ : وقال اللَّيث : القُعْثُبان : دُوَيْبَّةٌ كالخُنْفَساء تكونُ على النَّبات . وضبط في اللِّسان « قعثب » ضبط قلم بفتح القاف ، خطأً .

(٢) اللِّسان « قعد » ٥/ ٣٦٨٧ .

(٣) عن الصِّحاح « قعد » ٢/ ٥٢٦ .

(٤) الصِّحاح « قعع » ٣/ ١٢٧٠ .

(٥) الصِّحاح « قلا » ٦/ ٢٤٦٧ .

(٦) الصِّحاح « قلل » ٥/ ١٨٠٤ واللِّسان والتَّاج « قلل » .

(٧) عن الصِّحاح « قلص » ٣/ ١٠٥٤ .

الرَّاجِزُ[1] : [من الرجز]

مَتَـى تَقُـولُ القُلُـصَ الـرَّواسِمـا   يَحْمِلْـنَ أُمَّ قـاسِـمٍ وقـاسِمـا

نَصبَ القُلُصَ كما يُنْصَبُ بِالظَّنِّ ، وَهِيَ لُغَةُ سُلَيْمٍ ؛ وَمِنهُ قول عُمر بن أَبي رَبيعةَ[2] : [من الكامل]

أَمَّـا الـرَّحِيْـلُ فَـدُونَ بَعْـدِ غَـدٍ   فَمَتَـى تَقُـولُ الـدَّارَ تَجْمَعُنـا

● وَقالَ العَدويُّ : القَلُوصُ : أَوَّلُ ما يُرْكَبُ من إِناثِ الإِبِلِ ، إِلى أَنْ تُثْنِي ، فإِذا أَثْنَتْ فهيَ ناقَةٌ .

● وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ العَيْنِ المُهملةِ » في الكَلامِ على « العَيْرِ » قَوْلُ سالِم ابن دارَةَ[3] : [من البسيط]

لا تَـأْمَنَـنَّ فَـزارِيًّـاً خَلَـوْتَ بِـهِ   علـى قَلُـوصِـكَ واكْتُبْهـا بِـأَسْيـارِ

● رَوَى ابْنُ المُبارِكِ في « الزُّهْدِ والرَّقائِقِ »[4] عن القاسِمِ مَولى مُعاوية ، قالَ : أَقْبَلَ أَعْرابيٌّ إِلى النَّبيِّ ﷺ على قَلُوصٍ لَهُ صَعْبٍ ، فَسَلَّمَ ؛ فَجَعَلَ كُلَّما دَنا إِلى النَّبيِّ ﷺ لِيَسْأَلَهُ ، نَفَرَ بِهِ القَلُوصُ ، وَجَعَلَ أَصْحابُ النَّبيِّ ﷺ يَضْحَكُونَ ؛ فَفَعَلَ ذلكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ ، ثمَّ وَقَصَهُ فَقَتَلَهُ ، فَقِيلَ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ الأَعرابيَّ قَتَلَهُ قَلُوصُهُ حِينَ صَرَعَهُ ، فقالَ ﷺ : « نَعم ، وأَفْواهُكُم مَلآى من دَمِهِ » . كَذَا رَواهُ ابْنُ المُبارَكِ مُرْسَلاً ؛ وهو في « الإِحْياءِ » في الآفَةِ العاشِرَةِ من آفاتِ اللِّسانِ .

---

(١) الشَّطران لهدبة بن خشرم ، في ديوانه ١٣٠ .

(٢) ديوانه ٤٠٢ .

(٣) مضى تخريجه في « العَيْر » .

(٤) لم أَقف عليه في الزُّهد لابن المبارك . وهو في إِحياءِ علوم الدِّين ٣/ ١١١ .

● وَفِي « سُنَنِ أَبي داود »[1] عن إسحاق بن عبدِ اللهِ بن الحارِثِ ، مُرْسَلاً : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ اشْتَرَى بِبِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ قَلُوصاً حُلَّةً ، فَأَهْداها إِلى ذِي يَزَن .

● وَفي « كامِلِ ابن عدي »[2] في تَرجمةِ عُمارة بن زاذان الصَّيْدلانيّ ، عن ثابتٍ ، عن أَنَس بن مالِكٍ : أَنَّ ذا يَزَنَ أَهْدى إِلى النَّبيِّ ﷺ حُلَّةً ، قُوِّمَتْ بِعِشْرِينَ بَعِيراً ، فَلَبِسَها ﷺ ، ثمَّ كَساها عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، ثمَّ قالَ : « إِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ عَنْها » .

● وَرَوى الحاكم في « المُستدرك »[3] عن أَبي الزُّبَيْر ، عن جابِرٍ ، قالَ : اسْتَأْجَرَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها رَسُولَ اللهِ ﷺ سَفْرَتَيْنِ إِلى جُرَش ، كُلُّ سَفْرَةٍ بِقَلُوصٍ . ثمَّ قالَ : صَحِيحُ الإِسْنادِ .

● وَالمَعْرُوفُ من ذلكَ ما في « طَبَقاتِ ابن سعد » قالَ[4] :

لَمَّا بَلَغَ رَسولُ اللهِ ﷺ خَمْساً وَعِشرينَ سنةً ، قالَ لَهُ أَبو طالِبٍ : أَنا رَجلٌ لا مالَ لِي ، وَقَدِ اشْتَدَّ علينا الزَّمانُ ، وَهذهِ عِيْرُ قَوْمِكَ قد حَضَرَ خُرُوجُها إِلى الشَّامِ ، وَخَديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ تبعثُ رِجالاً من قَوْمِكَ في عِيْرِها ، فَلَو جِئْتَها فَعَرَضْتَ نَفْسَكَ عليْها لأَسْرَعَتْ إِليك .

وَبَلَغَ ذلكَ خَديجةَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ ﷺ وقالَتْ : أَنا أُعْطِيكَ ضِعْفَ ما أُعْطِي رَجُلاً من قَوْمِكَ .

وَفي رِوايَةٍ[4] : أَنَّ أَبا طالِبٍ أَتاها ، فقَالَ : هَل لَكِ أَنْ تَسْتَأْجِري محمَّداً ،

---

(١) أبو داود (٤٠٣٥) .

(٢) الكامل في الضُّعفاء ٦/ ١٥١ وميزان الاعتدال ٣/ ١٧٦ وأبو داود (٤٠٣٤) .

(٣) المستدرك ٣/ ١٨٢ .

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ١٠٧ ـ ١٠٨ وسبل الهدى والرَّشاد ٢/ ٢١٤ .

فقد بَلَغنا أَنَّكِ اسْتأْجَرْتِ فُلاناً ببَكْرَيْنِ ، وَلَسْنا نَرْضى لِمحمَّدٍ دُونَ أَربعِ بَكْراتٍ ؟ فقالَتْ خَديجةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها : لو سَأَلْتَ ذلكَ لِبَعيدٍ بَغِيضٍ فَعَلْنَا ، فَكيفَ وَقد سَأَلْتَ لِحَبيبٍ قَرِيبٍ ؟ فقالَ أَبُو طالِبٍ : هذا رِزْقٌ ساقَهُ اللهُ إِلَيْكَ .

فَخَرجَ ﷺ مع غُلامِها مَيْسَرَةَ ، وَجَعلَ عُمومَتُهُ يُوصُونَ بِهِ أَهْلَ العِيْرِ حتَّى قَدِمُوا بُصْرَى من الشَّامِ ، فَنَزَلا في ظِلِّ شَجَرَةٍ ، فقالَ نَسْطُورا الرَّاهِبُ : ما نَزَلَ تَحتَ هذهِ الشَّجَرَةِ قَط إِلاَّ نبيٌّ .

قالَ السُّهيليُّ[1] : يُرِيدُ : ما نَزَلَ تَحْتَها هذِهِ السَّاعَةَ إِلاَّ نَبيٌّ ؛ وَلَمْ يُرِدْ ما نَزَلَ تَحْتَها قَطُّ إِلاَّ نبيٌّ ، لِبُعْدِ العَهْدِ بالأَنْبياءِ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عليهم أَجمعين قبلَ ذلكَ ؛ وَالشَّجَرَةُ لا تُعَمَّرُ في العادَةِ هذا العُمُرَ الطَّويلَ ، إِلاَّ أَنْ تَصِحَّ رِوايَةُ مَن قالَ في هذا الحَدِيثِ : لَمْ يَنزلْ تَحْتَها أَحَدٌ بعدَ عِيسى ابن مَريمَ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَتَكُونُ الشَّجَرَةُ على هذا مَخصوصةً بِالأَنْبياءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

● وَذَكَرَ أَبو عمر ابن عَبدِ البَرِّ : أَنَّ نَسْطُورا رَآهُ وَقَدْ أَظَلَّتْهُ غَمامَةٌ ، فقالَ : هذا نَبِيٌّ ، وَهُوَ آخِرُ الأَنْبياءِ .

ثم[2] باعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سِلْعَتَهُ ، فَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبينَ رَجُلٍ تَلاحٍ ، فقَالَ : احلفْ باللاَّتِ والعُزَّى ؛ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ما حَلَفْتُ بِهِما قَطُّ ، وإِنِّي لأَمُرُّ بِهِما فَأُعْرِضُ عنهما ؛ فقالَ الرَّجُلُ : القَوْلُ قَوْلُكَ .

وَكانَ مَيْسَرَةُ إِذا كانَتِ الهاجِرَةُ ، وَاشْتَدَّ الحَرُّ ، يَرَى مَلَكَيْنِ يُظِلاَّنِ رَسُولَ اللهِ ﷺ من الشَّمْسِ ؛ وَكانَ اللهُ تَعالى قد أَلْقَى عَلَيْهِ المَحَبَّةَ من مَيْسَرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَكانَ كَأَنَّهُ عَبْدٌ لَهُ ، وباعُوا تِجارَتَهم ، وَرَبِحُوا ضِعْفَ ما كانُوا يَرْبَحُونَ .

فَلَمَّا رَجَعُوا وَكانُوا بِمَرِّ الظَّهرانِ ، تَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَخْبَرَ خَديجةَ رَضِيَ

---

(١) الرَّوض الأُنف ٢/ ١٥١_١٥٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٠٧ _ ١٠٨ وسبل الهدى والرَّشاد ٢/ ٢١٤ .

اللهُ عَنْها بِالرِّبْحِ ، ثمَّ قَدِمَ مَيْسَرَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْه فَأَخْبَرَها بذلكَ ، وَبما شَاهَدَهُ من رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَبِما قالَهُ الرَّاهِبُ ؛ فَأَضْعَفَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ما سَمَّتْ لهُ .

● وَقد تَقَدَّمَ للقَلوصِ ذِكْرٌ في لَفْظِ « الفُلُوّ » في قَولِهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ يُرَبِّي الصَّدَقَةَ للمُتَصَدِّقِ ، كَما يُرَبِّي أَحَدُكُم فُلُوَّهُ أَو قَلُوصَهُ » .

والقَلُوصُ أَيضاً : الأُنثى من النَّعامِ .

٨٣٨ القِلِّيْبُ : كَالسِّكِّيْنِ : الذِّئْبُ ؛ وَكذلكَ القِلَّوْبُ ، كَالخِنَّوْصِ[١] ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[٢] : [من الطَّويل]

أَيـا أُمَّتـا بَكِّـي علـى أُمِّ واهِـبٍ ... أَكِيْلَـةِ قِلَّـوْبٍ بِـإِحْـدى المَـذَانِـبِ

٨٣٩ القُمْرِيُّ : طائِرٌ مَشْهُورٌ ؛ كُنْيَتُهُ : أَبو زَكْرِيّ ، وَأَبُو طَلْحَةَ[٣] ، وَهُوَ حَسَنُ الصَّوْتِ .

وَالأُنثى قُمْرِيَّةٌ ، وَالذَّكَرُ ساقُ حُرٍّ ؛ وَالجَمْعُ قَماري ، غيرُ مَصْرُوفٍ .

● قالَ ابنُ السَّمعانيّ في « الأَنْسابِ »[٤] : القُمْرُ : بَلْدَةٌ تُشْبِهُ الجِصَّ لِبَياضِها ، وَأَظُنُّها بِمِصْرَ ؛ مِنْها الحجَّاجُ بن سُليمانَ بن أَفْلَح القُمْريّ ، مِصْرِيٌّ ؛ رَوى عن مالِكِ بنِ أَنَس ، وَاللَّيْثِ بن سَعْدٍ وغيرِهما ؛ ماتَ فَجْأَةً سنة سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ومئة ؛ وَرَوى عنهُ محمَّد بن سَلَمَةَ المُراديّ وغيره .

---

(١) عن الصِّحاح « قلب » ١/ ٢٠٥ .

(٢) البيت بلا نسبة، في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « قلب » والجمهرة ١/ ٤٤١ ومعجم المقاييس ٥/ ١٨ .

والمذانب : جمع مِذْنبٍ ، وهي مجاري الماء في الرِّياض إِلى الأَدوية . (الجمهرة) .

(٣) المرصَّع ١٩٤ و ٢٣٠ و ٣٧١ .

(٤) الأَنساب ١٠/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

قالَ: والقُمْرِيُّ: طائِرٌ مَنسوبٌ إلى هذِهِ البَلْدَةِ . هكذا ذَكَرَهُ صاحِبُ « المُجْمَلِ » .

وَقالَ ابنُ سِيْدَه[1]: القُمْرِيُّ: طائِرٌ صَغِيرٌ ، من الحَمامِ ؛ وَالأُنثى قُمْرِيَّةٌ ، وَجَمْعُها قَماري ، وَقُمرٌ . انتهى .

● وَكانَ[2] عبدُ الرَّحمنِ بن أَبي بَكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، لَمَّا طَلَّقَ زَوْجَتَهُ عاتِكَةَ بنتَ زَيْد بن عَمرو بن نُفَيْلٍ ، يُنْشِدُ : [من الطويل]

أَعاتِكُ لا أَنْساكِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وَما ناحَ قُمْرِيُّ الحَمامِ المُطَوَّقُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلي طَلَّقَ اليَوْمَ مِثْلَها ... وَلا مِثْلَها مِن غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ
أَعاتِكُ قَلْبي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... إِلَيْكِ بِما تُخْفي النُّفُوسُ مُعَلَّقُ
لَها خُلُقٌ جَزْلٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ ... وَخَلْقٌ سَوِيٌّ في الحَياءِ وَمَنْطِقُ

فَرَقَّ لهُ أَبُوهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُراجِعَها ؛ وَالقِصَّةُ في ذلكَ حَسَنَةٌ طَويلَةٌ جِدّاً ، مذكورَةٌ في « الاستيعاب » و« التَّمهيد » وغيرهما .

● وَقالَ القَزوينيُّ[3] : إذا ماتَتْ ذُكُورُ القَماري ، لَمْ تَتَزاوَجْ إِناثُها بعدَها ، وَتَنُوحُ عَليها إِلى أَنْ تَموتَ .

● وَمنَ[3] العَجَبِ أَنَّ بَيْضَ القَماري يجعل تَحتَ الفَواخِتِ ، وَبَيْضُ الفَواخِتِ تَحْتَ القَماري ، [كِلاهُما يَفقسان قَماري كافوريَّةً مُطَوَّقَةً .]

---

(١) المخصَّص ٨/ ١٥٣ .
(٢) المردفات من قريش ٦١ (ضمن نوادر المخطوطات ج ١) والأغاني ١٨/ ٥٩ ونسب قريش لمصعب ٢٧٧ ورسائل الجاحظ ٢/ ١٥١ وربيع الأبرار ٥/ ٢٩٧ وروضة المحبِّين ٣٨٢ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٤/ ٢٥٤ وخزانة البغداديّ ١٠/ ٣٧٩ والاستيعاب ٤/ ٨٧٧ وأُسد الغابة ٧/ ١٨٣ والإصابة ٨/ ٢٢٧ والمستطرف ٣/ ١٩٠ ـ ١٩١ .
(٣) عجائب المخلوقات ٢٨٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٩٠ . والزِّيادة منهما .

وَذُكِرَ[١] أَنَّ الهَوامَّ تَهْرُبُ من صَوْتِ القَماري .

● رَوى أَبو المُظَفَّر ابن السَّمعانيّ ، عن والِدِهِ ، قالَ : أَنْشَدَنا سَعِيدُ بن المُبارك النَّحْويّ لِنَفْسِهِ[٢] : [من الطويل]

أَرَى الفَضْلَ مَنَّاحَ التَّأَخُّرِ أَهْلَهُ   وَجَهْلُ الفَتَى يَسْعَى لَهُ في التَّقَدُّمِ
كَذاكَ أَرى الخُفَّاشَ يُنْجِيْهِ قُبْحُهُ   وَيَحْتَبِسُ القُمْرِيَّ حُسْنُ التَّرَنُّمِ

● فائِدَةٌ[٣] : كان الإمامُ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ جالِساً بَينَ يَدَي الإمام مالك بن أَنَس رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، فَجاءَ رجلٌ فقالَ لِمالِكٍ : إِنِّي رَجلٌ أَبيعُ القَماري ، وإِنِّي بعْتُ في يَوْمي هذا قُمْرِيّاً ، فَرَدَّهُ عَلَيَّ المُشْتَري ، وَقالَ : قُمْرِيُّكَ لا يَصِيحُ ؛ فَحَلَفْتُ لَهُ بالطَّلاقِ : إِنَّهُ لا يَهْدَأُ من الصِّياحِ ؛ فقالَ لَهُ الإمامُ مالِكٌ : طُلِّقَتْ زَوْجَتُكَ ، وَلاَ سَبيلَ لَكَ عَليها .

وَكانَ الإِمامُ الشَّافعيُّ يومئذٍ ابنَ أَربعَ عَشرةَ سَنةً ، فَقَالَ لذلكَ الرَّجُلِ : أَيُّما أَكْثَرُ ، صِياحُ قُمْرِيِّكَ أَمْ سُكُوتُهُ ؟ فقالَ : لا ، بَل صِياحُهُ . فقالَ : لا طَلاقَ عليْكَ .

فَعَلِمَ بذلكَ الإمامُ مالكٌ ، فقالَ : يَا غُلامُ ، من أَيْنَ لَكَ هذا ؟ فقالَ : لأَنَّكَ حَدَّثْتَني عن الزُّهريِّ ، عن أَبي سَلَمَةَ بن عبدِ الرَّحمنِ ، عن أُمِّ سَلَمَةَ : أَنَّ فاطِمةَ بنتَ قَيْسٍ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَبا جَهْمٍ وَمُعاويَةَ خَطَباني . فَقَالَ ﷺ : « أَمَّا مُعاويةُ فَصُعْلُوكٌ لا مالَ لَهُ ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ ، فَلا يَضَعُ عَصاهُ عن عاتِقِهِ » .

وَقد عَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ أَبا جَهْمٍ كان يَأْكُلُ وَيَنامُ وَيَسْتَرِيحُ ، وَقد قالَ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٠ . والزِّيادة منهما .
(٢) البيتان له في إِنباه الرُّواة ٢/ ٥٠ .
(٣) مضى في « البلبل » .

ﷺ : « لا يَضَعُ عَصاهُ » على المَجازِ ؛ وَالعَرَبُ تَجعلُ أَغْلَبَ الفِعْلَيْنِ كَمُداوَمَتِهِ ؛ وَلَمَّا كان صِياحُ قُمْرِيٍّ هذا أَكْثَرَ من سُكُوتِهِ ، جَعَلْتُهُ كَصِياحِهِ دائماً .

فَتَعَجَّبَ الإِمامُ مالكٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه من احْتِجاجِهِ ، وَقالَ لَهُ : أَفْتِ . فقد آنَ لَكَ أَنْ تُفْتِي ؛ فَأَفْتى من ذلكَ السِّنِّ .

● **غَرِيبَةٌ** : ذَكَرَ ابنُ خلّكان وابْنُ الأَثيرِ في « تاريخيهما »[1] : أَنَّ بعضَ المُلُوكِ بِقِلاعِ الهِنْدِ ، أَهْدى للسُّلْطانِ محمود بن سُبُكْتِكين هَدايا كَثيرَةً ، من جُمْلَتِها طائِرٌ على هَيْئَةِ القُمْرِيِّ ، من خاصِّيَّتِهِ أَنَّهُ إِذا حَضَرَ الطَّعامُ وَفِيهِ سُمٌّ ، دَمَعَتْ عَيْناهُ ، وَجَرَى منهُما ماءٌ وَتَحَجَّرَ ، فإِذا حُكَّ وَوُضِعَ على الجِراحاتِ الواسِعَةِ يَخْتِمُها .

ذَكَرَ ذلكَ ابنُ الأَثيرِ في حوادِثِ سنةَ أَربعَ عشرةَ وأَربعمئة ؛ وَذَكَرَهُ ابنُ خلّكان في تَرجمةِ السُّلطانِ المذكُورِ .

ثمَّ ذَكَرَ ابْنُ خلّكان في تَرجمتِهِ عن إِمام الحَرَمَيْنِ عَبْدِ المَلِكِ ابن الشَّيخ أَبي محمَّد عبد اللهِ الجُوَيْنيّ[2] :

أَنَّ السُّلطانَ المذكُورَ كان حَنَفِيَّ المَذْهَبِ ، وَكانَ مُولعاً بِعِلْمِ الحَدِيثِ ، وَكانَ يُسْمَعُ عِنْدَهُ الحَدِيثُ ، وَكانَ يَسْأَلُ عن مَعْناهُ ، فَيَجِدُ أَكْثَرَهُ مُوافِقاً لِمَذْهَبِ الإمام الشَّافعيِّ رحمهُ اللهُ تَعالى ، فَجَمَعَ فُقَهاءَ المَذْهَبين والْتَمَسَ مِنهُم الكَلامَ في تَرجِيحِ أَحَدِ المَذْهَبين ، فَوَقَعَ الاتِّفاقُ على أَنْ يُصَلَّىٰ بينَ يَديهِ رَكْعتانِ على مَذْهَبِ الإِمامِ الشَّافعيِّ ، ثمَّ على مَذْهَبِ الإِمامِ أَبي حَنيفة رَكعتان ، فَينظرَ السُّلطانُ إِلى ذلكَ وَيَختارَ الأَحْسَنَ ؛ فَصَلَّى القَفَّالُ المَرْوَزيُّ بِطَهارَةٍ سابغَةٍ ، وَشَرائِطَ مُعْتَبَرَةٍ ، من الطَّهارَةِ ، وَالسّترةِ ، وَاسْتِقْبالِ القِبْلَةِ ، وَأَتى بِالأَرْكانِ

---

(١) الكامل في التّاريخ ٩/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ووفيات الأعيان ٥/ ١٧٩ .

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ١٨٠ وسير أعلام النُّبلاء ١٧/ ٤٨٦ .

والهَيْئاتِ والسُّنَنِ والأَبْعاضِ وَالآدابِ ، عَلى وَجْهِ الكَمالِ ؛ وَكانَتْ صَلاةً لا يُجَوِّزُ الشَّافعيُّ دُونَها ؛ ثمَّ صَلَّى رَكعتين على ما يُجَوِّزُ أَبو حَنيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَلَبِسَ جِلْدَ كَلْبٍ مَدْبُوغاً ، وَلَطَّخَ بَعْضَهُ بالنَّجاسَةِ ، وَتَوَضَّأَ بِنَبيذِ التَّمْرِ ، وَكانَ ذلكَ في صَميمِ الصَّيْفِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الذُّبابُ والبَعُوضُ ، وَكانَ وُضوءُهُ مُنَكَّساً مُنْعَكِساً ، ثمَّ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ وَأَحْرَمَ بِالصَّلاةِ من غيرِ نِيَّةٍ في الوُضُوءِ ، وَكَبَّرَ بالفارِسِيَّةِ ، ثمَّ قَرَأَ بها « دوبرك سبز » ثمَّ نَقَرَ كَنَقْراتِ الدِّيْكِ من غيرِ فَصْلٍ بينَها ، وَمن غيرِ طُمَأْنِينَةٍ ، وَتَشَهَّدَ ، وَضَرَطَ في آخِرِهِما ، وَخرجَ من غيرِ نِيَّةِ السَّلامِ ، وَقالَ : أَيُّها السُّلْطانُ ، هذهِ صَلاةُ أَبي حنيفةَ ؛ فقالَ السُّلطانُ : لَو لَمْ تَكُنْ هذهِ صَلاةُ أَبي حَنيفة لَقَتَلْتُكَ ، لأَنَّ مِثلَ هذهِ الصَّلاةِ لا يُجَوِّزُها ذُو دِيْنٍ ؛ فَأَنْكَرَتِ الحَنَفِيَّةُ أَنْ تَكُونَ هذهِ الصَّلاةُ جائِزَةً عندَ أَبي حَنيفةَ ، فَطلبَ القَفَّالُ كُتُبَ أَبي حَنيفة ، فَأَمَرَ السُّلطانُ بِإِحْضارِها ، وَأَمَرَ نَصْرانِيّاً أَنْ يَقْرَأَ كُتُبَ المَذهبَين جَميعاً ، فَوُجِدَتِ الصَّلاةُ التي صَلاَّها القَفَّالُ جائِزَةً عندَ أَبي حَنيفة : فَأَعْرَضَ السُّلْطانُ عن مَذْهَبِ أَبي حَنيفة ، وَتَمَسَّكَ بِمَذْهَبِ الشَّافعيِّ رَضِيَ اللهُ عنهما[1] .

---

(١) قال ابن تغري بردي في النُّجوم الزَّاهرة ٤/ ٢٧٣ : وما حكاه ابن خلّكان من قصَّة القفَّال في صلاة الحنفيَّة بين يدي ابن سبكتكين المذكور ، ليس لها صِحَّةٌ ؛ يَعرف ذلك من لَه أَدنى ذَوقٍ من وجوهٍ عديدةٍ ، فإِنَّ محموداً المذكور كان قد قرأَ في ابتداء أَمرِه ، وبرعَ في الفقهِ والخلافِ ، وصار معدوداً من العلماء ، وصنَّف كتاباً في فقه الحنفيَّة قبل سلطنته بمدَّة سنين ، وذلك قبل أَن يُشتهر القفَّال . فَمَن يكونُ بهذه المثابة ، لا يَحتاجُ إِلى مَنْ يُعَرِّفُهُ الصَّلاةَ على المذاهب الأَربعة ، بل ولا غيرها ؛ وأَصاغرُ الفقهاء من طلبة العلم يعرفون الخلاف في مثل هذه المَسأَلة .
وأَيضاً حاشا القفَّال أَن يقع في مثل هذه القبائح ، من كشف العورة ، والضُّراط في الملأ ، وتحكيم رجلٍ نصرانيٍّ في قراءة كتب المذهبين ، والافتراء على مذهب الإمام الأَعظم أَبي حنيفة ، وما ثمَّ أَمرٌ يحتاج إِلى ذلك ، ولا أَلجأت الضَّرورة إِلى أَن يَفعلَ بعضَ ما قيل عنه .
وإِنَّما محمود بن سبكتكين رجلٌ من المسلمين ، لا يزيد في الحنفيَّة ، ولا ينقص من =

وَتُوفِّيَ السُّلطانُ بِغَزْنَةَ ، سَنَةَ اثنتين وعِشرينَ وَأربعمئة .

وَتفسيرُ « دوبرك سبز » : وَرَقَتانِ خَضْراوَتان ؛ وَهُوَ مَعنى قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرَّحمن : ٦٤] .

قُلتُ : وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ أَتَى بِالسُّنَنِ وَالأَبْعاضِ والآدابِ والهَيْئاتِ ؛ فَقَوله : لا يُجَوِّزُ الشَّافعيُّ دُونَها : غيرُ مُستقِيمٍ ؛ وَالمَشْهُورُ أَنَّه أَتَى بِما لا تَصِحُّ الصَّلاةُ إِلاَّ بِهِ .

وَحُكمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ بالإِجْماعِ كَالحَمامِ ، لأَنَّهُ نَوْعٌ منهُ كما تَقَدَّمَ .

التَّعبيرُ : القُمْرِيَّةُ في المَنامِ[1] : امْرَأَةٌ دَيِّنَةٌ .

وَقِيلَ : القُمْرِيُّ : رَجلٌ قارِىءٌ لِقَصائِدِ الشِّعْرِ ، طَيِّبُ الحَنْجَرَةِ .

وَقالَتِ اليَهُودُ : من رَأَى قُمْرِيّاً ، أَوْ بُلْبُلاً ، أَوْ ما أَشْبَهَ ذلكَ ، نَالَ خَيْراً ، وإِنْ كان لَهُ مُسافِرٌ : قَدِمَ عليْهِ ؛ وإِنْ كان في غَمٍّ فَرَّجَ اللهُ تَعالى عنهُ ، وإِنْ كانَتْ لَهُ حاجَةٌ بَعِيدَةٌ قُرِّبَتْ .

وَمَنْ رَأَى هذهِ الأَشْياءَ في زَمَنِ الرَّبيعِ ، قُضِيَتْ حاجَتُهُ ؛ وإِنْ رَآها في غَيْرِ زَمَنِ الرَّبيعِ ، تَأَخَّرَتْ حاجَتُهُ إِلى زَمَنِ الرَّبيعِ .

وَتَدُلُّ رُؤْيَتُها للحامِلِ على وَضْعِ ذَكَرٍ . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٨٤٠ القَمَعَةُ : بِالتَّحْرِيكِ : ذُبابٌ يَرْكَبُ الإِبلَ والظِّباءَ إِذا اشْتَدَّ الحَرُّ .

يُقالُ : الحِمارُ يَتَقَمَّعُ ، أَي يُحَرِّكُ رَأْسَهُ[2] .

= الشَّافعيَّة ، ولعلَّ بعض الفقراء يكون أَفضل منه عند الله تَعالى . . . .
فهذا كلُّه موضوع على القفَّال من أَهل التَّحامل والتَّعصُّب ، فنعوذُ باللهِ من الاستخفاف بالعلماء والوقوع في حقِّهم ، ونسأَل اللهَ السَّلامةَ في الدِّين . ا هـ .

(١) تفسير الواعظ ٢٩٩ .

(٢) عن الصِّحاح « قمع » ٣/ ١٢٧٢ والمخصَّص ٨/ ١٨٣ .

● وَقالَ الجاحِظُ[1] : هو ضَرْبٌ من ذُبابِ الكَلأِ .

قالَ في « الكِفايَةِ » : القَمَعُ : ذُبابٌ أَزْرَقُ عَظِيمٌ[2] .

٨٤١ القُمْعُوطَةُ وَالمُقْعُوطَةُ : دُوَيْبَّةٌ . حَكاهُ ابْنُ سِيْدَه[3] .

٨٤٢ القَمْلُ : مَعرُوفٌ ، واحِدَتُهُ قَمْلَةٌ ، وَيُقالُ لَها أَيضاً : قُمالٌ . قالَهُ ابنُ سِيْدَه[4] .

وَالقَمْلُ : جَمْعُ قَمْلَةٍ ؛ وَقد قَمِلَ رَأْسُهُ ـ بالكَسْرِ ـ قَمْلاً .

● وَكُنْيَةُ القَمْلَةِ[5] : أُمُّ عُقْبَةَ ، وَأُمُّ طَلْحَةَ . وَيُقالُ للذَّكَرِ : أَبُو عُقْبَةَ . والجَمْعُ : بَناتُ عُقْبَةَ ، وَبَناتُ الدُّرُوزِ ؛ وَالدُّرُوزُ : الخِياطَةُ ؛ سُمِّيَتْ بذلكَ لِمُلازَمَتِها إيَّاها .

وَقَمْلَةُ الزَّرْعِ : دُوَيْبَّةٌ تَطِيرُ كَالجَرادِ في خِلْقَةِ الحَلَمِ ، وَجَمْعُها قُمَّلٌ . قالَهُ الجَوهرِيُّ[6] .

وَالقَمْلُ[7] المَعْرُوفُ يَتَوَلَّدُ من العَرَقِ وَالوَسَخِ إذا أَصابَ ثَوْباً أَو بَدَناً أَو رِيشاً أَوْ شَعْراً ، حتَّى يَصِيرَ المَكانُ عَفِناً .

● وَقالَ الجاحِظُ[8] : رُبَّما كان الإنْسانُ قَمِلَ الطِّباعِ ، وإنْ تَنَظَّفَ وَتَعَطَّرَ

---

(١) الحيوان ٣/ ٣٥١ .
(٢) وكذا في المخصَّص ٨/ ١٨٣ .
(٣) اللِّسان « قمعط » ٥/ ٣٧٤٢ .
(٤) المخصَّص ٨/ ١١٩ .
(٥) المرصَّع ٢٣٢ و٢٤٢ و٢٤٦ .
(٦) الصحاح « قمل » ٥/ ١٨٠٥ .
(٧) الحيوان ٥/ ٣٦٩ و ٣/ ٣٣١ وعجائب المخلوقات ٣٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٥ .
(٨) الحيوان ٥/ ٣٧٢ والبخاري ٣/ ٢٣١ ومسلم (٢٠٧٦) والتِّرمذيّ (١٧٢٢) وأبو داود (٤٠٥٦) والنَّسائيّ (٥٣١٠) وابن ماجه (٣٥٩٢) .

وَبَدَّلَ الثِّيابِ ، كَما عَرَضَ لِعَبْدِ الرَّحمنِ بن عَوفٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، والزُّبَيْرِ ابنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، حَتَّى اسْتَأْذَنا رَسُولَ اللهِ في لُبْسِ الحَريرِ ، فَأَذِنَ لَهُما فِيهِ ؛ وَلَوْلا أَنَّهُما كانا في حَدِّ الضَّرُورَةِ ، لَما أَذِنَ لَهُما فِيهِ ، مع ما قَدْ جاءَ في ذلكَ من التَّشْديدِ .

فَلَمَّا كان في خِلافَةِ عُمر رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، رَأَى على بَعْضِ بَني المُغِيرَةِ من أَخْوالِهِ، قَمِيصَ حَريرٍ، فَعَلاهُ بِالدِّرَّةِ، فقالَ المُغيريُّ: أَوَ لَيْسَ عبدُ الرَّحمنِ ابنِ عوفٍ لَبِسَ الحَريرَ ؟ قالَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : وَأَنْتَ مثلُ عبدِ الرَّحمنِ ابن عَوفٍ ، لا أُمَّ لَكَ ؟ .

قالَ[1]: وَمِن طَبْعِ القَمْلِ أَنْ يَكُونَ في شَعَرِ الرَّأْسِ الأَحْمَرِ أَحْمَرَ، وَفي الشَّعَرِ الأَسْوَدِ أَسْوَدَ، وَفي الشَّعَرِ الأَبْيَضِ أَبْيَضَ؛ وَمَتى تَغَيَّرَ الشَّعَرُ تَغَيَّرَ إِلى لَوْنِهِ.

قالَ[2] : وَهُوَ من الحَيوانِ الذي إِناثُهُ أَكْبَرُ من ذُكُورِهِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّ ذُكورَهُ الصِّئْبانُ ؛ وَقِيلَ : الصِّئْبانُ بَيْضُهُ ، كَما تَقَدَّمَ في « بابِ الصَّادِ المُهملَةِ » .

● رَوى الحاكِمُ في أَوائِلِ « المستدرك »[3] من حَدِيثِ أَبي سَعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، من أَشَدُّ النَّاسِ بلاءً ؟ قالَ ﷺ : « الأَنْبياءُ » . قالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « العلماء » . قال : ثمَّ مَن ؟ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ : « الصَّالِحُون ؛ كان أَحَدُهُم يُبْتَلى بالقَمْلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ ، وَيُبْتَلى أَحَدُهُم بالفَقْرِ حتَّى لا يَجِدَ إِلاّ العَباءَةَ يَلْبَسُها ؛ وَلأَحَدُهُم كان أَشَدَّ فَرَحاً بِالبَلاءِ من أَحَدِكُم بِالعَطاءِ » . ثمَّ قالَ : صَحِيحُ الإِسْنادِ على شَرْطِ مُسلمٍ .

---

(١) الحيوان ٤/ ٧١ و ٥/ ٣٦٩ وعجائب المخلوقات ٣٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٥ .
(٢) الحيوان ٥/ ٣٦٨ـ٣٦٩ .
(٣) المستدرك ١/ ٤٠ ومسند أحمد ٣/ ٩٤ .

● وَالقَمْلُ يُسْرِعُ إِلى الدَّجاجِ والحَمامِ ، وَيَعْرِضُ للقِرَدَةِ .

● **وَأَمَّا قَمْلَةُ النَّسْرِ**[1] : فَهِيَ التي تَكُونُ في بِلادِ الجَبَلِ ، وَتُسَمَّى بالفارِسِيَّةِ « دَده » ، وَهِيَ إِذا عَضَّتْ قَتَلَتْ ؛ وَهِيَ أَعْظَمُ من القَمْلِ ؛ وإِنَّما سُمِّيَتْ قَمْلَةَ النَّسْرِ ، لأَنَّها تَسقطُ منهُ .

● **فائِدَةٌ**[2] : اخْتَلَفَ العُلَماءُ في القَمْلِ المُرْسَلِ على بَني إِسرائِيل ؛ فقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : هُوَ السُّوسُ الذي يَخرجُ من الحِنْطَةِ .

وَقالَ مُجاهِدٌ والسُّدِّيُّ وَقَتادَةُ والكَلبيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم : هُوَ الجَرادُ الطَّيَّارُ الذي لَهُ أَجْنِحَةٌ ؛ وَقِيلَ : الدَّبا ، وَهوَ الجَرادُ الصِّغارُ الذي لا أَجْنِحَةَ لَهُ .

وَقالَ عِكْرِمَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : بَناتُ الجَرادِ .

وَقالَ أَبُو عُبَيْدٍ : هُوَ الحَمْنانُ ؛ وَهُوَ ضَرْبٌ من القُرادِ .

وَقالَ أَبُو زَيْدٍ : البَراغِيثُ .

وَقالَ الحَسَنُ وَسَعِيدُ بن جُبَيْرٍ : دَوابٌّ سُودٌ صِغارٌ .

وَقالَ عَطاءُ الخُراسانيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : هُوَ القَمْلُ المَعْرُوفُ ، بإِسْكانِ المِيمِ .

● رُوِيَ[3] أَنَّ مُوسى عليْهِ السَّلامُ مَشىٰ بعَصاهُ إِلى كَثِيبٍ أَعْفَرَ مَهِيلٍ ، بِقَرْيَةٍ من قُرَى مِصْرَ تُدْعَى عَيْنَ شَمْسٍ ، فَضَرَبَهُ بِعَصاهُ فانْتَشَرَ كُلُّهُ قَمْلاً في مِصْرَ ، فتَتَبَّعَ ما بَقِيَ من حُرُوثِهم وأَشْجارِهِم وَنباتِهِم ، فَأَكَلَهُ وَلَحَسَ الأَرْضَ ؛

---

(١) الحيوان ٥/ ٣٩٢ و ٣٩٨ .

(٢) البداية والنهاية ٢ / ٩٦ وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٤١ وتفسير الطبري ١٠/ ٣٨٣ وما بعد .

(٣) البداية والنِّهاية ٢/ ٩٦ ـ ٩٧ .

وَكانَ يَدْخُلُ بينَ ثَوْبِ أَحَدِهِم وَجِلْدِهِ فَيَعَضُّهُ ؛ وَكانَ أَحَدُهُم يَأْكُلُ الطَّعامَ فَيَمْتَلِىءُ قَمْلاً .

فَلَمْ يُصابُوا بِبَلاءٍ كان أَشَدَّ عَلَيْهِم من ذلكَ القَمْلِ ؛ فإِنَّهُ أَخَذَ بِشُعورِهِم وَأَبْشارِهِم وَأَشْفارِ عُيُونِهِم وَحَواجِبِهِم ، وَلَزِمَ عُيُونَهم وَجُلُودَهم كَأَنَّهُ الجُدَرِيُّ ، فَمَنَعَهُمُ النَّوْمَ والقَرارَ ، فَصَرَخُوا وَصاحُوا إِلى مُوسى عليْهِ السَّلامُ : إِنَّا نَتُوبُ ، فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يَكْشِفْ عَنَّا هذا البَلاءَ ؛ فَدعا لَهُم مُوسى عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَرَفَعَ اللهُ القَمْلَ عنهم بعدَ ما أَقامَ عليْهِم سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، من السَّبْتِ إِلى السَّبْتِ .

وَالقَمْلُ : هُوَ أَحَدُ الآياتِ الخَمْسِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف : ١٣٣] يَتْبَعُ بَعْضُها بَعْضاً ؛ وَتَفْصِيلُها : أَنَّ كُلَّ عَذابٍ يَمْتَدُّ أُسْبُوعاً ، وَبَيْنَ كُلِّ عَذابَيْنِ شَهْرٌ .

● قالَ(١) ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَسَعيدُ بن جُبَيْرٍ ، وَقَتادَةُ ، وَمحمَّد بن إِسحاق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم في تَفسير هذِهِ الآيَةِ :

لَمَّا آمَنَتِ السَّحَرَةُ ، وَرَجَعَ فِرْعَوْنُ مَغْلُوباً ، أَبَى هُوَ وقَوْمُهُ إِلاَّ الإِقامَةَ على الكُفْرِ ، والتَّمادِي في الشَّرِّ ، فَتابَعَ اللهُ عليهمُ الآياتِ ، وَأَخَذَهُم بِالسِّنين وَنَقْصٍ من الثَّمراتِ ؛ فَلَمَّا أَتاهُم مُوسى بِالآياتِ الأَرْبَعِ : اليَدِ ، وَالعَصَا ، وَالسِّنين ، وَنَقْصِ الثَّمَراتِ ؛ أَبَوْا أَنْ يُؤْمِنُوا ، وَأَصَرُّوا على كُفْرِهِمْ ، فَدَعا عَليهم مُوسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فقالَ : رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فِرْعَونَ عَلا في الأَرْضِ ، وَبَغى وَعَتا ، وإِنَّ قَوْمَهُ قد نَقَضُوا عَهْدَكَ ؛ رَبِّ فَخُذْهُمْ بِعُقُوبَةٍ تَجْعَلُها لَهُم ، وَلِقَوْمِي وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ ، آيَةً وعِبْرَةً .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢ وتفسير الطبري ١٠/ ٣٨٦ وما بعد .

فَبَعثَ اللهُ عَليهم الطُّوفانَ ـ وَهُوَ المَاءُ ـ أَرسَلَ اللهُ عليهِمُ السَّماءَ ؛ وَكانَتْ بُيُوتُ بَني إسرائِيلَ وَبُيُوتُ القِبْطِ مُشْتَبَكَةً وَمُخْتَلِطَةً ، فَامْتَلأَتْ بُيُوتُ القِبْطِ حَتَّى قامُوا في المَاءِ إلى تَراقِيْهِم ؛ من جَلَسَ منهم غَرِقَ ؛ وَلَمْ يَدْخُلْ بُيُوتَ بَني إسْرائِيلَ من المَاءِ قَطْرَةٌ ، وَرَكَدَ الماءُ على أَراضِيهم ، لا يَقْدِرُونَ على حَرْثٍ ولا غَيْرِهِ من الأَعْمالِ أُسْبُوعاً ، من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ .

وَقالَ مُجاهِدٌ وَعَطاءٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : الطُّوفانُ : المَوْتُ .

وَقالَ وَهْبٌ : الطُّوفانُ : الطَّاعُونُ بِلُغَةِ اليَمَنِ .

وَقالَ أَبو قِلابَةَ . الطُّوفانُ : الجُدَرِيُّ ، وَهُوَ أَوَّلُ ما عُذِّبَ بِهِ ، فَبَقِيَ في الأَرْضِ .

قالَ نُحاةُ الكُوفَةِ : الطُّوفانُ : مَصْدَرٌ لا يُجْمَعُ ، كَالرُّجْحانِ والنُّقْصانِ .

وَقالَ أَهلُ البَصْرَةِ : هُوَ جَمْعٌ ، واحِدُهُ طُوفانَةٌ .

فَقَالُوا لِمُوسى عليْهِ السَّلامُ : ادْعُ لَنا رَبَّكَ يَكْشِفْ عَنَّا هذا البَلاءَ ، فَلَئِنْ كَشَفَ عَنَّا هَذَا البَلاءَ ، لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ، وَلَنُرْسِلَنَّ معكَ بَني إسرائيلَ ؛ فَدَعا رَبَّهُ ، فَرَفَعَ عَنْهم الطُّوفانَ ، وَأَنْبَتَ لَهم في تِلْكَ السَّنَةِ شَيْئاً لَمْ يُنْبِتْهُ لَهم قبلَ ذلكَ ، من الكلأِ والزَّرْعِ والثَّمَرِ ، وَأَخْصَبَتْ بِلادُهم ؛ فقالُوا : ما كَانَ هذا المَاءُ إلاَّ نِعْمَةً عَلَيْنا وَخِصْباً ؛ فَلَمْ يُؤْمِنُوا ، وَأَقامُوا شَهْراً في عافِيَةٍ .

فَبَعَثَ اللهُ تَعالى عليهم الجَرادَ ، فَأَكَلَ عامَّةَ زَرْعِهِم وثِمارِهِم ، وَأَوْراقَ الشَّجَرِ ، حَتَّى أَكَلَ الأَبْوابَ وَسُقُوفَ البُيُوتِ والخَشَبَ والثِّيابَ والأَمْتِعَةَ وَمَسامِيرَ الأَبْوابِ من الحَدِيدِ حَتَّى وَقَعَتْ دُورُهم ، وابْتُلُوا بالجُوعِ ، فَكانُوا لا يَشْبَعُون ؛ وَلَمْ يُصِبْ بَني إسرائِيلَ من ذلكَ شيْءٌ ؛ فَعَجُّوا وَضَجُّوا إلى مُوسى عليْهِ السَّلامُ ، وَسَأَلُوهُ رَفْعَ ذلكَ عنهم ؛ فَدَعا لَهُم ، فَكَشَفَ اللهُ عنهم الجَرادَ ، بعدَ ما أَقامَ أُسْبُوعاً ، من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ .

رُوِيَ أَنَّ مُوسَى عليْهِ السَّلامُ بَرزَ إلى الفَضاءِ ، فَأَشارَ بِعَصاهُ نَحْوَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، فَرَجَعَتِ الجَرادُ من حَيْثُ جاءَتْ ، فَأَقامُوا مُصِرِّيْنَ على كُفْرِهِم شَهْراً في عافِيَةٍ .

ثُمَّ بَعَثَ اللهُ تَعالى عليهِمُ القَمْلَ ـ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ـ فَعَجُّوا وَضَجُّوا ، وَسَأَلُوا رَفْعَ ذلكَ عنهم ، وقالُوا : إنَّا نَتُوب ؛ فَدَعا مُوسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ رَبَّهُ أَنْ يَرْفَعَ ذلكَ القَمْلَ بعدَ ما أَقامَ عليهم أُسْبُوعاً ، من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ .

فنَكَثُوا وَعادُوا إلى أَخْبَثِ أَعْمالِهِم ، فَأَقامُوا شَهْراً في عافِيَةٍ . فَبَعَثَ اللهُ عَليهِمُ الضَّفادِعَ ، فَامْتَلأَتْ مِنْها بُيوتُهم وأَفْنِيَتُهُم ، وَكانَتْ تَدخلُ في فُرُشِهِم ، وَبَيْنَ ثِيابِهِم وَأَطْعِمَتِهِم وآنِيَتِهِم ؛ فَلا يَكْشِفُ أَحَدٌ منهُم طَعاماً ولا إناءً إلاَّ وَجَدَ فِيهِ الضَّفادِعَ ؛ وَكانَ الرَّجُلُ يَجلِسُ في الضَّفادِعِ إلى ذَقْنِه ، وَيَهُمُّ أَنْ يَتكَلَّمَ فَيَثِبُ الضِّفْدَعُ فِي فِيهِ ؛ وَكانَتْ تُلْقِي نَفْسَها في القِدْرِ وَهيَ تَغْلِي ، فَتُفْسِدُ طَعامَهُم ، وَتُطْفِيءُ نِيْرانَهم ؛ وَلا يَعْجِنُونَ عَجِيناً إلاَّ انْشَدَخَتْ فِيه ؛ وَإذا اضْطَجَعَ أَحَدُهُم تَرْكَبُهُ الضَّفادِعُ حَتَّى تكُونَ عَلَيْهِ رُكاماً ، حتَّى لا يَستطِيعَ أَنْ يَنْصَرِفَ إلى شِقِّهِ الآخرَ ؛ فَلَقوا منها أَذَىً شَديداً ، فَضَجُّوا ، وَصَرَخُوا ، وَصاحُوا ، وَسَأَلُوا مُوسى عليْهِ السَّلامُ ، فقالُوا : ادْعُ لَنا رَبَّكَ يَكْشِفْها عَنَّا ؛ فَدَعا رَبَّهُ ، فَرَفَعَ اللهُ تَعالى عنهم الضَّفادِعَ بعدَ ما أَقامَتْ عليهم أُسْبُوعاً ، من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ .

فَأَقامُوا شَهْراً في عافِيَةٍ ، ثمَّ نَقَضُوا العُهُودَ ، وعادُوا لِكُفْرِهِم ؛ فَأَرْسَلَ اللهُ تَعالَى عليهِمُ الدَّمَ ، فَسالَ النِّيْلُ عليهم دَماً ، وَصارَتْ مِياهُهُم دَماً ، فَما يَسْتَقُونَ من الآبارِ إلاَّ دَماً عَبِيطاً أَحْمَرَ ؛ فَشَكَوْا إلى فِرْعَوْنَ ، فقالُوا : لَيْسَ لَنا شَرابٌ ؛ فقالَ : إِنَّهُ قد سَحَرَكُمْ ؛ وَكانَ فِرْعَوْنُ يَجْمَعُ بَيْنَ القِبْطِيِّ والإِسْرائِيليِّ على الإناءِ الواحِدِ ، فَيَكُونُ ما يَلِي الإسرائيليَّ ماءً ، وَما يَلِي القِبْطِيَّ دَماً ؛ حَتَّى كانَتِ المرْأَةُ من آلِ فِرْعَوْنَ تَأْتِي المرأَةَ من بَنِي إسرائِيلَ حِينَ جَهِدَهُم العَطَشُ ، فَتَقولُ : اسْقِيني من مائِكِ ؛ فَتَصُبُّ لَها من قِرْبَتِها ، فَيَعُودُ في الإِناءِ دَماً ، حَتَّى

كانَتْ تَقُولُ : اجْعَلِيْهِ فِي فِيكِ ، ثمَّ مُجِّيْهِ في فَمِي ؛ فتَأْخُذُ في فِيها ماءً ، فإذا مَجَّتْهُ في فَمِها صارَ دَماً .

وإنَّ فِرْعَوْنَ اعْتراهُ العَطَشُ ، حَتَّى إنَّهُ اضْطُرَّ إلى مَضْغِ الأَشجار الرَّطْبَةِ ، فإذا مَضَغَها يَصِيرُ ماؤُها فِي فِيهِ مِلْحاً أُجاجاً .

فَمَكَثُوا كَذَلكَ أُسْبُوعاً ، من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ ، لا يَشْرَبُونَ إلاَّ الدَّمَ .

وَقالَ زَيْدُ بنُ أَسْلَم : الدَّمُ الذي سُلِّطَ عليهم ، كان الرُّعافُ .

فَأَتَوْا مُوسى عليْهِ السَّلامُ ، وَقالُوا : ادْعُ لَنا رَبَّكَ يَكْشِفْ عَنَّا هَذا الدَّمَ ، فَنُؤْمِنَ لَكَ ، وَنُرْسِلَ معكَ بَني إسرائيلَ ؛ فَدَعا لهم ، فَرُفِعَ عنهم الدَّمُ ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ ﴾ [الأعراف : ١٣٥] وَهُوَ ما ذَكَرَهُ اللهُ من الطُّوفانِ والجَرادِ والقُمَّلِ والضَّفادِعِ والدَّمِ .

وَقالَ ابْنُ جُبَيْرٍ : الرِّجْزُ : الطَّاعُونُ ، وَهُوَ العَذابُ السَّادِسُ بعدَ الآياتِ الخَمْسِ ، حتَّى ماتَ منهم سَبْعُونَ أَلْفاً في يَوْمٍ واحِدٍ .

● رَوَيْنا(١) عن عامِر بن سَعد بن أَبي وقَّاصٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَباهُ يَسْأَلُ أُسامَةَ بن زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ في الطَّاعُونِ شَيْئاً ؟ فقالَ أُسامَةُ : سَمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ على بَني إسرئِيلَ ، أَو على مَن قَبْلَكُمْ ، فإذا سَمِعْتُمْ بِهِ بأَرْضِ قَوْمٍ فَلا تُقْدِموا عَلَيْهِ ، وإذا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِها فَلا تَخْرُجُوا فِراراً منهُ » .

فَسَأَلُوا مُوسى عليْهِ السَّلامُ ، فَدَعا رَبَّهُ فَكَشَفَهُ عنهم ، فَتَمادَوْا في كُفْرِهِم وَطُغْيانِهم ، إلى أَنْ أَغْرَقَ اللهُ تَعالَى فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ في اليَمِّ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ غَرَقِهِ في « بابِ الحاءِ المُهملةِ » في لَفْظِ « الحصان » .

---

(١) البخاريّ ٤/ ١٥٠ ومسلم (٢٢١٨) والمُوطَّأ ٢/ ٨٩٦ .

● قالَ سَعيدُ بنُ جُبَيْرٍ وَمحمَّد بن المُنْكَدِر : كان مُلْكُ فِرْعَوْنَ أَربعَمئَة سنةٍ ، وَعَاشَ ستَّمئَةٍ وَعِشرينَ سَنَةً ، لا يَرَى مَكْرُوهاً ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ في تِلْكَ المُدَّةِ جُوعُ يَوْمٍ ، أَوْ حُمَّى لَيْلَةٍ ، أَوْ وَجَعُ ساعَةٍ ، لَما ادَّعَى الرُّبوبيَّةَ قَطُّ .

● وَقَدْ ظَفِرْتُ بهذِهِ القِصَّةِ مُختصَرَةً ، فَأَوْرَدْتُها عَقِبَ هذا لِتَحْصُلَ الفائِدَةُ ؛ وَهوَ :

أَنَّ مُوسى عليْهِ السَّلامُ مَشَى بعصاهُ إلى كَثِيبٍ أَعْفَرَ مَهِيلٍ ، فَضَرَبَهُ فانْتَشَرَ كُلَّهُ قَمْلاً في مِصْرَ ، ثمَّ إِنَّهم قالُوا : ادْعُ لَنا رَبَّكَ في كَشْفِ هذا عَنَّا ؛ فَدَعا ، فَكُشِفَ عنهم ، فَرَجَعُوا إلى طُغيانِهم ؛ فَبَعَثَ اللهُ عليهمُ الضَّفادِعَ ، فكانَتْ تَدخلُ في فُرُشِهم وَبَيْنَ ثِيابهم ، وإذا هَمَّ الرَّجُلُ أَنْ يَتكَلَّمَ دخلَتِ الضَّفادِعُ في فِيهِ ، وَتُلْقِي نَفْسَها في القِدْرِ وهي تَغْلي ؛ فقالُوا : ادْعُ لَنا رَبَّكَ يَكْشِفْها ؛ فَكُشِفَ عنهم ، فَرَجَعُوا إلى كُفرِهم ، فَبَعَثَ اللهُ تَعالَى عليهم الدَّمَ ، فَرَجَعَ ماؤُهم الذي كانُوا يَشْرَبُونَه دَماً ، فَكانَ الرَّجُلُ منهم إذا اسْتَقَى من البِئْرِ وارْتَفَعَ إلَيْهِ الدَّلْوُ ، عادَ دماً ؛ وَقِيلَ : سَلَّطَ اللهُ تَعالى عليهم الرُّعافَ .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : نَهى[1] النَّبيُّ ﷺ أَنْ تُقْصَعَ القَمْلَةُ بالنَّواةِ ، أَي تُقْتَلَ . والقَصْعُ : الدَّلْكُ بِالظُّفرِ ؛ وإِنَّما خَصَّ النَّوى ، لأَنَّهم كانُوا يَأْكُلُونَهُ عِندَ الضَّرُورَةِ .

وَقيلَ : لأَنَّ النَّواةَ كانَتْ مَخْلُوقَةً من فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

● وَفي الحَدِيثِ[2] : « أَكْرِمُوا النَّخْلَةَ ، فإِنَّها عَمَّتُكُمْ » .

● وَفي حَدِيثِ آخرَ : « نِعْمَتِ العَمَّةُ لَكُمُ النَّخْلَةُ » .

---

(١) عن النِّهاية ٤/ ٧٣ .

(٢) النِّهاية ٣/ ٣٠٣ ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢١٧ .

وَقِيلَ : لأَنَّ النّوى قُوتُ الدَّوابِّ .

وَقالَ الجَوهريُّ[1] : في الحَدِيثِ : « إِنَّهُ نَهَى عن قَصْعِ الرُّطَبَةِ » وَهُوَ عَصْرُها لِتَقْشِرَ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمَ أَكْلُ القَمْلِ بالإِجْماعِ ؛ وإذا ظَهَرَ على بَدَنِ المُحْرِمِ أَو ثِيابِهِ ، لَمْ يُكْرَهْ لَهُ تَنْحِيَتُهُ ، فإِنْ قَتَلَهُ لَمْ يَلْزَمْهُ شَيْءٌ ؛ لَكِنْ يُكْرَهُ أَنْ يَفلي رَأْسَهُ أَو لِحْيَتَهُ ، فإِنْ فَعَلَ وَأَخْرَجَ منهُما قَمْلَةً فَقَتَلَها ، تَصَدَّقَ وَلَوْ بِلُقْمَةٍ .

قَالَ الأَكْثَرُونَ : هَذَا التَّصَدُّقُ مُسْتَحَبٌّ ، وَقِيلَ : واجِبٌ ، لِما فِيهِ من إِزالَةِ الأَذَى عن الرَّأْسِ واللِّحْيَةِ ؛ وَلَيْسَ هذا التَّصَدُّقُ فِداءً للقَمْلَةِ حتَّى يَدُلَّ ذلك على حِلِّ الأَكْلِ ، وَإِنَّما التَّصَدُّقُ في مُقابَلَةِ التَّرَفُّهِ الحاصِلِ للمُحْرِمِ .

وَأَفادَ التِّرمذيُّ الحَكِيمُ : أَنَّهُ إذا وَجَدَ الجالِسُ على الخَلاءِ قَمْلَةً ، لا يَقْتُلُها بَلْ يَدْفِنُها ؛ فَقَدْ رُوِيَ : أَنَّهُ من قَتَلَ قَمْلَةً ، وَهُوَ عَلَى رَأْسِ خَلائِهِ ، باتَ معهُ في شِعارِهِ شَيْطانٌ ، فَيُنْسِيهِ ذِكْرَ اللهِ أَربعينَ صَباحاً .

وَقِيلَ : من قَتَلَ قَمْلَةً على رَأْسِ خَلائِهِ ، لَنْ يُكْفَى الهَمَّ ما عاشَ .

وَفي « فَتاوَى قاضي خان » : لا بَأْسَ بِطَرْحِ القَمْلَةِ حَيَّةً ، وَالأَدَبُ أَنْ يَقْتُلَها .

● فَرْعٌ : يَجُوزُ لُبْسُ الثَّوْبِ الحَرِيرِ لِدَفْعِ القَمْلِ ، لأَنَّه لا يَقْمَلُ بالخاصِّيَّةِ ؛ وَلذلكَ رَخَّصَ النَّبيُّ ﷺ لِعَبدِ الرَّحمنِ بن عَوْفٍ وَالزُّبَيْرِ بن العَوَّام رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما في لُبْسِهِ لذلكَ ، كَما تَقَدَّمَ وَرَواهُ الشَّيْخانِ .

وَالأَصَحُّ أَنَّهُ لا يَخْتَصُّ بالسَّفَرِ ؛ وَفِي وَجْهٍ اخْتارَهُ الشَّيْخُ أَبُو محمَّد الجُوَيْنيّ ، وابْنُ الصَّلاحِ : يَخْتَصُّ بِهِ ، لأَنَّ الرِّوايَةَ مُفِيدَةٌ بذلك .

---

(١) لم يرد هذا عند الجوهريّ في « قصع » .

وَقالَ مالِكٌ : لا يَجُوزُ لُبْسُهُ مُطْلَقاً ، لأَنَّ وقائِعَ الأَحْوالِ عِنْدَهُ لا تَعُمُّ ؛ وَهُوَ وَجْهٌ بَعِيدٌ عِندَنا .

● فَرْعٌ : إذا رَأَى المُصَلِّي في ثَوْبِهِ قَمْلَةً أَو بُرغُوثاً ؛ قالَ الشَّيْخُ أبو حامِدٍ : الأَوْلى أَنْ يَتغافَلَ عَنْها ، فإِنْ أَلْقاها بيَدِهِ ، أَوْ أَمْسَكَها حتَّى يَفْرُغَ فَلا بَأْسَ ؛ فإِنْ قتَلَها في الصَّلاةِ عُفِيَ عن دَمِها دُونَ جِلْدِها ، وإِنْ قتَلَها وَتعَلَّقَ جِلْدُها بِظُفْرِهِ أَوْ بثَوْبِهِ بَطَلَتْ صَلاتُهُ .

قالَ : وَلا بَأْسَ بقَتْلِها في الصَّلاةِ ، كَما لا بَأْسَ بِقَتْلِ الحَيَّةِ والعَقْرَبِ ؛ فإِنْ أَلْقَى القَمْلَةَ بِيَدِهِ فَلا بَأْسَ .

قالَ القَمولي : وَيَنبغي أَنْ يختصَّ جَوازُ إِلْقائِها بغيرِ المسجِدِ ؛ وَالذي قالَهُ صَحِيحٌ مُتَعَيِّنٌ ، لِقَوْلِهِ ﷺ[1] : « إذا وَجَدَ أَحَدُكُمُ القَمْلَةَ في المَسْجِدِ ، فَلْيَصُرَّها في ثَوْبِهِ حتَّى يَخرجَ من المَسْجِدِ » . رَواهُ أَحمد في « مسندِهِ » بإِسْنادٍ صَحِيحٍ .

● وَفي « المُسْنَد » أَيْضاً[2] : عن شَيْخٍ من أَهْلِ مَكَّةَ من قُرَيشٍ ، قالَ : وَجَدَ رَجُلٌ في ثَوْبِهِ قَمْلَةً ، فَأَخَذَها لِيَطْرَحَها في المَسْجِدِ ، فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَفْعَلْ ، رُدَّها في ثَوْبِكَ حتَّى تَخْرُجَ من المَسْجِدِ » . وإِسْنادُهُ أَيضاً صَحيحٌ . وَقالَ البَيهقيُّ : إِنَّهُ مُرْسَلٌ حَسَنٌ .

ثمَّ رَوَى عن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ رأَى قَمْلَةً على ثَوْبِ رَجُلٍ في المَسجدِ ، فَأَخذَها فدَفنَها في الحَصَى ، ثُمَّ قالَ : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المُرسَلات : ٢٥ ـ ٢٦] .

قالَ : وَيُذْكَرُ نحوُ هذا عن مُجاهِدٍ . وَعَنِ ابْنِ المُسَيّبِ : أَنَّهُ يَدْفِنُها

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٤١٠ .

(٢) مسند أحمد ٥/ ٤١٩ .

كَالنُّخامَةِ .

قالَ : وَرَوَيْنا عن مالِكِ بن عامِرٍ ، أَنَّهُ قالَ : رَأَيْتُ مُعاذَ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، يَقْتُلُ البَراغِيثَ والقَمْلَ في الصَّلاةِ . وَفي رِوايَةٍ : رَأَيْتُ مُعاذاً يَقْتُلُ القَمْلَ في الصَّلاةِ ، وَلكنْ لا يَعْبَثُ .

● وَرَوَى « البَزَّارُ » والطَّبرانيُّ في « مُعجمه الأَوْسَط »[1] عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِذا وَجَدَ أَحَدُكُمُ القَمْلَةَ في المَسْجِدِ ، فَلْيَدْفِنْها » .

وقالَ أَبُو عُمر بن عَبدِ البَرِّ في « التَّمهِيدِ » : وَأَمَّا القَمْلَةُ والبُرْغُوثُ : فَأَكْثَرُ أَصْحابِنا يَقُولُونَ : لا يُؤْكَلُ طَعامٌ مَاتَ فِيهِ شَيْءٌ منهُما ، لِأَنَّهُما نَجسانِ ؛ وَهُما من الحيَوانِ الذي عَيْشُهُ من دَمِ حَيوانٍ ، لا عَيْشَ لَهُما غيرُ الدَّمِ ، وَلَهُما دَمٌ ، فَهُما نَجسانِ .

وَكانَ سُلَيْمانُ بن سالِمٍ ، القاضِي الكِنْديُّ ، من أَهْلِ أَفريقيَّةَ يَقُولُ : إِنْ ماتَتِ القَمْلَةُ في ماءٍ : طُرِحَ ولا يُشْرَبُ ؛ وإِنْ وَقَعَتْ في دَقِيقٍ ، وَلَمْ تَخْرُجْ في الغِرْبالِ : لَمْ يُؤْكَلِ الخُبْزُ ، وإِنْ ماتَتْ في شَيْءٍ جامِدٍ : طُرِحَتْ وَمَا حَوْلَها كَالفَأْرَةِ .

وَقالَ غَيْرُهُ من أَصْحابِنا وغَيرهم : إِنَّ القَمْلَةَ كَالذُّبابِ سَواءٌ .

وَقالَ في « التَّمهيدِ » أَيضاً : ذَكَرَ نُعَيْم بن حَمَّادٍ عن ابْنِ المُبارَكِ ، عن فَضالَةَ ، عن الحَسَنِ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَقْتُلُ القَمْلَ في الصَّلاةِ ، أَو : قَتَلَ القَمْلَ في الصَّلاةِ . قالَ نُعَيمٌ : هذا أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ من ابْنِ المُبارَكِ .

الأَمْثالُ : قَالَتِ العَرَبُ : « غُلٌّ قَمِلٌ »[2] . يُضْرَبُ للمَرْأَةِ السَّيِّئَةِ الخُلُقِ .

---

(١) المعجم الأَوسط للطَّبرانيّ ٢/ ٣٥ رقم (١٢١٩) .

(٢) الفاخر ٣٦ والميدانيّ ٢/ ٦٠ والعسكريّ ٢/ ٨٣ وأَبو عكرمة ٧٤ .

● قالَ ابْنُ سِيْدَه : في الحَدِيثِ[1] : « النِّساءُ غُلٌّ قَمِلٌ ، يَقْذِفُها اللهُ في عُنُقِ من يَشاءُ ، ثمَّ لا يُخْرِجُها إلاّ هو » . وَهذا بَعْضُ أثرٍ .

● وَفِي « الفائقِ » في آخِرِ « بابِ الهاءِ مع الياءِ »[2] : أَنَّ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : النِّساءُ ثَلاثٌ ؛ هَيِّنَةٌ لَيِّنَةٌ ، عَفِيْفَةٌ مُسْلِمَةٌ ، تُعِينُ أَهْلَها على العَيْشِ ، وَلا تُعِينُ العَيْشَ على أَهْلِها ؛ وَأُخْرى وِعاءٌ للوَلَدِ ؛ وَأُخْرى غُلٌّ قَمِلٌ ، يَضَعُهُ اللهُ في عُنُقِ من يَشاءُ ، وَيَكُفُّهُ عَمَّنْ يَشاءُ .

وَالرِّجالُ ثَلاثَةٌ : رَجُلٌ ذُو رَأْيٍ وَعَقْلٍ ، وَرَجُلٌ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ ، أَتَى ذا رَأْيٍ فَاسْتَشارَهُ ؛ وَرَجُلٌ حائِرٌ بائِرٌ ، لا يَأْتَمِرُ رَشِيداً وَلا يُطِيعُ مُرْشِداً .

● وَقالَ الأَصمعيُّ[3] : كانُوا يَغُلُّونَ الأَسِيرَ بالقِدِّ وعَلَيْهِ الوَبَرُ ، فإذا طَالَ الغُلُّ عليْهِ قَمِلَ ، فَيَلْقى منهُ جَهْداً . يُضْرَبُ لِكُلِّ من يُلْقَى في شِدَّةٍ .

قالَ : وَهَذا هُوَ السَّبَبُ في قَوْلِ حاتِمِ الطَّائيّ : « لَوْ غَيْرُ ذاتِ سِوارٍ لَطَمَتْني »[4] .

● وَذلِكَ[4] أَنَّهُ مَرَّ بِبِلادِ عَنَزَةَ في بَعْضِ الأَشْهُرِ الحُرُمِ ، فَناداهُ أَسِيرٌ لَهُم : يا أَبا سَفَّانَةَ ، أَكَلَني الإِسارُ وَالقَمْلُ . فقالَ : وَيْحَكَ ، أَسَأْتَ إِذْ نَوَّهْتَ بِاسْمِي في غَيْرِ بلادِ قَوْمِي ؛ فَساوَمَ القَوْمَ بِهِ ، ثمَّ قالَ : أَطْلِقُوهُ ، واجْعَلُوا يَدَيَّ في الغُلِّ مَكانَهُ ؛ فَفَعَلُوا ، فَجاءَتْهُ امْرَأَةٌ بِبَعيرٍ لِيَفْصِدَهُ ، فقامَ فَنَحَرَهُ ، فَلَطَمَتْهُ ، فقالَ : لو غَيْرُ ذاتِ سِوارٍ لَطَمَتْني ؛ يَعْني أَنّي لا أَقْتَصُّ من النِّساءِ ؛ فَعُرِفَ ، فَفَدَى نَفْسَهُ فِداءً عَظِيماً .

---

(١) وعنه اللِّسان « قمل » ٥/ ٣٧٤٢ .

(٢) والعقد الفريد ٦/ ١١٢ وبهجة المجالس ٢/ ٣١ وتتمَّته في ١٢٨ وعيون الأَخبار ٣/ ٢ .

(٣) عن الميداني ٢/ ٦٠ .

(٤) الميداني ٢/ ٢٠٢ .

الخَواصُّ : قالَ الجاحِظُ[1] : القَمْلُ يَعْتَري ثِيابَ غَيْرِ المَجْذُومِينَ .

● قالَ ابْنُ الجَوزيّ : والحِكْمَةُ في ذلكَ : أَنَّهُ لَمَّا تَوَلَّعَ الجُذامُ بأَطْرافِهِم ، صَعُبَ عليْهِم الحَكُّ ، فَمَنَعَ اللهُ عنهم ذلكَ لُطْفاً بِهِم ، كَما أَنَّهُ مَنَعَ عن الأَخْرَسِ السَّمْعَ لُطْفاً بِهِ .

● وَإِذا أُلْقِيَتِ القَمْلَةُ وَهِيَ حَيَّةٌ ، أَوْرَثَتِ النِّسْيانَ . كذا رَواهُ ابْنُ عَدِيّ في « كامِلِه »[2] في تَرجمةِ أَبي عبدِ اللهُ الحَكَم بن عبدِ اللهِ الأَيْلي ، أَنَّهُ رَوَى بإِسْنادٍ صَحِيحٍ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « سِتُّ خِصالٍ تُورِثُ النِّسْيانَ : أَكْلُ سُؤْرِ الفَأْرِ وإِلْقاءُ القَمْلَةِ وَهيَ حَيَّةٌ ، وَالبَوْلُ في المَاءِ الرَّاكِدِ ، وَقَطْعُ القِطارِ ، وَمَضْغُ العِلْكِ ، وَأَكْلُ التُّفَّاحِ الحامِضِ ؛ وَبِضِدِّ ذلكَ اللُّبانُ الذَّكَرُ » .

● وَأَشارَ إِلى ذلكَ الجاحِظُ بِقَوْلِه[3] : وَفي الحَدِيثِ : « إِنَّ أَكْلَ التُّفَّاحِ الحامِضِ ، وَسُؤْرَ الفَأْرِ ، وَنَبْذَ القَمْلَةِ ، يُورِثُ النِّسْيانَ » .

قالَ : وَفي حَديثٍ آخَرَ[4] : « إِنَّ الذي يُلْقِي القَمْلَةَ لا يُكْفَىٰ الهَمَّ » .

● وَقِيلَ : إِنَّ قِراءَةَ أَلْواحِ القُبُورِ ، وَالمَشْيَ بينَ المَرْأَتَيْنِ ، وَالنَّظَرَ إِلى المَصْلُوبِ ، وَأَكْلَ الكُزْبَرَةِ الخَضْراءِ ، وَأَكْلَ الخُبْزِ الحارِّ ، يُورِثُ النِّسْيانَ ؛ وَأَكْلَ الحَلْوَى ، وَشُرْبَ العَسَلِ ، وَأَكْلَ الخُبْزِ البارِدِ ، يُورِثُ الذَّكاءَ .

● وَالعامَّةُ[3] تَزعمُ أَنَّ لُبْسَ النِّعالِ السُّودِ يُورِثُ النِّسْيانَ .

وإِذا[5] أَرَدْتَ أَنْ تعلمَ هَلِ المَرْأَةُ حامِلٌ بِذَكَرٍ أَمْ أُنْثى ، فَخُذْ قَمْلَةً ،

---

(١) الحيوان ٥/ ٣٧١ .

(٢) الكامل لابن عديٍّ ٢/ ٤٨٣ وميزان الاعتدال ١/ ٥٧٣ .

(٣) الحيوان ٥/ ٢٦٩ و ٣٨٠ .

(٤) الحيوان ٥/ ٣٨٠ .

(٥) عجائب المخلوقات ٣٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٥ .

واحلبْ عَليها من لَبَنِها في كَفِّ إنْسانٍ ، فإنْ خَرَجَتِ القَمْلَةُ من اللَّبَنِ ، فهيَ حامِلٌ بِجارِيَةٍ ، وإنْ لَمْ تَخرُجْ فهيَ حامِلٌ بِذَكَرٍ .

● وإنِ احْتَبَسَ على إنْسانٍ بَوْلُهُ ، فَخُذْ قَمْلَةً من قَمْلِ بَدَنِهِ ، وَاجْعَلْها في إحْليلِهِ ، فإنَّهُ يَبُولُ من وَقْتِهِ .

وإنْ غَسَلَتِ المَرْأَةُ أُصولَ شَعْرِها بِماءِ السِّلْقِ ، مَنَعَ القَمْلَ . وَدُهْنُ القُرْطُمِ إذا دُهِنَ بِهِ إنْسانٌ ، ماتَ قَمْلُهُ .

وإنْ غُسِلَ البَدَنُ بِخَلٍّ وَماءِ البَحْرِ ، قَتَلَ القَمْلَ .

وإذا مُسِحَ الرَّأْسُ وَالبَدَنُ بِزِئْبَقٍ مَقْتُولٍ بِدُهْنِ سِمْسِمٍ ، مَنَعَ القَمْلَ من الرَّأْسِ والثِّيابِ .

التَّعْبيرُ[1] : القَمْلُ في المَنامِ على وُجُوهٍ : فإذا كان في قَميصٍ جَديدٍ ، فإنَّهُ مالٌ ؛ وَهُوَ لِلسُّلْطانِ جُنْدٌ وَأَعْوانٌ ، وَلِلوالِي زِيادَةٌ في مالِهِ .

وَمَنْ رَأَى القَمْلَ في ثَوْبٍ خَلَقٍ ، فَهوَ دَيْنٌ يَخْشَى زِيادَتَهُ .

وَالقَمْلُ على الأَرْضِ : قَوْمٌ ضِعافٌ ؛ فإنْ دَبَّ إلى جانِبِ إنْسَانٍ ، فإنَّهُ يُخالِطُهُم .

وَمَنْ رَأَى القَمْلَ وَكَرِهَهُ ، فإنَّهُ يَرَى أَعْداءً ، وَلا يَقْدِرُونَ لَهُ على مَضَرَّةٍ .

وَمَنْ رَأى أَنَّهُ قَرَصَهُ القَمْلُ ، فإنَّ قَوْماً ضُعَفاءَ يَرْمُونَهُ بِكَلامٍ .

وَمَنْ حَكَّهُ القَمْلُ ، فَلا بُدَّ أَنْ يُطالَبَ بِدَيْنٍ .

وَالقَمْلَةُ تُعَبَّرُ بامرأَةٍ ، لأَنَّ ابنَ سِيرينَ أَتاهُ رجلٌ ، فقالَ : رَأَيْتُ كان إنْساناً أَخَذَ من كُمِّي قَمْلَةً فَأَلْقاها ، فقالَ ابْنُ سِيرين : تُطَلَّقُ زَوْجَتُكَ على يَدِهِ ، فَكانَ كذلكَ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٢١ وتفسير الواعظ ٣١٣ .

وَمَنْ رَأى قَمْلَةً طارَتْ من صَدْرِهِ ، فإِنَّ أَجِيْرَهُ ، أَوْ غُلامَهُ ، أَوْ وَلَدَهُ ، قد هَرَبَ .

وَالقَمْلُ الكَثِيرُ : مَرَضٌ ، أَو حَبْسٌ ، لأَنَّها أَكْثَرُ ما تَحدثُ على هَؤُلاءِ القَوْمِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَةُ القَمْلِ على العِيالِ .

وَتُعَبَّرُ رُؤْيَةُ القَمْلِ للمَلِكِ بِجَيْشِهِ وَأَعْوانِهِ ، ولِلوَزِيرِ بِشَرِطَتِه ، وللقاضي بالمُتَوَصِّلينَ إِلَيْهِ .

وَمَنْ رَأى أَنَّهُ رَمى قَمْلَةً ، فإِنَّهُ مُخالِفٌ لِسُنَّةٍ من السُّنَنِ ؛ لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن رَمْيِ القَمْلِ .

وَمَنْ أَكَلَ قَمْلَةً ، فَإِنَّهُ يَغْتابُ إِنْساناً ؛ فإِنْ وَجَدَ لَها دَماً ، فإِنَّهُ يَغْتابُ رَجُلاً ذا مالٍ .

وَالقَمْلُ يُعَبَّرُ بِأَقْوامٍ يَمْشُونَ بِالنَّمِيمَةِ بينَ الأَقْرِباءِ ؛ وَقَتْلُ القَمْلِ في المَنامِ : قَهْرُ الأَعْداءِ .

وَقالَ جاماسب : مَن الْتَقَطَ القَمْلَ ، فإِنَّهُ يُكْذَبُ عليْهِ كَذِبٌ فاحِشٌ . وَاللهُ أَعلَمُ .

٨٤٣ القَمْقَامُ : صِغارُ القِرْدانِ ، وَضَرْبٌ من القَمْلِ ، شَدِيدُ التَّشَبُّثِ بِأُصُولِ الشَّعَرِ ؛ الواحِدَةُ : قَمْقامَةٌ[١] ؛ وَتُسَمِّيهِ العامَّةُ : الطَّبُّوعُ . وَقد تَقَدَّمَ .

الأَمْثالُ : قالَتِ العَرَبُ[٢] : « قَمْقامَةٌ حَكَّتْ بِجَنْبِ البازِلِ » .

البازِلُ من الإِبلِ : ما دَخَلَ في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ ، كَما تَقَدَّمَ ، وَهُوَ أَقْواها ؛

---

(١) عن الصِّحاح « قمم » ٥/ ٢٠١٥ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ١٢٢ .

يُضْرَبُ للضَّعِيفِ الذَّلِيلِ يَحْتَكُّ بالقَوِيِّ العَزِيزِ .

٨٤٤ قُنْدُر : قالَ القَزوينيُّ[١] : هُوَ حَيوانٌ بَرِّيٌّ بَحْرِيٌّ ، يَكُونُ في الأَنْهارِ العِظامِ ، يَتَّخِذُ فِي البَرِّ إلى جانِبِ النَّهْرِ بَيْتاً لَهُ بابانِ ، يَأْكُلُ لَحْمَ السَّمَكِ ، وَخِصْيَتُهُ تُسَمَّى الجندبادستر . وَقَدْ تقدَّمَ في « بابِ الجيمِ » الكَلامُ على ذلكَ .

٨٤٥ القُنْدُسُ : قالَ ابْنُ دِحْيَةَ : إِنَّهُ كَلْبُ الماءِ ؛ وَفَسَّرَ بِهِ حَدِيثَ أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، الذي رَواهُ الجَماعَةُ[٢] إلاَّ النَّسائيّ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « تُقاتِلُونَ بينَ يَدَي السَّاعَةِ قَوْماً نِعالُهُمُ الشَّعَرُ ـ وَفي رِوايَةٍ : يَلبسُونَ الشَّعَرَ ـ وَيَمْشُونَ في الشَّعَرِ ، وَجُوهُهُم كَالمَجانِّ المُطْرَقَة ، حُمْرُ الوُجُوهِ ، صِغارُ الأَعْيُنِ ، ذُلْفُ الأُنُوفِ .

قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ : قولُه : يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ : إِشارَةٌ إِلى الشَّرابيشِ التي يُدارُ عليْها بِالقُنْدُسِ ؛ والقُنْدُسُ : كَلْبُ الماءِ ، وَهُوَ من ذَواتِ الشَّعَرِ كالمَعزِ ، وَذَواتُ الصُّوفِ الضَّأْنُ ، وَذَواتُ الوَبَرِ الإِبِلُ . انتهى .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الكاف » حُكم كَلْبِ الماءِ .

وَقالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمرو ابن الصَّلاح : بَحَثْنا عن القُنْدُسِ ، فَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَنا أَنَّهُ مَأْكُولٌ ؛ فَيَنبَغي أَنْ يُتَوَرَّعَ عن الصَّلاةِ فِيهِ ؛ وَلنا وَجْهان فِيما أَشْكَلَ من الحَيوانِ، فَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ مَأْكُولٌ أَوْ غيره .

٨٤٦ القِنْعانُ : كَسِنْجابٍ : العَظِيمُ من الوُعُولِ ، السَّمِينُ[٣] .

٨٤٧ القُنْفُذُ : بِالذَّالِ المُعجمَةِ ، وَبِضَمِّ الفاءِ وَفَتْحِها : البَرِّيُّ منهُ .

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٤٩ .

(٢) البخاريّ ٣/ ٢٣٢ و ٢٣٣ ومسلم (٢٩١٢) وأبو داود (٤٣٠٤) والتّرمذيّ (٢٢١٥) وابن ماجه (٤٠٩٦) وابن حبّان (٦٧٤٥) .

(٣) اللّسان « قنع » ٥/ ٣٧٥٦ .

كُنْيَتُهُ[1] : أَبُو سُفيان ، وَأَبُو الشَّوْكِ ؛ وَالأُنْثى : أُمُّ دُلْدُلٍ .

وَالجَمْعُ : القَنافِذُ ؛ وَيُقالُ لها : العَساعِسُ ، لِكَثْرَةِ تَرَدُّدِها بِاللَّيْلِ ؛ وَيُقالُ للقُنْفُذِ : أَنْقَد .

وَهُوَ صِنْفانِ : قَنْفُذٌ يَكُونُ بِأَرْضِ مِصْرَ قَدْرَ الفَأْرِ ؛ وَدُلْدُلٌ يَكُونُ بِأَرْضِ الشَّامِ وَالعِراقِ في قَدْرِ الكَلْبِ القَلَطيِّ ؛ وَالفَرْقُ بَيْنَهُما كَالفَرْقِ بَيْنَ الجُرَذِ والفَأْرِ[2] .

قالُوا[2] : إِنَّ القُنْفُذَ إِذا جاعَ يَصْعَدُ الكَرْمَ مُنَكَّساً ، فَيَقطَعُ العَناقِيدَ وَيَرْمي بها ، ثُمَّ يَنزِلُ فَيأْكُلُ مِنْها ما أَطاقَ ، فإِنْ كان لَهُ فِراخٌ تَمَرَّغَ في الباقِي لِيَشْتَبِكَ في شَوْكِهِ ، وَيَذْهَبَ بِهِ إِلى أَوْلادِهِ ؛ وَهُوَ لا يَظهرُ إِلاّ لَيْلاً ؛ قالَ الشّاعِرُ : [من الطويل]

قَنافِذُ هَدَّاجُونَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ بِما كانَ إِيَّاهُمْ عَطِيَّةُ عَوَّدا

وَهُوَ[2] مُولَعٌ بِأَكْلِ الأَفاعِي ، وَلا يَتَأَلَّمُ بِها ؛ وإِذا لَدَغَتْهُ الحَيَّةُ ، أَكَلَ السَّعْتَرَ البَرِّيَّ فَيَبْرَأُ .

وَلَهُ خَمسةُ أَسنانٍ في فِيهِ ؛ وَالبَرِّيَّةُ مِنْها تَسْفِدُ قائِمَةً ، وَظَهْرُ الذَّكَرِ لاصِقٌ بِبَطْنِ الأُنْثى[3] .

● رَوَى الطَّبَرانيُّ في « معجمه الكبير » والحافظ ابنُ مُنير الحَلَبيّ وغيرُهما[4] : عن قَتادة بن النُّعمانِ ، قالَ : كانَتْ لَيْلَةٌ شَدِيدَةَ الظُّلْمَةِ والمَطَرِ ، فَقُلْتُ : لو أَنِّي اغْتَنَمْتُ اللَّيْلَةَ شُهُودَ العَتَمَةِ مع رِسُولِ اللهِ ﷺ فَفَعَلْتُ ؛ فَلَمَّا

---

(١) المرصَّع ٢٠٠ و ٢١٠ و ١٦٨ و ٣٧١ .

(٢) عجائب المخلوقات ٣٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٢٥ والمستطرف ٢/ ٥١٤ .

(٣) كذا ! . قال الأبشيهي في المستطرف ٢/ ٥١٤ : وهو الحيوان الذي يسفد مُباطنةً كالرَّجل .

(٤) المعجم الكبير ١٩/ ٥ رقم (٩) . وبعضه في الاستيعاب ٣/ ١٢٧٦ وأُسد الغابة ٤/ ٣٩٠ . ولم أَقف عليه في مسند أَحمد .

رآني قالَ ﷺ : « قَتادَةُ ؟ » قُلتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؛ ثمَّ قُلتُ : عَلِمْتَ أَنَّ شاهِدَ الصَّلاةِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ قَلِيلٌ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَها مَعَكَ ؛ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذا انْصَرَفْتَ فائْتِنِي » . فَلَمَّا فَرَغْتُ من الصَّلاةِ ، أَتَيْتُ إِلَيْه ، فَأَعْطانِي عُرْجُوناً كان في يَدِهِ ، وَقالَ : « هذا يُضِيْءُ أَمامَكَ عَشْراً ، وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْراً » . ثمَّ قالَ ﷺ : « إِنَّ الشَّيْطانَ قد خَلَفَكَ في أَهْلِكَ ، فاذْهَبْ بهذا العُرْجونِ فاسْتَضِيءْ بِهِ حتَّى تَأْتِيَ بَيْتَكَ ، فَتَجِدَهُ في زاوِيَةِ البَيْتِ ، فاضْرِبْهُ بالعُرْجُونِ » .

قالَ : فَخَرَجْتُ من المَسْجِدِ ، فَأَضاءَ العُرجونُ مثلَ الشَّمْعَةِ نُوراً ، فَاسْتَضَأْتُ به ، وَأَتَيْتُ أَهْلِي فَوَجَدْتُهُم قد رَقَدوا ، فَنَظَرْتُ إِلى الزَّاوِيةِ فإذا فِيها قُنْفُذٌ ، فَلَمْ أَزَلْ أَضْرِبُهُ بِالعُرْجُونِ حتَّى خَرَجَ .

رَواهُ « الإِمام أَحمد » و« البَزَّار » ورِجالُ أَحمد رِجالُ الصَّحيح .

● **فائِدَةٌ** : رَوى البَيهقيُّ في أَواخِرِ « دَلائِلِ النُّبُوَّةِ »[1] عن أَبي دُجانَةَ ، وَاسْمُهُ سِماكُ بن خَرَشَةَ ، قالَ : شَكَوْتُ إِلى النَّبيِّ ﷺ أَنِّي نِمْتُ في فِراشِي ، فَسَمِعْتُ صَرِيراً كَصَرِيرِ الرَّحىٰ ، وَدَوِيّاً كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، وَلَمَعاناً كَلَمْعِ البَرْقِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فإذا أَنا بظِلٍّ أَسْوَدَ يَعْلُو وَيَطُولُ في صَحْنِ دارِي ، فَمَسَسْتُ جِلْدَهُ فإذا هُوَ كَجِلْدِ القُنْفُذِ ، فَرَمى في وَجْهِي مثلَ شَرَرِ النَّارِ ، فقالَ ﷺ : « هُوَ عامِرُ دارِكَ يَا أَبا دُجانَةَ » ثمَّ طلَبَ ﷺ دَواةً وَقِرْطاساً ، وَأَمَرَ عليّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ أَنْ يَكتبَ :

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

هذا كِتابٌ من محمَّدٍ رَسُولِ رَبِّ العالَمِينَ ، إِلى مَن يَطْرُقُ الدَّارَ من العُمَّارِ والزُّوَّارِ ، إِلاَّ طارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ ؛ أَمَّا بَعْدُ :

---

(١) دلائل النُّبوَّة للبيهقيّ ٧/ ١١٩ .

فإنَّ لنَا وَلَكُمْ في الحَقِّ سَعَةً ، فإنْ كُنْتَ عاشِقاً مُولَعاً ، أَو فاجِراً مُقْتَحِماً ، فهذا كِتابُ اللهِ يَنْطِقُ عَلَيْنا وَعَليكُم بالحَقِّ ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٩] و﴿ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس : ٢١] اتْرُكُوا صاحِبَ كِتابي هذا ، وانْطَلِقُوا إِلى عَبَدَةِ الأَصْنام ، وإلى من يَزْعُمُ أَنَّ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨] ﴿ حمٓ ﴾ [الشُّورى : ١] لا ينصرون ﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ﴾ [الشُّورى : ١ ـ ٢] تَفَرَّقَ أَعْداءُ اللهِ ، وبَلَغَتْ حُجَّةُ اللهِ ، وَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العَليِّ العَظِيمِ ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

قالَ أَبُو دُجانَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : فَأَخَذْتُ الكِتابَ وأَدْرَجْتُهُ ، وَحَمَلْتُهُ إِلى دارِي ، وَجَعَلْتُهُ تَحتَ رَأْسِي ، فَبِتُّ لَيْلَتي ، فَما انْتَبَهْتُ إِلاَّ من صُراخِ صارِخٍ يَقُولُ : يا أَبا دُجانَةَ ، أَحْرَقْتَنا بهذِهِ الكَلِماتِ ؛ فَبِحَقِّ صاحِبِكَ إِلاَّ ما رَفَعْتَ عَنَّا هَذِهِ الكَلِماتِ ، فَلا عَوْدَ لَنا في دارِكَ ، ولا في جِوارِكَ ، وَلا في مَوْضِعٍ يَكُونُ فِيهِ هذا الكِتابُ .

قالَ أَبُو دُجانَةَ : فَقُلْتُ : وَاللهِ لا أَرْفَعُهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ .

قالَ أَبُو دُجانَةَ : فَلَقد طالَتْ عليَّ لَيْلَتي بما سَمِعْتُ من أَنِينِ الجِنِّ وَصُراخِهِم وَبُكائِهِم حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَغَدَوْتُ فَصَلَّيْتُ الصُّبْحَ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَخْبَرْتُهُ بما سَمِعتُ من الجِنِّ لَيْلَتي ، وَما قُلتُ لَهُم ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يا أَبا دُجانَةَ ، ارْفَعْ عن القَوْمِ ؛ فَوَالذي بَعَثَنِي بِالحَقِّ نَبِيّاً ، إِنَّهم لَيَجِدُونَ أَلَمَ العَذابِ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ » .

قالَ البَيهقيُّ : وَقَدْ وَرَدَ في حِرْزِ أَبي دُجانَةَ رَضِيَ اللهُ عنه حَدِيثٌ طَوِيلٌ غيرُ هذا ، مَوضُوعٌ لا تَحِلُّ رِوايَتُهُ .

وَهَذا الذي رَواهُ البَيهقيُّ ، رَواهُ الدَّيْلَمِيُّ الحافِظُ في كِتابِ « الإِنابةِ »

وَالقُرطبيُّ في كِتابِ « التَّذْكارِ في أَفْضَلِ الأَذْكارِ » .

الحُكْمُ : قالَ الشَّافعيُّ : يَحِلُّ أَكْلُ القُنْفُذِ ، لأَنَّ العَرَبَ تَسْتَطِيبُهُ ؛ وَقَدْ أَفْتى ابنُ عُمر بإِباحَتِه .

وَقالَ أَبُو حَنيفةَ والإِمامُ أَحمد : لا يَحِلُّ ، لِمَا رَوَى « أَبُو داود » وَحْدَهُ[1] ، أَنَّ ابنَ عُمر رَضِيَ اللهُ عنهما سُئِلَ عنهُ ، فَقَرَأَ : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ [الأنعام : ١٤٥] الآيَةَ ، فقالَ شَيْخٌ عِنْدَهُ : سَمِعْتُ أَبا هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يَقُولُ : ذُكِرَ القُنْفُذُ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ : « خَبيثٌ من الخَبائِثِ » .

فَقَالَ ابْنُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : إِنْ كان قد قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هذا ، فَهُوَ كَما قَالَ .

قُلْتُ : وَالجَوابُ : أَنَّ رُواتَهُ مَجْهُولُونَ . قالَ البَيهقيُّ : وَلَمْ يُرْوَ إِلاَّ من وَجْهٍ واحِدٍ ضَعِيفٍ ، لا يَجُوزُ الاحْتِجاجُ بِهِ .

وَمَا رُوِيَ[2] عن سَعيد بن جُبيرٍ ، أَنَّهُ قالَ : جاءَتْ أُمُّ حُفَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْها بِقُنْفُذٍ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَنَحَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَأْكُلْهُ » . فَهُوَ مُرْسَلٌ ، وَقَدْ رُوِيَ مُسْنَداً وَلَيْسَ فِيه ذِكْرُ القُنْفُذِ .

وَقِيلَ : أَرادَ أَنَّهُ خَبيثُ الفِعْلِ دُونَ اللَّحْمِ ، لِما فِيهِ من إِخْفاءِ رَأْسِهِ عِندَ التَّعَرُّضِ لِذَبْحِهِ ، وإِبْداءِ شَوْكِهِ عِندَ أَخْذِهِ .

وَسُئِلَ مالِكٌ عنهُ ، فقالَ : لا أَدري ؛ وَقالَ القَفَّالُ : إِنْ صَحَّ الخَبَرُ ، فَهُوَ حَرامٌ ؛ وإِلاَّ رَجَعْنا إِلى العَرَبِ ، هَلْ تَسْتَطِيبُهُ أَم لا ؟ .

---

(١) أَبو داود (٣٧٩٩) ومسند أَحمد ٢/ ٣٨١ .

(٢) أُسد الغابة ٧/ ٣١٩ والاستيعاب ٤/ ١٩٣١ والإِصابة ٨/ ٣٤٠ (رقم ١١٨٣٧) .

وَقالَ الرَّافعيُّ : يُقالُ : إِنَّ لَهُ كَرِشاً كَكَرِشِ الشَّاةِ .

الأَمثالُ : قَالُوا : « أَسْرَى من قُنْفُذٍ »[1] . وَقَالُوا : « ذَهَبُوا إِسْراءَ قُنْفُذٍ »[2] يَعني ذَهَبُوا لَيْلاً ، لأَنَّ القُنْفُذَ يَسْرِي في اللَّيْلِ كَثيراً . وَقَدْ تَقَدَّمَ هذا في « بابِ الهَمزةِ » في لَفْظِ « أَنْقَد » .

الخَواصُّ[3] : مَرارَةُ البَرِّيِّ منهُ ، إِذا طُلِيَ بها مَوْضِعُ الشَّعَرِ المَنْتُوفِ ، لا يَنْبُتُ فِيهِ شَعَرٌ أَبَداً ؛ وإِذا اكْتُحِلَ بها ، أَزالَتِ البَياضَ من العَيْنِ ؛ وإِذا خُلِطَتْ بِشَيْءٍ من الكِبْرِيتِ ، وَطُلِيَ بها البَهَقُ ، أَزالَتْهُ ؛ وإِنْ شُرِبَ من مَرارَتِهِ ، نَفَعَ من الجُذامِ والسِّلِّ والزَّحيرِ ؛ وإِنْ خُلِطَتْ بِدُهْنِ وَرْدٍ ، وَقُطِّرَ في أُذُنِ من بِهِ صَمَمٌ قَدِيمٌ ، أَبْرَأَهُ إِذا دَاوَمَ عليْهِ أَيَّاماً .

وَلَحْمُهُ : إِذا أُكِلَ نَفَعَ من السِّلِّ وَالجُذامِ والبَرَصِ والتَّشَنُّجِ وَوَجَعِ الكِلىٰ .

وإِنْ مُسِحَ بِشَحْمِهِ وَدَمِهِ وَبَراثِنِهِ المَعْقُودَ عن النِّساءِ ، حَلَّهُ .

وَطِحالُهُ يُسْقَى لِمَنْ بِهِ وَجَعُ الطِّحالِ بِشَرابِ العَسَلِ ، فإِنَّهُ يُبْرِئُهُ .

وَكِلْيَتُهُ تُجَفَّفُ ، وَيُسْقَى مِنْها وَزْنُ دِرْهَم مَسْحُوقاً بِماءِ الحِمَّصِ الأَسْوَدِ مَن بِهِ عُسْرُ البَوْلِ ، فَيَبْرَأُ سَرِيعاً .

وإِنْ قُتِلَ قُنْفُذٌ ، وَقُطِعَ رَأْسُهُ بِسَيْفٍ لَمْ يُقْتَلْ بِهِ إِنْسانٌ ، وَعُلِّقَ على المَجْنُونِ والمَصْرُوعِ والمُخَبَّلِ ، أَبْرَأَهُ .

وإِنْ قُطِعَ طَرَفُ رِجْلِهِ اليُمْنى وَهُوَ حَيٌّ ، وَعُلِّقَتْ على صاحِبِ الحُمَّى الحارَّةِ والبارِدَةِ ، من غَيْرِ أَنْ يَعلمَ ما هُوَ ، مَرْبُوطاً في خِرْقَةِ كَتَّانٍ ، أَبْرَأَهُ .

---

(١) الزمخشري ١/ ١٦٨ .

(٢) الميدانيّ ١/ ٢٧٨ والزَّمخشريّ ٢/ ٨٨ .

(٣) عجائب المخلوقات ٣٠٣ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٢٥ ومفردات ابن البيطار ٤/ ٣٨ وتذكرة داود ١/ ٢٦٤ .

وَعَيْنُهُ اليُمْنى تُغْلَى بشَيْرَجٍ ، وَتُجْعَلُ في إِناءِ نُحاسٍ ، فَمَنِ اكْتَحَلَ بِهِ ، لَمْ يَخْفَ عليْهِ شَيْءٌ في اللَّيْلِ ، بَلْ يَراهُ كَأَنَّهُ نَهارٌ ، وَشُطَّارُ العَيَّارينَ يَفعلُون ذلكَ .

وَعَيْنُهُ اليُسْرَى تُغْلى بزَيْتٍ ، وَتُرْفَعُ في قارُورَةٍ ، فإِذا أَرَدْتَ أَنْ تُنَوِّمَ إِنْساناً ، فَخُذْ منهُ بطَرَفِ المِيْلِ ، وأَدْنِهِ إِلى أَنْفِهِ ، فإِنَّهُ يَنامُ من ساعَتِهِ .

وَأَظْفارُ يَدِهِ اليُمْنى يُبَخَّرُ بها المحمُومُ ، فَتَذْهَبُ حُمَّاهُ .

وَطِحالُهُ إِذا شُوِيَ وَأَكَلَهُ مَن بِهِ وَجَعُ الطِّحالِ ، أَبْرَأَهُ ؛ وَالأَوَّلُ أَسْرَعُ ، وَهُوَ ما تَقَدَّمَ .

وَمَرارَتُهُ : تُعْجَنُ بِسَمْنٍ عَتيقٍ ، وَتَتَحَمَّلُ بِها المرأَةُ في قُبُلِها ، فإِنَّها تُلْقي ما في جَوْفِها .

وَدَمُهُ يُطْلَى بِهِ على عَضَّةِ الكَلْبِ ، يَسكنُ أَلَمُها .

وَلَحْمُهُ المُمَلَّحُ يَنفعُ من داءِ الفِيْلِ والجُذامِ ، وَهُوَ جَيِّدٌ لِمَنْ يَبُولُ فِي فِراشِهِ .

وَجَمِيعُ أَصْنافِ القَنافِذِ بَيْضُها أَصْفَرُ جِدّاً ، لا يُؤْكَلُ .

وإِذا أُخِذَ بَوْلُ القُنْفُذِ ، وَسُقِيَ بِشَرابٍ لِمَنْ أَعياهُ مَرَضُهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، أَبْرَأَهُ .

وإِنْ عُلِّقَ قَلْبُهُ على مَن بِهِ حُمَّى الرِّبْعِ ، أَبْرَأَهُ ؛ وإِذا طُلِيَ المَجذومُ بِشَحْمِهِ ، نَفَعَهُ .

وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ في المَنامِ[١] : فإِنَّهُ يَدُلُّ على المَكْرِ ، وَالخِداعِ ، والتَّجَسُّسِ ، وَالاخْتِفاءِ ، وَالشَّرِّ ، وَضِيْقِ القَلْبِ ، وَسُرْعَةِ الغَضَبِ ، وَقِلَّةِ الرَّحْمَةِ .

---

(١) تفسير الواعظ ٣١٣ .

وَرُبَّما يَدُلُّ على فِتْنَةٍ يُشْهَرُ فِيها السِّلاحُ ؛ وَاللهُ تَعالى أَعلَمُ .

٨٤٨ **القُنْفُذُ البَحْرِيُّ** : قالَ القَزوينيُّ[١] : مُقَدَّمُهُ يُشْبِهُ مُقَدَّمَ القُنْفُذِ البَرِّيِّ ، وَمُؤَخَّرُهُ يُشْبِهُ السَّمَكَ ؛ طَيِّبُ اللَّحْمِ جِدّاً .

قالَ ابْنُ زُهْرٍ : وَيُعالَجُ بِهِ عُسْرُ البَوْلِ ؛ وَرِيشُهُ لَيِّنٌ يُشْبِهُ الشَّعَرَ .

٨٤٩ **القِنْفِشَةُ** : دُوَيْبَّةٌ مَعرُوفَةٌ عِندَ أَهْلِ البادِيَةِ . حَكاهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] .

٨٥٠ **القَهْبِيُّ** : بِالفَتْحِ : اليَعْقُوبُ[٣] ؛ وَقِيلَ : العَنْكَبُوتُ .

٨٥١ **القُهَيْبَةُ** : طائِرٌ يَكُونُ بِتِهامَةَ ، فِيهِ بَياضٌ وَخُضْرَةٌ ؛ وَهُوَ نَوْعٌ من الحَجَلِ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه أَيضاً[٤] .

٨٥٢ **القَوافِزُ** : الضَّفادِعُ[٥] . وَقَدْ تَقَدَّمَ ما فِيها في « بابِ الضَّادِ المُعجمةِ » .

٨٥٣ **القُواعُ** : بِضَمِّ القافِ : الذَّكَرُ من الأَرانِبِ[٦] .

٨٥٤ **القُوبُ** : الفَرْخُ[٧] .

وَمِنْهُ قَوْلُهُم في **المَثَلِ** : « تَخَلَّصَتْ قائِبَةٌ من قُوبٍ »[٨] . فالقائِبَةُ : قِشْرُ البَيْضَةِ . قالَ الكُمَيْتُ[٩] : [من الوافر]

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢) وعنه اللِّسان « قنفش » ٥/ ٣٧٥٧ .

(٣) اللِّسان « قهب » ٥/ ٣٧٦٣ . وقوله : العنكبوت . لم يرد في معاجم اللُّغة .

(٤) وعنه اللِّسان « قهب » .

(٥) القامُوس « قفز » ٢/ ١٩٤ .

(٦) اللِّسان « قوع » ٥/ ٣٧٧٦ .

(٧) اللِّسان « قوب » ٥/ ٣٧٦٨ .

(٨) الميدانيّ ١/ ٩٨ والعسكريّ ١/ ٢٨٠ والزَّمخشريّ ٢/ ٢٣ .

(٩) ديوانه ١/ ٧٩ . يقول : مَثَلُ هَرَبِ النِّساء من الشُّيوخ ، كهربِ الفَرْخ من قشر البيضة .

لَهُــنَّ ولِلْمَشِيْــبِ وَمَــنْ عَــلاهُ   مِــنَ الأَمْثــالِ قــائِبَــةٌ وَقُــوبُ

● وَقالَ[١] أَعرابيٌّ من بَني أَسَدٍ لِتاجِرٍ اسْتَخْفَرَهُ : إِذا بَلَغْتُ بِكَ مَكانَ كذا وكذا ، فَبَرِئَتْ قائِبَةٌ من قُوبٍ ؛ أَي : أَنا بَرِيءٌ من خفارَتِكَ .

٨٥٥ القُوبَعُ : بِضَمِّ القاف وَفَتْحِ الباءِ المُوَحَّدَةِ : طائِرٌ أَسْوَدُ ، أَبْيَضُ الذَّنَبِ ، يُكْثِرُ تَحْرِيكَ ذَنَبِهِ[٢] . وَقَدْ تَقَدَّمَ في آخِرِ « بابِ العَيْنِ المُهملةِ » .

٨٥٦ القَرْثَعُ : بِفَتْحِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ : الظَّلِيمُ[٣] . وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الظَّاءِ المُعجمَةِ » .

٨٥٧ القـوقُ : بِـالضَّـمِّ : طـائِـرٌ مـائِـيٌّ ، طَـويـلُ العُنُـقِ . قـالَـهُ فـي « العُبابِ »[٤] .

٨٥٨ قُوقيس : قالَ القَزوينيُّ[٥] : إِنَّهُ طائِرٌ بِأَرْضِ الهِنْدِ ؛ من شَأْنِهِ : أَنَّهُ عِندَ التَّزاوُجِ يَجْمَعُ حَطَباً كَثيراً في عُشِّهِ ، وَلا يَزالُ الذَّكَرُ منهُ يَحُكُّ مِنْقارَهُ بِمِنْقارِ الأُنْثى ، حتَّى يَتَأَجَّجَ النَّارُ من حَكِّهما في ذلكَ الحَطَبِ ، وَتَشْتَعِلُ وَيَحْتَرِقانِ فِيها ؛ فإِذا سَقَطَ المَطَرُ على ذلكَ الرَّمادِ ، تَوَلَّدَ منهُ دُودٌ ، ثُمَّ تَنْبُتُ لَهُ أَجْنِحَةٌ ، ثُمَّ يَصيرُ طَيْراً ، ثُمَّ يَفْعلُ كَفِعْلِ الأَوَّلِ من الحَكِّ والاحْتِراقِ ! .

٨٥٩ قُوقي : بِضَمِّ القافِ الأُولى ، وَكَسْرِ الثَّانِيَةِ : صِنْفٌ من السَّمَكِ عَجِيبٌ جِدّاً ، على رَأْسِهِ شَوْكَةٌ قَوِيَّةٌ يَضْرِبُ بِها .

---

(١) اللِّسان والتَّاج « قوب » .
(٢) عن المرصَّع ٢٤٤ . وفيه : قَوْبَع . بفتح القاف ضبط قلمٍ . وقد مضى باسم « أُمّ عجلان » .
(٣) المخصَّص ٨/ ٥٤ . وفي الأُصول : القوثع ـ بالواو بعد القاف ـ : تحريف . وعليه فالمادَّة في غير موضعِها .
(٤) والتَّكملة « قوق » ٥/ ١٤٥ ، واللِّسان والقاموس والتَّاج « قوق » .
(٥) عجائب المخلوقات ٢٨٤ . وفي مسالك الأبصار ٢٠/ ٩٦ : قوقنس .

● حَكَى المَلاَّحُونَ : أَنَّ هذِهِ السَّمَكَةَ إذا جاعَتْ ، رَمَتْ نَفْسَها إلى شَيْءٍ من الحَيوانِ لِيَبْتَلِعَها ، ثمَّ إنَّها تَضربُ بشَوْكَتِها أَحْشاءَهُ حتَّى تُهْلِكَهُ ، وَرُبَّما تَخرُجُ من شِقِّ بَطْنِهِ ، تَتَغَذَّى منهُ هِيَ وَغيْرُها .

وإذا قَصَدَها قاصِدٌ في الماءِ ، تَضْرِبُهُ بالشَّوْكَةِ فَيَهلكُ ؛ وَلَعَلَّها تَضربُ السَّفينَةَ بِالشَّوْكَةِ فَتَخرِقُها ، وَتُغْرِقُ أَهْلَها ، وَتَأْكُلُ منهم .

وَالمَلاَّحُونَ يَعرفُونَ ذلكَ ، فَيَجْعَلونَ على السَّفينَةِ جِلْدَ تِلْكَ السَّمَكَةِ ، فإنَّ شَوْكَتَها لا تَعملُ فِيهِ . كذا قالَهُ القَزوينيُّ[1] .

٨٦٠ **قَيْدُ الأَوابِدِ** : الفَرَسُ الجَوادُ ؛ قِيلَ لَهُ ذلكَ ، لأَنَّهُ يَمْنَعُ الوَحْشَ الفَواتَ لِسُرْعَتِهِ . وَالأَوابِدُ : الوُحُوشُ . قالَ امْرُؤُ القَيْسِ[2] : [من الطويل]

بِمُنْجَـرِدٍ قَيْـدِ الأَوابِـدِ هَيْكَـلِ

٨٦١ **قِيْقٌ** : بِكَسْرِ أَوَّلِهِ : طائِرٌ على قَدْرِ اليَمامَةِ ؛ وَأَهْلُ الشَّامِ يُسَمُّونَهُ أَبا زُرَيْقٍ ؛ وَهُوَ أَلُوفٌ للنَّاسِ ، فِيهِ قَبُولٌ للتَّعَلُّمِ ، وَسُرْعَةُ إِدْراكٍ لِما يُعَلَّمُ . وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الزَّاي »[3] .

٨٦٢ **أُمُّ قَشْعَـمٍ** : بِفَتْـحِ القـافِ : النَّسْـرُ ، وَالعَنْكَبُـوتُ ، وَالضَّبُـعُ ، وَاللَّبُؤَةُ ، وَالمَنِيَّةُ ، وَالدَّاهِيَةُ ، وَالحَرْبُ ، والدُّنْيا أَيْضاً[4] . قالَ زُهَيْرٌ[5] : [من الطويل]

فَشَـدَّ وَلَـمْ يُنْظِـرْ بُيُـوتـاً كَثِيـرَةً   إِلـى حَيْـثُ أَلْقَـتْ رَحْلَهـا أُمُّ قَشْعَـمِ

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٥ .

(٢) ديوانه ١٩ . وصدره : وقد أَغْتَدِي والطَّيْرُ في وُكُناتها × .

(٣) ينظر « الزِّرياب » و« أبو زريق » .

(٤) عن المرصَّع ٢٧٦ .

(٥) ديوانه ٢٢ .

قِيلَ : أَرادَ أَحَدَ هذهِ الأَشْياءِ .

وَقالَ آخَرُ : [من الطويل]

فَخَـرَّ صَـرِيْعـاً لِلْيَـدَيْـنِ وَلِلْفَـمِ إِلـى حَيْـثُ أَلْقَـتْ رَحْلَهـا أُمُّ قَشْعَـمِ

٨٦٣ **أَبو قِيْر** : طائِرٌ مَعرُوفٌ . قالَهُ ابنُ الأَثِيرِ[١] وغَيْرُهُ . وَقد تَقَدَّمَ .

٨٦٤ **أُمُّ قَيْسٍ** : هِيَ بَقَرَةُ بَني إِسرائِيلَ[٢] . وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُها في « بابِ الباءِ » وفي « بابِ العينِ المُهملةِ » في « العِجْلِ » .

* * *

(١) المرصَّع ٢٧٤ .

(٢) كذا ، وَلَمْ يَرد ذلكَ في المرصَّع . وفي اللِّسان « قيس » ٥/ ٣٧٩٤ : أُمُّ قَيسٍ : الرَّخَمَةُ .

بابُ الكافِ

٨٦٥ **الكاسِرُ** : العُقابُ[١] .

يُقالُ : كَسَرَ الطَّائِرُ ، يَكْسِرُ كَسْراً وَكُسُوراً : إِذا ضَمَّ جَناحَيْهِ يُريدُ الوُقوعَ . وَعُقابٌ كاسِرٌ . قالَ الشَّاعِرُ[٢] : [من الرجز]

كَأَنَّها بَعْدَ كَلالِ الزَّاجِرِ وَمَسْحِهِ مَرُّ عُقابٍ كاسِرِ

وَيُعْدىٰ ، فَيُقالُ : كَسَرَ جناحَيْهِ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

٨٦٦ **كاسِرُ العِظامِ** : المُكَلَّفَةُ[٣] . وَسَيَأْتي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ المِيمِ » .

٨٦٧ **الكَبْشُ** : فَحْلُ الضَّأْنِ ، في أَيِّ سِنٍّ كانَ ؛ وَقيلَ : إِذا أَثْنى . وقيلَ : إِذا أَرْبَعَ . وَالجَمْعُ : أَكْبُشٌ وَكِباشٌ .

● رَوى الجَماعَةُ[٤] عن أَنَس بن مالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ : « ضَحَّى النَّبيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ، فَسَمَّىٰ وَكَبَّرَ ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ على صِفاحِهِما » .

● وَرَوى « أَبُو داود » و« ابنُ ماجه »[٥] عن جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ : ذَبَحَ

---

(١) الصّحاح « كسر » ٢/٨٠٦ والمخصّص ٨/١٣٩ .

(٢) الشَّطران بلا نسبة ، في المخصّص ٨/١٣٩ وكتاب سيبويه ٤/٤٥٠ واللِّسان والتَّاج « كسر » .

(٣) الحيوان ٣/١٨٠ .

(٤) البخاريّ ٦/٢٣٨ ومسلم (١٩٦٦) وأبو داود (٢٧٩٤) والتّرمذيّ (١٤٩٤) والنَّسائيّ (٤٣٨٧) وابن ماجه (٣١٢٠) .

(٥) أبو داود (٢٧٩٥) وابن ماجه (٣١٢١) .

النَّبيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوءَيْنِ ، فلمَّا وَجَّهَهُما قالَ ﷺ : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩] « اللَّهُمَّ مِنْكَ وإِلَيْكَ ، عن محمَّدٍ وَأُمَّتِهِ ، بِسْمِ اللهِ ، وَاللهُ أكبرُ ؛ ثمَّ ذَبَحَ » . قالَ الحاكِمُ : صَحيحٌ على شَرْطِ مُسلِمٍ .

قَوْلُهُ : أَمْلَحَيْنِ ؛ الأَمْلَحُ : الذي بَياضُهُ أَكْثَرُ من سَوادِهِ ؛ وَقيَ : هُوَ النَّقِيُّ البَياضِ .

● وَفي الحَديثِ الآخَرِ في « صَحيحِ مُسلمٍ »[١] « يَطَأُ في سَوادٍ ، وَيَبْرُكُ في سَوادٍ ، وَيَنْظُرُ في سَوادٍ » .

وَمَعْناهُ : أَنَّ قَوائِمَهُ وَبَطْنَهُ وَما حَوْلَ عَيْنَيْهِ أَسْوَدُ .

وَنُقِلَ عن أَصْحابِ الحَديثِ ، أَنَّ مَعنى كَوْنِهِ يَنْظُرُ في سَوادٍ ، وَيَبْرُكُ في سَوادٍ ، وَيَطَأُ في سَوادٍ : أَنَّ ذَلِكَ يَكونُ في ظِلٍّ نَفْسِهِ لِسِمَنِهِ .

● وَرَوى ابْنُ سَعْدٍ في « طَبقاتِهِ »[٢] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أُهْدِيَ لَهُ تُرْسٌ ، فِيهِ تِمْثالُ كَبْشٍ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عليهِ ، فَأَذْهَبَ اللهُ ذلكَ التِّمْثالَ » .

وَفي رِوايَةٍ : أَنَّهُ كان لَهُ ﷺ تُرْسٌ فِيهِ تِمْثالُ كَبْشٍ .

وَفي رِوايَةٍ : « تِمْثالُ عُقابٍ ، فَكَرِهَ النَّبيُّ ﷺ مَكانَهُ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ أَذْهَبَهُ اللهُ تَعالى » .

● وَفي « سُنَنِ أَبي داود » و« ابن ماجه »[٣] : عن أَبي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « أَوْحَى اللهُ تَعالى إِلى بَعْضِ الأَنْبياءِ : قُلْ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الدِّيْنِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ العَمَلِ ، وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ ،

---

(١) مسلم (١٩٦٧) أبو داود (٢٧٩٦) والنَّسائيّ (٤٣٩٠) .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٤٢٠ وسبل الهدى والرَّشاد ٧/ ٥٩٣ .

(٣) لم أقف عليه فيهما ؛ وهو في الترّمذيّ (٢٤٠٥) وتهذيب الكمال ٧/ ٣٣٨ .

وَيَلْبَسُونَ للنَّاسِ صُوفَ الكِباشِ ، وَقُلُوبُهم كَقُلُوبِ الذِّئابِ ، أَلْسِنَتُهُم أَحْلى من العَسَلِ ، وَقُلُوبُهم أَمَرُّ من الصَّبِرِ : إِيَّايَ يُخادِعُونَ ؟ وَبِي يَسْتَهْزِؤُونَ ؟ لأُتِيحَنَّ لهم فِتْنَةً تَدَعُ الحَليمَ حَيْراناً » .

● وَرَوى البَيهقيُّ في « الشُّعَبِ »(١) : عن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه، قالَ : نَظَرَ النَّبيُّ ﷺ إلى مُصْعَب بن عُمَيْرٍ مُقْبِلاً ، وَعليْهِ إِهابُ كَبْشٍ قد تَمَنْطَقَ بِهِ ، فقالَ ﷺ : « انْظُرُوا إِلى هذا الذِي نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْنِ يَغْذُوانِه بِأَطْيَبِ الطَّعامِ والشَّرابِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهِ حُلَّةً اشْتُرِيَتْ بِمِئَتَي درهمٍ ، فَدَعاهُ حُبُّ اللهِ وَحُبُّ رَسُولِهِ إِلى ما تَرَوْنَ » . انتهى .

● وَفي « الصَّحيحين »(٢) عن خَبَّاب بن الأَرَت ، قالَ : هاجَرْنا مع رَسولِ اللهِ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَوَقَعَ أَجْرُنا على اللهِ ، فَمِنَّا مَن ماتَ لَمْ يَأْكُلْ من أَجْرِهِ شَيْئاً ، منهُم مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ ، قُتِلَ يومَ أُحُدٍ ، فَلَمْ نَجِدْ لَهُ ما نُكَفِّنُهُ بِهِ إِلاَّ نَمِرَةً ، كُنَّا إِذا غَطَّيْنا بها رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاهُ ، وإِذا غَطَّيْنا بها رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ ، فَأَمَرَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ ، وَأَنْ نَجْعَلَ على رِجْلَيْهِ من الإِذْخِرِ ؛ وَمِنَّا مَن أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهوَ يَهْدِبُها ـ أَي يَجْتَنِيْها ـ وهو إِشارَةٌ إِلى ما فَتَحَ اللهُ عَليهم من الدُّنْيا بعدَ وَفاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

● وَالكَبشُ : هُوَ الذِّبْحُ العَظِيمُ الذي فدى اللهُ بِهِ إِسماعيل عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ وإِنَّما سُمِّيَ عَظِيماً ، لأَنَّهُ رَعى في الجَنَّةِ أَرْبعينَ عاماً(٣) . قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما .

---

(١) شعب الإيمان ٥/ ١٦٠ وطبقات ابن سَعد ٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٢) البخاريّ ٣/ ٢٥٢ ومسلم (٩٤٠) وأَبو داود (٣١٥٥) والتّرمذيّ (٣٨٥٣) والنَّسائيّ (١٩٠٣) ومسند أَحمد ٥/ ١١٢ و ٦/ ٣٩ وابن سعد ٣/ ١١٣ وأُسد الغابة ٥/ ١٨٣ .

(٣) البداية والنِّهاية ١/ ٣٦٥ . وكيف يكونُ كذلك ؟ والمدَّة بين هابيل وإِبراهيم عليهما السَّلام أَطول من ذلك بكثير ! ! .

قالَ : وهوَ الكَبْشُ الذي قَرَّبَهُ هابِيلُ ، فَتُقُبِّلَ منهُ .

قالَ : وَلَو تَمَّتْ تِلْكَ الذَّبِيحَةُ لَصارَتْ سُنَّةً ، وَلَذَبَحَ النَّاسُ أَبْناءَهم .

وَاسْتَشْهَدَ أَبو حَنيفةَ رحمهُ اللهُ تعالى بهذِهِ القِصَّةِ على أَنَّ مَن نَذَرَ ذَبْحَ وَلَدِهِ ، يَلْزَمُهُ ذَبْحُ شاةٍ ؛ وَمَنَعَ الجُمهورُ ذلكَ ، لِقَولِهِ ﷺ : « لا نَذْرَ في مَعْصِيَةِ اللهِ ، وَلا نَذْرَ لابْنِ آدمَ فِيما لا يَمْلِكُ » .

● وَقد[1] اخْتَلَفَ العُلماءُ في الذَّبيحِ ، هل هُو إِسماعيلُ أَو إِسحاقُ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ فَذهبَ قَومٌ إِلى أَنَّهُ إِسحاق ؛ منهم عُمر وعَليٌّ وابنُ مَسعُودٍ والعَبَّاسُ وَكَعْبٌ وَقَتادَةُ وَمَسرُوقٌ وَعِكْرِمَةُ وَعَطاءٌ والزُّهْريُّ والسُّدِّيُّ ؛ قالُوا : كانَتْ هذهِ القِصَّةُ بِالشَّامِ .

● وَرُويَ عن سَعيدِ بن جُبَيْرٍ ، أَنَّهُ قالَ : أُرِيَ إِبراهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ذَبْحَ إِسْحاقَ في المَنامِ ، فسارَ بِهِ مَسِيرةَ شَهْرٍ في رَوْحَةٍ واحِدَةٍ ، حتَّى أَتَى بِهِ المَنْحَرَ في مِنىٰ ؛ فَلَمَّا أَمَرَهُ اللهُ تَعالى بِذَبْحِ الكَبْشِ ذَبَحَهُ ، وَسارَ بِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ في رَوْحَةٍ واحِدَةٍ ؛ طُوِيَتْ لَهُما الأَوْدِيَةُ والجِبالُ .

وَاحْتَجُّوا أَيْضاً بِقَوْلِهِ تَبارَكَ وَتعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصَّافَّات : ١٠١ ـ ١٠٢] .

قالُوا : وَلَيْسَ في القُرْآنِ أَنَّهُ بُشِّرَ بِوَلَدٍ سِوى ما قالَ في « سُورَةِ هُودٍ »[2] : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ [الصافات : ١١٢] .

وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلى أَنَّهُ إِسحاقُ : شَيْخُ التَّفْسِيرِ محمَّد بن جَرير الطَّبريّ ، رحمةُ الله عليْهِ ؛ وَرُوِيَ عن مالِكٍ .

---

(١) البداية والنِّهاية ١/٣٦٨ .

(٢) سبق قلم من المؤلِّف رحمه اللهُ تعالى . فآية هُود : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾ .

● وَقالَتْ فِرْقَةٌ[1] : الذَّبيحُ : إسماعيلُ ؛ وَاحْتَجُّوا بأَنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ البِشارَةَ بإسْحاق بعدَ الفَراغ من قِصَّةِ الذَّبيحِ ، قالَ : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود : ٧١][2] فَكَيفَ يَأْمُرُهُ بِذَبْحِ إسْحاقٍ وَقد وَعَدَهُ بنافِلَةٍ منهُ ؟ .

قالَ محمَّدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ[3] : سَأَلَ عُمر بن عبدِ العَزيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلاً من عُلَماءِ يَهودَ ، وَكانَ قد أَسْلَمَ وَحَسُنَ إسْلامُهُ ـ : أَيُّ ابْنَي إبراهيمَ أُمِرَ بذَبْحِهِ ؟ فقالَ : إسماعيل ؛ ثمَّ قالَ : يا أَميرَ المُؤمنين ، إنَّ يَهُودَ لَتَعْلَمُ ذلكَ ، وَلكنَّهم يَحْسُدُونَكُم ـ يا مَعْشَرَ العَرَبِ ـ على أَنْ يَكُونَ أَبُوكُم الذي أَمَرَ اللهُ تَعالى بذَبْحِهِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إسحاقُ أَبُوهُم .

وَمِنَ الدَّليلِ عليْهِ[4] : أَنَّ قَرْنَي الكَبْشِ ، كانا مَنُوطَيْنِ بالكَعْبَةِ في أَيْدِي بَني إسماعِيلَ ، إِلى أَنِ احْتَرَقَ البَيْتُ ، وَاحْتَرَقَ القَرْنانِ في أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ والحَجَّاجِ .

● قالَ الشَّعبيُّ رحمهُ اللهُ : رَأَيْتُ قَرْنَي الكَبْشِ مَنُوطَيْنِ بالكَعْبَةِ .

● وَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما[5] : وَالذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لَقَدْ كان أَوَّلُ الإِسْلامِ ، وإنَّ رَأْسَ الكَبْشِ لَمُعَلَّقٌ بِقَرْنَيْهِ في مِيْزابِ الكَعْبَةِ قد وَخَشَ ؛ يَعْني : قد يَبِسَ .

● وَقالَ الأَصمعيُّ : سَأَلْتُ أَبا عَمرو بن العلاءِ عن الذَّبيحِ ، إسحاق كان أَو إسماعيل ؟ فقالَ : يا أَصمعيُّ ، أَيْنَ ذَهَبَ عَقْلُكَ ؟ مَتى كان إِسحاقُ بِمَكَّةَ ؟

---

(١) هذا من استدلال محمَّد بن كعب القرظيّ ؛ كما في البداية والنِّهاية ١/ ٣٦٧ .
(٢) زادَ هنا في أ : فلمَّا بَشَّرَهُ بإسحاق ، بشَّرَهُ بابْنِهِ يَعقوب ؛ فكيف . . .
(٣) البداية والنِّهاية ١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ . ويقارن بما ورد في المستدرك ٢/ ٥٥٤ .
(٤) مسند أحمد ٤/ ٦٨ و ٥/ ٣٨٠ .
(٥) البداية والنِّهاية ١/ ٣٦٦ .

وإنَّما كان إسْماعِيلُ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ الذي بَني البَيْتَ مع أَبيهِ .

● قالَ محمَّد بن إسحاق : كان إبراهيم إذا زارَ هاجَرَ وإسماعيل ، حُمِلَ على البُراقِ ، فَيَغْدُو من الشَّام وَيَقِيلُ بمكَّةَ ، وَيَرُوحُ من مَكَّةَ فَيَبيتُ عندَ أَهْلِهِ بالشَّامِ ؛ حَتَّى إذا بَلَغَ إسماعيلُ معهُ السَّعْيَ ، وَأَخَذَ بنَفْسِهِ ، وَرَجاهُ لِما كان يَأْملُ فِيهِ من عِبادَةِ رَبِّهِ وَتَعْظِيمِ حُرُماتِهِ ، أُمِرَ في المَنام أَنْ يَذْبَحَهُ ؛ وَذلكَ أَنَّهُ رَأى لَيلَةَ التَّرْوِيَةِ ، كأَنَّ قائِلاً يَقُولُ لَهُ : إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ بذَبْحِ ابْنِكَ هذا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ رَوَّىٰ في نَفْسِهِ ، أَي : فكَّرَ ، أَمِنَ اللهِ هذا أَم من الشَّيْطانِ ؟ فَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ ؛ فَلَمَّا أَمْسَى رَأَى ما رَأَى في المَنامِ ثانياً ، فلمَّا أَصْبَحَ عَرَفَ أَنَّهُ من اللهِ تَعالى ، فمن ثَمَّ سُمِّيَ يَومُ عَرَفَةَ ، فَهَمَّ بِنَحْرِ ابْنِهِ ، فَفَداهُ اللهُ تَعالى بِالكَبْشِ .

● رَوى البَيهقيُّ في « البَعْثِ والنُّشُورِ » من حَديثِ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَمَّا فُدِيَ إسحاقُ بالكَبْشِ ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إنَّ لَكَ دَعْوَةً مُسْتَجابَةً ؛ فقالَ لَهُ إبراهيمُ : تَعَجَّلْ دَعْوَتَكَ ، لا يُدْخِلِ الشَّيْطانُ فِيها شَيْئاً . قالَ إسْحاقُ : اللَّهُمَّ مَن لَقِيَكَ من الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ لا يُشْرِكُ بكَ شَيْئاً فاغْفِرْ لَهُ » .

● وَكُنْيَةُ جَماعَةٍ من الصَّحابيَّاتِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُنَّ : أُمُّ كَبْشَةَ ، مِنْهُنَّ : أُمُّ كَبْشَةَ ـ وَقيلَ : كَبْشَة[1] ـ بنتُ مَعْدي كَرِب ، عَمَّةُ الأَشْعَثِ بن قَيْسٍ .

● رَوى الدَّارقُطنيّ[2] ، عن مُعاويَةَ بن حُدَيْجٍ ـ بِحاءٍ مُهملَةٍ مَضْمُومَةٍ ،

---

(١) هي كبشة بنت معدي كرب ، كما في أُسد الغابة ٧/٢٤٩ والإصابة ٨/٢٩٥ (رقم ١١٦٧٦) .

(٢) الدارقطني ٢/٢٧٣ وعنهُ ابن الأثير في أُسد الغابة ، وابن حجر في الإصابة ؛ وزاد الحافظ ابن حجر : وسنده ضعيف .

وَدالٍ مُهملَةٍ مَفْتوحَةٍ ، وَبالجِيمِ في آخِرِهِ ـ : أَنَّ أُمَّ كَبْشَةَ هذِهِ ، سَأَلَتِ النَّبيَّ ﷺ أَنَّها آلَتْ أَنْ تَطُوفَ بِالبَيْتِ الحَرامِ حَبْواً ؛ فقالَ لَها رَسُولُ اللهِ ﷺ : « طُوفي على رِجْلَيْكِ سَبْعَيْن ؛ سَبْعاً عن يَدَيْكِ ، وَسَبْعاً عن رِجْلَيْكِ » .

قُلتُ : وَالحُكْمُ المَذكُورُ غَريبٌ ، لَمْ أَرَ مَن صَرَّحَ بِهِ من الفُقَهاءِ ، فلذلكَ ذَكَرْتُهُ هُنا ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَعَلُّقٌ بالكِتابِ ؛ ثمَّ رَأَيْتُهُ بعدَ ذلكَ في آخِرِ بابِ النَّذْرِ من « المُحَرَّرِ » لمجدِ الدِّيْنِ بن تَيْمِيَّةَ من الحَنابلَةِ ، فقالَ : وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَطُوفَ على أَرْبَعٍ ، لَزِمَهُ أَن يطوف طَوافَيْن ؛ نَصَّ عليْهِ ـ يَعْني الإمام أَحمد ـ .

ثمَّ رَأَيْتُهُ في « تاريخِ مَكَّةَ » لأَبي الوَلِيدِ الأَزْرَقيّ[١] ، مَرْوِيّاً من حَدِيثِ عَمرو بن دِينار ، عن عَطاء ، عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ سُئِلَ عن امْرَأَةٍ نَذَرَتْ أَنْ تَطُوفَ على أَرْبَعٍ ؛ قالَ : تَطُوفُ عن يَدَيْها سَبْعاً ، وَعن رِجْلَيْها سَبْعاً .

● **فائِدَةٌ** : رَوَى « البُخارِيُّ » و« مُسلم » و« التِّرمذيُّ » و« النَّسائيُّ »[٢] من حَديثِ أَبي سَعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « إِذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، جِيءَ بِالمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ ، ثمَّ يُذْبَحُ وَيُقالُ : يا أَهْلَ الجَنَّةِ ، خُلودٌ بِلا مَوْتٍ ، وَيا أَهْلَ النَّارِ ، خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ ؛ ثمَّ قَرَأَ رَسولُ اللهِ ﷺ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ » .

وَفي رِوايَةِ « التِّرمذيِّ » : « فَيُقالُ : هل تَعْرِفُونَ هذا ؟ . فَيَقُولُونَ : نَعم ، هذا المَوْتُ ، فَيُضْجَعُ ، فَيُذْبَحُ ؛ فَلَوْلا أَنَّ اللهَ تَعالى قَضى لأَهْلِ الجَنَّةِ بِالحَياةِ

---

(١) تاريخ مكَّة للأزرقيّ ٢/ ١٤ .

(٢) البخاريّ ٥/ ٢٣٦ ومسلم (٢٨٤٩) والتّرمذيّ (٣١٥٦) ومسند أَحمد ٢/ ٤٢٣ و ٣/ ٩ .

والبَقاءِ لَماتُوا فَرَحاً ، وَلولا أَنَّ اللهَ تَعالى قَضى لأَهْلِ النَّارِ بالحَياةِ والبَقاءِ لَماتُوا تَرَحاً » .

وإنَّما جِيءَ بالمَوْتِ على هَيْئَةِ كَبْشٍ ، لِما جاءَ أَنَّ مَلَكَ المَوْتِ عليْه السَّلامُ أَتى آدَمَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، قد نَشَرَ من أَجْنِحَتِه أَربعمئَةِ جَناحٍ .

● قالَ ابنُ عَبَّاسٍ والكَلْبِيُّ وَمُقاتلُ ، في قَوْلِه تَعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك : ٢] : خَلَقَهُما جِسْمَيْنِ ؛ خَلَقَ المَوْتَ في هَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، لا يَمُرُّ على شَيْءٍ ، وَلا يَجِدُ رِيْحَهُ شَيْءٌ ، إلاَّ ماتَ ؛ وَخَلَقَ الحَياةَ على هَيْئَةِ فَرَسٍ أُنْثى بَلْقاءَ ، وَهي التي كان جِبْرِيْلُ وَالأَنْبياءُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ يَرْكَبُونَها ، خَطْوُها مَدُّ البَصَرِ ؛ وَهِيَ فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ البَغْلِ ، لا تَمُرُّ على شَيْءٍ ، وَلا تَطَأُ شَيْئاً ، وَلا يَجِدُ رِيْحَها شَيْءٌ ، إلاَّ حَيِيَ ؛ وَهِيَ التي أَخَذَ السَّامريُّ من تُرابِها فَأَلْقاهُ على العِجْلِ . انتهى .

وَهذِهِ هِيَ الحِكْمَةُ في فِداءِ الذَّبيح بِكَبْشٍ ، لِيَكُونَ فِدىً من المَوْتِ بِشَكْلِ المَوْتِ ؛ وَلَمَّا سَرَّ بِذَبْحِهِ ، سَرَّ أَهْلَ الجَنَّةِ أَيْضاً بِذَبْحِه ، مِنَّةً عليْهم .

● وَنَقَلَ القُرطبيُّ عن « كِتابِ خَلْعِ النَّعليْنِ »[1] : أَنَّ الذَّابِحَ لِلْكَبْشِ بينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، يَحيى بن زَكريَّا عليْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ بينَ يَدَي رَسُولِ اللهِ ﷺ ، إِذْ في اسْمِهِ إِشارَةٌ إِلى الحَياةِ الأَبَدِيَّةِ .

وَذَكَرَ صاحِبُ « كِتابِ الفِرْدَوْسِ » : أَنَّ الذي يَذْبَحُهُ ، جِبْريلُ عليْهِ السَّلامُ .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : قالَ ابنُ عبَّاسٍ ، وابنُ عُمر ، وسَعيدُ بن جُبيرٍ ،

---

(١) كتاب خلع النَّعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين ، لأَبي القاسم أَحمد بن قسيّ الأَندلسيّ ، شيخ الصُّوفيَّة ، المتوفى سنة ٥٤٥ هـ . (كشف الظُّنون ١/ ٧٢٢) .

وَالضَّحَّاكُ ، وَالحَسَنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ، في قَولِهِ تَعالى : ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء : ٥٠ ـ ٥١] أَنَّ الذي يَكْبُرُ في صُدورِهم : المَوْتُ .

قالَ السُّهيليُّ : وَهُوَ تَفْسِيرٌ يَحْتاجُ إِلى تَفْسِيرٍ .

قالَ : وَقالَ بعضُ المُتأَخِّرينَ : إِنَّ المَوْتَ الذي يَسْتَعْظِمُونَهُ ، سَيَفْنىٰ حِينَ يُذْبَحُ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ ، فكذلكَ أَنْتُمْ تَفْنُونَ .

● وَرَأَيْتُ في « الحِلْيَةِ » لأَبي نُعيْمٍ(١) ، في تَرجَمَةِ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ؛ أَنَّهُ قالَ : إِنَّ للهِ تَعالى في السَّماءِ السَّابعَةِ داراً يُقالُ لَها : البَيْضاءُ ؛ تَجْتَمِعُ فِيها أَرْواحُ المُؤمنينَ ؛ فإِذا ماتَ المَيِّتُ من أَهْلِ الدُّنْيا ، تَلَقَّتْهُ الأَرْواحُ يَسْأَلُونَهُ عن أَخْبارِ الدُّنْيا ، كَما يَسْأَلُ الغائِبُ أَهْلَهُ إِذا قَدِمَ عَلَيْهِم .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : قالَ البُونيُّ في « اللَّمعةِ النُّورانيَّة » : من السِّرِّ البَديعِ : إِذا كان الإِنْسانُ يَخافُ على نَفْسِه من قَتْلٍ أَو عَذابٍ أَو غيرِهِ ، فَلْيَذْبَحْ كَبْشاً سَميناً سَليماً من العُيوبِ ، كما في الأُضْحِيَةِ ، يَذْبَحُهُ في مَوْضِعٍ خالٍ ذَبْحاً سَريعاً ، مُوَجَّهاً إِلى القِبْلَةِ ، وَيَقُولُ عند الذَّبْحِ : اللَّهُمَّ هذا لَكَ ومنكَ ، اللّهم إِنَّهُ فِدائي فَتَقَبَّلْهُ مِنّي ؛ ويَحْفرُ لِدَمِهِ حُفْرَةً ، ويَرْدُمُها بالتُّرابِ حتّى لا يطأ أَحَدٌ على دَمِه ، وَيُبضعُهُ سِتِّينَ جُزءاً ، الجِلْدُ جُزْءٌ ، والرَّأْسُ جُزْءٌ ، وَالبَطْنُ جُزْءٌ ، إِلى أَن يأْتيَ على السِّتِّينَ جُزْءاً ، وَلا يَأْكُلُ منهُ شَيْئاً ، لا هُوَ ولا مَن تَجِبُ عليْهِ نَفَقَتُهُ ، وَيُفَرِّقُهُ على الفُقَراءِ والمَساكينِ ، فإِنَّهُ يَكونُ فِداءً لهُ ، وَلا يَنالُهُ مَكروهٌ من جِهَةِ الأَمْرِ الذي يَخْشاهُ . وَهو مُتَّفَقٌ عليْهِ مُجَرَّبٌ مَعْمُولٌ بِهِ ، وَالله تعالى المُحْسِنُ لِعَبيدِهِ ، المُنْعِمُ عليهم .

قالَ : وإِنْ كان يَخافُ من أَمْرٍ دُونَ ذلكَ ، فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكيناً من أَفْضَلِ

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٦٠ .

الطَّعامِ وَيُشبِعْهُم ، وَيقولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَكفي هذا الأَمْرَ الذي أَخافُهُ بِهِمَمِ هَؤلاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بِأَنفُسِهِم وَأَرْواحِهِم وَعَزائِمِهِم أَنْ تُخَلِّصَني مِمَّا أَخافُ وَأَحْذَرُ ؛ فإِنَّهُ يُفَرَّجُ عنهُ . وهذا أَيضاً مُتَّفَقٌ عليْهِ ، مَعْمولٌ بِهِ ، مُستفيضٌ عندَ أَهْلِ الطَّريقَةِ .

وَحُكْمُ الكَبْشِ : تَقدَّمَ .

ومنهُ أَنَّهُ تُحَرَّمُ المُناطَحَةُ بِالكِباشِ ، لِما رَوى « أَبو داود » و« التِّرمذيّ »[١] من حَديثِ مُجاهِدٍ ، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن التَّحْريشِ بينَ البَهائِمِ » .

وَالتَّحْريشُ : الإِغْراءُ ، وَتَهْييجُ بَعْضِها على بَعْضٍ ، كما يُفْعَلُ بينَ الكِباشِ وَالدُّيوكِ وغَيرِهما .

● وَفي « الكامل »[٢] في تَرجمةِ غالب بن عُبيدِ اللهِ الجَزَريّ ، من حَديثِ ابْن عُمر رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِنَّ اللهَ تَعالى لَعَنَ مَن يُحَرِّشُ بينَ البَهائِمِ » .

قالَ الحَليميُّ : وَهوَ حَرامٌ ، مَمْنُوعٌ منهُ ، لا يُؤْذَنُ لأَحَدٍ فيه ، لأَنَّ كُلَّ واحِدٍ من المُتَحارِشَيْنِ يُؤْلِمُ صاحِبَهُ وَيَجْرَحُهُ ؛ وَلو أَرادَ المُحَرِّشُ أَن يفعلَ ذلكَ بِيَدِهِ ، ما حَلَّ لَهُ .

وَعنِ الإِمامِ أَحمد في ذلكَ رِوايتانِ : التَّحريمُ والكَراهَةُ .

الأَمثالُ : قالُوا : « عِنْدَ النِّطاحِ يَظْهَرُ الكَبْشُ الأَجَمُّ »[٣] . وَهو الذي لا قَرْنَ لَهُ .

---

(١) أَبو داود (٢٥٦٢) والتّرمذيّ (١٧٠٨ و ١٧٠٩) .

(٢) الكامل في الضعفاء ٧/ ١١٠ .

(٣) الميدانيّ ٢/ ١٣ والعسكريّ ٢/ ٤٧ والزّمخشريّ ٢/ ١٦٩ وأَبو عبيد ٢١٥ .

يُضْرَبُ لِمَنْ غَلَبَهُ صاحِبُهُ بما أَعَدَّ لَهُ .

● وَكانَ الحسنُ يقولُ[1] : يا ابْنَ آدَمَ ، السِّكِّينُ تُحَدُّ ، وَالتَّنُّورُ يُسْجَرُ ، وَالكَبْشُ يُعْتَلَفُ .

● رَوى السُّهيليُّ وغيْرُهُ[2] : أَنَّ عبدَ الله ِبن الزُّبيرَ لَمَّا وُلِدَ ، قالَ النَّبيُّ ﷺ : « هُوَ هُوَ » . فلَمَّا سَمِعَتْ بذلكَ أُمُّهُ أَسماءُ بنتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَمْسَكَتْ عن إِرْضاعِهِ ؛ فقالَ لَها النَّبيُّ ﷺ : « أَرْضِعِيْهِ وَلَوْ بماءِ عَيْنَيْكِ ؛ كَبْشٌ بينَ ذِئابٍ ، وذِئابٌ عَلَيْها ثِيابٌ ؛ لَيَمْنَعَنَّ البَيْتَ أَوْ لَيُقْتَلَنَّ دُوْنَهُ » .

● وَمِمَّا قِيلَ في لَيالي صِفِّينَ[3] : [من الرجز]

اللَّيْلُ داجٍ والكِباشُ تَنْتَطِحْ نِطاحَ أُسْدٍ ما أُراها تَصْطَلِحْ
فَمَنْ يُقاتِلْ في وَغاها ما نَجا وَمَنْ نَجا بِرَأْسِهِ فَقَدْ رَبِحْ

الخَواصُّ : خِصْيَةُ الكَبْشِ : تُشْوَى وَتُطْعَمُ لِمَنْ يَبُولُ في الفِراشِ ، يَبْرَأُ من ذلكَ إِذا داوَمَ عليْهِ .

وإِنْ تَعَسَّرَ على المَرْأَةِ الوِلادَةُ ، فَلْيُؤْخَذْ شَحْمُ كَبْشٍ ، وَشَحْمُ بَقَرٍ ، وَماءُ الكُرَّاثِ ، وَتُخْلَطُ جَمِيعاً ، وَتَتَحَمَّلُ بِهِ المَرْأَةُ ، فإِنَّها تَلِدُ بِسُهولَةٍ .

وَكِلْيَتُهُ : إِذا نُزِعَتْ بعُروقِها ، وَجُفِّفَتْ في الشَّمْسِ ، وأُذِيبَتْ بِدُهْنِ الزِّئْبَقِ ، وَطُلِيَ بِهِ مَكانٌ ، نَبَتَ فِيهِ الشَّعَرُ .

وَمَرارَتُهُ إِذا طُلِيَ بِها الثَّدْيانِ ، انْقَطَعَ اللَّبَنُ .

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٥٢ وسير أعلام النُّبلاء ٤/ ٥٨٦ .

(٢) مضى تخريجه .

(٣) بلا نسبة في الميداني ٢/ ٢٩٩ والعسكري ١/ ٤٨٥ وأبي عبيد ٢٤٩ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٧٠ .

● رَوى « الإمامُ أَحمدُ »[1] بإِسْنادٍ صَحيحٍ ، عن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَصِفُ من عِرْقِ النَّسا ، أَلْيَةَ كَبْشٍ عَرَبيٍّ أَسْوَدَ ، لَيْسَ بِالعَظِيمِ ولا بِالصَّغِيرِ ، تُجَزَّأُ ثلاثةَ أَجْزاءٍ ، فَيُذابُ وَيُشْرَبُ منهُ كُلَّ يَوْمٍ جُزْءٌ » .

وَرَواه « الحاكم » و« ابْنُ ماجه »[2] ؛ وَلَفْظُهما : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « شِفاءُ عِرْقِ النَّسا ، أَنْ يُؤْخَذَ أَلْيَةُ كَبْشٍ ، فَتُذابَ ، ثمَّ تُجَزَّأَ ثَلاثَةَ أَجْزاءٍ ، ثمَّ تُشْرَبَ على الرِّيْقِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، في كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ » .

قالَ عبدُ اللَّطِيفِ البَغداديُّ : هذهِ المُعالَجَةُ تَصْلُحُ لِلأَعْرابِ الذينَ يَعْرِضُ لَهم هذا المَرَضُ من يُبْسٍ .

التَّعبيرُ[3] : الكَبْشُ في الرُّؤْيا : رَجُلٌ شَرِيفُ القَدْرِ ، لأَنَّهُ أَشْرَفُ الدَّوابِّ بعدَ ابْنِ آدَمَ ؛ لأَنَّهُ كان فِداءً لإِسماعيلَ علَيْهِ السَّلامُ .

وَمَنْ رَأى كَبْشاً يَنْطَحُ فَرْجَ امْرَأَةٍ ، فإِنَّها تَأْخُذُ بالمِقْراضِ ما على فَرْجِها من الشَّعَرِ .

وَمَنْ رَأى أَنَّهُ أَخَذَ أَلْيَةَ كَبْشٍ : أَخَذَ مالَ رَجُلٍ شَرِيفِ القَدْرِ ، وَيَتَزَوَّجُ بِابْنَتِهِ ؛ لأَنَّ أَلْيَةَ الكَبْشِ مالُ الرَّجُلِ ، ومَن يَتْبَعُهُ من عَقِبِهِ .

وَمَنْ ذَبَحَ كَبْشاً لِغَيْرِ الأَكْلِ ، فإِنَّهُ يَقتلُ رَجُلاً عَظيماً ؛ وإِنْ ذَبَحَهُ لِلأَكْلِ ، نَجا من هَمٍّ على يَدِ رَجُلٍ عَظِيمِ القَدْرِ ؛ وإِنْ كان مَرِيضاً ، يَبْرَأُ من مَرَضِهِ .

وَقالَ أَرطاميدورس : الكَبْشُ : يَدُلُّ على رَجُلٍ ، رَئِيسٍ ، لِتَقَدُّمِهِ على الغَنَمِ ؛ وَهُوَ دَلِيلُ خَيْرٍ لِمَنْ يَرْكَبُهُ إذا كان المَوْضِعُ مُرْتَفِعاً .

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٢١٩ .

(٢) المستدرك ٤/ ٢٠٦ وابن ماجه (٣٤١٣) .

(٣) تعبير الرُّؤيا ٤٢ و ١٧٩ وتفسير الواعظ ٢٧٩ .

وَالكَبْشُ الأَجَمُّ : والٍ مَعزولٌ ، أَو رَجُلٌ ذَليلٌ ، أَو خَصِيٌّ .

وَمَنْ نَكَحَ كَبْشاً : فَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مالِهِ رَجُلٌ عَظِيمٌ .

وَمَنْ رَكِبَ كَبْشاً في مَكانٍ مُسْتَوٍ من الأَرْضِ ، وَكانَ من الأَوْباشِ الخَدَّاعِينَ الَّذينَ يُحِبُّونَ الفِتَنَ وَالكَلامَ ، فإِنَّهُ يُصْلَبُ ؛ لأَنَّ هذا الحَيَوانَ من حَيَوانِ عُطارِدَ .

وَمَنْ حَمَلَ كَبْشاً على ظَهْرِهِ ، فإِنَّهُ يَتَقَلَّدُ مَؤُونَةَ رَجُلٍ ضَخْمٍ .

وَمَنْ رَأَى نَعْجَتَهُ صارَتْ كَبْشاً ، فإِنَّ زَوْجَتَهُ لا تَحْمِلُ ؛ فإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ ، نَالَ قُوَّةً وَنُصْرَةً على عَدُوِّهِ .

وَكَبْشُ الإِنْسانِ : سُلْطانُهُ وَأَمِيرُهُ ، وَقد يَكُونَ كَبشُهُ كِيْسَهُ ؛ فإِذا حَدَثَ فِيهِ شَيْءٌ فانْسِبْهُ إِلى الكِيْسِ .

● أَتَى[1] شَخْصٌ إِلى ابْنِ سِيرينَ رحمهُ اللهُ تَعالى ، فقالَ : رَأَيْتُ كَبْشَيْنِ يَتَناطَحانِ على فَرْجِ امْرَأَتي ؛ فقالَ لَهُ : إِنَّ امْرَأَتَكَ قد أَخَذَتْ بِالمِقْراضِ شَعْرَ فَرْجِها لِتَعَذُّرِ المُوسىٰ .

وَمَنْ ضَحَّىٰ بِكَبْشَيْنِ ، فإِنَّهُ يَنْجُو من جَمِيعِ الهُمُومِ ؛ وإِنْ كان مَسْجُوناً خَرَجَ من السِّجْنِ ، وَإِنْ كان في حَرْبٍ سَلِمَ ، وإِنْ كان عليْهِ دَيْنٌ قُضِيَ ، وَإِنْ كان مَرِيضاً شُفِيَ .

وَمَنْ رَأَى كَبْشَيْنِ يَتَناطَحانِ ، فإِنَّهُما مَلِكانِ يَقْتَتِلانِ ، فَأَيُّهُما هَزَمَ صاحِبَهُ فَهُوَ الغالِبُ .

---

(١) صاحب الرُّؤيا هو الرَّشيد ، والعابر هو الكرمانيّ ، في بهجة المجالس ٢/١٤٩ . والخبر دُون تحديد الأَشخاص في : تعبير الرُّؤيا ٩٢ ونثر الدُّرّ ٧/٢٥٦ وتفسير الواعظ ٢٩٠ . والرِّواية فيها جميعاً : رأَيت كلبين يتهارشان . . . .

وَتُنْسَبُ السُّودُ من الكِباشِ إلى العَرَبِ ، وَالبِيْضُ إلى العَجَمِ ؛ وإِنْ تساوَيَا في الأَلْوانِ ، فانْظُرْ إلى الجِهَةِ التي كان الثَّابتُ فِيها ، كان أَهْلُها مَنْصُورِينَ .

وَمَهْما أَخَذَ الإِنْسانُ من أَصْوافِها أَو قُرونِها ، فَهو مالٌ يَنالُهُ . وَقِسْ على هذا . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٨٦٨ **الكُبَعَةُ** : بِفَتْحِ الكافِ ، وَإِسْكانِ الباءِ المُوَحَدَّةِ[١] : دابَّةٌ من دَوابِ البَحْرِ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

٨٦٩ **الكُتْفانُ** : بَضِمِّ الكافِ[٢] ، وإِسْكانِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فَوق ، وَبَعْدَها فاءٌ : الجَرادُ أَوَّلَ ما يَطِيرُ ؛ الواحِدُ كُتْفانَةٌ ؛ وَيُقالُ : هُوَ الجَرادُ بعدَ الغَوْغاءِ ؛ أَوَّلُهُ السِّرْوُ ، ثمَّ الدَّبىٰ ، ثمَّ الغَوْغاءُ ، ثمَّ الكُتْفانُ .

٨٧٠ **الكُتَعُ** : كَرُطَبٍ : أَرْدَأُ وَلَدِ الثَّعْلَبِ ؛ وَالجَمْعُ : كِتْعانٌ بِكَسْرِ الكافِ[٣] .

٨٧١ **الكُدْرُ** : بِضَمِّ الكافِ ، وإِسْكانِ الدَّالِ المُهملَةِ : طَيْرٌ في أَلْوانِها كُدْرَةٌ[٤] .

● رَوى ابْنُ هِشامٍ وغَيْرُهُ[٥] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ غَزا قَرْقَرَةَ الكُدْرِ في النِّصْفِ من المُحَرَّمِ ، على رَأْسِ ثَلاثَةٍ وَعِشرينَ شَهْراً من مُهاجَرَتِهِ ﷺ .

---

(١) ليس كذلك . في المخصّص ١٠/ ٢٠ : الكُبَعُ : دابَّةٌ من دوابِّ البحر . وقال صاحبُ القاموس « كبع » : وَكَصُرَدٍ : جَمَلُ البَحْرِ . وفي اللِّسان « كبع » ٥/ ٣٨١٣ : الكُبَعَةُ : من دوابِّ البَحْرِ . قالَ الأزهريُّ : والكُبَعُ : جَمَلْ البَحْرِ . وهو سمكٌ بحريٌّ وَحَشُ المَرْآةِ .

(٢) وكسرها أَيضاً . اللِّسان « كتف » ٥/ ٣٨٢١ .

(٣) اللِّسان « كتع » ٥/ ٣٨٢٠ .

(٤) اللِّسان « كدر » ٥/ ٣٨٣٥ . ومنه القطا الكُدْريُّ ، كما مرَّ في « القطا » .

(٥) النَّقل عن الإمتاع للمقريزيّ ١/ ١٠٧ . والخبر في المغازي ١/ ١٨٢ وهو مختصرٌ جدّاً في سيرة ابن هشام ١/ ٤٣ .

وَهيَ ناحِيَةٌ بأَرْضِ سُلَيْمٍ ، على ثَمانِيَةِ بُرُدٍ من المَدينَةِ ، وَحَمَلَ لِواءَهُ ﷺ عليٌّ بن أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، واسْتَخْلَفُ على المَدِيْنَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَأَخَذَ ﷺ نَعَمَهُم وَقَسَمَ غَنائِمَهُم ـ وَهِيَ خَمسمئةِ بَعيرٍ ـ فَأَخْرَجَ ﷺ خُمُسَهُ ، وَقَسَّمَ أَرْبَعَةَ أَخْماسِهِ على المُسْلِمينَ ، فَأَصابَ كُلُّ واحِدٍ منهم بَعيرَيْنِ ، وَكانُوا مئتَيْ رَجُلٍ ، وَصارَ يَسارٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سَهْمِ النَّبيِّ ﷺ فَأَعْتَقَهُ حِينَ رآهُ يُصَلِّي ؛ وَغابَ ﷺ عن المَدِيْنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

وَقَرْقَرَةُ : بِفَتْحِ القافَيْنِ : أَرْضٌ مَلْساءُ[1] .

وَقالَ البَكريُّ[2] : هي بِضَمِّ القافِ ، وإِسْكانِ الرَّاءِ ، وَبَعْدَهُما مِثْلُهُما . وَالمعرُوفُ في ضَبْطِهما الفَتْحُ .

٨٧٢ الكَرْكَرُ : كَجَعْفَرٍ : طائِرٌ بِبَحْرِ الصِّيْنِ ، يَطِيرُ تَحْتَ طائِرٍ يُقالُ لَهُ : خَرْشَنَةَ ، يَتَوَقَّعُ ذَرقَهُ ، لأَنَّ غِذاءَهُ مِنْهُ .

وَخَرْشَنَةُ : طائِرٌ أَكْبَرُ من الحَمامِ ، وَهُوَ لا يَذرقُ إِلاَّ وهو طائِرٌ . كذا ذَكَرَهُ القَزوينيُّ[3] .

٨٧٣ الكَرْكَنْدُ : رَأَيْتُ بِخَطِّ إِسماعيل بن محمَّد الأَمير ، ما مِثالُهُ :

● رُوِيَ أَنَّهُ في جَزائِرِ الصِّيْنِ وَالهِنْدِ الكَرْكَنْدُ ، حَيوانٌ طَولُهُ مِئَةُ ذِراعٍ فَأَكْثَرُ من ذلكَ ، لَهُ ثَلاثَةُ قُرُونٍ : قَرْنٌ بينَ عَيْنَيْهِ ، وَقَرْنانِ على أُذُنَيْهِ ، يَطْعَنُ الفِيْلَ فَيَأْخُذُهُ في قَرْنِهِ ، وَيَبْقَىٰ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُدَّةً[4] .

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٣٢٦ وزاد : وهو قريب من المعدن [= معدن بني سليم ، قرب مدينة مهد الذَّهب اليوم] .

(٢) معجم ما استعجم ١٠٦٥ .

(٣) عجائب المخلوقات ٨١ . وذكرهما الجاحظ بتفصيل ممتعٍ ، دُونَ أَن يعرف اسميهما . (الحيوان ٢/ ١١٣ وعنه في ربيع الأَبرار ٥/ ٤٥٦) .

(٤) عقَّب الجاحظ على هذا الخبر بقوله : وهذا القولُ أَشبه بالخرافة . (الحيوان ٧/ ١٢٨) .

وَيَبْقى[1] وَلَدُ الكَرْكَنْدِ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعَ سِنينَ ، وإذا تَمَّ لَهُ سَنَةٌ يُخْرِجُ رَأْسَهُ من بَطْنِ أُمِّهِ ، فَيَرْعىٰ الشَّجَرَ مِمَّا يَصِلُ إِلَيْهِ ، وإذا تَمَّ لَهُ أَرْبَعُ سِنينَ ، وَقَعَ من بَطْنِ أُمِّه ، وَفَرَّ كَالبَرْقِ حتَّى لا تُدْرِكَهُ فَتَلْحَسَهُ بِلِسانِها ، لأَنَّ لِسانَها فِيهِ شَوْكٌ كَبيرٌ غَليظٌ ، إذا لَحَسَتْهُ أزالَتْ لَحْمَهُ عن عَظْمِهِ في لَحْظَةٍ واحِدَةٍ[2] .

وَمُلُوكُ الصِّيْنِ إذا عَذَّبُوا أَحَداً ، سَلَّمُوهُ إلى الكَرْكَنْدِ يَلْحَسُهُ ، فَيَبْقَى عِظاماً لَيْسَ عليْهِ من اللَّحْمِ شَيْءٌ . انتهى .

● وَسَمَّاهُ الجاحِظُ : الكَرْكَدَنَّ ، وَيُسَمَّى : الحِمارَ الهِنْدَيَّ ، وَيُسَمَّى : الحَرِيْشَ ، كما تَقَدَّمَ[3] .

وَهُوَ عَدُوُّ الفِيلِ ، وَمَعادِنُهُ بِلادُ الهِنْدِ والنُّوبَة ؛ وَهُو دُونَ الجامُوسِ .

وَيُقالُ : إِنَّهُ مُتَوَلِّدٌ بينَ الفَرَسِ والفِيْلِ .

وَلَهُ قَرْنٌ واحِدٌ عَظيمٌ في رَأْسِهِ ، لا يَسْتطِيعُ لِثِقَلِهِ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ ، وَهَذا القَرْنُ[4] مُصْمَتٌ ، قَوِيُّ الأَصْلِ ، حادُّ الرَّأْسِ ، يُقاتِلُ به الفيل فَلا يُفِيدُ معهُ ناباهُ ؛ وإِذا نُشِرَ قَرْنُهُ طُولاً ، تَخرجُ منهُ الصُّوَرُ المُخْتَلِفَةُ ، بَياضٌ في سَوادٍ ، كَالطَّاوُوسِ وَالغَزالِ وَأَنْواعٍ من الوُحُوشِ وَالطَّيْرِ والشَّجَرِ وَصُوَرِ بَني آدَمَ وغيرِ ذلكَ من عَجائِبِ النُّقُوشِ ، يَتَّخِذُونَ منهُ صَفائِحَ على سُرُرِ المُلُوكِ وَمَناطِقِهِم ، وَيَتَغالَونَ في أَثْمانِها .

وَزَعَمَ[5] أَهلُ الهِنْدِ أَنَّ الكَرْكَنْدَ إذا كان بِأَرْضٍ ، لَمْ يَدَعْ شَيْئاً من الحَيَوانِ

---

(١) الحيوان ٧/ ١٢٣ ـ ١٢٤ . واستنكره في ١٢٥ . وكذا المسعوديّ في مروج الذَّهب ١/ ٢٠٥ .

(٢) الحيوان ٧/ ٧١ .

(٣) الحيوان ٧/ ١٢٣ . وسمَّاه التَّوحيديّ في الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٧٤ : الحمار الوحشيّ .

(٤) الحيوان ٧/ ١٢٩ ومروج الذَّهب ١/ ٢٠٤ وربيع الأبرار ٥/ ٤٣٥ والمستطرف ٢/ ٥١٤ .

(٥) الحيوان ٧/ ١٢٣ وربيع الأبرار ٥/ ٤٣٤ وعجائب المخلوقات ٢٦٥ ومسالك الأبصار =

إلاّ ما كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مئةُ فَرْسَخٍ من جَمِيعِ الجِهاتِ ، هَيْبَةً لَهُ وَهَرَباً منهُ ؛ وَيَزعمُونَ أَنَّهُ رُبَّما نَطَحَ الفِيلَ ، فَرَفَعَهُ على قَرْنِهِ .

وَيُقالُ[1] : إِنَّ الأُنْثى من هذا النوْعِ تَحملُ كَأُنثى الفِيلِ ثَلاثَ سِنينَ ، أَوْ سَبْع سِنينَ ، وَيَخرجُ وَلَدُها نابِتَ الأَسْنانِ والقُرُونِ ، قَوِيَّ الحَوافِرِ .

وَقِيلَ : إذا قارَبَتِ الأُنثى أَنْ تَضَعَ ، يُخْرِجُ الوَلَدُ رَأْسَهُ مِنْها ، فَيَرْعَى أَطْرافَ الشَّجَرِ ثمَّ يَرجِعُ ؛ وَقد أَنْكَرَ الجاحِظُ هذا .

وَلَيْسَ في الحَيَوانِ ذو قَرْنٍ مَشْقُوقِ الطَّرَفِ غَيرُهُ .

وَهو يَجْتَرُّ كَالبَقَرِ والغَنَمِ والإِبِلِ ، وَيأْكُلُ الحَشيشَ ؛ لكنَّهُ شَديدُ العَداوَةِ للإِنْسانِ ، إِذا شَمَّ رائِحَتَهُ أَوْ سَمِعَ صَوْتَهُ طَلَبَهُ ؛ فإِذا أَدْرَكَهُ قَتَلَهُ وَلا يَأْكُلُ منهُ شَيْئاً .

وَيُقالُ لِلأُنْثى : كركدنَّةٌ . قالَهُ الزَّمخشريُّ[2] .

وأَمَّا **حُكْمُهُ** : فَلَمْ أَرَ أَحداً تعَرَّضَ لَهُ ، مع التَّتبُّعِ الشَّديدِ والسُّؤالِ العَديدِ ؛ وَالظَّاهِرُ حِلُّهُ لأَكْلِهِ الشَّجَرَ وَلِكَوْنِهِ يَجْتَرُّ ، وَلا يَمنعُ من ذلكَ كَونُهُ يُعادِي الإِنْسانَ ، فَالضَّبُعُ يُعادِيهِ وَيُؤْكَلُ ؛ فإِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ مُتَوَلِّدٌ من الفَرَسِ والفِيْلِ حُرِّمَ ، وَهو بَعيدٌ .

الخَواصُّ[3] : على رَأْسِ قَرْنِهِ شُعْبَةٌ مُخالِفَةٌ لانْحِناءِ القَرْنِ ، وَهِيَ لَها خَواصُّ عَجِيبَةٌ .

وَعَلامَةُ صِحَّتِها أَنْ يُرَى مِنها شَكْلُ فارِسٍ ، وَلا تُوجَدُ تِلكَ الشُّعْبَة إِلاّ عندَ

= ٢٠/ ٦١ والمستطرف ٢/ ٥١٥ .

(١) المستطرف ٢/ ٥١٥ والحيوان ٧/ ١٢٥ .

(٢) ربيع الأبرار ٥/ ٤٣٤ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٦٥ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٦١ .

مُلوكِ الهِنْدِ .

وَمِنْ خَواصِّها : حَلُّ كُلِّ عَقْدٍ ؛ فَلَوْ أَخَذَها صاحِبُ القُولَنْج بِيَدِهِ ، شُفِيَ في الحالِ ؛ وَالمَرْأَةُ التي ضَرَبَها الطَّلْقُ ، إِنْ أَمْسَكَتْها بِيَدِها تَلِدُ في الحالِ .

وإِنْ سُحِقَ مِنها شَيْءٌ يَسِيرٌ ، وَسُقِيَ المَصْرُوعُ ، أَفاقَ .

وَحامِلُها يَأْمَنُ من عَيْنِ السُّوءِ ، وَلا يَكْبُو بِهِ الفَرَسُ ؛ وإِذا تُرِكَتْ في الماءِ الحارِّ ، عادَ بارِداً .

وعَيْنُهُ اليُمْنى تُعَلَّقُ على الإِنْسانِ ، تَزُولُ عنهُ الآلامُ كُلُّها ، وَلا يَقْرَبُهُ الجِنُّ وَلا الحَيَّاتُ .

وَاليُسْرى تَنفعُ من النَّافِضِ والحُمَّى ؛ وَيُتَّخَذُ من جِلْدِهِ التَّجافِيفُ[1] ، فَلا تَعْمَلُ فِيها السُّيُوفُ .

● **خاتِمَةٌ** : قالَ أَبُو عمر ابن عبد البَرِّ في « كِتابِ الأُمَمِ »[2] : أَشْرَفُ حُلِيِّ أَهْلِ الصِّيْنِ من قَرْنِ الكَرْكَنْدِ ؛ فإِنَّ قُرُونَها مَتى قُطِعَتْ ظَهَرَ منها صُوَرٌ عَجِيبَةٌ مُخْتلِفَةٌ ، فَيَتَّخِذُونَ مِنها مَناطِقَ ، تَبْلُغُ قِيْمَةُ المِنْطَقَةِ مِنْها أَرْبَعَةَ آلاف مِثْقالٍ ذَهَباً ؛ وَالذَّهَبُ عِنْدَهُم هَيِّنٌ علَيْهِم ، حتَّى يَتَّخِذُوا منهُ لُجُمَ دَوابِّهم وَسَلاسِلَ كِلابِهم .

قالَ : وَأَهْلُ الصِّيْنِ بِيْضٌ إِلى الصُّفْرَةِ ، فُطْسُ الأُنُوفِ ، يُبِيحُونَ الزِّنا ، وَلا يُنْكِرُونَ شِيْئاً منهُ ؛ وَيُوَرِّثُونَ الأُنثى أَكْثَرَ من الذَّكَرِ ؛ وَلَهُمْ عِيْدٌ عِندَ نُزُولِ الشَّمْسِ الحَمَلَ ، يَأْكُلونَ فِيهِ وَيَشْرَبُونَ سبعةَ أَيّامٍ ؛ وإِقْلِيمُهُم واسِعٌ ، فِيهِ نَحوُ ثَلاثمئة مَدينةٍ ، وَفِيهِ عَجائِبُ كَثِيرَةٌ .

قالَ : وَالأَصْلُ في ذلكَ أَنَّ عامور بن يافِث بن نُوح عليهِ السَّلامُ نَزَلَها ،

---

(١) التِّجفافُ : آلة للحرب ، يُلْبَسُهُ الفَرَسُ والإِنسانُ لِيَقِيَهُ في الحرب . (القامُوس) .

(٢) هو كِتاب « القصد والأَمم ، في التَّعريف بأُصول العرب والعجم » .

وابْتَنَى بِها المدائِنَ هُوَ وَأَوْلادُهُ ، وَعَمِلُوا فِيها العَجائِبَ ؛ وَكانَتْ مُدَّةُ مُلْكِ عامور ثلاثمئة سنةٍ ، ثمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابنُهُ صاين بن عامور مِئتي سنةٍ ، وَبِهِ سُمِّيَتِ الصِّيْنُ ، فَجَعَلَ حِينئذٍ تِمْثالاً من ذَهَبٍ على صُورَةِ أَبِيهِ ، على سَرِيرٍ من ذَهَبٍ ، وَعَكَفَ هُوَ وَقَوْمُهُ على عِبادَتِهِ ، وَفَعَلُوا بِجَمِيعِ مُلوكِهم ذلكَ ، وَهُم على دِيْنِ الصَّابِئِينَ .

قالَ : وَوَراءَ الصِّيْنِ أُمَمٌ عُراةٌ ، منهُم أُمَّةٌ يَلْتَحِفُونَ بِشُعُورِهم ، وَأُمَمٌ لا شَعَرَ لَهم ، وَأُمَمٌ حُمْرُ الوُجُوهِ شُقْرُ الشُّعُورِ ، وأُمَمٌ إذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ هَرَبُوا إِلى مَغاراتٍ ، يَأْوُونَ إِلَيْها إِلى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ ؛ وَأَكْثَرُ ما يَأْكُلُونَ نَباتٌ يُشْبِهُ الكَمْأَةَ وَسَمَكُ البَحْرِ .

ثمَّ ذَكَرَ بعدَ هؤُلاءِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ . قالَ : وَأَجْمَعُوا على أَنَّهم من وَلَدِ يافث بن نُوحٍ .

ثمَّ خَتَمَ الكِتابَ بِأَنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ عن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ : هل بَلَغَتْهُمْ دَعْوَتُكَ ؟ فقالَ ﷺ : جُزْتُ بِهم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، فَدَعَوْتُهم فلم يُجِيبُوا » .

وَأَمَّا تَعْبِيرُ رُؤْياهُ في المَنامِ[1] : فإِنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمٌ جائِرٌ .

وَقيلَ : إِنَّ رُؤْياهُ تَدُلُّ على الحَرْبِ وَالمُخادَعَةِ ، مع حَقارَتِهِ وَعُجْمَتِهِ وَدَناءَةِ أَصْلِهِ ؛ وَرُبَّما كان مُسَلَّطاً بِمالِهِ وَوَلَدِهِ .

٨٧٤ الكُرْكِيُّ : طائِرٌ كَبِيرٌ مَعرُوفٌ ؛ وَالجَمْعُ : الكَراكيّ .

● وَكُنْيَتُهُ[2] : أَبُو عُرْيان ، وَأَبُو عَيْناءَ ، وَأَبُو العَيْزار ، وَأَبُو نُعَيْم ، وَأَبُو الهَيْصَمِ .

---

(١) تفسير الواعظ ٢٩١ .

(٢) المرصّع ٢٤١ و ٢٤٣ و ٣٢٣ و ٣٤٤ و ٣٧١ .

● وَذَهَبَ بعضُ النَّاسِ إلى أَنَّهُ الغِرْنَوْقُ ، وَهُوَ أَغْبَرُ طِويلُ السَّاقَيْنِ ، وَالأُنْثى منهُ لا تَقْعُدُ لِلذَّكَرِ عِندَ السِّفادِ ، وَسِفادُهُ سَرِيعٌ كَالعُصْفُورِ .

وَهُوَ[1] من الحَيَوانِ الذي لا يَصْلُحُ إلاّ بِرَئِيسٍ ، لأَنَّ في طَبْعِهِ الحَذَرَ وَالتَّحارُسَ بالنَّوبَةِ ؛ وَالذي يَحْرُسُ يَهتفُ بِصَوْتٍ خَفِيٍّ ، كَأَنَّهُ يُنْذِرُ بِأَنَّهُ حارِسٌ ، فإِذا قَضى نَوْبَتَهُ قامَ الذي كان نائِماً يَحْرُسُ مَكانَهُ ، حتَّى يَقْضِيَ كُلٌّ ما يَلْزَمُهُ من الحِراسَةِ .

وَلَها مَشْتاتٌ وَمَصايِفُ ، وَمنها ما يَلْزَمُ مَوْضِعاً واحِداً ، وَمِنْها ما يُسافِرُ بَعيداً .

وَفي طَبْعِهِ التَّناصُرُ ، وَلا تَطيرُ الجَماعَةُ منهُ مُتَفَرِّقَةً ، بَلْ صَفّاً واحِداً ، يَقْدُمُها واحِدٌ منها كَالرَّئِيسِ لَها ، وَهِيَ تَتْبَعُهُ ؛ يَكونُ ذلكَ حِيْناً ثمَّ يَخْلُفُهُ آخَرُ منها مُقَدَّماً ، حتَّى يَصِيرَ الذي كان مُقَدَّماً مُؤَخَّراً .

وَفِي طَبْعِهِ أَنَّ أَبَوَيْهِ إذا كَبُرا عالَهُما ؛ وَمَدَحَ هذا الخَلْقَ أَبُو الفَتْحِ كَشاجِم ، حيثُ يَقُولُ مُخاطِباً لِوَلَدِهِ[2] : [من الخفيف]

اتَّخِذْ فِيَّ خُلَّةً في الكَراكي ... أَتَّخِذْ فِيكَ خُلَّةَ الوَطْواطِ
أَنا إنْ لَمْ تَبَرَّني في عَناءٍ ... فَبِبِرِّي تَرْجُو جَوازَ الصِّراطِ

وَمَعنى قَوْلِهِ : خُلَّةَ الوَطْواطِ : أَنَّهُ يَبَرُّ وَلَدَهُ ، فَلا يَتْرُكُهُ بِمَضْيَعَةٍ ، بَلْ يَحْمِلُهُ معهُ حَيْثُما تَوَجَّهَ .

وَقَدْ كَذَّبَ المُحَدِّثُونَ جُمَيْعَ بن عُمَيْرٍ التَّيْمِيَّ في قَوْلِهِ[3] : إِنَّ الكَراكي تُفَرِّخُ في السَّماءِ ، وَلا تَقَعُ فِراخُها .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٨٧ والمستطرف ٢/ ٥١٥ .
(٢) ليسا في ديوانه .
(٣) ميزان الاعتدال ١/ ٤٢١ .

وَلَهُ في « السُّننِ الأَرْبَعَةِ » ثَلاثَةُ أَحادِيث ؛ وَحَسَّنَ لَهُ التِّرمذيُّ ، لكنَّهُ من عُتُقِ الشِّيْعَةِ .

● قَالَ القَزوينيُّ[1] : وَالكُرْكِيُّ لا يَمْشِي على الأَرْضِ إلاَّ بإِحْدى رِجْلَيْه ، وَيَعَلِّقُ الأُخْرى؛ وَإِنْ وَضَعَها وَضَعَها وَضْعاً خَفِيفاً مَخافَةَ أَنْ تُخْسَفُ بِهِ الأَرْضُ.

وَسَيأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « مالك الحَزين » طَرَفٌ من هذا .

وَلِمُلُوكِ مِصْرَ وَأُمَرائِها في صَيْدِهِ تَغالٍ لا يُدْرَكُ حَدُّهُ ، وإِنْفاقُ مالٍ لا يُسْتَطَاعُ حَصْرُهُ وَعَدُّهُ ؛ فَلِذلكَ عَلَتْ مَمْلَكَتُهُم على كَثِيرٍ من المَمالِكِ ، وَلَنْ يَهْلِكَ على الله إلاَّ هالِكٌ أَو مُتهالِكٌ .

● وَفي « مُصنَّف عبد الرَّزَّاقِ » عن مَعْمَر ، عن قَتادَةَ ، عن أَنَسٍ وأَبي مُوسى ، أَنَّ عَبدَ الله بن مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كان نَقْشُ خاتَمِهِ كُرْكَيٌّ لَهُ رَأْسانِ .

قالَ ابْنُ بَطَّالٍ : وَهذا إِنْ كان صَحيحاً ، فَلا حُجَّةَ فِيهِ لإِباحَةِ ذلكَ ، لِتَرْكِ النَّاسِ العَمَلَ بِهِ ، وَلِنَهْيِهِ ﷺ عن التَّصْويرِ .

● **فائِدَةٌ** : ذَكَرَ السُّهيليُّ عن رِوايَةِ ابْنِ إسحاق : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا كان في بَني سَعْدٍ ، نَزَلَ عليْهِ كُرْكِيَّانِ ، فَشَقَّ أَحَدُهُما بِمِنْقارِهِ جَوْفَهُ ، وَمَجَّ الآخَرُ في فِيهِ بِمِنْقارِهِ ثَلْجاً أَو بَرَداً أَو نحوَ هذا .

قالَ : وهيَ رِوايَةٌ غَريبَةٌ ، ذَكَرَها يُونسُ عنهُ .

● وَفي أَوائِلِ « المُجالَسَةِ للدِّيْنَوَرِيّ »[2] : أَنَّهُ أَقْبَلَ عليْهِ ﷺ طَيْرانِ أَبْيَضانِ ، كَأَنَّهُما نَسْرانِ . إِلى آخِرِهِ .

● وَفي « المُستدرِكِ »[3] : فَأَقْبَلَ عليْهِ ﷺ طَيْرانِ أَبْيَضانِ ، كَأَنَّهُما

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٩٧ .

(٢) المجالسة ١/ ٤٥٩ .

(٣) المستدرك ٢/ ٦١٦ ـ ٦١٧ .

نَسْرانِ . وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِه .

● وَرَوَى ابنُ أَبي الدُّنْيا وغيرُهُ[1] ، بإسنادٍ يَرفعُهُ إلى أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، كَيفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ ؟ وَبِمَ عَلِمْتَ حتَّى اسْتَيْقَنْتَ ؟ قالَ ﷺ : « يا أَبا ذَرٍّ ، أَتاني مَلَكانِ ، فَوَقَعَ أَحَدُهما بالأَرْضِ ، وَكانَ الآخَرُ بينَ السَّماءِ والأَرْضِ ، فقالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِه : أَهُوَ هُوَ ؟ قالَ : هُوَ هُوَ . قالَ : فَزِنْهُ بِرَجُلٍ . فَوَزَنَني بِرَجُلٍ فَرَجَحْتُهُ . ثمَّ قالَ : زِنْهُ بِعَشَرَةٍ ، فَوَزَنَني فَرَجَحْتُهم . ثمَّ قالَ : زِنْهُ بِمِئَةٍ . فَوَزَنني فَرَجَحْتُهُم . ثمَّ قالَ : زِنْهُ بأَلْفٍ . فَوَزَنني فَرَجَحْتُهُم . ثمَّ قالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِه : شُقَّ بَطْنَهُ ؛ فَشَقَّ بَطْنِي ، فَأَخْرَجَ قَلْبِي ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَغْمَزَ الشَّيْطانِ وَعَلَقَ الدَّمِ ؛ ثمَّ قالَ أَحَدُهما لِصاحِبِه : اغْسِلْ بَطْنَهُ غَسْلَ الإِناءِ ، وَاغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ المُلاءِ ؛ ثمَّ قالَ أَحَدُهما لِصاحِبِه : خِطْ بَطْنَهُ ، فَخَاطَ بَطْني ، وَجَعلَ الخاتَمَ بَينَ كَتِفَيَّ كَما هُو الآنَ ، وَوَلَّيا عَنِّي ، فَكَأَنِّي أُعايِنُ الأَمْرَ مُعايَنَةً » . ا هـ .

قُلتُ : وفي هذا الحَديثِ من الفَوائِدِ : أَنَّ خاتَمَ النُّبُوَّةِ لَمْ يَكُنْ قبلَ ذلكَ .

واخْتَلَفَ العُلَماءُ في صِفَتِهِ على عِشْرِينَ قَوْلاً[2] ، حَكاها الحافِظُ قطبُ الدِّيْنِ .

ففي « سِيرةِ ابْنِ هِشامٍ » أَنَّهُ كَأَثَرِ المِحْجَمَةِ القابِضَةِ على اللَّحْمِ .

وَفي الحَديثِ : أَنَّهُ كان حَوْلَهُ خِيْلانٌ فِيْهِما شَعَراتٌ سُودٌ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ كان كَالتُّفَّاحَةِ ، وَكَزِرِّ الحَجْلَةِ ، مَكْتُوبٌ عليْهِ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهِ ، محمَّد رسولُ اللهِ .

---

(١) تاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١/ ٣٧٣ ومسند أحمد ٤/ ١٨٤ ـ ١٨٥ والمعجم الكبير للطبرانيّ (٣٢٣) .

(٢) ذكر الصّالحيّ في السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد) ٢/ ٦٣ ـ ٦٨ واحداً وعشرين قَوْلاً .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الحاءِ المُهْمَلَةِ » ما وَقَعَ فِيهِ للتِّرمذيِّ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ كان كَبَيْضَةِ الحَمامَةِ .

● وَرَوى « الحاكِمُ » وَ« التِّرمذيُّ » في « المناقب »[1] : عن أَبي مُوسى رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قالَ :

خَرَجَ أَبُو طالبٍ إِلى الشَّامِ ، وَخَرجَ معهُ النَّبيُّ ﷺ في أَشْياخٍ من قُرَيْشٍ ؛ فَلَمَّا أَشْرَفُوا على الرَّاهِبِ ، هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحالَهُم ، فَخَرَجَ إِليهِمُ الرَّاهِبُ ، حتَّى جاءَ فَأَخَذَ بيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وقالَ : هذا سَيِّدُ الخَلْقِ أَجْمعين ، هذا رَسولُ رَبِّ العالَمينَ ، هذا يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً للعالَمينَ . فقالَ لَهُ أَشْياخُ قُرَيشٍ : ما أَعْلَمَكَ بِهذا ؟ فقالَ : إِنَّكم حِينَ أَشْرَفْتُمْ على العَقَبَةِ ، لَمْ يَبْقَ حَجَرٌ ولا شَجَرٌ إِلاَّ خَرَّ ساجِداً للهِ تَعالى ، وَسَلَّمَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ وَلا تَفعلُ ذلكَ إِلاَّ لِنَبيٍّ ، وإِنِّي لأَعْرِفُهُ بخاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ من غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثل التُّفَّاحَةِ . ثمَّ رَجعَ فَصَنَعَ لَهم طَعاماً ؛ فَلَمَّا أَتاهُم بِهِ لَمْ يَجِدْهُ ، وَكانَ ﷺ في رَعْيَةِ الإِبِلِ ، فقالَ : أَرْسِلُوا إِلَيْهِ . فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ ﷺ وَعَلَيْهِ غَمامَةٌ تُظِلُّهُ ، فلمَّا دَنا من القَوْمِ وَجَدَهم قد سَبَقُوهُ إِلى فَيْءِ الشَّجَرَةِ ، فَلَمَّا جَلَسَ ﷺ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عليْه[2] .

قالَ : فَبَيْنَما هُوَ قائِمٌ عَليهم يُناشِدُهم أَنْ لا يَذْهَبُوا بِهِ إِلى الرُّومِ ، فإِنَّ الرُّومَ إِذا رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بالصِّفَةِ فَيَقْتُلونَهُ ، فَالْتَفَتَ فإِذا هُوَ بِسَبْعَةٍ من الرُّومِ قد أَقْبَلُوا ، فاسْتَقْبَلَهُم ، وقالَ : ما جاءَ بِكُم ؟ قالُوا : أُخْبِرْنا أَنَّ هذا النَّبيَّ خارِجٌ في هذا الشَّهْرِ ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلاَّ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ أُناسٌ ؛ وَإِنَّا قد أُخْبِرْنا يَقيناً أَنَّهُ

---

(١) التِّرمذيّ (٣٦٢٠) والمستدرك ٢/٦١٥ ـ ٦١٦ وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١/١٤٢ وهواتف الجنان للخرائطيّ ٧١ ودلائل أَبي نعيم ٥٣ والبداية والنِّهاية ٣/٤٣٨ وسيرة ابن هشام ١/١٨٠ ـ ١٨٣ .

(٢) كيف يكُونُ للشَّجرة فيءٌ مع وجود الغمامة فوقها ؟ .

في طَريقِكَ هذا . فقالَ : هَلْ خَلَّفْتُمْ أَحَداً هو خَيْرٌ منكُمْ ؟ قالُوا : لا ؛ وإِنَّما اخْتَرْنا طَريقَكَ هذا لأَجْلِكَ .

قالَ : أَفَرَأَيْتُمْ أَمْراً أَرادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ ، هل يَستطِيعُ أَحَدٌ من النَّاسِ أَنْ يَرُدَّهُ ؟ قالُوا : لا . قالَ : فَبايَعُوهُ ، وَأَقامُوا معهُ .

ثمَّ قالَ : أَنْشُدُكُمْ باللهِ ، أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ ؟ قالُوا : أَبو طالِبٍ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُناشِدُهُ حتَّى رَدَّهُ أَبُو طالِبٍ ، وَبَعَثَ معهُ أَبو بَكرٍ بلالاً رَضِيَ اللهُ عنهما ، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ من الكَعْكِ وَالزَّيْتِ .

قالَ الحاكِمُ : صَحيحٌ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ(١) .

وَقالَ أَبُو عِيسى : هذا حَديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . ا هـ .

وَرِجالُ سَنَدِهِ جَميعُهم مُخَرَّجٌ لَهم في « الصَّحيحِ » .

قالَ الحافِظُ الدِّمْياطيُّ : في هذا الحَديثِ وَهْمانِ : الأَوَّلُ : قَولُهُ : فَبايَعُوهُ وَأَقامُوا معهُ .

وَالثَّاني : قَولُهُ : وَبَعَثَ معهُ أَبُو بَكْرٍ بِلالاً ، وَلَمْ يَكُونا معهُ ، وَلَمْ يَكُنْ بِلالٌ أَسْلَمَ ، وَلا مَلَكَهُ أَبُو بَكرٍ بعدُ ، بل كان أَبُو بَكرٍ حِينئِذٍ لَمْ يَبلُغْ عِشرينَ سنةً ؛ وَلَم يَمْلكْ بِلالاً إِلاّ بَعْدَ ذلكَ بِأَكْثَرَ من ثَلاثِينَ عاماً(٢) .

● قالَ السُّهيليُّ : والحِكْمَةُ في خاتَمِ النُّبُوَّةِ على جِهَةِ الاعْتِبارِ : أَنَّهُ ﷺ لَمَّا مُلِىءَ قَلْبُهُ حِكْمَةً وَيَقِيناً ، خُتِمَ عليْهِ كَما يُخْتَمُ على الوِعاءِ المَمْلُوءِ مِسْكاً أَوْ دُرّاً .

---

(١) وتعقّبه الذّهبيّ فقال : قلتُ : أَظُنُّهُ موضوعاً فبعضه باطلٌ .

(٢) ولبعض أَئمّة الحَديثِ أَقوال ، نقلتُها في هامش هواتف الجنان للخرائطيّ ٧٣ ـ ٧٤ . وينظر الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصَّحابة ٤٩ ـ ٥٠ .

وَأَمَّا وَضْعُهُ أَسْفَلَ من غُضْرُوفِ الكَتِفِ ؛ فَلأَنَّهُ ﷺ مَعْصُومٌ من وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ ، وَذلكَ المَوْضِعُ منهُ يُوَسْوِسُ الشَّيْطانُ لابْنِ آدَمَ ، لِما رَوَى مَيمونُ بن مِهْران عن عُمر بن عبدِ العزيزِ رحمهُ اللهُ تَعالى : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَبَّهُ سَنَةً أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطانِ منهُ ، فَأُرِيَ جَسَداً كَالبِلَّوْرِ ، يُرى داخِلُهُ من خارِجِهِ ، وَالشَّيْطانُ في صُورَةِ ضِفْدَعٍ عندَ نُغْضِ كَتِفِهِ يُحاذِي قَلْبَهُ ، لَهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ البَعُوضَةِ ، قد أَدْخَلَهُ إِلى قَلْبِهِ يُوَسْوِسُ لَهُ ، فإِذا ذَكَرَ اللهَ العَبْدُ خَنَسَ » .

وَقد تَقَدَّمَ هذا في « بابِ الضَّادِ المُعجمةِ » من « الضِّفْدَعِ » مَنْقُولاً عن الزَّمخشريِّ[1] .

قُلتُ : وانْشِقاقُ الصَّدْرِ حَصَلَ لَهُ ﷺ مَرَّتَيْنِ إِحْداهُما في صِغَرِهِ وَهي هذهِ ؛ وَالأُخرى في كِبَرِهِ لَيْلَةَ الإِسْراءِ .

● فَفي « الصَّحيحينِ »[2] من حَديثِ أَنَسٍ وَأَبي ذَرٍّ ، أَنَّهُ ﷺ قالَ : « فُرِجَ عَنِّي سَقْفُ بَيْتِي ـ وَأَنا بِمَكَّةَ ـ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثمَّ غَسَلَهُ بِماءِ زَمْزَمَ ، ثمَّ جاءَ بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وإِيماناً ، فَأَفْرَغَهُ في صَدْرِي ثمَّ أَطْبَقَهُ» .

● وَقالَ أَنَسُ بنُ مالِكٍ[3] ، عن مالِكِ بنِ صَعْصَعَةَ : إِنَّهُ ﷺ حَدَّثَهم عن لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ ، قالَ : « بَيْنا أَنا في الحَطِيمِ ـ وَرُبَّما قالَ : في الحِجْرِ ـ بينَ النَّائِمِ واليَقْظانِ ، إِذْ نَزَلَ عليَّ رَجُلانِ ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ حِكْمَةً وَإِيْماناً ، فَشُقَّ صَدْرِي من النَّحْرِ إِلى مَراقِ البَطْنِ ، وَاسْتُخْرِجَ قَلْبي ، فَغُسِلَ ثمَّ حُشِيَ ثمَّ أُعِيدَ » .

وقالَ سعيدُ بن هِشام : « ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِماءِ زَمْزَمَ ، ثمَّ مُلِىءَ إِيْماناً

---

(١) ربيع الأبرار ١/ ٣٨٩ .

(٢) البخاريّ ١/ ٩١ ومسلم (١٦٣) .

(٣) مسلم (١٦٤) .

وَحِكْمَةً ، ثم أُتِيْتُ بِالبُراقِ فَرَكِبْتُهُ » الحَديثُ بِطُولِه .

وَقالَ قَومٌ : عُرِجَ بِهِ ﷺ من دارِ أُمِّ هانِيءٍ ، أُخْتِ عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُهُ بلا خِلافٍ .

وَمَا أَوْهَمَهُ كَلامُ العِباديِّ من جَرَيانِ خِلافِ طَيْرِ الماءِ الأَبْيَضِ فِيهِ ، شاذٌّ مَرْدُودٌ .

وَقالَ الأَصْحابُ : ما كانَ من الطُّيُورِ المَأْكُولَةِ ، أَكْبَر من الحَمام كَالبَطِّ وَالكُرْكِيِّ ، إذا قَتَلَها المُحْرِمُ ، أَو قُتِلَتْ في الحَرَمِ ، فِيهِ قَوْلانِ : أَحَدُهما : إِيْجابُ الشَّاةِ ، إِلْحاقاً بِالحَمامِ من بابِ أَوْلى ، لأَنَّهُ أَكْبَرُ شَكْلاً من الحَمامِ ؛ وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ عَطاء : في عِظامِ الطَّيْرِ شاةٌ ، كَالكُرْكِيِّ وَالحُبارى والإِوَزِّ .

وَالقَوْلُ الثَّاني : اعْتِبارُ القِيْمَةِ ، وَهُوَ القِياسُ ؛ فإِنَّ الشَّاةَ في الحَمامِ لاتِّباعِ النَّقْلِ ؛ وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : ما كانَ سِوى حَمامِ الحَرَمِ ، فَفِيهِ ثَمَنُهُ إِذا أَصابَهُ المُحْرِمُ .

الأَمْثالُ : قالُوا : « فُلانٌ أَحْرَسُ من الكُرْكِيِّ »[1] لأَنَّهُ يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ على إِحْدى رِجْلَيْهِ . كَما تَقَدَّمَ .

● وَمِنْ أَحْسَنِ ما يُحْكَى عن الإِمامِ الزَّاهِدِ القُدْوَةِ أَبي سُليمانَ الدَّارانيّ ، أَنَّهُ قالَ[2] : اخْتَلَفْتُ إِلى مَجْلِسِ قاصٍّ ، فتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ في كَلامِهِ ، فَأَثَّرَ كَلامُهُ في قَلْبي ؛ فلمَّا قُمْتُ لَمْ يَبْقَ في قَلْبي منهُ شَيْءٌ . فَعُدْتُ ثانِياً فَسَمِعْتُ كَلامَهُ ، فَبَقِيَ في قَلْبي أَثَرُ كَلامِهِ في الطَّرِيقِ ثمَّ زَالَ . ثمَّ عُدْتُ ثَالِثاً ، فَبَقِيَ في قَلْبي أَثَرُ

---

(١) لم يرد هذا في كتب الأمثال .

(٢) تاريخ دمشق ٤٠/ ٨٠ ومختصره ١٤/ ١٨٨ وروض الرَّياحين ٢٩ وطبقات المناوي ١/ ٦٧٥ وطبقات الأولياء ٣٨٨ .

كَلامِهِ حَتَّى رَجَعْتُ إلى مَنْزِلي ، فَلَزِمْتُ الطَّرِيقَ .

فَحَكَيْتُ هذهِ الحِكايَةَ لِيَحيى بن مُعاذٍ الرّازيّ رحمهُ اللهُ تَعالى ، فقالَ : عُصْفُورٌ اصْطادَ كُرْكِيّاً . أَرادَ بِالعُصفورِ ذلكَ القاصَّ ، وَبالكُرْكِيِّ أَبا سُليمان .

الخَواصُّ[1] : لَحْمُ الكُرْكِيِّ بارِدٌ يابسٌ لا دَسَمَ لَهُ ؛ أَجْوَدُهُ صَيْدُ البازِي : يَنْفَعُ أَصْحابَ الكَدِّ ، لكنَّهُ سَيِّءُ الهَضْمِ ، وَيَدْفَعُ ضَرَرَهُ إِنْضاجُهُ بِالأَبازِيرِ الحارَّةِ ؛ وَهوَ يُوَلِّدُ دَماً غَليظاً ، وَيُوافِقُ أَصْحابَ الأَمْزِجَةِ الحارَّةِ لا سِيَّما الشَّبابُ ، وَأَجْوَدُ أَكْلِهِ في الشِّتاءِ ، وَيُختارُ أَنْ يُتَحَلَّى بعدَهُ بِالحَلْوى العَسَلِيَّةِ ، فإِنَّها مِمَّا يُسَهِّلُ خُروجَهُ ؛ وَيَجِبُ أَنْ لا يُؤْكَلَ إلاَّ بَعدَ يَوْمٍ أَو يومينِ ، وَتُشَدُّ في أَرْجُلِها الحِجارَةُ ، وَتُعَلَّقَ لِيَرْخُصَ لَحْمُها ، وَتَنْضَجَ في طَبْخِها ، وَتُسْتَمْرَأَ عندَ أَكْلِها ؛ وَكذلكَ يُفْعَلُ فِيما لَحْمُهُ كذلكَ غَلِيظٌ عَسِرُ الاسْتِمْراءِ ، لا سِيَّما إناثُها .

وَمَرارَتُهُ تَنْفَعُ من القَرْعِ[2] ، وإذا خُلِطت مع دِماغِهِ بِزِئْبَقٍ ، وَسُعِّطَ بِها الذي يَنْسى ، فإِنَّهُ يَذْكُرُ ما يَنْساهُ .

وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ لا يَنبتَ في بَدَنِهِ شَيْءٌ من الشَّعَرِ ، فَلْيَأْخُذْ جُزْءاً من الذَّراريحِ[3] ، وَمِثْلُهُ مُخَّ كُرْكِيٍّ ، وَيَدُقُّهُما جَميعاً ، وَيَطلي بِهما أَيَّ مَوْضِعٍ اخْتارَهُ من بَدَنِهِ ، فإِنَّهُ لا يَطْلَعُ فِيهِ شَعَرٌ .

التَّعْبيرُ : الكُرْكِيُّ في المَنامِ[4] : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ على رَجُلٍ مِسْكِينٍ غَرِيبٍ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٧ ومفردات ابن البيطار ٤/ ٦٦ وتذكرة داود ١/ ٢٧١ .

(٢) كذا في أ ، ط . وفي ب : الفزع . وفي مفردات ابن البيطار وعنه مسالك الأَبصار : ومرارةُ الكركيّ تنفع من الجرب المتقرِّح والأَقوبة والبرص لُطوخاً .

(٣) في أ : الزّازيانج .

(٤) تعبير الرُّؤيا ١٩١ وتفسير الواعظ ٣٠٠ .

وَمَنْ رَأى كَأَنَّهُ راكِبٌ كُرْكِيّاً ، فإِنَّهُ يَفْتَقِرُ .

وَمَنْ رَأى أَنَّه مَلَكَ كَثِيراً منها ، أَو وُهِبَ لَهُ ، فإِنَّه يَنالُ رِئاسَةً وَمالاً .

وَلَحْمُ الكُرْكِيِّ لِمَنْ أَرادَ المُشارَكَةَ أَوِ الزَّواجَ ، دَليلُ خَيْرٍ ، لأَنَّها لا تَفْتَرِقُ في طَيَرانِها .

وَقِيلَ : إِنَّ مَن رَأى أَنَّهُ أَخَذَ كُرْكِيّاً ، صاهَرَ قَوْماً سَيِّئَةً أَخْلاقُهم .

وقالَتِ النَّصارى والرُّومُ : مَن رَأى كُرْكِيّاً ، سافَرَ سَفَراً بَعِيداً ؛ وإِنْ رَآهُ مُسافِرٌ ، رَجَعَ إِلى بَلَدِهِ .

وَقالَ أَرطاميدورس : الكَراكيُّ في الشِّتاءِ ، تَدُلُّ على اللُّصُوصِ وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ ؛ وَهي دَلِيلُ خَيْرٍ لِمَنْ أَرادَ الأَوْلادَ ، لأَنَّها تُعِينُ آباءَها عِنْدَ الكِبَرِ . وَاللهُ أَعلمُ .

٨٧٥ الكَرَوانُ : بِفَتْحِ الكافِ والرَّاءِ المُهملَةِ : طائِرٌ يُشْبِهُ البَطَّ ، لا يَنامُ اللَّيْلَ ؛ سُمِّيَ بِضِدِّهِ من الكَرى ؛ وَالأُنْثى كَرَوانَةٌ ، وَجَمْعُ كَرَوانٍ : كِرْوانٌ بِكَسْرِ الكافِ ، كَوَرِشانٍ وَوِرْشانٍ ، على غَيْرِ قِياسٍ[1] .

● قالَ مَكِّيُّ بن سَوَادَةَ في خالِدِ بنِ صَفْوانَ[2] : [من الطويل]

عَلِيمٌ بِتَنْزِيلِ الكِتابِ مُلَقَّنٌ ... ذَكُورٌ بِما سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلا

تَرى خُطَباءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتِجالِهِ ... كَأَنَّهُمُ الكِرْوانُ عايَنَّ أَجْدَلا

● وَقالَ طَرَفَةُ في أَبْياتِهِ التي كانَتْ سَبَبَ قَتْلِهِ[3] : [من الوافر]

---

(١) عن الصِّحاح « كرا » ٦/ ٢٤٧٤ .

(٢) البيتان لهُ في معجم الشُّعراء ٤٥٧ وبيان الجاحظ ١/ ٣٤٠ . والثَّاني بلا نسبة في زهر الأَكم ٢/ ٣٨ .

(٣) ديوانه ١٠٢ ـ ١٠٣ .

لَنـــا يَـــوْمٌ وَلِلْكِـــرْوانِ يَـــوْمٌ تَطِيْـــرُ البـــائِســـاتُ وَلا نَطِيْـــرُ
فَـــأَمَّـــا يَـــوْمُهُـــنَّ فَيَـــوْمُ سُـــوْءٍ تُطـــارِدُهُـــنَّ بِـــالحَـــدَبِ الصُّقُـــورُ
وَأَمَّـــا يَـــوْمُنـــا فَنظَـــلُّ رَكْبـــاً وُقُـــوفـــاً مـــا نَحُـــلُّ وَلا نَسِيْـــرُ

فَكَتَبَ لَه عَمرو بن هِنْدٍ وَلِلمُتَلَمِّسِ كِتابَيْنِ إِلى عامِلِهِ المُكَعْبر بِقَتْلِهِما ، فَقُتِلَ طَرَفَةُ وَسَلِمَ المُتَلَمِّسُ لَمَّا قُرِئَتْ عليْهِ الصَّحِيفَةُ .

وَالقِصَّةُ في ذلكَ مَشْهُورَةٌ ، وَتَقَدَّمَتِ الإِشارَةُ إِلَيْها في « القُبَّرَةِ » .

وَوَقَـعَ ذِكْـرُ هـذِهِ الصَّحِيفَـةِ فـي « سُنَـنِ أَبـي داود » فـي آخِـرِ كِتـابِ « الزَّكاةِ »[(١)] .

● وَذلكَ أَنَّ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ الفَزاريَّ وَالأَقْرَعَ بن حابسٍ التَّميميَّ قَدِما على النَّبيِّ ﷺ فَسَأَلاهُ ، فَأَمَرَ لَهما عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بما سَأَلاهُ ، وَأَمَرَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مُعاويةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَكَتَبَ لَهُما ، بِما سَأَلاهُ .

فَأَمَّا الأَقْرَعُ فَأَخَذَ كِتابَهُ ، فَلَفَّهُ في عِمامَتِهِ ، وانْطَلَقَ إِلى قَوْمِهِ ؛ وَأَمَّا عُيَيْنَةُ فَأَخَذَ كِتابَهُ ، وَأَتى بِهِ النَّبيَّ ﷺ فقالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَتُراني حامِلاً إِلى قَوْمي كِتاباً لا أَدْرِي ما فِيهِ كَصَحِيْفَةِ المُتَلَمِّسِ ؟ فقالَ ﷺ : « مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ ما يُغْنِيْهِ ، فإِنَّما يَسْتَكْثِرُ من النَّارِ » . قالُوا : يا رَسُولُ اللهِ ، وَما الذي يُغْنِيهِ ؟ قالَ ﷺ : « قَدَرُ ما يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيه » . ا هـ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ بالإِجْماعِ .

الأَمْثالُ : قالُوا : « أَجْبَنُ من كَرَوانٍ »[(٢)] . لأَنَّهُ إِذا قِيلَ : أَطْرِقْ كَرا ، إِنَّ النَّعامَ في القُرى ؛ التْصَقَ بِالأَرْضِ ، فَيُلْقى عليْهِ ثَوْبٌ فَيُصادُ ؛ وَهذا المَثَلُ

---

(١) أَبو داود (١٦٢٩) .
(٢) الميدانيّ ١/ ١٨٥ وحمزة ١/ ١١٣ والعسكري ١/ ٣٢٥ والزمخشري ١/ ٤٥ وزهر الأكم ٢/ ٣٨ .

يُضْرَبُ للمُعْجَبِ بِنَفْسِهِ .

قالَ الشَّاعِرُ[1] : [من الطويل]

مِنَ آلِ أَبي مُوسى تَرى النَّاسَ حَوْلَهُ كَـأَنَّهُـمُ الكِـرْوانُ أَبْصَـرْنَ بـازِيـا[2]

وَقالُوا فِيهِ[3] : [من الطَّويل]

شَهِـدْتُ بِـأَنَّ الخُبْـزَ بِـاللَّحْـمِ طَيِّبٌ وَأَنَّ الحُبـارىٰ خـالَـةُ الكَـرَوانِ

يُضْرَبُ عِندَ الشَّيْءِ يُتَمَنَّى وَلا يُقْدَرُ عليْهِ .

الخَواصُّ : قالَ القَزوينيُّ[4] : إِنَّ لَحْمَهُ وَشَحْمَهُ يُحَرِّكانِ الباهَ تَحْرِيكاً عَجِيباً .

٨٧٦ الكُسْعُومُ[5] : كَحُلْقُومٍ : الحِمارُ ، لُغَةٌ حِمْيَرِيَّةٌ ، وَالمِيمُ زائِدَةٌ فِيهِ .

وَكُسَعُ : حَيٌّ من حِمْيَرَ باليَمَنِ رُماةٌ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهم : « نَدِمْتُ نَدامَةَ الكُسَعِيِّ »[6] . وَهُوَ رَجُلٌ من كُسَعٍ ، اسمه مُجاوِرُ بنُ قَيْسٍ[7] ، رَأَى نَبْعَةً ، فَرَبَّاها حتَّى اتَّخَذَ مِنْها قَوْساً [وَنَبْلاً] فَرَمى الوَحْشَ عنها لَيْلاً فَأَصابَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَخْطَأَ ، فَكَسَرَ القَوْسَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَأَى ما أَصْمىٰ من الصَّيْدِ فَنَدِمَ . قالَ

---

(١) البيت بلا نسبة في الميدانيّ وزهر الأَكم . وهو لِذي الرُّمَّة في ديوانه ٢/ ١٣١٣ .

(٢) هذه رواية الدِّيوان والميدانيّ . وفي أ : أَمير أَبا مُوسى ! وفي ط ، ب : أَمير أَبي موسىٰ . .× ! . وفي زهر الأَكم : أَميرٌ أَبو مُوسى ! .

(٣) بلا نسبة في الميدانيّ ١/ ٣٦٢ والحيوان ٦/ ٣٧٢ .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٨٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٠ .

(٥) المادَّة حتَّى نهاية البيت ، عن الصِّحاح « كسع » ٣/ ١٢٧٦ ـ ١٢٧٧ .

(٦) ثمار القلوب ١/ ٢٤١ والميداني ٢/٣٤٨ وحمزة ١/٤٠٧ والعسكريّ ٢/ ٣٢٤ والزمخشريّ ١/ ٣٨٦ والفاخر ٩٠ والمعارف ٦١٢ والمحاسن والمساوىء ١/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥ .

(٧) اسمه في مصادر المثل : محارب بن قيس .

الشَّاعرُ[1] : [من الوافر]

نَـدِمْـتُ نَـدامَـةَ الكُسَعِـيِّ لَمَّـا   رَأَتْ عَيْنـاهُ مـا صَنَعَـتْ يَـداهُ

● رَوى « الطَّبرانيُّ »[2] وغَيْرُهُ ، من حَدِيثِ عبدِ الرَّحمنِ بن سَمُرَة : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا زَكاةَ في الكُسْعَةِ والجَبْهَةِ والنُّخَّةِ » . فَسَّرَهُ أَبُو عُبيدةَ وغَيرهُ ، بِأَنَّ الكُسْعَةَ : الحَميرُ . وَالجَبْهَةَ : الخَيْلُ . وَالنُّخَّةَ : العَبيدُ .

وَقالَ الكِسائيُّ : إِنَّما هُوَ النُّخَّةُ ، بِضَمِّ النُّونِ ، وَهِيَ البَقَرُ العَوامِلُ .

٨٧٧ **الكُعَيْتُ** : البُلْبُلُ . جاءَ مُصَغَّراً كما تَقَدَّمَ ، وَجَمْعُهُ كِعْتانٌ[3] .

● **عَجِيبَةٌ** : ذَكَرَ الأَزْرَقِيُّ في « تارِيخِ مَكَّةَ »[4] : أَنَّ طائِراً أَصْغَرَ من الكُعَيْتِ ، لَوْنُهُ لَوْنُ الحِبَرَةِ ، بِرِيشَةٍ حَمراءَ وَرِيشَةٍ سَوْداءَ ، دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، طويلَهُما ، لَهُ عُنُقٌ طَوِيلٌ ، دَقِيقُ المِنْقارِ طَوِيلُهُ ، كَأَنَّهُ من طَيْرِ البَحْرِ .

أَقْبَلَ يَوْمَ السَّبْتِ ، يَومَ سَبْعٍ وَعِشرينَ من ذِي القَعْدةِ ، سنةَ سِتٍّ وعِشرينَ ومئتين ، حِينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَالنَّاسُ إِذْ ذاكَ في الطَّوافِ كَثِيرٌ ، من الحاجِّ وغَيْرِهم ؛ وَعَبَرَ من ناحِيَةِ أَجْيادٍ ، حتَّى وَقَعَ في المَسْجِدِ الحَرامِ ، قَرِيباً من زَمْزَمَ ، مُقابِلَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ ، فَمَكَثَ ساعَةً طَوِيلَةً ، ثمَّ طارَ حتَّى صَدَمَ الكَعْبَةَ في نَحْوِ وَسَطِها ، بينَ الرُّكْنِ اليَماني والحَجَرِ الأَسْوَدِ ، وَهُوَ إِلى الحَجَرِ الأَسْوَدِ أَقْرَبُ ، ثمَّ وقعَ على مَنكبِ رجُلٍ في الطَّوافِ عندَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ من الحاجِّ من

---

(١) البيت للخليع الحسين بن الضَّحَّاك في طبقات ابن المعتزّ ٢٧١ وديوانه ١٢١ . وبلا نسبة في ثمار القلوب ١/ ٢٤٢ . ويروى البيت : . . . × رأت عيناك ما صنعت يداك .
وهو بهذه الرِّواية لعديّ بن عُرين في أَيَّام العرب في الجاهليَّة ١٤ . وبلا نسبة في هامش ثمار القلوب ١/ ٢٤٢ .

(٢) لم أَقف عليه في المعجم الكبير وهو في النِّهاية ٤/ ١٧٣ و ١/ ٢٧٣ و ٥/ ٣١ .

(٣) عن الصِّحاح « كعت » ١/ ٢٦٢ والمخصَّص ٨/ ١٥٤ و ١٦٣ .

(٤) تاريخ مكَّة للأَزرقيّ ٢/ ١٧ ـ ١٨ .

أَهْلِ خُراسانَ مُحْرِمٍ ، فَلَبَّى وهو على مَنْكبِهِ الأَيْمَنِ ، فَطافَ بِهِ الرَّجُلُ أَسابيعَ ، وَالنَّاسُ يَدْنُونَ منهُ وَيَنظرُونَ إِليْهِ ، وَهوَ ساكِنٌ غيرُ مُستَوْحِشٍ منهم ، والرَّجُلُ الذي هو عليْهِ يَمْشي في الطَّوافِ وَسَطَ النَّاسِ ، وَهم يَنظرُونَ إِليْهِ وَيَتَعَجَّبُونَ ، وَعَيْنا الرَّجُلِ تَدْمَعان على خَدَّيْهِ وَلِحْيَتِهِ .

قالَ عبدُ اللهِ بن رَبيعةَ : رَأَيْتُهُ على مَنكبِهِ الأَيْمَنِ ، وَالنَّاسُ يَدنُونَ منهُ ويَنظرُونَ إِليهِ فَلا يَنفرُ منهم وَلا يَطيرُ ، فَطُفْتُ أَسابيعَ ثَلاثةٍ ، كُلُّ ذلكَ أَخْرُجُ من الطَّوافِ فَأَرْكَعُ خَلْفَ المَقامِ ثمَّ أَعودُ ، وَهُوَ على مَنكبِ الرَّجُلِ .

قالَ : ثمَّ جاءَ إِنسانٌ من أَهْلِ الطَّوافِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عليْهِ فَلَمْ يَطِرْ ، وَطافَ بِهِ بعدَ ذلكَ ، ثمَّ طارَ هُو من قِبَلِ نَفْسِهِ ، حتَّى وَقَعَ على يَمينِ المَقامِ ، وَمَكَثَ ساعَةً طَويلَةً وَهُوَ يَمُدُّ عُنُقَهُ وَيَقْبِضُها إِلى جَناحِهِ ، وَالنَّاسُ يَنظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ فَتىً من الحَجَبَةِ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِيهِ ، فَأَخَذَهُ لِيُرِيَهُ رَجُلاً منهُم كان يَرْكَعُ خَلْفَ المَقامِ ، فصاحَ الطَّيْرُ في يَدِهِ أَشَدَّ صِياحٍ ، بِصَوْتٍ لا يُشْبِهُ أَصْواتَ الطُّيُورِ ، فَفَزِعَ منهُ وأَرْسَلَهُ من يَدِهِ ، فَطارَ حتَّى أَتى بَينَ يَدَيْ دارِ النَّدْوَةِ ، خارِجاً من الظِّلالِ ، قَرِيباً من الأُسطوانَةِ الحَمْراءِ ؛ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ يَنظرُونَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مُستَأْنَسٌ في ذلكَ كُلِّهِ غيرُ مُسْتَوْحِشٍ من النَّاسِ ، ثمَّ طَارَ من قِبَلِ نَفْسِهِ ، فَخَرَجَ من بابِ المَسْجِدِ الذي بَيْنَ دارِ النَّدْوَةِ وَدارِ العَجَلَةِ نَحْوَ قُعَيْقِعان .

وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ » في « الأَيْم » ما ذَكَرَهُ الأَزرقيُّ مِمَّا يُشْبِهُ هذا .

٨٧٨ الكِكَمُ[(١)] : طائِرٌ بِأَرْضِ طَبَرِسْتان ، حَسَنٌ ، مُوَشَّىً ، حَسَنُ العَيْنَيْنِ جِدّاً ؛ سُمِّيَ بِاسْمِ صِياحِهِ الذي يَصِيحُهُ ؛ وَرُبَّما اصْطادَ العَصافِيرَ وَصِغارَ الطَّيْرِ

---

(١) مروج الذَّهب ٥/٢٢٣ وفيه : كيكم . وكتاب البلدان لابن الفقيه ٥٧٨ ـ ٥٧٩ . وفيه : كنكر . تحريفٌ ، صوابه : كيكم . ومعجم البلدان ١/١٦ . وزاد ابن الفقيه : وهو طائرٌ في قدر الفاختة ، وذنبه مثل ذنب الببَّغاء ، وفي منسره تعقيفٌ . ونقله عنه ياقُوت .

مِمَّا يَكُونُ في الآجامِ والمِياهِ وغيرِها ، لكِنْ لا في جَمِيعِ السَّنَةِ بل في فَصْلِ الرَّبِيعِ ، فإذا صاحَ اجْتَمَعَتْ عليْهِ العَصافِيرُ وَصِغارُ الطُّيُورِ مِمَّا يَكُونُ في الآجامِ والمِياهِ وغَيرِها ، فَتَزُقُّهُ من أَوَّلِ النَّهارِ ، فإذا كان آخِرُ النَّهارِ أَخَذَ واحِداً منها فَأَكَلَهُ . فذلكَ فِعْلُهُ في كُلِّ يَوْمٍ إلى أَنْ يَنْقَضِيَ فَصْلُ الرَّبِيعِ ، فإذا انْقَضَى انعَكَسَتْ عَلَيْهِ ، فَلا تَزالُ تَجتمعُ عليْهِ وَتَطْرُدُهُ وَتَضْرِبُهُ ، وهو يهرب مِنْها ، وَلا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ إلى فَصْلِ الرَّبيعِ الآخَرِ .

وَذَكَرَ عليُّ بن رَبَّن[1] الطَّبَرِيُّ صاحِبُ « فِرْدَوْس الحِكْمَةِ » : أَنَّ هذا الطَّائِرَ لا يَكادُ يُرى قَدَماهُ على الأَرْضِ ، بَلْ يَطَأُ على إِحْدَى رِجْلَيْهِ على البَدَلِ .

وَذَكَرَ الجاحِظُ[2] : أَنَّ الكِكَمَ من عَجائِبِ الدُّنْيا ، وَأَنَّهُ لا يَطَأُ على الأَرْضِ بِقَدَمَيْهِ جَمِيعاً ، خَشْيَةَ أَنْ تَنْخَسِفَ من تَحْتِهِ ، كما تَقَدَّمَ في « الكُركيِّ » .

ومثلُ هذا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « مالك الحَزينِ » و« النَّعامِ » .

٨٧٩ الكَلْبُ : حَيَوانٌ مَعْروفٌ ، وَرُبَّما وُصِفَ به ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ : كَلْبٌ ، وَلِلْمَرْأَةِ : كَلْبَةٌ ، وَالجَمْعُ أَكْلُبٌ وَكِلابٌ وَكَلِيْبٌ ؛ مثلُ أَعْبُدٍ وَعِبادٍ وَعَبيدٍ ، وَهُوَ جَمْعٌ عَزيزٌ . وَالأَكالِبُ : جَمْعُ أَكْلُبٍ[3] .

قالَ ابْنُ سِيْدَه[4] : وَقد قالُوا في جَمْعِ كَلْبٍ : كِلاباتٌ . قالَ الشَّاعِرُ : [من الرجز]

أَحَبُّ كَلْبٍ في كِلاباتِ النَّاسْ ... إِلَيَّ نَبْحاً كَلْبُ أُمِّ عَبَّاسْ

---

(١) في الأُصول : علي بن زيد ! . وهو عليّ بن سهل بن ربَّن ، أَبو الحسن الطبري ، كان يكتبُ للمازيار ، أَسلم على يد المعتصم . (عيون الأَنباء ٤١٤ والوافي بالوفيات ٢١/ ١٥١) .

(٢) لم أَقف على قول الجاحظ في الحيوان .

(٣) عن الصِّحاح « كلب » ١/ ٢١٣ .

(٤) المخصَّص ٨/ ٧٩ . والشَّطران فيه بلا نسبة ، وكذا في اللِّسان والتَّاج « كلب » .

● وَكِلابٌ اسْمُ رَجُلٍ من أَجْدادِ النَّبيِّ ﷺ ، وَهُوَ كِلابُ بنُ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ ابنِ لُؤَيِّ بنِ غالب بن فِهْر بنِ مالِك بن النَّضْرِ بن كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْياسَ ابن مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنان .

● وَكِلابٌ : إِمَّا مَنْقُولٌ من المَصْدَرِ الذي هُوَ في مَعْنى المُكالَبَةِ ، نحو : كالَبْتُ العَدُوَّ مُكالَبَةً وَكِلاباً ، وَإِمَّا جَمْعُ كَلْبٍ ؛ وَسَمَّوْهُ بذلك طَلَباً لِلْكَثْرَةِ ، كَما سَمَّوْا سِباعاً وَأَنْماراً .

● قِيلَ لأَبِي الدُّقَيْش الأَعْرابيِّ[1] : لِمَ تُسَمُّونَ أَبْناءَكُم بِشَرِّ الأَسْماءِ ، نَحوَ كَلْبٍ وَذِئْبٍ ؛ وَعَبيدَكم بأَحْسَنِها ، نحوَ مَرزوقٍ وَرَباحٍ ؟ فقالَ : إِنَّما نُسَمِّي أَبْناءَنا لأَعْدائِنا ، وَعَبيدَنا لأَنْفُسِنا .

وَكَأَنَّهُم قَصَدُوا بذلكَ التَّفاؤُلَ بِمُكالَبَةِ العَدُوِّ وَقَهْرِهِ .

وَالكَلْبَةُ : أُنْثى الكِلابِ ، وَجَمْعُها كَلْباتٌ ، وَلا تُكَسَّرُ .

وَالكَلْبُ : حَيوانٌ شَديدُ الرِّياضَةِ ، كَثيرُ الوَفاءِ ؛ وَهو لا سَبُعٌ وَلا بَهيمَةٌ ، حتَّى كَأَنَّهُ من الخَلْقِ المُرَكَّبِ ، لأَنَّهُ لو تَمَّ لَهُ طِباعُ السَّبُعِيَّةِ ما أَلِفَ النَّاسَ ، وَلَوْ تَمَّ لَهُ طِباعُ البَهيميَّةِ ما أَكَلَ لَحْمَ الحَيَوانِ ؛ لكِنْ في الحديثِ إِطْلاقُ البَهيمةَ علَيْهِ .

● رَوى « مُسلم »[2] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « بَيْنَما امْرَأَةٌ تَمْشِي بِفَلاةٍ من الأَرْضِ ، اشْتَدَّ علَيْها العَطَشُ ، فَنَزَلَتْ بِئْراً فَشَرِبَتْ ثمَّ صَعَدَتْ ، فَوَجَدَتْ كَلْباً يَأْكُلُ الثَّرَى من العَطَشِ ، فقالَتْ : لَقَد بَلَغَ بِهذا الكَلْبِ مِثْلَ الذي بَلَغَ بي ؛ فَنَزَلَتِ البِئْرَ ، فَمَلأَتْ خُفَّها وَأَمْسَكَتْهُ بِفِيْها ، ثمَّ صَعَدَتْ فَسَقَتْهُ ، فَشَكَرَ اللهُ لَها ذلكَ وَغَفَرَ لها » . قالُوا : يا رَسولَ اللهِ ، أَوَ لَنا في البَهائِمِ أَجْرٌ ؟ قالَ : نعم ،

---

(١) الروض الأُنف ١/ ٢٨ .

(٢) البخاريّ ٣/ ١٠٣ و ٧/ ٧٧ ومسلم (٢٢٤٤) وأبو داود (٢٥٥٠) .
والرِّواية فيها جميعاً : بينما رجلٌ . . . . وهذا من أَوهام المؤلِّف رحمهُ الله .

في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ » .

● وَهو نَوعانِ : أَهْلِيٌّ ، وَسَلُوقيٌّ ـ نِسْبَةً إِلى سَلُوقٍ ، وَهي مَدينَةٌ بِاليَمَنِ ، تُنْسَبُ إِلَيْها الكِلابُ السَّلوقِيَّةُ ـ وَكِلا النَّوعينِ في الطَّبْعِ سَواءٌ .

وَفي طَبْعِهِ الاحْتِلامُ ، وَتَحِيضُ إِناثُهُ ، وَتَحملُ الأُنثى سِتِّينَ يَوْماً ، وَمنها ما يَقِلُّ عن ذلكَ . وَتَضَعُ جِراءَها عُمْياً ، فَلا تَفْتَحُ عُيونَها إِلاّ بَعدَ اثْني عَشَرَ يَوْماً .

وَالذُّكُورُ تَهِيجُ قَبلَ الإِناثِ ، وَهِيَ تَنْزُو إِذا كملَ لَها سَنَةٌ ، وَرُبَّما تَسْفِدُ قبلَ ذلكَ ؛ وإِذا سَفدَ الكَلْبَةَ كِلابٌ مُخْتلفَةُ الأَلْوانِ ، أَدَّتْ إِلى كُلِّ كَلْبٍ شَبَهَهُ .

وَفي الكَلبِ من اقْتِفاءِ الأَثَرِ وَشَمِّ الرَّائِحَةِ ما لَيْسَ لِغَيرِهِ من الحَيواناتِ .

وَالجِيْفَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ من اللَّحْمِ الغَرِيضِ ؛ وَيَأْكُلُ العَذِرَةَ ، وَيَرجعُ في قَيْئِهِ .

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الضَّبُعِ عَداوَةٌ شَديدَةٌ ؛ وَذلكَ أَنَّهُ إِذا كان في مَكانٍ عالٍ ، أَو مَوضِعٍ مُرتفِعٍ ، وَوَطِئَتِ الضَّبُعُ ظِلَّهُ في القَمَرِ ، رَمى بِنَفْسِهِ عليْها مَخْذُولاً ، فَتَأْخُذُهُ فَتَأْكُلُهُ .

وإِذا دُهِنَ كَلْبٌ بِشَحْمِها ، جُنَّ واخْتَلَطَ ؛ وإِذا حَمَلَ الإِنْسانُ لِسانَ ضَبُعٍ ، لَمْ تَنْبَحْ عليْهِ الكِلابُ .

وَمن طَبْعِهِ : أَنَّهُ يَحرسُ رَبَّهُ ، وَيَحْمي حُرَمَهُ ، شاهِداً وغائِباً ، ذاكِراً وغافِلاً ، نائِماً ويَقْظاناً .

وَهُوَ أَيْقَظُ الحَيوانِ عَيْناً في وقتِ حاجَتِهِ إِلى النَّوْمِ ، وَإِنَّما غالِبُ نَوْمِهِ نَهاراً عِنْدَ الاسْتِغْناءِ عن الحِراسَةِ ؛ وَهُوَ في نَوْمِهِ أَسْمَعُ من فَرَسٍ ، وَأَحْذَرُ من عَقْعَقٍ ؛ وإِذا نامَ كَسَرَ أَجْفانَ عَيْنَيْهِ وَلا يُطْبِقُها ، وذلكَ لِخِفَّةِ نَوْمِهِ ؛ وَسَبَبُ خِفَّتِهِ : أَنَّ دِماغَهُ بارِدٌ ، بِالنِّسْبَةِ إِلى دِماغِ الإِنْسانِ .

وَمن عَجِيبِ طِباعِهِ : أَنَّهُ يُكْرِمُ الجِلَّةَ من النَّاسِ وَأَهْلَ الوَجاهَةِ ، وَلا يَنْبَحُ

أَحداً منهم ، وَرُبَّما حادَ عن طَرِيقِهِ ، وَيَنْبَحُ الأَسْوَدَ من النَّاسِ ، وَالدَّنِسَ الثِّيابِ ، وَالضَّعِيفَ الحالِ .

وَمِنْ طِباعِهِ : البَصْبَصَةُ والتَّرَضِّي والتَّوَدُّدُ والتَّأَلُّفُ ، بِحيثُ إِذا دُعِيَ بعدَ الضَّرْبِ وَالطَّرْدِ رَجَعَ .

وإِذا لاعَبَهُ رَبُّهُ ، عَضَّهُ العَضَّ الذي لا يُؤْلِمُ ؛ وَأَضْراسُهُ لو أَنْشَبَها في الحَجَرِ لَنَشَبَتْ .

وَيَقبلُ التَّأْدِيبَ وَالتَّلْقِينَ والتَّعليمَ ، حتَّى لو وُضِعَتْ على رَأْسِهِ مِسْرَجَةٌ ، وَطُرِحَ لَهُ مَأْكُولٌ ، لَمْ يَلْتَفِتْ إِليهِ ما دامَ على تِلكَ الحالَةِ ، فإِذا أُخِذَتِ المِسْرَجَةُ عن رَأْسِهِ ، وَثَبَ إِلى مَأْكُولِهِ .

وَتَعْرِضُ[1] لَهُ أَمْراضٌ سَوْداوِيَّةٌ في زَمَنٍ مَخْصوصٍ ، وَيَعْرِضُ لَهُ الكَلَبُ ـ بِفَتْحِ اللاّمِ ـ وَهُوَ داءٌ يُشْبِهُ الجُنُونَ ؛ وَعَلامَةُ ذلكَ أَنْ تَحْمَرَّ عَيْناهُ ، وَتَعلُوهما غِشاوَةٌ ، وَتَسْتَرْخي أُذُناهُ ، وَيَنْدَلِعُ لِسانُهُ ، وَيَكثُرُ لُعابُهُ وَسَيَلانُ أَنْفِهِ ، وَيُطَأْطِئُ رَأْسَهُ ، وَيَنْحَدِبُ ظَهْرُهُ ، وَيَتَعَوَّجُ صُلْبُهُ إِلى جانِبٍ ، وَلا يَزالُ يُدْخِلُ ذَنَبَهُ بيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَيَمْشي خائِفاً مَغْموماً كَأَنَّهُ سَكْرانٌ ، وَيَجوعُ فَلا يَأْكُلُ ، وَيَعْطَشُ فَلا يَشْرَبُ ؛ وَرُبَّما رَأَى الماءَ فَيَفْزَعُ منهُ ، وَرُبَّما يَموتُ منهُ خَوْفاً ؛ وإِذا لاحَ لَهُ شَبَحٌ ، حَمَلَ عليْهِ من غَيْرِ نَبْحٍ ؛ وَالكِلابُ تَهْرُبُ منهُ ، فإِذا دَنا منها غَفْلَةً ، بَصْبَصَتْ لَهُ وَخَضَعَتْ وَخَشَعَتْ بينَ يَديهِ .

فإِذا عَقَرَ هذا الكَلْبُ إِنْساناً ، عَرَضَ لَهُ أَمْراضٌ رَدِيئَةٌ ، منها : أَنْ يَمْتَنِعَ من شُرْبِ الماءِ حتَّى يَهْلِكَ عَطَشاً ، وَلا يَزالُ يَسْتَسْقِي حتَّى إِذا سُقِيَ الماءَ لَمْ يَشْرَبْهُ ، فإِذا اسْتَحْكَمَتْ هذِهِ العِلَّةُ بِهِ فَقَعَدَ لِلْبَوْلِ ، خَرَجَ منهُ شَيْءٌ على هَيْئَةِ الكِلابِ الصِّغارِ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٦٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٤ .

● قالَ صاحِبُ « الموجَز في الطِّبِّ » : الكَلَبُ : حالَةٌ كَالجُذامِ ، تَعرِضُ لِلْكَلْبِ والذِّئْبِ وابْنِ آوى وابْنِ عِرْسٍ والثَّعْلَبِ . ثمَّ ذَكَرَ غالِبَ ما تَقَدَّمَ .

وَقالَ غَيْرُهُ : الكَلَبُ : جُنونٌ يُصِيبُ الكِلابَ فَتموتُ ، وَتَقْتُلُ كُلَّ شَيْءٍ عَضَّتْهُ إلاّ الإنْسانَ ، فإِنَّهُ قد يُعالَجُ فَيَسْلَمُ .

قالَ : وَداءُ الكَلَبِ يَعْرِضُ للحِمارِ وَيَقَعُ في الإِبلِ أَيْضاً ، فَيُقالُ : كَلِبَتِ الإِبلُ ، تَكْلَبُ كَلَباً ، وَأَكْلَبَ القَوْمُ : إذا وَقَعَ في إِبِلِهم ؛ وَيُقالُ : كَلِبَ الكَلْبُ وَاسْتَكْلَبَ : إذا ضَرِيَ وَتَعَوَّدَ أَكْلَ النَّاسِ . انتهى .

● رَوى « أَبو داود »[1] في « كِتابِ السُّنَّةِ » عن معاويةَ بن أَبي سُفيان ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِنَّ مَن كان قَبْلَكُمْ من أَهْلِ الكِتابِ ، افتَرَقُوا على ثِنْتَيْنِ وَسَبعينَ فرقةً ؛ وَهذِهِ الأُمَّةُ سَتفترقُ على ثَلاثٍ وَسَبعينَ فرقةً ؛ ثِنتانِ وَسَبعونَ في النَّارِ ، وواحِدَةٌ في الجَنَّةِ ، وَهِيَ الجَماعَةُ .

وإِنَّهُ سَيخرجُ من أُمَّتي أَقْوامٌ تَتجارىٰ بهم تلكَ الأَهْواءُ ، كما يَتَجارَى الكَلَبُ بِصاحِبِهِ ؛ لا يَبْقى منهم عِرْقٌ وَلا مفصلٌ إِلاّ دَخَلَهُ » .

أَرادَ ﷺ أَنَّ الكَلَبَ إذا تَجارىٰ بالإِنْسانِ ، تَمادَىٰ وَهَلَكَ .

● وَذَكَرَ القَزوينيُّ في « عَجائبِ المخلوقات »[2] : أَنَّ بقَرْيَةٍ من أَعْمالِ حَلَبَ بئْراً ، يُقالُ لها : بِئْرُ الكَلْبِ ؛ إذا شَرِبَ مِنْها من عَضَّهُ الكَلْبُ الكَلِبُ بَرِىءَ ، وَهيَ مَشهورَةٌ .

---

(١) الحديث من ب . وهو في أَبي داود (٤٥٩٧) ومسند أَحمد ٤/ ١٠٢ .
وقالَ ابنُ الأَثير في النِّهاية ١/ ٢٦٤ ومنه الحديث « تتجارى بهم الأَهواءُ . . . » أَي : يتواقعون في الأَهواء الفاسدة . ويتداعونَ فيها ؛ تشبيهاً بِجَرْي الفَرَسِ . والكَلَبُ ـ بالتَّحريك ـ : داءٌ معروفٌ ، يَعرِضُ للكلبِ ، فمن عَضَّهُ قتلَه .

(٢) عجائب المخلوقات ١٣٤ .

قالَ : وَقد أَخْبَرَني بعضُ أَهْلِ القَرْيَةِ ، أَنَّ المَكْلُوبَ إذا لَمْ يُجاوِزْ أَربعينَ يَوْماً ، وَشَرِبَ منها بَرِىءَ ؛ أَمَّا إذا جاوَزَ الأَرْبعينَ ، فإِنَّهُ يَمُوتُ ولَوْ شَرِبَ منها .

وَذَكَرَ أَنَّهُ شاهَدَ ثَلاثَةَ أَنْفُسٍ مَكْلُوبينَ شَرِبُوا منها ، فَسَلِمَ اثْنانِ وَكانا لَمْ يَبْلُغا الأَربعينَ ، وَماتَ الثَّالثُ وَكانَ قد جاوَزَ الأَربعينَ ؛ وَهَذِهِ البِئْرُ يَشْرَبُ منها أَهْلُ الضَّيْعَةِ .

● **وَأَمَّا السَّلوقيُّ** : فَمِن طِباعِهِ : أَنَّهُ إِذا عايَنَ الظِّباءَ قَريبةً منهُ أَو بَعيدَةً ، عَرَفَ المُقْبِلَ من المُدْبِرِ ، وَمَشْيَ الذَّكَرِ من مَشْيِ الأُنْثى ؛ وَيَعرفُ المَيِّتَ من النَّاسِ وَالمُتماوِتَ ؛ حتَّى إِنَّ الرُّومَ لا تَدفنُ مَيّتاً حتَّى تَعرضَهُ على الكِلابِ ، فَيَظْهَرُ لَهُم من شَمِّها إِيَّاهُ عَلامَةٌ تَسْتَدِلُّ بها على حَياتِهِ أَوْ مَوْتِهِ .

وَيُقالُ : إِنَّ هذا لا يُوجَدُ إِلاّ في نَوْعٍ منها يُقالُ لَهُ : القَلَطيُّ ، وَهو صَغيرُ الجِرْمِ ، قَصِيرُ القَوائِمِ جِدَّاً ، وَيُسَمَّى الصِّيْنيّ .

وإِناثُ السَّلوقيِّ أَسْرَعُ تَعَلُّماً من الذُّكُورِ ؛ وَالفَهْدُ بِالعَكسِ كما تَقَدَّمَ ؛ وَالسُّودُ من الكِلابِ أَقَلُّ صَبْراً من غَيْرِها .

● وَفي كِتابِ « فَضْلِ الكِلابِ على كَثِيرٍ مِمَّنْ لَبِسَ الثِّيابَ » لمحمَّد بن خَلف بن المرزَبان[١] ، عن عَمرو بن شُعيبٍ[٢] ، عن أَبيهِ ، عن جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ :

رأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً قَتيلاً ، فقالَ ﷺ : « مَا شَأْنُهُ ؟ » قالُوا : إِنَّهُ وَثَبَ على غَنَمِ بَني زُهْرَةَ ، فَأَخَذَ مِنْها شاةً ، فَوَثَبَ عليْه كَلْبُ الماشِيَةِ ، فَقَتَلَهُ ؛ فقال ﷺ : « قَتلَ نَفْسَهُ ، وَأَضاعَ دِيَتَهُ ، وَعَصى رَبَّهُ ، وَخانَ أَخاهُ ، وَكانَ الكَلْبُ

---

(١) تفضيل الكلاب ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) هو عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاص .

خَيْراً منهُ » .

● وَقالَ[1] ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما : كَلْبٌ أَمينٌ ، خَيْرٌ من صاحِبٍ خَؤُونٍ .

● قالَ[2] : وَكانَ للحارِثِ بن صَعْصَعَةَ نُدماءُ لا يُفارِقُهُم ، وَكانَ شَديدَ المَحَبَّةِ لَهُم ، فخرجَ في بَعضِ مُتَنَزَّهاتِهِ وَمَعَهُ نُدماؤُهُ ، فَتَخَلَّفَ منهم واحِدٌ ، فَدَخَلَ على زَوْجَتِهِ ، فَأَكلاَ وَشَرِبا ثمَّ اضْطَجَعا ، فَوَثَبَ الكَلْبُ عَليهما فَقَتَلَهُما ؛ فَلَمَّا رَجعَ الحارِثُ إلى مَنْزِلِهِ ، وَجَدَهُما قَتيلينِ ، فَعَرَفَ الأَمْرَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ : [من الطويل]

وَما زَالَ يَرْعى ذِمَّتي وَيَحُوطُني ... وَيَحْفَظُ عِرْسي والخَليلُ يَخُونُ
فَيا عَجَباً لِلْخِلِّ يَهْتِكُ حُرْمَتي ... وَيا عَجَباً لِلْكَلْبِ كَيْفَ يَصُونُ

● وَذَكَرَ الإمامُ أَبُو الفَرَجِ ابنِ الجَوْزيّ في بَعضِ مُصَنَّفاتِهِ[3] : أَنَّ رَجُلاً خَرَجَ في بَعضِ أَسْفارِهِ ، فَمَرَّ على قُبَّةٍ مَبْنِيَّةٍ أَحْسَنَ بناءٍ ، بالقُرْبِ من ضَيْعَةٍ هُناكَ ، وَعَلَيْها مَكْتوبٌ : مَن أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ سَبَبَ بنائِها ، فَلْيَدْخُلِ القَرْيَةَ ؛ فَدخَلَ القَرْيَةَ ، وَسَأَلَ أَهْلَها عن سَبَبِ بناءِ القُبَّةِ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ خَبَراً من ذلكَ ، إلى أَنْ دُلَّ على رَجُلٍ قد بَلَغَ من العُمُرِ مِئتي سَنَةٍ ، فَسَأَلَهُ ، فَأَخْبَرَهُ عن أَبيهِ ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ :

أَنَّ مَلِكاً كان بتلكَ الأَرْضِ ، وَكانَ لَهُ كَلْبٌ لا يُفارِقُهُ في سَفَرٍ وَلا حَضَرٍ ، وَلا نَوْمٍ وَلا يَقَظَةٍ ، وَكانَتْ لَهُ جارِيَةٌ خَرْساءُ مُقْعَدَةٌ ؛ فَخَرَجَ ذاتَ يَوْمٍ إلى بَعضِ مُتَنَزَّهاتِهِ ، وَأَمَرَ بِرَبْطِ الكَلْبِ لَئِلاّ يَذهبَ معهُ ، وَأَمَرَ طَبَّاخَهُ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ طَعاماً

---

(١) تفضيل الكلاب ٥٥ .
(٢) تفضيل الكلاب ١٠٥ ـ ١٠٦ والمستطرف ٢/ ٥١٦ وأخبار الأذكياء ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .
(٣) أخباء الأذكياء ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

من اللَّبَنِ كان يَهْواهُ ؛ وَأَنَّ الطَّبَّاخَ صَنَعَهُ ، وَجاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عِندَ الجارِيَةِ والكَلْبِ ، وَتَرَكَهُ مَكْشُوفاً وَذَهَبَ .

فَأَقْبَلَتْ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ إلى الإِناءِ فَشَرِبَتْ من ذلكَ الطَّعامِ وَرَدَّتْهُ وَذَهَبَتْ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ المَلِكُ من مُتَنَزَّهِهِ ، وَأَمَرَ بالطَّعامِ ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَتِ الجارِيَةُ تُصَفِّقُ بِيَدَيْها ، وَتُشِيرُ إلى المَلِكِ أَنْ لا يَأْكُلَهُ ، فَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ ما تُرِيدُ ، فَوَضَعَ المَلِكُ يَدَهُ في الصَّحْفَةِ ، وَجَعَلَ الكَلْبُ يَعْوي وَيَصِيحُ ، وَيَجْذِبُ نَفْسَهُ من السِّلْسِلَةِ حتَّى كادَ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ ، فتَعَجَّبَ المَلِكُ من ذلكَ ، وَأَمَرَ بإِطْلاقِهِ ، فَأُطْلِقَ ، فَعَدا إلى المَلِكِ وَقد رَفَعَ يَدَهُ باللُّقْمَةِ إلى فِيهِ ، فَوَثَبَ الكَلْبُ وَضَرَبَهُ على يَدِهِ ، فَأَطارَ اللُّقْمَةَ مِنْها ، فَغَضِبَ المَلِكُ ، وَأَخَذَ طَبَراً[1] كان بِجَنْبِهِ ، وَهَمَّ أَنْ يَضْرِبَ بِهِ الكَلْبَ ، فَأَدْخَلَ الكَلْبَ رَأْسَهُ في الإِناءِ ، وَوَلَغَ من ذلكَ الطَّعامِ ، فانْقَلَبَ على جَنْبِهِ وَقد تَناثَرَ لَحْمُهُ .

فَعَجِبَ المَلِكُ ، ثمَّ الْتَفَتَ إلى الجارِيَةِ ، فَأَشارَتْ إِليهِ بما كان من أَمْرِ الحَيَّةِ ، فَفَهِمَ المَلِكُ الأَمْرَ ، وَأَمَرَ بإِراقَةِ الطَّعامِ ، وَتَأْدِيبِ الطَّبَّاخِ على كَوْنِهِ تَرَكَ الإِناءَ مَكْشُوفاً ، وَأَمَرَ بِدَفْنِ الكَلْبِ ، وَبِبِناءِ القُبَّةِ عليْهِ ، وَبِتِلْكِ الكِتابَةِ التي رَأَيْتَها .

قالَ : وَهي من أَغْرَبِ ما يُحْكىٰ .

● وَفي كِتابِ « النَّشْوار »[2] عن أَبي عُثمان [زكريَّا] المَدينيّ ، أَنَّهُ قالَ :

كانَ في بَغْدادَ رَجُلٌ يَلْعَبُ بالكِلابِ ، فَخَرَجَ يَوْماً في حاجَةٍ لَهُ ، وَتَبِعَهُ كَلبٌ كان يَخْتَصُّهُ من كِلابِهِ ، فَرَدَّهُ فَلَمْ يرجعْ ، فَتَرَكَهُ وَمَشى ، حتَّى انتهى إلى

---

(١) الطَّبَرُ : الفأْسُ .

(٢) نَشوار المحاضرة ١/ ٣٤٠ وأَخبار الأَذكياء ٢٤٤ ـ ٢٤٥ . ويقارن بما ورد في ربيع الأَبرار ٥/ ٤٢١ والحيوان ٢/ ١٢٢ ـ ١٢٣ والتذكرة الحمدونية ٣/ ٤١ والمستطرف ٢/ ٥١٦ .

قَوم كان بينَهُ وَبينَهم عَداوَةٌ ، فَصادَفُوهُ بغَيرِ عُدَّةٍ ، فَقَبَضُوا عليْهِ وَالكَلْبُ يَراهُم ، فَأَدْخَلُوهُ الدَّارَ ، وَدخلَ الكَلبُ معَهم ، فَقَتلُوا الرَّجُلَ ، وَأَلْقَوْهُ في بِئْرٍ وَطَمُّوا رَأْسَ البِئْرِ ، وَضَرَبُوا الكَلْبَ فَأَخْرَجُوهُ وَطَرَدُوهُ ، فخرجَ يَسْعى إِلى بَيْتِ صاحِبِه ، فَعَوى فَلَمْ يَعْبَأُوا بِهِ .

وَافْتَقَدَتْ أُمُّ الرَّجُلِ ابْنَها ، وَعَلِمَتْ أَنَّهُ قد تَلِفَ ، فَأَقامَتْ عليْهِ المَأْتَمَ ، وَطَرَدَتِ الكِلابَ عن بابِها ، فَلَزِمَ ذلكَ الكَلبُ البابَ وَلَمْ يَنْطَرِدْ .

فَاجْتازَ يَوْماً بعضُ قَتَلَةِ صاحِبِهِ بالبابِ ، وَالكلْبُ رابضٌ ، فَلَمَّا رَآهُ وَثَبَ عليْهِ فَخَمَشَ ساقَهُ ونَهَشَهُ ، وَتَعَلَّقَ بِهِ ؛ وَاجْتَهَدَ المُجْتازُونَ في تَخْليصِهِ منهُ فَلَمْ يُمْكِنْهُم ، وَارْتَفَعَتْ للنَّاسِ ضَجَّةٌ عَظيمَةٌ ، وَجاءَ حارِسُ الدَّرْبِ وَقالَ : لَمْ يَتَعَلَّقْ هذا الكَلْبُ بِالرَّجُلِ إِلاّ ولهُ معهُ قِصَّةٌ ، وَلعلَّهُ هو الذي جَرَحَهُ .

وَسَمِعَتْ أُمُّ القَتيلِ الكَلامَ فَخَرَجَتْ ، فَحِينَ رَأَتِ الكَلْبَ مُتَعَلِّقاً بالرَّجُلِ ، تَأَمَّلَتْ في الرَّجُلِ ، فتَذَكَّرَتْ أَنَّهُ كان أَحَدَ أَعْداءِ ابْنِها ، وَمِمَّنْ يَتَطَلَّبُهُ ، فَوَقَعَ في نَفْسِها أَنَّهُ قاتِلُ ابْنِها ، فتَعَلَّقَتْ بِهِ ، فَرَفَعُوهُما إِلى أَميرِ المؤمنينَ الرَّاضي باللهِ(١) ، فادَّعَتْ عليْهِ القَتْلَ ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ بعد أَنْ ضَرَبَهُ فَلَمْ يُقِرَّ ، فَلَزِمَ الكَلْبُ بابَ الحَبْسِ .

فَلَمّا كان بَعدَ أَيَّامٍ ، أَمَرَ الرَّاضِي بِإِطْلاقِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ من بابِ الحَبْسِ تَعَلَّقَ بهِ الكَلْبُ كَما فَعَلَ أَوَّلاً ، فتَعَجَّبَ النَّاسُ من ذلكَ ، وَجَهِدُوا على خَلاصِهِ منهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا على ذلكَ إِلاّ بعدَ جَهْدٍ جَهيدٍ ؛ فَأُخْبِرَ الرَّاضِي بذلكَ ، فَأَمَرَ بعضَ غِلْمانِهِ أَنْ يُطلِقَ الرَّجلَ ، وَيُرسلَ الكَلبَ خَلْفَهُ وَيَتْبَعَهُ ، فإِذا دَخلَ الرَّجلُ دارَهُ بادَرَهُ وَأَدخلَ الكَلْبَ معهُ ، فَمَهْما رَأَى الكَلبَ يَعملُ يُعْلِمُهُ بِذلكَ ، فَفَعَلَ ما أَمَرَهُ بِهِ .

---

(١) لم يذكر اسم الخليفة في مصادر الخبر . وفيها : وارتفعا إلى صاحب الشّرطة .

فَلَمَّا دَخلَ الرَّجلُ دارَهُ ، بادَرَهُ غُلامُ الخَليفَةِ وَدخلَ ، وَأَدْخَلَ الكَلْبَ معهُ ، فَفَتَّشَ البيتَ فَلَمْ يرَ أَثَراً وَلا خبَراً ، وَأَقبلَ الكَلْبُ يَنْبَحُ وَيَبْحَثُ في مَوْضِعِ البِئْرِ التي طُرِحَ فيها القَتيلُ ، فَتعجَّبَ الغُلامُ من ذلكَ ، وَأَخبرَ الرَّاضي بِأَمْرِ الكَلْبِ ، فَأَمَرَ بِنَبْشِ البِئْرِ ، فَنَبَشُوها ، فَوَجَدُوا الرَّجُلَ قَتيلاً .

فَأَخَذُوا صاحِبَ الدَّارِ إلى بَيْنِ يَدَي الرَّاضِي ، فَأَمْرَ بِضَرْبِهِ ، فَأَقَرَّ على نَفْسِهِ وَعلى جَماعَتِهِ بِالقَتْلِ ، فَقُتِلَ وَطُلِبَ الباقُونَ فَهَرَبُوا .

● وَفي « عجائِبِ المَخلُوقاتِ »(١) : أَنَّ شَخْصاً قَتَلَ شَخْصاً بأَصْبَهانَ ، وَأَلْقاهُ في بِئْرٍ ؛ وللمَقْتُولِ كَلبٌ يَرى ذلكَ ، فَكانَ يَأْتي كُلَّ يومٍ إلى رَأْسِ البِئْرِ ، وَيُنَحِّي التُّرابَ عنهُ وَيُشيرُ إِليْها ؛ وإِذا رَأَى القاتِلَ نَبَحَ عليْهِ .

فلَمَّا تَكرَّرَ ذلكَ منهُ ، حَفَرُوا البِئْرَ ، فَوَجَدُوا القَتيلَ بِها ، ثمَّ أَخَذُوا الرَّجُلَ وَقَرَّرُوهُ ، فَأَقَرَّ ، فقَتلُوهُ بِهِ .

● وَفي « الإِحياءِ »(٢) عن بعضِ الصُّوفيَّةِ ، قالَ :

كُنَّا بِطَرَسُوسَ ، فاجْتَمَعْنا جَماعَةً ، وَخَرَجْنا إِلى بابِ الجِهادِ ، فَتَبِعَنا كَلبٌ من البَلَدِ ، فلَمَّا بَلَغْنا بابَ الجِهادِ ، وإِذا نَحنُ بِدابَّةٍ مَيْتَةٍ ، فَصَعدْنا إِلى مَوْضِعٍ عالٍ ، فقَعَدْنا .

فلَمَّا نَظَرَ الكَلْبُ إِلى المَيْتَةِ رَجَعَ إِلى البَلَدِ ، ثمَّ عادَ ومعهُ نَحوٌ من عِشرينَ كَلْباً ، فجاءَ إِلى تِلكَ المَيْتَةِ وَقَعَدَ ناحِيَةً ، وَوَقَعَتِ الكِلابُ في المَيْتَةِ ، فَما زَالَتْ تَأْكُلُ إِلى أَنْ شَبِعَتْ ، وَذلكَ الكَلبُ قاعِدٌ يَنظرُ إِلى المَيْتَةِ ، حتَّى أَكَلَتْ وَبَقِيَتِ العِظامُ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٦٧ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٥ . ويقارن بما ورد في تفضيل الكلاب ٧٨ وأخبار الأذكياء ٢٤٦ والمستطرف ٢/ ٥١٧ .

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٢٤ .

فلمَّا رَجعتِ الكِلابُ إلى البلدِ ، قامَ ذلكَ الكَلبُ إلى العِظامِ ، فأَكَلَ ما بَقِيَ عليْها من اللَّحْمِ ، ثمَّ انْصَرَفَ .

● وَفي « الشُّعبِ » للبيهقيِّ وَغيرِها ، عن الفَقيهِ مَنْصورٍ التَّميميّ الشَّافعيّ الضَّرير ، وَلهُ مُصَنَّفاتٌ في المَذْهَبِ ، وَشِعْرٌ حَسَنٌ ، أَنَّهُ كان يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ[١] :

[من مجزوء الكامل]

الكَلْبُ أَحْسَنُ عِشْرَةً وَهُوَ النِّهايَةُ في الخَساسَهْ
مِمَّنْ يُنازِعُ في الرِّيا سَةِ قَبْلَ إِبَّانِ الرِّياسَهْ[٢]

● ثمَّ قالَ البَيهقيُّ[٣] : وَكانَ الشَّيْخُ الإِمامُ القاضِي أَبو الطَّيِّبِ الطَّبريّ يَقولُ : مَن تَصَدَّرَ قبلَ أَوانِهِ ، فَقد تَصَدَّىٰ لِهَوانِهِ .

● وَقالَ شُعيبُ بنُ حَرْبٍ[٣] : مَن رَضِيَ أَنْ يَكُونَ ذَنَباً ، أَبى الله إلاّ أَنْ يَجْعَلَهُ رَأْساً .

● وَمن مَحاسِنِ شِعْرِ الفَقيهِ مَنصورٍ التَّميميّ المتقدِّم ذِكْرُهُ ـ وَوَفاتُهُ في سَنَةِ سِتٍّ وَثَلاثمئة[٤] ـ قَوْلُهُ[٥] : [من مجزوء الكامل]

لِي حِيْلَةٌ فِيْمَنْ يَنِمْ مُ وَلَيْسَ في الكَذَّابِ حِيْلَهْ
مَنْ كانَ يَخْلُقُ ما يَقُو لُ فَحِيْلَتي فِيهِ قَلِيْلَهْ

● وَلَقد أَجادَ عليُّ بن عبدِ الواحِدِ البَغداديّ ، المعرُوفُ بِصَريعِ الدّلاءِ ،

---

(١) ديوانه ١٨٢ (ضمن مجلّة المجمع الهنديّ مج ٢ ع ١ ـ٢) ، وشعب الإيمان ٦/ ٣٠٤ .
(٢) في أ ، ب : × . . قبل أَوقات الرِّياسَهْ .
(٣) شعب الإيمان ٦/ ٣٠٤ .
(٤) ترجمته في : وفيات الأَعيان ٥/ ٢٨٩ وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ٢٣٨ ونكت الهميان ٢٩٧ وطبقات السّبكيّ ٣/ ٤٧٨ .
(٥) ديوانه ١٦١ .

في قَوْلِهِ[1] : [من الرجز]

مَـنْ فـاتَـهُ العِلْـمُ وَأَخْطـاهُ الغِنـى   فَـذاكَ والكَلْـبُ علـى حَـدٍّ سَـوا

وَهذا البَيتُ آخرُ قَصيدةٍ لَهُ في المُجونِ ، ذَكَرَ فِيها من صَنْعَةِ الغَزَلِ فُنُوناً ، وَلَو لَمْ يَكُنْ لهُ سِواها لَكَفاهُ ، وَهيَ طَويلَةٌ طَنَّانَةٌ ، عجزَ فُحُولُ الشُّعراءِ أَنْ يَزِيدُوا فِيها بَيْتاً واحِداً ، وَتُوفِّيَ في رَجَب ، سنةَ اثْنَتَيْ عَشرةَ وأَربعمئة فَجْأَةً ، بِشَرْقَةٍ لَحِقَتْهُ عِندَ الشَّريفِ البَطْحائيِّ[2] .

● وَذَكَـرَ ابـنُ خلّكـان[3] : أَنَّ الحُسيـنَ بـن أَحمـد ، المعـروف بـابنِ الحَجَّاجِ ، الشَّاعِرَ المَشْهورَ ، لمَّا حَضَرَتْهُ الوَفاةُ[4] أَوْصى بِأَنْ يُدْفَنَ عِندَ رِجْلَي الإِمامِ مُوسى بن جعفر ـ أَحد الأَئِمَّة الاثْنَي عَشَرَ رَضِيَ اللهُ عنهم على رَأْيِ الإمامِيَّة ـ وَأَنْ يُكْتَبَ على قَبْرِهِ ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ [الكهف : ١٨] .

قالَ : وابْنُ الحجَّاجِ ذُو خَلاعَةٍ وَمُجونٍ ؛ قِيلَ : إِنَّهُ دُعِيَ إِلى دَعْوَةٍ ، وَتَأَخَّرَ الطَّعامُ عنهُ ، فقالَ[5] : [من السريع]

يـا ذاهِبـاً فـي دارِهِ جـائِيـاً   مِـنْ غَيْـرِ مَعْنـىً بـل وَلا فـائِـدَهْ
قَـدْ جُـنَّ أَضْيـافُـكَ مـن جُـوعِهِـمْ   فَـاقْـرَأْ عَلَيْهِـمْ سُـورَةَ المـائِـدَهْ

---

(١) وفيات الأَعيان ٣/ ٣٨٤ والوافي بالوفيات ٤/ ٦٢ وفوات الوفيات ٣/ ٤٢٥ .
(٢) ترجمته في مصادر البيت . واسمه في الوافي والفوات وتتمَّة اليتيمة ١/ ١٤ : محمَّد بن عبد الواحد .
(٣) وفيات الأَعيان ٢/ ١٧١ ومعجم الأُدباء ٣/ ١٠٤٧ ـ ١٠٤٨ .
(٤) توفِّي سنة ٣٩١ هـ .
(٥) له في اليتيمة ٣/ ٧٧ ولباب الآداب للثَّعالبيّ ٢/ ١١٥ والإِعجاز والإِيجاز ٢٧٨ وخاصّ الخاصّ ٥٦٠ ومعجم الأُدباء ٣/ ١٠٤٧ وابن خلّكان ٢/ ١٧٠ وبخلاء الخطيب ١٤١ . وبلا نسبة في المستطرف ١/ ٥٣٢ .
ورواية الأَوَّل في أ : × . . . معنى وبلا فائده .

● وَدَعْوَةُ الطَّعامِ ، بِفَتْحِ الدَّالِ ؛ وَأَمَّا قَوْلُ قُطْرُبَ في « مُثَلَّثِهِ »[1] : [من مجزوء الرجز] :

فَقُلْــــتُ : عِنْــــدي دُعْــــوَةٌ

بِضَمِّ الدَّالِ ، فَمَرْدُودٌ عليْهِ . انتهى .

● **فائِدَةٌ** : ذَكَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ في كِتابِ « بَهْجَةِ المَجالِسِ وَأُنْسِ المُجالِسِ »[2] : أَنَّهُ قِيلَ لِجعفر الصَّادِقِ رَضِيَ اللهُ عنه ـ وَهُوَ أَحَدُ الأَئِمَّةِ الاثْنَي عَشَرَ ـ : كَمْ تَتَأَخَّرُ الرُّؤْيا ؟ فَقالَ : خَمْسِينَ سنةً ؛ لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَأَى كَأَنَّ كَلْباً أَبْقَعَ وَلَغَ في دَمِهِ ، فَأَوَّلَهُ بِأَنَّ رَجُلاً يَقْتُلُ الحُسينَ ابْنَ بِنْتِهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَكَانَ الشَّمِرُ بن ذِي الجَوْشَنِ قاتِلَ الحُسَيْنِ ، وَكانَ أَبْرَصَ ؛ فَتَأَخَّرَتِ الرُّؤْيا بعْدَهُ خَمسينَ سنةً ، كما تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ » في « الإِوَزِّ » .

وَفي هذا الكِتابِ أَشْياءُ تَصْلُحُ للمُذاكَرَةِ .

● **مِنْها**[3] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَأَى في مَنامِهِ أَنَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ ، فَرَأَى فِيها عِذْقاً مُدَلًّى ، فَأَعْجَبَهُ فقالَ : « لِمَنْ هذا ؟ » فَقيلَ : هذا لأَبِي جَهْلٍ ؛ فَشَقَّ عليْهِ ﷺ ذلكَ ، فقالَ : « ما لأَبِي جَهْلٍ والجَنَّةَ ! وَاللهِ لا يَدْخُلُها أَبَداً ؛ فإِنَّهُ لا يَدْخُلُها إلاّ نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ » .

فَلَمَّا أَتاهُ عِكْرِمَةُ ابن أَبي جَهْلٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه مُسْلِماً ، فَرِحَ بِهِ ، وَقامَ إِلَيْهِ ، وَتَأَوَّلَ ذلكَ العِذْقَ عِكْرَمَةَ ابْنَهُ .

● **وَمِنْها**[4] : أَنَّ بَعضَ الشَّامِيِّينَ كان عامِلاً لعُمر رَضِيَ اللهُ عنه فقالَ لَهُ :

---

(١) مثلثات قطرب ٦٠ . وتتمَّة البيت فيه : × إِنْ زُرْتُمُ في رجبِ .

(٢) بهجة المجالس ٢/ ١٤٩ ونثر الدُّرِّ ٧/ ٢٥٣ والحيوان ١/ ٣٧١ والمستطرف ٢/ ٤١١ .

(٣) بهجة المجالس ٢/ ١٤٢ وتعبير الرُّؤيا ٧٥ ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ١٣٣ والإِصابة ٤/ ٤٤٤ رقم (٥٦٥٤) وأُسد الغابة ٤/ ٧٣ والمستطرف ٢/ ٤١١ .

(٤) بهجة المجالس ٢/ ١٤٥ وتعبير الرُّؤيا ٧٧ ونثر الدُّرِّ ٧/ ٢٤١ والعقد الفريد ٤/ ٣٢٩ وأَسرار=

يا أَميرَ المُؤمنين ، رَأَيْتُ كأَنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ اقْتَتَلا ، وَمع كُلِّ واحِدٍ منهما فِرْقَةٌ من النُّجُومِ ، فقالَ لَهُ : مع أَيِّهما كُنْتَ ؟ فقالَ : مَعَ القَمَرِ . قالَ : مع الآيَةِ المَمْحُوَّةِ ؟ لا عَمِلْتَ لِي عَمَلاً أَبداً . فَعَزَلَهُ ؛ وَقُتِلَ ذلكَ الرَّجلُ مع مُعاوية رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بِصِفِّينَ .

وَمنها[1] : أَنَّ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها ، رَأَتْ ثَلاثَةَ أَقْمارٍ سَقَطْنَ في حِجْرِها ، فقالَ لَها أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : إِنْ صَدَقَتْ رُؤْياكِ ، فإِنَّهُ يُدْفَنُ في بَيْتِكِ ثَلاثَةٌ من خِيارِ أَهْلِ الأَرْضِ ؛ فَلَمَّا دُفِنَ ﷺ في بَيْتِها ، قالَ لَها أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : هذا أَحَدُ أَقْمارِكِ ، وَهُوَ خَيْرُها . وَفيهِ أَشْياءُ كَثيرةٌ .

● وَكانَ الإمامُ أَبو عُمر يوسف بن [عبد الله بن محمَّد بن] عبد البَرِّ النَّمَريّ القُرطبيُّ ، إمامَ عَصْرِهِ في الحَديثِ وَالأَثَرِ ، وَهوَ أَحَدُ نَقَلَةِ المَذاهِبِ ؛ وَتُوفِّيَ هُوَ والإِمامُ الحافِظُ أَبو بَكرٍ أَحمد بن ثابت الخَطِيْبُ البَغداديُّ الشَّافعيُّ حافِظُ المَشْرِقِ ، في سَنَةِ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ وَأَربعمئة[2] .

● وَمِمَّا يُنْشَدُ للشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى[3] : [من البسيط]

لَيتَ الكِلابَ لَنا كانَتْ مُجاوِرَةً ... وَلَيْتَنا لا نَرى مِمَّنْ نَرى أَحَدا
إِنَّ الكِلابَ لَتَهْدا في مَرابِضِها ... وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهادٍ شَرُّهُمْ أَبَدا

= الحكماء ١٤٣ والإصابة ١/ ٦٥٦ (رقم ١٣٦١) وأُسد الغابة ١/ ٣٧٦ والمستطرف ٢/ ٤١١ . والعامل هو حابس بن سعد الطَّائيّ .

(١) بهجة المجالس ٢/ ١٤٥ وتعبير الرُّؤيا ١١٣ ومحاضرات الرَّاغب ١/ ١٥٠ والمستطرف ٢/ ٤١١ .

(٢) ترجمته في : جذوة المقتبس ٣٦٧ ووفيات الأَعيان ٧/ ٦٦ وسير أَعلام النُّبلاء ١٨/ ١٥٣ والوافي بالوفيات ٢٩/ ٢٢٧ .

(٣) حلية الأَولياء ٩/ ١٤٩ وديوانه ٤٤ (بوطي) و ٢٦ ـ ٢٧ (بيجو) .

● وَفي « المِيزانِ » للذَّهبيِّ[1] : في تَرجمةِ « أَحمد بن زُرارة المَدَنيّ » بسَنَدٍ مُظْلِمٍ ، عن أَنَس بن مالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قالَ : إنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « كَيفَ أَنْتُمْ إذا كان زَمانٌ يَكُونُ الأَميرُ فِيهِ كَالأَسَدِ الأَسْوَدِ ، وَالحاكِمُ فِيهِ كَالذِّئْبِ الأَمْعَطِ ، وَالتَّاجِرُ فِيهِ كَالكَلْبِ الهَرَّارِ ، وَالمُؤْمِنُ بينَهم كَالشَّاةِ الوَلْهى بينَ الغَنَمِ ، لَيْسَ لَها مَأْوى ؟ فَكَيْفَ حالُ شاةٍ بَينَ أَسَدٍ وَذِئْبٍ وَكَلْبٍ ؟ » .

● وَفي « أَمالي أَبي بَكْرٍ القَطيعيِّ » عن أَبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ[2] : صلَّى بِنا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَرَّ بنا كَلْبٌ ، فَما بَلَغَتْ يَدُهُ رِجْلَهُ حتَّى ماتَ ؛ فلمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ من صَلاتِهِ قالَ : « مَنِ الدَّاعي على هذا الكَلْبِ آنِفاً ؟ » فقالَ رَجُلٌ من القَوْمِ : أَنا يا رَسُولَ اللهِ ، فقالَ : « ما قُلتَ ؟ » قالَ : قُلتُ : اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ ، لا إِلَهَ إلاّ أَنْتَ ، المنَّانُ ، بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرْضِ ، يا ذا الجَلالِ والإِكْرامِ ، اكْفِني هذا الكَلْبَ بما شِئْتَ ؛ فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « لَقَدْ دَعا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ ، الذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ ، وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطى » .

وَالحَديثُ في السُّنَنِ الأَربعَةِ .

وَفي « مُسنَدِ الإمامِ أَحمد » وَكتابَي « الحاكِم » و« ابنِ حِبَّانَ » بغيرِ قِصَّةِ الكَلْبِ .

● وَأَفادَ الطَّبرانيُّ من حَديثِ ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ كانَتْ صَلاةَ العَصْرِ يَوْمَ الجُمعَةِ ، وَأَنَّ الرَّجُلَ المذْكُورَ الدَّاعي على هذا الكَلْبِ سَعْدُ بن أَبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « يا سَعْدُ ، لَقَدْ دَعَوْتَ في يَوْمٍ وَساعَةٍ ، بِكَلِماتٍ لو دَعَوْتَ بِهِنَّ على مَن في السَّماواتِ

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٩٨ ولسان الميزان ١/ ٤٦٢ .

(٢) ابن ماجه (٣٨٥٨) والمستدرك ١/ ٥٠٤ والمستطرف ٣/ ٢٦٧ .

والأَرْضِ اسْتُجِيبَ لَكَ ، فَأَبْشِرْ يا سَعْدُ » .

● وَرَوى الإِمامُ أَحمد في « الزُّهْدِ »[1] عن جَعفر بن سُليمان ، قالَ : رَأَيْتُ مع مالِك بن دِينارٍ رَضِيَ اللهُ عنه كَلباً فقُلتُ : ما تَصْنَعُ بِهذا يا أَبا يَحيى ؟ فقالَ : هذا خَيْرٌ من جَلِيسِ السُّوءِ .

● قالَ الحَكيمُ التِّرمذيُّ وغَيْرُهُ[2] : إِنَّ اللهَ تَعالى ، لَمَّا أَهبطَ آدَمَ إِلى الأَرْضِ ، جاءَ إِبْلِيسُ إِلى السِّباع ، فَأَشْلاها على آدَمَ لِتُؤْذِيَهُ ، وَكانَ أَشَدَّها علَيْهِ الكَلْبُ ، فَجاءَ جِبْرِيلُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ على رَأْسِهِ ، فاطْمَأَنَّ إِليهِ وأَلِفَهُ ، وَصارَ مِمَّنْ يَحْرُسُهُ وَيَحرُسُ وَلَدَهُ .

● وَفي « مناقِبِ الإِمامِ أَحمد »[2] : أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلاً من وَراءِ النَّهْرِ ، عِنْدَهُ أَحادِيثُ ثُلاثِيَّةٌ ، فَرَحَلَ الإِمامُ أَحمدُ إِليهِ ، فَوَجَدَ شَيْخاً يُطعمُ كَلْباً ، فَسَلَّمَ علَيْهِ ، فَرَدَّ علَيْهِ السَّلامَ ، ثمَّ اشْتَغَلَ الشَّيْخُ بإِطْعامِ الكَلْبِ ، فَوَجَدَ الإِمامُ في نَفْسِهِ إِذْ أَقْبَلَ الشَّيْخُ على الكَلْبِ وَلَمْ يُقْبِلْ علَيْهِ .

فلمَّا فَرَغَ الشَّيْخُ من طُعْمَةِ الكَلْبِ ، الْتَفَتَ إِلى الإِمامِ أَحمد ، وَقالَ لَهُ : كَأَنَّكَ وَجَدْتَ في نَفْسِكَ ، إِذْ أَقْبَلْتُ على الكَلْبِ وَلَمْ أُقْبِلْ عَلَيْكَ ؟ قالَ : نَعم ؛ فقالَ الشَّيْخُ : حَدَّثَني أَبو الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ قَطَعَ رَجاءَ مَن ارْتَجاهُ ، قَطَعَ اللهُ منهُ رَجاءَهُ يَومَ القِيامَةِ ، فَلَمْ يَلِجِ الجَنَّةَ » .

وَأَرْضُنا هذِهِ لَيْسَتْ بِأَرْضِ كِلابٍ ، وَقَدْ قَصَدَني هذا الكَلْبُ ، فَخِفْتُ أَنْ أَقْطَعَ رَجاءَهُ فَيَقطعَ اللهُ رَجائِي منهُ يَوْمَ القِيامَةِ .

فقالَ الإِمامُ أَحمدُ : هذا الحَديثُ يَكْفيني ، ثمَّ رَجَعَ .

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٨٤ وتفضيل الكلاب ٥٥ .

(٢) المستطرف ٢/ ٥١٨ .

● وَيَقْرُبُ من هذا ، ما في « رِسالَةِ القُشَيْرِيِّ » في « بابِ الجُودِ والسَّخاءِ »[1] : أَنَّ عبدَ اللهِ بن جعفر رَضِيَ اللهُ عنهما ، خَرَجَ إِلى ضَيْعَةٍ لَهُ ، فَنزَلَ على نَخِيلِ قَوْمٍ ، وَفِيها غُلامٌ أَسْوَدُ يَعملُ فِيها ، إِذ أُتِيَ الغُلامُ بغَدائِه ، وَهيَ ثلاثَةُ أَقْراصٍ ، فَرمىٰ بقُرْصٍ منها إِلى كَلْبٍ كان هُناكَ ، فَأَكَلَهُ ؛ ثمَّ رَمى إِلَيْهِ الثَّاني فَأَكلَهُ ، وَالثَّالثَ فَأَكَلَهُ ؛ وعبدُ اللهِ بن جَعفر يَنْظُرُ ، فقالَ : يا غُلامُ ، كَمْ قُوْتُكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قالَ : ما رَأَيْتَ . قالَ : فَلِمَ آثَرْتَ هذا الكَلْبَ ؟ فقالَ : إِنَّ هَذِهِ الأَرْضَ لَيْسَتْ بأَرْضِ كِلابٍ ، وَإِنَّهُ جاءَ من مَسافَةٍ بَعيدَةٍ جائِعاً ، فَكَرِهْتُ رَدَّهُ ؛ فقالَ لَهُ عبدُ اللهِ : فَما أَنْتَ صانِعٌ اليَوْمَ ؟ قالَ : أَطْوي يَومي هذا . فقالَ عبدُ اللهِ بن جَعفر لأَصْحابه : أُلامُ على السَّخاءِ ، وَهذا أَسْخىٰ منِّي ؟ ثمَّ إِنَّهُ اشْتَرى الغُلامَ وأَعْتَقَهُ ، وَاشْتَرى الحائِطَ وَما فِيهِ وَوَهَبَ ذلكَ لَهُ .

● وَتَقَدَّمَ في « باب الحاءِ المهملة » في « الحمار » : أَنَّ الحاكِمَ رَوى عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِذا سَمِعْتُم نُباحَ الكَلْبِ ، وَنَهِيقَ الحِمارِ باللَّيْلِ ، فَتَعَوَّذُوا باللهِ من الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ، فإِنَّها تَرى ما لا تَرَوْنَ ؛ وَأَقِلُّوا الخُرُوجَ إِذا هَدَأَتِ الرِّجْلُ ، فإِنَّ اللهَ تَعالى يَبُثُّ في اللَّيْلِ من خَلْقِهِ ما شاءَ » .

● غَريبَةٌ : في « كِتابِ خَيْرِ البِشَرِ بِخَيْرِ البَشَرِ » عن مالِك بن نُفَيْعٍ ، أَنَّهُ قالَ :

نَدَّ بَعيرٌ لِي ، فَرَكِبْتُ نَجيبَةً لي وَطَلَبْتُهُ ، حتَّى ظَفِرْتُ بِهِ ، فَأَخَذْتُهُ وَانْكَفَأْتُ راجِعاً إِلى أَهْلي ، فَأَسْرَيْتُ لَيْلَتي حتّىٰ كِدْتُ أُصْبِحُ ، فَأَنَخْتُ النَّجِيبَةَ والبَعِيرَ ، وَعَلَفْتُهُما ، وَاضْطَجَعْتُ في ذَرى كَثِيبِ رَمْلٍ ؛ فَلَمَّا كَحَلَني الوَسَنُ ، سَمِعْتُ

(١) الرِّسالة القشيريَّة ٥٠٦ ـ ٥٠٧ وإِحياء علوم الدِّين ٣/ ٢٢٣ والمستجاد ١٧ وتاريخ دمشق ٣٣/ ٤٨ ومختصره ١٢/ ٨٠ ـ ٨١ .

هاتِفاً يَقُولُ : يا مالِكُ ، يا مالِكُ ، لو فَحَصْتَ عن مَبْرَكِ العَوْدِ البارِكِ ، لَسَرَّكَ ما هُنالِكَ .

قالَ : فَثُرْتُ وَأَثَرْتُ البَعِيرَ عن مَبْرَكِهِ ، وَحَفَرْتُ فَعَثَرْتُ على صَنَمٍ في صُورَةِ امْرَأَةٍ ، من صَفاةٍ صَفراءَ كَالوَرْسِ ، مَجْلُوٍّ كَالمِرْآةِ ، فَأَخْرَجْتُهُ وَمَسَحْتُهُ بِثَوْبِي وَنَصَبْتُهُ قائِماً ، فَما تَمالَكْتُ أَنْ خَرَرْتُ لَهُ ساجِداً ، ثُمَّ قُمْتُ فَنَحَرْتُ البَعِيرَ لَهُ ، وَرَشَشْتُهُ بِدَمِهِ ، وَسَمَّيْتُهُ غَلاّباً ، ثُمَّ حَمَلْتُهُ على النَّجِيبَةِ ، وَأَتَيْتُ بِهِ أَهْلِي ؛ فَحَسَدَنِي عليْهِ كَثِيرٌ من قَوْمِي ، وَسَأَلُونِي نَصْبَهُ لهم لِيَعْبُدُوهُ مَعِي ، فَأَبَيْتُ عَليهم ، وَانْفَرَدْتُ بِعِبادَتِهِ ، وَجَعَلْتُ على نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ عَتِيرَةً ؛ وَكانَتْ لِي ثُلَّةٌ من الضَّأْنِ ، فَأَتَيْتُ على آخِرِها .

فَأَصْبَحْتُ يَوْماً لَيسَ لِي ما أَعْتِرُهُ ، وَكَرِهْتُ الإِخْلالَ بِنَذْرِي ، فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ ذلكَ ، فَإِذا هاتِفٌ مِنْ جَوْفِهِ يَقُولُ : يا مالِ يا مالِ ، لا تَأْسَ على مالٍ ؛ سِرْ إِلى طُوى الأَرْقَمِ ، فَخُذِ الكَلْبَ الأَسْحَمَ ، الوالِغَ في الدَّمِ ، ثُمَّ صِدْ بِهِ تَغْنَمْ .

قالَ مالِكٌ : فَخَرَجْتُ من فَوْرِي إِلى طُوى الأَرْقَمِ ، فَإِذا كَلْبٌ أَسْحَمُ ، هائِلُ المَنْظَرِ ، قد وَثَبَ على قَرْهَبٍ ـ يَعْني ثَوْراً وَحْشِيّاً ـ فَصَرَعَهُ ، وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ بَقَرَ بَطْنَهُ ، وَجَعَلَ يَلَغُ في دَمِهِ ؛ فَتَهَيَّبْتُهُ ، ثُمَّ تَجاسَرْتُ ، فَتَقَدَّمْتُ عليْهِ ، وَهُوَ مُقْبِلٌ على عَقِيرَتِهِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيَّ ، فَشَدَدْتُ في عُنُقِهِ حَبْلاً ، ثُمَّ جَذَبْتُهُ فَتَبِعَنِي ، فَأَتَيْتُ راحِلَتِي فَأَثَرْتُها ، وَقُدْتُها إِلى القَرْهَبِ ، وَأَنَخْتُها ؛ فَجَزَرْتُهُ وَحَمَلْتُهُ عليْها ، ثُمَّ قُدْتُها وَسِرْتُ قاصِداً إِلى الحَيِّ ، والكَلْبُ يَلُوذُ بِي ؛ فَعَنَّتْ لِي ظَبْيَةٌ ، فَجَعلَ الكَلْبُ يَثِبُ وَيُجاذِبُنِي الحَبْلَ ، فَتَرَدَّدْتُ في إِرْسالِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ فَمَرَّ كَالسَّهْمِ حتَّى اخْتَطَفَها ، فَأَتَيْتُهُ فَجاذَبْتُهُ إِيَّاها ، فَأَرْسَلَها من يَدَيْهِ ، فاسْتَقَرَّ بِي السُّرُورُ .

وَأَتَيْتُ أَهْلِي ، فَعَتَرْتُ الظَّبْيَةَ لِغَلاّبٍ ، وَوَزَّعْتُ لَحْمَ القَرْهَبِ ، وَبِتُّ بِخَيْرِ

لَيْلَةٍ ، ثمَّ باكَرْتُ بِهِ الصَّيْدَ ، فَلَمْ يَفُتْهُ حِمارٌ ، وَلا ماطَلَهُ ثَوْرٌ ، وَلا اعْتَصَمَ منهُ وَعْلٌ ، وَلا أَعْجَزَهُ ظَبْيٌ ، فَتَضاعَفَ سُرُورِي بِهِ ، وَبالَغْتُ في إِكْرامِهِ ، وَسَمَّيْتُهُ سُحاماً .

فَلَبِثْتُ كذلكَ ما شاءَ اللهُ ، فإِنِّي لَذاتَ يَوْمٍ أَصِيدُ به ، إِذْ بَصُرْتُ بنَعامَةٍ على أُدْحِيِّها ، وَهي قَرِيبةٌ مِنِّي ، فَأَرْسَلْتُهُ عليْها ، فَأَجْفَلَتْ أَمامَهُ ، واتَّبَعْتُها على فَرَسٍ جَوادٍ ، فَلَمَّا كادَ الكَلبُ أَنْ يَثِبَ عليْها ، انْقَضَّتْ عليْهِ عُقابٌ من الجَوِّ ، فَكَرَّ راجِعاً نَحْوِي ، فَصِحْتُ بِهِ فَما كَذَبَ ، وأَمسَكْتُ الفَرَسَ ، فَجاءَ سُحامٌ حتَّى دَخَلَ بينَ قَوائِمِها ، وَنَزَلَتِ العُقابُ أَمامِي على شَجَرَةٍ ، وَقالَتْ : سُحامُ . قالَ الكَلبُ : لَبَّيْكَ ؟ قالَتْ : هَلَكَتِ الأَصْنامُ ، وَظَهَرَ الإِسْلامُ ، فَأَسْلِمْ تَنْجُ بسَلامٍ ، وإِلاّ فَلَيْسَتْ بِدارُ مُقامٍ . ثمَّ طارَتِ العُقابُ ، وَتَبَصَّرْتُ سُحاماً فَلَمْ أَرَهُ ، وَكانَ آخِرَ عَهْدي بِهِ .

قَوْلُهُ : طُوى الأَرْقَمِ : الطُّوى : بِئْرٌ مَطْوِيَّةٌ بالحِجارَةِ . وَالأَسْحَمُ : الأَسْوَدُ ، وَبِهِ سُمِّيَ الكَلْبُ سُحاماً ، فهُوَ فُعالٌ من ذلكَ . وقَوْلُهُ : بنَعامَةٍ على أُدْحِيِّها : أَي المَوْضِعَ الذي فِيهِ بَيْضُها . وَقَوْلُهُ : ما كَذَبَ : أَي ما تَوَقَّفَ وَلا انْثَنى .

● **فائِدَةٌ** : رَوى الحاكِمُ في « المُستدرك »(١) عن عائشةَ أُمِّ المؤمنين رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، قالَت : قَدِمَتِ امْرَأَةٌ من أَهْلِ دُومَةِ الجَنْدَلِ عليَّ ، تَبْتَغي رَسُولَ اللهِ ﷺ بعدَ مَوْتِهِ بِيَسِيرٍ ، تَسْأَلُهُ عن شَيْءٍ دَخَلَتْ فِيهِ من أَمْرِ السِّحْرِ لَمْ تَعْلَمْ بِهِ .

قالت : فَرَأَيْتُها تَبْكِي حِينَ لَمْ تَجِدْ رَسُولَ اللهِ ﷺ حتَّى إِنِّي لأَرْحَمُها من كَثْرَةِ بُكائِها ، وَهي تَقُولُ : إِنِّي أَخافُ أَنْ أَكُونَ قد هَلَكْتُ ؛ فَسَأَلْتُها عن

---

(١) المستدرك ٤/ ١٥٥ ـ ١٥٦ .

قِصَّتِها ؟ فقالَتْ :

كانَ لِي زَوْجٌ قد غابَ عَنِّي ، فدَخَلَتْ عليَّ عَجُوزٌ ، فَشَكَوْتُ لَها حالي ، فقالَتْ : إنْ فَعَلْتِ ما آمُرُكِ بِهِ فإِنَّهُ يَأْتِيكِ بَعْلُكِ . فقُلتُ : إِنِّي أَفعلُ ؛ فَلَمَّا كان اللَّيْلُ جاءَتني بكَلْبَيْنِ أَسْوَدَيْنِ ، فَرَكِبَتْ أَحَدَهُما وَرَكِبْتُ الآخَرَ ، فَلم يَكُنْ بِأَسْرَعَ حتَّى وَقَفْنا ببابِلَ ، فإِذا أَنا بِرَجْلَيْنِ مُعَلَّقَيْنِ بأَرْجُلِهما ، فقالا : ما حاجَتُكِ ؟ وَما جاءَ بِكِ ؟ فقُلتُ : أَتَعَلَّمُ السِّحْرَ ؟ فقالا : إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ ، فَلا تَكْفُري وارْجِعي . فَأَبَيْتُ وَقُلتُ : لا أَرْجِعُ . قالا : فاذْهَبي إِلى ذلكَ التَّنُّورِ فَبُولي فِيهِ ، فذهبْتُ إِلَيْهِ ، فاقْشَعَرَّ جِلْدي ، فَفَزِعتُ منهُ وَلم أَفعلْ ، فرجَعتُ إِليهما ، فقالا لي : فَعَلْتِ ؟ قُلتُ : نَعم . قالا : هل رَأَيْتِ شَيْئاً ؟ قُلتُ : لَمْ أَرَ شَيئاً . فقالا : لَمْ تَفْعلي ، ارْجِعي إِلى بِلادِكِ لا تَكْفُري . فَأَبَيْتُ فقالا : اذْهبي إِلى ذلكَ التَّنُّورِ فَبُولي فِيهِ . فَذهبْتُ إِلَيْهِ ، فاقْشَعَرَّ جِلْدِي ، وَخِفْتُ ؛ ثمَّ رَجعْتُ إِليهما ، فقالا لِي : ما رَأَيْتِ ؟ إِلى أَن قالَتْ : فَذهبْتُ في الثَّالِثَةِ فَبُلْتُ فِيهِ ، فَرَأَيْتُ فارِساً مُقَنَّعاً بالحَديدِ ، خَرَجَ مِنِّي حتَّى ذَهَبَ في السَّماءِ ؛ فَأَتَيْتُهُما فَأَخْبَرْتُهما ، فقالا : صَدَقْتِ ، ذاكَ إِيمانُكِ خرجَ مِنْكِ ، اذْهَبي .

فَقُلتُ للمَرْأَةِ : وَاللهِ ما عَلِمْتُ شَيْئاً ، وَلا قالا لي شَيْئاً ، فقالَتْ لِي : بَلى ، لن تُريدي شَيْئاً إِلاّ كانَ ؛ خُذي هذا القَمْحَ فابْذُرِيهِ . فَأَخَذْتُهُ فَبَذَرْتُهُ وَقُلتُ لَهُ : اطْلَعْ ، فَطَلَعَ ؛ ثمَّ قُلتُ : اسْتَحْصِدْ ، فَاسْتَحْصَدَ ؛ ثمَّ قُلتُ : انْطَحِنْ ، فانْطَحَنَ ؛ ثمَّ قُلتُ : انْخَبِزْ ، فانْخَبَزَ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنِّي لا أَقُولُ شَيْئاً إِلاّ كانَ ، سُقِطَ في يَدي ، فَنَدِمْتُ وَاللهِ يا أُمَّ المُؤمنين ، ما فَعَلْتُ شَيئاً قَطُّ ، وَلا أَفْعَلُهُ أَبَداً ؛ فَسَأَلَتْ أَصْحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَما دَرَوْا ما يَقُولُونَ لَها ، وَكُلُّهم هابَ أَن يُفْتِيَها بما لا يَعْلَمُ ، إِلاّ أَنَّهُم قالُوا لها : لو كان أَبَواكِ حَيَّيْنِ ، أَو أَحَدُهُما ، لَكانا يَكْفِيانِكِ .

ثمَّ قالَ الحاكمُ : حَديثٌ صَحيحٌ . انتهى .

قالَ هِشامُ بن عُروة ، وهو راوي الحَديثِ ، عن أَبيهِ ، عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها : إِنَّهم كانُوا ـ أَي الصَّحابَةَ رَضِيَ اللهُ عنهم ـ أَهْلَ وَرَعٍ وَخَشْيَةٍ للهِ ، وَبُعْدٍ من التَّكَلُّفِ والجَراءَةِ عَلى اللهِ ، فَلِذلكَ أَمْسَكُوا عن الفُتْيا لَها ؛ وَلو جاءَتْنا اليَومَ لَوَجَدَتِ الأَمْرَ بِخِلافِ ذلكَ .

● قالَ بعضُ الحَنابِلَةِ : قُلتُ : فقد بانَ بهذا أَنَّ السِّحْرَ والإيْمانَ لا يَجْتَمِعانِ في قَلْبٍ ، وَلا يَصيرُ ساحِراً وَفي قَلْبِهِ إِيْمانٌ ؛ فاعْتَبِرْ بحالِ هذِهِ المَرْأَةِ المِسْكِيْنَةِ ، كَيفَ أَلْقاها الشَّيْطانُ وَالهَوى والنَّفْسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ في وَرْطَةِ هَلَكَةٍ لا تُجْبَرُ مُصِيْبَتُها ؛ وَهذا دَأْبُ المَعاصِي ، تُنَكِّسُ الرُّؤُوسَ ، وَتُوجِبُ الحُبُوسَ ، وَتُضاعِفُ البُؤُوسَ .

● وَلقد أَحْسَنَ القائِلُ حيثُ قالَ[1] : [من الطويل]

إذا ما دَعَتْكَ النَّفْسُ يَوْماً لِحاجَةٍ ... وَكانَ عَلَيْها للخِلافِ طَرِيقُ
فَخالِفْ هَواها ما اسْتَطَعْتَ فإِنَّما ... هَواها عَدُوٌّ وَالخِلافُ صَدِيقُ

● تَذنيبٌ : لِلسِّحْرِ حَقيقَةٌ وَتَأْثِيرٌ ؛ وَقيلَ : لا ؛ وَالصَّحيحُ أَنَّ الصَّوابَ الأَوَّلُ ، دَلَّ عليْهِ ظاهِرُ القُرآنِ والسُّنَّةِ .

قالَ المازَرِيُّ : اختلَفَ العُلماءُ في القَدْرِ الذي يَقَعُ بِهِ السِّحْرُ ، وَلهم فِيهِ اضْطِرابٌ ؛ فقالَ بعضُهم : لا يَزيدُ تَأْثِيرُهُ على قَدرِ التَّفْرِيقِ بينَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ ، لأَنَّ اللهَ تَعالى إِنَّما ذَكَرَ ذلكَ تَعْظِيماً لِما يَكُونُ عندَهُ ، وَتَهْوِيلاً لَهُ في حَقِّنا ؛ فَلَو وَقَعَ بِهِ أَعْظَمُ منهُ لَذَكَرَهُ ، لأَنَّ المَثَلَ لا يُضْرَبُ عندَ المُبالَغَةِ إِلاّ بِأَعْلى أَحْوالِ المَذْكُورِ .

وَمَذْهَبُ الأَشْعَرِيِّينَ : أَنَّهُ يَجُوزُ أَن يَقعَ بِهِ أَكثرُ من ذلكَ .

قالَ : وَهذا هُوَ الأَصَحُّ ، لأَنَّهُ لا فاعِلَ إِلاّ اللهُ تَعالى ؛ وَما وَقَعَ من ذلكَ

---

(١) البيتان بلا نسبة في روض الرَّياحين ٤١٠ .

فهو عادَةٌ أَجْراها اللهُ تَعالى ، وَلا تَفترقُ الأَفْعالُ في ذلكَ ، وَلَيْسَ بعضُها أَوْلى من بَعضٍ .

وَلو وَرَدَ الشَّرْعُ بِقُصورِهِ عن مَرْتَبَةٍ ، لَوَجَبَ المَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ وَلكن لا يُوجَدُ شَرْعٌ قاطِعٌ بِوُجُوبِ الاقْتِصارِ على ما قالَهُ القائِلُ الأَوَّلُ .

وَذِكْرُ التَّفْرِقَةِ بينَ الزَّوْجَيْنِ في الآيَةِ ، لَيْسَ بِنَصٍّ في مَنْعِ الزِّيادَةِ ، وإِنَّما النَّظَرُ في أَنَّهُ ظاهِرٌ أَم لا ؟ .

فإِنْ قِيلَ : إِذا جَوَّزَتِ الأَشْعَرِيَّةُ خَرْقَ العادَةِ على يَدِ السَّاحِرِ ، فِبِمَ يَتَمَيَّزُ عن النَّبيِّ ؟ .

فَالجَوابُ : إِنَّ العادَةَ تَنْخَرِقُ على يَدِ النَّبيِّ والوَلِيِّ والسَّاحِرِ ، لكنَّ النَّبيَّ يَتَحَدَّىٰ الخَلْقَ بِها وَيَسْتَعْجِزُهُم عن الإِتْيانِ بِمِثْلِها ، وَيُخبرُ عن اللهِ تَعالى بِخَرْقِ العادَةِ بها لِتَصْدِيقِهِ ، فلو كان كاذِباً لَمْ تَنخرِقْ على يَدَيْهِ ، وَلو خَرَقَها اللهُ تَعالى على يَدِ كاذِبٍ ، لَخَرَقَها على يَدِ المُعارِضِينَ لِلأَنْبياءِ .

وَأَمَّا الوَلِيُّ وَالسَّاحِرُ ، فَلا يَتَحَدَّيانِ الخَلْقَ ، وَلا يَسْتَدِلاّنِ على نُبُوَّةٍ ؛ وَلو ادَّعَيا شَيئاً من ذلكَ لَمْ تَنْخَرِقِ العادَةُ لَهُما .

وَأَمَّا الفَرْقُ بَينَ الوَلِيِّ والسَّاحِرِ ، فَمِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهما ـ وَهُوَ المَشْهُورُ بِإِجْماعِ المُسلمين ـ على أَنَّ السِّحْرَ لا يَظهرُ إِلاّ على يَدِ فاسِقٍ ، وَالكَرامَةُ لا تَظهرُ إِلاّ على يَدِ وَلِيٍّ ، وَلا تَظهرُ على يَدِ فاسِقٍ ؛ وَبهذا جَزَمَ إِمامُ الحَرَمينِ وَأَبُو سَعيد المُتَوَلِّي وَغيرُهما .

وَالثَّاني : أَنَّ السِّحْرَ يَكُونُ ناشِئاً بِفِعْلٍ وَمَزْجٍ وَمُعاناةٍ وَعِلاجٍ ، وَالكَرامَةُ لا تَفتقِرُ إِلى ذلكَ ، وَفي كَثِيرٍ من الأَوْقاتِ يَقَعُ ذلكَ اتِّفاقاً من غيرِ أَنْ يَسْتَدْعِيَهُ أَو يَشعُرَ بِهِ ؛ وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

وَأَمَّا ما يَتَعَلَّقُ بِالمَسْأَلَةِ من فُرُوعِ الفِقْهِ ، فَتَعَلُّمُ السِّحْرِ وَتَعْليمُهُ : حَرامٌ على

الصَّحيح ؛ وَالصَّوابُ عَدَمُ جَوازِ تَعْليمِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ يُريدُ تَعَلُّمَهُ .

وَقالَ القاضِي حُسين وإبراهيم المَرْوَزيّ : إنْ كان في تَعْلِيمِهِ تَرْكُ طاعَةٍ للهِ عَزَّ وَجَلَّ : لا يَجُوزُ ؛ وإِنْ لَمْ يَكُنْ ، فإِنْ قَصَدَ بتَعَلُّمِهِ دَفْعَ ضَرَرَ سِحْرِ النَّاسِ عن نَفْسِهِ جازَ ، وإِنْ قَصَدَ تَعَلُّمَهُ لِيَسْحَرَ النَّاسَ ، لَمْ يَجُزْ . انتهى .

وَالخِلافُ فيما إذا كان لا يَتَوَقَّفُ على اعْتِقادِ كُفْرٍ أَو مُباشَرَةِ مَحْظُورٍ ، كَتَرْكِ صَلاةٍ وَغَيرِها ؛ أَمَّا إذا تَوَقَّفَ على ذلكَ ، فَتَعَلُّمُهُ حَرامٌ بالإِجْماعِ .

وَالسِّحْرُ من الكَبائِرِ ؛ وَمذهبُ مالِكٍ وَأَبي حَنيفةَ وَأَحمد : أَنَّ السَّاحِرَ يَكفرُ ، لِقولِهِ تَعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ [البقرة : ١٠٢] لأَنَّهم إنَّما نَسَبُوا سُليمانَ عليْهِ السَّلامُ إلى السِّحْرِ لا إِلى الكُفْرِ ؛ وَلِقولِهِ تَعالى حِكايَةً عن المَلَكَيْنِ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وَمَذْهَبُ الشَّافعيِّ : أَنَّهُ لا يَكْفُرُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ فيهِ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يَقْتَضِي الكُفْرَ .

قالَ الرَّافعيُّ : وَمَنِ اعْتَقَدَ إباحَتَهُ فهوَ كافِرٌ .

وَقالَ ابْنُ الصَّبَّاغِ : إِنِ اعْتَقَدَ التَّقَرُّبَ إِلى الكَواكِبِ السَّبْعَةِ ، وَأَنَّها تُجيبُ إِلى ما يَقْتَرِحُ مِنْها ، فهو كافِرٌ .

وَعَنِ القَفَّالِ : أَنَّهُ لو قالَ : أَنا أَفْعَلُ السِّحْرَ بِقُدرتي دُونَ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى ، فهو كافِرٌ .

وَلَوْ تابَ السَّاحِرُ ، قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ عِندَ الشَّافعيِّ رحمهُ اللهُ .

وَقال مالِكٌ رحمهُ اللهُ : السِّحْرُ زَنْدَقَةٌ ؛ فإِنْ قالَ : أَنا أُحْسِنُ السِّحْرَ ، قُتِلَ ؛ وَلا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ ، كما لا تُقْبَلُ تَوْبَةُ الزِّنْدِيقِ .

وَعَن أَبي حَنيفةَ رحمهُ اللهُ مِثْلَهُ . وَعَنِ الإِمامِ أَحمد رحمهُ اللهُ رِوايَتانِ كَالمَذْهَبيْنِ .

وَقالَ أَبُو حَنيفةَ رَضِيَ اللهُ عنه : إِنَّ المَرْأَةَ السَّاحِرَةَ تُحْبَسُ وَلا تُقْتَلُ ، وَأَمَّا السَّاحِرُ الذِّمِّيُّ ، فَلا يُقْتَلُ إِلاّ أَنْ يَضُرَّ بِالمُسْلِمينَ ، فَيُقْتَلُ لِنَقْضِهِ العَهْدَ ؛ وَقالَ أَبُو حَنيفةَ رَضِيَ اللهُ عنه : يُقْتَلُ مُطْلَقاً .

وَيُقالُ للرَّجُلِ المَسْحُورِ : مَطْبُوبٌ ؛ يُقالُ : طُبَّ الرَّجُلُ ، إذا سُحِرَ ، فَكَنَوْا بِالطِّبِّ عن السِّحْرِ ، كما كَنَوا بِالسَّلِيمِ عن اللَّديغ .

قالَ ابْنُ الأَنباريِّ[1] : الطِّبُّ من الأَضْدادِ ، يُقالُ لِعِلاجِ الدَّاءِ : طِبٌّ ، وَللسِّحْرِ طِبٌّ ، وَهُوَ من أَعْظَمِ الأَدْواءِ ؛ وَرَجُلٌ طَبِيبٌ : أَي حاذِقٌ ؛ سُمِّيَ طَبيباً لِحِذْقِهِ وَفِطْنَتِهِ ، وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

● **فائِدَةٌ أَدَبِيَّةٌ**[2] : دَخَلَ أَبو العَلاءِ المَعَرِّيُّ يَوْماً على الشَّرِيفِ المُرتَضى ، فَعَثَرَ بِرَجُلٍ ، فقالَ لَهُ الرَّجُلُ : من هذا الكَلْبُ ؟ فقالَ أَبُو العَلاءِ : الكَلْبُ من لا يَعْرِفُ لِلْكَلْبِ سَبْعينَ اسْماً[3] . فَقَرَّبَهُ المُرْتَضى ، واخْتَبَرَهُ فَوَجَدَهُ عَلاّمَةً .

ثمَّ جَرى ذِكْرُ المُتَنَبِّي يَوْماً ، فَتَنَقَّصَهُ الشَّرِيفُ المُرتَضَى وَذَكَرَ مَعايِبَهُ . فقال المَعَرِّيُّ : لو لَمْ يَكُنْ لِلمُتَنَبِّي من الشِّعْرِ إِلاّ قَوْلَهُ[4] : [من الكامل]

لَكِ يا مَنازِلُ في القُلُوبِ مَنازِلُ

لَكَفاهُ فَضْلاً وَشَرَفاً ؛ فَغَضِبَ الشَّرِيفُ المُرْتَضي ، وَأَمَرَ بِسَحْبِهِ بِرِجْلِهِ ،

---

(١) الأَضداد لابن الأَنباري ٢٣١ .

(٢) معجم الأُدباء ١/٣٠٢ والوافي بالوفيات ٧/٩٧ ونكت الهميان ١٠٣ والبداية والنِّهاية ١٥/٧٤٦ وبغية الوعاة ١/٣١٦ وشذرات الذهب ٥/٢١١ ـ ٢١٢ وتعريف القدماء ٧٦ و ٢٦٦ ـ ٢٦٧ و ٢٨٧ و ٢٩٩ و ٣٠٢ و ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٤٩ و ٣٥٤ .

(٣) جمع الإمام السيوطيّ أَسماء الكلب السَّبعين في أَرجوزته « التَّبَرِّي من معرَّة المعرِّي » وهي منشورة ضمن تعريف القدماء ٤٢٩ وما بعد . ثمَّ نشرها العلاَّمة أَحمد تيمور في كتابه « أَبو العلاء المعرّي » ٢٣ وما بعد .

(٤) ديوانه ٣/٢٤٩ وعجزه : أَقْفَرْتِ أَنتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَواهِلُ .

وَإِخْراجِهِ من مَجْلِسِهِ ، ثمَّ قالَ لِمَنْ يَحضرُ مَجْلِسَهُ : تَدرُونَ أَيَّ شَيْءٍ أَرادَ هذا الأَعْمى بِذِكْرِ هَذِهِ القَصِيدَةِ ، وَلِلمُتَنَبِّي أَجْوَدُ منها وَلَمْ يَذْكُرْهُ ؟ قالُوا : لا . قالَ : إِنَّما أَرادَ أَنْ يَذُمَّني بِقَوْلِهِ فِيها :

وإِذا أَتَتْكَ مَذَمَّتي من ناقِصٍ   فَهِيَ الشَّهادَةُ لِي بِأَنِّي كامِلُ

● وَسُئِلَ شَيخُ الإِسلامِ تَقِيُّ الدِّينِ ابن دَقيق العيدِ عن أَبي العَلاءِ المَعَرِّيِّ ، فقالَ : هُو في حَيْرَةٍ . وَهذا أَحْسَنُ ما قِيلَ فِيهِ .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : قالَ أَبُو نُواسٍ ، الحسنُ بن هانىء في طَرْدِيَّتِهِ[1] : [من الرَّجز]

أَنْعَتُ كَلْباً أَهْلُهُ في كَدِّهِ   قَدْ سَعِدَتْ جُدُودُهُمْ بِجَدِّهِ
فَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ من عِنْدِهِ   وَكُلُّ رِفْدٍ نالَهُمْ من رَفْدِهِ
يَظَلُّ مَوْلاهُ لَهُ كَعَبْدِهِ   يَبِيْتُ أَدْنى صاحِبٍ من مَهْدِهِ
إِذا عَرى جَلَّلَهُ بِبُرْدِهِ   ذا غُرَّةٍ مُحَجَّلاً بِزَنْدِهِ
تَلَذُّ مِنْهُ العَيْنُ حُسْنَ قَدِّهِ   يا حُسْنَ شِدْقَيْهِ وَطُولَ خَدِّهِ

● قِيلَ[2] : دَخلَ أَبو بَكرٍ الخالِديُّ على الخَليفَةِ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً امْتَدَحَهُ بها ، فَأَجازَهُ ؛ وَكانَ بينَ يَدَيْهِ صَحْنُ يَشَمٍ أَزْرَقُ ، فَلَمَحَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَعْطاهُ الخَلِيفَةُ إِيَّاهُ ، فَخَرَجَ من عِنْدِهِ وَهُوَ مَسْرُورٌ ، فَمَرَّ على أَبي الفَتْحِ ابن خالَوَيْهِ[3] ، فَهَنَّأَهُ أَبُو الفَتْحِ بِذلكَ .

---

(١) ديوانه ٢/ ١٧٩ (فاغنر) .

(٢) وهذا من أَوهام الدَّميريّ رحمهُ اللهُ . فالقصَّة حدثت بين السَّلاميّ الشَّاعر وعضد الدَّولة البويهيّ . الهفوات النَّادرة ١٧٠ ـ ١٧١ وأَخبار الأَذكياء ٥٦ وأَخبار الظراف والمتماجنين ٤٣ .

(٣) كنية ابن خالويه : أَبو عبد الله ! ! . ولم يُذكر ابن خالويه في مصادر الخبر ؛ وفيها : فمرَّ على أُستاذه .

فَلَمَّا أَصْبَحَ جاءَ إِلى الخِدْمَةِ ، فقالَ لَهُ الخَليفَةُ : كَيفَ حالُكَ ؟ وَكَيفَ كان مَبِيْتُكَ ؟ قالَ : بخيرٍ ، وَدَعا لَهُ ، وَقالَ : بِتْنا نَدْعُو لِمَوْلانا أَميرِ المُؤمنين ، وَبِتُّ أَتَفَنَّنُ في الصَّحْنِ ، وَأَتَمَلىٰ بِحُسْنِه ، فَأَضَفْتُهُ إِلى صَدَقاتِ مَوْلانا وَرِفْدِهِ ، « وَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَنا من عِنْدِهِ » .

فَتَنَمَّرَ أَميرُ المُؤمنين ، وَاسْتَشاطَ غَضباً ، وَزَجَرَهُ ؛ فَخرجَ من عِنْدِهِ حَزيناً كَئِيباً ، فَمَرَّ على ابْنِ خالَوَيْه ، فَسَأَلَهُ عن السَّبَبِ ، وَما الخَبَرُ ؟ فَأَخْبَرَهُ بما قالَ . فقالَ لَهُ أَبُو الفَتْح : أَوَ قُلْتَها ؟ فقالَ : نَعم . فقالَ : أَيْنَ أَنْتَ ؟ أَتَجْعَلُ أَميرَ المُؤمنينَ كَلْباً ؟ أَيْنَ ذَهَبَ عَقْلُكَ ؟ أَوَ ما سَمِعْتَ قَوْلَ أَبي نُواسٍ في طَرْدِيَّتِه :

فَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِن عِنْدِهِ وَكُلُّ رِفْدٍ نالَهُمْ مِن رِفْدِهِ

فَكادَ الخالديُّ أَن يَمُوتَ فَزَعاً ؛ ثمَّ قالَ لَهُ : عَرِّفْني كَيفَ المَخْلصُ ؟ قالَ : تَمارَضْ مُدَّةً ، ثمَّ أَظْهِرْ أَنَّكَ شُفِيتَ ، ثمَّ تَأْتي أَميرَ المُؤمنين ، فإذا سَأَلَكَ عن سَبَبِ مَرَضِكَ ، فَقُلْ لَهُ : طَالَعْتُ طَرْدِيَّةَ أَبي نُواسٍ ؛ فلمَّا فَعَلَ ذلكَ رَضِيَ عنهُ أَميرُ المؤمنين .

● **فائِدَةٌ أُخرى** : اخْتَلَفُوا في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف : ١٨] .

أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ على أَنَّ كَلْبَ أهل الكَهْفِ ، كان من جِنْسِ الكِلابِ .

● وَرُوِيَ عن ابْنِ جُرَيْج أَنَّهُ قالَ : كان أَسَداً ، وَيُسَمَّى الأَسَدُ كَلْباً ، لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعا على عُتْبَةَ بن أَبي لَهَبٍ أَن يُسَلِّطَ اللهُ عليْهِ كَلْباً من كِلابِهِ ، فَأَكَلَهُ الأَسَدُ[1] .

---

(١) مضى في « الأسد » .

● وَاخْتَلَفُوا في لَوْنِه[1] ؛ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : كان كَلْباً أَغْبَرَ ؛ وَفي رِوايَةٍ عنهُ : أَحْمَرَ ، وَاسْمُهُ قِطْمير ؛ وَقالَ مُقاتِلٌ : كان أَصْفَرَ ؛ وَقالَ القُرْطبيُّ : صُفْرَتُهُ تَضْرِبُ إِلى الحُمْرَةِ ؛ وَقالَ الكَلْبيُّ : كان خَلَنْجِيَّ اللَّوْنِ ؛ وَقيلَ : كان لَوْنُهُ لَوْنَ السَّماءِ ؛ وَقِيلَ : كان أَبْلَقَ ، أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ وَأَحْمَرَ .

● وَقالَ عليُّ بن أَبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ[2] : اسْمُهُ رَيَّانُ ؛ وَقالَ الأَوزاعيُّ : مُشيرٌ ؛ وَقالَ سَعيد الحمَّال : حَرَّان ؛ وَقالَ عبدُ اللهِ بن سَلام : بَسِيطٌ ؛ وَقالَ كَعْبُ الأَحْبارِ : صَيْها ؛ وَقالَ وَهْبٌ : نقيا .

وَقِصَّةُ الإِمام مالِكٍ في ذلكَ مَشْهُورَةٌ مَعرُوفَةٌ .

● وَقالَ فرقةٌ : كان رَجُلاً طَبَّاخاً لهم ؛ حَكاهُ الطَّبريُّ[2] .

وَقالتْ فِرْقَةٌ[3] : كان أَحَدَهُم ، وَكانَ قد قَعَدَ عندَ بابِ الغارِ طَليعَةً لَهم ، فَسُمِّيَ بِاسْمِ الحَيَوانِ المُلازِمِ لِذلكَ المَوْضِعِ من النَّاسِ ، كَما سُمِّيَ النَّجْمُ التَّابِعُ للجَوْزاءِ كَلْباً ، لأَنَّهُ منها كَالكَلْبِ من الإِنْسانِ .

وَهذا القَوْلُ يُضْعِفُهُ بَسْطُ الذِّراعَيْنِ ، فإِنَّهُ في العُرْفِ من صِفَةِ الكَلْبِ .

● وَحَكى أَبو عُمر المُطَرِّز في « كِتابِ اليواقيت » وَغيره[2] : أَنَّ جَعفرَ بن محمَّد الصَّادِق قَرَأَ ﴿ وَكالِبُهُم ﴾ ، فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ يُرِيدُ هذا الرَّجُلَ .

● وَقالَ خالدُ بنُ مَعْدان : لَيْسَ في الجَنَّةِ من الدَّوابِّ ، سِوى كَلْبِ أَهْلِ الكَهْفِ ، وَحِمارِ العُزَيْرِ ، وَناقَةِ صالِحٍ .

---

(١) ترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ١٠ .

(٢) ونقله ابنُ عسكر عن المهدويّ (التَّرويح ٢/ ١١) ، وتفسير الطبري ١٥/ ١٩١ ـ ١٩٢ .

(٣) التَّرويح ٢/ ١١ .

● وَقد تَقَدَّمَ في أَوائِلِ « باب السِّينِ المُهملَةِ » في « السَّبع » الكَلامُ على قَوْلِه تَعالى : ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ونزيدُ هنا أَنَّ قَولَهُ تعالى : ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [الكهف : ٢٢] أَنَّ المُثْبَتَ في حَقِّ اللهِ تَعالى الأَعْلَمِيَّة ، وَفي حَقِّ القَليلِ العالِميَّة ؛ فَلا تَعارُضَ بَيْنَهُما .

● قالَ ابْنُ عَطِيَّةَ المُفَسِّر : حَدَّثَني أَبي ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبا الفَضْلِ ابنَ الجَوْهِريّ في سنةِ تِسع وَسِتِّين وأَربعمئةٍ يقولُ : إِنَّ مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الخَيْرِ نالَ من بَرَكَتِهم ؛ كَلْبٌ أَحَبَّ أَهْلَ فَضْلٍ وَصَحِبَهُم ، فَذَكَرَهُ اللهُ في القُرآنِ مَعَهُم .

وَأَمَّا الوَصِيْدُ : فاخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِيهِ ؛ فقالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : الوَصِيْدُ : فِناءُ الكَهْفِ ؛ وَهُوَ قَوْلُ مُجاهِدٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

وَقالَ سَعيدُ بنُ جُبيرٍ : الوَصِيْدُ : التُّرابُ . وَرُوِيَ عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما أَيْضاً .

وَقالَ السُّدِّيُّ : البابُ ، وَهو رِوايَةٌ عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أَيْضاً . وَأَنْشَدَ في ذلكَ(١) : [من الطويل]

بِأَرْضٍ فَضاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيْدُها عَلَيَّ وَمَعْروفي بِها غَيْرُ مُنْكَرِ

أَي : بابُها .

وَقالَ عطاءٌ: الوَصِيْدُ: عَتَبَةُ البَابِ. وَقالَ القُتَبيُّ: هُوَ البِناءُ الذي من فَوقِهِ وَمِنْ تَحْتِه . مَأْخُوذٌ من قَولِهم : أَوْصَدْتُ البابَ ، وَآصَدْتُهُ ، أَي : أَغْلَقْتُهُ وَأَطْبَقْتُهُ. ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ يا محمَّد ﴿ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ أَي: هَرَباً ﴿ وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ لِما أَلْبَسَهُمُ اللهُ من الهَيْبَةِ ، حتَّى لا يَصِلَ إِليهم واصِلٌ ؛ مَنَعَهُم بِالرُّعْبِ لِئَلاّ يَراهُم أَحَدٌ ؛ وَقِيلَ : إِنَّما ذلكَ من وَحْشَةِ المَكانِ الذي هُم فِيهِ .

---

(١) البيت بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٤٧٦ . ونسبه شارح شواهده ٤١٠ إلى زهير ، وليس في ديوانه .

● وَرُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قالَ : غَزَوْنا مع مُعاوية غَزْوَةَ المَضيقِ نحوَ الرُّومِ ، فَمَرَرْنا بالكَهْفِ الذي فِيهِ أَصْحابُ أَهْلِ الكَهْفِ الذينَ ذَكَرَهُم اللهُ في القُرآنِ ، فقالَ مُعاويةُ : لو كُشِفَ لَنا عن هَؤُلاءِ فَنَظَرْنا إِلَيْهم ؛ فَقُلْتُ لَهُ : لَيسَ لَكَ ذلِكَ ، قد مَنَعَ اللهُ ذلكَ من هُوَ خَيْرٌ منكَ ؛ فقالَ تَعالى : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ فقالَ مُعاويةُ : لا أَنْتَهي حتَّى أَعْلَمَ عِلْمَهُمْ ؛ ثمَّ بَعَثَ ناساً لِيَنْظُرُوا فقالَ : اذْهَبُوا فادْخُلُوا الكَهْفَ ؛ فَذَهَبُوا ، فلمّا دَخَلُوا الكَهْفَ بَعَثَ اللهُ عليْهم رِيْحاً فَأَخْرَجَتْهُم .

● وَذَكَرَ الثَّعلبيُّ وغيرُهُ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سَأَلَ اللهَ أَنْ يُرِيَهُ إِيَّاهُم ، فقالَ تَعالى : إِنَّكَ لَنْ تَراهُم . وقالَ : ابْعَثْ إِليهم أَرْبَعَةً من كِبارِ أَصْحابِكَ لِيُبَلِّغُوهُم رِسالَتَكَ ، وَيَدْعُوهُم إِلى الإِيْمانَ بكَ ؛ فقالَ النَّبيُّ ﷺ لِجبريلَ : كَيفَ أَبْعَثُ إِليهم ؟ فقالَ لَهُ جِبريلُ عليْهِ السَّلامُ : ابْسُطْ كِساءَكَ ، وَأَجْلِسْ على طَرَفٍ من أَطْرافِهِ أَبا بَكْرٍ ، وَعلى الطَّرَفِ الثَّاني عُمر ، وَعلى الطَّرَفِ الثَّالِثِ عُثْمان ، وَعلى الطَّرَفِ الرَّابِعِ عَلِيّاً ؛ ثُمَّ ادْعُ الرِّيْحَ الرُّخاءَ المُسَخَّرَةَ لِسُلَيْمانَ ، فإِنَّ اللهَ يَأْمُرُها أَنْ تُطِيعَكَ ؛ ففَعَلَ ذلكَ ﷺ ، فَحَمَلَتْهُمُ الرِّيْحُ إِلى بابِ الكَهْفِ ، فَقَلَعُوا منهُ حَجَراً ، فَحَمَلَ عليهمُ الكَلْبُ ؛ فلمَّا رآهُم حَرَّكَ رَأْسَهُ ، وَبَصْبَصَ إِليهم ، وَأَوْمَأَ إِليهم برَأْسِهِ أَنِ ادْخُلوا ، فَدَخَلُوا الكَهْفَ فقالُوا : السَّلامُ عليكُم وَرَحمةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ ؛ فَرَدَّ اللهُ إِلى الفِتْيَةِ أَرْواحَهُم ، فقامُوا بِأَجْمَعِهِم فقالُوا : وَعَليكُمُ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ ؛ فقالُوا : مَعْشَرَ الفِتْيَةِ ، إِنَّ النَّبيَّ محمَّد بن عبد اللهِ ﷺ يَقْرَأُ عليْكُمُ السَّلامَ ؛ فقالُوا : وَعلى محمَّدٍ السَّلامُ ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ ، وَعليكم بِما أَبْلَغْتُم ؛ وَقَبِلُوا دِيْنَهُ ثمَّ قالُوا : اقْرَؤُوا على محمَّدٍ ﷺ مِنَّا السَّلامَ ، وَأَخَذُوا مَضاجِعَهُم ، وَصارُوا إِلى رَقْدَتِهم إِلى آخِرِ الزَّمانِ عِندَ خُرُوجِ المَهْدِيِّ .

فَيُقالُ : إِنَّ المَهْدِيَّ يُسَلِّمُ عليْهِم ، فَيُحْيِيهُمُ اللهُ ، وَيَرُدُّونَ عليْهِ السَّلامَ ، ثُمَّ يَرجِعُونَ إِلى رَقْدَتِهِم ، فَلا يَقُومُونَ حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ .

ثمَّ رَدَّتْهُمُ الرِّيحُ ، فقالَ لَهُمُ النَّبيُّ ﷺ : كَيفَ وَجَدْتُموهُم ؟ فَأَخْبرُوهُ الخَبَرَ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ لا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَصْحابي وأَنصارِي ، واغْفِرْ لِمَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ أَهْلَ بَيْتِي وَخَاصَّتِي » .

● واختُلِفَ في سَبَبِ مَصيرِهم إِلى الكَهْفِ . فقالَ محمَّد بنِ إِسْحاق[1] : مَرِجَ أَهْلُ الإِنْجيلِ ، وَعَظُمَتْ فِيهم الخَطايا ، وَأَطْغَتْهُمُ الجِنُّ ، حتَّى عَبَدُوا الأَصْنامَ ، وَذَبَحُوا للطَّواغِيتِ ، وَكانَت فيهم بَقايا على دِيْنِ المَسيحِ يَعْبدُونَ اللهَ[2] ، وَكانَ مَلِكُهُم اسْمُهُ دقيانوس ، وَكانَ قد عَبَدَ الأَصْنامَ ، وَذَبَحَ للطَّواغيتِ ، حتَّى نَزَلَ مَدينَةَ أَصْحابِ الكَهْفِ ، وَهي أَفْسوس ، فهربَ منهُ أَهْلُ الإِيْمانِ .

وَكانَ حِينَ قَدِمَها أَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ لَهُ أَهْلُ الإِيْمانِ ، فَمَنْ وَقَعَ بهِ خَيَّرَهُ بينَ القَتْلِ وعِبادَةِ الأَصْنامِ ، فمنهم مَن يَرغَبُ في الحَياةِ ، وَمنهم مَن يَأْبى فَيُقْتَلُ ، ثمَّ أَمَرَ بأَجْسادِهِم أَنْ تُعَلَّقَ على سُورِ المَدينَةِ ، وعلى كُلِّ بابٍ ، فَحَزِنَ هَؤُلاءِ الفِتْيَةُ ، وَأَقْبَلُوا على الصَّلاةِ والصِّيامِ والتَّسْبيحِ والدُّعاءِ ، وَكانُوا ثمانِيَةً من أَشْرافِ القَوْمِ ، فَعثرَ عليهمُ المَلِكُ ، فقالَ لَهُم : اخْتارُوا إِمَّا أَنْ تَعْبُدُوا آلِهَتَنا ، وَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَكُمْ ؛ فقالَ مكسلمينا ـ وهُوَ أَكْبَرُهُم ـ : إِنَّ لَنا إِلَهاً هُوَ مَلِكُ السَّماواتِ والأَرْضِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ من كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَهُوَ المَعبودُ ، فَلن نَدْعوَ من دُونِهِ إِلَهاً ؛ فقالَ المَلِكُ : ما يَمْنَعُني أَنْ أُعَجِّلَ لَكُمُ العُقُوبَةَ إِلاّ أَنَّكُمْ

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢) قال الإمام ابن كثير في البداية والنِّهاية ٢/ ٥٦٣ : واعتناء اليهود بأَمرهم ومعرفة خبرهم ، يدلُّ على أَنَّ زمانهم متقدِّم على ما ذكره بعض المفسِّرين أَنَّهم كانُوا بعد المسيح ، وَأَنَّهم كانُوا نَصارى ؛ والظَّاهر من السِّياق أَنَّ قومَّهم كانُوا مشركين يعبدون الأَصنام .

شَبابٌ ، وَأُحِبُّ أَنْ أجعلَ لَكُمْ أَجَلاً ، لعلَّكم تَتَذَكَّرُونَ فِيهِ وتُراجِعُونَ عُقُولَكم ؛ فأَخَذُوا من بُيوتِهِم نَفَقَةً ، وَخَرَجُوا إلى الكَهْفِ يَعبدُونَ اللهَ ، فاتَّبَعَهُم كَلبٌ كان لَهُم .

● وَقالَ كعبٌ : بل مَرُّوا بِكَلْبٍ ، فَنَبَحَ بهم ، فَطَرَدُوهُ فَعادَ ، فَطَرَدُوهُ مِراراً وَهو يَعُودُ ، فقامَ الكَلْبُ على رِجْلَيْه ، وَرَفَعَ يَدَيْه إلى السَّماءِ كَهَيْئَةِ الدَّاعي ، وَنَطَقَ فقالَ : لا تَخافُوا مِنِّي ، فإِنِّي أُحِبُّ أَحِبَّاءَ اللهِ ، فَنامُوا حتَّى أَحْرُسَكُم .

● وَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : هَرَبُوا لَيْلاً ، وَكانُوا سَبْعةً ، فَمَرُّوا بِراعٍ معهُ كَلْبٌ ، فاتَّبَعهم على دِينِهم ، فَجَعَلُوا يَعبدُونَ اللهَ في الكَهْفِ ، وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُم إلى فَتىً منهم يُقالُ لَهُ : تَمليخا ، فكانَ يَبْتاعُ لَهم طَعامَهُم من المَدينَةِ ، وَكانَ من أَجْمَلِهِم وَأَجْلَدِهم ، وَكانَ إذا دَخَلَ المدينَةَ لَبِسَ ثِيابَ المَساكِينِ ، وَاشْتَرَى طَعامَهم ، وَتَجَسَّسَ لَهُمُ الأَخْبارَ ، فَلَبِثُوا كذلكَ زَماناً ، ثمَّ أَخْبَرَهُم تَمليخا أَنَّ المَلِكَ يَتَطَلَّبُهُم ، فَفَزِعُوا لِذَلِكَ وَحَزِنُوا .

فَبينَما هم كذلكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدارَسُونَ ، إِذْ ضَرَبَ اللهُ على آذانِهِم في الكَهْفِ ، وَكَلْبُهم باسِطٌ ذِراعَيْه بِبابِ الكَهْفِ ، فَأَصابَهُ ما أَصابَهُم .

فَسَمِعَ المَلِكُ أَنَّهُم في جَبَلٍ ، فَأَلْقى اللهُ في نَفْسِه أَنْ يَأْمُرَ بالكَهْفِ فَيُسَدَّ عليْهم حتَّى يَمُوتُوا جُوعاً وَعَطَشاً ، وَهُوَ يَظُنُّهم أَيْقاظاً ؛ أَرادَ اللهُ بذلكَ أَنْ يُكْرِمَهُم ، وَأَنْ يَجْعلَهم آيَةً لِخَلْقِهِ ؛ وَقَدْ تَوَفَّى اللهُ أَرْواحَهم وَفاةَ النَّوْمِ ، وَالمَلائِكَةُ تُقَلِّبُهُم ذاتَ اليَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ .

ثمَّ عَمَدَ رَجُلانِ مُؤْمِنانِ كانا في بَيْتِ المَلِكِ ، فَكَتَبا شَأْنَ الفِتْيَةِ وَأَسْماءَهُم وَأَنْسابَهُم في لَوْحٍ من رَصاصٍ ، وَجَعَلاهُ في تابُوتٍ من نُحاسٍ ، وَجَعلاهُ في البُنْيانِ(١) .

---

(١) التَّرويح ٢/ ٧ .

● وَقالَ عُبَيْدُ بن عُمير[1] : كان أَصحابُ الكَهْفِ فِتْيَةً مُطَوَّقِينَ مُسَوَّرِينَ ذَوي ذَوائِبَ ، وَكانَ معهم كَلْبُ صَيْدٍ ، فَخَرَجُوا في عِيدٍ لَهم ، وَأَخْرَجُوا آلِهَتَهُم التي كانُوا يَعْبُدُونَها ، فَقذَفَ اللهُ في قُلوبِهِمُ الإِيْمانَ ، وَكانَ أَحدُهم وَزِيرَ المَلِكِ ، فآمَنُوا وَأَخْفى كُلٌّ واحدٍ منهم إِيْمانَهُ عن صاحِبِهِ ؛ فَخَرَجَ شابٌّ منهم حتَّى انْتَهى إِلى ظِلِّ شَجرةٍ ، ثمَّ خَرَجَ آخَرُ ، فرآهُ ، فَظَنَّ أَنْ يَكُونَ على مِثْلِ أَمْرِهِ ، وَجاءَ من غَيرِ أَنْ يُظْهِرَ لَهُ ذلكَ ، ثمَّ خَرَجَ الآخَرُونَ واحِداً بعدَ واحِدٍ ، حتَّى اجْتَمَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ؛ فقالَ بعضُهم لِبعضٍ : ما جَمَعَكُم ها هُنا ؟ ثمَّ قالُوا : لِيَخْرُجْ كُلُّ فتَيَيْنِ فَيَخْلُوا ، ثمَّ يُفْشِي كُلُّ واحِدٍ منهُما أَمْرَهُ إِلى صاحِبِهِ ؛ فخرَجَ فَتَيانِ فَذَكَرَ كُلُّ واحِدٍ منهُما لِصاحِبِهِ أَمْرَهُ ، فَأَقْبلا مُسْتَبْشِرِينَ قد اتَّفَقا على أَمْرٍ واحِدٍ ؛ ثمَّ فَعَلُوا جَميعاً كذلكَ فإِذا هُم جَميعاً على الإِيْمانِ .

فقالَ بعضُهم لِبَعْضٍ : ﴿ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف : ١٦] فَدَخَلُوا الكَهفَ وَمَعهم كَلْبُهم ، فَنامُوا ثلاثمئةٍ سِنينَ وَازْدادُوا تِسْعاً ، فلمَّا لَمْ يَجِدُوهم كَتَبُوا أَسْماءَهُم وأَنْسابَهُم في لَوْحٍ : فُلانٌ وَفُلانٌ أَبْناءُ مُلُوكِنا ، فَقَدْناهم في شَهْرِ كذا ، في سَنَةِ كَذا ، في مَمْلَكَةِ فُلانِ بن فُلانٍ ؛ وَوَضَعُوا اللَّوْحَ في خِزانَةِ المَلِكِ ، وَقالُوا : لَيَكُونَنَّ لِهذا شَأْنٌ .

● وَقالَ السُّدِّيُّ : لَمَّا خَرَجُوا مَرُّوا بِراعٍ معه كَلْبٌ ، فقالَ الرَّاعي : إِنِّي أَتْبَعُكُمْ على أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مَعَكُم ؟ قالُوا : سِرْ ، فَسارَ مَعَهم وَتَبِعَهُم الكَلْبُ ، فقالُوا : يا راعي ، هذا الكَلْبُ يَنْبَحُ عَلَيْنا ، وَيُنَبِّهُ بنا ، فَما لَنا بِهِ من حاجَةٍ ؛ فَطَرَدُوهُ ، فَأَبىٰ إِلاَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِم ، فَرَجَمُوهُ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ كَالدّاعي وَأَنْطَقَهُ اللهُ تَعالى فقالَ : يا قَوْمُ ، لِمَ تَطْرِدُونَني ؟ لِمَ تَضْربونَني ؟ لِمَ تَرْجُمُونَني ؟ فَوَاللهِ

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٧٣ .

لَقَدْ عَرَفْتُ اللهَ قبلَ أَنْ تَعرِفُوهُ بِأَربعينَ سَنةً ؛ فتَعَجَّبُوا من ذلكَ ، وزادَهم اللهُ بذلِكَ هُدىً[1] .

● وَقالَ محمَّد الباقِر : كان أَصْحابُ الكَهْفِ صَياقِلَةً ، وَاسْمُ الكَهْفِ حيزم[2] .

والقِصَّةُ طَويلةٌ مَشْهُورَةٌ في كُتُبِ التَّفاسِيرِ ، والقِصَصُ مُطَوَّلَةٌ وَمُخْتَصَرَةٌ ، وَقد وَقَفْتُ على جُمَلٍ من ذلكَ .

● فَمِنْ ذلكَ ما ساقَهُ الإمامُ أَبو إِسحاق محمَّد بن أَحمد بن إِبراهيم النَّيسابُوريّ الثَّعْلبيُّ في كِتابِهِ : « الكَشْفِ وَالبَيانِ في تَفْسِيرِ القُرْآنِ » ؛ وَرُبَّما يَتَكَرَّرُ شَيْءٌ مِمَّا تَقَدَّمَ فِيما آتي بِهِ .

قالَ : قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٩] يَعني : لَيْسوا من أَعْجَبِ آياتِنا ، فإِنَّ فِيما خَلَقْتُ من السَّماواتِ والأَرْضِ وَما فيهنَّ من العَجائِبِ أَعْجَبُ مِنْهُم .

وَالكَهْفُ : هو الغارُ في الجَبَلِ .

وَاخْتَلَفُوا في الرَّقِيمِ ؟ فقالَ وَهْبٌ[3] : حَدَّثني النُّعمانُ بن بشيرٍ الأَنْصاريّ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّقِيمَ ، قالَ :

« إِنَّ ثَلاثَةَ نَفَرٍ خَرَجُوا مُرْتادِينَ لأَهْلِيهم ، فَبَيْنما هُم يَمْشُونَ إِذْ أَصابَتْهُمُ السَّماءُ ، فَأَوَوْا إِلى كَهْفٍ ، فانْحَطَّتْ صَخْرَةٌ من الجَبَلِ ، فانْطَبَقَتْ على بابِ الكَهْفِ ، فَأُوصِدَ عليهم . فقالَ قائِلٌ منهم : اذْكُرُوا أَيُّكُمْ عَمِلَ عَمَلاً حَسَناً ، لعلَّ اللهَ بِرَحْمَتِهِ أَنْ يَرْحَمَنا .

---

(١) التَّرويح ٢/ ١٠ .
(٢) في التَّرويح : جيروم .
(٣) البخاريّ ٣/ ٥١ ومسند أَحمد ٢/ ١١٦ و ٤/ ٢٧٤ والفرج بعد الشِّدَّة للتَّنوخيّ ١/ ١٢٥ .

فقالَ رَجُلٌ منهُم : إنِّي قد عَمِلْتُ حَسَنَةً مَرَّةً ؛ كان لِي أُجراءُ يَعْمَلُون عَمَلاً لِي ، اسْتَأْجَرْتُ كُلَّ رَجُلٍ منهم في نَهارِهِ بأُجْرةٍ مَعْلومةٍ ، فجاءني رجلٌ منهم ذات يَوْمٍ وَسَطَ النَّهارِ ، فَاسْتَأْجَرْتُهُ بشَطْرِ أُجْرَةِ أَصْحابِه ، فَعَمِلَ فِي بَقِيَّةِ نَهارِهِ كَما عَمِلَ رَجُلٌ منهمُ في نَهارِهِ كُلِّه ، فَرَأَيْتُ عليَّ من الذِّمامِ أَنْ لا أُنْقِصَهُ عَمَّا اسْتَأْجَرْتُ من أَصْحابِهِ ، لِما رَأَيْتُ من جَهْدِهِ في عَمَلِهِ .

فقالَ رَجُلٌ منهُم : أَتُعْطي هذا مِثْلَ ما أَعْطَيْتَني ، وَلَمْ يَعملْ إلاّ وَسَطَ النَّهارِ ؟ فقُلْتُ : يا عبدَ اللهِ ، لَمْ أَبْخَسْكَ شَيْئاً من شَرْطِكَ ، وإِنَّما هُوَ مالي أَحْكُمُ فِيهِ بما شِئْتُ .

فَغَضِبَ وَتَرَكَ أَجْرَهُ ، فَوَضَعْتُ حَقَّهُ في جانبٍ من البَيْتِ ما شاءَ اللهُ ، ثمَّ مَرَّتْ بي بعدَ ذلكَ بَقَرٌ ، فَاشْتَرَيْتُ لَهُ بها فَصِيلَةً من البَقَرِ ، فَبَلَغَتْ ما شاءَ اللهُ ، فَمَرَّ بي بعدَ حِينٍ رَجُلٌ شَيْخٌ كَبيرٌ لا أَعْرِفُهُ ، فقالَ لِي : إِنَّ لِي عندَكَ حَقّاً ؛ فَأَذْكَرَنِيهِ حتَّى عَرَفْتُهُ ، فقُلتُ لَهُ : إِيَّاكَ أَبْغي ؛ وَهذا حَقُّكَ وعَرَضْتُها عليْهِ جَميعاً ، فقالَ : يا عبدَ اللهِ ، لا تَسْخَرْ بي ، إِنْ لَمْ تَصَدَّقْ عَلَيَّ فَأَعْطِني حَقِّي . قُلْتُ : وَاللهِ ما أَسْخَرُ بكَ ، إِنَّها لَحَقُّكَ ، ما لي فِيها شَيْءٌ ؛ فَدَفَعْتُها إِلَيْه جميعاً ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كنتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذلكَ لِوَجْهِكَ ، فافْرُجْ عَنَّا الحَجَرَ فَانْصَدَعَ الحَجَرُ ، فَفُرِجَ حتَّى رَأَوْا وَأَبْصَرُوا .

وَقالَ الآخرُ : قد عَمِلْتُ حَسَنَةً مَرَّةً : كان لِي فَضْلٌ ، وَأَصابَتِ النَّاسَ شِدَّةٌ ، فَجاءَتْني امْرَأَةٌ تَطلبُ مِنِّي مَعْرُوفاً ، فقُلْتُ لَها : وَاللهِ ما هُوَ دُونَ نَفْسِكِ . فَأَبَتْ عليَّ وَذَهَبَتْ ، ثُمَّ رَجَعَتْ فَذَكَّرَتْني اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاللهُ مُطَّلِعٌ عليْها ؛ فَأَبَيْتُ عليها وَقُلْتُ لَها : واللهِ ما هُوَ دُونَ نَفْسِكِ . فَأَبَتْ عليَّ وَذَهَبَتْ ، وَذَكَرَتْ لِزَوْجِها ، فقالَ لَها : أَعْطِيهِ نَفْسَكِ ، وأَغيثي عِيالَكِ . فَرَجَعَتْ إِليَّ وَنَشَدَتْني باللهِ ، فَأَبَيْتُ عليْها وَقُلتُ لَها : واللهِ ما هُوَ دُونَ نَفْسِكِ .

فَلَمَّا رَأَتْ ذلكَ أَسْلَمَتْ إِليَّ نَفْسَها ، فَلَمَّا كَشفْتُها ، وَهَمَمْتُ بها ، ارْتَعَدَتْ من تَحْتي ، فقُلْتُ لَها : ما شَأْنُكِ ؟ فقالَتْ : إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ العالَمين . فقُلتُ لَها : خِفْتِيهِ في الشِّدَّةِ ، وَلَمْ أَخفْهُ في الرَّخاءِ ! . وَتَرَكْتُها ، وَأَعْطَيْتُها ما يَحِقُّ عليَّ بما كَشَفْتُها ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كُنتُ فَعَلْتُ ذلكَ لِوَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا الحَجَرَ . فانْصَدَعَ حتَّى عَرَفُوا وَتَبَيَّنَ لَهُم .

وَقالَ الآخَرُ : وَقد عَمِلْتُ حَسَنَةً مَرَّةً ؛ كان لِي أَبَوانِ شَيْخانِ كَبيرانِ، وَكانَ لِي غَنَمٌ ، فَكُنْتُ أُطْعِمُ وَالِدَيَّ وأَسْقِيهما ، ثمَّ أَرْجِعُ إِلى غَنَمي ؛ فَأَصابَني يَوْماً غَيْثٌ ، فَحَبَسَني حتَّى أَمْسَيْتُ ، فَأَتَيْتُ أَهْلي ، وَأَخَذْتُ مَحْلَبي ، فَحَلَبْتُ غَنَمي وَتَرَكْتُها قائِمَةً، وَمَضَيْتُ إلى أَبَوَيَّ، فَوَجَدْتُهما قد ناما، فَشَقَّ عليَّ أَنْ أُوقِظَهُما، وَشَقَّ عليَّ أَنْ أَتْرُكَ غَنَمي ، فَما بَرِحْتُ جالِساً وَمَحْلَبي على يَدي حتَّى أَيْقَظَهما الصُّبْحُ فَسَقَيْتُهما ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ لِوَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا .

قَالَ النُّعمانُ بن بَشيرٍ : لَكَأَنِّي أَسْمَعُ من رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « قالَ الجَبَلُ : طاقْ طاقْ ، فَفَرَّجَ اللهُ عَنهم فَخَرَجُوا » .

● وَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : الرَّقيمُ : وادٍ بَيْنَ عَمَّانَ وَأَيْلَةَ ، دُونَ فِلسطِينَ ، وَهُوَ الوادِي الذي فِيهِ أَصْحابُ الكَهْفِ .

● وَقالَ كعبٌ : هِيَ قَرْيَتُهُم ، وَهُوَ على هذا التَّأْوِيلِ من : رَقْمَةِ الوادِي ، وَهُوَ مَوْضِعُ الماءِ منهُ . تَقُولُ العَرَبُ : عليْكَ بِالرَّقْمَةِ وَدَعِ الضِّفَّةِ ؛ وَالضِّفَّتانِ : جانِبا الوادِي .

● وَقال سَعيد بن جُبيرٍ : الرَّقِيمُ : لَوْحٌ من حِجارَةٍ ـ وَقِيلَ : من رَصاصٍ ـ كَتَبُوا فِيهِ أَسْماءَ أَهْلِ الكَهْفِ ؛ وَهُوَ على هذا التَّأْوِيلِ بِمَعنى المَرْقُومِ ، أي الكِتابِ المَرْقُومِ ؛ وَالرَّقْمُ : الخَطُّ والعَلامَةُ . وَالرَّقْمُ : الكِتابَةُ .

● ثمَّ ذَكَرَ صِفَتَهم ، فقالَ تَعالى : ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ [الكهف : ١٠]

أَي : رَجَعُوا وَصارُوا إِليهِ .

وَاخْتَلَفُوا في سَبَبِ مَصيرِهم إِلى الكَهْفِ. فقالَ محمَّد بن إِسحاق[1] : مَرِجَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ، وَكَثُرَتِ الخَطايا فِيهم، وَعَظُمَتِ الذُّنُوبُ، وَطَغَتْ فِيهمُ المُلُوكُ، حتّى عَبَدُوا الأَصْنامَ ، وَذَبَحُوا للطَّواغِيتِ ، وفيهم بَقايا على دِيْنِ المَسِيْحِ عِيسى ابن مَريمَ عليْهما السَّلامُ ، مُتَمَسِّكِينَ بِعِبادَةِ اللهِ وَتَوحِيدِهِ ، فَكانَ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ مَلِكٌ من مُلُوكِهِم من الرُّوم يُقالُ لَهُ : دقيانوس ، كان قد عَبَدَ الأَصْنامَ ، وَذَبَحَ للطَّواغِيتِ ، وَقَتَلَ مَن خالَفَهُ في ذلكَ مِمَّنْ أَقامَ على دِيْنِ المَسِيْحِ ، وَكانَ يَنْزِلُ قُرى الرُّومِ ، فَكانَ لا يَتْرُكُ فِيها أَحَداً مُؤْمِناً إِلاَّ فَتَنَهُ ، حَتَّى يَعْبُدَ الأَصْنامَ وَيَذْبَحَ للطَّواغِيتِ ، حتّى نَزَلَ مدينةَ أَصحابِ الكَهْفِ وَهي أَفسوس ، فلمَّا نَزَلَها كَبُرَ ذلكَ على أَهْلِ الإِيْمانِ ، فاسْتَخَفُّوا منهُ وهرَبُوا في كُلِّ وَجْهٍ .

وَكانَ دقيانوس قد أَمَرَ حِينَ قَدِمَها أَنْ يَتَتَبَّعَ أَهْلَ الإِيْمانِ في أَماكِنِهم ، فَيُجْمَعُوا لَهُ ؛ واتَّخَذَ شَرطَةً من الكُفَّارِ من أَهْلِها ، فَجعلُوا يَتَتَبَّعُونَ أَهْلَ الإِيْمانِ في أَماكِنِهم ، فَيُخْرِجُونَهم إِلى دقيانوس ، فَيُقَدِّمُهم إِلى الجامِعِ الذي يُذْبَحُ فِيهِ للطَّواغِيتِ ، فَيُخَيِّرُهُم بينَ القَتْلِ ، وَعِبادَةِ الأَصْنامِ ، وَالذَّبحِ للطَّواغِيتِ ؛ فَمنهم مَن يَرْغَبُ في الحَياةِ ، ومنهم مَن يَأْبى أَنْ يَعْبُدَ غيرَ اللهِ تَعالىٰ فَيُقْتَلُ .

فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ ذلكَ البَلَدِ الشِّدَّةَ في الإِيْمانِ باللهِ ، جَعَلُوا يُسْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ للعَذابِ والقَتْلِ ، فَيُقَطَّعُونَ وَيُعَلَّقُ ما قُطِعَ من أَجْسادِهِم على سُورِ المَدِينَةِ وَنَواحيها كُلِّها ، وَعلى كُلِّ بابٍ من أَبْوابِها ، حتَّى عَظُمَتِ الفِتْنَةُ على أَهْلِ الإِيْمانِ ، منهم من أَقَرَّ فَتُرِكَ ، ومنهم من صَلُبَ على دِيْنِهِ فَقُتِلَ .

فَلَمَّا[2] رَأَى ذلكَ الفِتْيَةُ ، حَزِنُوا حُزناً شَديداً ، فَصَلَّوا وصامُوا وَاشْتَغَلُوا

---

(١) مضى قبل قليل .

(٢) تفسير الطبري ١٥/١٦٦ وما بعد .

بالتَّسبيح والدُّعاءِ للهِ تعالى ، وكانُوا من أَشْرافِ الرُّوم ، وكانُوا ثَمانِيَةً ، فَتفرَّقُوا وَتَضَرَّعُوا ، وَجَعلُوا يَقُولُون : ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٤] . اللَّهُمَّ اكْشِفْ عن عِبادِكَ المُؤمنين هذِهِ الفِتْنَةَ ، وادْفَعِ البَلاءَ والغَمَّ عن عِبادِكَ الَّذينَ آمَنُوا بكَ ، حتَّى يُعْلِنُوا عِبادَتَهم إِيَّاكَ .

فَبينما هُم على ذلكَ ، إِذْ أَدْرَكَهُمُ الشَّرطَةُ ، وَكانُوا قد دَخَلُوا في مُصَلىً لهم ، فَوَجَدُوهم سُجَّداً على وُجوههم ، يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلى اللهِ تَعالى ، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُنْجِيَهم من دقيانوس وَفِتْنَتِهِ .

فَلَمَّا رآهُم أُولَئِكَ الكَفَرَةُ ، قالُوا لَهُم : ما خَلَّفَكُمْ عن أَمْرِ المَلِكِ ؟ انْطَلِقُوا إِليهِ ، ثمَّ خَرَجُوا من عِنْدِهم فَرَفَعُوا أَمْرَهُم إِلىٰ دقيانوس ، فقالُوا : نَجْمَعُ الجَميعَ ، وَهَؤُلاءِ الفِتْيَةُ من أَهْلِ بَيْتِكَ ، يَسْخَرُونَ بكَ وَيَعْصُونَ أَمْرَكَ ؟ .

فلمَّا سَمِعَ ذلكَ منهم أُتِيَ بهم وَأَعْيُنُهم تَفيضُ مع الدَّمْعِ ، مُعْفَّرَةً وُجُوهُهُم في التُّرابِ . فقالَ لهُم : ما مَنَعَكُمْ أَنْ تَشْهَدُوا الذَّبْحَ لِلآلِهَةِ التي تُعْبَدُ في الأَرْضِ ، وَأَنْ تَجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ كَغَيْرِكم ؟ فاختارُوا إِمَّا أَنْ تَذْبَحُوا لآلِهَتِنا كما يَذْبَحُ النَّاسُ ، وإِمَّا أَنْ أَقْتُلَكُم ؛ فقالَ مكسلمينا وكانَ أَكْبَرَهُم : إِنَّ لَنا إِلَهاً ، مَلأَتِ السَّماواتِ والأَرْضَ عَظَمَتُهُ ﴿ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ وَلَن نُقِرَّ بهذا الذي تَدْعُو إِلَيْهِ أَبداً ، وَلَكِنَّا نَعبدُ اللهَ رَبَّنا ، لَهُ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ والتَّسبيحُ من أَنْفُسِنا خالِصاً أَبَداً ، إِيَّاهُ نَسْأَلُ النَّجاةَ وَالخَيْرَ ؛ أَمَّا الطَّواغِيتُ وَعِبادَتُها ، فَلَنْ نَعْبُدَها أَبَداً ، اصْنَعْ ما بَدا لَكَ .

ثمَّ قالَ أَصْحابُ مَكسلمينا لدقيانوس مثلَ ما قالَ لهُ ؛ فلمَّا قالُوا ذلكَ ، أَمَرَ فَنَزَعَ منهم المَلْبُوسَ الذي كان عليهم من لَبُوسِ عُظَمائِهم ، وَقالَ : إِنْ فَعَلْتُم ما فَعَلْتُم فإِنِّي سَأُؤَخِّرُكُم ، وَأَفْرُغُ لَكُمْ ، وَأُنجِزُكُم ما وَعَدْتُكُم من العُقُوبَةِ ، وَما يَمْنَعُني أَنْ أُعَجِّلَ ذلكَ لَكُمْ إِلاَّ أَنِّي أَراكُمْ شَباباً حَديثَةً أَسْنانُكم ، فَلا أُحِبُّ أَنْ أُهْلِكَكُمْ ، حتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلاً تَتَذَكَّرُونَ فيهِ ، وتُراجِعُونَ عُقُولَكم .

ثمَّ أَمَرَ بِحِلْيَةٍ كانَتْ عليهم من ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، فَنُزِعَتْ عنهم ، ثمَّ أَمَرَ بهم فَأُخْرِجُوا من عِندِهِ ، وانْطَلَقَ دقيانُوس إِلى مَدينةٍ سِوى مَدينَتِهم التي هم بِها قَريبةٍ منهم لبعضِ أُمُورِهِ .

فَلَمَّا عَلِمَ الفِتْيَةُ أَنَّ دقيانُوس خَرَجَ من مَدينَتِهم ، بادَرُوا قُدومَهُ ، وَخافُوا إِذا قَدِمَ مَدينَتَهم أَنْ يَذْكُرَهم ، فائْتَمروا بينَهم أَن يأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ منهم نَفَقَةً من بَيْتِ أَبيهِ ، فَيَتَصَدَّقُوا منها ، ثمَّ يَتَزَوَّدُوا بما بَقِيَ ، ثمَّ يَنْطَلِقُوا إِلى كَهْفٍ قَريبٍ من المدينَةِ ، في جَبَلٍ يُقالُ لهُ : مَنْجَلُوس ، فَيَمْكُثُونَ فِيهِ وَيَعْبُدُونَ اللهَ تَعالى ، حتَّى إِذا جاءَ دقيانوس أَتَوْهُ فقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهم ما شاءَ .

فَلَمَّا قالَ ذلكَ بعضُهم لِبعضٍ ، عَمَدَ كُلُّ فتىً منهم إِلى بيتِ أَبيهِ ، فَأَخَذَ نَفَقَةً ، فَتَصَدَّقُوا منها ، وانْطَلَقُوا بِما بَقِيَ معهم من نَفَقَتِهم ، وَأَتْبَعَهُم كلبٌ كان لهم ، حتَّى أَتَوْا ذلكَ الكَهْفَ الذي في الجَبَلِ فَلَبِثُوا فِيهِ .

● وَقالَ كَعْبُ الأَحْبارِ : مَرُّوا بكلبٍ فَنَبَحَ عليهم ، فطَردوهُ فعادَ ، فَفَعلُوا ذلكَ مِراراً ، فقالَ لهمُ الكلبُ : ما تُرِيدُونَ مِنِّي ؟ لا تَخْشَوْا جانِبي ، فَأَنا أُحِبُّ أَحْبابَ اللهِ ، فَنامُوا حتَّى أَحْرُسَكُم .

● وَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما[1] : هَرَبُوا لَيْلاً من دقيانوس بن حلانوس حينَ دَعاهُم إِلى عِبادَةِ الأَصْنامِ ، وكانوا سَبْعَةً ، فمرُّوا براعٍ معه كَلْبٌ ، فتبِعَهم علىٰ دينِهم ، فخرجوا مِنَ البلد فأَوَوا إِلىٰ الكهفِ ، وَهُوَ قَريبٌ من البَلْدَةِ ، فَلَبِثُوا فِيهِ لَيْسَ لَهُمْ عَمَلٌ إِلاَّ الصَّلاةُ والصِّيامُ والتَّسْبيحُ والتَّكْبيرُ والتَّحْميدُ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ ، وَجَعلُوا نَفَقَتَهم إِلى فَتىً منهم يُقالُ لَهُ تمليخا ، فكانَ على طَعامهم ، يَبْتاعُ لَهم أَرْزاقَهم من المَدينَةِ سِرّاً ، وَكانَ من أَجْمَلِهِمْ وَأَجْلَدِهِمْ ، فكانَ تمليخا يَصْنَعُ ذلكَ ؛ فإِذا دَخَلَ المدينةَ يَضَعْ ثِياباً كانَتْ عليْهِ

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٦٨ ـ ١٧٢

حِساناً ، وَيَلبسُ ثِياباً كَثِيابِ المَساكِينِ الذينَ يَطْعَمُونَ فِيها ، ثمَّ يَأْخُذُ وَرِقَهُ ، ثمَّ يَنْطَلِقُ إلى المَدِينَةِ ، فيَشْتَري لَهم طَعاماً وَشَراباً ، وَيَسْمَعُ وَيَتَجَسَّسُ لهمُ الخَبَرَ ، هل ذُكِرَ أَصحابُهُ بشَيْءٍ أَم لا ، ثمَّ يَرجعُ إلى أَصحابِهِ ، فَلَبِثُوا كذلكَ ما لَبِثُوا ، ثمَّ قَدِمَ دقيانوس الجَبَّارُ المدينَةَ ، فَأَمَرَ العُظَماءَ فَذَبَحُوا للطَّواغِيتِ ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أَهْلُ الإِيْمانِ. وَكانَ تمليخا بالمَدينَةِ يَشْتَري لأَصْحابه الطَّعامَ وَالشَّرابَ ، فَرجَعَ لأَصْحابِهِ وَهُوَ يَبْكي ، وَمعهُ طَعامٌ قَليلٌ ، فَأَخْبَرَهُم أَنَّ الجَبَّارَ دقيانُوس قد دخلَ المدينَةَ، وَأَنَّهم قد ذُكِرُوا مع عُظَماءِ المدينَةِ ، ليَذْبَحوا للطَّواغِيتِ .

فلمَّا أَخبَرَهُم فَزِعُوا ، وَوَقَعُوا سُجَّداً يَدْعُونَ اللهَ تعالى ، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَعَوَّذُونَ بهِ من الفِتْنَةِ ؛ ثمَّ إِنَّ تمليخا قالَ لهم : يا إِخْوتاهُ ، ارْفَعُوا رُؤُوسَكم ، واطْعَمُوا من رِزْقِ اللهِ ، وَتوَكَّلُوا عليهِ ؛ فَرَفَعُوا رُؤُوسَهم ، وَأَعْيُنُهم تَفيضُ من الدَّمْعِ حُزْناً وَخَوْفاً على أَنْفُسِهِم ، فَطَعِمُوا منهُ ، وذلكَ عندَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، ثمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدارَسُونَ ، وَيُذَكِّرُ بَعْضُهم بَعْضاً .

فبينَما هم على ذلكَ إِذ ضَرَبَ اللهُ على آذانِهم في الكَهْفِ ، وَكَلْبُهم باسِطٌ ذِراعَيْه ببابِ الكَهفِ ، فَأَصابَهُ ما أَصابَهم ، وَهُم مُؤْمِنُونَ مُوقِنُونَ ، وَنَفَقَتُهم عِندَ رُؤُوسِهِم .

فَلمَّا كان من الغَدِ ، تَفَقَدَّهُم دقيانوس ، والْتَمَسَهُم ، فَلَمْ يَجِدْهُم ، فقالَ لِبَعضِ أَصْحابِهِ : قد ساءَني هَؤُلاءِ الفِتْيَةُ الذينَ ذَهَبُوا ، لَقد كانُوا ظَنُّوا بي غَضَباً عليْهم ، لِجَهْلِهِم ما جَهِلُوا من أَمْري ، وَما كُنْتُ لأَجْهَلَ عليْهم وَلا على واحِدٍ منهم إِن تابُوا وعَبَدُوا إِلَهي ؛ فقالَ لَهُ عُظَماءُ المدينَةِ : ما أَنْتَ بحَقيقٍ أَنْ تَرْحَمَ قَوْماً فَجَرَةً مَرَدَةً عُصاةً ، مُقِيمينَ على ظُلْمِهم وَمَعْصِيَتِهم ، قد كُنْتَ أَجَّلْتَهُم أَجَلاً ، وَلَوْ شاؤُوا لَرَجَعُوا في ذلكَ الأَجَلِ ، ولكنَّهم لَمْ يَتُوبُوا .

فَلَمَّا قالُوا لَهُ ذلكَ ، غَضِبَ غَضباً شَديداً ، ثمَّ أَرْسَلَ إِلىٰ آبائِهم فَسَأَلَ عنهم ، ثمَّ قالَ : أَخبِرُوني عن أَبْنائِكُم المَرَدَةِ الذينَ عَصَوْني . فقالُوا لهُ : أَمَّا

نَحْنُ فَلَنْ نَعْصِيَكَ ، فَلِمَ تَقْتُلُنا بِقَوْمٍ مَرَدَةٍ ذَهَبُوا بِأَمْوالِنا فَأَهْلَكُوها بِأَسْواقِ المَدينَةِ ، ثمَّ انْطَلَقُوا فارْتَقوا إلى جَبَلٍ يُقالُ لَهُ مَنْجَلوس .

فلمَّا قالُوا لَهُ ذلكَ خَلَّى سَبيلَهم ، وَجَعلَ ما يَدري ما يَفعلُ بالفِتْيَةِ ، فَأَلْقى اللهُ في نَفْس دقيانوس أَنْ يَأْمُرَ بالكَهْفِ فَيُسَدَّ عليْهم ـ وَأَرادَ اللهُ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ وَيَجْعَلَهُم آيَةً ، وَيَسْتَخْلِفَ مَن بَعْدَهم ، وَأَنْ يُبَيِّنَ لَهم ﴿أَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحجّ : ٧] ـ وَيَدَعُوهُم كما هم في الكَهفِ يَمُوتُونَ عَطَشاً وَجُوعاً ، وَلْيَكُنْ كَهْفُهُمُ الذي اخْتارُوهُ قَبْراً لَهم ، وَهو يَظُنُّ أَنَّهم أَيْقاظٌ يَعْلَمُونَ ما يُصْنَعُ بِهم ، وَقد تَوَفَّى اللهُ أَرْواحَهم وَفاةَ النَّوْمِ ، وَكَلْبُهُم باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِبابِ الكَهْفِ ، قد غَشِيَهُ ما غَشِيَهم ، يُقَلَّبُونَ ذاتَ اليَمينِ وَذاتَ الشِّمالِ .

ثمَّ[1] إِنَّ رَجُلين مُؤمنَيْن كانا في بَيْتِ المَلِكِ دقيانوس يَكْتُمانِ إِيْمانَهُما ، كان اسْمُ أَحَدِهما مَندروس والآخر دوماس ، ائْتَمَرَا أَنْ يَكْتُبا أَسْماءَ الفِتْيَةِ وَأَنْسَابَهم وَخَبَرَهم في لَوْحِ رَصاصٍ ، وَيَجْعَلاهُ في تابُوتٍ من نُحاسٍ ، ثمَّ يَجْعلا التَّابُوتَ في البُنْيانِ .

وقالا : لَعلَّ الله يُظْهِرُ على هؤُلاءِ الفِتْيَةِ قَوْماً مُؤمنينَ قَبلَ يَوم القِيامَةِ ، فَيَعْلَمُ مَن فَتَحَ عليهم خَبَرَهُم حِينَ يَقْرَأَ هذا الكِتابَ ، فَفَعلا ، ثمَّ بَنَيا عليهم ، فَبَقِيَ دقيانوس ما بَقِيَ ، ثمَّ ماتَ وَقَوْمُهُ ، وَقُرُونٌ بعدَ ذلكَ كثيرَةٌ ، وَخُلفاءُ المُلُوكِ بعْدَ المُلُوكِ .

● وَقالَ عُبيدُ بن عُميرٍ[2] : كان أَصْحابُ الكهفِ فِتْياناً مُطَوَّقِينَ مسَوَّرين ذَوي ذَوائِبَ ، وَكانَ معهم كَلبُ صَيْدِهم ، فَخَرَجُوا في عِيدٍ لَهم عَظِيمٍ في زِيٍّ وَمَوْكِبٍ ، وَأَخْرَجُوا معهم آلِهَتَهُم التي يَعْبدُونَها من دُونِ اللهِ ، وَقد قَذَفَ اللهُ في

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٧١ والتَّرويح ٢/ ٧ . وفيهما : بندروس والآخر روناس .

(٢) الخبر مكرَّر .

قُلُوبِ الفِتْيَةِ الإِيْمانَ ، وَكانَ أَحَدُهم وَزِيرَ المَلِكِ ؛ فآمَنُوا وَأَخْفى كُلُّ واحِدٍ منهم الإِيْمانَ عن أَخيه ، فقالُوا في أَنْفُسِهم من غَيرِ أَنْ يُظْهِرُوا بعضَهم على بَعضٍ : نَخرجُ من بَينِ أَظْهُرِ هؤلاءِ القَوْم ، لِئَلاَّ يُصيبَنا عِقابٌ بِجُرْمِهم .

فَخَرَجَ شابٌّ منهم حتَّى انتَهى إِلى ظِلِّ شَجرَةٍ، فَجلَسَ فيه؛ ثمَّ خَرَجَ آخَرُ ، فرآهُ جالِساً وَحْدَهُ ، فَرَجا أَن يَكُونَ على مِثْلِ أَمْرِهِ مِن غَيرِ أَنْ يُظْهِرَ لَهُ ذلكَ ، فجلسَ إِليه ؛ ثمَّ خَرَجَ الآخَرُونَ فجاؤُوا وَجَلسُوا إِليهما واجْتَمعوا ، فقالَ بعضُهم لِبعضٍ : ما جَمَعَكم ؟ وَقالَ آخَرُ : ما حَمَلَكُمْ ؟ وَكُلُّ واحِدٍ يَكْتُمُ عن صاحِبِهِ إِيْمانَهُ مَخافَةً على نَفْسِهِ ؛ ثمَّ قالُوا : لِيَخْرُجْ كُلُّ فَتَيَيْنِ منكُم فَيْخْلُوَا ، ثُمَّ لِيُفْشِ كُلُّ واحدٍ منهما لِصاحِبِهِ أَمْرَهُ ؛ فخرجَ فَتَيانِ منهم فَتَواقَفا ثمَّ تَكَلَّما ، فَذَكَرَ كُلُّ واحِدٍ منهُما أَمْرَهُ لِصاحِبِهِ ، فَأَقْبَلا مُسْتَبْشِرَينَ إِلى أَصْحابِهِما ، فقالا : قد اتَّفَقْنا على أَمْرٍ واحِدٍ ، فإِذا هُم جَميعاً على أَمْرٍ واحدٍ ، وَهُوَ الإِيْمانُ .

وإِذا كهفٌ في الجَبَلِ قَريبٌ منهم ، فقالَ بعضُهم لِبعضٍ : ﴿ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦] فَدَخَلُوا الكَهفَ ومعهم كلبُ صَيْدِهم ، فَنامُوا ثلاثمئَةِ سنةٍ وازْدادُوا تِسْعاً ، وَفَقَدَهُم المَلِكُ وَقَوْمُهُم ، فَطَلَبُوهم فَعَمَّى اللهُ عليهم آثارَهم وَكَهْفَهُم ، فلمَّا لَمْ يَقْدِرُوا عليهم كَتَبُوا أَسْماءَهم وأَنْسابَهُم في لَوْحٍ من رَصاصٍ : فُلانٌ وَفُلانٌ أَبْناءُ مُلوكِنا ، فَقَدْناهُم في شَهْرِ كَذا ، من سَنَةِ كذا ، في مَمْلَكَةِ فُلانٍ ، وَوضعُوا اللَّوْحَ في خِزانَةِ المَلِكِ ، وَقالُوا : لَيَكُونَنَّ لِهذا شَأْنٌ ؛ وَماتَ ذلِكَ المَلِكُ ، وَجاءَ قَرْنٌ من بعدِ قَرْنٍ .

● وَقالَ وَهْبُ بن مُنَبِّه(١) : جاءَ حَوارِيُّ عِيسى بن مَريم إِلى مَدينَةِ أَصْحاب الكَهْفِ ، فَأَرادَ أَنْ يَدْخُلَها ، فَقيلَ لَهُ : إِنَّ على بابِها صَنَماً ، لا يَدْخُلُها أَحَدٌ إِلاَّ

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٧٥ وتاريخه ٢/ ٧ والتَّرويح ٢/ ٧ .

سَجَدَ لَهُ؛ فَكَرِهَ أَنْ يَدْخُلَها، وَأَتى حَمَّاماً قَرِيباً من تِلْكَ المَدِينةِ فَكانَ فِيهِ ، وَكانَ يُؤاجِرُ نَفْسَهُ من الحَمَّامِيِّ في حَمَّامِهِ وَيَعْمَلُ فِيهِ ، وَرَأى الحَمَّاميُّ في حمَّامِهِ البَرَكَةَ ، وَدَرَّ عليْهِ الرِّزْقُ ، فَجعلَ يَقُومُ عليْهِ ، وَعَلِقَهُ فِتْيَةٌ من أَهْلِ المَدِينَةِ ، فَجعلَ يُخبرُهم خَبَرَ السَّماءِ وَالأَرْضِ، وَخَبَرَ الآخِرَةِ، حتَّى آمَنُوا باللهِ وَصَدَّقُوهُ ، وَكانُوا على مِثْلِ حالِهِ من حُسْنِ الهَيْئَةِ ، وَكانَ شَرَطَ على صاحِبِ الحمَّامِ أَنَّ اللَّيْلَ لا يَحُولُ بَيْني وَبينَهُ أَحَدٌ وَلا بَيْنَ الصَّلاةِ ، وَكانَ على ذلكَ حتَّى أَتى ابْنُ المَلِكِ بامْرَأَةٍ ، فَدَخَلَ بِها الحَمَّامَ ، فَعَيَّرَهُ الحمّاميُّ وَقالَ لَهُ: أَنْتَ ابْنُ المَلِكِ ، وَتدخُلُ مع هَذِهِ ؟ فاسْتَحْيا وَذَهَبَ ، ثمَّ رَجعَ مَرَّةً أُخْرى ، فقالَ لَهُ ذلكَ ، فَسَبَّهُ وانْتَهَرَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِليهِ ، حَتَّى دَخلاهُ جميعاً ، فماتا معاً في الحمَّامِ ، فَأُتِيَ المَلِكُ فَقيلَ لَهُ : صاحِبُ الحمَّامِ قَتَلَ ابْنَكَ . فَالْتُمِسَ فَلَمْ يُقْدَرْ عليْهِ، وَهَرَبَ . فقالَ : مَن كان يَصْحَبُهُ ؟ فَسَمَّوا الفِتْيَةَ ، فالْتُمِسُوا ؛ فَخَرجُوا من المدينَةِ ، فَمَرُّوا على صاحِبٍ لَهُم في زَرْعٍ ، وَهو على مِثْلِ إِيمانِهِم ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهم الْتُمِسُوا ؛ فانْطَلَقَ معهم ، وَكانَ معهُ كَلبٌ ، حتَّى آواهُم اللَّيْلُ إلى كهفٍ ، فقالوا : نَبِيتُ ها هُنا اللَّيْلَةَ ، ثمَّ نُصبِحُ فتَرَوْنَ رَأْيَكُم ، فَضَرَبَ اللهُ على آذانِهم .

فَخَرَجَ المَلِكُ في أَصْحابِهِ يَطْلبهم ، فَتَبِعُوهم حتَّى وَجَدُوهم قد دَخَلُوا الكهفَ ؛ فكُلَّما أَرادَ الرَّجُلُ منهُم دُخُولَهُ أُرْعِبَ ، فَلَمْ يُطِقْ أَحَدٌ منهم أَنْ يَدْخُلَهُ ، فقالَ قائِلٌ من أَصْحابِ المَلِكِ : أَلَيْسَ لو كُنْتَ تَقْدِرُ عليْهِم قَتَلْتَهُم ؟ قالَ : بَلى . قالَ : فابْنِ عليهم بابَ الكَهفِ ، واتْرُكْهم فِيهِ يَمُوتُونَ جُوعاً وَعَطَشاً . فَفَعَلَ ذلكَ .

قالَ وَهبٌ : فَمَكَثُوا بعدما سُدَّ عليهم بابُ الكهفِ زَماناً بعد زَمانٍ ، ثم إِنَّ راعِياً أَدْرَكَهُ المَطَرُ عِندَ بابِ الكَهْفِ ، فقالَ في نَفْسِهِ : لو فَتَحْتُ بابَ هذا الكَهْفِ ، وَأَدْخَلْتُ فِيهِ غَنَمي من المَطَرِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُعالِجُهُ حتَّى فَتَحَهُ ، وَرَدَّ اللهُ عليهم أَرْواحَهم من الغَدِ حِينَ أَصْبَحُوا .

● قالَ محمَّد بن إسحاق[1] : ثمَّ مَلَكَ أَهْلَ تِلْكَ البِلادِ رجُلٌ صالِحٌ يُقالُ لَهُ : تاودوسيوس ، فَلَمَّا مَلَكَ بَقِيَ في مُلْكِهِ ثَمانياً وثَمانينَ سنةً ، فَتَحَزَّبَ النَّاسُ في مُلْكِهِ وَكانُوا أَحْزاباً ، فمنهم من يُؤْمنُ بِاللهِ تَعالى وَيَعْلَمُ أَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ ، ومنهم من يُكَذِّبُ بِها .

فَكَبُرَ ذلكَ على المَلِكِ الصَّالِحِ ، وَشَكا إِلى اللهِ ، وَتَضَرَّعَ إِليهِ ، وَحَزِنَ حُزْناً شَديداً لِما رَأَى أَهْلَ الباطِلِ يَزِيدُونَ وَيَظْهرُونَ على أَهْلِ الحَقِّ ، وَيَقُولُونَ : لا حَياةَ إِلاَّ الحَياةُ الدُّنْيا ، وإِنَّما تُبْعَثُ الأَرْواحُ ولا تُبْعَثُ الأَجْسادُ ، فَأَمَّا الجَسَدُ فَتَأْكُلُهُ الأَرضُ ؛ ونَسوا ما في الكِتابِ ، فجعل تاودوسيوس يُرْسِلُ إلى كلِّ مَن يَظُنُّ فيه خيراً ، وأَنَّهُ معه علىٰ الحَقِّ ، فَجَعلُوا يُكَذِّبُونَ بِالسَّاعَةِ حتَّى كادُوا يُحَوِّلُونَ النَّاسَ عن الحَقِّ وَمِلَّةِ الحَوارِيِّينَ .

فَلَمَّا رَأَى ذلكَ المَلِكُ الصَّالِحُ تاودوسيوس ، دَخَلَ بَيْتَهُ وَأَغْلَقَهُ عليْهِ ، وَلَبِسَ مِسْحاً ، وَجَعَلَ تَحْتَهُ رَماداً ، ثمَّ جَلَسَ عليه ، فَدَأَبَ لَيْلاً وَنَهاراً يَتَضَرَّعُ إلى اللهِ ، وَيَبْكِي مِمَّا يَرَى فِيهِ النَّاسَ وَيَقُولُ : أَي رَبِّ ، قد تَرَى اخْتِلافَ هؤُلاءِ ، فابْعَثْ إِليهِم مَن يُبَيِّنُ لَهُم .

ثمَّ إِنَّ الرَّحمنَ الرَّحِيمَ الذي يَكْرَهُ هَلَكَةَ العِبادِ ، أَرادَ أَنْ يُظْهِرَ الفِتْيَةَ أَصْحابَ الكَهفِ ، وَيُبَيِّنَ للنَّاسِ شَأْنَهُم ، وَيَجْعَلَهُم آيَةً تُبَيِّنُ لَهُم ، وَحُجَّةً عليْهم لِيَعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها ، وَأَنَّ الله يَسْتَجِيبُ لِعَبْدِهِ الصَّالِحِ تاودوسيوس ، وَأَنْ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عليْهِ ، وَأَن لا يَنْزِعَ عنهُ مُلْكَهُ ، وَلا الإِيْمانَ الذي أَعْطاهُ، وَأَن يَعْبُدَ اللهَ وَلا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ يَجْمَعَ مَن كان بِبَلَدِهِ من المُؤمنين .

فَأَلقى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في نَفْسِ رَجُلٍ من أَهْلِ ذلكَ الجَبَلِ الذي بِهِ أَهْلُ الكَهْفِ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ حَظِيرَةً لِغَنَمِهِ ، فَاسْتَأْجَرَ عامِلَيْنِ ، فَجَعلا يَنْزِعانِ تِلْكَ الأَحْجارَ ،

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٩٩ .

وَيَبْنِيانِ بِها تِلكَ الحَظيرَةِ ، حتَّى فَرَغَ ما على فَمِ الكَهفِ ، وَفُتِحَ عليْهم بابُ الكَهفِ ، وَحَجَبَهُمُ اللهُ عن النَّاسِ بالرُّعْبِ ؛ فَيَزعمُونَ أَنَّ أَشْجَعَ مَن يُرِيدُ أَنْ يَنْظُرَ إِليهم ، مَن يَدخلُ من بابِ الكَهفِ ، ثمَّ يَتَقَدَّمُ حتَّى يَرى كَلْبَهُم دُونَهُم إِلى بابِ الكَهْفِ قائِماً .

فَلَمَّا نُزِعَتِ الحِجارَةُ ، وَفُتِحَ عليهم بابُ الكَهفِ ، أَذِنَ اللهُ ذُو القُدْرَةِ والعَظَمَةِ والسُّلْطانِ مُحْيي المَوْتى ، أَنْ يَجْلِسُوا بَيْنَ ظَهْرانَي الكَهفِ ، فَجَلَسُوا فَرِحِينَ ، مُسْتَبْشِرَةً وَجُوهُهم ، طَيِّبَةً أَنْفُسُهم ، فَسَلَّمَ بعضُهم على بَعضٍ حتَّى كَأَنَّما اسْتَيْقَظُوا من ساعَتِهِم التي كانُوا يَسْتَيْقِظُونَ فِيها ، إِذا أَصْبَحُوا من لَيْلَتِهِم التي يَبِيْتُونَ فِيها ، ثمَّ قامُوا إِلى الصَّلاةِ ، فَصَلَّوا كَالذي كانُوا يَفْعَلُونَ ، لا يُرى في وُجُوهِهِم وَلا في أَبْشارِهِم وَلا أَلْوانِهِم شَيْءٌ يَكْرَهُونَهُ ؛ إِنَّما هُم كَهَيْئَتِهِم حِينَ رَقَدُوا ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَلِكَهُم دقيانُوس الجَبَّارَ في طَلَبِهِم .

فلمَّا قَضَوْا صَلاتَهُم ، قالُوا لتمليخا صاحِبِ نَفَقَتِهم : ائْتِنا يا أَخي بالذي قالَ النَّاسُ في شَأْنِنا عَشِيَّةَ أَمْسِ عِندَ الجَبَّارِ ؛ وَهُمَ يَظُنُّونَ أَنَّهم رَقَدُوا كَبَعضِ ما كانُوا يَرْقُدُونَ أَمْسِ ، وَقَدْ خُيِّلَ إِليهم أَنَّهم نامُوا كَأَطْوَلِ ما كانُوا يَنامُونَ في اللَّيْلَةِ التي أَصْبَحُوا فِيها ، حتَّى تَساءَلُوا بينَهُم ، فقالَ بَعْضِهم لِبعضٍ : ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف : ١٩] وَكُلُّ ذلكَ في أَنْفُسِهِم يَسِيرٌ .

فقالَ لَهم تَمْليخا : افْتُقِدْتُم والْتُمِسْتُم بالمدينَةِ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَأْتيَ بِكُم اليَوْمَ فَتَذْبَحُونَ للطَّواغِيتِ ، أَوْ يَقْتُلَكُمْ ، فَما شاءَ اللهُ بعدَ ذلكَ فَعَلَ .

فقالَ لَهُم مكسلمينا ؛ يا إِخواتاهُ ، اعْلَمُوا أَنَّكُم مُلاقُو اللهِ ، فَلا تَكْفُرُوا بعدَ إِيْمانِكُم إِذا دَعاكُم غداً . ثمَّ قالَ لتمليخا : انْطَلِقْ إِلى المَدِينَةِ ، فَتَسَمَّعْ ما يُقالُ لَنا بها اليَوْمَ ، وَما الذي نُذْكَرُ بِهِ عِندَ دقيانُوس ، وَتَلَطَّفْ وَلا تُشْعِرَنَّ بنا أَحداً ، وَابْتَعْ لَنا طَعاماً ، وائْتِنا بِهِ ؛ فَإِنَّهُ قد نالَنا الجُوعُ ، وَزِدْنا على الطَّعامِ الذي

تَجيئُنا بِهِ العادَة ، فإِنَّهُ كان قَليلاً ، وَقَدْ أَصْبَحْنا جِياعاً .

فَفَعَلَ تَمليخا كما كان يَفعلُ ، وَخرجَ وَوَضَعَ ثِيابَهُ ، وَأَخَذَ الثِّيابَ التي كان يَتَنَكَّرُ فِيها ، وَأَخَذَ وَرِقاً من نَفَقَتِهِم التي كانَت معهم ، التي ضُرِبَتْ بِطابعِ دقيانُوس ، وَكانَت كَخِفافِ الرَّبَعِ .

فانْطَلَقَ تمليخا خارِجاً ، فَلَمّا مَرَّ ببابِ الكَهْفِ رَأَى الحِجارَةَ مَنْزُوعَةً عن بابِ الكَهْفِ ، فَعَجِبَ مِنْها ، ثمَّ مَرَّ فَلَمْ يُبالِ بها حتَّى أَتى بابَ المَدينَةِ مُسْتَخْفِياً ، يَصُدُّ عن الطَّريقِ تَخَوُّفاً من أَنْ يَراهُ أَحَدٌ من أَهْلِها ، فَيَعْرِفَهُ فَيَذهب بِهِ إِلى دقيانوس الجبَّار ، وَلَمْ يَشعُرْ بِالعَبْدِ الصَّالِحِ ، وَأَنَّ دقيانُوس وَأَهْلَهُ قد هَلكُوا قبلَ ذلكَ بِثلاثمئَةِ سنةٍ .

فَلَمَّا رَأَى تمليخا بابَ المَدينَةِ ، رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَرَأَى فَوقَ ظَهْرِ البابِ عَلامةً تَكُونُ لأَهْلِ الإِيْمانِ ؛ فلمَّا رَآها عَجِبَ ، وَجعلَ يَنْظُرُ إِليها مُسْتَخْفِياً ، فَنَظَرَ يَميناً وَشِمالاً فَلَمْ يَرَ أَحَداً مِمَّنْ يَعْرِفُهُ ، ثمَّ تَرَكَ ذلكَ البابَ ، وَتَحَوَّلَ إِلى بابٍ آخَرَ من أَبْوابها ، فرَأَى مثلَ ذلك ، فَجعلَ يُخَيَّلُ إِليهِ أَنَّ المدينَةَ ليسَتْ بالتي كان يَعْرِفُها ، وَرَأَى ناساً كَثِيرينَ مُحْدَثِينَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهم قبلَ ذلكَ ، فجعلَ يَمْشِي وَيَتَعَجَّبُ منهم وَمِنْ نَفْسِهِ ، وَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيرانُ ، ثمَّ رَجعَ إِلى البابِ الذي أَتى منهُ ، فَجعلَ يَتَعَجَّبُ منهُ وَمن نَفْسِهِ . وَيَقُولُ : يا لَيْتَ شِعْرِي ، أَمَّا هذهِ عَشِيَّةَ أَمْسِ كان المُسلمونَ يُخْفُونَ هذِهِ العَلامَةَ وَيَسْتَخِفُّونَ بِها ؛ فَأَمَّا اليَوْمَ فإِنَّها ظاهِرَةٌ ؛ لَعَلِّي حالِمٌ ؛ ثمَّ يَرَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنائِمٍ .

فَأَخَذَ كِساءَهُ ، وَجَعَلَهُ على رَأْسِهِ ، ثمَّ دَخلَ المدِينَةَ ، فَجعلَ يَمْشِي بَينَ ظَهْرانَي سُوقِها ، فَيَسمعُ ناساً كَثيرينَ يَحْلفُونَ بالله ِثمَّ بعيسى ابنِ مَريمَ ، فَزادَهُ عَجَباً ، وَرَأَى كَأَنَّهُ حَيْرانٌ ، فقامَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلى جِدارٍ من جُدْرانِ المدينَةِ ، وَيَقُولُ في نَفْسِه : وَاللهِ ما أَدري ما هذا ! أَمَّا عَشِيَّةَ أَمْسِ ، فَليسَ على وَجْهِ الأَرْضِ إِنْسانٌ يَذْكُرُ عِيسى ابْنِ مَريمَ إِلاَّ قُتِلَ ، وَأَمَّا الغَداةَ فَأَسْمَعُ كُلَّ إِنْسانٍ يَذكرُ

أَمْرَ عيسى ابن مَريمَ وَلا يخافُ ! ثمَّ قالَ في نَفْسِهِ : لَعلَّ هذِهِ لَيْسَتِ المَدِينَةَ التي أَعْرِفُها ، أَسْمَعُ كَلامَ أَهْلِها وَلا أَعْرِفُ أَحَداً منهم ، وَاللهِ ما أَعْلَمُ مَدينةً أَقْرَبَ من مَدينَتِنا .

ثمَّ قامَ كَالحَيْرانِ لا يَتَوَجَّهُ وَجْهاً ؛ ثمَّ لَقِيَ فَتىً من أَهْلِ المَدينَةِ ، فقالَ : يا فَتى ، ما اسْمُ هذِهِ المَدينَةِ ؟ فقالَ : أَفسوس . فقالَ في نَفْسِهِ : لَعلَّ بي مَسّاً ، أَوْ أَمْراً أَذْهَبَ عَقْلي ؛ وَاللهِ يَحِقُّ لِي أَنْ أُسْرِعَ الخُرُوجَ مِنها قبلَ أَنْ أَخْرُجَ منها وَيُصيبَني سُوءٌ فَأَهْلِكَ .

هذا الذي حَدَّثَ به تمليخا أَصْحابَهُ حِينَ تَبَيَّنَ لَه حالُهم .

ثمَّ إِنَّهُ أَفاقَ فقالَ : واللهِ لو عَجَّلْتُ الخُرُوجَ من المدينَة قبلَ أَنْ يُفْطَنَ بي ، لَكانَ أَكْيَسَ بي ؛ فَدَنا من الذينَ يَبيعُونَ الطَّعامَ ، فَأَخْرَجَ الوَرِقَ التي كانَتْ معهُ ، فَأَعطاها رَجُلاً منهم ، فقالَ : يا عبدَ اللهِ ، بِعْني بِهذِهِ الوَرِقِ طَعاماً . فَأَخَذَها الرَّجُلُ وَنَظَرَ إلى ضَرْبِ الوَرِقِ وَنَقْشِها ، وَعَجِبَ منها ، ثمَّ طَرَحَها إلى رَجُلٍ من أَصْحابِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيها ، ثمَّ جَعلُوا يَتَطارَحُونَها بَيْنَهم من رَجُلٍ إلى رَجُلٍ ، وَهُم يَعْجَبُونَ منها ، ثمَّ جَعَلُوا يَتَشاوَرُونَ وَيقولُ بعضُهم : إِنَّ هذا الرَّجُلَ قد أَصابَ كَنْزاً خَبيئاً في الأَرْضِ منذُ زَمانٍ وَدَهْرٍ طَويلٍ .

فلمَّا رآهُم يَتَشاوَرُونَ من أَجْلِهِ فَرِقَ فَرَقاً شَديداً ، وَحَزِنَ حُزْناً عَظيماً ، وَجَعلَ يَرْتَعِدُ وَيَظُنُّ أَنَّهم فَطِنُوا بِهِ وَعَرَفُوهُ ؛ وإِنَّما يُريدُونَ أَن يَحملوهُ إِلى مَلِكِهِم دقيانوس ، وَجعلَ أُناسٌ آخَرون يَأْتُونَهُ فَيَتَعَرَّفُونَهُ ؛ فقالَ لَهم وَهو شَديدُ الفَرَقِ : اقْضوني حاجَتي ، فقد أَخَذْتُم وَرِقي ، وإِلاَّ فَأَمْسِكُوا طَعامَكُم فَلا حاجَةَ لي فِيهِ . فقالُوا لَهُ : مَن أَنتَ يا فَتى ؟ وَما شَأْنُكَ ؟ واللهِ لقد وَجَدْتَ كَنْزاً من كُنُوزِ الأَوَّلِينَ ، وَأَنْتَ تُريدُ أَنْ تُخْفِيَهُ مِنَّا ؛ فانْطَلِقْ مَعَنا وَشارِكْنا فِيهِ ، يَخِفَّ علَيْكِ ما وَجَدْتَ ؛ فإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ نَأْتِ بِكَ السُّلْطانَ فَنُسَلِّمَكَ إِليْهِ فَيَقْتُلَكَ .

فلمَّا سَمِعَ قَوْلَهم عَجِبَ في نَفْسِهِ . وَقالَ : قد وَقَعْتُ في كُلِّ شَيْءٍ أَحْذَرُ

منهُ ؛ ثمَّ قالُوا : يا فَتى ، وَاللهِ إنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَكْتُمَ شَيئاً وَجَدْتَهُ ، وَلا تَظُنَّ في نَفْسِكَ أَنْ سَنَخْفىٰ عَليكَ . فَجعلَ تَمليخا لا يَدري ما يَقُولُ وما يَرجعُ إِليهم ، وَفَرِقَ حتَّى ما يَحيرُ إِليهم جَواباً ؛ فلمَّا رَأَوْهُ لا يَتَكَلَّمُ ، أَخذوا كِساءَهُ فَطَوَّقُوهُ في عُنُقِهِ . ثمَّ جَعلُوا يَقُودُونَهُ في سِكَكِ المَدينَةِ مُكَبَّلاً ، حتَّى سَمِعَ بِهِ كُلُّ مَن فِيها ، فَقيلَ : أُخِذَ رَجلٌ عِنْدَهُ كَنْزٌ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيهِ أَهْلُ المَدينَةِ ، صَغيرُهم وَكَبيرُهم فَجعلُوا يَنْظرونَ إِليْهِ وَيَقُولُونَ : وَاللهِ ما هذا الفَتى من أَهْلِ هذِهِ المَدينَةِ ، وَما رَأَيْناهُ فيها قَطُّ ، وَما نَعْرِفُهُ . فجعلَ تمليخا ما يَدري ما يَقُولُ لَهم مع ما سَمِعَ منهم .

فلمَّا اجْتَمَعَ عليْهِ أَهْلُ المَدينةِ فَرِقَ وَسَكَتَ وَلَمْ يَتكَلَّمْ ، وَلو قالَ : إنَّهُ من أَهْلِ المدينةِ لَمْ يُصَدَّقْ ؛ وَكانَ مُسْتَيْقِناً أَنَّ أَبَاهُ وإِخْوَتَهُ بالمدينةِ ، وَأَنَّ حَسَبَهُ في أَهْلِ المَدينَةِ من عُظَماءِ أَهْلِها ، وَأَنَّهُم سَيَأْتُونَهُ إذا سَمِعُوا ، وَقَدِ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ عَشِيَّةَ أَمْسِ كان يَعْرِفُ كثيراً من أَهْلِها ، وَأَنَّهُ لا يَعرفُ اليَومَ من أَهْلِها أَحَداً .

فَبينَما هُو قائِمٌ كَالحَيْرانِ يَنْتَظِرُ مَن يَأْتيهِ من بَعْضِ أَهْلِهِ ، إِمَّا أَبُوهُ أَو بعضُ إِخْوَتِهِ ، فَيُخَلِّصُهُ من أَيْديهم ؛ إذ اخْتَطَفُوهُ فانْطَلقُوا بِهِ إِلى رَئِيسَي المدينةِ وَمُدَبِّرَيْها اللَّذينِ يُديرانِ أَمْرَها ، وَهُمَا رَجُلانِ صالِحانِ ، اسْمُ أَحَدِهما أَرموس وَالآخرُ اصطفوس .

فلمَّا انْطُلِقَ بِهِ إِليهما ظَنَّ تمليخا أَنَّما يُنْطَلَقُ إِلى دقيانوس الجبارِ مَلِكِهم الذي هَرَبُوا منهُ ، فَجَعلَ يَلْتَفِتُ يَميناً وَشِمالاً ، وَجعلَ النَّاسُ يَسْخَرُونَ به كَما يَسْخَرونَ من المَجْنُونِ وَالحَيْرانِ ، وَجعلَ تمليخا يَبْكي ، ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّماءِ وقالَ : اللَّهُمَّ إِلَهَ السَّماءِ وإِلَهَ الأَرْضِ ، أَفْرِغْ عَلَيَّ اليَوْمَ صَبْراً ، وَأَوْلِجْ معي رُوحاً منكَ تُؤَيِّدُني بِهِ عِندَ هذا الجَبَّارِ ؛ وَجعلَ يَبْكِي وَيقُولُ في نَفْسِه : فُرِّقَ بَيْني وَبَيْنَ إِخْوتي ، يا لَيْتَهم يَعْلَمُونَ ما لَقِيتُ ، وَأَيْنَ يُذْهَبُ بي ؛ فلو أَنَّهم يَعْلَمُونَ فَيَأْتُوني فَنَقومُ جميعاً بينَ يَدَيْ هذا الجَبَّارِ ، فإِنَّا كُنَّا تَوافَقْنا لَنكُونَنَّ

معاً ، لا نَكْفُرُ باللهِ وَلا نُشْرِكُ به شَيْئاً ، وَلا نَعْبُدُ الطَّواغِيتَ من دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فُرِّقَ بَيْني وَبَيْنَهم ، فَلَمْ أَرَهُم وَلَمْ يَرَوْني . وَقد كُنَّا تَوافَقْنا أَنْ لا نَفْتَرِقَ في حَياةٍ وَلا مَوْتٍ أَبداً ؛ يا لَيْتَ شِعْري ما هُو فاعِلٌ بي ، أَقاتلي أَم لا ؟ .

هذا ما حَدَّثَ به تمليخا أَصْحابَهُ عن نَفْسِهِ حِينَ رجعَ إِليهم ، ثمَّ انْتُهِيَ بِهِ إلى الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحينِ أَرموس واصطفوس ، فلمَّا رَأَى تمليخا أَنَّهُ لَمْ يُذْهَبْ بهِ إِلى دقيانوس ، أَفاقَ وَسَكَنَ عنهُ البُكاءُ ، فَأَخَذَ أَرموس وأَصطفوس الوَرِقَ فَنَظَرَا إِلَيها وَعَجِبا منها ، ثمَّ قالَ أَحَدُهم : أَيْنَ الكَنْزُ الذي وَجَدْتَهُ يا فَتى ، فهذا الوَرِقُ يَشْهَدُ عليْكَ أَنَّكَ قد وَجَدْتَ كَنْزاً ؟ فقال لَهُ تمليخا : ما وَجَدْتُ كَنْزاً ، ولكنْ هذا الوَرِقُ وَرِقُ آبائي ، وَنَقْشُ هذِهِ المَدينةِ وَضَرْبُها ؛ وَلكنِّي واللهِ ما أَدري ما شَأْني ، وَما أَدْري ما أَقُولُ لكم . فقالَ أَحَدُهما : مَن أَنْتَ ؟ فقالَ لَهُ تمليخا : أَمَّا ما أَرى ، فإِنِّي كُنتُ أَرى أَنِّي من أَهْلِ هذهِ المَدينةِ ؛ فقالُوا لَهُ : مَن أَبُوكَ ، وَمَنْ يَعْرِفُكَ بها ؟ فَأَنْبَأَهُم باسْمِ أَبيه ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَداً يَعْرِفُهُ ولا أَباهُ ؛ فقالَ لَهُ أَحَدُهما : أَنتَ رجلٌ كَذَّابٌ لا تُخْبِرُ بالحَقِّ . فَلَمْ يَدْرِ تمليخا ما يَقولُ لَهم غيرَ أَنَّهُ نَكَّسَ رَأْسَهُ إِلى الأَرْضِ ، فقالَ بعضُ مَن حَوْلَهُ : هذا الرَّجُلُ مَجْنُونٌ ، وَقالَ بعضُهم : لَيْسَ بمَجْنُونٍ ، ولكنَّهُ يُحَمِّقُ نَفْسَهُ عَمْداً لكي يُفْلِتَ مِنْكُم ؛ فقال لَهُ أَحَدُهما ، وَنَظَرَ إِليْهِ نَظَراً شَديداً : أَتَظُنُّ أَنَّا نُرْسِلُكَ وَنُصَدِّقُكَ أَنَّ هذا مالُ أَبيكَ ، وَنَقْشُ هذا الوَرِقِ وَضَرْبُها أَكْثَرُ من ثلاثمئَةِ سنةٍ ، وَأَنْتَ غُلامٌ شابٌّ ؟ تَظُنُّ أَنَّكَ تَأْفِكُنا وَتَسْخَرُ بنا وَنحنُ شُمُطٌ كما تَرى ، وَحَوْلَكَ سَراةُ أَهْلِ المَدينَةِ وَوُلاةُ أَمْرِها ، وَخَزائِنُ هذِهِ البَلْدَةِ بأَيْدينا ، وَلَيسَ عِنْدَنا من هذا الضَّرْبِ دِرْهَمٌ ولا دِينارٌ ؟ وإِنِّي لأَظُنّني سآمُرُ بكَ فَتُضْرَبُ وَتُعَذَّبُ عَذاباً شَديداً ، ثمَّ أُوثِقُكَ حتَّى تُقِرَّ بهذا الكَنْزِ الذي وَجَدْتَ .

فلمَّا قالَ لَهُ ذلكَ ، قالَ لَهُ تمليخا : أَنبِئوني عن شَيْءٍ أَسْأَلُكم عنهُ ، فإِنْ فَعَلْتُم صَدَقْتُكُم ما عِنْدي . قالُوا : سَلْ ، لا نَكْتُمُكَ شَيئاً : قالَ : فَما فَعَلَ

المَلِكُ دقيانوس ؟ فقالُوا لهُ : لَيْسَ نَعْرِفُ اليَوْمَ على وَجْهِ الأَرْضِ مَلِكاً يُسَمَّى دقيانوس ، وَلَمْ يَكُنْ إلاَّ مَلِكاً قد هَلَكَ منذُ زَمانٍ وَدَهْرٍ طَويلٍ ، وَقد هَلَكَتْ بَعْدَهُ قُرُونٌ كَثيرَةٌ ؛ فقالَ لَهُم تمليخا : فَوَاللهِ ما يُصَدِّقُني أَحَدٌ من النَّاسِ بما أَقُولُ ، لَقد كُنَّا فِتْيَةَ المَلِكِ ، وَإِنَّهُ أَكْرَهَنا على عِبادَةِ الأَوْثانِ ، وَالذَّبْحِ للطَّواغِيتِ ، فَهَرَبْنا منهُ عَشِيَّةَ أَمْسِ ، فَنِمْنا ؛ فلمَّا انْتَبَهْنا خَرَجْتُ لأَشْتَرِيَ لأَصْحابي طَعاماً ، وَأَتَجَسَّسَ لَهمُ الأَخْبارَ ، فإذا أَنا كما تَرَوْنَ ؛ فَانْطَلِقُوا معي إِلى الكَهْفِ الذي في جَبَلِ منجلوس أُريكُم أَصْحابي .

فلمَّا سَمِعَ أَرموس وأَصطفوس ما يَقُولُ تمليخا قالا : يا قَوْمُ ، لَعلَّ هذِهِ آيَةٌ من آياتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، جعَلَهُما اللهُ لَكم على يَدَيْ هذا الفَتى ، فانْطَلِقوا بنا مَعَهُ يُرِينا أَصْحابَهُ كما قالَ .

فانْطَلَقَ معه أَرموس وأصطفوس ، وانْطَلَقَ مَعَهُما أَهْلُ المدينَةِ كَبيرُهم وَصَغيرُهم نحوَ أَصْحابِ الكَهْفِ لِيَنْظُرُوا إِليهِم .

وَلَمَّا رَأَى الفِتْيَةُ أَصْحابُ الكَهْفِ تمليخا قد احْتُبِسَ عنهم بِطَعامِهِم وَشَرابِهِم عن القَدْرِ الذي كان يَأْتيهم فِيهِ ، ظَنُّوا أَنَّهُ قد أُخِذَ وَذُهِبَ بِهِ إِلى مَلِكِهم دقيانوس الذي هَرَبُوا منهُ ؛ فبينما هُم يَظُنُّونَ ذلكَ ويَتَخَوَّفُونَهُ ، إِذْ سَمِعُوا الأَصْواتَ وَجَلَبَةَ الخَيْلِ مُصْعِدَةً نَحْوَهُم ، فَظَنُّوا أَنَّهم رُسُلُ الجبَّارِ دقيانوس ، بَعَثَ إِليهم لِيُؤْتى بهم ، فقامُوا حِينَ سَمِعُوا ذلكَ إِلى الصَّلاةِ ، وَسَلَّمَ بَعْضُهم على بعضٍ ، وقالُوا : انْطَلقوا بنا إِلى أَخينا تمليخا ، فإِنَّهُ الآنَ بينَ يَدَي الجبَّارِ دقيانوس يَنْتَظِرُ مَتى نَأْتِيهِ .

فبينَما هُم يَقُولُونَ ذلكَ ، وَهُم جُلُوسٌ بَيْنَ ظَهْرانَي الكَهْفِ ، فَلَمْ يَرَوْا إِلاَّ أَرموس وَأَصْحابَهُ وَقَوْماً وُقُوفاً على بابِ الكَهْفِ ، وَقَدْ سَبَقَهُم تمليخا فَدخلَ عليْهِم وَهُوَ يَبْكِي ، فلمَّا رَأَوْهُ يَبْكي بَكَوْا معهُ ، ثمَّ سَأَلُوهُ عن شَأْنِه ، فَأَخْبَرَهُم بِخَبَرِهِ ، وَقَصَّ عليْهم المَسْأَلَةَ ، فَعرفُوا عندَ ذلكَ أَنَّهم كانُوا نِياماً بِإِذْنِ اللهِ تَعالى

ذلكَ الزَّمانَ كُلَّهُ ، وإنَّما أُوقِظُوا لِيَكُونُوا آيَةً للنَّاسِ ، وَتَصْدِيقاً لِلْبَعْثِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها .

ثمَّ دَخَلَ على أَثَرِ تمليخا أَرموس ، فَرَأَى تابُوتاً من نُحاسٍ مَخْتُوماً بخاتَمٍ من فِضَّةٍ ، فَقَامَ بباب الكَهْفِ ، وَدَعا رِجالاً من عُظَماءِ أَهْلِ المَدينَةِ ، فَفَتَحَ التَّابُوتَ عندَهم ، فَوَجَدُوا فِيهِ لَوْحَيْنِ من رَصاصٍ مَكتوباً فيهما أَنَّ مكسلمينا وأمليخا ـ أَو تمليخا ـ ومرطوكش ونوالس وسانيوس وبطنيوس وكشفوطط كانُوا فِتْيَةً هَرَبُوا من مَلِكِهم دقيانوس الجبَّارِ ، مَخافَةَ أَنْ يَفْتِنَهم عن دِيْنِهم ، فَدَخلُوا في هذا الكَهْفِ ؛ فلمَّا أُخْبِرَ بمكانِهم ، أَمَرَ بهذا الكَهْفِ فَسُدَّ عليْهم بالحِجارَةِ ، وإنَّا كَتَبْنا شَأْنَهم وَخَبَرَهم لِيَعْلَمَ مَن بَعْدَهم إنْ عُثِرَ عليهم .

فلمَّا قَرؤُوهُ عَجِبُوا ، وَحَمَدُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ الذي أَراهم آيَةَ البَعْثِ فِيهم ، ثمَّ رَفعُوا أَصْواتَهم بحَمْدِ اللهِ وَتَسْبيحِهِ ، ثمَّ دَخلُوا على الفِتْيَةِ الكهفَ ، فَوَجَدُوهم جُلُوساً بينَ ظَهْرانَيْهِ ، وَوُجُوهُهم مُشْرِقَةٌ ، لَمْ تَبْلَ ثِيابُهم .

فَخَرَّ أَرموس وَأَصحابه سُجَّداً للهِ تَعالى ، وَحَمدُوا اللهَ الذي أَراهم آيَةً من آياتِهِ ، ثمَّ كَلَّمَ بعضُهم بَعْضاً ، وَأَنْبَأَهُم الفِتْيَةُ عن الذي لَقُوا من مَلِكِهم دقيانوس الجبَّارِ .

ثمَّ إنَّ أَرموس وَأَصحابه بَعَثُوا بَريداً إلى مَلِكِهم الصَّالح تاودوسيوس : أَنْ عَجِّلْ ، لَعَلَّكَ تَنْظُرُ إِلى آيَةٍ من آياتِ اللهِ تَعالى ، جَعَلَها اللهُ آيَةً على مُلْكِكَ ، وَجَعَلَها آيَةً للعالَمينَ ، لِيَكونَ ذلكَ نُوراً وَضِياءً وَتَصْديقاً بِالبَعْثِ ، فاعجلْ على فِتْيَةٍ بَعَثَهُم اللهُ ، وَكانَ قد تَوفَّاهُم منذُ أَكْثَرَ من ثلاثمئَةِ سنةٍ .

فَلَمَّا أَتىٰ المَلِكَ الخَبَرُ ، قامَ من السُّدَّةِ التي كان عَليها ، وَرَجَعَ إليهِ عَقْلُهُ ، وَذَهَبَ عنه هَمُّهُ ، وَرَجَعَ إِلى اللهِ تَعالى وَقالَ : أَحْمُدُ اللهَ رَب العالَمينَ ، رَبَّ السَّماواتِ والأَرْضِ ، وَأَعْبُدُكَ وَأُسَبِّحُ لَكَ ، تَطَوَّلْتَ عَلَيَّ وَرَحِمْتَني بِرَحْمَتِكَ ،

فَلَمْ تُطْفِىءِ النُّورَ الذي كُنتَ جَعَلْتَهُ لآبائِي ، وَللعَبْدِ الصَّالحِ قسطيطوس المَلِكِ .

فلمَّا أُنبىءَ بِهِ أَهْلُ المدينَةِ ، رَكِبُوا إِليْهِ ، وَسارُوا معهُ حتَّى صَعَدُوا نَحوَ الكهفِ وَأَتَوْهُ ؛ فلمَّا رَأَى الفِتْيَةُ تاودوسيوس فَرِحُوا وَخَرُّوا سُجَّداً على وُجوهِهِم ، وَقامَ تاودوسيوس قُدَّامَهم ثمَّ اعْتَنَقَهُم وَبَكى ، وَهُم جُلُوسٌ بينَ يَدَيْهِ على الأَرْضِ يُسَبِّحُونَ اللهَ تَعالى وَيَحْمَدونَهُ ؛ ثمَّ قالَ الفِتْيَةُ لتاودوسيوس : نَسْتَوْدِعُكَ اللهَ ، وَنَقْرَأُ عليْكَ السَّلامَ ، حَفِظَكَ اللهُ ، وَمَدَّ مُلْكَكَ ، وَنُعِيْذُكَ باللهِ من شَرِّ الجِنِّ والإِنسِ .

فَبينَما المَلِكُ قائِمٌ ، رَجَعُوا إِلى مَضاجِعِهِم فَنامُوا ، وَتَوفَّى اللهُ أَرْواحَهم ، وَقامَ المَلِكُ فَجعلَ ثِيابَهُ عَليهم ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لكُلِّ واحِدٍ تابُوتٌ من ذَهَبٍ ؛ فلمَّا أَمْسَوْا ونامَ ، أَتَوْهُ في المنامِ وقالُوا : إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ من ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ ، وَلَكِنَّا خُلِقْنا من التُّرابِ وإِلى التُّرابِ نَصيرُ ، فاتْرُكْنا كَما كُنَّا في الكَهْفِ على التُّرابِ حتَّى يَبْعَثَنا اللهُ .

فَأَمَرَ المَلِكُ حِينَئِذٍ بتابُوتٍ من ساجٍ ، فَجُعلُوا فِيهِ ، وَحَجَبَهم اللهُ حِينَ خَرَجُوا من عِنْدِهم بالرُّعْبِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عليْهم ؛ وَأَمَرَ المَلِكُ فَجَعَلَ على بابِ الكهفِ مَسْجِداً يُصَلَّى فِيهِ ، وَجَعَلَ لهم عِيْداً عَظيماً ، وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتى كُلَّ سَنَةٍ .

وَقيلَ : إِنَّهم لَمَّا أَتَوْا بابَ الكَهفِ قالَ لَهم تمليخا : دَعوني حتَّى أَدخلَ على أَصْحابي فَأُبَشِّرَهُم ، فإِنَّهم إِنْ رَأَوْكُم مَعي أَرْعَبْتُموهم ؛ فَدخلَ فَبَشَّرَهُم ، وَقَبَضَ اللهُ رُوحَهُ وَأَرْواحَهم ، وَعُمِّيَ عليهم فَلَمْ يَهْتَدُوا إِليهم . فهذا حَديثُ أَصْحابِ الكهفِ .

● وَيُقالُ[1] : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ إِيَّاهم ؟ فقالَ تَعالى : إِنَّكَ لَنْ

---

(١) الخبر مكرَّرٌ .

تَراهُم في دار الدُّنيا ، ولكنْ ابْعَثْ إليهم أَرْبَعَةً من خِيارِ أَصْحابِكَ لِيُبَلِّغُوهُم رِسالَتَكَ ، وَيَدْعُوهم إلى الإيْمانِ بكَ ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لجبريل : « كَيْفَ أَبْعَثُ إليهم ؟ » فقالَ : ابْسُطْ كِساءَكَ ، وَأَجْلِسْ على طَرَفٍ من أَطْرافِهِ أَبا بَكرٍ ، وَعلى الثَّاني عُمر ، وَعلى الثَّالثِ عَلِيّاً ، وَعلى الرَّابعِ أَبا ذَرٍّ ، ثمَّ ادْعُ الرُّخاءَ المُسَخَّرَةَ لِسُليمانَ بن داود عليهما السَّلامُ ، فإِنَّ اللهَ تعالى أَمَرَها أَنْ تُطيعَكَ ؛ فَفعلَ النَّبيُّ ﷺ ما أُمِرَ بِهِ ، فَحَمَلَتْهُمُ الرِّيْحُ حتَّى انْطَلَقَتْ بهم إلى بابِ الكَهفِ ؛ فلمَّا دَنَوْا من البابِ ، قَلعُوا منهُ حَجَراً ، فَقامَ الكَلْبُ فَنَبَحَ عليهم حِينَ أَبْصَرَ الضَّوْءَ ، وهَرَّ وَحَمَلَ عليهم ؛ فلمَّا رآهُم حَرَّكَ رَأْسَهُ ، وَبَصْبَصَ بذَنَبِه ، وَأَوْمَأَ برَأْسِهِ أَنِ ادخُلُوا الكَهفَ ؛ فدَخَلُوا فقالُوا : السَّلامُ عليكم وَرحمةُ اللهِ وَبَرَكاتُه ، فَرَدَّ اللهُ عليهم أَرْواحَهم ، فقامُوا بِأَجْمَعهم وقالُوا : وَعَليكُمُ السَّلامُ ، وَعلى محمَّدٍ رَسُولِ اللهِ السَّلامُ ، ما دامَتِ السَّماواتُ وَالأَرْضُ ، وَعَليكم بِما بَلَّغْتُم ؛ ثُمَّ جَلَسُوا بِأَجْمَعِهِم يَتَحَدَّثُونَ ، فآمَنُوا بمحمَّدٍ ﷺ وَقَبِلُوا دِيْنَ الإِسْلامِ ، وَقالُوا : أَقْرِئُوا محمَّداً مِنَّا السَّلامَ ؛ ثمَّ أَخَذُوا مَضاجِعَهم ، وَصارُوا إلى رَقْدَتِهم إلى آخِرِ الزَّمانِ عندَ خُرُوجِ المَهْديِّ .

وَيُقالُ : إِنَّ المَهْدِيَّ يُسَلِّمُ عليهم ، فَيُحْيِيْهِمُ اللهُ ثمَّ يَرجعونَ إلى رَقْدَتِهِم ، فَلا يَقُومُونَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ .

● وَقَدْ رَأَيْتُ في « كِتابِ الشِّفاءِ » للإِمامِ أَبي الرَّبيع سُليمان بن سَبُعٍ ، ما نَصُّهُ :

رُوِيَ أَنَّ عِيسى عليهِ السَّلامُ يُعَمَّرُ بعدَ الدَّجَّالِ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَرْبعينَ سَنةً ، وَيَكونُ حَوارِيُّوهُ أَصْحابَ الكَهفِ والرَّقيمِ ، وَيَحُجُّونَ معهُ لأَنَّهم لَمْ يَحُجُّوا . انتهى ما نَقَلَهُ ابْنُ سَبُعٍ .

● ثمَّ نَرْجِعُ إلى سِياقِ الثَّعلبيِّ ، قالَ :

ثمَّ جَلَسَ كُلُّ واحِدٍ منهم على مَكانِه ، وَحَمَلَتْهُمُ الرِّيْحُ ، فَهبطَ جِبريلُ على النَّبيِّ ﷺ وَأَخْبرَهُ بما كان منهم ؛ فَلَمَّا أَتَوْا النَّبيَّ ﷺ قالَ ﷺ : « كَيفَ وَجَدْتُموهم ؟ وَما الذي أَجابُوا ؟ فقالُوا : يا رَسولَ اللهِ ، دَخَلْنا عليهم ، فَسَلَّمْنا عليهم ، فقامُوا بأَجْمَعِهِم فرَدُّوا علَيْنا السَّلامَ ، وَبَلَّغْناهُم رِسالَتَكَ ، فَأَجابُوا وَأَنابُوا ، وَشَهِدُوا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقّاً ، وَحَمَدُوا اللهَ على ما أَكْرَمَهُم بِخُروجِكَ وَتَوْجِيهِ رُسُلِكَ إِليهم ؛ وَهُم يُقرؤُونَكَ السَّلامَ . فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ لا تُفَرِّقْ بَيْني وَبَيْنَ أَصْهارِي وأَحْبابي ، واغْفِرْ لِمَنْ أَحَبَّني وَأَحَبَّ أَهْلَ بَيْتي وَأَحَبَّ أَصْحابي » .

فَذلكَ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ [الكهف : ١٠] أَي : صارَ يَضُمُّ الفِتْيَةَ .

● قالَ الثَّعلبيُّ : كان أَصْحابُ الكهفِ صَيارِفَةً .

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ هو غارٌ بِجَبَلِ منجلوس ، وَقيل : بناجيوس ؛ واسْمُ الكهفِ حرم ، وَقيلَ : خدم(١) .

قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] أَي : يَسِّرْ لَنا ما نَلْتَمِسُ من رِضاكَ .

وَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : رَشَداً : أَي مَخْرَجاً من الغارِ في سَلامَةٍ . وَقيلَ : صَواباً .

قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ ﴾ وهذا من فَصاحاتِ القُرآنِ التي أَقَرَّتِ العَرَبُ بالقُصُورِ عن الإِتْيانِ بمِثْلِه ؛ وَمَعناهُ : أَنَمْناهُم ، وَأَلْقَيْنا وَسَلَّطْنا عَليهمُ النَّوْمَ ؛ كما يُقالُ : ضَرَبَ اللهُ فُلاناً بِالفالِجِ ، أَي ابْتَلاهُ بِهِ ، وَأَرْسَلَهُ عَلَيْهِ .

---

(١) وقد مضى أَنَّه حيزم . وفي التَّرويح ٢/ ٥ : جيروم .

وَقيلَ : مَعناهُ : حَجَبْناهُم عن السَّمْعِ ، وَسَدَدْنا نُفُوذَ الصَّوْتِ إلى مَسامِعِهم ؛ وَهذا وَصْفُ الأَمْواتِ والنِّيامِ .

وقالَ قُطرب : هو كَقَولِ العَرَبِ : ضَرَبَ الأَميرُ على يَدِ الرَّعِيَّةِ ، إذا مَنَعَهُم من العَبَثِ والفَسادِ ؛ وَضَرَبَ السَّيِّدُ على يَدِ عَبْدِهِ المَأْذُونِ لَهُ في التِّجارَةِ ، إذا مَنَعَهُ من التَّصرُّفِ .

● وَقالَ الأَسْوَدُ بن يَعْفُر ـ وَكانَ ضَريراً ـ في ذلكَ[1] : [من الكامل]

وَمِنَ الحَوادِثِ لا أَبا لي أَنَّني ضُرِبَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِالأَسْدادِ

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف : ١١] أي مَعْدُودَةً ، وَهي نَعْتُ السِّنين . وَالعَدُّ: المَصْدَرُ، وَالعَدَدُ: اسْمُ المعدُودِ؛ كَالنَّقْضِ والنَّقَضِ، وَالقَصِّ والقَصَصِ، وَالخَبْطِ والخَبَطِ، وَقالَ أَبو عُبيدة: هُوَ نَصْبٌ على المَصْدَرِ.

قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ يَعني : من بَعدِ مَوْتِهِم ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [الكهف : ١٢] وذلكَ حِينَ تَنازَعَ المُسلمُونَ الأَوَّلُونَ أَصْحابُ المُلْكِ ، وَالمُسلمُونَ الآخِرُونَ الَّذينَ أَسْلَمُوا حِينَ رَأَوْا أَصْحابَ الكَهْفِ في قَدْرِ مُدَّةِ لُبْثِهِم في الكَهْفِ ؛ فقالَ المُسْلِمُونَ الأَوَّلُونَ : لَبِثُوا في الكهفِ ثلاثمئة سِنينَ وَتِسْعَ سِنين ، وقالَ المُسلمُونَ الآخِرُونَ : بَلْ لَبِثُوا كذا وكذا ؛ فقالَ الأَوَّلُونَ : اللهُ أَعْلَمُ بما لَبِثُوا ؛ فَذلكَ قَوْلُهُ تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ ﴾ أَي : أَيُّ الفَريقينِ ﴿ أَحْصَىٰ ﴾ أي أَضْبَطُ وأَحْفَظُ ﴿ لِمَا لَبِثُوا ﴾ أَي مَكَثُوا في كَهفِهم نِياماً ﴿ أَمَدًا ﴾ غايَةً . وَقالَ مُجاهدٌ : عَدَداً ؛ وَفي نَصْبِهِ وَجْهانِ : أَحَدُهما على التَّفسيرِ ، وَالثَّاني مَفعُولُ لَبِثوا .

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ أَي نَقْرَأُ وَنُنَزِّلُ عَلَيْكَ ﴿ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾

---

(١) ديوانه ٢٥ .

أَي خَبَرَ أَصْحابِ الكَهفِ ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ أَي شَبابٌ وأَحْداثٌ ﴿ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾ حَكَمَ اللهُ لهُم بِالفُتُوَّةِ حِينَ آمَنُوا بِلا واسِطَةٍ لِذلكَ .

قالَ أَهْلُ اللِّسانِ : رَأْسُ الفُتُوَّةِ الإِيْمانُ .

وَقالَ الجُنَيْدُ : الفُتُوَّةُ : بَذْلُ النَّدى ، وَكَفُّ الأَذَى ، وَتَرْكُ الشَّكْوى .

وَقيلَ : الفُتُوَّةُ شَيْئانِ : اجْتِنابُ المَحارِمِ ، وَاسْتِعمالُ المَكارِمِ .

وَقيلَ : الفَتى مَن لا يَدَّعي قَبْلَ الفِعْلِ ، وَلا يُزَكِّي نَفْسَهُ بعدَ الفِعْلِ .

وَقِيلَ : لَيْسَ الفَتى مَن يَصْبِرُ على السِّياطِ ، إِنَّما الفَتى مَن يَجُوزُ على الصِّراطِ ؛ وَليسَ الفَتى مَن يَصْبِرُ على السِّكِّينِ ، إِنَّما الفَتى مَن يُطْعِمُ المِسْكِين .

قَولُهُ تَعالى : ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] أَي إِيْماناً وَبَصيرَةً وإِيْقاناً ﴿ وَرَبَطْنَا ﴾ أَي شَدَدْنا ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بِالصَّبْرِ ، وَأَلْهَمْناهُم ذلكَ ، وَقَوَّيْناهُم بِنُورِ الإِيْمانِ حِينَ صَبَرُوا على هِجْرانِ دارِ قَوْمِهِم ، وَفِراقِ ما كانُوا فِيهِ من خَفْضِ العَيْشِ ، وَفَرُّوا بِدِيْنِهِم إِلى الكَهْفِ ، ﴿ إِذْ قَامُواْ ﴾ بَيْنَ يَدَيْ دِقيانُوس ، ﴿ فَقَالُواْ ﴾ حِينَ عاتَبَهُم على تَرْكِ عِبادَةِ الصَّنَمِ : ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ أَي : لا نَعْبُدُ من دُونِهِ إِلَهاً ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٤] ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ وَمُقاتِلٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم : جُوراً . وَقالَ قَتادَةُ رحمهُ اللهُ تَعالى : كَذِباً ؛ وَأَصْلُ الشَّطَطِ وَالإِشْطاطِ ، مُجاوَزَةُ القَدْرِ وَالإِفْراطُ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ﴾ بِمعنى أَهلِ بَلَدِهم ﴿ ٱتَّخَذُواْ ﴾ أَي عَبَدُوا ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ يَعني مِن دُونِ اللهِ الأَصْنامَ يَعْبُدونها ﴿ لَّوْلَا ﴾ هَلاَّ ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِم ﴾ على عِبادَتِهم ﴿ بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ﴾ أَي حُجَّةٍ واضِحَةٍ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ١٥] وَيَزعُمُ أَنَّ لَهُ شَرِيكاً وَوَلَداً .

ثُمَّ قالَ بعضُهم لِبعضٍ : ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ يَعني قَوْمَهُم ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا

ٱللَّهَ ﴾ أَي وَاعْتَزَلْتُم أَصْنامَهم التي يَعْبُدونَها من دُونِ اللهِ ؛ وَكذلكَ هُوَ في مُصْحَفِ عبدِ اللهِ « وَما يَعْبُدُونَ من دُونِ للهِ » . ﴿ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ أَي صِيْرُوا إِلَيْهِ ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف : ١٦] أَي رِزْقاً رَغداً . وَالمِرْفَقُ : ما يَرْتَفِقُ بِهِ الإِنْسانُ ؛ وَفِيهِ لُغتانِ : مَرْفِقٌ : بِفَتْحِ المِيمِ ، وَكَسْرِ الفاءِ . وَهِيَ قِراءَةُ أَهْلِ المَدينَةِ وَالشَّامِ ، وَعاصِم في بعضِ الرِّواياتِ ؛ وَمِرْفَقٌ : بِكَسْرِ المِيمِ ، وَفَتْحِ الفاءِ ، وَهِيَ قِراءَةُ الباقينَ .

قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت ﴾ أَي : وَتَرى ـ يا محمَّدُ ـ الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ أَي : تَتَزاوَرُ .

قَرَأَ أَهْلُ الكُوفَةِ بِالتَّخفيفِ ، على حَذْفِ إِحْدى التَّاءَيْنِ ؛ وَقَرَأَ أَهْلُ الشَّامِ وَيَعقوب : تَزْوَرُّ ، على وَزْنِ تَحْمَرُّ ، وَكُلُّها بمعنىً واحِدٍ ، أَي : تَميلُ وَتَعْدِلُ ﴿ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ أَي : جانِبَ اليَمِينِ ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ﴾ . قالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : تَدَعُهُمْ . وَقالَ مُقاتِلٌ وَابْنُ حَيَّان : تُجاوِزُهُم ؛ وَأَصْلُ القَرْضِ : القَطْعُ : ﴿ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ أَي : مُتَّسَعٍ من الكَهفِ ؛ وَجَمْعُها فَجَواتٌ ، وَأَفْجاءٌ وَفَجاءٌ ؛ أَخْبَرَنا اللهُ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُم في مَضْجَعِهِم ، وَاخْتِيارِهِ لَهُمْ أَصْلَحَ المَواضِعِ لِلرُّقادِ ، فَأَعْلَمَنا أَنَّهُ يَراهُم في فَضاءٍ من الكَهْفِ ، مُسْتَقْبِلاً بَناتِ نَعْشٍ ، تَميلُ عَنهُمُ الشَّمْسُ طالِعَةً وغارِبَةً وجارِيَةً ، فَلا تَدْخُلُ عليهم فَتُؤْذيهم بِحَرِّها ، وَتُغَيِّرُ من أَلْوانِهم وَتُبلي ثِيابَهم ، وإِنَّهم في مُتَّسَعٍ منهُ ، يَنالُهُم فِيهِ بَرْدُ الرِّيحِ وَنَسِيمُها ، وَتَنْفِي عَنهم كُرْبَةَ الغارِ وَغُمُومَهُ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ما ذَكَرْنا من أَمْرِ الفِتْيَةِ ﴿ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أَي : من عَجائِبِ صُنْعِ اللهِ وَدِلالاتِ قُدْرَتِهِ .

قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] لِأَنَّ التَّوفيقَ والخِذْلانَ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿ أَيْقَاظًا ﴾ مُنْتَبِهينَ ، جَمْعُ يَقِظٍ وَيَقُظٍ ، مثل قَوْلِكَ : رَجُلٌ نَجِدٌ وَنَجُدٌ للشُّجاعِ ، وَجَمْعُهُ أَنْجادٌ ﴿ وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ يَعني : نِيامٌ ، جَمْعُ راقِدٍ ، مثلُ قاعِدٍ

وَقُعودٍ ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ﴾ بالتَّخفيفِ والتَّشْديدِ ﴿ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ مَرَّةً للجَنْبِ الأيْمَنِ ، وَمَرَّةً للجَنْبِ الأيْسَرِ .

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : كانُوا يُقَلَّبُونَ في السَّنَةِ مَرَّةً من جانِبٍ إلى جانِبٍ، لِئَلاّ تَأْكُلَ الأرْضُ لُحُومَهُم ؛ وَيُقالُ : إنَّ يَوْمَ عاشُوراءَ كان يَوْمَ تَقَلُّبِهِم .

وَقالَ أَبُو هُريرة : كان لَهم في السَّنَةِ تَقْليبَتانِ ﴿ وَكَلْبُهُم ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : كان أَحْمَرَ . وَقالَ مُقاتل : كان أَصْفَرَ . وَقالَ القُرطبيُّ : من شِدةِ صُفْرَتِهِ يَضْرِبُ إلى الحُمْرَةِ . وَقالَ الكَلْبيُّ : لَوْنُهُ كَالخَلَنْجِ . وَقيلَ : لَوْنُ الحَجَرِ . وَقيلَ : لَوْنُ السَّماءِ .

وَقالَ عليُّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : كان اسْمُهُ رَيَّان . وَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : قِطْمير . وَقالَ الأوزاعيُّ : مُشيرٌ ، وَقالَ سَعيدٌ الحَمَّالُ : حَرَّان . وَقالَ عَبْدُ اللهِ بن كَثيرٍ : إنَّ اسْمَ كَلْبِهم قَطمورٌ . وَقالَ السُّدِّيُّ : اسْمُهُ تُون . وقالَ عبدُ اللهِ بن سَلام : بَسيط . وقالَهُ كَعْبٌ : صَبْهان . وقالَ وَهْبٌ : اسْمُهُ نقيا . وَقيلَ : قَطْفير . وقيل : قُطَيْفير .

وَقالَ عُرْوَةُ : مِمَّا أُخِذَ على العَقْرَبِ أَنْ لا يَضُرَّ بِأَحَدٍ في لَيْلٍ وَلا نَهارٍ ، قالَ : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ ﴾ .

قالَ : وَمِمَّا أُخِذَ على الكَلْبِ أَنْ لا يَضُرَّ بِأَحَدٍ مِمَّنْ حَمَلَ عليْهِ ، إذا قالَ : ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ .

وَقَرَأَ جعفرُ الصَّادِقُ : ﴿ وكالِبُهُم ﴾ يَعني : صاحِبُ الكَلْبِ ﴿ بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ .

وَقالَ مُجاهدٌ والضَّحَّاكُ : والوَصِيْدُ : فِناءُ الكَهْفِ ؛ وَهِيَ رِوايَةُ عليّ بن أَبي طَلْحَةَ ، عن ابْنِ عبَّاسٍ .

وَقالَ سَعيدُ بن جُبيرٍ : الوَصِيْدُ : الصَّعِيدُ ، وَهُوَ التُّرابُ ؛ وَهِيَ رِوايَةُ

عَطِيَّةَ العَوفيّ ، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما .

وَقالَ السُّدِّيُّ : الوَصِيْدُ : البابُ ؛ وَهِي رِوايَةُ عِكْرِمَةَ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ وَأَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ[1] : [من الطويل]

بِـأَرْضٍ فَضـاءٍ لا يُسَـدُّ وَصِيْـدُهـا   عَلَـيَّ وَمَعْـرُوفـي بِهـا غَيْـرُ مُنْكَـرِ

أَي : بابُها .

وَقالَ عَطاءٌ : الوَصِيْدُ : عَتَبَةُ البابِ .

وَقالَ القُتَبِيُّ : الوَصِيْدُ : البناءُ ؛ وَأَصْلُهُ من قَوْلِ العَرَبِ : وَصَدْتُ البابَ ، وَأَوْصَدْتُهُ : إذا أَغْلَقْتَهُ وَأَطْبَقْتَهُ .

قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ يا محمَّدُ ﴿ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا ﴾ لِما أَلْبَسَهُمُ اللهُ تَعالى من الهَيْبَةِ ، حتَّى لا يَصِلَ إِليهم واصِلٌ ، وَلا تَلْمَسَهُمْ يَدُ لامِسٍ ، حتَّى يَبْلُغَ الكِتابُ أَجَلَهُ ، فَيُوقِظَهم اللهُ تَعالى من رَقْدَتِهِم لإِرادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يَجْعَلَهُمْ آيَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ شاءَ من خَلْقِهِ ﴿ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف: ٢١] ﴿ وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ [الكهف: ١٨] أَي : خَوْفاً .

وَقَرَأَ أَهْلُ الكُوفَةِ ﴿ لَمُلِّئْتَ ﴾ بِالتَّشْديدِ ؛ قيلَ : إِنَّما قالَ ذلكَ لِوَحْشَةِ المَكانِ الذي هُم فِيهِ .

وَقالَ الكَلبيُّ وَغيرُهُ : لأَنَّ أَعْيُنَهُم مُفَتَّحَةٌ كَالمُسْتَيْقِظِ الذي يُريدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَهُمْ نِيامٌ . وَقيلَ : إِنَّ اللهَ مَنَعَهُم بِالرُّعْبِ لِئَلاَّ يَراهُم أَحَدٌ .

● وَرُوي سَعيدُ بن جُبَيْرٍ ، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّهُ غَزا مع مُعاويةَ غَزْوَةَ المَضِيقِ نَحْوَ الرُّومِ ، فَمَرُّوا بِالكَهْفِ الذي فِيهِ أَصْحابُ الكَهْفِ ، الذينَ ذَكَرَهُم اللهُ في القُرْآنِ ، فَقالَ مُعاويةُ : لو كُشِفَ لَنا عن هَؤُلاءِ فَنَظَرْنا إِليهم . فقالَ لَهُ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : لَيْسَ لَكَ ذلكَ ، قد

---

(١) مضى تخريج البيت في المادَّة ذاتها .

مَنَعَ اللهُ ذلكَ من هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ؛ قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ فقالَ مُعاويةُ : لا أَنْتَهي حَتَّى أَعْلَمَ عِلْمَهُم ؛ فَبَعَثَ ناساً ، فقالَ : اذْهَبُوا فادْخُلُوا الكَهْفَ ، فانْظُرُوا . فَفَعَلُوا ، فلَمَّا دَخَلُوا الكَهْفَ ، بَعَثَ اللهُ عليْهم رِيحاً فَأَخْرَجَتْهُم .

قَوْله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ يَعني : كَما أَنَمْناهُم في الكَهْفِ ، وَمَنَعْنا من الوُصُولِ إليهم ، وَحَفِظْنا أَجْسامَهم من البلى على طُولِ الزَّمانِ ، وَثِيابَهم من العَفَنِ على مَمَرِّ الأَيَّام بِقُدْرَتِنا ، فَكَذلِكَ بَعثْناهم من النَّوْمَةِ التي تُشْبهُ المَوْتَ ﴿ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ﴾ أَي : لِيَتَحَدَّثُوا وَيَسْأَلَ بَعْضُهُم بَعْضاً ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ يَعني : رَئِيسُهم مكسلمينا ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ في نَوْمِكُم ، وذلكَ أَنَّهم اسْتَنْكَرُوا من أَنْفُسِهم طُولَ نَوْمِهم . وَيُقالُ : إِنَّهم راعَهُم ما فاتَهُم من الصَّلاةِ ، فقالَ ذلكَ ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ لأَنَّهم دَخلُوا الكَهفَ غُدْوَةً ، فَلَمَّا رَأَوْا الشَّمْسَ قالُوا : ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ تَوَقِّياً من الكَذِبِ ، وَكانَ قد بَقِيَتْ من الشَّمْسِ بَقِيَّةٌ . وَيُقالُ : كان بعدَ زَوالِ الشَّمْسِ ؛ فلمَّا نَظَرُوا إلى أَظْفارِهم وأَبْشارِهم ، تَيَقَّنُوا أَنَّ لُبْثَهُمْ كان أَكْثَرَ من يَوْمٍ فـ ﴿ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ .

وَيُقالُ : إِنَّ رَئِيسَهُم لَمَّا سَمِعَ الاخْتِلافَ بَيْنَهم قالَ ذلكَ ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم ﴾ يعني تمليخا ﴿ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ وَالوَرِقُ : الفِضَّةُ المَضْرُوبَةُ ، مَضْرَوبَةً كانَتْ أَو غَيْرَ مَضْرُوبَةٍ .

وَالدَّليلُ عليْهِ أَنَّ عَرْفَجَةَ بنَ أَسْعَدَ أُصِيبَ أَنْفُهُ يومَ الكُلابِ ، فاتَّخَذَ أَنْفاً من وَرِقٍ[1] .

---

(١) اتَّخذ أَنفاً من وَرِقٍ فأَنتنَ ، فأَمره النَّبيُّ ﷺ أَنْ يتَّخذ أَنفاً من ذهبٍ . (طبقات ابن سعد ٩/ ٤٤ وأُسد الغابة ٤/ ٢١ والإِصابة ٤/ ٤٠٠ (رقم ٥٥٢٢)) .
وحديث يوم الكُلاب تجدهُ في : النَّقائض ١/ ٤٤٨ والأَنوار للشّمشاطيّ ١/ ٢٠٩ وكامل ابن الأَثير ١/ ٥٤٩ والأَغاني ١٢/ ٢٠٩ ومعجم البلدان ٤/ ٤٧٢ . وانظر طُرفة حدثت بسبب ذلكَ ، في أَخبار المُصَحِّفين ٤٦ .

وَفيهِ لُغاتٌ : بوَرْقِكُم ، ساكِنَة الرَّاءِ ، وَهي قِراءَةُ أَبي عَمرٍو وَحَمزةَ وَخَلَفٍ وَأَبي بَكرٍ . وَبِوَرِقْكُم بكَسْرِ الرَّاءِ وإِدْغامِ القافِ ، وَهيَ قِراءَةُ بَعضٍ . وَبوَرِقِكُم ، بِفَتْحِ الواوِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ ، وَهي قِراءَةُ أَكْثَرِ القُراءِ ؛ ووِرْقٌ وَوَرْقٌ ، مثلُ كِبْدٍ وكَبْدٍ ، وكِلْمٍ وكَلْمٍ .

والمدينةُ : أَفسوس . وقيل : طَرَسُوس . ويُقال : أَرسوس . كان اسْمُها في الجاهِلِيَّةِ أَفْسوس ، فلمَّا جاءَ الإِسْلامُ سَمَّوها طَرسوس ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، وَسَعيدُ بن جُبيرٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه : أَحَلُّ ذَبيحَةً ؛ لأَنَّ عامَّتَهُم كانُوا مَجُوساً ؛ ومنهم قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ يُخْفُونَ إِيْمانَهم . وَقالَ الضَّحَّاكُ : أَطْيَبُ . وَقال مُقاتِل وابن حَيَّان : أَجْوَدُ . وَقالَ ابْنُ شِهابٍ : أَرْخَصُ . وَقالَ قَتادَةُ : أَخْيَرُ . وَقالَ عِكْرِمَةُ : أَفْضَلُ وَأَكْثَرُ . وَأَصْلُ الزَّكاةِ : الزِّيادَةُ والنَّماءُ ؛ قالَ الشَّاعرُ[1] : [من الطَّويل]

قَبائِلُنا سَبْعٌ وَأَنْتُمْ ثَلاثَةٌ كَذا السَّبْعُ أَزْكى من ثَلاثٍ وَأَطْيَبُ

﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ أَي : قُوتٍ وَطَعامٍ ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أَي : وَلْيَرْفُقْ في الشِّراءِ ، وَفي طَريقِهِ ، وَفي دُخُولِهِ المَدينَةَ ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ ﴾ وَلا يُعْلِمَنَّ ﴿ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١٩] من النَّاسِ ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾ فَيَعْلَمُوا بِمَكانِكُم ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ قالَ ابنُ جُريجٍ : يَشْتُموكم ، وَيُؤْذُوكُم بِالقَوْلِ ؛ وَيُقالُ : يَقْتُلوكم ؛ وَيُقالُ : كان من عادَتِهم القَتْلُ بالرَّجْمِ ، وَهُو من أَخْبَثِ القَتْلِ ؛ وَيُقالُ : يَضْرِبُوكُم ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ أَي : دِيْنِهم الكُفْر ﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٢٠] إِن عُدْتُم إِلَيْهم .

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أَي : أَطْلَعْنا عَليهِم . يُقالُ :

---

(١) البيت للقتّال الكلابي ، في ديوانه ٥٠ وكتاب سيبويه ٣ / ٥٦٥ بقافية رائيّة : × . . وأَكثرُ . وهو بلا نسبة في تفسير ابن كثير ٣/ ٧٧ وتفسير الطبري ١٥/ ٢١٤ .

عَثَرْتُ على الشَّيْءِ : اطَّلَعْتُ عليْهِ ، وَأَعْثَرْتُ غَيْري : أَطْلَعْتُهُ عَلَيهِ ﴿ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ يَعني قَومَ تاودوسيوس ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ ﴾ قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : يَتَنازَعُونَ في البُنْيانِ وَالمَسْجِدِ ؛ فقالَ المُسلمُونَ : نَبْني عَليهِم مَسْجِداً ، لأَنَّهم على دِينِنا ؛ وَقالَ المُشْرِكُونَ : نَبْني عليهِم بُنْياناً ، لأَنَّهم من أَهْلِ نَسَبِنا . وَقالَ عِكْرِمَةُ : يَتَنازَعُونَ في الأَرْواحِ والأَجْسادِ ؛ فقال المُسلمون : البَعْثُ للأَجْسادِ والأَرْواحِ ؛ وقال المُشركون : البَعْثُ للأَرْواحِ دُونَ الأَجْسادِ ؛ فَبَعَثَهُمُ اللهُ من رُقادِهم ، وَأَراهُم أَنَّ البَعْثَ لِلأَجْسادِ والأَرْواحِ ؛ وَقِيلَ : يَتَنازَعُونَ في عَدَدِهم ﴿ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾ تاودوسيوس المَلِكُ وَأَصْحابُهُ ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف : ٢١] .

قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وذلكَ[١] أَنَّ السَّيِّدَ والعاقِبَ وأَصْحابَهما من نَصارى نَجْران كانُوا عندَ النَّبيِّ ﷺ فَجَرَى ذِكْرُ أَهْلِ الكَهْفِ ، فقالَ السَّيِّدُ : كانُوا ثَلاثَةً رابِعُهُم كَلْبُهُم ؛ وَكانَ السَّيِّدُ يَعْقُوبيّاً ؛ وَقال العاقِبُ : كانُوا خَمْسَةً سادِسُهم كَلْبُهُم ؛ وقال المسلمون : كانوا سَبْعَةً وثامِنُهم كَلْبُهُم ؛ فَحَقَّقَ اللهُ قَوْلَ المُسلِمينَ وَصَدَّقَهُم ، بعدَما حَكى قَوْلَ النَّصارى ، فقالَ : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِۖ ﴾ أَي قَذْفاً بِالظَّنِّ من غَيْرِ يَقِينٍ ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ[٢] : [من الطويل]

وَأَجْعَلُ قَوْلي الحَقَّ قَوْلاً مُرَجَّماً

﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ ﴾ قالَ بَعضُهم : هذِهِ واوُ الثَّمانِيَةِ ؛

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٧٨ .

(٢) عجز بيت لعميرة بن طارق ، في تفسير الطبري ١/ ٦٢٤ والأَضداد لابن الأَنباري ١٤ .
وصدره : بأَن تغتزوا قومي وأَقعدَ فيكمُ × .

وَذلكَ أَنَّ العَرَبَ تَقُولُ : واحِدٌ ، اثْنانِ ، ثَلاثَةٌ ، أَرْبَعَةٌ ، خَمْسَةٌ ، سِتَّةٌ ، سَبعةٌ ، وثَمانيةٌ ؛ لِأَنَّ العَقْدَ عندَهم كان سَبْعَةً كما هُوَ اليومَ عندَنا عَشَرَةٌ ؛ وَنَظيرُهُ قَولُهُ تَعالى : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التَّوبة : ١١٢] وقَولهُ تَعالى لأَزْواجِ النَّبيِّ ﷺ ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التَّحريم : ٥] وقالَ بعضُهم : هذِهِ واوُ الحُكْمِ والتَّحْقِيقِ ؛ فإِنَّ اللهَ حَكى اخْتِلافَهم ، فَتَمَّ الكَلامُ عندَ قَولِهِ ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ ثمَّ حَكى أَنَّ ثامِنَهُم كَلْبُهم ؛ وَالثَّامِنُ لا يَكُونُ إلاَّ بَعدَ السَّبْعِ ، فهذا تَحقيقُ قَوْلِ المُسلمينَ ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قالَ مُجاهدٌ وَقَتادةُ : قليلٌ من النَّاسِ ؛ وَقالَ عَطاءٌ وقَتادةُ أَيضاً : يَعني بالقَليلِ : أَهْلَ الكِتابِ ؛ وَقالَ ابنُ عبَّاسٍ في قَوْلِهِ : ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قالَ : أَنا من أُولِئِكَ القَليلِ .

وَهُم(١) مكسلمينا ، وتمليخا ، ومرطونس ، وبنيونس ، وساربونس ، ودوانوانس ، وكندسلططنوس ، وَهو الرَّاعي ؛ وَالكَلبُ اسمُه قِطْمير ؛ كَلْبٌ أَنْمَرُ فَوقَ القَلَطيِّ وَدُونَ الكُرديِّ ؛ وَالقَلَطيُّ : كَلْبٌ صِيْنيٌّ .

● قالَ محمَّد بن المسيَّب : وما بَقِيَ بِنَيسابُورَ مُحَدِّثٌ إلاّ كَتَبَ عَنِّي هذا الحَديثَ ، إلاّ مَن لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ ؛ وَكَتَبَهُ عَلَيَّ أَبو عَمرو الحِيْري .

زادَ الإِمامُ أَبو الحَسَنِ في رِوايَتِهِ ، فقالَ : قُلتُ : وَصَدَقَ ابْنُ المُسَيِّب ، فقد رَأَيْتُ في تَفْسِيرِ أَبي عَمرو الحيريّ هذا الحَدِيثَ مَرْوِيّاً عن ابْنِ المُسَيِّب . ثمَّ قالَ : أَعْني الإِمامَ أَبا الحَسَنِ بسَنَدِهِ عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما قالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَدَّهُم حتَّى انْتَهى إِلى السَّبْعَةِ ؛ وَأَنا من القَليلِ الَّذينَ

---

(١) في أَسمائِهم خلافٌ كبيرٌ بين المفسِّرين . وينظر تاريخ الطَّبريّ ٢/ ٦ وتفسير القرطبيّ ١٠/ ٣٦٠ وترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ٥ والكشَّاف ٢/ ٤٧٨ . . .

يَعْلَمونَهم ، هم سَبْعَةٌ . يَعني أَصْحابَ الكَهْفِ .

قالَ الثَّعلبيُّ : قَولُهُ تَعالى : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ وَهوَ ما نَصَّ عليْهِ في كِتابِهِ العَزيزِ من خَبَرِهم ، يَقُولُ تَعالى : حَسْبُكَ ما قَصَصْتُ عَليكَ ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ ﴾ ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٢] من أَهْلِ الكِتابِ .

وَقَولُهُ تَعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : يَعني : إِنْ عَزَمْتَ على أَنْ تَفْعَلَ غداً شَيْئاً ، أَنْ تَحْلِفَ على شَيْءٍ أَنْتَ فاعِلُهُ غداً ، فَقُلْ : إِنْ شاءَ اللهُ ؛ فإِنْ نَسِيْتَ الاسْتِثْناءَ ثمَّ ذَكَرْتَهُ فَقُلْهُ وَلَوْ بَعْدَ سَنَةٍ .

وَهذا تَأْدِيبٌ من اللهِ تَعالى لِنَبيِّهِ ﷺ حِينَ سُئِلَ عن المَسائِلِ الثَّلاثَةِ : أَهْلِ الكَهْفِ ، وَالرُّوحِ ، وَذِي القَرْنَيْنِ . فَوَعَدَهُم أَنْ يُجِيبَهم عنهُم غداً ، وَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شاءَ الله ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ .

● رُوِيَ عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « لا يَتِمُّ إِيْمانُ العَبْدِ حتَّى يَسْتَثْنِيَ في كُلِّ كَلامِهِ » .

وَقولُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ . قالَ ابْنُ عبَّاسٍ ، وَمُجاهِدٌ وأَبو العالِيَةِ والحَسَنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم : مَعناهُ : إِذا نَسِيْتَ الاسْتِثْناءَ ثمَّ ذَكَرْتَهُ ، فَاسْتَثْنِ .

وَقال عِكْرِمَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : مَعناهُ : وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا غَضِبْتَ ؛ فَقد رَوى وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ ، قالَ : مَكتُوبٌ في الإِنْجِيلِ : يا ابْنَ آدَمَ ، اذْكُرْني حِينَ تَغْضَبُ ، أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ ؛ وإِلاَّ أَمْحَقُكَ فِيمَنْ أَمْحَقُ ؛ وَإِذا ظُلِمْتَ فَلا تَنْتَصِرْ ، فإِنَّ نُصْرَتي لَكَ خَيْر من نُصْرَتِكَ لِنَفْسِكَ .

وَقالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ : هذا في الصَّلاةِ ، لِقولِهِ ﷺ : « مَنْ نَسِيَ صَلاةً ، أَو نامَ عنها ، فَلْيُصَلِّها مَتَى ذَكَرَها » .

وَقالَ أَهْلُ الإِشارَةِ : مَعناهُ : وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيْتَ غَيْرَهُ ؛ وَيُؤَيِّدُهُ قَولُ ذِي النُّونِ المِصْرِيِّ رحمَهُ اللهُ تَعالى : مَن ذَكَرَ اللهَ على الحقيقَةِ ، نَسِيَ في جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ ، فإِذا نَسِيَ في جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ ، حَفِظَ اللهُ لَهُ كُل شَيْءٍ ، وَكانَ لَهُ عِوَضاً من كُلِّ شَيْءٍ .

وَقيلَ : مَعناهُ : واذْكُرْ رَبَّكَ إِذا تَرَكْتَ ذِكْرَهُ ؛ وَالنِّسْيانُ هُوَ التَّرْكُ .

قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ٢٤] أَي : يُثَبِّتُني على طَرِيقٍ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ وَأَرْشَدُ .

وَقِيلَ : مَعناه : لَعلَّ اللهَ يَهْدِيني فَيُرْشِدَني لأَقْرَبَ مِمَّا وَعَدْتُكم وَأَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ إِنْ هُوَ شاءَ .

وَقيلَ : إِنَّ اللهَ أَمَرَهُ أَنْ يَذْكُرَهُ إِذا نَسِيَ شَيْئاً ، وَيَسْأَلَهُ أَنْ يَذْكُرَهُ ، فَيَذْكُرَهُ وَيَهْدِيَهُ لِما هُوَ خَيْرٌ لَهُ من تَذَكُّرِهِ وَما نَسِيَهُ .

وَيُقالُ : إِنَّ هؤُلاءِ القَوْمَ لَمَّا سَأَلُوهُ عن قِصَّةِ أَصْحابِ الكَهفِ على وَجْهِ العِنادِ ، أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُخْبِرَهُم أَنَّ اللهَ سَيُؤْتِيهِ من الحُجَجِ والبَيانِ على صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ ، وَما دَعاهُم إِلَيْهِ من الحَقِّ ، زِيادَةً على ما سَأَلُوهُ ؛ ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعالى فَعَلَ ذلكَ بِهِ ، حَيْثُ آتاهُ من عِلْمِ غُيُوبِ المُسلمينَ وَخَبَرِهم ما كانَ أَوْضَحَ الحُجَجِ ، وَأَقْرَبَ إِلى الرُّشْدِ من خَبَرِ أَصْحابِ الكَهفِ .

وَقالَ بعضُهم : هذا شَيْءٌ أُمِرَ ﷺ أَنْ يَقُولَهُ مع قَوْلِهِ : إِنْ شاءَ الله ، إِذا ذَكَرَ الاسْتِثْناءَ بعدما نَسِيَهُ ؛ فإِذا نَسِيَ الإِنْسانُ إِنْ شاءَ اللهَ ، فَتَوْبَتُهُ من ذلكَ وَكَفَّارَتُهُ أَن يقولَ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ .

وَقولُهُ تَعالى : ﴿ وَلَبِثُوا۟ ﴾ يَعني أَصْحابَ الكهفِ ﴿ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥] قالَ بعضُهم: هذا خَبَرٌ عن أَهْلِ الكِتابِ أَنَّهُم قالُوا ذلكَ. وَقالُوا: لو كان خَبَراً من اللهِ عن قَدْرِ لُبْثِهم في الكَهْفِ، لَمْ يَكُنْ لِقَولِهِ :

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾ وَجْهٌ مَفْهومٌ ، فقد أَعْلَمَ اللهُ خَلْقَهُ قَدْرَ لُبْثِهِم ؛ وَهذا القَولُ قَولُ قَتادَةَ، يَدُلُّ عليْهِ قِراءَةُ عبدِ اللهِ بن مَسعود ﴿فقالُوا لَبِثُوا في كَهْفِهِم﴾ .

وَقالَ مَطَرُ الوَرَّاقُ في هذِهِ الآيَةِ : هذا شَيْءٌ قَالَتْهُ اليَهُودُ ، فَرَدَّ اللهُ عَليهم ، فقالَ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾ .

وَقالَ آخَرونَ : هذا إِخْبارٌ من اللهِ تَعالى عن قَدرِ لُبْثِهِم في الكَهْفِ ؛ وقالُوا : مَعنى قَولِه تَعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ﴾ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ قالُوا : إِنَّ لِلْفِتْيَةِ من لَدُنْ دَخَلُوا الكَهْفَ إِلى يَوْمِنا هذا ثلاثمئة وَتِسْعَ سِنينَ ، فَرَدَّ اللهُ عليهم ذلكَ . قالَ ﷺ : « اللهُ أَعلمُ بما لَبِثُوا » بعدَ أَنْ قَبَضَ أَرْواحَهُم إِلى يَوْمِنا هذا ، لا يَعْلَمُ ذلكَ غَير اللهِ وغير مَن أَعْلَمَهُ اللهُ ذلكَ .

وَقالَ الكَلْبيُّ : قالَتِ النَّصارى أَهْلُ نَجْران : أَمَّا الثَّلاثمئة فَقَد عَرَفْناها ، وَأَمَّا التِّسْعُ فَلا عِلْمَ لَنا بها ؛ فَنَزَلَت ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ أَي : يَعْلَمُ ما غابَ فيهما عن العِبادِ .

وَاخْتَلَفُوا في قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ ﴾ فَقَرَأَ أَهْلُ الكوفَة بِغيرِ تَنْوينٍ ، بمعنى : فَلَبِثُوا في كَهْفِهم سِنينَ ثلاثمئة .

وَقالَ الضَّحَّاكُ وَمُقاتلٌ : نَزَلَت ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ ﴾ فقالُوا : أَيَّاماً أَو شَهْراً أَو سِنين ؟ فلذلكَ قالَ : ﴿سِنِينَ﴾ وَلمْ يَقُلْ سَنَةً . انتهى ما ساقَهُ الإِمامُ أَبُو إِسحاق محمَّد بن أَحمد الثَّعلبيُّ من قِصَّةِ أَصْحابِ الكَهْفِ ، وَقَد ذَكَرَها الحافِظُ أَبو جعفر محمَّد بن جَرير بن يَزيد الطَّبريّ في « تاريخه الكَبير »[1] ، وَفيها زِيادَةُ فَوائد فَلْنَأْتِ بها .

● قالَ[2] : وَمِمَّا كان في أَيَّامِ مُلُوكِ الطَّوائِفِ ، ما ذَكَرَهُ اللهُ في كِتابِهِ

---

(١) تاريخ الطبري ١/ ٦٣٢ و٢/ ٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٥ـ٦ .

العَزيزِ من أَمْرِ الفِتْيَةِ الذينَ أَوَوْا إِلى الكَهْفِ ، فَضَرَبَ على آذانِهم ، قالَ : وَكانَ أَصْحابُ الكَهْفِ فِتْيَةً آمَنُوا بِرَبِّهم ، كما وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ في تَنْزِيلِهِ ؛ فقالَ لِنَبيِّهِ محمَّد ﷺ : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ وَالرَّقيمُ هُو الكِتابُ الذي كان القَوْمُ الذينَ منهم كان الفِتْيَةُ ، كَتَبُوهُ في لَوْحٍ بذِكر خَبَرِهِم وقَصَصِهم ، ثم جَعَلوهُ على بابِ الكهف الذي أَوَوا إِليهِ ، أَو نَقَروهُ في الجَبَلِ الذي أَوَوا إِليه ، أَو كتبوه في لوحٍ وَجَعَلُوهُ في صُندُوقٍ خَلَّفُوهُ عِنْدَهُم ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ وَكانَ عَدَدُ الفِتْيَةِ فِيما ذُكِرَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما سَبعةً وثامِنُهم كَلْبُهم .

● قالَ قَتادَةُ[1] : ذُكِرَ لنا أَنَّ ابنَ عبَّاسٍ كان يَقولُ : أَنا من ذلكَ القَليلِ الذي اسْتَثْنى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، كانُوا سَبْعَةً وَثامِنُهُم كَلْبُهم ؛ وَكانَ اسْمُ أَحَدِهم يَمليخا ، وَهوَ الذي كان يَلي شِراءَ الطَّعامِ لَهُم ، الذي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنهم أَنَّهُم قالُوا : إِذْ هَبُّوا من رَقْدَتِهم : ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ .

قال مجاهدٌ في قوله تعالى : ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ ﴾ اسْمُهُ يَمليخ . وَأَمَّا ابْنُ إِسحاق فإِنَّهُ قالَ : اسْمُهُ يمليخا .

وَكانَ ابْنُ إِسْحاق يَقولُ[1] : عَدَدُ الفِتْيَةِ ثَمانيةٌ ، فَعلى قَولِهِ كان تاسِعَهُم كَلْبُهُم ؛ وَأَنَّهُ كان يُسَمِّيهم فيقولُ : كان أَحَدُهم ، وَهُوَ أَكْبَرُهم ، وَالذي كَلَّمَ المَلِكَ عن سائِرِهم : مكسلمينا ، وَالآخر : مجسلمينا ، وَالثَّالثُ : يَمليخا ، وَالرَّابعُ : مرطوس ، والخامسُ : كفشطيوس ، والسَّادسُ : يليوس ، وَالسَّابعُ : ميموس ، وَالثَّامنُ : بطنيوس ، وَالتَّاسعُ : طالوس[2] ؛ وَكانُوا أَحْداثاً .

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥-٦ .
(٢) الظَّاهر أَنَّه اسم الكلب عند ابن إِسحاق ، وفي أَسماء الفتية خلاف كبير .

● وَعن مُجاهِدٍ قالَ[1] : لَقد حُدِّثْتُ أَنَّهُ كان على بَعْضِهم من حَدَاثَةِ أَسْنانِهم وَضَحُ الوَرِقِ ، وَكانُوا من قَوْمٍ يَعبدُونَ الأَوْثانَ من الرُّوم ، فَهَداهُمُ اللهُ للإِسْلامِ ، وكانت شَرِيعَتُهم شَريعةَ عِيسى ابن مريم عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في قَولِ جماعةٍ من سَلَفِ عُلَمائِنا .

● وَعن عُمر يَعني ابنَ قَيْسٍ المُلائيّ[2] : في قولِهِ تَعالى : ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ قالَ : كانَتِ الفِتْيَةُ على دِيْنِ عيسى ابن مَريم عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَكانَ مَلِكُهم كافِراً ، وَكانَ بعضُهم يَزْعُمُ أَنَّ أَمْرَهُم وَمَصيرَهم إِلى الكَهْفِ كان قَبلَ المَسيحِ ، وَأَنَّ المَسيحَ أَخْبَرَ قَوْمَهُ خَبَرَهُم ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَهُم من رَقْدَتِهم بعدما رُفِعَ المَسِيحُ عليهِ السَّلامُ في الفَتْرَةِ التي بَيْنَهُ وَبَينَ محمَّدٍ ﷺ وَاللهُ أَعلمُ أَيُّ ذلكَ كانَ .

فَأَمَّا الذي عليْهِ عُلماءُ الإِسْلامِ : فإِنَّ أَمْرَهُم كان بعدَ المَسيحِ ؛ وَأَمَّا أَنَّهُ كان في أَيَّامِ مُلُوكِ الطَّوائِفِ ، فإِنَّ ذلكَ لا يَرْفَعُهُ رافِعٌ من أَهْلِ العِلْمِ بِأَخْبارِ النَّاسِ القَديمَةِ .

وَكانَ لَهُمْ في ذلكَ الزَّمَنِ مَلِكٌ يُقالُ لَهُ : دقيانوس ؛ يَعْبُدُ الأَصْنامَ فِيما ذُكِرَ ، فَبَلَغَهُ عن الفِتْيَةِ خِلافُهم إِيَّاهُ في دِيْنِه ، فَطَلَبَهم فَهَرَبُوا منهُ بِدينِهم حتَّى صارُوا إِلى جَبَلٍ لهم يُقالُ لَهُ : منجلوس .

● وَكانَ[2] سَبَبُ إِيْمانِهم وَخِلافِهم لِقَوْمِهم ، ما ذُكِرَ عن وَهْبِ بن مُنَبِّه ، أَنَّهُ قالَ : جاءَ حَوارِيُّ عِيسى ابن مَريمَ إِلى مَدينَةِ أَصْحاب الكَهْفِ ، فَأَرادَ أَنْ يَدْخُلَها ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ على بابها صَنَماً ، لا يَدْخُلُ أَحَدٌ إِلاّ سَجَدَ له ؛ فَكَرِهَ أَنْ يَدْخُلَها ، فأَتى حمَّاماً كان قَرِيباً من تلكَ المدينةِ ، فكانَ يَعملُ فِيهِ يُؤاجِرُ نَفْسَهُ من صاحِبِ الحمَّامِ ؛ فَرَأَى الرَّجُلُ في حَمَّامِهِ البَرَكَةَ ، وَدُرَّ عليْهِ الرِّزْقُ ، فَجَعَلَ

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٢/٧ .

يَعْرِضُ عليْهِ الإِسْلامَ ، وَجعلَ يَسْتَرْسِلُ إِلَيْهِ ، وَعَلِقَهُ فِتْيَةٌ من أَهْلِ المَدينَةِ ، فَجعلَ يُخْبِرُهم خَبَرَ السَّماءِ وَالأَرْضِ ، وَخَبَرَ الآخِرَةِ ، حتَّى آمَنُوا بما يَقولُهُ وَصَدَّقُوهُ ، وَكانُوا على مِثْلِ حالِهِ في حُسْنِ الهَيْئَةِ ، وَكانَ يَشْترطُ على صاحِبِ الحمَّامِ أَنَّ اللَّيْلَ لا يَحُولُ بَيْني وَبَيْنَهُ أَحَدٌ ، وَلا بَيْنَ الصَّلاةِ إذا حَضَرَتْ ، فَكانَ على ذلكَ حتَّى جاءَ ابْنُ المَلِكِ بامْرَأَةٍ ، فَدَخَلَ بها الحمَّامَ ، فَعَيَّرَهُ الحَوارِيُّ ، وَقالَ لَهُ : أَنْتَ ابْنُ المَلِكِ ، وَتُدْخِلُ معكَ هذهِ التي هِيَ كذا وَكذا ؟ فاسْتَحْيا وَذَهَبَ .

فَرَجَعَ مَرَّةً أُخْرى ، فقالَ لَهُ مثلَ ذلكَ ، فَسَبَّهُ وانْتَهَرَهُ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، حتَّى دَخَلَ وَدَخَلَتْ معهُ المَرْأَةُ ، فماتا في الحمَّامِ جَميعاً .

فَأُتِيَ المَلِكُ فَقيلَ لهُ : إِنَّ صاحِبَ الحمَّامِ قد قَتَلَ ابْنَكَ ؛ فَالْتُمِسَ فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ ، وَهَرَبَ كُلُّ مَن كان يَصْحَبُهُ ، فَسَمَّوا الفِتْيَةَ ، فَالْتُمِسُوا فَخَرَجُوا من المَدينَةِ ، فَمَرُّوا بصاحِبٍ لَهُم في زَرْعٍ ، وَهُوَ على مِثْلِ أَمْرِهم ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهم الْتُمِسُوا ، فانْطَلَقَ معهم ومعهُ الكَلْبُ ، حتَّى آواهُمُ اللَّيْلُ إلى الكَهْفِ ، فَدَخَلُوا وَقالُوا : نَبيتُ ها هُنا اللَّيْلَةَ ، ثمَّ نُصْبِحُ إِنْ شاءَ اللهُ فَتَرَوْنَ رَأْيَكُم ؛ فَضُرِبَ على آذانِهم ، فَخَرَجَ المَلِكُ في أَصْحابِهِ يَتْبَعُونَهم ، حتَّى وَجَدُوهم قد دَخَلُوا الكَهْفَ ؛ فَكُلَّما أَرادَ رَجلٌ أَنْ يدخلَ الكَهفَ أُرْعِبَ ، فَلَمْ يُطِقْ أَحَدٌ أَنْ يَدخُلَه .

فقالَ قائِلٌ : أَلَيْسَ لو كُنتَ قَدرتَ عليهم قَتَلْتَهم ؟ قالَ : بَلى . قالَ : فابْنِ عليْهم بابَ الكَهفِ ، وَدَعْهُم يَمُوتُونَ عَطَشاً وَجُوعاً . فَفَعَلَ .

فَغَبَرَ بعدَما بُنِيَ عليهم بابُ الكَهْفِ زَمانٌ بعدَ زَمانٍ ؛ ثمَّ إِنَّ راعِياً أَدْرَكَهُ المَطَرُ عِندَ الكهفِ ، فقالَ : لو فَتَحْتُ هذا الكَهْفَ ، وأَدْخَلْتُ غَنمي من المَطَرِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُعالِجُهُ حتَّى فُتِحَ ، فَأَدْخَلَ فِيهِ غَنَمَهُ .

وَرَدَّ اللهُ تَعالى إِليهم أَرْواحَهم في أَجْسادِهم من الغَدِ حِينَ أَصْبَحُوا ، فَبَعَثُوا أَحَدَهُم بِوَرِقٍ يَشْتَري لَهُم طَعاماً ، فلمَّا أَتى بابَ مدينَتِهم لَمْ يَرَ شَيْئاً يُنْكِرُهُ ،

حَتَّى دَخَلَ على رَجُلٍ ، فقالَ : بِعْني بهَذِهِ الدَّراهِمِ طَعاماً . فقالَ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الدَّراهِمُ ؟ قالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحابٌ لِي أَمْسِ ، فآوانا اللَّيْلُ حتَّى أَصْبَحُوا ، فَأَرْسَلُوني . فقالَ : هذه الدَّراهِمُ كانَتْ على عَهْدِ المَلِكِ فُلان ، فَأَنَّى لَكَ بها ؟

فَرَفَعَهُ إلى المَلِكِ ، وَكانَ مَلِكاً صالِحاً ، فقالَ : من أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الدَّراهِمُ ؟ قالَ : خَرَجْتُ أَنا وَأَصْحابٌ لِي أَمْسِ ، حتَّى أَدْرَكَنا اللَّيْلُ في كَهْفِ كذا وكذا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَمَرُوني أَنْ أَشْتَرِيَ لَهُم طَعاماً . قالَ : وَأَيْنَ أَصْحابُكَ ؟ قالَ : في الكَهْفِ .

فانْطَلَقُوا معهُ حتَّى أَتَوْا بابَ الكَهْفِ ، فقالَ : دَعُوني أَدْخُلْ إلى أَصْحابي قَبْلَكُم ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَدَنا منهُم ، ضَرَبَ اللهُ على آذانِهِ وآذانِهِم ، فَجَعَلُوا كُلَّما دَخلَ رَجلٌ أُرْعِبَ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا إليهم ؛ فَبَنَوْا عِنْدَهُ كَنِيسَةً ، واتَّخَذُوها مَسْجِداً يُصَلُّونَ فِيهِ .

● وَعن قَتادةَ ، عن عِكْرِمَةَ ، قالَ[1] : كان أَصْحابُ الكَهفِ أَبْناءَ مُلُوكِ الرُّومِ ، رَزَقَهُمُ اللهُ الإِسْلامَ ، فَتَعَوَّذُوا بدِيْنِهِم ، وَاعْتالُوا قَوْمَهم حتَّى انْتَهَوْا إلى الكَهْفِ ، فَضَرَبَ اللهُ على صُماخِهِم ، فَلَبِثُوا دَهْراً طَوِيلاً ، حتَّى هَلَكَتْ أُمَّتُهم وَجاءَتْ أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ ، وَكانَ مَلِكُهم مُسْلِماً ، وَاخْتَلَفُوا في الرُّوحِ والجَسَدِ ، فقالَ قائِلٌ : تُبْعَثُ الرُّوحُ والجَسَدُ جَميعاً . وَقالَ قائِلٌ : تُبْعَثُ الرُّوحُ لا غير ، فَأَمَّا الجَسَدُ فتَأْكُلُهُ الأَرْضُ فَلا يَكُونُ شَيْئاً .

فَشَقَّ على مَلِكِهم اخْتِلافُهم ، فانْطَلَقَ فَلَبِسَ المُسُوحَ ، وَجَلَسَ على الرَّمادِ ، ثمَّ دَعا اللهَ فقالَ : أَي رَبِّ ، قد تَرى اخْتِلافَ هَؤُلاءِ ، فابْعَثْ لَهُم ما يُبَيِّنُ لَهم .

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٩ .

فَبَعَثَ اللهُ أَصْحابَ الكَهْفِ ، فَبَعَثُوا أَحَدَهُم يَشْتَري لَهُم طَعاماً ، فَدخلَ السُّوقَ ، فَجَعَلَ يُنْكِرُ الوُجُوهَ وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ ، وَيَرى الإيْمانَ بالمدينَةِ ظاهِراً ؛ فانْطَلَقَ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ حتَّى أَتى رَجُلاً يَشْتَري منهُ الطَّعامَ ، فَلَمَّا نَظَرَ الرَّجُلُ إلى الوَرِقِ أَنْكَرَها .

قالَ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قالَ : كَأَنَّها خِفافُ الرُّبَعِ ، يَعني الإبلَ الصِّغارَ . فقالَ الفَتى : أَلَيْسَ مَلِكُكُمْ فُلاناً ؟ قالَ : لا ، بَلْ مَلِكُنا فُلانٌ ، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ بينَهُما حتَّى رَفَعَهُ إلى المَلِكِ ، فَسَأَلَهُ المَلِكُ ، فَأَخْبَرَهُ الفَتى خَبَرَ أَصْحابِهِ ، فَبَعَثَ المَلِكُ في النَّاسِ فَجَمَعَهُم ، فقالَ : إنَّكم قد اخْتَلَفْتُمْ في الرُّوحِ والجَسَدِ ، وإنَّ اللهَ قد بَعَثَ لكم آيَةً ، فهذا الرَّجُلُ من قَومِ فُلانٍ ، يَعني مَلِكَهُم الذي مَضى . فقالَ الفَتى : انْطَلِقُوا معي إلى أَصْحابي ؛ فَرَكِبَ المَلِكُ ، وَرَكِبَ معهُ النَّاسُ ؛ فَلَمَّا انْتَهى إلى الكَهْفِ قالَ الفَتى : دَعُوني أَدخُلْ إلى أَصْحابي ؛ فلمَّا أَبْصَرَهُم ضُرِبَ على آذانِهِ وآذانِهم ؛ فَلَمَّا اسْتَبْطَؤُوهُ دَخلَ المَلِكُ وَدَخلَ معهُ النَّاسُ ، فإذا أَجْسادٌ لا يُنْكِرُونَ منها شَيْئاً ، غيرَ أَنَّها لا أَرْواحَ فِيها ؛ فقالَ المَلِكُ : هذِهِ آيَةٌ بَعَثَها اللهُ لَكُمْ .

● قالَ قَتادَةُ[1] : وَغَزا ابْنُ عبَّاسٍ مع حَبيب بن مَسْلَمَةَ ، فَمَرُّوا بالكَهْفِ فإذا فِيهِ عِظامٌ ، فقالَ رَجُلٌ : هذِهِ عِظامُ أَهْلِ الكَهْفِ؟ فقالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما : لَقَد ذَهَبَتْ عِظامُهم منذُ أَكثرَ من ثلاثمئَةِ سنةٍ ؛ وَقالَهُ وَهْبٌ والسُّدِّيُّ وغيرُهما .

وَأَسماؤُهم : مكسلمينا ، وَهوَ أَكْبَرُهم وَرَئِيسهُم ، وإمليخا ؛ وَهُوَ أَجْمَلُهُم وأَعْبَدُهم وأَنْشَطُهُم ، ومرطونس ، ويوانس ، وسارينوس ، وبطنيوس ، وكندسلططنوس ، وَكَلْبُهم قِطْمير .

يُكْتَبُ ذلكَ للنَّوْمِ وَلِبُكاءِ الأَطْفالِ .

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١٠ .

● وَمِمَّا يُكْتَبُ لِنَوْمِ الصِّبْيانِ وَبُكائِهم : أَعوذُ بكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ التي نامَ بها أَصْحابُ الكَهْفِ وَالرَّقيم ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزُّمر : ٤٢] اللَّهُمَّ أَلْقِ النَّوْمَ والسَّكِينَةَ على حامِلِ هذا الكِتابِ ، بِأَلْفِ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ بِاللهِ العَليِّ العَظِيمِ .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : وَقَدْ تَقَدَّمَتْ قَبلَ ذلكَ ، وهي عن عَمرو بن دِينار ، أَنَّهُ قالَ : مِمَّا أُخِذَ على العَقْرَبِ أَنْ لا تَضُرَّ أَحَداً في لَيْلٍ أَو نَهارٍ : يُصَلِّي على نُوحٍ ﷺ .

وَمِمَّا أُخِذَ على الكَلْبِ أَنْ لا يَضُرَّ أَحَداً حَمَلَ عليْهِ في لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ : إِذا قَرَأَ ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ إِلى هُنا انتهى ما تَقَدَّمَ .

● وَقالَ القُرطبيُّ في « كِتابِ التَّذْكارِ في أَفْضَلِ الأَذْكارِ »(١) : بَلَغَنا عَمَّنْ تَقَدَّمَ أَنَّ في سُورَةِ « الرَّحْمٰنِ » آيَةً ، تُقْرَأُ على الكَلْبِ إِذا حَمَلَ على الإِنْسانِ ، وَهي قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرَّحمن : ٣٣] فإِنَّهُ لا يُؤْذِيه بإِذْنِ اللهِ تَعالى .

● وَفي « تاريخِ الإِسْلامِ لِلذَّهبيِّ » في سَنَةِ ثلاثمئة(٢) : أَنَّ مُمْشاذَ الدِّيْنَوَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى ، خَرَجَ من دارِهِ ، فَنَبَحَهُ كَلْبٌ ، فقالَ : لا إِلَٰهَ إِلاّ الله ، فَماتَ الكَلْبُ مَكانَهُ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ الكِلابِ بِجَمِيعِ أَنْواعِها ، إِلاّ ابْنَ آوى ، فإِنَّهُ من جِنْسِ الكِلابِ ؛ وَفيهِ خِلافٌ سَبَقَ في « بابِ الهَمْزَةِ » .

---

(١) المستطرف ٢/٥١٩ .

(٢) تاريخ الإسلام [وفيات ٢٩١ ـ ٣٠٠] ص ٣١٣ وطبقات الصُّوفيَّة ٣١٧ وطبقات المناوي ١/٧٢٠ .

● وَرَوى ابْنُ عبدِ البَرِّ في « التَّمهِيدِ » عن الشَّعبيِّ ، أَنَّهُ سُئِلَ عن رَجُلٍ يَتَداوى بِلَحْمِ الكِلابِ ، فقالَ : لا شَفاهُ اللهُ .

وَعلى مُقْتَني الكَلْبِ المُباح اقْتِناؤُهُ ، أَنْ يُطْعِمَهُ أَوْ يُرْسِلَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ لِمَنْ يُرِيدُ الانْتِفاعَ بِهِ ؛ وَلا يَحِلُّ حَبْسُهُ لِيَهْلِكَ جُوعاً .

● فَرْعٌ : لو كان لإنْسانٍ كَلْبٌ مُحْتَرَمٌ مُضْطَرٌّ ، وَمع غَيْرِهِ شاةٌ ، جازَ لَهُ مُكالَبَتُهُ عَلَيْها لإِطْعامِهِ ، وَيَضْمَنُها لَهُ .

● فَرْعٌ : لو عَضَّ كَلْبٌ كَلِبٌ شاةً فَكَلِبَتْ ، نُحِرَتْ وَلا يُؤْكَلُ لَحْمُها .

● قالَ أَبُو حيَّان التَّوحيديّ ، من أَصْحابِنا ، في « كِتابِ الإِمتاعِ »[1] : إِذا كَلِبَ الجَمَلُ نُحِرَ ، وَلا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ . انتهى .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذلكَ خَشْيَةَ الإِيْذاءِ .

● فَرْعٌ : لو غَصَبَ نَجاسَةً تَنْفَعُ ؛ كَكَلْبٍ مُعَلَّمٍ ، وَجِلْدِ مَيْتَةٍ ، وَسِرْجِينٍ ، فهلْ لَهُ كَسْرُ بابِهِ ، أَوْ نَقْبِ جِدارِهِ ، إِذا لَمْ يَصِلْ إِلَيْها إِلاّ بذلكَ .

الظَّاهِرُ : أَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ ذلكَ كَالمالِ ، لأَنَّها حَقٌّ ، وَيَجُوزُ الدَّفْعُ عَنها كالمالِ . وَاللهُ أَعلمُ .

● تَنْبيهٌ : الكِلابُ كُلُّها نَجِسَةٌ ، المُعَلَّمَةُ وَغَيْرُها ، الصَّغيرُ والكَبيرُ ؛ وَبِهِ قالَ الأَوزاعيُّ وَأَبو حَنيفةَ وَأَحمد وإِسحاق وأَبُو ثَوْرٍ وَأَبُو عُبَيْدٍ ، وَلا فَرْقَ بَيْنَ الكَلْبِ المَأْذُونِ في اقْتِنائِهِ وَغَيرِهِ ، وَلا بَينَ كَلْبِ البَدَوِيِّ والحَضَرِيِّ ، لِعُمُومِ الأَدِلَّةِ .

وَفي مَذْهب مالِكٍ رحمهُ اللهُ تَعالى أَربعةُ أَقْوالٍ : طَهارَتُهُ ، وَنَجاسَتُهُ ، وَطَهارَةُ سُؤْرِ المَأْذُونِ في اتِّخاذِهِ دُونَ غَيْرِه ؛ وَهذِهِ الثَّلاثَةُ عن مالِكٍ ، وَالرَّابِعُ

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٦٥ .

عن عَبْدِ المَلِكِ بن الماجَشون أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَينَ البَدَويِّ والحَضَريِّ .

وَقالَ الزُّهريُّ ومالِكٌ وداودُ : إِنَّهُ طاهِرٌ ، وإِنَّما يُغْسَلُ الإِناءُ من وُلوغِهِ تَعَبُّداً .

وَيُحْكى هذا عن الحَسَنِ البَصْريِّ وَعُروةَ بن الزُّبيرِ ، مُحْتَجِّينَ بِقَولِهِ تَعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ٤] وَلَمْ يُذْكَرْ غَسْلُ مَوْضِعِ إِمْساكِها ؛ وَبِحديثِ ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، قالَ : « كانَتِ الكِلابُ تُقْبِلُ وتُدْبِرُ في مَسْجِدِ رسولِ اللهِ ﷺ وَتَبُولُ ، فلَمْ يَكُونُوا يَرشُّونَ شَيْئاً من ذلكَ » . ذَكَرَهُ البُخاريُّ في « صَحيحِهِ »[1] .

وَاحْتَجَّ أَصْحابُنا بِحَديثِ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[2] : « إِذا وَلَغَ الكَلْبُ في إِناءِ أَحَدِكُمْ فَلْيُرِقْهُ ، وَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْداهُنَّ بِالتُّرابِ » .

قالُوا : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ نَجِساً لَمَا أَمَرَ بِإِراقَتِهِ ، لأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ إِتْلافَ مالٍ .

وَأَمَّا حَديثُ ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، فقالَ البَيهقيُّ : أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ على أَنَّ بَوْلَ الكِلابِ نَجِسٌ ، وَعلى وُجُوبِ الرَّشِّ من بَوْلِ الصَّبيِّ ، فَالكَلْبُ أَوْلىٰ ؛ فَكَأَنَّ حَديثَ ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما قَبْلَ الأَمْرِ بِالغَسْلِ من وُلُوغِ الكَلْبِ ، أَوْ أَنَّ بَوْلَها خَفِيَ مَكانُهُ ، فَمَنْ تَيَقَّنَهُ لَزِمَهُ غَسْلُهُ .

● فَرْعٌ : اخْتلفَ الأَصْحابُ في مَوْضِعِ عَضِّ الكَلبِ من الصَّيْدِ .

وَالأَصَحُّ أَنَّهُ لا يُعْفى عنهُ ، كما لو أَصابَ ثَوْباً أَو إِناءً ، فَلا بُدَّ من غَسْلِهِ وَتَعْفِيرِهِ .

وَالثَّاني : يُعْفىٰ عنهُ . وَالثَّالثُ : يَكفي غَسْلُهُ بِالماءِ مَرَّةً . وَالرَّابِعُ : أَنَّهُ

---

(١) البخاريّ ١/ ٥١ وأبو داود (٣٨٢) ومسند أحمد ٢/ ٧١ .

(٢) مسلم (٢٧٩) وأبو داود (٧١) و (٧٣) والتّرمذيّ (٩١) والنَّسائيّ (٦٤) و (٦٦) و (٦٧) و (٣٣٥) و (٣٣٨) و (٣٣٩) وابن ماجه (٣٦٣ ـ ٣٦٦) .

طاهِرٌ . وَالخامِسُ : يَجِبُ تَقْوِيرُهُ . وَالسَّادِسُ : إِنْ أَصابَ عِرْقاً نَضَّاخاً بالدَّمِ ، حُرِّمَ أَكْلُهُ ؛ وَالنَّضَّاخُ : الفَوَّارُ ؛ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرَّحمن : ٦٦] .

وَأَحْكامُ التَّتْريبِ وَشُروطُهُ ، مَبْسُوطَةٌ في كُتُبِ الفِقْهِ .

● رَوى « مُسلم »[١] عن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَقْطَعُ الصَّلاةَ الحِمارُ وَالمَرْأَةُ والكَلْبُ الأَسْوَدُ » .

قِيلَ لأَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه : ما بالُ الكَلْبِ الأَسْوَدِ من الكَلْبِ الأَحْمَرِ من الكَلْبِ الأَصْفَرِ ؟ قالَ : يا ابْنَ أَخي ، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَثلَ ما سَأَلْتَني ، فقالَ : « الكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطانٌ » .

فَحَمَلَهُ بَعضُ العُلماءِ على ظاهِرِهِ ، وَقالَ : الشَّيْطانُ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ الكَلْبِ الأَسْوَدِ ، وَلذلكَ قالَ ﷺ[٢] : « اقْتُلُوا مِنْها كُلَّ أَسْوَد بَهِيمٍ » .

وَقيلَ : لَمَّا كان الكَلْبُ الأَسْوَدُ أَشَدَّ ضَرَراً من غَيْرِهِ ، وَأَشَدَّ تَرْوِيعاً ، كان المُصَلِّي إِذا رَآهُ اشْتَغَلَ عن صَلاتِهِ ، فَانْقَطَعَتْ عليْهِ لذلكَ ؛ وَلذلكَ تَأَوَّلَ الجُمهُورُ قَولَه ﷺ : « يَقْطَعُ الصَّلاةَ المَرْأَةُ وَالحِمارُ » بِأَنَّ ذلكَ مُبالَغَةً في الخَوْفِ على قَطْعِها ، وإِفْسادِها من الشُّغْلِ بِهذِهِ المَذْكُوراتِ ، وَذلكَ لأَنَّ المَرْأَةَ تَفْتِنُ ، وَالحِمارَ يَنْهَقُ ، وَالكَلْبَ الأَسْوَدَ يُرَوِّعُ وَيُشَوِّشُ الفِكْرَ ؛ فَلَمَّا كانَتْ هَذهِ الأُمُورُ آيلَةً إِلى القَطْعِ ، جَعَلَها قاطِعَةً .

وَذَهَبَ ابْنُ عبَّاسٍ وَعَطاءٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، إِلى أَنَّ المَرْأَةَ التي تقطعُ الصَّلاةَ إِنَّما هِي الحائِضُ ، لِمَا تَسْتَصْحِبُهُ من النَّجاسَةِ .

---

(١) مسلم (٥١٠) .

(٢) مسلم (١٥٧٢) وأَبو داود (٢٨٤٥) والترمذيّ (١٤٨٦) والنَّسائيّ (٤٢٨٠) وابن ماجه (٣٢٠٥) .

واحْتَجَّ أَحمدُ رحمهُ اللهُ بحديثِ الكلبِ الأَسودِ على أَنَّهُ لا يَجُوزُ صَيْدُهُ ، وَلا يَحِلُّ ، لأَنَّهُ شَيْطانٌ ؛ وَاخْتارَهُ أَبو بَكْرٍ الصَّيْرفيّ من أَصْحابِنا .

وَقالَ الشَّافعيُّ رحمهُ اللهُ ومالِكٌ وَأَبو حَنيفةَ وجَماهيرُ العُلَماءِ رحمةُ اللهِ تَعالى عليهم : يَحِلُّ صَيْدُهُ كَغَيْرِهِ ، وَلَيْسَ المُرادُ بالحَديثِ إِخْراجُهُ عن جِنْسِ الكِلابِ ؛ وَلِهذا إِذا وَلَغَ في إِناءٍ أَو غيرِهِ ، وَجَبَ غَسْلُهُ وَتَعْفِيرُهُ كَوُلُوغِ الكَلْبِ الأَبْيَضِ .

● وَفي « صَحيح مُسلم »[1] عن عَبدِ اللهِ بن مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بقَتْلِ الكِلابِ ، ثمَّ قالَ : « ما بالُهُمْ وَبالُ الكِلابِ » . ثمَّ رَخَّصَ ﷺ في كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الغَنَمِ .

فَحَمَلَ الأَصْحابُ الأَمْرَ بِقَتْلِها على الكَلْبِ الكَلِبِ ، وَالكَلْبِ العَقُورِ .

وَاخْتَلَفُوا في قَتْلِ ما لا ضَرَرَ فِيهِ مِنْها ؛ فقالَ القاضِي حُسين وإِمامُ الحَرَمينِ والماوَرديُّ في « بابِ بَيْعِ الكِلابِ » وَالنَّوويُّ في أَوَّلِ « البَيْعِ » من شَرْحَي « المُهَذَّبِ » وَ« مُسلم » : لا يَجُوزُ قَتْلُها ؛ وَقالَ في « بابِ مُحَرَّماتِ الإِحْرامِ » : إِنَّهُ الأَصَحُّ ، وإِنَّ الأَمْرَ بِقَتْلِها مَنْسُوخٌ .

وَعلى الكَراهَةِ اقْتَصَرَ الرَّافعيُّ في « الشَّرحِ » ، وَتَبِعَهُ في « الرَّوْضَةِ » وَزادَ بِأَنَّها كَراهَةُ تَنْزِيهٍ لا تَحْرِيم ؛ لكنْ قالَ الشَّافعيُّ في « الأُمِّ » في « بابِ الخِلافِ في ثَمَنِ الكِلابِ » : واقْتُلُوا الكِلابَ التي لا نَفْعَ فِيها حَيْثُ وَجَدْتُموها ، وَهذا هُوَ الرَّاجِحُ في المَهمَّاتِ .

وَلا يَجوزُ اقْتِناءُ الكَلْبِ الذي لا مَنْفَعَةَ فِيهِ، وَذلكَ لِما في اقْتِنائِها من مَفاسِدِ التَّرويع ، وَالعَقْرِ للمارِّ ؛ وَلَعلَّ ذلِكَ لِمُجانَبَةِ المَلائِكَةِ لِمَحَلِّها ؛ وَمُجانَبَةُ المَلائِكَةِ أَمْرٌ شَدِيدٌ ، لِما في مُخالَطَتِهِم من الإِلْهامِ إِلى الخَيْرِ وَالدُّعاءِ إِلَيْهِ .

---

(١) مسلم (١٥٧٣) وابن ماجه (٣٢٠٠ و ٣٢٠١) .

واخْتَلَفَ الأَصْحابُ في جَوازِ اتِّخاذِ الكَلْبِ لِحِفْظِ الدَّرْبِ والدُّورِ على وَجْهَيْنِ ، أَصَحُّهُما الجَوازُ .

واتَّفَقُوا على جَوازِ اتِّخاذِهِ للزِّراعَةِ والماشِيَةِ والصَّيْدِ .

لَكِنْ يُحَرَّمُ اقْتِناءُ كَلْبِ الماشِيَةِ قَبلَ شِرائِها ، وَكذلكَ كَلبُ الزَّرْعِ والصَّيْدِ لِمَنْ لا يَزْرَعُ وَلا يَصِيدُ ؛ فَلَو خالَفَ واقْتنى ، نَقَصَ من أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيْراطانِ ، وَفي رِوايَةٍ قيراطٌ ، وَكِلاهُما في « الصَّحيح »[1] .

وَحُمِلَ ذلكَ على نَوْعٍ من الكِلابِ إِذْ بَعضُها أَشَدُّ أَذىً من بعضٍ ، أَو لِمعنىً فِيها ، أَو يَكُونُ ذلكَ مُختلِفاً باخْتِلافِ المَواضِعِ ، فَيَكُونُ القِيْراطانِ في المَدائِنِ ونَحوها ، وَالقِيراطُ في البَوادي ، أَو يكونُ ذلكَ في زَمَنَيْن ، فَذَكَرَ القِيْراطَ أَوَّلاً ، ثمَّ زادَ في التَّغليظِ فَذَكَرَ القِيراطَينِ .

والمُرادُ بِالقِيْراطِ : مِقْدارٌ مَعلُومٌ عِندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَنْقُصُ من أَجْرِ عَمَلِهِ .

وَاخْتَلَفُوا في المُرادِ بما نَقَصَ منهُ ، فَقيلَ : مِمَّا مَضَى من عَمَلِهِ ؛ وَقيلَ : من مُسْتَقْبَلِهِ ؛ وَقيلَ : قِيراطٌ من عَمَلِ اللَّيْلِ ، وَقِيراطٌ من عَمَلِ النَّهارِ ؛ وَقيلَ : قِيراطٌ من عَمَلِ الفَرْضِ ، وَقِيراطٌ من عَمَلِ النَّفْلِ .

● وَأَوَّلُ من اتَّخَذَ الكَلْبَ لِلحِراسَةِ : نُوحٌ عليْهِ السَّلامُ .

● رَوى القاسِمُ بن سَلَمَةَ ، بِإِسْنادِهِ عن عَلْقَمَةَ عن عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ، أَنَّهُ قالَ[2] :

أَوَّلُ من اتَّخَذَ الكَلْبَ لِلحِراسَةِ : نُوحٌ عليْهِ السَّلامُ .

وَذلكَ أَنَّهُ قالَ : يا رَبّ ، أَمَرْتَني أَنْ أَصْنَعَ الفُلْكَ ، وَأَنا فِي صِناعَتِهِ ،

---

(١) مسلم (١٥٧٤) .

(٢) المستطرف ٢/ ٥١٨ .

أَصْنَعُ أَيَّاماً ، فَيَجيئُونَ في اللَّيْلِ فَيُفْسِدُونَ كُلَّ ما عَمِلْتُ ، فَمَتَى يَلْتَئِمُ لِي ما أَمَرْتَني بِهِ ، فقد طالَ عَلَيَّ أَمَدي ؟ فَأَوحىٰ اللهُ إِلَيْهِ : يا نُوحُ ، اتَّخِذْ كَلْباً يَحْرُسْكَ . فاتَّخَذَ نُوحٌ عليْهِ السَّلامُ كَلْباً ؛ وَكانَ يَعْمَلُ بالنَّهارِ ، وَيَنامُ باللَّيْلِ ؛ فإذا جاءَ قَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا باللَّيْلِ عَمَلَهُ ، نَبَحَهُمُ الكَلْبُ ، فَيَنْتَبِهُ نُوحٌ عليْهِ السَّلامُ ، فَيَأْخُذ الهَراوَةَ وَيَثِبُ لَهُم ، فَيَهْرُبُونَ منهُ ، فَالْتَأَمَ لَهُ ما أَرادَ .

● قالَ الحافِظُ أَبو عَمرو ابن الصَّلاحِ في « مناسِكِهِ » : في قَوْلِهِ ﷺ[1] : « لا تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيها كَلْبٌ وَلا جَرَسٌ » .

فإنَّ وَقَعَ ذَلكَ من جِهَةِ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِزالَتَهُ ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا فَعَلَهُ هَؤُلاءِ ، فَلا تَحْرِمْني ثَمَرَةَ صُحْبَةِ مَلائِكَتِكَ وَبَرَكَتِهِم وَمَعُونَتِهم أَجمعين .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ[2] : « لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ » .

فقالَ العُلماءُ : سَبَبُ امْتِناعِهِم من البَيتِ الذي فِيهِ صُورةٌ : كَوْنُها مَعْصِيَةً فاحِشَةً ، وَفيها مُضاهاةٌ لِخَلْقِ اللهِ تَعالى ؛ وَبَعضُها في صُورَةِ ما يُعْبَدُ من دُونِ اللهِ تَعالى .

وَسَبَبُ امْتِناعِهِم من البَيتِ الذي فِيهِ الكَلْبُ : كَثْرَةُ أَكْلِه النَّجاساتِ ، وَلأَنَّ بَعضَ الكِلابِ يُسَمَّى شَيْطاناً ، كَما جاءَ في الحَدِيثِ ؛ وَالمَلائِكَةُ ضِدُّ الشَّياطِينِ ؛ وَلِقُبْحِ رائِحَةِ الكَلْبِ ، وَالمَلائِكَةُ تَكْرَهُ الرَّائِحَةَ الخَبيثَةَ ؛ وَلأَنَّها مَنْهِيٌّ عن اتِّخاذِها ، فَعُوقِبَ مُتَّخِذُها بِحِرْمانِهِ دُخُولَ المَلائِكَةِ بَيْتَهُ ، وَصَلاتَها

---

(١) مسلم (٢١١٣) والتّرمذيّ (١٧٠٣) وأَبو داود (٢٥٥٥) ومسند أَحمد ٢/ ٢٦٢ و ٣١١ و ٣٢٧ و ٣٤٣ .

(٢) البخاريّ ٤/ ٨٢ ومسلم (٢١١٢) والتّرمذيّ (٢٨٠٤) والنَّسائيّ (٤٢٨١ ـ ٤٢٨٢) و (٥٣٤٧ ـ ٥٣٤٨) وابن ماجه (٣٦٤٩) .

فِيهِ ، وَاسْتِغْفارَها لَهُ ، وَتَبَرُّكَها عليْهِ في بَيْتِهِ ، وَدَفْعَها أَذى الشَّياطِينِ .

وَالمَلائِكَةُ الذينَ لا يَدخلُونَ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ ، هُمَ مَلائِكَةٌ يَطُوفُونَ بالرَّحْمَةِ وَالتَّبَرُّكِ وَالاسْتِغْفارِ ؛ وَأَمَّا الحَفَظَةُ وَالمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الأَرْواحِ ، فَيَدخلُونَ في كُلِّ بَيْتٍ ؛ وَلا تُفارِقُ الحَفَظَةُ بَني آدَمَ في حالٍ من الأَحْوالِ ، لأَنَّهم مَأْمُورونَ بِإِحْصاءِ أَعْمالِهِم وَكِتابَتِها .

● قالَ الخَطَّابيُّ : وإِنَّما لا تَدخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورة ، مِمَّا يَحْرُمُ اقْتِناؤُهُ من الكِلابِ والصُّوَرِ ؛ فَأَمَّا ما لَيْسَ اقْتِناؤُهُ بِحرامٍ من كَلْبِ الصَّيْدِ والزَّرْعِ والماشِيَةِ ، وَالصَّورَةِ التي تُمْتَهَنُ في البِساطِ والوِسادَةِ وغَيرِهما ، فَلا يَمتنعُ دُخُولُ المَلائِكَةِ بِسَبَبِهِ .

وَأَشارَ القاضِي إِلى نَحوِ ما قالَ الخَطَّابيُّ .

● قالَ النَّوويُّ : وَالأَظْهَرُ أَنَّهُ عامٌّ في كُلِّ كَلبٍ وَكُلِّ صُورَةٍ ، وَأَنَّهُم يَمْتَنِعُونَ من الجَمِيعِ ؛ لإِطْلاقِ الأَحادِيثِ ، وَلأَنَّ الجَرْوَ الذي كان في بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَحتَ السَّرِيرِ ، كان لَهُ فِيهِ عُذْرٌ ظاهِرٌ ؛ فإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ ، وَمعَ هذا امْتَنَعَ جِبريلُ عليْهِ السَّلامُ من دُخُولِ البَيْتِ بِسَبَبِهِ ؛ فَلو كان العُذْرُ في وُجُودِ الكَلْبِ والصُّورَةِ لا يَمْنَعُهُم ، لَمْ يَمْتَنِعْ جِبْرِيلُ عليْهِ السَّلامُ .

● قالَ الجاحِظُ[1] : رُوِيَ أَنَّ جَماعَةً من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عنهم ، ذَهَبُوا إِلى بَيْتِ رَجُلٍ من الأَنْصارِ لِيَعُودُوهُ في مَرَضٍ ، فَهَرَّتْ في وُجُوهِهِم كِلابٌ من دارِ الأَنصاريِّ ، فقالَ الصَّحابَةُ : لا تَدَعُ هَؤُلاءِ من أَجْرِ فُلانٍ شَيْئاً ، كُلُّ كَلْبٍ من هَؤُلاءِ يُنْقِصُ من أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيراطاً .

فَدَلَّ هذا على أَنَّ القِيراطَ يَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الكِلابِ .

---

(١) الحيوان ١/ ٢٩٤ .

● وَقد سُئِلَ الشَّيْخُ الإمامُ تقيُّ الدِّين السُّبْكيّ عن ذلكَ ، فَأَجابَ : بأَنَّهُ لا يَتَعَدَّدُ ، كما لو وَلَغَتِ الكِلابُ في الإِناءِ ؛ فإِنَّ الأَصَحَّ عَدَمُ تَعَدُّدِ الغَسْلاتِ ، وَقد قالُوا بِتَعَدُّدِ القِيراطِ إذا صَلَّى على جَنائِزَ دُفعةً واحِدَةً .

● وَقالَ الغَزاليُّ في « مُنكراتِ الشَّوارع » من « الإِحياءِ »[1] : مَن كان لَهُ كَلْبٌ عَقُورٌ على بابِ دارِهِ ، ويُؤْذِي النَّاسَ ، يجبُ مَنْعُهُ منهُ ؛ وإِنْ كان لا يُؤْذِي إِلاّ بِتَنْجِيسِ الطَّريقِ ، وَكانَ يُمكنُ الاحْتِرازُ عن نَجاسَتِهِ ، لَمْ يُمْنَعْ منهُ ؛ وإِنْ كان يُضَيِّقُ الطَّريقَ بِبَسْطِ ذِراعَيْه ، فَيُمْنَعُ منهُ ، بَلْ يُمْنَعُ صاحِبُهُ أَنْ يَنامَ على الطَّرِيقِ ، أَوْ يَقْعُدَ قُعُوداً يُضَيِّقُ الطَّريقَ ، فَكَلْبُهُ أَوْلى بِالمَنْعِ .

● وَلا يَصِحُّ بَيْعُ جَميعِ الكِلابِ عِنْدنا ، خِلافاً لمالك ؛ فإِنَّهُ أَباحَ بَيْعَها حتّىٰ قال سُحنونُ : وَيَحُجُّ بِثَمَنِها .

وَقالَ أَبو حَنيفة : يَجُوزُ بَيْعُ غيرِ العَقُورِ .

والأَصَحُّ عَدَمُ صِحَّةِ إجارَةِ الكِلابِ المُعَلَّمَةِ ، لأَنَّ اقْتِناءَها لهذِهِ المَنافِعِ إِنَّما جُوِّزَ لأَجْلِ الحاجَةِ ؛ وَما جُوِّزَ للحاجَةِ ، لا يَجوزُ أَخْذُ العِوَضِ عليْهِ ، لأَنَّهُ لا قِيمَةَ لِعَيْنِه ، فكذلِكَ مَنْفَعَتُهُ .

وَقالَ صاحِبُ « التَّلخيصِ » : لا تَجُوزُ ، لأَنَّها مَنْفعَةٌ مَقْصُودَةٌ ؛ واختارَهُ الرُّويانيّ وابنُ أَبي عَصرون .

وَبَناهُما الماوَرديُّ على اخْتِلافِ أَصْحابنا في أَنَّ مَنفعَةَ الكَلبِ هل هِيَ مَملُوكَةٌ أَوْ مُسْتَباحَةٌ ؟ وَفيها وَجْهانِ : فَعَلى الأَوَّلِ : تَجُوزُ إجارَتُهُ . وَعلى الثَّاني : لا .

● وَمِنْ أَحْكامِهِ : أَنَّ مَن كان في دارِهِ كَلبٌ عَقُورٌ ، فاسْتَدْعى إِنْساناً

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٢/ ٢٩٧ .

فَعَقَرَهُ ، وَجَبَ عليْهِ ضَمانُهُ على الأَصَحِّ في تَصحيح النَّوويِّ . وَقِيلَ : لا قَطْعاً ، وَهُوَ المَجزُومُ بِهِ في أَصْلِ « الرَّوْضَةِ » لِأَنَّ للكلْبِ اخْتِياراً ، وَيُمكنُ دَفْعُهُ بعَصا وَغيرها . هذا إذا لَمْ يَعْلَمِ الدَّاخِلُ أَنَّهُ عقُورٌ ، فإنْ عَلِمَ ذلكَ فَلا ضَمانَ جَزْماً .

وَكذلكَ لو كان مَرْبُوطاً ، فسارَ إليهِ المُسْتَدْعىٰ جاهِلاً بحالِهِ ، فَلا ضَمانَ أَيْضاً . وَمَنْ كان لَهُ كلبٌ عقورٌ ، وَلَمْ يَحفَظْهُ ، فَقتَلَ إِنْساناً في ليْلٍ أَو نَهارٍ ، ضَمِنَهُ لِتَفْرِيطِهِ .

وَفي مَعْناهُ : الهِرَّةُ المَمْلُوكَةُ التي تَأْكُلُ الطُّيُورَ ، كَما سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الهاءِ » .

وَقيلَ : لا ضَمانَ فِيها ، لأَنَّ العادَةَ لَمْ تَجْرِ بِرَبْطِها .

● فَرْعٌ : لو سَرَقَ قِلادَةً من عُنُقِ كَلْبٍ ، أَوْ سَرَقَها مع الكَلْبِ : قُطِعَ ، وَحُرِزَ الكَلْبُ كَحِرْزِ الدَّوابِّ .

وإذا وَقَعَ في الغَنيمَةِ كلبٌ يُنتفعُ بِهِ للاصْطِيادِ ، أَوْ لِلماشِيَةِ والزَّرْعِ ؛ حَكى الإمامُ عن العِراقيِّينَ : أَنَّ لِلإمامِ أَنْ يُسْلِمَهُ إلى واحِدٍ من المُسلِمينَ ، لِعِلْمِهِ بحاجَتِهِ إليْهِ ، ولا يُحْسَبُ عليْهِ .

وَاعْتُرِضَ بِأَنَّ الكَلْبَ مُنْتَفَعٌ بِهِ ، فَلْيَكُنْ حَقُّ اليَدِ فِيهِ لِجَمِيعِهِم ؛ كما لو ماتَ وَلَهُ كَلبٌ لا يَسْتَبِدُّ بِهِ بعضُ الوَرَثَةِ .

وَالموجُودُ في كُتُبِ العِراقيِّينَ : أَنَّهُ إِنْ أَرادَهُ بعضُ الغانِمينَ ، أَو أَهْلِ الخُمُسِ ، وَلَمْ يُنازِعْهُ غيرُهُ ، سُلِّمَ إِليْهِ ؛ وإِنْ تنازَعُوا ، فَإِنْ وَجَدْنا كِلاباً ، وَأَمْكَنَتِ القِسْمَةُ عَدَداً ، قُسِمَ ؛ وإِلاّ أُقْرِعَ بَيْنَهم .

وَهذا هو المذهبُ ، وَها هُنا المُعْتَبَرُ قِيْمَتُها عندَ مَن يَرى لَها قِيْمَةً ، وَيُعْتَبَرُ مَنافِعُها كَما في الوَصِيَّةِ من « الرَّوْضَةِ » .

● تَتِمَّةٌ : قولهُ تَعالى : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤] أَي من العِلْمِ الذي كان عَلَّمَكُمُ اللهُ .

دَلَّ على أَنَّ للعالِمِ فَضِيلَةً لَيستْ لِلجاهِلِ ؛ لأَنَّ الكَلْبَ إذا عُلِّمَ تَحْصُلُ لَهُ فَضيلَةٌ على غَيرِ المُعَلَّمِ ، والإنْسانُ إذا كان لَهُ عِلمٌ ، أَوْلى أَنْ يَكُونَ لَهُ فَضْلٌ على غَيْرِهِ كَالجاهِلِ ، لا سِيَّما إذا عَمِلَ بِما عَلِمَ ، كما قالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[1] : لِكُلِّ شَيْءٍ قِيْمَةٌ ، وَقِيْمَةُ المَرْءِ ما يُحْسِنُهُ .

● وَقالَ لُقمان لابْنِهِ وَاسْمُهُ ثاران ، وَقيلَ : أَنْعُم : يا بُنَيَّ ، لِكُلِّ قَوْمٍ كَلْبٌ ، فَلا تَكُنْ كَلْبَ قَوْمِكَ .

● وَرَوى الإمامُ أَحمد في « مُسْنَدِهِ »[2] و« البَزَّارُ » و« الطَّبرانيُّ » من حَديثِ عبدِ اللهِ بن عُمر : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « ضافَ رجلُ رَجُلاً من بَني إِسرائِيلَ ، وَفي دارِهِ كَلْبَةٌ مُجِحٌّ ، فقالَتِ الكَلْبَةُ : لا وَاللهِ لا أَنْبَحُ ضَيْفَ أَهْلي .

قالَ : فَعَوَتْ جِراؤُها في بَطْنِها ، فَقيلَ : ما هذا ؟ فَأَوْحَى اللهُ إِلى رَجُلٍ منهم : هذا مَثَلُ أُمَّةٍ تَكُونُ من بَعْدُ ، يَقْهَرُ سُفَهاؤُها حُلَماؤُها » .

وَالمُجِحُّ : بِالجِيمِ المَكْسُورَةِ قبلَ الحاءِ المُهملَةِ ـ قيلَ : هِيَ الحامِلُ التي قَرُبَ وِلادَتُها .

● وَفي « صَحيح مُسلم » و« سُنَنِ أَبي داود »[3] : عن أَبي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللهُ عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَتى[4] بامْرَأَةٍ مُجِحٍّ على بابِ فُسْطاطٍ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ :

---

(١) الإعجاز والإيجاز ٣٦ والتَّمثيل والمحاضرة ٢٩ .

(٢) مسند أحمد ٢/ ١٧٠ .

(٣) مسلم (١٤٤١) وأبو داود (٢١٥٦) ومسند أحمد ٥/ ١٩٥ و ٦/ ٤٤٦ .

(٤) أَي : مَرَّ على امرأَةٍ مَسْبيَّةٍ ، وقد قَرُبَت ولادتُها ، وَقد هَمَّ سابيها أَن يطأَها ؛ فغضبَ لذلك رسول الله ﷺ لأَنَّ الولد إنْ كان من غيره فلا يحلُّ له توريثه ، وإن كان منهُ فلا يحلُّ له استخدامه كمملوك ؛ فيجب الامتناع عن وطئها خوفاً من هذا المحظور .

« لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُلِمَّ بها ؟ » فقالُوا : نَعم . فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَلْعَنَهُ لَعْناً يَدْخُلُ مَعَهُ قَبْرَهُ . كَيْفَ يُوَرِّثُهُ وَهُوَ لا يَحِلُّ لَهُ ؟ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهُوَ لا يَحِلُّ لَهُ ؟ » .

الأَمْثالُ : قالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٦] .

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجاهِدٌ وغيرُهما رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم أَجمعين : هُو رَجلٌ من الكَنْعانِيِّينَ الجبَّارين ، اسْمُهُ بَلْعَمُ بن باعُوراء ، وَقيلَ : بَلْعام بن باعِر . وَقالَ ابْنُ عَطِيَّة عن ابْنِ عبَّاسٍ : أَصْلُهُ من بَني إِسرائيلَ ، وَلكنَّهُ كان مَعَ الجَبَّارِينَ . وَقالَ مُقاتلٌ : هُوَ من مَدينَةِ بَلْقاءَ . وَكانَتْ قِصَّتُهُ على ما ذَكَرَهُ ابْنُ عبَّاسٍ والسُّدِّيُّ وغيرُهما[1] :

أَنَّ مُوسى ﷺ لَمَّا قَصَدَ حَرْبَ الجبَّارِينَ ، وَنَزَلَ أَرْضَ كَنعان من أَرْضِ الشَّامِ ، أَتَى قَوْمَ بَلْعمَ وَكانُوا كُفَّاراً ؛ وَكانَ بَلْعَمُ عِنْدَهُ اسْمُهُ اللهِ الأَعْظَمُ ، وَكانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ ، فقَالُوا لَهُ : إِنَّ مُوسى رَجُلٌ حَديدٌ ، وَمعهُ جُنودٌ كَثيرَةٌ ، وَإِنَّهُ قد جَاءَ لِيُخْرِجَنا من بِلادِنا وَيَقْتُلَنا وَيُحِلَّها بَني إِسرائيلَ ؛ وَأَنْتَ رَجلٌ مُجابُ الدَّعْوَةِ ، فاخْرُجْ وادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّهُم عَنَّا .

فقالَ : وَيْلَكُمْ ، نَبِيُّ الله ومعهُ المَلائِكَةُ والمُؤمنونَ ، كَيْفَ أَدْعو عليهم ، وَأَنا أَعْلَمُ من اللهِ ما أَعْلَمُ ؟ وإِنِّي إِنْ فَعَلْتُ هذا ذَهَبَتْ دُنْيايَ وآخِرَتي ؛ فراجَعُوهُ وَأَلَحُّوا عليْهِ فقالَ : حتَّى أُوامِرَ رَبِّي ؛ وَكانَ لا يَدْعو بِشَيْءٍ حتّىٰ يَنْظُرَ ما يُؤْمَرُ بِهِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٧٠ و ٢٧٢ ومختصره ٥/ ٢٤٧ وتاريخ الطَّبريّ ١/ ٤٣٧ والبداية والنِّهاية ٢/ ٢٣٣ وابتلاء الأخيار ١٤١ ـ ١٤٤ .

في المَنام ؛ فَوَامَرَ رَبَّهُ بالدُّعاءِ عليهم ، فَقِيلَ لَهُ في المَنامِ : لا تَدْعُ علَيْهم . فقالَ لَهُم : إِنِّي قد وامَرْتُ رَبِّي ، وَإِنِّي نُهِيْتُ .

فَأَهْدَوا لَهُ هَدِيَّةً فَقبِلَها ، ثُمَّ رَاجَعُوهُ فقالَ : حَتَّى أُوامِرَ رَبِّي ، فَوامَرَهُ فَلَمْ يَحِرْ إِلَيْهِ بشَيْءٍ . فقالَ : قد وامَرْتُ ، فَلَمْ يَحِرْ إِليَّ بِشَيْءٍ ؛ فقالُوا : لو كَرِهَ رَبُّكَ أَنْ تَدْعُوَ عليهم لَنَهاكَ كَما نَهاكَ في المَرَّةِ الأُولى ؛ فلَمْ يَزالُوا يَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ حتَّى فَتَنُوهُ ؛ فافْتُتِنَ ، وَرَكِبَ أَتاناً لَهُ مُتَوَجِّهاً إِلى جَبَلٍ يَطَّلِعُ منهُ على عَسْكَرِ بَني إِسرائيل يُقالُ لَهُ : حَسَّان ، فَما سارَ علَيْها غيرَ كَثيرٍ حتَّى رَبَضَتْ بِهِ ؛ فَنزلَ عَنْها وضَرَبَها حتَّى إِذا أَذْلَقَها الضَّرْبُ قامَتْ ، فَرَكِبَها فَلَمْ تَسِرْ بِهِ كَثيراً حتَّى رَبَضَتْ ؛ فَفَعَلَ بها مِثلَ ذلكَ ، فقامَتْ فَرَكِبَها ، فَلَمْ تَسِرْ بِهِ حتَّى رَبَضَتْ ، فَضَرَبَها حتَّى أَذْلَقَها ، فَأَذِنَ اللهُ تَعالى لَها بالكَلامِ ، فَكَلَّمَتْهُ حُجَّةً عليْهِ فقالَتْ : وَيْحَكَ يا بَلْعَمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ أَلا تَرَى المَلائِكَةَ أَمامي يَرُدُّونَني عن وَجْهي هذا ؟ أَتَذْهَبُ إِلى نَبِيِّ اللهِ والمُؤمنينَ تَدْعُو عليهم ؟ فَلَمْ يَنْزِعْ ، فَخَلَّى اللهُ سَبِيلَها ، فانْطَلَقَتْ ، حَتَّى إِذا أَشْرَفَتْ على جَبَلِ حَسَّانَ جَعَلَ يَدْعُو علَيْهِم بالاسْمِ الأَعْظَمِ الذي كان عِنْدَهُ ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ ، وَوَقَعَ مُوسى علَيْهِ السَّلامُ وَبَنُو إِسرائيلَ في التِّيْهِ ؛ فقالَ مُوسى عليه السَّلام : يا رَبّ بِأَيِّ ذَنْبٍ أَوْقَعْتَنا في التيْهِ ؟ قالَ تَعالى : بِدُعاءِ بَلْعام . قالَ مُوسى : يا رَبّ ، فَكما سَمِعْتَ دُعاءَهُ عَلَيْنا ، فَاسْمَعْ دُعائِي عليْهِ ؛ فَدَعا مُوسى علَيْهِ أَنْ يَنزِعَ اللهُ تَعالى منهُ الاسْمَ الأَعْظَمَ ؛ فَنَزَعَ الله منهُ المَعْرِفَةَ ، وَسَلَخَهُ مِنها ، فَخَرَجَتْ من صَدْرِهِ كَحَمامَةٍ بَيْضاءَ . قالَهُ مُقاتِلٌ .

● وَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ والسُّدِّيُّ : لَمَّا دَعا بَلْعامُ على مُوسى وقَوْمِهِ ، قلبَ اللهُ لِسانَهُ ، فَجَعلَ لا يَدْعُو عليهم بِشَيْءٍ من الشَّرِّ إِلاّ صَرَفَ اللهُ بِهِ لِسانَهُ إِلى قَوْمِهِ ، وَلا يَدْعُو بِشَيْءٍ من الخَيْرِ إِلاّ صَرَفَ اللهُ بِهِ لِسانَهُ إِلى بَني إِسرائيل ، فقالَ لَهُ قَوْمُهُ : يا بَلْعَمُ ، أَتَدْرِي ما تَصْنَعُ ؟ إِنَّما تَدْعو لَهم وَعَلَيْنا . فقالَ : هذا

ما لا أَملكُ ، هذا شَيْءٌ قد غَلَبَ اللهُ علَيْهِ .

فَنَسِيَ الاسْمَ الأَعْظَمَ ، وانْدَلَعَ لِسانُهُ على صَدْرِهِ ، فقالَ لَهُم : قد ذَهَبَتْ مِنِّي الآنَ الدُّنْيا والآخِرَةُ ، فَلَمْ يَبْقَ إلاّ المَكْرُ والخَدِيعَةُ والحِيْلَةُ ، فَسَأَمْكُرُ لَكُم وَأَحْتالُ عليهم ؛ جَمِّلُوا النِّساءَ وَزَيِّنُوهُنَّ ، وَأَعْطُوهُنَّ السِّلَعَ ، ثُمَّ أَرْسِلُوهُنَّ إلى العَسْكَرِ يَبْتَعْنَها فِيهِ ، وَمُروهُنَّ أَنْ لا تَمْنَعَ امْرَأَةٌ نَفْسَها من رَجُلٍ أَرادَها ، فإِنَّهم إِنْ زَنى واحِدٌ منهُم كُفيتُمُوهم ؛ فَفَعلُوا .

فَلَمَّا أَتَى النِّساءُ العَسْكَرَ ، مَرَّتِ امْرَأَةٌ من الكَنْعانِيِّينَ اسْمُها كستى بنتُ صُور بِرَجُلٍ من عُظَماءِ بَني إِسرائِيلَ ، يُقالُ لَهُ : زمري بن شَلوم ، رَأْسُ سِبْطِ شَمعون ابن يَعقوب ، فقامَ إِلَيْها ، فَأَخَذَها بِيَدِها حِينَ أَعْجَبَهُ جَمالُها ، ثُمَّ أَقْبَلَ بها حَتَّى وَقَفَ على مُوسى عليْهِ السَّلامُ ، فقالَ : إِنِّي أَظُنُّكَ سَتَقُولُ : هَذِهِ حَرامٌ عليَّ ؛ فقالَ مُوسى : أَجَلْ ، هِيَ حَرامٌ عَلَيْكَ ، لا تَقْرَبَنَّها . قالَ : فَوَاللهِ لا أُطِيعُكَ في هذا ؛ ثُمَّ دَخَلَ بِها قُبَّةً ، فَوَقَعَ عليْها ، فَأَرْسَلَ اللهُ الطَّاعُونَ على بَني إِسرائيل في الوَقْتِ .

وَكانَ فنحاص بن العَيْزار بن هارُون صاحِبَ أَمْرِ مُوسى عليهِ السَّلامُ ، وَكانَ رَجُلاً قد أُعْطِيَ بَسْطَةً في الخَلْقِ ، وَقُوَّةً في البَطْشِ ، وَكانَ غائِباً حِينَ صَنَعَ زمرى بن شَلوم ما صَنَعَ ، فَجاءَ والطَّاعُونُ يَجُوسُ بَني إِسرائيل ، فَأُخْبِرَ الخَبَرَ ، فَأَخَذَ حَرْبَتَهُ ـ وَكانَتْ من حَدِيدٍ كُلُّها ـ ثُمَّ دَخَل عليْهِما القُبَّةَ وَهُما مُتَضاجِعانِ ، فانْتَظَمَهما بِحَرْبَتِهِ ، ثُمَّ خَرجَ بهما رافِعَهُما إِلى السَّماءِ ، وَالحَرْبَةُ قد أَخَذَها بِذِراعِهِ ، وَاعْتَمَدَ بِمِرْفَقِهِ على خاصِرَتِهِ ، وَأَسْنَدَ الحَرْبَةَ إلى لَحْيِيهِ ، وَكانَ بِكْرَ العَيْزارِ ، فَجعلَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَكذا نَفْعَلُ بِمَنْ يَعْصِيكَ . فَرُفِعَ الطَّاعُونُ .

فَحُسِبَ من هَلَكَ من بَني إِسرائيل بِالطَّاعُونِ فِيما بَينَ إِصابَةِ زمري المرأَةَ إِلى أَن قَتَلَهُما فنحاص ، فَوُجِدَ قد هَلَكَ منهُم سَبْعُونَ أَلْفاً في ساعَةٍ من النَّهارِ ؛ فمن هُنالِكَ يعطي بنو إِسرائِيلَ وَلَدَ فَنحاص من كُلِّ ذَبِيحَةٍ ذَبَحُوها القُبَّةَ وَالذِّراعَ

واللَّحْيَ ، لاعْتِمادِهِ بالحَرْبَةِ على خاصِرَتِهِ ، وَأَخْذِهِ إِيَّاها بِذِراعِهِ ، وإِسْنادِهِ إِيَّاها إِلى لَحْيَيْهِ ؛ وَالبِكْرَ من كُلِّ أَمْوالِهِم وأَنْفُسِهِم ، لأَنَّهُ كان بِكْرَ العَيْزارِ .

وَيُقالُ : إِنَّهُ لَمَّا انْتَظَمَهما بالحَرْبَةِ وَخَرَجَ بِهِما ، كانا في الحَرْبَةِ كَحالِهِما في حالَةِ الزِّنا ، فَكانَ ذلكَ آيَةً .

● وَرُوِيَ عن عَبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، وَسَعيد بن المُسَيَّب ، وَزَيد بنِ أَسْلَمَ : أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ في أُمَيَّةَ بن أَبي الصَّلْتِ ، وَكانَ قد قَرَأَ التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ ، وَكانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَعالى يُرْسِلُ رَسُولاً من العَرَبِ ، رَجا أَنْ يَكُونَ هُوَ ذلكَ الرَّسُولَ ؛ فلمَّا أَرْسَلَ اللهُ تَعالى مُحَمَّداً ﷺ حَسَدَهُ وَكَفَرَ بِهِ ، وَكانَ صاحِبَ حِكْمَةٍ وَمَوْعِظَةٍ حَسَنَةٍ .

وَكانَ قَصَدَ بَعضَ المُلُوكِ ، فلمَّا رَجَعَ مَرَّ على قَتْلى بَدْرٍ ، فَسَأَلَ عَنهم : مَن قَتَلَهُم ؟ فَقِيلَ : قَتَلَهُم محمَّدٌ ﷺ فقالَ : لو كان نَبِيّاً ما قَتَلَ أَقْرِباءَهُ[1] .

وَسَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى لَهُ ذِكْرٌ في « الوَغْلِ » أَيْضاً .

● وَقالَت فِرْقَةٌ[2] : إِنَّها نَزَلَت في رَجُلٍ من بَني إِسرائِيلَ ، كان قد أُعْطِيَ ثَلاثَ دَعْواتٍ مُسْتَجاباتٍ ، وَكانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ لَهُ مِنْها وَلَدٌ ، فقالَتْ : اجْعَلْ لِي مِنْها دَعْوَةً ؟ فقالَ : لَكِ مِنْها واحِدَةٌ ، فَما تُرِيدِينَ ؟ قالَتْ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَني أَجْمَلَ امْرَأَةٍ في بَني إِسرائِيلَ ؟ فَدَعا لَها ، فَكانَتْ كذلكَ ؛ فلمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهم مِثْلُها ، رَغِبَتْ عنهُ ؛ فَغَضِبَ الزَّوْجُ ، وَدَعا عَليها ، فصارَتْ كَلْبَةً نَبَّاحَةً ، فَذَهَبَتْ فِيها دَعْوتانِ ؛ فَجاءَ بَنُوها وَقالُوا : لَيْسَ لَنا على هذا قَرارٌ ، وَقَدْ صارَتْ أُمُّنا كَلْبَةً نَبَّاحَةً ، وَالنَّاسُ يُعَيِّرُونَنا بها ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّها إِلى الحالِ التي كانَتْ عليْهِ ؟ فَدَعا اللهُ لَها ، فعادَتْ كَما كانَتْ ، فَذَهَبَتْ فِيها الدَّعواتُ كُلُّها .

---

(١) ينظر الأغاني ٤/ ١٢٢ .

(٢) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٦٧ و ٢٦٨ ومختصره ٥/ ٢٤٧ وابتلاء الأخيار ١٤٦ .

والقَوْلانِ الأَوَّلانِ أَظْهَرُ .

● وَقالَ الحَسَنُ وابْنُ كَيْسان : نَزَلَتْ في مُنافقي أَهْلِ الكِتابِ الذينَ يَعرِفُونَ النَّبيَّ ﷺ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُم .

● وَقالَ قَتادَةُ : هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعالى لِكُلِّ من عُرِضَ عليْهِ الهُدى ، فَأَبى أَنْ يَقْبَلَهُ . قالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ أَي : وَفَّقْناهُ للعَمَلِ بها ، فَكُنَّا نَرْفَعُ بذلكَ مَنْزِلَتَهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أَي : رَكَنَ إِلى الدُّنْيا وَشَهواتِها ولَذَّاتِها .

قالَ الزَّجَّاجُ : خَلَدَ وَأَخْلَدَ : واحِدٌ ، وَأَصْلُهُ من الخُلُودِ ، وَهُوَ الدَّوامُ والمُقامُ . يُقالُ : أَخْلَدَ فُلانٌ بِالمَكانِ : إِذا أَقامَ بِهِ . والأَرْضُ هُنا عِبارَةٌ عن الدُّنْيا ، لأَنَّ ما فِيها من العَقارِ والرِّباعِ كُلِّها أَرْضٌ ، وسائِرُ مَتاعِها مُسْتَخْرَجٌ من الأَرْضِ ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] انْقادَ إِلى ما دَعاهُ إِلَيهِ من الهَوى ، فَعُوقِبَ في الدُّنْيا بِأَنَّهُ كان يَلْهَثُ كَما يَلْهَثُ الكَلْبُ ، فَشُبِّهَ بِهِ صُورَةً وَهَيْئَةً .

قالَ القُتَبيُّ : كُلُّ شَيْءٍ فإِنَّما يَلْهَثُ من إِعْياءٍ أَوْ عَطَشٍ ، إِلاّ الكَلْبَ فإِنَّهُ يَلْهَثُ في حالِ التَّعَبِ وَحالِ الرَّاحَةِ ، وَفي حالِ الرِّيِّ وَحالِ العَطَشِ ؛ فَضَرَبَهُ اللهُ مَثَلاً لِمَنْ كَذَّبَ بآياتِ اللهِ ، فقالَ : إِنْ وَعَظْتَهُ فَهُوَ ضالٌّ ، وإِنْ تَرَكْتَهُ فَهُوَ ضالٌّ ؛ كَالكَلْبِ إِنْ طَرَدْتَهُ لَهَثَ ، وإِنْ تَرَكْتَهُ على حالِهِ لَهَثَ . انتهى .

وَاللَّهْثُ : تَنَفُّسٌ بِسُرْعَةٍ ، وَتَحَرُّكُ أَعْضاءِ الفَمِ معهُ ، وامْتِدادُ اللِّسانِ ؛ وَخِلْقَةُ الكَلبِ أَنَّهُ يَلْهَثُ على كُلِّ حالٍ .

قالَ الواحِدِيُّ وغيرُهُ : وَهَذِهِ الآيَةُ من أَشَدِّ الآيِ على ذَوي العِلْمِ ؛ وَذلكَ أَنَّ اللهَ تَعالى أَخْبَرَ أَنَّهُ آتاهُ آياتِهِ من اسْمِهِ الأَعْظَمِ ، وَالدَّعَواتِ المُسْتَجابَةِ ، وَالعِلْمِ ، وَالحِكْمَةِ ، فَاسْتَوْجَبَ بالسُّكُونِ إِلى الدُّنْيا واتِّباعِ الهوى ، تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ عليْهِ وَالانْسِلاخَ عَنْها . وَمَنِ الذي يَسْلَمُ من هاتيْنِ الحالتيْنِ إِلاّ مَن عَصَمَهُ اللهُ تَعالى ؟ نَسْأَلُ اللهَ التَّوْفيقَ والهِدايَةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● وَرَوى « الشَّيخانِ »[1] عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « الذي يَعُودُ في هِبَتِه ، كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِه » .

وَفي رِوايَةٍ : « كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيءُ ، ثُمَّ يَعُودُ في قَيْئِهِ فَيأْكُلُهُ » .

● قالَ عُمرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[2] : حَمَلْتُ على فَرَسٍ في سَبيلِ اللهِ ، فَباعَهُ الذي كان عِنْدَهُ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَبيعُهُ بِرُخْصٍ ، فَسَأَلْتُ النَّبيَّ ﷺ فقالَ : « لا تَشْتَرِهِ وَلو باعَكَهُ بِدِرْهَمٍ ، وَلا تَعُدْ في صَدَقَتِك ؛ فإِنَّ العائِدَ في صَدَقَتِهِ كَالعائِدِ في قَيْئِه » .

● وَقالَ الجاحِظُ : لِكُلِّ جِيفَةٍ كَلْبٌ ، وَلِكُلِّ قِدْرٍ طَالِبٌ ، وَلِكُلِّ نَحْوٍ راغِبٌ ، وَلِكُلِّ وَسَخٍ حامِلٌ ، وَلِكُلِّ سُمٍّ جارِعٌ ، وَلِكُلِّ طَعامٍ آكِلٌ ، وَلِكُلِّ ساقِطٍ لاقِطٌ ، وَلِكُلِّ ثَوْبٍ لابِسٌ ، وَلِكُلِّ فَرْجٍ ناكِحٌ . انتهى .

● وَقالَتِ العَرَبُ : « آلَفُ من كَلْبٍ »[3] ، وَ« أَبْصَرُ »[4] ، و« أَبْخَلُ »[5] ، و« أَطْوَعُ »[6] ، و« أَفْحَشُ »[7] ، و«أَلأَمُ»[8] ، و«أَبْوَلُ»[9] .

فَيَجُوزُ أَنْ يُرادَ بِهِ البَوْلُ نَفْسُهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرادَ بِهِ كَثْرَةُ الجِراءِ ؛ فإِنَّ البَوْلَ في كَلامِ العَرَبِ يُكْنىٰ بِهِ عن الوَلَدِ .

---

(١) البخاريّ ٣/ ١٤٢ ومسلم (١٦٢٢) وأبو داود (٣٥٣٨ ـ ٣٥٤٠) والنَّسائيّ (٣٦٩٣ ـ ٣٦٩٨) وابن ماجه (٢٣٩١) .

(٢) مسلم (١٦٢١) .

(٣) الميدانيّ ١/ ٨٧ وحمزة ١/ ٧٠ والعسكريّ ١/ ٢٠٢ والزَّمخشريّ ١/ ٨ .

(٤) الميدانيّ ١/ ١١٦ وحمزة ١/ ٧٨ والعسكريّ ١/ ٢٤٠ والزَّمخشريّ ١/ ٢٢ .

(٥) الميدانيّ ١/ ١١٤ وحمزة ١/ ٩٠ والعسكريّ ١/ ٢٤٧ .

(٦) الميداني ١/ ٤٤١ وحمزة ١/ ٢٨٤ والعسكريّ ٢/ ١٤ والزَّمخشريّ ١/ ٢٦٦ .

(٧) الميدانيّ ٢/ ٨٦ وحمزة ١/ ٣٣١ والعسكريّ ٢/ ١٠٦ والزَّمخشريّ ٢/ ٢٦٧ .

(٨) الميدانيّ ٢/ ٢٥٦ وحمزة ٢/ ٣٦٩ والعسكريّ ٢/ ١٨٠ والزَّمخشريّ ١/ ٣٠١ .

(٩) الميدانيّ ١/ ١١٩ وحمزة ١/ ٩٣ والعسكريّ ١/ ٢٥٢ والزَّمخشريّ ١/ ٣٠ .

وَبذلِكَ عَبَّرَ(١) ابْنُ سِيرين رحمةُ اللهِ تَعالى عليْهِ رُؤْيا عَبدِ المَلِكِ بن مَروانَ ، لَمَّا رَأى أَنَّهُ بالَ في مِحْرابِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، فَكَتَبَ إلَيْهِ : إنْ صَدَقَتْ رُؤْياكَ ، فَسَيَقُومُ من أَوْلادِكَ أَرْبَعَةٌ في المِحْرابِ ، وَيَتَقَلَّدُونَ الخِلافَةَ بَعْدَكَ . فَوَلِيَها أَرْبعةُ خُلفاءَ من صُلْبِهِ : الوَلِيدُ وسُليمانُ وهِشام ويَزيد .

وَقالُوا : « سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ »(٢) . وَهُوَ قَرِيبٌ من قَوْلِهم : « اتَّقِ إساءَةَ مَن أَحْسَنْتَ إليْهِ » .

وقالُوا : « جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ »(٣) . يُضْرَبُ في مُعاشَرَةِ اللِّئامِ .

وقالُوا : « الكِلابُ على البَقَرِ »(٤) بِرَفْعِها وَنَصْبِها ، فَالنَّصْبُ على إضْمارِ فِعْلٍ ، تَقديرُهُ : خَلِّ كِلابَ الصَّيْدِ ، أَو دَعِ الكِلابَ على بَقَرِ الوَحْشِ لِتَصْطادَها ؛ وَالرَّفْعُ على الابْتداءِ ، وَما بَعْدَهُ خَبَرُهُ ؛ وَمَعنى المَثَلِ : إذا أَمْكَنَتْكَ الفُرْصَةُ فاغْتَنِمْها ؛ وَيُقالُ : مَعناهُ : خَلِّ بَيْنَ النَّاسِ خَيِّرِهم وَشِرِّيرِهم ، واغْتَنِمْ أَنْتَ طَريقَ السَّلامَةِ .

● وَقد سُئِلْتُ عن قَوْلِ الأَخْطَلِ(٥) : [من البسيط]

قَوْمٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيافُ كَلْبَهُمُ ... قالُوا لأُمِّهِمُ : بُولي على النَّارِ
فَتُمْسِكُ البَوْلَ بُخْلاً أَنْ تَجُودَ بِهِ ... وَما تَبُولُ لَهُمْ إلاّ بِمِقْدارِ

---

(١) الميدانيّ ١/ ١١٩ .

(٢) الميدانيّ ١/ ٣٣٣ والفاخر ٧٠ وفصل المقال ٤١٩ و ٤٨٩ وأبو عبيد ٢٩٦ والعسكريّ ١/ ٢٥٥ .

(٣) الميدانيّ ١/ ١٦٥ والفاخر ١٥٨ وفصل المقال ٤٨٩ وأبو عبيد ٣٥٨ والعسكريّ ١/ ١١١ والزَّمخشريّ ١/ ٥٠ .

(٤) الميدانيّ ٢/ ١٤٢ والعسكريّ ٢/ ١٦٩ والزَّمخشريّ ١/ ٣٤١ وفصل المقال ٤٠٠ وأبو عبيد ٢٨٤ .

(٥) الأبيات لجرير في العقد الفريد ٦/ ١٨٧ والمستطرف ١/ ٥٣٠ وليست في ديوانه . وهي لدعبل في بخلاء الخطيب ٨٣ وديوانه ٤٥٢ . والأوّل للأخطل في ديوانه ٢/ ٦٣٦ .

وَالخَبْزُ كَالعَنْبَرِ الوَرْدِيِّ عِنْدَهُمُ ... وَالقَمْحُ سَبْعُونَ إِرْدَبّاً بِدِينارِ

فقُلتُ : هذا عَكسُ قَوْلِ شاعِرِ الأَنْصارِ حَسّان بن ثابتٍ ، حيثُ يَقُولُ يَمْدَحُ آلَ جَفنة[(١)] : [من الكامل]

للهِ دَرُّ عِصابَةٍ نادَمْتُهُمْ ... يَوْماً بِجِلَّقَ في الزَّمانِ الأَوَّلِ

أَوْلادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيْهِمُ ... قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

يُغْشَوْنَ حتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ ... لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

بِيْضُ الوُجُوهِ كَرِيْمَةٌ أَحْسابُهُمْ ... شُمُّ الأُنُوفِ من الطِّرازِ الأَوَّلِ

يَسْقُونَ من وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[(٢)]

● وَللهِ دَرُّ القائِلِ من المَغارِبَةِ ، حَيثُ قالَ مُضَمِّناً هَذِهِ الأَبياتِ في مُعَذَّرٍ[(٣)] : [من الكامل]

لا عُذْرَ لِي إِنْ لَمْ أَهِمْ بِمُعَذَّرٍ ... في وَجْنَتَيْهِ فِتْنَةُ المُتَسَلْسِلِ

إِنِّي من القَوْمِ الَّذينَ إِذا هَوَوْا ... لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

وَلَدَيْهِمُ أَنَّ العِذارَ إِذا بَدا ... مِمَّا يُعَدُّ من الطِّرازِ الأَوَّلِ

وَقالُوا : « أَشْكَرُ من كَلْبٍ »[(٤)] .

● وَحَكى محمَّد بن حَرْبٍ ، قالَ[(٥)] : دخلْتُ على العَتَّابيِّ ، فَوَجَدْتُهُ جالِساً على حَصِيرٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْه شَرابٌ في إناءٍ ، وَكَلْبٌ رابضٌ بالفِناءِ بِحِيالِه ، يَشْرَبُ كَأْساً وَيُولِغُهُ أُخْرى ؛ فَقُلتُ لَهُ : ما الذي أَرَدْتَ بِما اخْتَرْتَ ؟ فقالَ :

---

(١) ديوانه ١/ ٧٤ (عرفات) و ١٢٢ (حنفي) و ٣٦٤ (برقوقي) وأَمالي المرزوقيّ ٢٢٨ .
(٢) هذا البيت والمقطع الآتي ، من أ فقط .
(٣) الثّاني والثّالث بلا نسبة في السّحر والشّعر لابن الخطيب ١٣٨ .
(٤) الميداني ١/ ٣٨٨ وحمزة ١/ ٢٥٨ و ٢/ ٤٤٧ والعسكريّ ١/ ٢٦٣ والزّمخشريّ ١/ ١٩٧ .
(٥) نقله المؤلِّف بتصرُّف عن البصائر والذَّخائر ٤/ ١٨٩ ـ ١٩٠ . ويُقارن بما ورد في تفضيل الكلاب ٥٦ .

اسْمَعْ ؛ إِنَّهُ يَكُفُّ عَنِّي أَذاهُ ، وَيَكفيني أَذى مَن سِواهُ ، وَيَشْكُرُ قليلي ، وَيَحْفَظُ مَبِيْتي وَمَقِيْلي ، وَهُوَ من بَيْنِ الحَيوانِ خَليلي .

قالَ ابْنُ حَرْبٍ : فَتَمَنَّيْتُ وَاللهِ أَنْ أَكُونَ كَلْباً لَهُ ، لأَحُوزَ هذا النَّعْتَ منهُ .

● وَمِنْ شِعْرِ العَتَّابيِّ رحمهُ اللهُ تَعالى[1] : [من البسيط]

طَافَ الخَيالُ بِنا لَيْلاً فَحَيَّانا ... أَهْلاً بِهِ مِن مُلِمٍّ زارَ عَجْلانا
ما ضَرَّ زائِرَنا المُهْدي تَحِيَّتَهُ ... في النَّوْمِ إِذْ زارَنا لو زارَ يَقْظانا
أَنَّى اهْتَدى وَسَوادُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ ... على تَباعُدِ مَسْراهُ وَمَسْرانا
إِنَّ الأَمانيَّ قد خَيَّلْنَ لِي سَكَناً ... رَدَّتْ تَحِيَّتُهُ قَلْبي كَما كانا
حتَّى إذا هُوَ وَلَّىٰ وانْتَبَهْتُ لَهُ ... هاجَتْ زِيارَتُهُ شَوْقاً وأَحْزانا

● وَقالَ عليُّ بن محمَّد بن نصر[2] في المَعْنى بَيْتاً مُفْرَداً : [من الوافر]

وَكانَ خَيالُها يَشْفي سَقاماً ... فَضَنَّتْ بِالخَيالِ على الخَيالِ

الخَواصُّ[3] : لَحْمُهُ يَعْلُو شَحْمَهُ ؛ بِخِلافِ لَحْمِ الشَّاةِ ، فإِنَّ شَحْمَها يَعْلُو لَحْمَها ؛ فإِذا ارْتَضَعَتِ الشَّاةُ من كَلْبَةٍ ، كان لَحْمُها على صِفَةِ لَحْمِ الكِلابِ ؛ وَفي ذلكَ قِصَّةٌ شَهِيرَةٌ لِرَبيعَةَ وَمُضَرَ وأَنْمار وإِياد ، تَقَدَّمَتْ في « بابِ الهَمْزَةِ » في « الأَفْعى » .

● قالَ السُّهيليُّ[4] : وَفي الحَدِيثِ : « لا تَسُبُّوا رَبيعةَ وَمُضَرَ ، فإِنَّهُما كانا مُؤمنين » .

---

(١) الأَبيات له في البصائر والذَّخائر ٦/ ٧٤ .
(٢) هو ابن بسَّام . والبيت في البصائر والذَّخائر ٦/ ٧٤ وديوانه ٢/ ٤٧٥ (ضمن شعراء عبَّاسيُّون) .
(٣) عجائب المخلوقات ٢٦٧ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٥٥ ومفردات ابن البيطار ٤/ ٧٥ وتذكرة داود ١/ ٢٧٣ .
(٤) الروض الأُنف ١/ ٣٣ .

قالَ : وإنَّما سُمِّيَ رَبيعةَ الفَرَسِ ، لأَنَّهُ أُعْطِيَ من مِيْراثِ أَبيهِ الخَيْلَ ، وَأُعْطِيَ أَخوهُ الذَّهَبَ ، فَسُمِّيَ مُضَرَ الحَمْراءَ ؛ وَلا تَقُولُ العَرَبُ إلا : رَبيعة وُمُضَرَ ؛ ولا يَقُولُونَ : مُضَر وَرَبيعةَ أَصْلاً .

● وَمِن خَواصِّ الكَلْبِ العَجيبَةِ : أَنَّهُ لا يَلَغُ في دَمِ مُسْلِمٍ . قالَ القاضِي عِياضٌ في « الشِّفاءِ »[١] : أَفْتى فُقَهاءُ القَيْروانِ وأَصْحابُ سَحنونَ بقَتْلِ إبراهيم الفَزاريّ ، وَكانَ شاعِراً ماهِراً مُتَفَنِّناً في كَثيرٍ من العُلُوم ، وَكان يَحْضُرُ مَجْلِسَ القاضِي أَبي العبَّاسِ بن طالِبٍ طَلَباً للمُناظَرَةِ ، فَضُبِطَتْ عليْهِ أُمُورٌ مُنْكَرَةٌ من الاسْتِهْزاءِ باللهِ تَعالى ، والأَنْبياءِ عليْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ فَقُتِلَ ثُمَّ صُلِبَ مُنَكَّساً ، وَأُنْزِلَ وَأُحْرِقَ بالنَّارِ .

وَلَمَّا رُفِعَتْ خَشَبَتُهُ ، وَزالَتْ عَنْها الأَيْدِي ، اسْتَدارَتْ وَتَحَوَّلَتْ عن القِبْلَةِ ، وَجاءَ كَلْبٌ فَوَلَغَ في دَمِهِ ، فقالَ يَحْيى بن عُمر : صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فإِنَّهُ قالَ : « لا يَلَغُ الكَلْبُ في دَمِ مُسْلِمٍ » .

وإِذا قُطِعَ لِسانُ كَلْبٍ أَسْوَدَ ، وَأَخَذَهُ إِنْسانٌ في يَدِهِ ، لَمْ تَنْبَحْ عليْهِ الكِلابُ .

وإِنْ أُخِذَتْ قُرادَةٌ من أُذُنِ كَلبٍ ، وأَمْسَكَها إِنسانٌ في يَدِهِ ، خَضَعَتْ لَهُ الكِلابُ كُلُّها ، حتَّى ذلِكَ الكلبُ المَأْخُوذَةُ منهُ .

وَإِنْ عُلِّقَتْ أَسْنانُهُ على صَبِيٍّ ، خَرَجَتْ أَسْنانُهُ من غَيْرِ تَعَبٍ .

وَأَنْيابُهُ إذا عُلِّقَتْ على مَن بِهِ عَضَّةُ الكَلْبِ ، سَكَنَ عنه وَجَعُها . وإذا عُلِّقَتْ على مَن بِهِ اليَرَقانُ الظَّاهِرُ ، نَفَعَهُ . وإِنْ حَمَلَ إِنْسانٌ معهُ نابَ الكَلْبِ ، لَمْ تَنْبَحْهُ الكِلابُ .

وَذَكَرُهُ إذا جُفِّفَ ، وَعُلِّقَ على الفَخِذِ ، هَيَّجَ الباهَ .

---

(١) الشّفا ٧٦٩ ـ ٧٧٠ .

وَمَنْ كان يَلْقى من القُولَنْجِ شِدَّةً ، فَلْيُقِمْ كَلْباً نائِماً ، وَلْيَبُلْ في مَكانِهِ ، فإِنَّهُ يَزُولُ عنهُ من وَقْتِهِ ، وَيَمُوتُ الكلبُ .

وَنابُهُ إِذا عُلِّقَ على مَن يَتَكَلَّمُ في نَوْمِهِ ، سَكَنَ .

وَلَبَنُ الكَلْبَةِ إِذا طُلِيَ بِهِ الشَّعَرُ ، حَلَقَهُ ؛ وإِنْ شُرِبَ بالماءِ ، سَكَّنَ من وَقْتِهِ السُّعالَ .

وَبَوْلُهُ إِذا طُلِيَ بِهِ على الثَّآلِيلِ ، قَلَعَها .

وَقُرادُهُ إِذا نُقِعَ في نَبِيذٍ ، وَشَرِبَهُ شارِبٌ ، سَكِرَ من وَقْتِهِ .

وَشَعَرُ الكَلْبِ الأَسْوَدِ البَهِيمِ ، إِذا عُلِّقَ على المَصْرُوعِ ، نَفَعَهُ .

وَمَنْ كان عِنْدَهُ عبدٌ آبقٌ ، وَأَحَبَّ أَنْ لا يَأْبَقَ ، فَلْيَأْخُذْ جَرْوَ كَلْبٍ صَغِيرٍ ، فَيحرقُهُ ثم يَسْحَقُهُ بزَيْتٍ ، وَيَطلي بِهِ رَأْسَهُ ، فإِنَّهُ لا يَأْبَقُ . مُجَرَّبٌ . قالَهُ القَزوينيُّ وغيرُهُ .

وَلَبَنُ الكَلْبَةِ، إِذا شُرِبَ، نَفَعَ من السُّمُومِ القاتِلَةِ، وَيُخْرِجُ الأَجِنَّةَ والمَشِيْمَةَ .

وَمَنِ اكْتَحَلَ بِلَبَنِ كَلْبَةٍ ، سَهِرَ لَيْلَهُ كُلَّهُ .

وَزِبْلُهُ إِذا سُحِقَ وعُجِنَ بماءِ الكُزْبَرَةِ ، وَطُلِيَ بِهِ الأَوْرامُ الحادَّةُ ، نَفَعَها بإِذْنِ الله تَعالى .

التَّعبيرُ[١] : الكِلابُ في الرُّؤْيا عِندَ المُسلمينَ : عَبيدٌ . وَفي الحَديثِ : أَنَّ الكَلبَ من المَمْسُوخِ . وَأَوَّلَهُ المُعَبِّرُونَ بِرَجُلٍ سَفِيهٍ ، مُجْتَرِىءٍ على المَعاصي . وَإِذا نَبَحَ فَهُوَ سَفِيهٌ مُشَنِّعٌ طَمِعٌ .

فَمَنْ رَأَى كَلْباً عَضَّهُ ، أَوْ خَدَشَهُ ، نالَهُ من عَدُوِّهِ هَمٌّ بِقَدْرِ الأَلَمِ ، وَرُبَّما مَرِضَ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٦ و ١٨٨ وتفسير الواعظ ٢٨٨ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَةُ الكَلْبِ على الانْكِلابِ على الدُّنْيا ، مع عَدَمِ الادِّخارِ .

وَرُؤيَةُ كَلْبِ أَهْلِ الكَهفِ في المَنامِ ، تدلُّ على الخَوفِ ، أَو السَّجْنِ ، أَوِ الهَرَبِ ، أَوِ الاخْتِفاءِ ؛ وَرُؤْيَتُهُ في البَلَدِ دَلِيلٌ على تَجْدِيدِ وِلايَةٍ .

وَرُبَّما دَلَّ الكَلْبُ على الكُفْرِ والإِياسِ من رَحمةِ اللهِ تَعالى ، لِقَولِهِ تَعالى : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف : ١٧٦] الآيَةَ .

وَكلْبُ الصَّيْدِ : عِزٌّ وَرِفْعَةٌ وَرِزْقٌ ؛ وَكَلبُ الماشِيَةِ : رَجلٌ صالِحٌ ، غَيُورٌ على الأَهْلِ والجارِ . قالَهُ ابْنُ المُقرىءِ .

وَمَنْ رَأَى كَلْباً مَزَّقَ ثِيابَهُ ، فإِنَّ سَفِيهاً يَغْتابَهُ ؛ وإِنْ لَمْ يَسْمَعْ نُباحَهُ ، فَهوَ عَدُوٌّ ، وَتَزُولُ عَداوَتُهُ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ .

وَالكَلْبُ يُعَبَّرُ برجُلٍ من الأَهْلِ ، فَمَنْ نازَعَهُ كَلبٌ ، نازَعَهُ رَجلٌ من أَهْلِهِ .

وَرُبَّما عُبِّرَ بِالمُشَنِّعِ إِذا نَبَحَ ، أَو بِسَماعِ نُواحٍ ، أَوْ بِفَتْحِ بَيْتِ الخَلاءِ .

وَالكَلبَةُ امْرأَةٌ دَنِيئَةٌ من قَوْمٍ مُعانِدينَ .

وَالجَرْوُ وَلَدٌ مَحبُوبٌ ، فإِنْ كان أَبْيَضَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وإِنْ كان أَسودَ فَهوَ يَسُودُ قَوْمَهُ .

وَقِيلَ : جَرْوُ الكَلبِ : لَقِيطٌ سَفيهٌ ؛ وَالكَلْبُ الكَلِبُ : سَفيهٌ أَيْضاً .

وَرُؤْيَةُ كَلْبِ الرَّاعِي : تَدُلُّ على فائِدَةٍ من مَلِكٍ أَو والٍ .

وَالكَلْبُ الذي يُصادُ بِهِ : مُلْكٌ وَوِلايَةٌ لِمَنْ رَآهُ ، إِذا كان أَهْلاً لِذلِكَ ، أَو يَصِيرُ إِلَيْهِ شَيْءٌ يَسْتَغْني بِهِ ، لِقَولِهِ تَعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [المائدة : ٤] .

وَالكَلْبُ الصِّينيُّ : يَدُلُّ على مُخالَطَةِ قَومٍ من الأَعْجامِ غيرِ مُسلمين .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَصِيدُ بِالكِلابِ ، فإِنَّهُ يُعطىٰ بُغْيَتَهُ وَيَنالُ مُناهُ .

وَقالَ أَرطاميدورس : مَن رَأى كِلابَ الصَّيْدِ خارِجَةً ، فَهِيَ دَليلُ خَيرٍ لِطالِبِ الرِّزْقِ والخِدْمَةِ ؛ وإذا رَآها داخِلَةً من الصَّيْدِ ، فإِنَّها تَدلُّ على البَطالَةِ .

وَالكَلْبُ الحارِسُ في المَنامِ : يَدلُّ على صِيانَةِ الزَّوْجَةِ وَالمالِ .

وَقِيلَ : الكِلابُ في المنام : تدلُّ على قَوْمٍ أَذِلَّةٍ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ صارَ كَلْباً ، فإِنَّ اللهَ تَعالى قد آتاهُ عِلْماً فَنسِيَهُ ، لِقَولِهِ تَعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٦] الآية .

وَقِيلَ : الكِلابُ تُعَبَّرُ بِغِلْمانِ الشُّرطَةِ .

وَالكَلبُ : عَدُوٌّ ضَعيفٌ ، لِتَحَوُّلِهِ عن جَوْهَرِ السِّباعِ ، ثُمَّ يَصِيرُ صَديقاً بَعدَ العَداوَةِ ، لِقِصَّةِ آدمَ عليْهِ السَّلامُ لمَّا أُهْبِطَ إِلى الأَرْضِ ؛ وَقَد تَقَدَّمَ طَرَفٌ مِنها ، فَجُعِلَ في التَّأْوِيلِ عَدُوّاً ، ثُمَّ يَرجعُ صَديقاً .

● وَمِنَ الرُّؤْيا المُعَبَّرَةِ[١] : أَنَّ سَيِّدَنا أَبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، رَأى كأَنَّ كَلبةً من مَكَّةَ تَهِرُّ على النَّاسِ ، فلمَّا دَنَوْا مِنْها اسْتَلْقَتْ على ظَهْرِها ، وَدَرَّتْ ثَدْياها لَبَناً ؛ فَأَخْبَرَ بذلكَ النَّبيَّ ﷺ فقالَ : « ذَهَبَ كَلَبُهُم ، وَأَقْبَلَ دَرُّهُم ، وَسَتَلْقَوْنَهُم بَعْدُ وَيَسْأَلُونَكُم أَرْحامَهُم ؛ فإِذا لَقِيتُم أَبا سُفْيان فَلا تَقْتُلُوهُ » . فَلَمَّا قَدِمَ المُسْلِمُونَ لِفَتْحِ مَكَّةَ ، قاتَلَ بَعْضُهم ؛ وَكانَ ما أَخْبَرَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ .

● وَمِنَ الرُّؤْيا المُعَبَّرَةِ أَيْضاً[٢] : أَنَّ رَجُلاً أَتى ابْنَ سِيرِينَ ، فقالَ : رَأَيْتُ كَلْبَيْنِ يَقْتَتِلانِ على فَرْجِ زَوْجَتي ؟ فقالَ : إِنَّها أَخَذَتِ المِقْراضَ ، وَجَزَّتْ شَعَرَ فَرْجِها . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

---

(١) تفسير الواعظ ٢٨٩ .

(٢) مضى تخريجه في « الكبش » .

● **خاتِمَةٌ** : وَمِنَ الفَوائِدِ المُجَرَّبَةِ : أَنْ يُكْتَبَ في إِناءٍ جَديدٍ ، وَيُمْسَحَ بزَيْتٍ ، وَيُسْقَى للمَكْلُوبِ ، فإِنَّهُ يَشفى بإِذْنِ اللهِ تَعالى ، وَهِيَ هذِهِ الأَحْرُفُ (ا ب ج ه ا ع ه دباب اللد) .

وَيُكْتَبُ أَيْضاً لِلحامِلِ في إِناءٍ جَديدٍ ، وَيُغْسَلُ بِماءٍ ، وَيُسْقَى ، فإِنَّهُ نافِعٌ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى ، وَاللهُ أَعلمُ .

٨٨٠ **كَلْبُ المَاءِ** : تَقَدَّمَ في « القافِ » أَنَّهُ « القُنْدُسُ » .

وَقالَ في « عَجائِبِ المَخْلُوقاتِ »(١) : كَلْبُ الماءِ : مَعْرُوفٌ ، وَهو حَيَوانٌ مَشْهُورٌ ، يَداهُ أَطْوَلُ من رِجْلَيْهِ ، يَلْطَخُ بَدَنَهُ بالطِّينِ ، فَيَحْسَبُهُ التِّمْساحُ طِيْناً ، ثُمَّ يَدْخُلُ جَوْفَهُ ، فَيَقْطَعُ أَمْعاءَهُ وَيَأْكُلُها ، ثُمَّ يُمَزِّقُ بَطْنَهُ وَيَخْرُجُ .

قالَ : وَمِن **خَواصِّهِ** : أَنَّ مَن كان مَعهُ شَحْمُ كَلبِ الماءِ ، أَمِنَ من غائِلَةِ التِّمْساحِ .

وَذَكَرَ بعضُهم : أَنَّ الجندبادستر خِصْيَةُ هذا الحَيوانِ . وَقَد تَقَدَّمَتْ صِفَةُ ذلِكَ في « بابِ الجِيمِ » .

الحُكْمُ : سُئِلَ اللَّيْثُ بن سَعْدٍ عن أَكْلِ لَحْمِ كَلْبِ الماءِ ، فقالَ : لا بَأْسَ بِهِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في عُمُومِ السَّمَكِ ، أَنَّها تَحِلُّ إِلاّ أَرْبَعَةً لَيْسَ هذا منها ؛ وَقِيلَ : لا يُؤْكَلُ ، لأَنَّ شَبَهَهُ في البَرِّ لا يُؤْكَلُ .

الخَواصُّ : دَمُ كَلْبِ المَاءِ : يُخْلَطُ بِماءِ الكَمُّونِ الكَرْمانِيِّ ، وَيُشْرَبُ في الحَمَّامِ ، يَنْفَعُ من تَقْطِيرِ البَوْلِ وَعُسْرِهِ .

وَدِماغُهُ يَنْفَعُ من ظُلْمَةِ العَيْنِ اكْتِحالاً .

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٥ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٤٩ .

وَمَرارَتُهُ قَدرُ عَدَسَةٍ مِنْها ، سُمٌّ قاتِلٌ .

وَقالَ ابْنُ سِينا : إِنَّ خُصْيَتَهُ تَنْفعُ من نَهْشِ الحيَّاتِ ؛ وَجِلْدُهُ يُتَّخَذُ منهُ جَوْرَبٌ ، يَلْبَسُهُ المُنْقَرِسُ يَذْهَبُ عنهُ ذَلكَ وَيَبْرَأُ .

٨٨١ **الكُلْثُومُ** : الفِيلُ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[١] . وَقد تَقَدَّمَ حُكْمُهُ في « بابِ الفاءِ » .

٨٨٢ **الكَلْكَسَةُ** : قالَ قَوْمٌ : إِنَّهُ ابْنُ عِرْسٍ[٢] ؛ وَقالَ قَوْمٌ : إِنَّهُ حَيَوانٌ آخَرُ غيرُ ابْنِ عِرْسٍ .

[**الخَواصُّ** :] وَزِبْلُهُ إِذا سُحِقَ ودِيْفَ بِالخَلِّ ، وَطُلِيَ بِهِ مَواضِعُ النَّمْلَةِ الظَّاهِرَةِ ، نَفَعَ نَفْعاً بَيِّناً .

وَفي كِتابِ دمقراطيس : أَنَّ الكَلْكَسَةَ تَبِيضُ من فِيْها .

٨٨٣ **الكُمَيْتُ** : الفَرَسُ الشَّدِيدُ الحُمْرَةِ ؛ وَلا يُقالُ : كُمَيْتٌ ، حتَّى يَكُونَ عُرْفُهُ وَغُرَّتُهُ وَذَنَبُهُ سَوداوات ، وإِنْ كانَتْ حُمْراً فَهُوَ أَشْقَرُ ؛ وَالوَرْدُ فِيما بَيْنَ الكُمَيْتِ وَالأَشْقَرِ ؛ وَالجَمْعُ وُرْدٌ[٣] .

وَالكُمَيْتُ من أَسْماءِ الخَمْرِ . قالَ الشَّيْخُ صَلاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيّ ، وَفِيهِ تَوْرِيَةٌ : [من المتقارب]

وَحَمْــــراءَ لَمَّـــا تَــرَشَّفْتُهــا ... جَنَيْــتُ بِهـا اللَّهْــوَ فِيْمـا جَنَيْتْ
وَنِلْــتُ المَسَــرَّاتِ دُونَ الــوَرى ... لِأَنِّــي سَبَقْتُهُــمُ بِـــالكُمَيْــتْ

---

(١) المخصَّص ٨/ ٥٧ .

(٢) تاج العروس « كلكس » ١٦/ ٤٥٠ .

(٣) في الأُصول : والجمع وردان . خطأ . قالَ الجوهريُّ « ورد » ٢/ ٥٥٠ : والجمع : وُرْدٌ ـ بِالضَّمِّ ـ مثل جَوْنٍ وَجُونٍ . ووِرادٌ أَيضاً . وكذا اللِّسان والتَّاج « ورد » .

٨٨٤ **الكِنْدارَةُ** : سَمَكَةٌ لَها سَنامٌ ، مَعرُوفَةٌ عِندَ أَهْلِ البَحْرِ[١] .

٦٨٥ **الكَنْعَبَةُ**[٢] : النَّاقَةُ العَظِيمَةُ . وَسَيأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى حُكمُ « النَّاقَةِ » في « بابِ النُّونِ » .

٨٨٦ **الكَنْعَدُ** : كَجَعْفَرٍ : ضَرْبٌ من السَّمَكِ . قالَهُ الجَوهريُّ[٣] ؛ وأَنْشَدَ لِجريرٍ[٤] : [من البسيط]

كانُوا إِذا جَعَلُوا في صِيرِهِمْ بَصَلاً ثُمَّ اشْتَوَوْا كَنْعَداً من مالِحٍ جَدَفُوا

٨٨٧ **الكُنْدُشُ** : العَقْعَقُ[٥] ؛ قالَ أَبُو الغَطَمَّشِ الحَنَفيُّ يَصِفُ امرأَةً[٦] : [من المتقارب]

مُنِيْتُ بِزَنْمَرْدَةٍ كَالعَصا أَلَصُّ وأَخْبَثُ مِن كُنْدُشِ

وَلَفْظُ زَنْمَرْدَة : فارِسيٌّ مُعَرَّبٌ : أَي امرأَةُ الرَّجُلِ[٧] .

٨٨٨ **الكَهْبُ** : الجامُوسُ المُسِنُّ[٨] . وَقد تَقَدَّمَ حُكْمُهُ في « بابِ الجِيمِ » .

---

(١) القاموس والتَّاج « كندر » .
(٢) كذا في الأُصول . ولا أرى ذلك صحيحاً ؛ والصَّواب كما في المخصّص ٧/ ٥٧ ، واللِّسان والقامُوس والتَّاج « كنعر » : الكَنْعَرَةُ : النَّاقَةُ العظيمة .
(٣) الصِّحاح « كنعد » ٢/ ٥٣٢ واللِّسان والتَّاج .
(٤) ديوانه ١/ ١٧٧ .
(٥) الصِّحاح « كدش » ٣/ ١٠١٧ واللِّسان والقاموس والتَّاج « كندش » .
(٦) البيت له في معاجم اللُّغة والمعرّب ٢١٧ والحماسة بشرح التَّبريزيّ ٤/ ٣٧٣ وشرح المرزوقيّ ٤/ ١٨٨١ .
(٧) كذا قالَ رحمهُ اللهُ ، وليس كذلك . بل هي المرأَة التي تشبه الرِّجال في الخَلْقِ والخُلُقِ . (المعرّب ٢١٦) .
(٨) القاموس « كهب » ١/ ١٣١ .

٨٨٩ **الكَوْدَنُ** : البِرْذَوْنُ البَطيءُ . وَقالَ الجَوهريُّ[١] : وَهُوَ البِرْذَوْنُ يُوكَفُ ، وَيُشَبَّهُ بِهِ البَلِيدُ .

وَقال ابْنُ سِيْدَه : الكَوْدَنُ : البِرْذَوْنُ ؛ وَقِيلَ : البَغْلُ .

● وَفي حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمْ يُعْطِ الكَوْدَنَ شَيْئاً .

وَفي رِوايَةٍ : أَعْطاهُ دُونَ سَهْمِ العِرابِ . رَواهُ « الطَّبرانيُّ » وفي إِسْنادِهِ أَبُو بِلال الأَشْعَرِيُّ ، وَهو ضَعِيفٌ .

٨٩٠ **الكَوْسَجُ** : سَمَكَةٌ في البَحْرِ ، لَها خُرْطُومٌ كَالمِنْشارِ ، تَفْتَرِسُ ؛ وَرُبَّما الْتَقَمَتِ ابْنَ آدَمَ ، وَقَصَمَتْهُ نِصْفَيْنِ ؛ وَهِيَ القِرْشُ ؛ وَيُقالُ لَها : اللَّخْمُ أَيْضاً .

وَيُقالُ : إِنَّها إِذا صِيْدَتْ بِاللَّيْلِ ، وَجَدُوا في جَوْفِها شَحْمَةً طَيِّبَةً ، وإِنْ صِيْدَتْ نَهاراً لَمْ يَجِدُوها[٢] .

● وَقالَ القَزوينيُّ[٣] : الكَوْسَجُ : نَوْعٌ من السَّمَكِ ، وَهُوَ في الماءِ شَرٌّ من الأَسَدِ في البَرِّ ، يَقْطَعُ الحَيوانَ في الماءِ بِأَسْنانِهِ ، كَما يَقْطَعُ السَّيْفُ الماضِي .

قالَ : وَرَأَيْتُهُ وَهُو سَمَكَةٌ مِقْدارَ ذِراعٍ أَو ذِراعينِ ؛ وأَسْنانُهُ كَأَسْنانِ النَّاسِ ، تَنْفرُ منهُ الحَيواناتُ البَحريَّةُ ؛ وَلَهُ أَوانٌ مُعَيَّنٌ يَكثُرُ فِيهِ بِدِجْلَةِ البَصْرَةِ .

وَحُكْمُهُ : عِندَ الإِمامِ أَحمد : تَحرِيمُ الأَكْلِ .

وَقالَ أَبُو حامِدٍ من أَصْحابِهِ : لا يُؤْكَلُ التِّمْساحُ وَلا الكَوْسَجُ ، لأَنَّهما

---

(١) الصِّحاح « كدن » ٦/ ٢١٨٧ .

(٢) الحيوان ٦/ ٣٦٥ و ١/ ٣١١ .

(٣) عجائب المخلوقات ٨٧ و ١٠٥ .

يَأْكُلانِ النَّاسَ ، وَلأَنَّهُ ذُو نابٍ . انتهى .

وَمُقْتَضَى مَذْهَبِنا أَنَّهُ حَلالٌ ؛ وَمَنْ أَلْحَقَهُ بِالقِرْشِ ، أَجْرى عليْهِ حُكْمَهُ الذي تَقَدَّمَ في « بابِ القافِ » .

٨٩١ الكَهُولُ : قالَ الأَزهريُّ : وَهُوَ بِفَتْحِ الكافِ ، وَضَمِّ الهاءِ : العَنْكَبُوتُ .

● وَمنهُ[١] قولُ عَمرو لِمعاوية رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَتَيْتُكَ وَأَمْرُكَ كَحُقِّ الكَهُولِ : أَي ضَعِيفٌ كَبَيْتِ العَنْكَبُوتِ .

وَضَبَطَها الخَطَّابيُّ والزمخشريُّ بغيرِ ذلكَ[٢] ، لكنْ قالا : إِنَّها العَنْكَبُوتُ أَيْضاً .

---

(١) النِّهاية ٤/ ٢١٥ وعنه اللِّسان « كهل » .

(٢) ورواها الخطَّابيُّ والزَّمخشريُّ : بسُكونِ الهاءِ وفتحِ الكافِ والواو . (اللِّسان « كهل » والنِّهاية) .

بابُ اللاّمِ

٨٩٢ لأَىٰ : على وَزْنِ لَعىٰ : هُوَ الثَّورُ الوَحْشِيُّ ؛ وَالجَمْعُ أَلْآءٌ ، على وَزْنِ أَلْعاءٍ ، مثل جَبَلٍ وأَجْبالٍ ؛ والأُنْثى لَآةٌ[١] .

وَقالَ الفارسيُّ : يَجُوزُ أَن تكُونَ أَلِفُهُ مُنْقَلِبَةً عن ياءٍ من اللّأْيِ .

وَقالَ في « المُحكم » : وَيَجُوزُ أَن تكُونَ مُنْقَلِبَةً عن واوٍ من اللّأْوِ ، لأَنَّ الثَّوْرَ يُوصَفُ بِالقُوَّةِ ، كَما قالَ ابنُ مُقْبِلٍ[٢] : [من الطويل]

يُمَشِّي بِها ذَبُّ الرِّيادِ كَأَنَّهُ فَتىً فارِسيٌّ في سَراويلَ رامِحُ

● وَقد تَقَدَّمَ في «بابِ الباءِ المُوَحَّدَةِ» في ذِكْرِ أُدُمِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِدامُهم بالامٌ ونُونٌ » . قالُوا : ما هذا ؟ قالَ : « ثَوْرٌ وَحُوتٌ » .

● قالَ السُّهيليُّ في أَوَّلِ « الرَّوْضِ »[٣] في لُؤَيٍّ اسمِ جَدِّ النَّبيِّ ﷺ : قالَ ابْنُ الأَنباريّ : إِنَّهُ تصغيرُ اللّأْيِ ، وَهُوَ الثَّوْرُ الوَحْشِيُّ .

وَقالَ أَبُو حَنيفَةَ : اللّأْيُ : البَقَرَةُ . قالَ : وَسَمِعْتُ أَعْرابِيّاً يَقولُ : بِكَمْ لَآكَ هَذِهِ ؟

٨٩٣ اللُّبادىٰ : بِضَمِّ اللامِ ؛ قالَ الزُّبيديُّ في « الأَبْنِيَةِ »[٤] : اسْمُ طائِرٍ

---

(١) عن الصِّحاح « لأَى » ٦/ ٢٤٧٨ .

(٢) ديوانه ٤١ والمخصّص ٨/ ٣٩ . وقال ابن سيده : يُقالُ للثّور الوحشيّ : ذَبُّ الرِّياد ؛ سُمِّيَ بذلكَ لأَنَّهُ يَجيءُ ويذهبُ ولا يثبتُ في موضعٍ واحدٍ .
وفي اللِّسان «ذبب» : قال أبو سعيد : إِنَّما قِيلَ لَهُ : ذَبُّ الرِّياد، لأَنَّ ريادَهُ أَتانهُ التي ترود معه .

(٣) الروض الأُنف ١/ ٢٩ .

(٤) أَبنية كتاب سيبويه للزُّبيديّ ١٦٦ .

يَلْبُدُ في الأَرْضِ ، وَلا يَكادُ يَطيرُ إلاّ أَنْ يُطارَ .

● وَلُبَدٌ : آخِرُ نُسُورِ لُقْمانَ ، وَهُوَ يَنْصَرِفُ ، لأَنَّهُ لَيسَ بِمَعْدُولٍ ؛ وَخَبَرُهُ يأْتي في « بابِ النُّونِ » في « النَّسْرِ » إنْ شاءَ اللهُ تَعالى .

الأَمْثالُ : قالُوا : « أَهْرَمُ من لُبَدٍ »[1] . قالَ الشَّاعِرُ[2] : [من المنسرح]

إنَّ مُعاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ ... لَيْسَ لِمِيْقاتِ عُمْرِهِ أَمَدُ
قَدْ شابَ رَأْسُ الزَّمانِ واكْتَهَلَ الدْ ... دَهْرُ وَأَثْوابُ عُمْرِهِ جُدَدُ
قُلْ لِمُعاذٍ إذا مَرَرْتَ بِهِ : ... قَدْ ضَجَّ مِن طُولِ عُمْرِكَ الأَبَدُ
يا بِكْرَ حَوَّاءَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ ... تَسْحَبُ ذَيْلَ الحَياةِ يا لُبَدُ
مُصَحَّحاً كالظَّلِيمِ تَرْفُلُ في ... بُرْدَيْكَ مِثْلَ السَّعِيْرِ تَتَّقِدُ
صاحَبْتَ نُوحاً وَرُضْتَ بَغْلَةَ ذِي الْـ ... ـقَرْنَيْنِ شَيْخاً لِوُلْدِكَ الوَلَدُ
فارْحَلْ وَدَعْنا فإنَّ غايَتَكَ الْـ ... ـمَوْتُ وإنْ شَدَّ رُكْنَكَ الجَلَدُ

٨٩٤ اللَّبُؤَةُ : بِضَمِّ الباءِ ، وَبعدَها هَمزةٌ : أُنثى الأَسَدِ ؛ وَاللَّبْأَةُ ، وَاللَّبْوَةُ ، ساكِنَةُ الباءِ غيرُ مَهموزَةٍ : لُغتانِ فِيها ، حَكاهُما ابنُ السِّكِّيتِ ، وَيُقالُ لها : العِرْسُ ، أَيْضاً .

● قالَ عُون بن أَبي شَدَّادٍ العَبْدِيّ[3] : بَلَغَني أَنَّ الحَجَّاجَ بن يُوسفَ الثَّقفيَّ

---

(١) الميدانيّ ٢/ ٤٠٩ وحمزة ٢/ ٤٤٦ .

(٢) الأَبيات لسهل بن أَبي غالب الخزرجي ، في وفيات الأَعيان ٥/ ٣١٨ وأَمالي الزَّجَّاجيّ ١٧ - ١٨ ومروج الذَّهب ٢/ ٣٢٢ وثمار القلوب ٢/ ٦٩٥ والحيوان ٦/ ٣٢٧ و ٧/ ٥١ .
وهي لابن مناذر في العقد الفريد ٣/ ٥٥ . ولابن عبدل في الدُّرَّة الفاخرة ٣١٦ .
وبلا نسبة في عيون الأَخبار ٤/ ٥٩ وإنباه الرُّواة ٣/ ٢٩٠ والحيوان ٣/ ٤٢٣ .
ومعاذ بن مسلم الهرَّاء ، كان يبيع الثِّياب الهرويَّة فسُمِّيَ بذلك ، نحويٌّ كوفيٌّ ، ماتَ سنة ١٨٧ هـ . (وفيات الأَعيان ٥/ ٢١٨ وإنباه الرُّواة ٣/ ٢٨٨) .

(٣) حلية الأَولياء ٤/ ٢٩١ ووفياتَ الأَعيان ٢/ ٣٧٢ وتهذيب الكمال ١٠/ ٣٦٩ وسير أَعلام النبلاء ٤/ ٣٢٨ .

لَمَّا ذُكِرَ لَه سَعيدُ بن جُبيرٍ رحمةُ اللهِ تَعالى عليه بعدَ قَتْلِ عبدِ الرَّحمٰنِ بن الأَشْعَثِ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ قائِداً من أَهْلِ الشَّامِ يُسَمَّى المُتَلَمِّسَ بن الأَحْوَص ، وَكانَ معهُ عشرونَ رَجُلاً من أَهلِ الشَّامِ من خاصَّةِ أَصْحابِهِ ؛ فَبينَما هُم يَطلبُونَهُ إِذْ هُم براهِبٍ في صَوْمَعَةٍ لهُ ، فَسَأَلُوهُ عنهُ ؟ فقالَ الرَّاهِبُ : صِفُوهُ لِي ، فَوَصَفُوهُ لَهُ ، فَدَلَّهُم عليهِ ، فانْطَلَقُوا فَوَجَدُوهُ ساجِداً يُناجِي رَبَّهُ تَعالى بِأَعْلى صَوتِهِ ، فَدَنَوا منهُ ، وسَلَّمُوا عليهِ ، فرفَعَ رَأْسَهُ ، فَأَتَمَّ بَقيَّةَ صَلاتِهِ ، ثُمَّ رَدَّ عليهم السَّلامَ ، فقالُوا لهُ : إِنَّ الحَجَّاجَ أَرسَلَ إِليكَ فَأَجِبْهُ ، فقالَ : ولا بُدَّ من الإِجابَةِ ؟ فقالُوا : لا بُدَّ ؛ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عليهِ ، وَصلَّى على النَّبيِّ ﷺ ، ثُمَّ قامَ يَمْشي معهُم حتَّى انْتَهَوا إِلى دَيْرِ الرَّاهِبِ ؛ فقالَ الرَّاهِبُ : يا مَعْشَرَ الفُرسانِ ، أَصَبْتُم صاحِبَكُم ؟ قالُوا : نَعم . فقالَ لهُم : اصْعَدُوا الدَّيْرَ ، فإِنَّ اللَّبُؤَةَ والأَسَدَ يَأْوِيانِ حَولَ الدَّيْرِ ، فَعَجِّلُوا الدُّخُولَ قَبلَ المَساءِ ، فَفَعلُوا ذلكَ ، وَأَبى سَعيدٌ رَضِيَ اللهُ عنه أَنْ يَدخلَ الدَّيرَ ، فقالُوا : ما نَراكَ إِلاّ تُريدُ الهَرَبَ مِنّا . قالَ : لا ، ولكنِّي لا أَدخلُ منزلَ مُشْرِكٍ أَبداً . فقالُوا : إِنّا لا نَدَعُكَ ، فإِنَّ السِّباعَ تَقْتُلُكَ . قالَ سَعيدٌ : فإِنَّ مَعي رَبِّي يَصْرِفُها عَنِّي ، وَيَجْعَلُها حَرَساً حَوْلي ، تَحْرُسُني من كُلِّ سُوءٍ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى . قالُوا : فَأَنْتَ من الأَنْبياءِ ؟ قالَ : ما أَنا من الأَنْبياءِ ، ولكنِّي عَبْدٌ من عِبادِ اللهِ ، خاطِئٌ مُذْنِبٌ . قالُوا لَهُ : فاحْلِفْ لَنا أَنَّكَ لا تَبْرَحُ . فَحَلَفَ لَهُم .

فقالَ لهمُ الرَّاهِبُ : اصْعَدُوا الدَّيْرَ ، وَأَوْتِرُوا القِسِيَّ لِتُنَفِّرُوا السِّباعَ عن هذا العَبْدِ الصَّالِحِ ، فإِنَّهُ كَرِهَ الدُّخُولَ عليّ في الصَّوْمَعَةِ . فَدَخلُوا وَأَوْتَرُوا القِسِيَّ ، فإِذا هُم بِلَبْوَةٍ قد أَقْبَلَتْ ، فلمَّا دَنَتْ من سَعيدِ بن جُبيرٍ تَحَكَّكَتْ بِهِ ، وَتَمَسَّحَتْ بِهِ ، ثُمَّ رَبَضَتْ قَرِيباً منهُ ؛ وَأَقْبَلَ الأَسَدُ فَصَنَعَ مثلَ ذلكَ ؛ فلمَّا رأَى الرَّاهِبُ ذلكَ ، دَخَلَتْ لَهُ في قَلْبِهِ هَيْبَةٌ ، فلمَّا أَصْبَحُوا نَزلُوا إِليْهِ ، فَسَأَلَهُ الرَّاهِبُ عن شَرائِعِ دِيْنِهِ وَسُنَنِ نَبيِّهِ ﷺ فقَرَّرَ لَهُ سَعيدٌ ذلكَ كلَّهُ ، فَأَسْلَمَ الرَّاهِبُ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ .

وَأَقْبَلَ القَوْمُ على سَعيدٍ يَعْتذرُونَ إلِيْهِ ، وَيُقَبِّلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَيَأْخذُونَ التُّرابَ الذي وَطِئَهُ باللَّيْلِ يُصَلُّونَ عليْهِ ، ويَقُولُونَ : يا سَعيدُ ، حَلَّفَنا الحَجَّاجُ بالطَّلاقِ والعِتاقِ ، إنْ نَحنُ رَأَيْناكَ لا نَدَعُكَ حتَّى نُشْخِصَكَ إلِيْهِ ، فَمُرْنا بِما شِئْتَ ؛ فقالَ سَعيدٌ : امْضُوا لِشَأْنِكُم ، فإنِّي لائِذٌ بِخالِقٍ ، ولا رادَّ لِقَضاءِ رَبِّي .

فسارُوا حتَّى وَصَلُوا إلى واسِطٍ ، فلمَّا انْتَهَوْا إلَيْها قالَ لَهم سَعيدٌ رَضِيَ اللهُ عنه : يا مَعشرَ القَومِ ، قد تَحَرَّمْتُ بكم وَصَحِبْتُكُم ، وَلَسْتُ أَشُكُّ أَنَّ أَجَلي قد قَرُبَ وَحضَرَ ، وأَنَّ المُدَّةَ قد انْقَضَتْ وَدَنَتْ ، فَدَعُوني اللَّيْلَةَ آخُذُ أُهْبَةَ المَوتِ ، وَأَسْتَعِدُّ لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَأَذكرُ عَذابَ القَبْرِ ، وَما يُحْثَىٰ عَلَيَّ من التُّرابِ ، فإذا أَصْبَحْتُم فَالمِيعادُ بيني وبَيْنكُمُ المَكانُ الذي تُرِيدُونَ . فقالَ بعضُهم : لا نُرِيدُ أَثَراً بعدَ عَيْنٍ . وقالَ بعضُهم : إنَّكم قد بَلَغْتُم أَمْنَكُم ، وَاسْتَوْجَبْتُم جَوائِزَكُم من الأَمِيرِ ، فَلا تَعْجِزُوا عنهُ . وقالَ بعضُهم : هو عليَّ أَدْفَعُهُ إليكُم إنْ شاءَ اللهُ تَعالى .

فَنَظرُوا إلى سَعيدٍ وَقدْ دَمَعَتْ عَيْناهُ، واغْبَرَّ لَوْنُهُ، وَكان لَمْ يَأْكُلْ وَلمْ يَشرَبْ وَلم يَضحكْ منذُ لَقُوهُ وَصَحِبُوهُ؛ فقالُوا بِأَجْمَعِهِم : يا خَيْرَ أَهْلِ الأَرْضِ ، لَيْتَنا لَمْ نَعْرِفْكَ ، وَلَمْ نُرْسَلْ إليكَ ؛ الوَيْلُ لَنا كَيفَ ابْتُلِينا بكَ ، فاعْذُرْنا عندَ خالِقِنا يَومَ الحَشْرِ الأَكْبَرِ ، فإِنَّهُ القاضِي الأَكبرُ ، وَالعادِلُ الذي لا يَجُورُ .

فلمَّا فَرغُوا من البُكاءِ وَالمُجاوَبَةِ لَهُ ولهُم ، قالَ كَفيلُهُ : أَسْأَلُكَ باللهِ يا سَعيدُ ، إلاّ ما زَوَّدْتَنا من دُعائِكَ وَكَلامِكَ ، فإِنَّا لَنْ نَلْقى مِثْلَكَ أَبَداً . فَدَعا لَهُم سعيدٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، ثمَّ خَلَّوْا سَبيلَهُ ، فَغَسَلَ رَأْسَهُ ، وَمِدْرَعَتَهُ وَكِساءَهُ ، وأَقبلَ على الصَّلاةِ والدُّعاءِ ، وَالاسْتِعْدادِ للموْتِ لَيْلَهُ كُلَّهُ ، وَهُم مُخْتَفُونَ اللَّيلَ كُلَّهُ .

فلمَّا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ ، جاءَهُم سَعيدُ بن جُبيرٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، فَقَرَعَ

البابَ ، فقالُوا : صاحِبُكم وَرَبِّ الكَعبَةِ . فَنَزلُوا إِليهِ ، فَبَكى وَبَكَوا معهُ طَويلاً ، ثُمَّ ذَهَبُوا بِهِ إِلى الحجَّاجِ ، فدخلَ عليْهِ المُتَلَمِّسُ ، فَسَلَّمَ عليْهِ وَبَشَّرَهُ بِقُدُومِ سَعيدِ بن جُبيرٍ .

فلمَّا مَثَلَ بَينَ يَدَيْهِ ، قالَ لَهُ : ما اسْمُكَ ؟ قالَ : سَعيدُ بن جُبيرٍ ؛ فقالَ : بَلْ أَنْتَ شَقِيُّ بنُ كُسَيْرٍ . قالَ سَعيدٌ : بَل أُمِّي كانَتْ أَعْلَمَ باسْمِي مِنكَ . فقالَ الحَجَّاجُ : شَقِيتَ أَنْتَ ، وَشَقِيَتْ أُمُّكَ . فقالَ سَعيدٌ : الغَيْبُ يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ . قالَ الحجَّاجُ : لأُبْدِلَنَّكَ بالدُّنْيا ناراً تَلَظَّىٰ . قالَ : لو عَلِمْتُ أَنَّ ذلكَ بيَدِكَ لاتَّخَذْتُكَ إِلَهاً . قالَ : فَما قَوْلُكَ في محمَّدٍ ﷺ ؟ قالَ : نَبِيُّ الرَّحْمَةِ . قالَ : فَما قَوْلُكَ في عليٍّ ، أَفي الجَنَّةِ هُوَ أَمْ في النَّارِ ؟ قالَ : لو دَخَلْتُهما وَعَرَفْتَ أَهْلَهُما عَرَفْتُ مَن فيهما . قالَ : فَما قَوْلُكَ في الخُلَفاءِ ؟ قالَ : لَسْتُ عليهم بوَكِيلٍ . قالَ : فَأَيُّهم أَعْجَبُ إِليكَ ؟ قالَ : أَرْضاهُم لِخالِقِهِ . قالَ : فَأَيُّهم أَرْضى لِلخالِقِ ؟ قالَ : عِلْمُ ذلكَ عِندَ الذي يَعْلَمُ سِرَّهُم وَنَجْواهُم . قالَ : فَما بالُكَ لا تَضْحَكُ ؟ قالَ : أَيَضْحَكُ مَخْلُوقٌ خُلِقَ من الطِّينِ ، والطِّيْنُ تَأْكُلُهُ النَّارُ ؟ قالَ : فَما بالُنا نَضْحَكُ ؟ قالَ : لَمْ تَسْتَوِ القُلُوبُ .

قالَ : ثُمَّ إِنَّ الحَجَّاجَ أَمَرَ بِاللُّؤْلُؤِ والزَّبَرْجَدِ والياقُوتِ وغيرِ ذلِكَ من الجَواهِرِ ، فَوُضِعَتْ بيْنَ يَدَيْ سَعيدٍ ، فقالَ سعيدٌ رَضِيَ اللهُ عنه : إِنْ كُنتَ جَمَعْتَ هذا لِتَفْتَدي بِهِ من فَزَعِ يَومِ القِيامَةِ فَصالِحٌ ، وإِلاَّ فَفَزْعَةٌ واحِدَةٌ تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ؛ لا خَيْرَ في شَيْءٍ جُمِعَ لِلدُّنْيا إِلاَّ ما طَابَ وَزَكا .

ثُمَّ دَعا الحجَّاجُ بآلاتِ اللَّهْوِ ، فَضُرِبَتْ بَينَ يَدَيْ سَعيدٍ ، فَبَكى سَعيدٌ ، فقالَ الحَجَّاجُ : وَيْلَكَ يا سَعيدُ ، ما يُبْكِيكَ ؟ فقالَ سَعيدٌ : الوَيْلُ لِمَنْ زُحْزِحَ عن الجَنَّةِ وأُدْخِلَ النَّارَ . فقالَ : يا سَعيدُ ، أَيَّ قِتْلَةٍ تُريدُ أَنْ أَقْتُلَكَ بها ؟ قالَ : اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يا حَجَّاجُ ، فَوَاللهِ لا تَقْتُلُني قِتْلَةً ، إِلاَّ قَتَلَكَ اللهُ مِثْلَها في الآخِرَةِ . قالَ : أَفَتُرِيدُ أَنْ أَعْفُوَ عنكَ ؟ قالَ : إِنْ كان العَفْوُ من اللهِ فَنَعَمْ ، وَأَمَّا منكَ أَنْتَ

فَلا . فقالَ : اذْهَبُوا بِهِ فاقْتُلُوهُ .

فلمَّا خَرَجَ من البابِ ضَحِكَ ، فَأُخْبِرَ الحَجَّاجُ بذلكَ ، فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ، فقالَ : ما أَضْحَكَكَ ، وَقَد بَلَغَني أَنَّ لَكَ أَربعينَ سَنةً لَمْ تَضْحَكْ ؟ قالَ : ضَحِكْتُ عَجَباً من جَراءَتِكَ على اللهِ ، وَمن حِلْمِ اللهِ عليْكَ .

فَأَمَرَ بالنِّطْعِ فَبُسِطَ بينَ يَدَيْهِ ، وَقالَ : اقْتُلُوهُ . فقالَ سَعيدٌ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ثمَّ قالَ : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩] . قالَ : وَجِّهُوهُ لِغَيْرِ القِبْلَةِ . فقالَ سَعيدٌ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة : ١١٥] فقالَ : كُبُّوهُ لِوَجْهِهِ ، فقالَ : ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥] فقالَ الحَجَّاجُ : اذْبَحُوهُ . فقالَ سَعيدٌ : أَشْهدُ أَن لا إِلَهَ إِلاّ الله ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ . ثُمَّ قالَ : اللَّهُمَّ لا تُسَلِّطْهُ على أَحَدٍ يَقْتُلُهُ بُعْدِي .

فَذُبِحَ على النِّطْعِ رَحمةُ اللهِ تَعالى عليهِ ؛ فَكانَ رَأْسُهُ يَقولُ بعدَ قَطْعِهِ : لا إِلَهَ إِلاّ الله ، مِراراً ، وذلكَ في شَعبانَ ، سنة خمسٍ وتِسْعينَ ، وَكانَ عُمْرُ سَعيدٍ تِسْعاً وَأَربعينَ سنةً(١) .

وَعاشَ الحَجَّاجُ بَعدَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَلَمْ يُسَلَّطْ على قَتْلِ أَحَدٍ بَعْدَهُ .

● وَلمَّا بَلَغَ الحسنَ البَصْريَّ رَضِيَ اللهُ عنه قَتْلُ سَعيدِ بن جُبيرٍ ، قالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ على فاسِقِ ثَقِيفٍ رَقِيبٌ ، وَاللهِ لو أَنَّ أَهْلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ اشْتَرَكُوا في قَتْلِهِ لَكَبَّهُمُ اللهُ تَعالى في النَّارِ ؛ وَاللهِ لقد ماتَ وَأَهْلُ الأَرْضِ من المَشْرِقِ إِلى المَغْرِبِ مُحتاجُونَ إِلى عِلْمِهِ .

---

(١) قال الإمام الذَّهبيّ في السِّيَر ٤/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ : ومَنْ زَعم أَنَّهُ عاشَ تِسعاً وأَربعين سنةً ، لم يَصنعْ شيئاً ؛ وقد كان قالَ لابْنِهِ : ما بَقاءُ أَبيكَ بعد سبعٍ وخَمسين سنةً ؟ .

● وَنُقِلَ[1] أَنَّ سَعيداً رَضِيَ اللهُ عنه كان يَقولُ : وَشى بِي واشٍ وأَنا في بَلَدِ اللهِ الحَرامِ ، أَكِلُهُ إِلى اللهِ ، يَعْني خالِداً القَسْرِيَّ .

● وَرُوِيَ أَنَّ الحَجَّاجَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفاةُ ، كان يَغِيبُ ثُمَّ يَفِيقُ ، وَيقُولُ : ما لي ولِسعيدِ بن جُبيرٍ ؟ .

● وَقيلَ : إِنَّهُ كان في مُدَّةِ مَرَضِه ، كُلَّما نَامَ رَأى سَعيدَ بن جُبيرٍ آخِذاً بِثَوْبِهِ ، وَهُوَ يقولُ : يا عَدُوَّ اللهِ ، فِيمَ قَتَلْتَني ؟ فَيستيقِظُ مَذْعُوراً .

● وَرُوِيَ أَنَّ أَميرَ المُؤْمِنينَ عُمر بن عبدِ العَزيزِ رحمهُ اللهُ تَعالى رَآهُ بَعدَ مَوْتِهِ في المَنامِ ، وَهُوَ جِيفَةٌ مُنْتِنَةٌ ، وأَنَّهُ قالَ لَهُ : ما فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ فقالَ : قَتَلَني اللهُ بِكُلِّ قَتيلٍ قَتَلْتُهُ قِتْلَةً واحِدَةً ، وَقَتَلَنِي بِسَعيدِ بن جُبيرٍ سَبعينَ قِتْلَةً[2] .

● فإِنْ قِيلَ : ما الحِكْمَةُ في أَنَّ اللهَ تَعالى قَتَلَ الحَجَّاجَ بِكُلِّ قَتيلٍ قِتْلَةً ، وَقَتَلَهُ بسعيدٍ سَبعينَ قِتْلَةً ، وَقَدْ قَتَلَ من هُوَ أَفْضَلُ من سَعيدٍ ، وَهُوَ عبدُ اللهِ بن الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، لأَنَّهُ صَحابيٌّ ، وَسَعيدُ بن جُبيرٍ تابِعيٌّ ، وَالصَّحابيُّ أَفْضَلُ من التَّابعيِّ ؟ .

فَالجوابُ : أَنَّ الحَجَّاجَ لمَّا قَتَلَ ابْنَ الزُّبيْرِ ، كان لَهُ نُظَراءُ في العِلْمِ من الصَّحابَةِ ، كابْنِ عُمر وأَنَس بنِ مالِكٍ وغيرِهما ؛ وَلَمَّا قَتَلَ سَعيداً لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ في العِلْمِ ، فَضُوعِفَ علَيْهِ العَذابُ بسَببِ ذلكَ ؛ وَيَشْهَدُ لهذا القَوْلِ ما تَقَدَّمَ عن الحَسنِ البَصْريِّ ، لا لِكَوْنِهِ أَفْضَلَ من ابْنِ الزُّبيرِ . وَاللهُ أَعلمُ .

التَّعبيرُ[3] : اللَّبُؤَةُ في المَنامِ : بِنْتُ مَلِكٍ ؛ فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ جامَعَ لَبُؤَةً ، نَجا من شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَيَعْلو شَأْنُهُ ، وَيَظْفَرُ بِأَعْدائِهِ ؛ فإِنْ رَأَى ذلكَ مَلِكٌ ، وَكانَ

---

(١) ابن خلّكان ٢/ ٣٧٣ .

(٢) ابن خلّكان ٢/ ٣٧٤ .

(٣) تعبير الرُّؤيا ١٨٧ .

فِي حَرْبٍ ، فإِنَّهُ يَظْفَرُ بِمَنْ يُحارِبُهُ ، وَيَمْلِكُ بِلاداً كَثِيرَةً .

وَقِيلَ : إِنَّ اللَّبُؤَةَ ، تَعبيرُها كَالسَّبُعِ . وَاللهُ أَعلمُ .

٨٩٥ اللَّجَأُ : بالجِيمِ : نَوْعٌ من السَّلاحِفِ ، يَعِيشُ في البَرِّ والبَحْرِ ؛ وَلَها[١] حِيْلَةٌ عَجِيبَةٌ وَتَوَصُّلٌ في صَيْدِ ما تَصِيدُهُ من طائِرٍ وغَيْرِهِ ؛ وَذلكَ أَنَّها تَغُوصُ في الماءِ ، ثُمَّ تَتَمَرَّغُ في التُّرابِ ، ثُمَّ تَكْمُنُ للطَّيْرِ في مَواضِعِ شُرْبِها ، فَيَخْتَفِي علَيْهِ لَوْنُها ، فَتُمْسِكُهُ وَتَغُوصُ بِهِ في الماءِ حتَّى يَمُوتَ .

وَيُقالُ : إِنَّ اللَّجَأَ تَضَعُ بَيْضَها في البَرِّ ، وإِنَّها تَحْضُنُهُ بالنَّظَرِ إِليْهِ .

وَقالَ أَرسطاطاليس في « النُّعُوتِ » : ما خَرَجَ من بَيْضِ اللَّجَأَةِ مُسْتَقْبِلَ البَحْرِ ، صارَ إلى البحرِ ؛ وَما خَرَجَ منهُ مُسْتَقْبِلَ البَرِّ ، صارَ إِلى البَرِّ ؛ وَكُلُّهُنَّ يَرِدْنَ الماءَ ، لأَنَّهُنَّ من خَلْقِ الماءِ .

قالَ : وَهي تَأْكُلُ الثَّعابِين .

● **واللَّجَأَةُ البَحْرِيَّةُ**[٢] : لَها لِسانٌ في صَدْرِها ، مَن أَصابَتْهُ بِهِ من الحَيَوانِ قَتَلَتْهُ . وَقد تَقَدَّمَ ذِكْرُها في « بابِ السِّينِ » .

الحُكمُ : صَرَّحَ بِتَحْرِيمِها وَبِعَدَمِ جَوازِ أَكْلِها البَغَوِيُّ والنَّوويُّ في « شَرْحِ المُهَذَّب » .

الخَواصُّ : قالَ أَرسطو : كَبِدُها إِذا أُكِلَ طَرِيّاً ، نَفَعَ من داءِ الكَبِدِ .

وَلَحْمُها إِذا طُبِخَ بِخَلٍّ صِفَةَ السّكباجِ ، وَشَرِبَ من مَرَقَتِهِ مَن بِهِ اسْتِسْقاءٌ ، نَفَعَهُ وَأَذْبَلَ بَطْنَهُ .

وَهُوَ يَشُدُّ الفُؤادَ ، وَيُذْهِبُ الرِّياحَ السَّوادِيَّةَ . وَاللهُ أَعلمُ .

---

(١) ينظر ما مضى في « السُّلحفاة البَرِّيَّة » .

(٢) تاج العروس « لجأ » ١/ ٤٢١ .

التَّعبيرُ : اللَّجَأةُ في المَنامِ : امْرأَةٌ عَفيفَةٌ ، وَسَنَةٌ مُقْبلَةٌ ذاتُ مالٍ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ على الوِقايَةِ من الأَعْداءِ ، لاتِّخاذِ النَّاسِ من ظَهْرِها تَجافِيفَ ، يَدْفَعُ الإِنْسانُ بِها عن نَفْسِهِ .

٨٩٦ اللُّحَكاءُ : قالَ الأزهريُّ : هِيَ بِضَمِّ اللامِ ، وَفَتْحِ الحاءِ المُهملَةِ والكافِ ، وَبالأَلِفِ والمَدِّ ؛ وَيُقالُ لَها : اللُّحَكَةُ . على مِثالِ الهُمَزَةِ واللُّمَزَةِ .

وَحَكى ابْنُ قُتَيْبَةَ في « أَدَبِ الكاتِبِ »[1] : الحَلْكاءُ ، بِفَتْحِ الحاءِ ، وإِسْكانِ اللاّمِ ، وَبالمَدِّ .

وَحكى في « المقصور والممدود »[2] : الحُلَّكىٰ : بِضَمِّ الحاءِ ، وَفَتْحِ اللاّمِ المُشَدَّدَةِ ، وَبِالقَصْرِ : شَحْمَةُ الأَرْضِ ، تَغُوصُ في الرَّمْلِ كَما يَغُوصُ طَيْرُ الماءِ في الماءِ .

وَقالَ غَيْرُهُ : الحُلَّكَةُ بِالهاءِ ، وَهيَ فِيما ذَكَرُوا دُوَيْبَّةٌ كَأَنَّها سَمَكَةٌ ، تَكُونُ في الرَّمْلِ ، فإِذا أَحَسَّتْ بِالإِنْسانِ ، دارَتْ في الرَّمْلِ وغاصَتْ فِيهِ .

وَقالَ غيرُ الأَزْهريِّ : الحُلْكَةُ ـ بِتَقْدِيمِ الحاءِ على اللاّمِ ؛ وَكذلكَ الحَلْكاءُ ، على مِثالِ العَنْقاءِ ؛ وَحَكى صاحِبُ « جامِعِ اللُّغَةِ » فِيها القَصْرَ أَيْضاً .

وَقالَ الجَوهريُّ[3] : اللُّحَكَةُ ، أَظُنُّها مَقْلُوبَةً من الحُلَكَةِ .

قالَ ابنُ الصَّلاحِ في «مُشكل الوَسيط» : الذي ضَبَطْناهُ عن الأَزْهريِّ صاحِبِ « كِتابِ تَهذيبِ اللُّغَةِ » الموثوق بِهِ : أَنَّها مَقْصُورَةٌ ، وَهيَ دُوَيْبَّةٌ مَلْساءُ ، كَأَنَّها

---

(١) أدب الكاتب ٢١٧ .

(٢) ينظر المقصور والممدود ، للقالي ٢٥٦ .

(٣) الصِّحاح « لحك » ٤/١٦٠٦ .

شَحْمَةٌ ، مُشْرَبَةٌ بِحُمْرَةٍ ، وَيُقالُ لَها : الحُلَكَةُ ، مثل الهُمَزَةِ . انتهى .

وَقالَ الماوَرديُّ في « الحاوي » : اللُّحَكا : تُشْبِهُ السَّمَكَ ، وَهيَ عَريضةٌ من أَعْلى ، دَقيقَةٌ من أَسْفَل .

وقالَ ابنُ السِّكِّيتِ في « إِصْلاحِ المَنْطِقِ »[١] : اللُّحَكَةُ دُوَيبَّةٌ شَبِيْهَةٌ بِالعَظايَةِ ، زَرْقاءُ تَبْرُقُ ، وَلَيْسَ لها ذَنَبٌ طَويلٌ كَالعَظايَةِ ، وَقَوائِمُها خَفِيَّةٌ .

وَهذا القَوْلُ أَحْسَنُ من الذي نَقَلَهُ ابْنُ الصَّلاحِ عن « تَهذِيبِ الأَزهريِّ » وقد تَقَدَّمَ في « حرفِ الحاء » « الحُلَكَةُ » .

وَقالَ الصَّيْدلانيُّ والرُّويانيُّ : إِنَّها دُوَيْبَّةٌ مِثل الإِصبعِ تَجْري في الرَّمْلِ ثمَّ تَغُوصُ فِيهِ . وهذا يُقَوِّي قَوْلَ الجَوهريِّ : إِنَّها مَقْلُوبَةٌ من الحُلَكَةِ ، لأَنَّهُ فَسَّرَها بهذا ؛ فَعلى ما قالَهُ الأَزهريُّ من كَوْنِها مَلْساءَ كَأَنَّها شَحْمَةٌ مُشْرَبَةٌ بحُمْرَةٍ ؛ حَسَّنَ تَشْبيهَ العَرَبِ أَصابِعَ النِّساءِ بها ، إلاّ أَنَّ الاشْتِقاقَ لا يُساعِدُهُ ، لأَنَّ الحُلَكَة فِيما يَظْهَرُ ، شِدَّةُ السَّوادِ ، مَأْخُوذٌ من قَولِهم : أَسْوَدُ حالِكٌ ؛ وَلَمَّا كانَتْ زَرْقاءَ لِشِدَّةِ سَوادِها ، سَمَّوْها بِهذا الاسْمِ .

وَالعَرَبُ تُسَمِّيها بَناتِ النَّقا ، لأَنَّها تَسْكُنُ نَقَياتِ الرَّمْلِ .

الحُكْمُ : لا يَحِلُّ أَكْلُها ، لأَنَّها من أَنْواعِ الوَزَغِ .

٨٩٧ **اللُّخْمُ** : بِضَمِّ اللاّمِ ، وإِسْكانِ الخاءِ المُعْجَمَةِ : ضَرْبٌ من السَّمَكِ ضَخْمٌ ، يُقالُ لَهُ : الكَوْسَجُ ، وَهُوَ القِرْشُ كَما تَقَدَّمَ .

وَأَنْشَدَ ابْنُ سِيْدَه لِبعضِ الأُدباءِ[٢] : [من الهزج]

---

(١) إصلاح المنطق ٤٢٩ . وعنه اللِّسان « لحك » والصِّحاح ٦/ ١٦٠٦ .

(٢) يُقارن هذا النَّمط ـ على الوزن والرَّويّ ـ بما وردَ في البصائِر وَالذَّخائر ١/ ١٦٠ لمحمَّد بن عبد الله النَّجرانيّ ـ أَو البحرانيّ .

لَصَيْدُ اللُّخْمِ في البَحْرِ ... وَصَيْدُ الأُسْدِ في البَرِّ
وَقَضْمُ الثَّلْجِ في القَرِّ ... وَنَقْلُ الصَّخْرِ في الحَرِّ
وإقْدامٌ على المَوْتِ ... وَتَحْويلٌ إلى القَبْرِ
لأَشْهَى من طِلابِ العِزْ ... زِ مَمَّنْ عاشَ في الفَقْرِ[1]

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ فِيما يَظْهَرُ .

وَقد قالَ أَبُو السَّعاداتِ المباركُ بن محمَّد بن الأَثير في كِتابه « نِهاية غَريب الحديث » ما نَصُّهُ[2] : في حَديثِ عِكْرِمَةَ رَضِيَ اللهُ عنه : اللُّخْمُ حَلالٌ ؛ وَهُوَ ضَرْبٌ من سَمَكِ البَحْرِ ، يُقالُ : اسْمُهُ القِرْشُ . ا هـ .

وَقد تَقَدَّمَ الكَلامُ على « القِرْشِ » في « بابِ القافِ » .

٨٩٨ اللَّعْوَسُ : الذِّئْبُ ؛ سُمِّيَ بذلِكَ لِسُرْعَةِ أَكْلِه[3] .

٨٩٩ اللَّعْوَةُ : بِفَتْحِ اللاّمِ : الكَلْبَةُ .

قالَتِ العَرَبُ : « أَجْوَعُ من لَعْوَةٍ »[4] .

٩٠٠ اللِّقْحَةُ : بِالكَسْرِ والفَتْحِ ، لُغَتانِ مَشْهُورتانِ ؛ وَالكَسْرُ أَشْهَرُ ؛ والجَمْعُ : لِقَحٌ ، بِكَسْرِ اللاّمِ ، وَفَتْحِ القافِ ؛ كَبِرْكَةٍ وَبِرَكٍ . وَهِيَ النَّاقَةُ ذاتُ اللَّبَنِ ؛ وَقِيلَ : القَرِيبَةُ العَهْدِ من النِّتاجِ ؛ وَناقَةٌ لَقُوحٌ : إذا كانَتْ غَزِيرَةَ اللَّبَنِ .

● رَوى « مُسلم »[5] عن أَبِي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « تَقُومُ السَّاعَةُ والرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ ، فَما يَصِل الإناءُ إِلى فِيهِ حتَّى

---

(١) في ب : لأَحلى . . . × .
(٢) النِّهاية ٤/ ٢٤٤ .
(٣) الصِّحاح « لعس » ٣/ ٩٧٥ .
(٤) الميدانيّ ١/ ١٨٦ وحمزة ١/ ١١٧ والعسكريّ ١/ ٣٣١ والزَّمخشريّ ١/ ٥٨ .
(٥) مسلم (٢٩٥٥) .

تَقومَ ، وَالرَّجُلانِ يَتَبايَعانِ الثَّوْبَ ، فَما يَتَبايَعانِهِ حتَّى تَقُومَ ، وَالرَّجُلُ يَلِيطُ حَوْضَهُ ، فَما يَصْدُرُ حتَّى تَقومَ » .

● وَفيهِ[1] من حَديثِ النَّوَّاسِ بن سِمْعان ، في صِفَةِ الدَّجَّالِ : « وَيُبارَكُ في الرِّسْلِ ـ يَعْني اللَّبَنَ ـ حتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ من الإِبلِ لَتكْفِي الفِئامَ من النَّاسِ ، واللِّقْحَةَ من الغَنَمِ لَتكْفي الفَخْذَ من النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ من البَقَرِ لَتكْفِي القَبيلةَ من النَّاسِ » .

الفِئامُ : الجَماعَةُ الكَثيرَةُ ، مأْخُوذٌ من الكَثْرَةِ ، وَالفَخْذُ بالذَّالِ المُعْجَمَةِ : الجَماعَةُ من الأَقارِبِ ، وهُم دُونَ البَطْنِ ؛ وَالبَطْنُ : دُونَ القَبيلَةِ . قالَ ابنُ فارسٍ : الفَخْذُ هُنا ، بِإِسْكانِ الخاءِ المُعْجَمَةِ لا غَيْرَ ، بِخِلافِ الفَخِذِ التي هيَ العُضْوُ ، فإِنَّها تُكْسَرُ وَتُسَكَّنُ .

● وَكانَ للنَّبيِّ ﷺ عِشرُونَ لِقْحَةً بالغابَةِ ـ وَهي : على بَريدٍ من المدينَةِ بِطَريقِ الشَّامِ ـ كان يُراحُ إِلَيْهِ ﷺ كُلَّ لَيْلَةٍ بِقِرْبَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ من لَبَنٍ ، وَكانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه فيها ، وكانَ ﷺ يُفَرِّقُها على نِسائِهِ ، وَهيَ التي اسْتاقَها العُرَنِيُّونَ ، وَقَتَلُوا راعِيَها يَساراً ، فَفعَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ بِهِم ما فَعَلَ[2] .

● وَرَوَى « الحاكِمُ »[3] عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّ رَجُلاً أَهدىٰ إِلى النَّبيِّ ﷺ لِقْحَةً ، فَأَثابَهُ مِنْها سِتَّ بَكْراتٍ ، فَتَسَخَّطَها ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَنْ يَعْذِرُني من فُلانٍ ؟ أَهْدىٰ إِلَيَّ لِقْحَةً ، فَأَثَبْتُهُ مِنْها سِتَّ بَكْراتٍ ، فَتَسَخَّطَها ، لَقد هَمَمْتُ أَنْ لا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلاّ من قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصارِيٍّ أَو ثَقَفِيٍّ أَو دَوْسِيٍّ » . ثمَّ قالَ : صَحيحُ الإِسنادِ .

---

(١) مسلم (٢١٣٧) .

(٢) ينظر النَّسائيّ (٤٠٣٥ ـ ٤٠٤٣) .

(٣) المستدرك ٢/ ٦٢ ـ ٦٣ .

● وَرَوى هو وأَحمدُ وَالبَيهقيُّ(١) ، عن ضِرار بن الأَزْوَرِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ : أُهْدِيَتْ إلى النَّبيِّ ﷺ لِقْحَةٌ ، فَأَمَرَني أَنْ أَحْلُبَها ، فَحَلَبْتُها فَجَهدْتُ حَلْبَها ، فقالَ ﷺ : « لا تَفعَلْ ، دَعْ داعِيَ اللَّبَنِ » .

● وَرَوى « البَزَّارُ » عن بَريرةَ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ بِحِلابِ لِقْحَةٍ ، فقامَ رَجُلٌ ، فقالَ لَهُ ﷺ : « ما اسْمُكَ ؟ » فقالَ : مُرَّةَ . فقالَ ﷺ : « اقْعُدْ » . فقامَ آخَرُ ، فقالَ لهُ ﷺ : « مَا اسْمُكَ ؟ » قالَ : يَعيشُ . فقالَ ﷺ لهُ : « احلبْ » .

وَرواهُ مالك(٢) ، عن يَحيى بن سَعيدٍ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لِلِقْحَةٍ تُحْلَبُ : « مَنْ يَحْلُبُ هَذِهِ ؟ » فقامَ رجلٌ ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « مَا اسْمُكَ ؟ » قالَ لَهُ الرَّجُلُ : مُرَّةَ . فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اجْلِسْ » . ثمَّ قالَ : « مَنْ يَحْلُبُ هذِهِ ؟ » فقامَ رجلٌ ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « مَا اسْمُكَ ؟ » قالَ : حَرْبٌ : قالَ : « اجْلِسْ » . ثمَّ قالَ ﷺ : « مَنْ يَحْلُبُ هذهِ ؟ » فقامَ رجلٌ ، فقالَ لَهُ ﷺ : « ما اسْمُكَ ؟ » قالَ : يَعيش . فقالَ لَهُ ﷺ : « احْلُبْ » .

● ثُمَّ رَوى(٣) عن يَحيى بن سَعيدٍ ، أَنَّ عُمر بن الخَطَّابَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قالَ لِرجُلٍ : ما اسْمُكَ ؟ قالَ : جَمْرَة ، قالَ : ابْنُ مَن ؟ قالَ : ابنُ شِهابٍ . قالَ : مِمَّن ؟ قالَ : من الحُرَقَةِ . قالَ : أَيْنَ مَسْكَنُكَ ؟ قالَ : بِحَرَّةِ النَّارِ . قالَ : بِأَيِّها ؟ قالَ : بِذاتِ لَظى . فقالَ لهُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَدْرِكْ أَهْلَكَ فقدِ احْتَرَقُوا .

---

(١) المستدرك ٣/ ٦٢٠ ومسند أَحمد ٤/ ٧٦ و ٣١١ و ٣٢٢ و ٣٩٩ .

(٢) موطأ مالك ٢/ ٩٧٣ .

(٣) الموطَّأ ٢/ ٩٧٣ وتاريخ دمشق (جزء عُمر) ٢٣٩ ومختصره ١٨/ ٣٢١ ومعجم البلدان ٢/ ٢٤٩ ومعجم ما استعجم ١/ ٤٣٧ وتاريخ الخلفاء ١٥٣ .

قالَ : فَكانَ كما قالَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

● وَفي « السِّيرَةِ » : أَنَّهُ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إلى بَدْرٍ ، مَرَّ بِرَجُلَيْنِ[(١)] ، فَسَأَلَ عن اسْمِهما فَقِيلَ لَهُ : أَحَدُهما مُسْلِحٌ ، وَالآخَرُ مُخْرِيءٌ ؛ فَعَدَلَ عن طَرِيقِهما .

وَليسَ هذا من الطِّيَرَةِ التي نَهى ﷺ عنها ، بل من بابِ كَراهَةِ الاسْمِ القَبيحِ ، فقد كان ﷺ يكتبُ إلى أُمرائِهِ : « إذا أَبْرَدْتُم إِليَّ بَريداً ، فَأَبْرِدُوهُ حَسَنَ الاسْمِ ، حَسَنَ الوَجْهِ » .

● وَفي حَديث « البَزَّارِ » وَ« مالكٍ » زِيادَةٌ رَواها ابْنُ وَهْبٍ وَهي : فقامَ عُمر فقالَ : لا أَدْري أَقُولُ أَمْ أَسْكُتُ ؟ فقالَ لَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ : « قُلْ » . قالَ : فَكَيْفَ نَهَيْتَنا عن الطِّيَرَةِ وَتَطَيَّرْتَ ؟ فقالَ ﷺ : « مَا تَطَيَّرْتُ ، وَلَكنِّي آثَرْتُ الاسْمَ الحَسَنَ » .

● وَروى « أَبو داود » و« التِّرمذيُّ » و« الحاكِمُ »[(٢)] وقالَ : صَحيحٌ : عن ابْنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَما مِنَّا إلاّ مَن تَطَيَّرَ ، وَلكنَّ اللهَ تَعالى يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ » .

قالَ الخَطَّابيُّ : مَعناهُ : وَما مِنَّا إلاّ مَن يَعْتَرِيهِ التَّطَيُّرُ ، وَيَسْبِقُ إلى قَلْبِهِ الكَراهَةُ فِيهِ ؛ فَحَذَفَهُ اخْتِصاراً لِلكَلامِ ، واعْتِماداً على فَهْمِ السَّامِعِ .

● قالَ البُخاريُّ[(٣)] : كان سُليمانُ بن حَرْبٍ يُنْكِرُ هذا ، وَيقولُ : هذا لَيْسَ

---

(١) كذا في الأُصول ، وهو وهمٌ محضٌ ؛ ففي سيرة ابن هشام ١/ ٦١٤ : « فلمَّا استقبل الصَّفراء ـ وهي قريةٌ بين جَبَلَين ـ سأَلَ عن جَبَلَيْهما ما اسماهُما ؟ فقالُوا : يُقالُ لأَحدهما : هذا مُسْلِحٌ ، وللآخر : مُخْرِىءٌ . وسأَلَ عن أَهلهما ، فقيلَ : بَنو النَّار وبنو حُراق ـ بطنان من بني غفار ، فكرههما رسول اللهُ والمرور بينهما .

(٢) أَبو داود (٣٩١٠) والتِّرمذيّ (١٦١٤) وابن ماجه (٣٥٣٨) والمستدرك ١/ ١٧ و ١٨ والأَدب المفرد (٩٠٩) .

(٣) التِّرمذيّ (١٦١٤) .

من قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ ، وَكَأَنَّهُ من كَلامِ ابْنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه .

● قالَ الإمامُ عبد الصَّمَدِ : لمَّا رَأَيْتُ في « أَطْواقِ الذَّهَبِ »(١) لِجارِ اللهِ العَلاّمَةِ أَبي القاسِمِ مَحمود الزَّمَخْشَرِيَّ ، قولَهُ : « رِزْقٌ مَبْسُوطٌ وَمُقَدَّرٌ ، وَشُرْبٌ صافٍ وَمُكَدَّرٌ ، وَرَجُلٌ يَحْسو الماءَ القَراحَ ، وآخَرُ دَرَّتْ لَهُ اللِّقاحُ ، وَما أوتيَ هذا مِنْ عَجْزٍ وَوَهْنٍ ، وَما أُوتِيَ ذاكَ من فَضْلٍ وَذَكاءِ ذِهْنٍ ، لكِنْ تَقْديرُ مَن بِيَدِهِ المَلَكُوتُ ، وإِلَيْهِ الكِتابُ المَوْقُوتُ » . ذَكَرْتُ هَذينِ البَيتينِ :

[من مجزوء الكامل]

لَــمْ أُوْتَ مــن طَلَــبٍ وَلا جِــدٍّ وَلا هَــمٍّ شَــرِيْــفِ
لَكِنَّـــهُ قَـــدَرٌ يَـــزُو لُ مــن القَــوِيِّ إِلَــى الضَّعيــفِ

● وَما أَحْسَنَ قَولَ القائِلِ حَيثُ قالَ(٢) : [من البسيط]

أَنْفِقْ وَلا تَخْشَ إِقْلالاً فَقَدْ قُسِمَتْ على العِبادِ مِن الرَّحْمٰنِ أَرْزاقُ
لا يَنْفَعُ البُخْلُ مَعْ دُنْيا مُوَلِّيَةٍ وَلا يَضُرُّ مَعَ الإقْبالِ إِنْفاقُ

٩٠١ **اللَّقْوَةُ** : العُقابُ الأُنثى . واللِّقْوَةُ بالكَسْرِ : مِثْلُهُ(٣) . قالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : سُمِّيَتْ لَقْوَةً : لِسَعَةِ أَشْداقِها . وَقيلَ : لاعْوِجاجِ مِنْقارِها .

● وَاللَّقْوَةُ : مَرَضٌ يَميلُ بِهِ الوَجْهُ إلى جانِبٍ . وَاللَّقْوَةُ : النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ اللِّقاحِ(٣) .

وَلِقْوَةٌ : لَقَبُ الحَجَّاجِ بن يُوسف الثَّقفيّ البَغداديِّ ، المعروف بابْنِ الشَّاعِرِ . رَوى عنهُ مُسلم وأَبو داود ؛ وَوَفاتُهُ سنةَ تِسْعٍ وَخَمسينَ وَمِئَتينِ(٤) .

---

(١) أَطواق الذَّهب للزَّمخشريّ ٨٨ .
(٢) هُما لجحظة البرمكيّ ، في ديوانه ١٩٥ .
(٣) الصِّحاح « لقي » ٦/ ٢٤٨٥ .
(٤) الملقَّب بلقوة : هو أَبُوهُ يُوسف ! وانظر ترجمة الحجَّاج الشَّاعر في تاريخ بغداد ٩/ ١٤٦ =

٩٠٢ اللَّقَّاطُ : بِالتَّشْدِيدِ : طائِرٌ مَعروفٌ ، سُمِّيَ بذلك لأَنَّهُ يَلْقَطُ الحَبَّ .

وحُكمُه : الحِلُّ . قال العباديُّ : اللَّقَّاطُ حَلالٌ ، إلاّ ما اسْتَثْناهُ النَّصُّ .

قالَ في « شَرْحِ المُهَذَّبِ » : يَعْني بِهِ ذا المِخْلَبِ .

وَفِيما قالَهُ نَظَرٌ ، لأَنَّ المُرادَ بِهِ : ما يَلْقَطُ الحَبَّ ؛ وَذُو المِخْلَبِ لَمْ يَدْخُلْ في اسْمِ اللَّقَّاطِ حتَّى يَصِحَّ اسْتِثْناؤُهُ منهُ ؛ لكنْ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرادَ بالمُستثنى : الغُرابَ الزَّرْعِيَّ ، وَالاسْتِثْناءُ المُنْقَطِعُ لا تَصِحُّ إرادَتُهُ هُنا ، لأَنَّ الرَّافِعِيَّ رحمهُ اللهُ قد نَقَلَ بعدَ ذلكَ عن البُوشَنْجيّ : أَنَّ اللَّقَّاطَ حَلالٌ بغيرِ اسْتِثْناءٍ ، وَلعلَّ أَبا عاصِمٍ أَرادَ بِالمُستثْنى بِالنَّصِّ : غُرابَ الزَّرْعِ ، وَالغُدافَ الصَّغيرَ ، فإِنَّهُما يَلْقَطانِ الحَبَّ ، وَيَأْكُلانِ الزَّرْعَ ، كَما قالَهُ الماوَرْديُّ في « الحاوي » .

وَفيهما وَجْهانِ ، أَصَحُّهما في « الرَّوْضَةِ » تَحْرِيمُ الغُدافِ ، وَحِلُّ الزَّرْعِيِّ ؛ وَقد تَقَدَّمَ طَرَفٌ من هذا في أَحكامِ « الغُرابِ » . لكنَّ كَلامَ الرَّافعيِّ يَقتضي حِلَّهُما ؛ فَمَنْ قالَ بتَحْرِيمِهما اسْتَثْناهُما من اللَّقَّاطِ ، وَلَمْ يَحْمِلِ الأَمرَ الوارِدَ بِقَتْلِ الغُرابِ على الأَبْقَعِ وَحْدَهُ ، بل عَلَيْهِ وعلى غَيْرِهِ .

وَنَقَلَ الجاحِظُ هذا الاحْتِمالَ عن صاحِبِ « المنطق » فقالَ : قالَ صاحبُ المنطقِ : الغُرابُ جِنْسٌ من الأَجْناسِ التي أُمِرَ بِقَتْلِها في الحِلِّ وَالحَرَمِ ؛ وَهذا صَريحٌ في أَنَّ الجَميعَ فَواسِقُ ، وأَنَّ قَتْلَ جَميعِها مُسْتَحَبٌّ .

وَقد صَرَّحَ في « الحاوي » بِاسْتِحْبابِ قَتْلِ الغُرابِ الأَسْوَدِ الكَبيرِ ، وأَلْحَقَهُ بِالأَبْقَعِ ، وَجَعَلَ النَّهْيَ عِلَّةَ تَحْريمِهِ .

وَمَنْ قالَ بِحلِّ اللَّقَّاطِ مُطْلَقاً ، لَمْ يَسْتَثْنِ شَيْئاً ، وَحَمَلَ الأَمْرَ بِقَتْلِ الغُرابِ

= والمنتظم ١٢/ ١٥٣ وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ٣٠١ وتهذيب الكمال ٥/ ٤٦٦ والوافي بالوفيات ١١/ ٣١٥ .

على الأَبْقَعِ ، لأَنَّهُ قد وَرَدَ التَّقْييدُ في بعضِ الرِّواياتِ « بالغُرابِ الأَبْقَعِ » ، وَهذا إِنَّما يَستقيمُ إِذا قُلْنا : إِنَّ ذِكْرَ بعضِ أَفْرادِ العُمُومِ تَخصيصٌ ؛ وَالصَّحيحُ أَنَّهُ لَيْسَ بِتَخْصِيصٍ .

وَالغُرابُ الأَبْقَعُ ـ وإِنْ كان يَلْقَطُ الحَبَّ ـ فَهو غيرُ وارِدٍ على البُوشَنْجيِّ ، لأَنَّ غالِبَ أَكْلِهِ الخَبائِثُ ، بِخِلافِ الزَّرْعيِّ والغُدافِ الصَّغِيرِ . واللهُ تَعالى أَعلمُ .

٩٠٣ اللَّقْلَقُ : طائِرٌ أَعْجَمِيٌّ ، طَوِيلُ العُنُقِ ، وَكُنْيَتُهُ عِندَ أَهْلِ العِراقِ : أَبو خَديجٍ[١] .

وَعَبَّرَ عنهُ الجَوهريُّ بِاللَّقْلاقِ[٢] ، وَهو اسْمٌ أَعْجَميٌّ . قالَ[٣] : وَرُبَّما قالُوا : اللَّغْلَغُ ؛ وَالجَمْعُ اللَّقالِقُ ؛ وَهُوَ يَأْكُلُ الحَيَّاتِ ، وَصَوْتُهُ اللَّقْلَقَةُ ، وَكذلكَ كُلُّ صَوْتٍ فِيهِ حَرَكَةٌ واضْطِرابٌ .

وَيُوصَفُ بِالفِطْنَةِ والذَّكاءِ ؛ قالَ القَزوينيُّ في « الأَشْكال »[٤] : قالَ الرَّئيسُ : من ذَكاءِ هذا الطَّائِرِ : أَنَّهُ يَتَّخِذُ لَهُ عُشَّيْنِ ، يَسْكُنُ في كُلِّ واحِدٍ منهُما بَعْضَ السَّنَةِ ؛ وَأَنَّهُ إِذا أَحَسَّ بِتَغَيُّرِ الهَواءِ عِندَ حُدوثِ الوَباءِ ، تَرَكَ عُشَّهُ ، وَهَرَبَ من تِلْكَ الدِّيارِ ؛ وَرُبَّما تَرَكَ بَيْضَهُ أَيْضاً .

قالَ : وِمِمَّا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلى طَرْدِ الهَوامِّ ، اتِّخاذُ اللَّقْلَقِ ، فإِنَّ الهَوامَّ تَهْرُبُ من مَكانٍ هُوَ فِيهِ لِفزَعِها منهُ ، وإِذا ظَهَرَتْ قَتَلَها .

الحُكْمُ : في حِلِّهِ وَجْهانِ : أَحَدُهما ـ وَبِهِ قالَ الشَّيْخُ أَبُو محمَّد ـ يَحِلُّ

---

(١) لم يُذكر في المُرصَّع .

(٢) الصِّحاح « لقق » ٤/ ١٥٥٠ .

(٣) لم يقلهُ الجوهريُّ . وبهذا الاسم ذكره الأَبشيهي في المستطرف ٢/ ٥١٩ .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٠ .

كَالكُرْكِيِّ ، وَرَجَّحَهُ الغزاليُّ . وَالثَّاني : يُحَرَّمُ ، وَصَحَّحَهُ البَغَويُّ ، وَجَزَمَ بِهِ العِباديُّ ؛ واحْتجَّ بِأَنَّهُ يَأْكُلُ الحَيَّاتِ ، وَيَصُفُّ في الطَّيَرانِ ، وقد قالَ ﷺ[1] : « كُلْ ما دَفَّ ، وَدَعْ ما صَفَّ » .

يُقالُ : دَفَّ الطَّائِرُ في طَيَرانِه : إذا حَرَّكَ جَناحَيْه ، كَأَنَّهُ يَضْرِبُ بهما . وَصَفَّ : إذا لَمْ يَتَحَرَّكْ ، كَما تَفْعَلُ الجَوارِحُ ؛ وَمِنهُ قولُهُ تَعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ [الملك : ١٩] في « شَرحِ المُهَذَّبِ » و« الرَّوْضَةِ » أَنَّهُ حَرامٌ .

وَاللَّقْلَقُ من طَيْرِ الماءِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ اسْتِثْناؤُهُ .

الخَواصُّ : إِذا ذُبِحَ فَرْخٌ من فِراخِهِ ، وَطُلِيَ بِهِ بَدَنُ المَجْذُومِ : نَفَعَهُ نَفْعاً بَيِّناً .

وإِذا أُخِذَ من دِماغِهِ وَزْنُ دانِقٍ ، وَمِنْ أَنْفِحَةِ الأَرْنَبِ مِثْلُهُ ، وأُذيبا على النَّارِ ، فَمَنْ طَعِمَ منهُ باسْمِ آخَرَ ، هَيَّجَ رُوحانِيَّةَ المَحَبَّةِ في قَلْبِهِ .

وَقال هرمسُ : مَن حَمَلَ عَظْمَ اللَّقْلَقِ معهُ ، زالَ هَمُّهُ ؛ وإِنْ كان عاشِقاً سَلا .

وَمَنْ حَمَلَ حَبَّةَ عَيْنِهِ اليُمْنى ، لَمْ يَنَمْ ؛ وَمَنْ حَمَلَ حَبَّةَ عَيْنِهِ اليُسْرَى ، نامَ وَلَمْ يَنْتَبِهْ ما لَمْ تُحَلَّ عنهُ .

وَمَنْ حَمَلَ عَيْنَهُ وَدَخَلَ الماءَ ، لَمْ يَغْرَقْ وإِنْ لَمْ يُحْسِنِ السِّباحَةَ .

التَّعبيرُ[2] : اللَّقْلَقُ في المَنامِ : يَدُلُّ على قَوْمٍ يُحِبُّون المُشارَكَةَ ؛ فإِذا رَآها إِنْسانٌ مُجْتَمِعَةً في مَكانٍ ، فإِنَّهم لُصُوصٌ ، وَقُطَّاعُ طَريقٍ ، وَأَعْداءُ مُحارَبَةٍ .

وَقِيلَ : رُؤْيَةُ اللَّقْلَقِ : تَدُلُّ على تَرَدُّدِهِ .

---

(١) النِّهاية ٢/ ١٢٥ .

(٢) تفسير الواعظ ٣٠٣ .

وَمَنْ رَأى اللَّقالِقَ مُتفَرِّقَةً ، فإِنَّها دَليلُ خَيْرٍ إِنْ كان مُسافِراً أَو أَرادَ السَّفَرَ ، لأَنَّها تَظهرُ في الصَّيْفِ ؛ وَتَدُلُّ رُؤْياها على قُدُومِ المُسافِرِ إِلى وَطَنِهِ ؛ وَالمُقِيمِ على سَفَرِهِ ، وَاللهُ أَعلمُ .

٩٠٤ **اللَّهَقُ** : الثَّوْرُ الأَبْيَضُ[١] . وَقد تَقَدَّمَ في « الثَّوْرِ » في « بابِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ » .

٩٠٥ **اللِّهْمُ** : الثَّوْرُ المُسِنُّ . وَقد تَقَدَّمَ ؛ وَالجَمْعُ : لُهومٌ[٢] .

٩٠٦ **اللُّوبُ والنُّوبُ** : الأَوَّلُ بِضَمِّ اللاّمِ ، وَالثَّانِي بِضَمِّ النُّونِ : جَماعَةُ النَّحلِ .

● وَمنهُ حَديثُ زَبَّان بن قَسْوَر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قالَ[٣] : رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وهو نازِلٌ بوادِي الشَّوْحَطِ ، فَكَلَّمْتُهُ ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ مَعَنا لُوباً لَنا ـ يَعني نَحْلاً ـ كانَتْ في غَيْلَمٍ لَنا ، فِيهِ طِرْمٌ وَشَمْعٌ ، فجاءَ رَجُلٌ فَضَرَبَ مَيِّتَيْنِ فَأَنْتَجَ حَيّاً ، وَكَفَّنَهُ بالثُّمامِ ـ يَعني : قَدَحَ ناراً بالزَّنْدَيْنِ ـ وَنَحَسَهُ ـ يَعني دَخَّنَهُ ـ فَطارَ اللُّوْبُ هارِباً ، وَأَدْلَىٰ مِشْوارَهُ في الغَيْلَمِ ، فَاشْتارَ العَسَلَ فَمَضىٰ به ؛ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ ، مَن سَرَقَ شَرْوَ قَوْمٍ فَأَضَرَّ بِهِم ؛ أَفَلا تَبِعْتُم أَثَرَهُ ، وَعَرَفْتُم خَبَرَهُ ؟ » قالَ : قُلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ دَخَلَ في قَوْمٍ لَهُمْ مَنَعَةٌ ، وَهُم جِيْرَتُنا من هُذَيْلٍ ؛ فقالَ ﷺ : « صَبْرَكَ صَبْرَكَ ، تَرِدْ نَهْرَ الجَنَّةِ ، وإِنَّ سِعَتَهُ كما بين العَقِيقَةِ والسَّحِيْقَةِ ، يَتَسَبْسَبُ جَرْياً بِعَسَلٍ صافٍ من قَذاهُ ، ما تَقَيَّأَهُ لُوبٌ ، وَلا مَجَّهُ نُوبٌ » . انتهى .

الغَيْلَمُ : البِئْرُ ، وَأَرادَ بِها هـٰهُنا الخَلِيَّةَ . الطِّرْمُ : العَسَلُ .

---

(١) القاموس « لهق » .

(٢) القاموس « لهم » .

(٣) الحديث في المؤتلف والمختلف للدّارقطنيّ ٢/ ١٠٨٥ ـ ١٠٨٦ بتصحيفٍ شديدٍ .

ذَكَرَهُ السُّهيليُّ في مَقْتَلِ خُبيبٍ وأَصْحابِهِ بَعدَ أُحُدٍ ، وَذَكَرَهُ أَبُو عُمر ابن عَبدِ البَرِّ ، وَابْنُ الأَثِيرِ أَبُو السَّعاداتِ ؛ وَنَقلا عن ابْنِ ماكولا أَنَّه قالَ : ذَكَرَهُ عبدُ الغَنِيِّ بن سَعيد وَغَيرُهُ بِإِسْنادٍ ضَعِيفٍ[1] .

٩٠٧ **اللَّوْشَبُ** : كَكَوْكَبٍ : الذِّئْبُ[2] . وَقَد تَقَدَّمَ ما في « الذِّئْبِ » في « بابِ الذَّالِ المُعجمةِ » .

٩٠٨ **اللِّياءُ** : سَمَكَةٌ في البَحْرِ ، يُتَّخَذُ من جِلْدِها التِّرَسَةُ ، فَلا يَحِيْكُ فِيها شَيْءٌ من السِّلاحِ وَلا يَقْطَعُ .

وَفي الحَدِيثِ : أَنَّ فُلاناً أَهْدى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بوَدّانَ لِياءً مُقَشًّى .

وَمِنْهُ حَديثُ مُعاويَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّهُ دَخَلَ عليْهِ ، وَهُوَ يَأْكُلُ لِياءً مُقَشًّى[3] .

٩٠٩ **اللَّيْثُ** : الأَسَدُ ، وَجَمْعُهُ : لُيُوثٌ .

وَهُوَ أَيْضاً ضَرْبٌ من العَناكِبِ يَصْطادُ الذُّبابَ ، وَهُوَ أَصْغَرُ من العَنْكَبُوتِ .

وَاللَّيْثُ من الرِّجالِ : الشُّجاعُ ؛ وَبَنُو لَيْثٍ : بَطْنٌ من العَرَبِ .

● وَبِهِ سُمِّيَ لَيْثُ بنُ سَعْدِ بن عَبدِ الرَّحمٰنِ ، أَبُو الحارِثِ ، إِمامُ أَهْلِ مِصْرَ في الفِقْهِ ؛ وُلِدَ بِقَلْقَشَنْدَةَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ في أَسْفَلِ مِصْرَ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ .

قالَ الشَّافعيُّ : اللَّيْثُ أَفْقَهُ من مالِكٍ ، إِلاّ أَنَّ أَصْحابَهُ لَمْ يَقُومُوا بِهِ . وَقالَ عُثمانُ بن صالِحٍ : كان أَهْلُ مِصْرَ يَنْتَقِصُونَ عُثمانَ بن عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه ، حتَّى

---

(١) ترجمة زبَّان ـ وقيل : زبَّار ـ بن قسور ـ وقيل : قيسور ـ في الاستيعاب ٢/ ٥٦٠ وأُسد الغابة ٢/ ٢٤٦ والإصابة ٢/ ٤٥٣ (رقم ٢٧٨٧) والإكمال ٤/ ١٧٣ .

(٢) القاموس « لشب » .

(٣) المادَّة كلُّها عن النِّهاية ٤/ ٢٨٧ .

نَشَأَ فِيهِمُ اللَّيْثُ بن سَعْدٍ ، فَحَدَّثَهُم بِفضائِلِ عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عنه ، فَكَفُّوا عن ذلكَ .

وَكانَ أَهْلُ حِمْصَ يَنْتَقِصُونَ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، حتَّى نَشَأَ فِيهم إسماعيلُ بن عَيَّاشٍ ، فَحَدَّثَهُم بِفَضائِلِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَكَفُّوا عن ذلِكَ .

وَحَجَّ اللَّيْثُ فقَدِمَ المَدينةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الإمامُ مالِكُ بن أَنسٍ بِطَبَقِ رُطَبٍ ، فَجَعَلَ علىٰ الطَّبق أَلْفَ دِيْنارٍ ، وَرَدَّهُ إِلَيْه .

وَكانَ اللَّيْثُ رَحمَهُ اللهُ يَسْتَغِلُّ في كُلِّ سَنَةٍ عِشرينَ أَلْفَ دِيْنارٍ ، فَيُنْفِقُها ، وَما وَجَبَتْ عليْهِ زَكاةٌ قَطُّ .

وَقالَتْ لَه امرأَةٌ : يا أَبا الحارِثِ ، إِنَّ لِي ابْناً عَليلاً ، واشْتَهى عَسَلاً . فقالَ : يا غُلامُ ، أَعْطِها مِرْطاً من عَسَلٍ ، وَالمِرْطُ : مئةٌ وَعِشرُونَ رِطْلاً ؛ فَقِيلَ لَهُ في ذلكَ ، فقالَ : سَأَلَتْ على قَدْرِ حاجَتِها ، وَنَحنُ أَعْطَيْناها على قَدْرِ نِعْمَتِنا .

وَاشْتَرى قَومٌ منهُ ثَمرةً ، ثُمَّ اسْتَقالُوهُ ، فأَقالَهُم وَأَعْطاهُم خَمسينَ دِيناراً . وَقالَ : إِنَّهم كانُوا قد أَمَّلُوا فِيها أَمَلاً ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعَوِّضَهُم عن أَمَلِهِم .

وَكانَ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ حَنَفِيَّ المَذْهَبِ ؛ وَوَلِيَ القَضاءَ بِمِصْرَ ، وَتُوفِّيَ بها في شَعبان ، سنةَ خَمسٍ وَسَبعين ومئة ؛ وَقَبْرُهُ في القَرافَةِ الصُّغْرى مَشْهُورٌ .

وَقَلْقَشَنْدَة : بِفَتْحِ القافِ : و[سُكُونِ] اللاّمِ ، وقافٍ وَشِينٍ مُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، وَنُونٍ ساكِنَةٍ ، وَدالٍ مُهملةٍ ، وَهاءٍ أَخِرَها : بَيْنَها وَبَيْنَ مِصْرَ مِقْدارُ ثَلاثَةِ فَراسِخَ . كذا قالَهُ « ابْنُ خلّكان »(١) .

---

(١) ترجمته في : وفيات الأعيان ٤/ ١٢٧ و ١٢٩ وتاريخ بغداد ١٤/ ٥٢٤ والجواهر المضية ٢/ ٧٢٠ وحلية الأولياء ٧/ ٣١٨ وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٥ وسير أعلام النُّبلاء ٨/ ١٣٦ =

● وَحَكى[1] عبدُ اللهِ بن أَبي عُبيدةَ بن محمَّد بن عَمَّار بن ياسر ، قالَ :

كانَ بِأَرْضِ اليَمامَةِ رَجلٌ من رَبيعَةَ ، يُقالُ لَهُ : جَحْدَرُ بن مالِكٍ العِجْليّ ؛ وَكانَ شاعِراً فَحْلاً فاتِكاً ، قد أَبَرَّ على أَهْلِ حَجْرٍ وما يَلِيها ، فَبَلَغَ ذلكَ الحَجَّاجَ ، فَكَتَبَ إِلى عامِلِه على اليَمامَةِ يُوَبِّخُهُ وَيَلومُهُ على تَغَلُّبِ جَحْدَرٍ في وِلايَتِهِ ، وَيَأْمُرُهُ بالتَّجرُّدِ في طَلَبِهِ ، وَالبَعْثِ بِهِ إِلَيْهِ إِنْ ظَفَرَ بِهِ .

فلمَّا أَتى العامِلَ كِتابُهُ ، دَسَّ إِلَيْهِ فِتْيَةً من قَوْمِهِ ، وَوَعَدَهُم أَنْ يُوفِدَهُم مَعَهُ ، فَمَكَثُوا لِذلكَ أَيَّاماً ، حتَّى إِذا أَصابُوا منهُ غِرَّةً ، شَدُّوا عليْهِ فَأَوْثَقُوهُ ، وَقَدِمُوا بِهِ على العامِلِ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلى الحَجَّاجِ .

فلمَّا جاوَزُوا بِجَحْدَرٍ حَجْراً ، أَنْشَأَ يَقُولُ[2] : [من الوافر]

لَقِدْماً هاجَني فازْدَدْتُ شَوْقاً بُكاءُ حَمامَتَيْنِ تُغَرِّدانِ
تَجاوَبَتا بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ على غُصْنَيْنِ من غَرْبٍ وَبانِ
فَقُلْتُ لِصاحِبَيَّ وَكُنْتُ أَحْزُو بِبَعْضِ القَوْلِ : ماذا تَحْزُوانِ
فَقالا : الدَّارُ جامِعَةٌ قَريباً فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُما مُتَمَنِّيانِ
فَكانَ البانُ أَن بانَتْ سُلَيْمىٰ وَفي الغَرْبِ اغْتِرابٌ غَيْرُ دانِ
إِذا جاوَزْتُم نَخَلاتِ حَجْرٍ وَأَنْدِيَةَ اليَمامَةِ فَانْعِيانِي
وَقُولا : جَحْدَرٌ أَمْسى رَهِيناً يُعالِجُ وَقْعَ مَصْقُولٍ يَمانِي
كَذا المَغْرُورُ بِالدُّنْيا سَيَرْدَىٰ وَتُهْلِكُهُ المَطامِعُ والأَمانِي

= والوافي بالوفيات ٢٤/ ٤١٢ .

(١) الموفقيَّات ١٧٠ والجليس والأَنيس ٣/ ٨٧ والمحاسن والأَضداد ٨٧ وبغية الطَّلب ٥/ ٢٠٦٩ وشرح شواهد المغني ٤٠٧ وشرح أَبيات المغني ٣/ ٢١٠ وخزانة البغداديّ ٧/ ٤٦٣ ومعجم البلدان (حجر) ٢/ ٢٢٢ والمستطرف ٢/ ٧٩ .

(٢) الأَبيات في مصادر الخبر وأَمالي القالي ١/ ٢٨١ وأَشعار اللُّصوص ١٩٥ ـ ١٩٦ والحماسة البصريّة ٣/ ٩٩٧ .

فَلمَّا قُدِمَ بِهِ على الحَجَّاجِ ، قالَ لَهُ : أَنْتَ جَحْدَرٌ ؟ قالَ : نَعم ، أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ . قالَ : فَما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ ؟ قال : جَراءَةُ الجَنانِ ، وَكَلَبُ الزَّمانِ ، وَجَفْوَةُ السُّلْطانِ .

قالَ : وَما الذي بَلَغَ من أَمْرِكَ ، فَيَجْرُؤَ جَنانُكَ ، وَيَكْلَبَ زَمانُكَ ، وَيَجْفُوَكَ سُلْطانُكَ ؟ قالَ : لو بَلانِي الأَميرُ لَوَجَدَني من صالِحِ الأَعْوانِ ، وأَهَمِّ الفُرْسانِ ؛ وَأَمَّا جَراءَةُ جَناني : فإِنِّي لَمْ أَلْقَ فارِساً قَطُّ ، إِلا كُنْتُ عليْهِ في نَفْسِي مُقْتَدِراً .

فقالَ لَهُ الحَجَّاجُ بن يوسف : إِنَّا قاذِفُونَ بكَ في حَيْرِ[1] لَيْثٍ ، فإِنْ هُوَ قَتَلَكَ كَفانا مَؤُونَتَكَ ، وإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَهُ خَلَّيْنا عَنْكَ ، وأَحَسَنَّا جائِزَتَكَ . قالَ : نَعم ، أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ، قَرَّبْتَ المِحْنةَ ، وَأَعْظَمْتَ المِنَّةَ ؛ أَنْتَ أَهْلُ ذلكَ إِذا شِئْتَ .

فَأَمَرَ بِهِ فَقُيِّدَ وَحُبِسَ ، وَكَتَبَ إِلى عامِلِهِ على كَسْكَرَ يَأْمُرُهُ بالبِعْثَةِ إِلَيْهِ بِأَسَدٍ ضارٍ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَسَدٍ قد أَضَرَّ بِأَهْلِ كَسْكَرَ ، في صُنْدُوقٍ يَجُرُّهُ ثَوْرانِ .

فلمَّا قُدِمَ به على الحَجَّاجِ ، أَمَرَ بِهِ فَأُدْخِلَ في حَيْرٍ ، وَسُدَّ بابُهُ ، وَجَوَّعَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ؛ ثُمَّ أُتِيَ بِجَحْدَرٍ ، وَأُمْكِنَ من سَيْفٍ قاطِعٍ ؛ وَجَلَسَ الحَجَّاجُ والنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِليهِما ؛ فلمَّا نَظَرَ الأَسَدُ إِلى جَحْدَرٍ وَقد أَقْبَلَ وَمعهُ السَّيْفُ ، يَرسُفُ في قُيودِهِ ، تَهَيَّأَ وتَمَطَّىٰ ، فَأَنْشَدَ جَحْدَرٌ يَقُولُ[2] : [من الرجز]

لَيْثٌ وَلَيْثٌ في مَجالٍ ضَنْكِ ... كِلاهُما ذُو أَنَفٍ وَفَتْكِ
وَسَوْرَةٍ في صَوْلَةٍ وَمَحْكِ ... إِنْ يَكْشِفِ اللهُ قِناعَ الشَّكِّ
مِنْ ظَفَري بِحاجَتي وَدَرْكِي ... فَذاكَ أَحْرَىٰ مَنْزِلٍ بِتَرْكِ

---

(١) الحَيْرُ : الحظيرة ، أَو الحمى . وهو ما يُسَمَّى في زماننا بحديقة الحيوان .
(٢) الأَشطار في مصادر الخبر والحماسة البصريّة ٤/ ١٧٥٢ وأَشعار اللُّصوص ١٩٠ .

فَوَثَبَ إِلَيْهِ الأَسَدُ وَثْبَةً شَديدَةً ، فَتَلَقَّاهُ جَحْدَرٌ بِالسَّيْفِ ، فَضَرَبَ هامَتَهُ ، فَفَلَقَها حتَّى خالَطَ ذُبابُ السَّيْفِ لَهَواتِهِ ، وَتَخَضَّبَتْ ثِيابُهُ من دَمِهِ ؛ فَوَثَبَ وهو يَقُولُ (١) : [من الكامل]

يا جُمْلُ إِنَّكِ لو رَأَيْتِ كَريهَتِي ... في يَوْمِ هَيْجٍ مُسْدِفٍ وَعَجاجِ
وَتَقَدُّمي لِلَّيْثِ أَرْسُفُ مُوثَقاً ... كَيْما أُكابِرَهُ على الأَحْراجِ
جَهْمٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ لَمَّا بَدا ... طَبَقُ الرَّحا مُتَعَجِّرُ الأَثْباجِ
يَسْمُو بِناظِرَتَيْنِ تَحْسِبُ فِيهِما ... لَمَّا أَجالَهُما شُعاعَ سِراجِ
فَكَأَنَّما خِيطَتْ عليْهِ عَباءَةٌ ... بَرْقاءُ أَوْ قِطَعٌ مِن الدِّيْباجِ
قِرْنانِ مُخْتَصِرانِ قد مَخَضَتْهُما ... أُمُّ المَنِيَّةِ غَيْرَ ذاتِ نِتاجِ
فَفَلَقْتُ هامَتَهُ فَخَرَّ كَأَنَّهُ ... أُطُمٌ تَساقَطَ مائِلَ الأَبْراجِ
ثُمَّ انْثَنَيْتُ وَفي ثِيابي شاهِدٌ ... مِمَّا جَرىٰ مِن شاخِبِ الأَوْداجِ
أَيْقَنْتُ أَنِّي ذُو حِفاظٍ ماجِدٌ ... مِنْ نَسْلِ أَمْلاكٍ ذَوي أَتْواجِ
مِمَّنْ يَغارُ على النِّساءِ حَفِيظَةً ... إِذْ لا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الأَزْواجِ (٢)

فقالَ لَهُ الحَجَّاجُ : يا جَحْدَرُ ، إِنْ أَحْبَبْتَ المُقامَ مَعَنا فَأَقِمْ ، وإِنْ أَحْبَبْتَ الانْصِرافَ إِلى بِلادِكَ فانْصَرِفْ . فقالَ : بَلْ أَخْتارُ صُحْبَةَ الأَمِيرِ وَالكَيْنُونَةَ معهُ .

فَفَرَضَ لَهُ في شَرَفِ العَطاءِ ، وَأَقامَ بِبابِهِ ، فَكانَ من خَواصِّ أَصْحابِهِ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الهاءِ » في « الهِزَبْر » ما قالَهُ بِشْرُ بنُ عَوانَةَ ، لَمَّا قَتَلَ الأَسَدَ .

---

(١) القصيدة في مصادر الخبر والحماسة البصريّة ٣/ ١٥٠٨ وأَشعار اللُّصوص ١٨٠ .

(٢) البيت لجرير في ديوانه ١/ ١٣٧ . وروايته : أَم من يغار . . . × .

● وَقَدْ أَحْسَنَ إبراهيمُ بن يَحيىٰ الغَزِّيّ رحمهُ اللهُ، حَيثُ قالَ[1] : [من الطويل]

حَمَلْنـا مـن الأَيّـامِ مـا لا نُطِيْقُـهُ   كَمَا حَمَلَ العَظْمُ الكَسِيْرُ العَصائِبا
وَلَيْـلٍ رَجَـوْنـا أَنْ يَـدِبَّ عِـذارُهُ   فَما اخْتَطَّ حتَّى صارَ بِالفَجْرِ شائِبا

٩١٠ اللَّيْلُ : وَلَدُ الكَرَوانِ .

قالُوا : « فُلانٌ أَجْبَنُ من لَيْلٍ »[2] .

وقالَ ابنُ فارس في « المُجملِ » . يُقالُ : إِنَّ بَعضَ الطَّيْرِ يُسَمَّىٰ لَيْلاً ، وَلا أَعْرِفُهُ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « حَرفِ النُّونِ » أَنَّ النَّهارَ وَلَدُ الحُبارىٰ ، واللهُ أَعلمُ .

---

(١) البيتان له في وفيات الأَعيان ١/ ٥٨ .

(٢) الميدانيّ ١/ ١٨٥ وحمزة ١/ ١١٣ والعسكريّ ١/ ٣٢٦ والزَّمخشريّ ١/ ٤٥ .

بابُ المِيْمِ

٩١١ مارِيَّةُ : بِتَشْدِيدِ المُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ : القَطاةُ المَلْساءُ . وَبِالتَّخفيفِ : البَقَرَةُ الوَحْشِيَّةُ .

وَأمَّا قَولُهم[١] : « خُذْهُ وَلو بِقُرْطَيْ مارِيَة » . فَهِيَ مارِيَةُ بنتُ ظالِم بن وَهْبٍ ؛ وَقيلَ : أُمُّ وَلَدِ جَفْنَةَ .

● قالَ حسَّانُ بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[٢] : [من الكامل]

أَوْلادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبيهِمُ قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكَرِيْمِ المُفْضِلِ

● يُقالُ[١] : إنَّها أَهْدَتْ إلى الكَعْبَةِ قُرْطَيْها ، وَعَلَيْهِما دُرَّتانِ كَبَيْضَتَي الحَمامِ ، لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُما ، وَلَمْ يَدْرُوا قَدْرَهُما وَلا قِيْمَتَهُما ؛ يُضْرَبُ في الشَّيْءِ الثَّمينِ ؛ أَي : لا يَفُوتَنَّكَ بِأَيِّ ثَمَنٍ يَكُونُ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى بعدَ هذا بِأَوْراقٍ يَسِيرَةٍ ، في تَرجَمَةِ المُقَوْقِسِ ، ذِكْرُ مارِيَةَ القِبْطِيَّةَ أُمِّ وَلَدِ النَّبيِّ ﷺ وَقَرِيبِها مَأْبُورٍ .

٩١٢ المازور : طائِرٌ مُبارَكٌ بِبَحْرِ المَغْرِبِ ، يَتَيامَنُ بِهِ أَصْحابُ السُّفُنِ ، يَبِيضُ عِنْدَ سُكُونِ البَحْرِ على السَّواحِلِ ، فَإذا رَأَوْا بَيْضَهُ عَرَفُوا أَنَّ البَحْرَ قد سَكَنَ .

---

(١) ثمار القلوب ٢/ ٨٩٦ والميدانيّ ١/ ٢٣١ والعسكريّ ٢/ ٣٢٦ والزَّمخشريّ ٢/ ٧٣ وفصل المقال ٣٣٥ والمعارف ٦٠٩ وإصلاح المنطق ٣٢٣ وفرحة الأديب ١٠٤ وربيع الأبرار ٥/ ٢٦ والمستطرف ٢/ ٢١٦ والقاموس واللِّسان والصِّحاح والتَّاج « مري » .

(٢) ديوانه ١/ ٧٤ (عرفات) و ١٢٢ (حنفي) و ٣٦٥ (برقوقي) .

وَهَذا الطَّائِرُ إذا كانَتِ السُّفُنُ قَرِيبَةً من مَكانٍ مَخُوفٍ ، أَو دابَّةٍ مُضِرَّةٍ ، يَأْتي فَيَطِيرُ أَمامَ المَرْكَبِ ، فَيَصْعَدُ وَيَنْزِلُ ، كَأَنَّهُ يُخْبِرُهُم بِالخَوْفِ حتَّى يُدَبِّرُوا أَمْرَهُم ؛ وَالمَلاّحُونَ يَعْرِفُونَهُ . ذَكَرَهُ في « تُحْفَةِ الغَرائِبِ »[1] .

٩١٣ الماشِيَةُ : الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ ؛ وَالجَمْعُ : المَواشِي ؛ سُمِّيَتْ ماشِيَةً لِرَعْيِها وَهِيَ تَمْشِي . وَقِيلَ : لِكَثْرَةِ نَسْلِها ؛ يُقالُ : أَمْشَى الرَّجُلُ ، إذا كَثُرَتْ ماشِيَتُهُ ؛ وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ[2] : [من الوافر]

وَكُلُّ فَتىً وإِنْ أَثْرىٰ وَأَمْشَىٰ ... سَتَخْلِجُهُ عَنِ الدُّنْيا المَنُونُ

● رَوَى « مُسلم »[3] عن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا تُرْسِلُوا مَواشِيَكُمْ وصِبْيانَكُم إِذا غابَتِ الشَّمْسُ ، حتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ العِشاءِ » .

● وَفي « سُنَنِ أَبي داود » و« التِّرمذيّ »[4] عن الحَسَنِ ، عن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إِذا أَتى أَحَدُكُمْ على ماشِيَةٍ ، فَإِنْ كان فِيها صاحِبُها فَلْيَسْتَأْذِنْهُ ، فَإِنْ أَذِنَ لَهُ فَلْيَحْتَلِبْ وَلْيَشْرَبْ ؛ وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيها أَحَدٌ ، فَلْيُصَوِّتْ ثَلاثاً ، فَإِنْ أَجابَهُ أَحَدٌ فَلْيَسْتَأْذِنْهُ ، فَإِنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فَلْيَحْتَلِبْ وَلْيَشْرَبْ وَلا يَحْمِلْ » .

قالَ التِّرمذيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ ؛ وَالعَمَلُ عليْهِ عِنْدَ بَعضِ أَهْلِ العِلْمِ ؛ وَبِهِ قالَ أَحْمَدُ وإِسْحاقُ .

وَقالَ عليُّ بنُ المَدينيِّ : سَماعُ الحَسَنِ من سَمُرَةَ صَحِيحٌ .

---

(١) عن عجائب المخلوقات ٩٤ . وفيه « الماروز » . بتقديم الرَّاء على الزَّاي .

(٢) هو النَّابغة الذُّبيانيّ ، والبيت في ديوانه ٢٥٧ .

(٣) مسلم (٢٠١٣) .

(٤) أَبو داود (٢٦١٩) والتّرمذيّ (١٢٩٦) والمعجم الكبير للطَّبرانيّ (٦٨٧٧ ـ ٦٨٧٨) .

● وَفي « الصَّحيحَيْنِ »[١] : عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ ماشِيَةَ أَحَدٍ إلاّ بإذْنِه ؛ أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَنْ تُؤْتَىٰ مَشْرَبَتُهُ ، فتُكْسَرَ خِزانَتُهُ ، فيُنْقَلَ طَعامُهُ ؛ فإنَّما تَخْزُنُ لَهُمْ ضُرُوعُ مَواشِيْهِم أَطْعِمَتَهُم ؛ فَلا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ ماشِيَةَ أَحَدٍ إلاّ بإذْنِه » .

● **وَمِنْ أَحْكام الماشِيَةِ** : أَنَّها إذا أَفْسَدَتْ زَرْعاً لِغَيْرِ مالِكِها ، ولَمْ يَكُنْ مَعَها ، فإنْ كان ذلكَ بالنَّهارِ : لَمْ يَضْمَنْ . وإنْ كان باللَّيْلِ : ضَمِنَ ، لِما رَوى « أَبُو داود »[٢] وغَيْرُهُ ، عن حَرام بن سَعْد بن مُحَيِّصَةَ ، قالَ : إنَّ ناقَةً لِلبَراءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عنه دَخَلَتْ حائِطَ قَوْمٍ ، فَأَفْسَدَتْ ، فَقَضى النَّبيُّ ﷺ أَنَّ على أَهْلِ الأَمْوالِ حِفْظُ أَمْوالِهِم بالنَّهارِ ، وَعلى أَهْلِ المَواشِي ما أَصابَتْهُ مَواشِيْهِم باللَّيْلِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ في « الغَنَمِ » فَرْعٌ لَهُ تَعَلُّقٌ بِهذا .

● **تَذْنِيبٌ** : إذا اشْتَرَكَ أَهْلُ الزَّكاةِ في ماشِيَةٍ : زَكَّوا زَكاةَ الرَّجُلِ الواحِدِ ؛ فَلو كان أَحَدُهم كافِراً ، أَو مُكاتِباً ، فَلا أَثَرَ لِخُلْطَتِه ، وَهِيَ تُسَمَّى خُلْطَةَ مُلْكٍ ، وَخُلْطَةَ أَعْيانٍ ، وَخُلْطَةَ اشْتِراكٍ .

وإذا خَلَطا مُجاوَرَةً ، فكذلِكَ الحُكْمُ ، لِقَولِه ﷺ : « لا يُجْمَعُ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ ؛ وَلا يُفَرَّقُ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ ، خَشْيَةَ الصَّدَقَةِ » . رَواهُ « البُخاريُّ »[٣] .

وَيُشْتَرَطُ في هذِهِ : أَنْ لا تَتَمَيَّزَ في المَشْرَعِ وَالمَسْرَحِ والمَراحِ ، وَهُو مَوْضِعُ الحَلَبِ ـ بِفَتْحِ اللاّمِ ـ وَكَذا الرَّاعِي والفَحْلِ على الصَّحيحِ ؛ وَلا تشترطُ النِّيَّةُ على الصَّحيحِ ، لأَنَّ خِفَّةَ المَؤُونَةِ واتِّحادَ المَرافِقِ ، لا يَخْتَلِفُ بالقَصْدِ

---

(١) البخاريّ ٣/ ٩٥ ومسلم (١٧٢٦) . وقد مضى تخريجه .

(٢) بل رواه ابن ماجه (٢٣٣٢) .

(٣) البخاريّ ٢/ ١٢٢ و ٨/ ٦٠ وأبو داود (١٥٦٨ ـ ١٥٦٩) والتّرمذيّ (٦٢١) وابن ماجه (١٨٠٥) .

وَعَدَمِهِ . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٩١٤ مالِكٌ الحَزينُ : قالَ الجوهريُّ[١] : إِنَّهُ من طَيْرِ المَاءِ .

وَقالَ ابْنُ بَرِّي في « حَواشِيهِ » : إِنَّهُ البَلَشون . قالَ : وَهو طائِرٌ طَويلُ العُنُقِ والرِّجْلَيْنِ . ا هـ .

● قالَ الجاحِظُ[٢] : من أَعاجِيبِ الدُّنْيا : أَمْرُ مالِكِ الحَزِينِ ؛ لأَنَّهُ لا يَزالُ يَقْعُدُ بِقُرْبِ المِياهِ ، وَمَواضِعِ نَبْعِها من الأَنْهارِ وَغَيْرِها ، فإِذا نَشفَتْ يَحْزَنُ على ذَهابِها ، وَيَبْقىٰ حَزيناً كَئِيباً ؛ وَرُبَّما تَرَكَ الشُّرْبَ حتَّى يَمُوتَ عَطَشاً ، خَوْفاً من زِيادَةِ نَقْصِها بِشُرْبِهِ مِنْها .

قالَ : وَقِريبٌ من هذا : دُودَةٌ تُضِيءُ بِاللَّيْلِ كَضَوْءِ الشَّمْعِ ، وَتَطِيرُ بِالنَّهارِ فَيُرى لَها أَجْنِحَةٌ ، وَهِيَ خَضْراءُ مَلْساءُ ، غِذاؤُها التُّرابُ ، لَمْ تَشْبَعْ مِنهُ قَطُّ ، خَوْفاً أَنْ يَفْنىٰ تُرابُ الأَرْضِ فَتَهْلِكَ جُوعاً .

قالَ : وَفِيها خَواصُّ كَثيرَةٌ وَمَنافِعُ واسِعَةٌ .

وَهذا الطَّائِرُ لَمَّا كان يَقْعُدُ عِندَ المِياهِ التي انْقَطَعَتْ عن الجَرْيِ ، وَصارَتْ مَخْزُونَةً سُمِّيَ مالِكاً ؛ وَلَمَّا كان يَحْزَنُ على ذَهابِها ، سُمِّيَ بِالحَزِينِ ، وَهُوَ عَطْفُ بَيانٍ لِمالِكٍ ، كَما يُقالُ : أَبو حَفْص عُمَرُ .

● وَقالَ التَّوحيديُّ في « كِتابِ الإِمْتاعِ والمُؤانَسَةِ »[٣] : مالِكٌ الحَزِينُ : يَنْشُلُ الحِيْتانَ من الماءِ فَيأكُلُها ، وَهِيَ طَعامُهُ ؛ وَهُوَ لا يُحْسِنُ السِّباحَةَ ، فإِنْ أَخْطَأَهُ الانْتِشالُ وَجاعَ ، طَرَحَ نَفْسَهُ على شاطِىءِ البَحْرِ ، وَفي بَعْضِ

---

(١) الصِّحاح « ملك » ٤/ ١٦١٢ .

(٢) لم يرد هذا النَّصّ في الحيوان ، وهو منقول عن الجاحظ في مروج الذَّهب ٥/ ٢٢٣ و ٢٢٤ وعجائب المخلوقات ٢٨٥ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩١ . وانظر ما مضى في « الكركي » .

(٣) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٩٠ .

ضَحْضاحاتِهِ ، فإذا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ السَّمَكُ الصِّغارُ ، أَسْرَعَ إِلى خَطْفِ ما اسْتَطاعَ مِنْها ، وَلا يَحْتاجُ إِلى تَزاوُجٍ وَلا سِفادٍ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ .

وَمِنْ خَواصِّهِ : أَنَّ لَحْمَه غَلِيظٌ بارِدٌ ، يُوَلِّدُ إِدْمانُ أَكْلِهِ البَواسِيرَ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في خُطْبَةِ الكِتابِ ، أَنَّ ضَبْطَ هذا كان من جُمْلَةِ الأَسْبابِ الباعِثَةِ على تَأْلِيفِهِ ، خَوْفاً من تَصْحِيفِ لَفْظِهِ وَتَحْرِيفِهِ ؛ وَاللهُ تَعالى المُوَفِّقُ .

٩١٥ المُتَرَدِّيَةُ : هِيَ التي وَقَعَتْ في بِئْرٍ ، أَو من مَكانٍ عالٍ ، فَماتَتْ ؛ وَلا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَقَعَ بِنَفْسِها أَو بِسَبَبٍ آخَرَ ، فَإِنَّها مُتَرَدِّيَةٌ .

وَحُكْمُها : تَحْرِيمُ الأَكْلِ بالإِجْماعِ .

٧١٦ المُجَثَّمَةُ : بفَتْحِ الجِيمِ ، وَتَشْدِيدِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ : هِيَ التي تُلْقىٰ على الأَرْضِ مَرْبُوطَةً ، وَتُتْرَكُ حَتَّى تَمُوتَ[١] .

● قالَ القَزْوِينيُّ : الجُثُومُ للطَّيْرِ وَالنَّاسِ ، بِمَنْزِلَةِ البُرُوكِ للبَعِيرِ ؛ وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ جَٰثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨] أَي بَعْضُهم على بَعْضٍ . وجاثِمِينَ : بارِكِينَ على الرُّكَبِ أَيْضاً .

● رَوى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن الجَلاَّلَةِ ، وَعَنِ المُجَثَّمَةِ ، وَعَنِ الخَطْفَةِ[٢] .

٩١٧ المثا : الفَراشُ[٣] . وَقَد تَقَدَّمَ في « بابِ الفاءِ » .

---

(١) في الصِّحاح « جثم » ٥/ ١٨٨٢ : والمُجَثَّمَةُ : المَصبورةُ ، إلاَّ أَنَّها في الطَّيْرِ خاصَّةً ، وَالأَرانب وأَشباه ذلك ؛ تُجْثَمُ ثم تُرمى حتَّى تُقْتَلَ . وقد نُهي عن ذلك .

(٢) النِّهاية ٢/ ٤٩ . والخَطْفَةُ : ما اختطف الذِّئب من أَعضاء الشَّاةِ وهي حَيَّةٌ .

(٣) ليس في معاجم اللُّغة ما يُفيد هذا المعنى . ولعلَّ المؤلِّف رحمهُ اللهُ اشتبهَ عليْهِ قول ابن منظور « مثل » : المِثال : الفِراش .

٩١٨ **المُدَبَّجُ** : طائِرٌ من طَيْرِ الماءِ ، قَبيحُ الهَيْئَةِ . قالَهُ ابْنُ سِيْدَه(١) .

٩١٩ **المَرْءُ** : الرَّجُلُ(٢) . تَقُولُ : هذا مَرْءٌ صالِحٌ ، وَرَأَيْتُ مَرْءاً صالِحاً ، وَمَرَرْتُ بِمَرْءٍ صالِحٍ ؛ وَلا يُجْمَعُ على لَفْظِهِ ، وَبَعْضُهُم يَقُولُ : المَرْؤُون(٣) ؛ وَرُبَّما سَمَّوا الذِّئْبَ امْرَأً .

وَذَكَرَ يُونسُ أَنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ(٤) : [من الطَّويل]

وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَعْدُو على كُلِّ غِرَّةٍ   فَتُخْطِئُ فِيها تارَةً وَتُصِيبُ

يَعني بِهِ الذِّئْبَ ، وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٩٢٠ **المِرْزَمُ** : من طَيْرِ المَاءِ ، طَوِيلُ الرِّجْلَيْنِ وَالعُنُقِ ، أَعْوَجُ المِنْقارِ ، في أَطْرافِ جَناحَيْهِ سَوادٌ ؛ أَكْثَرُ أَكْلِهِ السَّمَكُ(٥) .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ .

٩٢١ **المُرَعَةُ** : بِضَمِّ المِيمِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ والعَيْنِ المُهملتين ، كالهُمَزَةِ : طائِرٌ حَسَنُ اللَّوْنِ ، طَيِّبُ الطَّعْمِ ، على قَدْرِ السُّمانى ؛ وَجَمْعُها مُرَعٌ ، بِضَمِّ الميمِ ، وفَتْحِ الرَّاءِ . قالَهُ ثَعلبٌ وابْنُ السِّكِّيتِ ؛ وهي تُشْبِهُ الدُّرَّاجَةَ(٦) .

---

(١) في ط : المربح . والمثبت من أ ، ب . وفي المخصّص ٨/ ١٦٤ : المُدَبَّج : طائرٌ يُشْبِهُ القُمْريّ ، إلاَّ أَنَّهُ أكبر منه .

(٢) المادَّة كلُّها عن الصّحاح « مرأ » ١/ ٧٢ .

(٣) هذه العبارة لم ترد في الصِّحاح ، وفيه : وبعضهم يقول : هذه مَرْأَةٌ صالِحَةٌ ، وَمَرَةٌ أَيْضاً بِتَرْكِ الهَمْزَةِ ، وَبتحريكِ الرَّاء بحركتها .

ولكن هذه الصِّيغة « المرؤون » ذكرها القاموس والتَّاج . فهي صحيحة .

(٤) البيت بلا نسبة في الصّحاح واللِّسان والتَّاج « مرأ » .

(٥) لم أَقف على مَن ذَكَرهُ .

(٦) في المخصّص ٨/ ١٥٣ : طائِرٌ أَخضر ، ولا يكاد يُرى إلا في المطر . وفي اللِّسان « مرع » : طيرٌ صغارٌ ، لا يَظهرُ إلا في المطر ، شبيهٌ بالدُّرَّاجة .

وَحُكْمُها : حِلُّ الأَكْلِ .

الخَواصُّ : قالَ ابنُ زُهْرٍ : إذا شُقَّ جَوْفُها ، وَوُضِعَ على الشَّوْكِ والنَّصْلِ الغائِصِ في اللَّحْمِ : أَخْرَجَهُ من غيرِ مَشَقَّةٍ .

٩٢٢ مُسْهِرٌ : قال هِرمس : إِنَّهُ طائِرٌ لا يَنامُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَهُوَ في النَّهارِ يَطْلُبُ مَعاشَهُ ؛ ولهُ في اللَّيْلِ صَوْتٌ حَسَنٌ يُكَرِّرُهُ وَيُرَجِّعُهُ ، يَلْتَذُّ بِهِ كُلُّ مَن يَسْمَعُهُ ، وَلا يَشْتَهِي النَّوْمَ سامِعُهُ من لَذَّةِ سَماعِهِ .

وَمِن خَواصِّهِ : أَنَّهُ إذا جُفِّفَ دِماغُهُ في ظِلٍّ ، وأُخِذَ منهُ وَزنُ دِرْهَمٍ ، وَسُعِّطَ بِهِ إِنْسانٌ مع دُهْنِ اللَّوْزِ ، لا يَنامُ أَصْلاً ، وَيُصيبُهُ من الكَرْبِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، حتَّى يَظُنَّهُ من يَراهُ أَنَّهُ شارِبُ خَمْرٍ .

وَمَنْ أَمْسَكَ رَأْسَ هذا الطَّائِرِ في يَدِهِ ، أَو عَلَّقَهُ عليْهِ ، أَذْهَبَ الوَحْشَةَ والوَسْوَاسَ عنهُ ، وَأَوْرَثَهُ من الطَّرَبِ ما يُخْرِجُهُ إِلى حَدِّ الرَّعانَةِ .

٧٢٣ المَطِيَّةُ : النَّاقَةُ التي يُرْكَبُ مَطاها ، أَي ظَهْرُها ؛ وَجَمْعُها : مَطايا وَمُطِيٌّ .

وَقالَ الجوهريُّ[١] : المَطِيُّ : واحِدٌ وَجَمْعٌ ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ . وَالمَطايا : فَعالى ، وَأَصْلُهُ فَعائِلُ ، إلاّ أَنَّهُ فُعِلَ بِهِ ما فُعِلَ بِخَطايا .

قالَ أَبُو العَمَيْثَل : المَطِيَّةُ تُذَكَّرُ وَتُؤَنَّثُ .

● ولمَّا رأَى الشَّيْخُ أَبو الفَضْلِ الجَوْهَرِيّ مَدينةَ النَّبيِّ ﷺ أَنْشَدَ يَقُولُ[٢] :

[من الكامل]

رُفِعَ الحِجابُ لَنا فَلاحَ لِناظِري   قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الأَوْهامُ

---

(١) الصّحاح « مطي » ٦/ ٢٤٩٤ .

(٢) الأَبيات لأَبي نواس ، من قصيدة في مدح محمَّد الأَمين ، في ديوانه ١/ ١٢٢ .

وإذا المَطِيُّ بِنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً فَظُهُورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرامُ
قَد زَوَّرَتْنا خَيْرَ مَن وَطِىءَ الثَّرى فَلَها عَلَيْنا حُرْمَةٌ وَذِمامُ

الذِّمامُ : بِالذَّالِ المُعْجَمَةِ : الحُرْمَةُ .

● وقالَ السُّهيليُّ في غَزوةِ مُؤْتَة :

وإذا المَطِيُّ بِنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً

هُو من شِعْرِ أَبي نُواسٍ[1] .

قالَ : وَقد أَحْسَنَ في ذلك ؛ وَقد أَساءَ الشَّمَّاخُ حَيثُ قالَ[2] : [من الوافر]

إذا بَلَّغْتِني وَحَمَلْتِ رَحْلي عَرابَةَ فاشْرَقي بِدَمِ الوَتِيْنِ

وَعَرابَةُ هذا : رَجُلٌ من الأَنْصارِ ، وَكانَ من الأَجْوادِ .

● قالَ عبدُ اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : رَأَيْتُ رَجُلاً طائِفاً بِالبَيْتِ الحَرامِ ، حامِلاً أُمَّهُ على ظَهْرِهِ ، وَهُو يَقُولُ[3] : [من الرَّجز]

إِنِّي لَها مَطِيَّةٌ لا تُذْعَرُ إذا الرِّكابُ نَفَرَتْ لا تَنْفِرُ
مَا حَمَلَتْ وأَرْضَعَتْني أَكْثَرُ اللهُ رَبِّي ذُو الجَلالِ أَكْبَرُ

● وَذَكَرَ ابنُ خلّكان وغيرُهُ[4] : إِنَّ أَمْدَحَ بَيْتٍ قالَتْهُ العَرَبُ ، قَوْلُ جَريرٍ لِعبدِ المَلِكِ بن مَروانَ[5] : [من الوافر]

أَلستُم خَيْرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأَنْدى العالَمينَ بُطونَ راحِ

---

(١) بل الثَّلاثة لأَبي نواس ، وينظر الرَّوض الأُنف ٧/ ١٦٩ـ١٧٠ .
(٢) ديوانه ٣٢٣ .
(٣) الخبر والأَشطار في المناقب والمثالب ٣٤٩ والعققة والبررة (ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٦٨) ومكارم الأَخلاق لابن أَبي الدُّنيا ١٢٦ ومحاضرات الرَّاغب ١/ ٣٢٧ .
(٤) وفيات الأَعيان ١/ ٣٢١ .
(٥) ديوانه ١/ ٨٩ .

وَأَهْجَىٰ بَيْتٍ قالَتْهُ العَرَبُ ، قَوْلُ الأَخْطَلِ يَهْجو جَريراً[1] : [من البسيط]

قَـوْمٌ إِذا اسْتَنْبَـحَ الأَضيـافُ كَلْبَهُـم   قـالُـوا لأُمِّهِـم بـولـي علـى النَّـارِ

وَأَحْكَمُ بَيْتٍ قالَتْهُ العَرَبُ ، قَوْلُ طَرَفَةَ[2] : [من الطَّويل]

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً   وَيَـأْتِيْـكَ بِـالأَخْبـارِ مَـن لَـمْ تُـزَوِّدِ

وَأَحْمَقُ بَيْتٍ قَالَتْهُ العَرَبُ ، قَوْلُ القائِلِ ـ وَهُوَ أَبُو مِحْجَنٍ الثَّقفيّ[3] : [من الطَّويل]

إِذا مِـتُّ فـادْفِنِّـي إِلـى جَنْـبِ كَـرْمَـةٍ   تُرَوِّي عِظامي بَعْدَ مَوْتي عُرُوقُها[4]
وَلا تَـدْفِنَنِّـي فـي الفَـلاةِ فـإِنَّنـي   أَخـافُ إِذا مـا مُـتُّ أَنْ لا أَذوقُهـا

● وَرُوِيَ[5] في حَديثِ مُعاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قالَ لابنِ أَبي مِحْجَنٍ الثَّقفيِّ : أَبُوكَ الذي يَقولُ : إِذا مِتُّ فادْفِنِّي . . . البَيْتَين ؟ فقالَ : أَبي الذي يَقُولُ[6] : [من البسيط]

وَقـد أَجـودُ وَمـا مـالـي بِـذي قَنَـعٍ   وَأَكْتُـمُ السِّـرَّ فِيـهِ ضَـرْبَـةُ العُنُـقِ

وَأَغْزَلُ بَيْتٍ قَالَتْهُ العَرَبُ ، قَوْلُ جَرِيرٍ[7] : [من البسيط]

---

(١) ديوانه ٢/ ٦٣٦ . ونسب في العقد الفريد ٦/ ١٨٧ إلى جرير ، وليس في ديوانه . وفي المناقب والمثالب ١٣١ لمحمَّد بن حمَّاد بن حمَّاد بن المؤمَّل .

(٢) ديوانه ٤٨ .

(٣) ديوانه ٢٣ .

(٤) في أ ، ب : × . . . في الممات عروقها .

(٥) الأغاني ١٩/ ١٠ ـ ١١ والشِّعر والشُّعراء ١/ ٤٢٤ وخزانة البغداديّ ٨/ ٤١١ والإصابة ٧/ ٣٠١ والاستيعاب ٤/ ١٧٤٩ وأسد الغابة ٦/ ٢٧٧ وديوان أَبي محجن ٢٣ .

(٦) البيت هُنا ملفَّق من بيتين ، وروايتهما في الدِّيوان ١٩ و ٢١ :

وَقـد أَجُـودُ وَمـا مـالـي بِـذي قَنَـعٍ   وَقَـدْ أَكُـرُّ وراءَ المُحْجَـرِ البَـرِقِ
وأَكشِـفُ المَـأْزِقَ المَكْـروبَ غُمَّتُـهُ   وَأَكتُـمُ السِّـرَّ فِيـهِ ضَـرْبَـةُ العُنُـقِ

(٧) ديوانه ١/ ١٦٣ .

إِنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ قَتَلْنَنا ثُمَّ لَمْ يُحيينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حَتَّى لا حَراكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ إِنْسانا

● **فائِدَةٌ** : رَوى الطَّبرانيُّ في « الدَّعواتِ »[١] من حَديثِ ابْنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا تَسُبُّوا الدُّنْيا ، فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ المُؤْمِنِ ، عَلَيْها يَبْلُغُ الجَنَّةَ ، وَبِها يَنْجُو من النَّارِ » .

● وقالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : لا تَسُبُّوا الدُّنْيا ، فَفيها تُصَلُّونَ ، وَفِيها تَصُومُونَ ، وفيها تَعْمَلُونَ .

فإِنْ قِيلَ : كَيفَ يُجْمَعُ بَينَ هذا وبينَ قَولِهِ ﷺ[٢] : « الدُّنْيا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ ما فِيها ، إِلاّ ذِكْرُ اللهِ وَما والاهُ ، أَو عالِمٌ أَو مُتَعَلِّمٌ » .

فَالجَوابُ ما قالَهُ شَيْخُ الإسلامِ عِزُّ الدِّينِ بن عَبدِ السَّلامِ في آخِرِ « الفَتاوى المَوْصِليَّة » : إِنَّ الدُّنْيا التي لُعِنَت هِيَ المُحَرَّمَةُ ، التي أُخِذَتْ بِغَيْرِ حَقِّها ، أَو صرِفَتْ إِلى غَيرِ مُسْتَحِقِّها .

وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الباءِ المُوَحَّدة » في ذِكْرِ « البَعُوضِ » ما قالَهُ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ القُرطبيُّ في ذلكَ ، وَهُوَ حَسَنٌ فَراجِعْهُ .

● وَفي الحديثِ[٣] : « بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ : زَعَمُوا » .

شَبَّهَ ما يُقَدِّمُهُ المُتَكَلِّمُ أَمامَ كَلامِهِ ، وَيَتَوَصَّلُ بِهِ إِلى غَرَضِهِ من قَولِهِ : زَعَمُوا كذا وكذا ، بِالمَطِيَّةِ التي يُتَوَصَّلُ بها إِلى الحاجَةِ ؛ وإِنَّما يُقالُ : زَعَمُوا ، في حَدِيثٍ لا سَنَدَ لَهُ ، وَلا ثَبَتَ فِيهِ ؛ وَإِنَّما يُحْكى على الأَلْسُنِ على سَبيلِ البَلاغِ ، فَذَمَّ من الحَديثِ ما هذا سَبيلُهُ .

---

(١) الدُّعاء للطَّبرانيّ ٣/ ١٧١٩ .
(٢) التّرمذيّ (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢) .
(٣) الحديث والشَّرح عن النِّهاية ٢/ ٣٠٣ .

● وَفي « الكَشَّافِ »[1] وغيرِهِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « زَعَمُوا ، مَطِيَّةُ الكَذِبِ » .

وقالَ ابنُ عُمر وشُريح[1] : لِكُلِّ شَيْءٍ كُنْيَةٌ ، وَكُنْيَةُ الكَذِبِ : زَعَمُوا .

قالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : ولا يُوجَدُ « زَعَمَ » مُستعملةً في فَصِيحِ الكَلامِ إلاّ عِبارةً عن الكَذِبِ ، أَو قَولٍ انفَرَدَ بِهِ قائِلُهُ ، وَتَبْقى عُهْدَتُهُ على الزَّاعِمِ ؛ فَفي ذلكَ ما يَنْحُو إلى تَضْعِيفِ الزَّعْمِ .

وقولُ سِيبويه : زَعَمَ الخَليلُ كذا ؛ إِنَّما يَجيءُ فِيما تَفَرَّدَ الخليلُ بِهِ .

● **تَتِمَّةٌ** : قالَ شَيخُ الإِسلامِ النَّوويُّ : رَوَيْنا بالإِسْنادِ الصَّحيحِ في « جامع التِّرمذيِّ »[2] وغيرِهِ ، عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ آباطَ المَطِيِّ في طَلَبِ العِلْمِ ، فَلا يَجِدُونَ عالِماً أَعْلَمَ من عالِمِ المَدينَةِ » .

قالَ التِّرمذيُّ : حَديثٌ حَسَنٌ . قالَ : وَقد رُويَ عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قالَ : هُو مالِكُ بن أَنَسٍ . انتهى .

وَالحَديثُ المذكورُ ، رَواهُ « النَّسائيُّ » والحاكِمُ في أَوائِلِ « المستدرك » من حَديثِ ابنِ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن أَبي الزُّبَيْرِ ، عن أَبي صالِحٍ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « يُوشِكُ أَنْ تَضْرِبُوا أَكْبادَ الإِبلِ ، فَلا تَجِدُوا عالِماً أَعْلَمَ مِنْ عالِمِ المَدينَةِ » . ثُمَّ قال : صَحيحٌ على شَرْطِ مُسلمٍ وَلَمْ يُخْرِجْهُ . انتهى .

قُلتُ : إِنَّما لَمْ يُخْرِجْهُ مُسلمٌ ، لأَنَّهُ سَأَلَ البُخاريَّ عنهُ ، فقالَ : لَهُ عِلَّةٌ ؛

---

(١) الكشاف ٤/ ١١٤ .

(٢) التِّرمذيّ (٢٦٨٠) ومسند أَحمد ٢/ ٢٩٩ والحاكم ١/ ٩١ والنَّسائيّ في الكُبرى .

وَهيَ أَنَّ أَبا الزُّبَيْرِ لَمْ يَسْمَعْ من أَبي صالِحٍ .

ولمَّا رَوى « النَّسائيُّ في السُّنَنِ الكُبرى » هذا الحَديثَ من رِوايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أَبي الزِّنادِ ، عن أَبي هُرَيرةَ ؛ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ : هذا خَطَأٌ ؛ وَالصَّوابُ : عن أَبي الزُّبَيْرِ ، عن أَبي صالِحٍ ، عن أَبي هُريرةَ .

وَقيلَ[1] : عالِمُ المَدينَةِ : عبدُ اللهِ بن عَبدِ العَزيزِ بن عَبدِ اللهِ بن [عبدِ اللهِ ابن] عُمر بن الخَطَّابِ العُمَريُّ ، المَدَنيُّ ، الزَّاهِدُ[2] .

رَوَى عَنهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ وابْنُ المُبارَكِ وغَيْرُهُما ؛ وَكانَ من أَزْهَدِ أَهْلِ زَمانِهِ ، وَأَشَدِّهم تَخَلِّياً للعِبادَةِ .

● وَرُوِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ قالَ : واللهِ إِنِّي أُريدُ الحَجَّ كُلَّ سَنَةٍ ، ما يَمْنَعُني من ذلكَ إلاَّ رَجلٌ من وَلَدِ عُمر رَضِيَ اللهُ عنه يُسْمِعُني ما أَكْرَهُ ؛ يَعني العُمَريَّ .

● تُوفِّيَ العُمَريُّ سَنَةَ أَربعٍ وثَمانين ومئَةٍ ، بعدَ مالِكٍ بنحوِ سِتِّ سِنين ، وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وسِتِّينَ سنةً .

● قالَ عُمرُ بن شَبَّةَ[3] : حَدَّثَنا أَبُو يَحيى الزُّهريُّ ، قالَ : قالَ عبدُ اللهِ بن عبدِ العَزيزِ العُمَريُّ عِندَ مَوْتِهِ : بِنِعْمَةِ رَبِّي أُحَدِّثُ ؛ لو أَنَّ الدُّنْيا أَصْبَحَتْ تَحْتَ قَدَمي ، لا يَمْنَعُني من أَخْذِها إِلاَّ أَنْ أُزِيلَ قَدَمي عَنْها ، ما أَزَلْتُها .

وَكَتَبَ العُمَريُّ إِلى مالِكٍ وابنِ أَبي ذِئبٍ وابنِ دِينارٍ وغيرِهم بِكُتُبٍ أَغْلَظَ لَهم فيها ، فجاوَبَهُ مالِكٌ جَوابَ فَقيهٍ .

● قالَ ابْنُ عبدِ البَرِّ في « التَّمهِيدِ » : كَتَبَ العُمَرِيُّ العابِدُ إِلى مالِكٍ يَحضهُ

---

(١) هذا أَحد قولي ابن عيينة في « التّرمذيّ » والسِّير ٨/ ٣٧٤ .

(٢) ترجمته في : حلية الأولياء ٨/ ٢٨٣ وتهذيب الكمال ١٥/ ٢٤١ وسير أَعلام النُّبلاء ٨/ ٣٧٣ .

(٣) حلية الأَولياء ٨/ ٢٨٣ والسِّير ٨/ ٣٧٥ .

على الانْفِرادِ والعَمَلِ ، وَيَرْغَبُ بِهِ عن الاجْتِماعِ عليْهِ في العِلْمِ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مالِكٌ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَ الأَعمالَ كَما قَسَمَ الأَرْزاقَ ؛ فَرُبَّ رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ في الصَّلاةِ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ في الصَّوْمِ ، وآخَرُ فُتِحَ لَهُ في الصَّدَقَةِ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ في الصِّيامِ ، وآخَرُ فُتِحَ لَهُ في الجِهادِ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ في الصَّلاةِ ؛ وَنَشْرُ العِلْمِ وَتَعْلِيمُهُ من أَفْضَلِ أَعْمالِ البِرِّ ، وَقد رَضِيتُ بما فَتَحَ اللهُ لِي فِيهِ من ذلكَ ، وَما أَظُنُّ ما أَنا فِيهِ بِدُونِ ما أَنْتَ فِيهِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِلانا على خَيْرٍ وَبِرٍّ ، ويَجبُ على كُلِّ واحِدٍ مِنَّا أَنْ يَرْضَى بِما قَسَمَ اللهُ لَهُ . وَالسَّلامُ .

● وَفي « الإِحْياءِ » في البابِ السَّادِسِ من « أَبْوابِ العِلْمِ »[1] : يُحكى أَنَّ يحيى بنَ يَزيد النَّوفليَّ كَتَبَ إِلى مالِك بن أَنَسٍ :

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

وصلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمَّد في الأَوَّلينَ والآخِرين

من يَحيى بن يَزيد إِلى مالِكِ بن أَنَسٍ ؛ أَمَّا بَعد :

فَقَد بَلَغَني أَنَّكَ تَلْبَسُ الرِّقاقَ ، وَتَأْكُلُ الرِّقاقَ ، وَتَجلسُ على الوِطاءِ ، وَتَجْعَلُ على بابِكَ حُجَّاباً ، وَقَدْ جَلَسْتَ مَجْلِسَ العِلْمِ ، وَضُرِبَتْ إِلَيْكَ آباطُ المَطِيِّ ، وارْتَحَلَ إِلَيكَ النَّاسُ ، فاتَّخَذُوكَ إِماماً ، وَرَضُوْا بِقَوْلِكَ ؛ فاتَّقِ اللهَ يا مالِكُ ، وَعَليكَ بِالتَّواضُعِ .

كَتَبْتُ إِليكَ بِالنَّصيحَةِ مِنِّي كِتاباً ، ما اطَّلَعَ عليْهِ إِلاّ اللهُ . وَالسَّلامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مالِكُ بن أَنَسٍ :

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

من مالك بن أَنَسٍ إِلى يَحْيى بن يَزيد : سَلامٌ عَليكَ ، أَمَّا بَعدُ :

---

(١) إحياء علوم الدِّين ١/ ٥٩ ـ ٦٠ .

فَقد وَصَلَ إِليَّ كِتابُكَ ، فَوَقَعَ مني مَوْقِعَ النَّصيحَةِ من المُشْفِقِ ، أَمْتَعَكَ اللهُ بالتَّقْوى ، وَجَزاكَ وَخَوَّلَكَ بالنَّصِيحَةِ خَيْراً ، وأَسْأَلُ اللهَ التَّوفيقَ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ باللهِ العَليِّ العَظِيمِ .

وَأَمَّا ما ذَكَرْتَ من أَنِّي آكُلُ الرِّقاقَ ، وَأَلبسُ الرِّقاقَ ، وأَجلسُ على الوطاءِ ، فَنحنُ نَفعلُ ذلِكَ ونَسْتغفرُ اللهَ تَعالى ؛ وَقد قالَ سُبحانَهُ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ [الأعراف : ٣٢] وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ تَرْكَ ذَلِكَ خَيْرٌ من الدُّخُولِ فِيهِ ، فَلا تَدَعْنا من كِتابِكَ ، فإِنَّا لَيْسَ نَدَعُكَ من كِتابِنا . وَالسَّلامُ .

● وَفيهِ أَيْضاً[1] : وَرُوِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ أَعطاهُ ثَلاثَةَ آلافِ دِينارٍ ، فَأَخَذَها وَلَمْ يُنْفِقْها ، فلمَّا أَرادَ الرَّشِيدُ الشُّخُوصَ إِلى العِراقِ ، قالَ لِمالِكٍ : يَنْبَغي أَنْ تَخْرُجَ مَعَنا ، فإِنِّي عَزَمْتُ أَنْ أَحمِلَ النَّاسَ على « المُوَطَّأ » كما حَمَلَ عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عنه النَّاسَ على القُرآنِ . فقالَ لَهُ : أَمَّا حَمْلُ النَّاسِ على « المُوَطَّأ » فَلَيسَ إِلى ذلكَ سَبيلٌ ؛ فإِنَّ أَصْحابَ محمَّدٍ ﷺ افْتَرَقُوا بَعْدَهُ في الأَمْصارِ فَحَدَّثُوا ، فَعِندَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ عِلْمٌ ، وَقد قالَ ﷺ : « اخْتِلافُ أُمَّتي رَحْمَةٌ » . وَأَمَّا الخُرُوجُ معكَ ، فَلا سَبيلَ إِلَيْه ؛ قالَ ﷺ[2] : « المَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُم لو كانُوا يَعْلَمُونَ » . وقالَ ﷺ : « المَدينَةُ تَنْفِي خَبَثَها كَما يَنْفي الكِيْرُ خَبَثَ الحَديدِ » . وَهذِهِ دَنانيرُكم كما هِيَ ، إِنْ شِئْتُم فَخُذُوها ، وإِنْ شِئْتُم فَدَعُوها .

يَعني : إِنَّما تُكَلِّفُني الخُرُوجَ معكَ ، ومُفارَقَةَ المَدينَةِ ، بما اصْطَنَعْتَهُ لَدَيَّ ، فَلا أُوثِرُ الدُّنْيا على مَدينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ وَهَذا يَدُلُّ على زُهْدِهِ في الدُّنْيا رَحمهُ اللهُ .

---

(١) في الحلية ٦/ ٣٣١ : أَنَّ المأمون هو الذي أَعطى مالكاً ثلاثة آلاف دِينارٍ . وفي سير أعلام النُّبلاء ٨/ ٦٢ وتذكرة الحفّاظ ١/ ٢١٠ أَنَّهُ المهديّ . وفي السِّير ٨/ ٧٨ أَنَّه المنصور .

(٢) المُوطَّأ ٢/ ٨٨٧ ـ ٨٨٨ ومسلم (١٣٨٨) .

● وَفيهِ أَيْضاً[١] : أَنَّ الشَّافعيَّ رحمهُ اللهُ قال : شَهِدْتُ مالِكاً رحمهُ اللهُ وقد سُئِلَ عن ثَمانٍ وأَربعينَ مَسأَلَةً ، فقالَ في اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ منها : لا أَدْري .

وَهذا يَدُلُّ على أَنَّهُ كان يُريدُ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللهِ تَعالى ؛ فإِنَّ مَن يُرِيدُ غيرَ وَجْهِ اللهِ بِعِلْمِهِ ، لا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِأَنْ يُقِرَّ على نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لا يَدْرِي .

وَلِذلكَ قالَ الشَّافعيُّ : إِذا ذُكِرَ العُلماء ، فمالِكٌ النَّجْمُ ؛ وَمَا أَحَدٌ أَمَنَّ عليَّ من مالِكٍ .

● وَقيلَ : إِنَّ أَبا جَعفر المنصور[٢] مَنَعَهُ من رِوايَةِ الحَدِيثِ في طَلاقِ المُكْرَهِ ، ثُمَّ دَسَّ عليْهِ مَن سَأَلَهُ ، فَرَوى عن مَلأٍ مِن النَّاسِ « لَيْسَ على مُكْرَهٍ طَلاقٌ » . فَضَرَبَهُ بالسِّياطِ .

فانْظُرْ كَيفَ اخْتارَ ضَرْبَ السِّياطِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ رِوايَةَ الحَديثِ .

● وَفي « الحِلْيَةِ »[٣] : أَنَّ الشَّافعيَّ رحمهُ اللهُ قالَ : قالَتْ لِي عَمَّتي وَنَحنُ بمَكَّةَ : رَأَيْتُ في هذِهِ اللَّيْلَةِ عَجَباً . فَقُلْتُ لَها : وَما هُو ؟ قالَتْ : رَأَيْتُ كأَنَّ قَائِلاً يَقولُ لِي : ماتَ اللَّيْلَةَ أَعْلَمُ أَهْلِ الأَرْضِ .

قالَ الشَّافعيُّ : فَحَسِبْنا ذلِكَ ، فإِذا هِيَ لَيْلَةُ ماتَ مالكُ بنُ أَنسٍ رحمهُ اللهُ تَعالى .

● وَقالَ عبدُ الرَّحمن بن مَهْدي : لا أُقَدِّمُ على مالِكٍ أَحَداً .

● وَكانَ مالِكٌ يَقولُ : إِذا لَمْ يَكُنْ لِلإِنسانِ في نَفْسِهِ خَيْرٌ ، لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِيهِ خَيْرٌ .

---

(١) السِّير ٨/ ٧٧ .

(٢) السِّير ٨/ ٨٠ . وفي الحلية ٦/ ٣١٦ والسِّير ٨/ ٨٠ أَنَّ الذي ضربه هو جعفر بن سليمان العبَّاسيّ .

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٣٠ .

● وَفي « الحِلْيَةِ » أَيْضاً[1] : قال مالِكٌ : ما بِتُّ لَيْلَةً ، إلاّ رَأَيْتُ فِيها رَسُولَ اللهِ ﷺ . انتهى .

● وَكانَ[2] مالِكٌ رحمهُ اللهُ إماماً ، عالِماً ، عابِداً ، زاهِداً ، وَرِعاً ، عارِفاً باللهِ تَعالى ؛ وَكانَ مُبالِغاً في تَعْظِيمِ عِلْمِ الدِّيْنِ ، لا سِيَّما حَديثَ رَسولِ اللهِ ﷺ ؛ فإنَّهُ كان إذا أَرادَ أَنْ يُحَدِّثَ ، تَوَضَّأَ ، وَجَلَسَ على صَدْرِ فِراشِهِ ، وَسَرَّحَ لِحْيَتَهُ ، وَتَمَكَّنَ في الجُلُوسِ على وَقارٍ وهَيْبَةٍ ، ثمَّ حَدَّثَ ؛ فقيلَ لَهُ في ذلكَ ، فقالَ : إنِّي أُحِبُّ أَنْ أُعَظِّمَ حَديثَ رَسولِ اللهِ ﷺ .

● وَكانَ يَقُولُ : العِلْمُ نُورٌ ، يَجْعَلُهُ اللهُ حَيثُ شاءَ ، وَلَيسَ هُو بِكَثْرَةِ الرِّوايَةِ .

● وَقَد مَدَحَهُ بعضُ العُلماءِ ، فقالَ[3] : [من الكامل]

يَدَعُ الكَلامَ فَلا يُراجَعُ هَيْبَةً ... وَالسَّائِلُونَ نَواكِسُ الأَذْقانِ
سِيْما الوَقارِ وَعِزُّ سُلْطانِ التُّقى ... فَهُوَ المَهِيْبُ وَلَيْسَ ذا سُلْطانِ

● تُوفِّيَ الإمامُ مالك رحمهُ اللهُ تَعالى ، في سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبعينَ ومئَةٍ[4] .

٩٢٤ المعراج : دابَّةٌ عَظيمَةٌ عَجيبَةٌ ، مثلُ الأَرْنَبِ ، صَفْراءُ اللَّوْنِ ، على رَأْسِها قَرْنٌ واحِدٌ أَسْوَدُ ، لَمْ يَرَها شَيْءٌ من السِّباعِ والدَّوابِّ إلاّ هَرَبَ . ذَكَرَها

---

(١) الحلية ٦/ ٣١٧ .

(٢) الحلية ٦/ ٣١٨ وابن خلّكان ٤/ ١٣٥ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٩٤ وسرح العيون ٢٦٠ .

(٣) هما لعبد الله بن سالم الخيَّاط ، في الموفقيَّات ٣٤٩ وترتيب المدارك ٢/ ١٦١ وثمار القلوب ٢/ ٩٦٤ وكامل المبرد ٢/ ٨٤٨ .
وهما له أو لابن المبارك في زهر الآداب ١/ ٧٥ وديوانه ٩٢ .
وبلا نسبة في : ترتيب المدارك ٢/ ٣٤ وعيون الأَخبار ١/ ٢٩٤ و ٢/ ١٣٦ والحلية ٦/ ٣١٨ ـ ٣١٩ والعقد الفريد ٢/ ٢٢١ وديوان المعاني ١/ ٣٢٣ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٩٥ .

(٤) أَهم مصادر ترجمته : حلية الأَولياء ٦/ ٣١٦ ووفيات الأَعيان ٤/ ١٣٥ وتهذيب الكمال ٢٧/ ٩١ وسير أَعلام النُّبلاء ٨/ ٤٨ .

القَزوينيُّ في جَزائِرِ البِحارِ[1] .

٩٢٥ المَعْزُ : بِفَتْحِ المِيمِ والعَيْنِ المُهملَةِ وَتَسْكينِها ، لُغَتانِ : نَوْعٌ من الغَنَمِ خِلافُ الضَّأنِ ؛ وَهِي ذَواتُ الشُّعُور ، والأَذْنابِ القِصارِ ؛ وَهوَ اسْمُ جِنْسٍ ؛ وَكَذلِكَ المَعِيْزُ والأُمْعُوزُ والمِعْزىٰ .

وَواحِدُ المَعْزِ : ماعِزٌ مثلُ صاحِبٍ وصَحْبٍ ، وَتاجِرٍ وَتَجْرٍ ؛ والأُنْثى ماعِزَةٌ . وَالجَمْعُ : مَواعِزُ .

وأَمْعَزَ القَوْمُ : كَثُرَتْ مِعْزاهُم[2] .

وَكُنْيَتُها[3] : أُمُّ السِّخالِ .

● وَفي حَديثِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه[4] : « وَأَنْتُم تَنْفِرُونَ منهُ نُفُورَ المِعْزىٰ من وَعْوَعَةِ الأَسَدِ ؛ أَي صَوْتِهِ ؛ وَوَعْوَعَةُ النَّاسِ : ضَجَّتُهُم .

● وَرَوى « البَزَّارُ » و« ابْنُ قانِعٍ » : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « أَحْسِنُوا إِلى المِعْزىٰ ، وأَمِيْطُوا عَنْها الأَذَى ؛ فإِنَّها من دَوابِّ الجَنَّةِ » .

● وَفي الحديثِ[5] : « اسْتَوْصوا بالمِعْزىٰ خَيْراً ، فإِنَّهُ مالٌ رَقيقٌ ، وأَنْقوا عَطَنَهُ » . أَي : نَقُّوا مَرابِضَها مِمَّا يُؤْذِيها من حِجارَةٍ وَشَوْكٍ وغيرِ ذلكَ .

وَهي[6] مع ذلكَ مَوصُوفَةٌ بِالحُمْقِ ، وَتَفْضُلُ على الضَّأْنِ بِغَزارَةِ اللَّبَنِ ، وَثَخانَةِ الجِلْدِ ؛ وَمَا نَقصَ من أَلْيَةِ المَعْزِ ، زادَ في شَحْمِهِ ؛ ولِذلكَ قالُوا : أَلْيَةُ المَعْزِ في بَطْنِهِ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٨٥ .

(٢) عن الصِّحاح « معز » ٣/ ٨٩٦ .

(٣) المرصَّع ٢٠١ و ٣٧٣ .

(٤) النِّهاية ٥/ ٢٠٧ .

(٥) النِّهاية ٣/ ٢٥٨ . وفيه : . . . وانْقُشوا له عَطَنَهُ ! .

(٦) عجائب المخلوقات ٢٤٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣٣ .

وَلَمَّا خَلَقَ اللهُ تعالى جِلْدَ الضَّأْنِ رَقيقاً ، غَزَّرَ صُوفَهُ ؛ وَلَمَّا خَلَقَ جِلْدَ الماعِزِ ثَخيناً ، قَلَّلَ شَعْرَهُ ؛ فَسُبْحانَ اللَّطِيفِ الخَبيرِ .

الخَواصُّ[1] : لَحْمُهُ يُورِثُ الهَمَّ وَالنِّسْيانَ ، وَيُوَلِّدُ البَلْغَمَ ، وَيُحَرِّكُ السَّوداءَ ؛ لكنَّهُ نافِعٌ جِدّاً لِمَنْ بِهِ الدَّماميلُ .

وَقَرْنُ المَعْزِ الأَبْيَضِ : يُسْحَقُ وَيُشَدُّ في خِرْقَةٍ ، وَيُجْعَلُ تحتَ رَأْسِ النَّائِمِ ، فإِنَّهُ لا يَنْتَبِهُ ما دامَ تَحتَ رَأْسِهِ .

وَمَرارَةُ التَّيْسِ : تُخْلَطُ بِمَرارَةِ البَقَرِ ، وَتُلَطَّخُ بِها فَتِيْلَةٌ ، وَتُجْعَلُ في الأُذُنِ ؛ تُزِيلُ الطَّرَشَ ، وَتَمْنَعُ نُزُولَ الماءِ . وإِذا اكْتُحِلَ بِمَرارَةِ التَّيْسِ بعدَ نَتْفَ الشَّعَرِ الذي في باطِنِ الجَفْنِ ، مَنَعَ من نَباتِهِ ؛ وَيَمْنَعُ أَيْضاً من الغَشاوَةِ اكْتِحالاً ، وَمن العَشا ، وَيَقْلَعُ اللَّحْمَةَ الزَّائِدَةَ التي يُقالُ لَها : التُّوتَةُ ؛ وَيَنْفَعُ طِلاءً من الوَرَمِ الذي يُقالُ لَهُ : داءُ الفِيْلِ .

وَأَكْلُ مُخِّهِ يُورِثُ الهَمَّ وَالنِّسْيانَ ، وَيُحَرِّكُ السَّوداءَ .

قالَ الرَّئِيسُ ابنُ سينا : بَعْرُ المَعْزِ ، يُحَلِّلُ الخَنازِيرَ بِقُوَّةٍ فيهِ ؛ وإِذا احْتَمَلَتْهُ المَرْأَةُ بِصُوفَةٍ ، مَنَعَ سَيَلانَ الدَّمِ من الفَرْجِ ، وَيَقْطَعُ النَّزِيفَ .

٩٢٦ ابْنُ مِقْرَضٍ : بِضَمِّ المِيمِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ ، وَبالضَّادِ المُعْجَمَةِ[2] : دُوَيْبَّةٌ كَحْلاءُ اللَّوْنِ ، طَوِيلَةُ الظَّهْرِ ، ذاتُ قَوائِمَ أَرْبَعٍ ، أَصْغَرُ من الفَأْرِ ؛ تَقْتُلُ الحَمامَ ، وَتَقْرِضُ الثِّيابَ ؛ وَلِذلكَ قالُوا : ابن مِقْرَضٍ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٥٠ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣٤ ومفردات ابن البيطار ٤/ ١٢٨ وتذكرة داود ١/ ٢٩٠ .

(٢) كذا قال المؤلِّفُ رحمهُ اللهُ ، وهو غير صحيح ؛ وصواب ضبطه : بكسر الميم ، وتسْكِينِ القاف ، وفتح الرَّاءِ . كما في مصدرِه المرصَّع ٣١٣ والصِّحاح « قرض » ٣/ ١١٠٢ وحيوان الجاحظ ٦/ ٢٢ و ٤٧٩ . وانظر ما مضى في « الدَّلق » .

الحُكْمُ : حَكى الرَّافعيُّ في حِلِّهِ الوَجْهَيْنِ ، كَما في ابْنِ عِرْسٍ ؛ وَقالَ : إِنَّهُ الدَّلَقُ .

قالَ في « المهمَّات » : الصَّحيحُ على ما يَقْتَضيهِ كَلامُ الرَّافعيِّ : الحِلُّ .

وَقد وَقَعَتِ المَسْأَلَةُ في « الحاوِي الصَّغير » على الصَّوابِ ، فَأَباحَ ابنَ مِقْرَضٍ ، وَحَرَّمَ ابْنَ عِرْسٍ .

وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ الدّالِ المُهملةِ » الكَلامُ في « الدَّلق » مُستوفىً ؛ وَاللهُ المُوَفِّقُ .

٩٢٧ المُقَوْقِسُ : المُقَوْقِسُ : طائِرٌ مَعرُوفٌ مُطَوَّقٌ [طوقاً] سَوادُهُ في البَياضِ كَالحَمامِ[١] .

● وَهو لَقَبٌ لِجُرَيْجِ بن مِيْنا القِبْطِيِّ مَلِكِ مِصْرَ ، وَكانَ من قِبَلِ هِرَقْلَ ؛ وَيُقالُ : إِنَّ هِرَقْلَ عَزَلَهُ لَمَّا رَأى مَيْلَهُ للإِسْلامِ ، وَأَهْدى لِرسُولِ اللهِ فَرَساً يُقالُ لَهُ : لَزازِ ، وَبَغْلَتَهُ الدُّلْدُل ، وَحِماراً ، وَغُلاماً خَصِيّاً اسْمُهُ مأبور .

وَقَد ذَكَرَهُ ابْنُ مَنْدَه وأَبو نُعَيْمٍ في أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ، وَغَلِطا في ذلكَ ؛ فإِنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ ، وَماتَ على نَصْرانِيَّتِهِ[٢] .

ومنهُ فَتَحَ المُسْلِمُونَ مِصْرَ في خِلافَةِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

ومأبورٌ المذكورُ[٣] : كان ابْنَ عَمِّ مارِيَة القِبْطِيَّةَ ، وَكانَ يَأْوي إِليها ، فقالَ النَّاسُ : عِلْجٌ يَدخلُ على عِلْجَةٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبيَّ ﷺ ، فَبَعَثَ عَلِيّاً لِيَقْتُلَهُ ، فقالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَقْتُلُهُ أَم أَرىٰ رَأْيي فِيهِ ؟ فقالَ ﷺ : « بَلْ تَرى رَأْيَكَ

---

(١) القامُوس والتَّاج « ققس » . والزِّيادة منهما .

(٢) وهذا يتناقض مع ما سيأتي من الأخبار . وفي آخر ترجمته في الإصابة : فأَقام الخصيُّ على دينه ، إلى أَن أَسلم بعدُ في عهد النَّبيِّ ﷺ .

(٣) أُسد الغابة ٥/ ٥ والإصابة ٥/ ٥١٧ .

فِيهِ » . فلمَّا رأَى الخَصِيُّ عَلِيّاً ، وَرَأَى السَّيْفَ في يَدِهِ ، تكَشَّفَ فإذا هُوَ مَجْبوبٌ مَمْسُوحٌ ، فرجعَ عليٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ وأَخْبَرَهُ بذلكَ ، فقالَ ﷺ : « إنَّ الشَّاهِدَ يَرى ما لا يَرى الغائِبُ » .

● وَرَوى « مُسلم »[١] في آخِرِ « بابِ التَّوبةِ » بعدَ حَديثِ الإفْكِ ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّ رَجُلاً كان مُتَّهماً بأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ : « اذْهَبْ فاضْرِبْ عُنُقَهُ » . فأَتاهُ عَليٌّ ، فإذا هُوَ على رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيها ، فقالَ لهُ : اخْرُجْ ، فَناوَلَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ ، فإذا هُوَ مَجْبُوبٌ ، لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ ؛ فَكَفَّ عليٌّ عنهُ ، ثمَّ أَتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، إنَّهُ لَمَجْبُوبٌ » .

● وَالذي رَواهُ « الطَّبرانيُّ » في هذِهِ القِصَّةِ[٢] : عن عَبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخلَ على مارِيَةَ القِبْطِيَّةَ ، أُمِّ وَلَدِهِ إبراهيم ، وهي حامِلٌ بِهِ ، فَوَجَدَ عِنْدَها نَسيباً لَها كان قَدِمَ مَعَها من مِصْرَ ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إسْلامُهُ ، وَكانَ يَدخُلُ عليها ، وَأَنَّهُ رَضِيَ من مَكانِهِ من أُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَن يَجُبَّ نَفْسَهُ ، فَقَطَعَ ما بَيْنَ رِجْلَيْهِ حتَّى لَمْ يُبْقِ لِنَفْسِهِ قَليلاً ولا كَثيراً ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً على أُمِّ وَلَدِهِ إبراهيم ، فَوَجَدَ قَرِيبَها عِنْدَها ، فَوَقَعَ في نَفْسِهِ من ذلكَ شَيْءٌ كما يَقَعُ في أَنْفُسِ النَّاسِ ، فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ، فَلَقِيَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَأَخْبَرَهُ بما وَقَعَ في نَفْسِهِ من قَرِيبِ أُمِّ إبراهيم ، فَأَخَذَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه السَّيْفَ ، وَأَقْبَلَ يَسْعى حَتَّى دَخَلَ على مارِيَةَ ، فَوَجَدَ قَرِيبَها ذلكَ عِندَها ، فَأَهْوى إلَيْهِ بالسَّيْفِ لِيَقْتُلَهُ ، فلمَّا رأَى ذلِكَ منهُ كَشَفَ عن نَفْسِهِ ، فلمَّا رَأَى ذلكَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه رجَعَ إلى رَسُولِ اللهِ

---

(١) مسلم (٢٧٧١) والإصابة ٥/ ٥١٧ ، ومختصراً في أُسد الغابة .

(٢) والحافظ ابن حجر في الإصابة ٥/ ٥١٨ عن فتوح مصر لابن عبد الحكم .

ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلا أُخْبِرُكَ يا عُمر ؛ إِنَّ جِبرِيلَ أَتاني فَأَخْبَرَني أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قد بَرَّأَها وَقَرِيبَها مِمَّا وَقَعَ في نَفْسي ، وَبَشَّرَني أَنَّ في بَطْنِها غُلاماً مِنِّي ، وأَنَّهُ أَشْبَهُ الخَلْقِ بي ، وَأَمَرَني أَنْ أُسَمِّيَهُ إِبراهيم ؛ وَلَوْلا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُحَوِّلَ كُنْيَتي التي عُرِفْتُ بِها ، لَتَكَنَّيْتُ بِأَبي إِبراهيم كما كَنَّاني جِبريلُ » .

ثمَّ ماتَ الخَصِيُّ في زمنِ عُمر ، فَجمعَ النَّاسَ لِشُهُودِ جَنازَتِهِ ، وَصلَّى عليْهِ عُمرُ ، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ .

● وَأَهْدى المُقَوْقِسُ أَيْضاً للنَّبيِّ ﷺ قَدَحاً من قَوارير ، كان ﷺ يَشْرَبُ فِيهِ ، وَثِياباً من قَباطي مِصرَ ، ومُطْرَفاً من مُطْرَفاتِهم ، وَطُرَفاً من طُرَفِهم ، وَأَلْفَ مِثْقالٍ ذَهَباً ، وَعَسَلاً من عَسَلِ بِنْها[1] ، فَأَعْجَبَ النَّبيَّ ﷺ العَسَلُ ، وَدَعا في عَسَلِها بِالبَرَكَةِ ، وَوَصَلَتِ الهَدايا إِلى النَّبيِّ ﷺ سَنَةَ سَبْعٍ ، وَقِيلَ : سنةَ ثمانٍ .

وهَلَكَ المُقَوْقِسُ في وِلايَةِ عَمرو بن العاصِ ، وَدُفِنَ في كَنيسَةِ أَبي يُحَنُّس على نَصْرانِيَّتِه .

وَكانَ الرَّسُولُ إِليْهِ مِنْ قِبَلِ النَّبيِّ ﷺ حاطِبُ بن أَبي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، الذي شَهِدَ اللهُ لَهُ بالإِيمانِ ، وَكانَ حاطِبُ عاقِلاً لَبيباً حازِماً لا يُخْدَعُ .

باعَ بعضُ أَصْحابِهِ بَيْعَةً غُبن فِيها لِغَيْبَةِ حاطِبٍ ، فقالَ : صَفْقَةٌ لَمْ يَحْضُرها حاطِبٌ[2] ؛ فَضُرِبَ ذلكَ مَثَلاً في شِراءِ كُلِّ صَفْقَةٍ رَبِحَ بائِعُها .

قالَ حاطِبٌ[3] : لَمَّا بَعَثَني النَّبيُّ ﷺ إِلى المُقَوْقِسِ ، جِئْتُهُ بِكِتابِ رَسولِ

---

(١) بِنْها : قرية من قرى مصر ، بارك رسول الله ﷺ في عسلها . (معجم البلدان ١/ ٥٠١) .

(٢) الميدانيّ ١/ ٣٩٤ والعسكري ١/ ٥٧٧ والزَّمخشريّ ٢/ ١٤١ وأبو عبيد ٢٦٧ .

(٣) البداية والنِّهاية ٦/ ٤٩٢ .

اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَني في مَنْزِلِه ، وأَقَمْتُ عِنْدَهُ لَيالي ، ثُمَّ بَعَثَ إليَّ وَقَدْ جَمَعَ بطارِقَتَهُ ، فقالَ : إنِّي سأُكَلِّمُكَ بكَلامٍ ، أُحِبُّ أَنْ تَفْهَمَهُ مِنِّي . قالَ : فَقُلْتُ : هَلُمَّ ؛ فقالَ : أَخبِرْني عن صاحِبِكَ ، أَلَيْسَ هُوَ نَبِيّاً ؟ قالَ : قُلتُ : بَلى ، هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قالَ : فَما بالُهُ حَيْثُ كان هَكَذا ، لَمْ يَدْعُ على قَوْمِهِ لمَّا أَخْرَجُوهُ من بَلَدِهِ إلى غَيْرِها ؟ فقُلتُ لَهُ : فَعِيسى ابن مَريمَ أَتَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ؟ قالَ : كذا . قُلتُ : فَما بالُهُ حَيثُ أَخَذَهُ قَوْمُهُ وأَرادُوا صَلْبَهُ ، لَمْ يَدْعُ عَليهم بأَنْ يُهْلِكَهُمُ اللهُ ، بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ في سَماءِ الدُّنْيا ؟ قالَ : أَحْسَنْتَ ، أَنْتَ حَكيمٌ من عِند حَكِيمٍ .

٩٢٨ المُكَّاءُ : بِضَمِّ المِيمِ ، وَبالمَدِّ والتَّشْدِيدِ : طائِرٌ يُصَوِّتُ في الرِّياضِ ، يُسَمَّى مُكَّاءً ، لأَنَّهُ يَمْكو ـ أَي يَصْفِرُ ـ كَثيراً[١] .

وَوَزْنُهُ فُعَّالٌ كَخُطَّافٍ ، والأَصْواتُ في الأَكْثَرِ تَأْتي على فُعالٍ ـ بِتَخْفيفِ العَيْنِ ـ كَالبُكاءِ والصُّراخِ والرُّغاءِ والنُّباحِ والجُؤارِ وَنَحْوِهِ ؛ وَجَمْعُهُ المَكاكي .

وهذا الطَّائِرُ يَصْفِرُ وَيُصَوِّتُ كَثيراً .

● قالَ البَغَوِيُّ في « تَفسيرِهِ » : المُكاءُ : الصَّفِيرُ ؛ وَهُوَ في اللُّغَةِ : اسْمُ طائِرٍ أَبْيضَ يَكُونُ بِالحِجازِ ، لَه صَفيرٌ .

● وَقالَ ابْنُ السِّكِّيتِ في « إصلاحِ المَنْطِقِ »[٢] : يُقالُ : مَكا الطَّائِرُ ، وَمَكا الرَّجُلُ ، يَمْكُو مَكْواً : إذا جَمَعَ يَدَيْهِ وَصَفَرَ فِيهِما .

وَكَأَنَّهُمُ اشْتَقُّوا لَه هذا الاسْمَ من الصِّياحِ ؛ وَجَمْعُهُ المَكاكي .

وَالمُكاءُ : الصَّفِيرُ ؛ قالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا

---

(١) في اللِّسان « مكا » ٦/ ٤٢٥١ : والمُكَّاء ـ بالضَّمِّ والتَّشديد ـ طائرٌ في ضرب القنبرة ، إلاَّ أن في جناحيه بَلَقاً ؛ سُمِّي بذلكَ لأَنَّه يجمع يَدَيه ثمَّ يصفر فيهما صفيراً حَسَناً .

(٢) إِصلاح المنطق ٢٠٣ .

مُكَآءً وَتَصۡدِيَةً﴾ [الأنفال : ٣٥] أي صَفِيراً وَتَصْفِيقاً .

● وَقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ[1] : المُكاءُ : الصَّفِيرُ ـ أَي بِالتَّخفيفِ ، وَالمُكّاءُ ـ بِالتَّشديد : طائِرٌ يَصْفِرُ في الرِّياضِ ؛ يَمْكُو : أَي يَصْفِرُ .

قالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الطويل]

إذا غَـرَّدَ المُكَّـاءُ فـي غَيْـرِ رَوْضَـةٍ فَـوَيْـلٌ لأَهْـلِ الشَّـاءِ والحُمُـراتِ

قالَ البَطَلْيَوْسيُّ في « الشَّرْح »[3] : إنَّ المُكَّاءَ إنَّما يَأْلَفُ الرِّياضَ ، فإذا غَرَّدَ في غَيْرِ رَوْضَةٍ ، فإنَّما يَكونُ ذلكَ لإِفْراطِ الجَدْبِ وَعَدَمِ النَّباتِ ؛ وَعِندَ ذلكَ يَهلكُ الشَّاءُ والحَميرُ ، فَالوَيْلُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ غيرُهُما .

والحُمُراتُ في البَيْتِ : جَمْعُ حُمُرٍ بضَمِّ المِيمِ ، وَحُمُرٌ : جَمْعُ حِمارٍ ، بمَنْزِلَةِ كِتابٍ وَكُتُبٍ . وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ جَمْعَ حَمِيرٍ ، كَقَضِيبٍ وَقُضُبٍ ، وَقَولُهم : حَمِيرٌ ، لَيْسَ بِجَمْعٍ ، ولكنَّهُ اسْمٌ لِلجَمْعِ ، بِمَنْزِلَةِ العَبِيدِ والكَثِيبِ .

● قالَ ابنُ عَطِيَّةَ : الذي مَرَّ بِي من أَمْرِ العَرَبِ في غَيرِ ما دِيوانٍ : أَنَّ المُكَاءَ وَالتَّصْدِيَةَ ، كانا من فِعْلِ العَرَبِ قَدِيماً قَبلَ الإِسْلامِ ، على جِهَةِ التَّقَرُّبِ بِهِ وَالتَّشَرُّعِ .

قالَ : وَرَأَيْتُ عن بَعْضِ أَقْوِيَاءِ العَرَبِ ، أَنَّهُ كان يَمْكُو على الصَّفا فَيُسْمَعُ من حِراء ، وَبَيْنَهُما أَربَعَةُ أَمْيالٍ . انتهى .

وَكذلكَ كان مَخْرَمَةُ بن قَيْسٍ بن عَبدِ مَنافٍ يَصْفِرُ عِندَ البَيْتِ ، فَيُسْمَعُ من حِراءٍ ، وَكانَ قَبلَ مَوْلِدِ النَّبيِّ ﷺ عامَ الفِيلِ ؛ وَكانَت قُرَيشٌ تَطُوفُ بِالبَيْتِ وَهُم

---

(١) أَدب الكاتب ٢١٤ .

(٢) البيت بلا نِسبة في أَدب الكاتب ٢١٤ والاقتضاب ٣/ ١٦٤ وسمط اللآلي ٦٦٤ والمعاني الكبير ١/ ٢٩٥ .

(٣) الاقتضاب ٣/ ١٦٤ .

عُراةٌ ، يَصْفِرُونَ وَيُصَفِّقُونَ .

● وَقالَ القَزْوِينيُّ[١] : المُكَّاءُ من طَيْرِ البادِيَةِ ، يَتَّخِذُ أُفْحُوصاً عَجيباً ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَيَّةِ عَداوَةٌ ؛ فإنَّ الحَيَّةَ تأكُلُ بَيْضَهُ وَفِراخَهُ .

وَحدَّثَ هِشام بن سالِمٍ : أَنَّ حَيَّةً أَكلَتْ بَيْضَ مُكَّاءٍ ، فَجعلَ المُكَّاءُ يُشَرْشِرُ - أَي يُرَفْرِفُ - على رَأْسِها ، وَيَدْنُو مِنْها ، حتَّى إذا فَتَحَتْ فاها ، أَلْقى في فِيها حَسَكَةً ، فَأَخَذَتْ بِحَلْقِ الحَيَّةِ ، فَماتَتْ .

٩٢٩ المُكَلَّفَةُ: طائِرٌ. قالَ الجاحِظُ[٢]: لَمَّا كانَتِ العُقابُ سَيِّئَةَ الخُلُقِ، تَبيضُ ثَلاثَ بَيْضاتٍ، فَتَخْرُجُ فِراخُها، فَتُلْقي واحِداً منها، فَيَأْخُذُهُ هذا الطَّائِرُ الذي يَتكَلَّفُ بِهِ، قِيلَ لَهُ: المُكَلَّفَةُ، وَيُسَمَّى كاسِرَ العِظامِ، فَيُرَبِّيهِ كما تَقَدَّمَ. ا هـ.

واختلفُوا[٢] في سَبَبِ فِعْلِ العُقابِ ذلكَ ؛ فقالَ بعضُهم : لأَنَّها لا تَحْضُنُ إلاَّ بَيْضَتَيْنِ .

وَقالَ بعضُهم : بَلْ تَحْضُنُ الثَّلاثَةَ ، لَكِنَّها تَرمي بِفَرْخٍ من فِراخِها اسْتِثْقالاً لِلكَسْبِ على الثَّلاثَةِ .

وَقالَ آخَرونَ : لَيْسَ كذلكَ ، إلاَّ لِما يَعْتَرِيها من الضَّعْفِ عن الصَّيْدِ ، كَما يَعْتَري النُّفَساءَ من الوَهْنِ .

وَقيلَ: لأَنَّها سَيِّئَةُ الخُلُقِ كَما تَقَدَّمَ، وَلا يُسْتَعانُ على تَرْبِيَةِ الوَلَدِ إلاَّ بِالصَّبْرِ .

وَقيلَ : لأَنَّها كَثيرَةُ الشَّرَهِ ؛ وإذا لَمْ تَكُنْ أُمُّ الفِراخِ تُؤْثِرُ أَولادَها على نَفْسِها ، ضاعَتْ أَوْلادُها .

قالَ هؤُلاءِ: والفَرْخُ الذي تَرْمي بِهِ العُقابُ من الثَّلاثَةِ، يَحْضُنُهُ طائِرٌ يُقالُ لَهُ: المُكَلَّفَةُ، وَيُسَمُّونَهُ كاسِرَ العِظامِ أَيضاً، فَيُرَبِّيهِ كما تَقَدَّمَ، واللهُ تَعالى أَعلمُ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٥ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩١ وربيع الأَبرار ٥/ ٤٤٧ .

(٢) الحيوان ٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠ .

٩٣٠ **المَلَكَةُ**[١] : كَالسَّمَكَةِ : حَيَّةٌ طُولُها شِبْرٌ أَو أَكْثَرُ ، على رَأْسِها خُطُوطٌ بِيْضٌ تُشْبِهُ التَّاجَ ، فإذا انْسابَتْ على الأَرْضِ ، أَحْرَقَتْ كُلَّ شَيْءٍ مَرَّتْ عليْهِ ؛ وإِنْ طارَ طائِرٌ فَوْقَها ، سَقَطَ عليها ؛ وإذا بَدَتْ تَنْسابُ ، هَرَبَ من بَيْنِ يَدَيْها جَميعُ الدَّوابِّ .

وَمَنْ أَكَلَ تِلكَ الحَيَّةَ من السِّباعِ أَو غَيْرِها ، مات ؛ وَهِيَ قَليلَةُ الظُّهُورِ لِلنَّاسِ .

وَمِن **خَواصِّها الغَريبَةِ** : أَنَّ مَن قَتَلَها ، فَقَدَ حاسَّةَ الشَّمِّ في الحالِ ، وَلا يُمْكِنُ بَعدَ ذلكَ عِلاجُهُ .

٩٣١ **المَنارَةُ** : سَمَكَةٌ تَخْرُجُ من البَحْرِ على شَكْلِ المَنارَةِ ، فَتَرمي بِنَفْسِها علىٰ السَّفينَةِ فَتكْسِرُها وَتُغْرِقُ أَهْلَها ؛ فإذا أَحَسَّ النَّاسُ بِها ، ضَرَبُوا بالطُّسُوسِ والبُوقاتِ لتبعدَ عنهم ، وَهِيَ مِحْنَةٌ عَظيمَةٌ في البحرِ . قالَهُ أَبو حامد الأَنْدلسيّ[٢] .

٩٣٢ **المُنْخَنِقَةُ** : هِيَ البَهِيمَةُ المَأْكولَةُ ، تَنْخَنِقُ بِحَبْلٍ حَتَّى تَمُوتَ .

وَكانَتِ العَرَبُ تَفْعَلُهُ حِرْصاً على الدَّمِ ، لأَنَّ العَربَ كانُوا يَأْكُلُونَ الدَّمَ ، وَيُسَمُّونَهُ الفَصِيدَ ؛ وَيَقولُونَ : إِنَّ اللَّحْمَ دَمٌ جامِدٌ ، فَحَرَّمَ اللهُ تَعالى المُنْخَنِقَةَ ، لِما يَنْحَبِسُ فِيها من الدَّمِ .

قالَ الرَّافعيُّ : وَيُسْتَثْنى من المُنْخَنِقَةِ : الجَنينُ ، فإِنَّهُ ماتَ بِقَطْعِ النَّفسِ عنه ، وَهُو حَلالٌ .

● **فَرْعٌ** : لو ذَبَحَ بَهيمَةً ، وَقَطَعَ أَوْداجَها ، ثُمَّ خَنَقَها ، وَمَنَعَ خُرُوجَ الدَّمِ حَتَّى ماتَتْ بِقَطْعِ النَّفَسِ ؛ فَيُحْتَمَلُ حِلُّها ، لأَنَّها لمَّا قُطِعَتْ أَوْداجُها ، حَصَلَتِ

---

(١) في أ ، ب : المُكَلَّلة .

(٢) عن عجائب المخلوقات ٩٥ .

الذَّكاةُ الشَّرْعِيَّةُ ، ولا أَثَرَ لِحَبْسِ الدَّمِ ، كَما لا أَثَرَ لَهُ في مَصِيْدِ الجَوارِح ، إذا ماتَ الصَّيْدُ بِالثِّقلِ وَلَمْ تُدْرَكْ ذَكاتُهُ ، أَو رَماهُ بِسَهْمٍ فَماتَ ، فإِنَّهُ حَلالٌ وإِنِ انْحَبَسَ فِيهِ الدَّمُ ؛ وَيُحْتَمَلُ التَّحْريمُ ؛ وَهُوَ ما أَجابَ بِهِ شَيْخُنا الإِسْنويُّ رَحمهُ اللهُ تَعالى ، لأَنَّ الحِكْمَةَ في الذَّكاةِ ، خُرُوجُ الدَّمِ ، وَلَمْ يُوجَدْ ، فَأَشْبَهَتِ المُنْخَنِقَةَ .

وَبالقِياسِ على ما لَوْ خَنَقَها أَوَّلاً ، ثُمَّ أَسْرَعَ فَقَطَعَ الأَوْداجَ وَالحَياةُ مُسْتَقِرَّةٌ ، ثُمَّ ماتَتْ بِقَطْعِ النَّفَسِ .

وَالفَرْقُ بَينَ هذا وَبينَ مَصيدِ الجَوارِح : أَنَّ الذَّبْحَ هُناكَ غيرُ مَقْدُورٍ عليْهِ ، فانْتَفَتْ حِكْمَتُهُ لِعَدَمِ القُدْرَةِ عليْهِ ؛ وَالقُدْرَةُ ها هُنا مَوْجُودَةٌ ، فافْتَرَقَ البابانِ ؛ ولأَنَّا لو قُلْنا بِحِلِّها ، لَمْ يَكُنْ لِتَحْرِيمِ الخَنْقِ مَعنىً ، لأَنَّهُ يُمكنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ بِهذا الطَّرِيقِ . وَاللهُ أَعلمُ .

٩٣٣ المِنْشارُ : سَمَكَةٌ في بَحْرِ الزِّنْجِ كَالجَبَلِ العَظِيمِ ، من رَأْسِها إِلى ذَنَبِها مثلُ أَسْنانِ المِنْشارِ ، من عِظامٍ سُودٍ كالأَبَنُوسِ ؛ كُلُّ سِنٍّ مِنْها كَذِراعَيْنِ ، وَعِندَ رَأْسِها عَظْمانِ طَويلانِ ، كُلُّ عَظْمٍ مِقْدارُ عَشَرَةِ أَذْرُعٍ .

تَضْرِبُ بِالعَظمينِ ماءَ البَحْرِ يَميناً وَشِمالاً ، فَيُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ هائِلٌ ، وَيَخرجُ الماءُ من فِيها وأَنْفِها ، فَيَصْعَدُ نَحوَ السَّماءِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلى المَرْكَبِ رَشاشُهُ كَالمَطَرِ .

وإِذا دَخَلَتْ تَحتَ سَفينَةٍ كَسَرَتْها ، فإِذا رَآها أَهْلُ السُّفُنِ ، ضَجُّوا إِلى اللهِ تَعالى حتَّى يَدْفَعَها عَنهم . كذا ذَكَرَهُ في « عجائِبِ المَخلُوقاتِ »[١] .

وَهِيَ داخِلَةٌ في عُمُومِ السَّمَكِ . وَاللهُ أَعلمُ .

٩٣٤ المَوْقُوذَةُ : قالَ الزَّجّاجُ : هِيَ التي تُقْتَلُ ضَرْباً ؛ يُقالُ : وَقَذْتُها أَقِذُها وَقْذاً ، وأَوْقَذْتُها أُوْقِذُها إِيْقاذاً : إذا أَثْخَنْتُها ضَرْباً . ا هـ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٢ .

● قالَ الفَرزدقُ يَهْجُو جَريراً[1] : [من الكامل]

كَـمْ عَمَّـةٍ لَـكَ يـا جَـريـرُ وَخـالَـةٍ   فَـدْعـاءَ قـد حَلَبَـتْ عَلَـيَّ عِشـاري
شَغَّـارَةٍ تَقِـذُ الفَصِيْـلَ بِـرِجْلِهـا   فَطَّـــارَةٍ لِقَـــوادِمِ الأَبْكـــارِ

قَولُهُ : فَدْعاءَ : هِيَ التي أَصابَها الفَدَعُ ؛ وَهُوَ وَرَمٌ في القَدَمِ .

والعِشارُ : النُّوقُ ، واحِدُها عُشَراءُ ، وَهِيَ التي مَضى عَلَيْها تِسْعَةُ أَشْهُرٍ وَطَعَنَتْ في العاشِرِ ، وَهي حامِلٌ .

وَقَولُهُ : تَقِذُ الفَصِيْلَ : أَي تَضْرِبُهُ إِذا دَنا مِنْها عِندَ الحَلْبِ .

وَفَطَّارَةٍ : مَأْخُوذٌ من الفَطْرِ ، وَهُوَ الحَلْبُ بِأَطْرافِ الأَصابِعِ ؛ فإِنْ كان بِجَميعِ الأَصابعِ فَهُوَ الصَّبُّ ، وَهُو إِنَّما يَكُونُ في الكِبارِ من النُّوقِ ؛ وَأَمَّا الصِّغارُ من النُّوقِ ، فإِنَّما تُحْلَبُ بأَطْرافِ الأَصابعِ لِصِغَرِ ضُرُوعِها .

● وَفي مَعنى المَوقُوذَةِ : ما يُرْمى من الطَّيْرِ بِالسِّهامِ التي لا نَصْلَ لَها ، أَو بِحَجَرٍ وَنَحْوِهِ ، فَتَمُوتُ .

وَقد سُئِلَ ابْنُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما عن الطَّيْرِ يَمُوتُ بِالبُنْدُقَةِ ، فقالَ : هُو وَقِيذٌ .

قُلتُ : الظَّاهِرُ : عَدَمُ جوازِ رَمْيِ الطَّائِرِ بالبُنْدُقِ ، إِذا عُلِمَ أَنَّهُ يَقْتُلُ غالِباً ؛ وَكذلكَ الطُّومارُ والحَجَرُ ، لأَنَّهُ من بابِ إِتْلافِ الحَيَوانِ بِغَيْرِ مَنْفَعَةٍ . وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٩٣٥ المُوقُ : بِالضَّمِّ : نَمْلٌ لَهُ أَجْنِحَةٌ[2] . وَسَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى ما في « النَّمْل » في « بابِ النُّونِ » .

---

(١) ديوانه ١/ ٣٦١ .

(٢) القاموس « موق » والتَّاج .

٩٣٦ المُولُ : العَنْكَبُوتُ ؛ الواحِدَةُ مُولَةٌ[١] ؛ وأَنْشَدُوا[٢] : [من الرَّجز]

حــامِلَــةٌ دَلْــوَكَ لا مَحْمُــولَــهُ   مَــلأَى مِــن المــاءِ كَعَيْـنِ المُـولَـهْ

٩٣٧ المَها : بِالفَتْحِ : جَمْعُ مَهاةٍ ؛ وَهِيَ البَقَرَةُ الوَحْشِيَّةُ ، وَالجَمْعُ : مَهَواتٌ[٣] .

وَقِيلَ : المَها : نَوْعٌ من البَقَرِ الوَحْشِيِّ ؛ إذا حَمَلَتِ الأُنثى من المَها ، هَرَبَتْ من الذَّكَرِ ؛ وَمن طَبْعِها الشَّبَقُ . والذَّكَرُ لِفَرْطِ شَهْوَتِهِ يَرْكَبُ ذَكَراً آخَرَ .

وَهِيَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالمَعْزِ الأَهْلِيَّةِ ، وَقُرُونُها صِلابٌ جِدّاً ؛ وَبِها يُضْرَبُ المَثَلُ في سِمَنِ المَرأةِ وَجَمالِها ؛ قالَ الشَّاعِرُ[٤] : [من الطويل]

خَلِيْلَـيَّ إِنْ قـالَـتْ بُثَيْنَـةُ : مـا لَـهُ   أَتانا بِلا وَعْدٍ ؟ فَقُولا لَها : لَها
سَهـا وَهْـوَ مَشْغُـولٌ لِعُظْـمِ الـذي بِـهِ   وَمَنْ باتَ طُولَ اللَّيْلِ يَرْعى السُّها سَها[٥]
بُثَيْنَـةُ تُـزْرِي بـالغَـزالَـةِ فـي الضُّحـىٰ   إذا بَـرَزَتْ لَـمْ تُبْـقِ يَـوْمـاً بِهـا بَهـا
لَهـا مُقْلَـةٌ نَجْـلاءُ كَحْـلاءُ خِلْقَـةً   كَـأَنَّ أَبـاهـا الظَّبْـيُ أَوْ أُمَّهـا مَهـا
دَهَتْنـي بِـوُدٍّ قـاتِـلٍ وَهْـوَ مُتْلِفـي   وَكَـمْ قَتَلَـتْ بِـالـوُدِّ مَـن وَدَّهـا دَهـا

● **فائِدَةٌ** : رَوى الطَّبرانيُّ في « مُعْجَمِهِ الكَبِيرِ »[٦] بِإسْنادٍ رِجالُهُ ثِقاتٌ ، عن عَبدِ اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، قالَ : نَزَلَ الرُّكْنُ الأَسْوَدُ من

---

(١) عن الصِّحاح « مول » ٥/ ١٨٢٢ . وعبارة الجوهريّ ، وزعم قومٌ أن المُول العنكبوت . . . . ولم أَسمعه عن ثقةٍ .
(٢) الشَّطران في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « مول » بلا نسبة .
(٣) عن الصِّحاح « مها » ٦/ ٢٤٩٩ .
(٤) الأَبيات نقلها ابن حجَّة الحمويّ في خزانته ١/ ٤٤٧ عن الدَّميريّ ، ثم نسبها إِلى جميل بثينة ؛ وَهي في ديوانه ٢٢٠ . **قلتُ** : ولا أَراها تصحُّ لهُ .
(٥) في أ ، ب : لها وهو مشغول . . . × . وفي نقل الحمويّ والدِّيوان : أَتى وهو . . . × .
(٦) لم أَقف عليه في المعجم الكبير .

السَّماءِ ، فَوُضِعَ على أَبي قُبَيْسٍ كأَنَّهُ مَهاةٌ بَيْضاءُ ، فَمَكَثَ أَرْبعينَ سَنَةً ، ثُمَّ وُضِعَ على قَواعِدِ إِبراهيم ﷺ .

● وَرَوَى في « الأَوْسَطِ » و« الكَبيرِ » أَيْضاً[١] ، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « الحَجَرُ الأَسْوَدُ من حِجارَةِ الجَنَّةِ ، ما فِي الأَرْضِ من الجَنَّةِ غَيْرُهُ ، وَكانَ أَبْيَضَ كَالمَهاةِ ، وَلَوْلا ما مَسَّهُ من رِجْسِ الجاهِلِيَّةِ ما مَسَّهُ ذُو عاهَةٍ إِلاَّ بَرِىءَ » .

وَفي إِسْنادِهِ محمَّد بن أَبي ليلى ، وَفيهِ كَلامٌ .

● وَرَوَى هِشام بن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ ، عن أَبيهِ ، قالَ[٢] :

بَيْنَما عُمرُ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه يَطُوفُ بِالبَيْتِ ، إِذا هُوَ بِرَجُلٍ يَطُوفُ ، وَعلى عُنُقِهِ مِثْلُ المَهاةِ ـ يَعْني حُسْناً وَجَمالاً ـ ، وَهُوَ يَقُولُ : [من الرَّجز]

عُدْتُ لِهَذي جَمَلاً ذَلُولا ... مُوَطَّأً أَتَّبِعُ السُّهُولا
أَعْدِلُها بِالكَفِّ أَنْ تَمِيلا ... أَحْذَرُ أَنْ تَسْقُطَ أَوْ تَزُولا
أَرْجُو بِذاكَ نائِلاً جَزِيلا

فقالَ لَهُ عُمرُ رَضِيَ اللهُ عنه : يا عَبْدَ اللهِ ، مَن هَذِهِ التي وَهَبْتَ لَها حِجَّكَ ؟ قالَ : امْرَأَتي يا أَميرَ المؤمنين ، وإِنَّها لَحَمْقاءُ مِرْغامَةٌ ، أَكُولٌ قَمَّامَةٌ ، لا تُبْقي لَها خامَّةٌ . فقالَ رَضِيَ اللهُ عنه : ما لَكَ لا تُطَلِّقُها ؟ قالَ : يا أَميرَ المُؤمنين ، إِنَّها لَحَسْناءُ لا تُفْرَكُ ، وأُمُّ صِبْيانٍ لا تُتْرَكُ . قالَ : فَشَأْنَكَ بها .

● وَحَكى الإِمامُ أَبو الفَرَجِ ابن الجَوزيِّ في « كتابِ الأَذْكياءِ » . قالَ[٣] :

---

(١) المعجم الكبير ١١/ ١١٨ .

(٢) مصارع العشّاق ٢/ ١٥٣ .

(٣) أَخبار الأَذكياء ٢٣٥ وأَخبار الظّراف والمتماجنين ٩٨ وثمرات الأَوراق ١٦١ وخزانة الأَدب لابن حجّة الحموي ٣/ ١٠ ـ ١١ وطبقات السّبكيّ ١/ ٢٧٩ .

قَعَدَ رَجُلٌ على جِسْرِ بَغْدادَ ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ من جِهَةِ الرُّصافَةِ إلى الجانِبِ الغَرْبيِّ ، فَاسْتَقْبَلَها شابٌّ ، فقالَ لها : رَحِمَ اللهُ عليَّ بن الجَهْمِ ؛ فقالَتِ المرْأَةُ : رَحِمَ اللهُ أَبا العَلاءِ المَعَرِّي ؛ وما وَقَفا ، وَمَرَّا مُشَرِّقاً وَمُغَرِّبة .

قالَ : فَتَبِعْتُ المَرْأَةَ ، وَقُلتُ لَها : إنْ لَمْ تَقُولي لي ما قُلْتُما فَضَحْتُكِ ؟ فقالَتْ : أَرادَ قَوْلَ عليِّ بن الجَهْمِ[1] : [من الطويل]

عُيُونُ المَها بَيْنَ الرُّصافَةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوى من حَيْثُ أَدْرِي ولا أَدْرِي

وَأَرَدْتُ أَنا قَولَ أَبي العَلاءِ المَعَرِّيّ[2] : [من الطَّويل]

فَيا دَارَها بِالخَيْفِ إنَّ مَزارَها قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوالُ

فَتَرَكْتُها وانْصَرَفْتُ .

وَقد تَقَدَّمَ **حُكْمُها وأَمْثالُها** في « بابِ الباءِ المُوَحَّدَةِ » في الكَلامِ على « البَقَرِ الوَحْشِيِّ » .

الخَواصُّ[3] : مُخُّها يُطْعَمُ لِصاحِبِ القُولَنْجِ يَنْفَعُهُ نَفْعاً بَيِّناً .

وَمَنِ اسْتَصْحَبَ معهُ شُعْبَةً من قَرْنِ المَهاةِ ، نَفَرَتْ منهُ السِّباعُ ؛ وإذا بُخِّرَ بِقَرْنِهِ ، أَوْ جِلْدِهِ ، في بَيْتٍ ، نَفَرَتْ مِنهُ الحَيَّاتُ ؛ وَرَمادُ قَرْنِهِ يُذَرُّ على السِّنِّ المُتآكِلَةِ ، يَسْكُنُ وَجَعُها .

وَشَعْرُهُ : إذا بُخِّرَ بِهِ البَيْتُ ، هَرَبَ منهُ الفَأْرُ وَالخَنافِسُ .

وإذا أُحْرِقَ قَرْنُهُ ، وَجُعِلَ في طَعامِ صاحِبِ حُمَّى الرِّبْعِ ، فإنَّها تَزُولُ عَنهُ بإِذْنِ اللهِ تَعالى ؛ وإذا شُرِبَ في شَيْءٍ من الأَشْرِبَةِ ، زادَ في الباهِ ، وَقَوَّى العَصَبَ ، وَزادَ في الإنْعاظِ ؛ وَإذا نُفِخَ في أَنْفِ الرّاعِفِ ، قَطَعَ دَمَهُ ، وإذا

---

(١) ديوانه ١٣٥ .

(٢) شروح سقط الزِّند ٣/ ١٢٢٨ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٤٨ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣١ .

أُحْرِقَ قَرْناهُ حتَّى يَصيرا رَماداً ، وَدِيْفا بِخَلٍّ ، وَطُلِيَ بِهِ مَوْضِعُ البَرَصِ ، مُسْتَقْبِلَ الشَّمْسِ ، فإِنَّهُ يَزُولُ بإِذنِ اللهِ تَعالى ؛ وإِذا اسْتَفَّ منهُ مِقْدارَ مِثْقالٍ ، فإِنَّهُ لا يُخاصِمُ أَحَداً إِلاَّ غَلَبَهُ .

التَّعبيرُ[١] : المَهاةُ في الرُّؤْيا : رَجلٌ رَئيسٌ ، كَثيرُ العِبادَةِ ، مُعتزلٌ عن النَّاسِ .

وَمَنْ رَأَى عَيْنَ المَهاةِ ، نالَ رِئاسَةً ، أَوِ امْرَأَةً سَمينَةً ، جَميلَةً ، قَصيرَةَ العُمُرِ .

وَمَنْ رَأَى رَأْسَهُ تَحَوَّلَ كَرَأْسِ مَهاةٍ ، نَالَ رِئاسَةً وَغَنيمةً وَوِلايَةً على ناسٍ غُرباءَ .

وَمَنْ رَأَى كَأَنَّهُ مَهاةٌ ، فإِنَّهُ يَعْتَزِلُ الجَماعَةَ ، وَيدخلُ في بِدْعَةٍ . وَاللهُ المُوفِّقُ .

٩٣٨ المُهْرُ : وَلَدُ الفَرَسِ ؛ والجَمْعُ : أَمْهارٌ وَمِهارٌ وَمِهارَةٌ ؛ والأُنثى مُهْرَةٌ بِالضَّمِّ ؛ وَالجَمْعُ مُهَرٌ وَمُهَراتٌ[٢] ؛ قالَ الرَّبيعُ بن زياد العَبْسيّ[٣] : [من الكامل]

وَمُجَنَّباتٍ ما يَذُقْنَ عَذُوفا ... يَقْذِفْنَ بِالمُهَراتِ والأَمْهارِ

● وَقد أَحْسَنَ مِهْيارٌ الدَّيْلميُّ في وَصْفِ المُهْرَةِ ، حَيثُ قالَ[٤] : [من الرَّمل]

قالَ لِي العاذِلُ : تَسْلُو ؟ قُلْتُ : مَهْ ... إِنَّ أَسْبابَ هَواها مُحْكَمَهْ

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٣ وتفسير الواعظ ٢٨٣ .

(٢) عن الصِّحاح « مهر » ٢/ ٨٢١ .

(٣) البيت من قصيدة له في الأغاني ١٧/ ١٩٧ والنَّقائض ١/ ٨٩ والحماسة بشرح التَّبريزيّ ٣/ ٣٥ والمرزوقيّ ٢/ ٩٩٤ والأعلم ١/ ٥١٨ .

(٤) ليسا له ، وليسا في ديوانه . والأَوَّل وبعده آخر في نتائج المذاكرة ٣٦ لابن حجَّاج .

مُهْـرَةٌ تَسْمَـعُ فـي السَّـرْجِ لَهـا　　تَحْـتَ مَـن يَعْلُـو عَلَيْهـا حَمْحَمَـهْ

● وَقيلَ[1] لِبعضِ الحُكماءِ : أَيُّ المالِ أَشْرَفُ ؟ قالَ : فَرَسٌ ، يَتْبَعُها فَرَسٌ ، في بَطْنِها فَرَسٌ .

● وَقالَ الجَوهريُّ : في الحَديثِ : «خَيْرُ المالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ ، وَسِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ» .

أَي : كَثيرَةُ النِّتاجِ والنَّسْلِ . وَالسِّكَّةُ : الطَّويلَةُ المُصْطَفَّةُ من النَّخْلِ . وَالمَأْبُورَةُ : المُلَقَّحَةُ ؛ وَمَعنى الكَلامِ : خَيْرُ المالِ نِتاجٌ أَو زَرْعٌ .

وَمُلَخَّصُ هذا : أَنَّ الجَوْهريَّ رَحمهُ اللهُ جَعَلَهُ في مَوْضِعٍ حَدِيثاً ، وَفي مَوْضِعٍ من كَلامِ النَّاسِ[2] . كذا قالَهُ الإمامُ الحافِظُ شَرَفُ الدِّينِ الدِّمياطيّ في « كِتابِ الخَيلِ » في آخِرِ البابِ الأَوَّلِ[3] .

قُلتُ : وهَذا عَجيبٌ من الجَوهريِّ ، مع سَعَةِ حِفْظِهِ ، وَغزارَةِ عِلْمِهِ ؛ وَالصَّوابُ أَنَّهُ حَديثٌ ، رَواهُ أَحمدُ والطَّبرانيُّ . واللهُ أَعلمُ .

● **إشارَةٌ** : كان أَبو عُبَيْدٍ محمَّد بن حَسَّان البُسْرِيّ من الأَولياءِ ، ذَوي الكَراماتِ الظَّاهِرَةِ ، وَالأَحْوالِ الباهِرَةِ .

وإِنَّهُ[4] خَرَجَ للغَزاةِ مَرَّةً ، فَبينَما هُوَ في فَلاةٍ من الأَرْضِ ، إِذْ ماتَ مُهْرُهُ الذي كان يَرْكَبُهُ ، فقالَ : اللَّهُمَّ أَعِرْنا إِيَّاهُ ؛ فَقامَ المُهْرُ حَيّاً بِإِذْنِ اللهِ تَعالى .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلى بُسْرٍ ، أُخِذَ السَّرْجُ عنهُ ، فَسَقَطَ مَيِّتاً .

● وَكانَ[5] رحمهُ اللهُ إِذا كان شَهْرُ رَمضانَ ، دَخَلَ بَيْتاً ، وَقالَ لامْرَأَتِهِ : طَيِّني عليَّ البابَ ، وأَلْقي إِليَّ كُلَّ لَيلَةٍ رَغيفاً من الكُوَّةِ ؛ فإِذا كان يَومُ العِيدِ ،

---

(١) فضل الخيل ٨٤ .

(٢) في الصِّحاح « أَمر » ٢/ ٥٨١ « حديث » . وفيه « سكك » ٤/ ١٥٩١ « قول » ! .

(٣) فضل الخيل ٨٤ ومسند أَحمد ٣/ ٤٦٨ والمعجم الكبير للطَّبرانيّ ٧/ ١٠٧ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٩١ والرِّسالة القشيريَّة ٧٠٩ والأَنساب ٢/ ٢١٢ .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٩٠ وطبقات الأَولياء ٣٦٣ ـ ٣٦٤ والرِّسالة القشيريَّة ٦٨١ .

فَتَحَتِ البابَ وَدَخَلَتْ ، فَتَجِدُ الثَّلاثِينَ رَغيفاً في زاوِيَةِ البَيْتِ ؛ فَلا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ وَلا يَنامُ ، رَضِيَ اللهُ عنه .

● وَفي « الأَنْساب » لابْنِ السَّمعانيِّ[1] : أَنَّ أَبا عُبَيْدٍ المذكورَ ، مَنْسُوبٌ إِلى بُصرى ، قَريَةٍ من قُرى الشَّامِ ؛ فَأُبْدِلَتِ الصَّادُ سِيْناً ، على قِياسِ قَوْلِهم في السَّويقِ : الصَّويقِ ، وَالسِّراطِ : الصِّراط . انتهى .

وَقالَ ابْنُ الأَثيرِ[2] : هذا كُلُّهُ خَطَأٌ في النَّقْلِ والنَّحْوِ ؛ أَمَّا النَّقْلُ : فإِنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلى بُسْرٍ ، قَرْيَةٍ مَعرُوفَةٍ ؛ وأَمَّا النَّحْوُ ، فإِبْدالُ الصَّادِ سِيْناً لَيْسَ على إِطْلاقِهِ ؛ إِنَّما ذلكَ مع حُرُوفٍ مَعْلُومَةٍ ، وَقَد ذَكَرَهُ الحافِظُ أَبو القاسِمِ ابن عَساكر الدِّمشقيّ في « تارِيخ دمشق » وقالَ : إِنَّهُ من قَرْيَةِ بُسْرٍ ، وَهذا هُوَ الصَّوابُ . واللهُ تَعالى أَعلمُ[3] .

قُلتُ : وَالحُرُوفُ التي تُبْدَلُ مَعها السِّيْنُ صاداً ، هِيَ : الخاءُ والطَّاءُ والغَيْنُ والعَيْنُ والقافُ ، بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ السِّيْنُ مُتَقَدِّمَةً ، وأَحَدُ هذِهِ الحُرُوفِ مُتَأَخِّراً ، وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٩٣٩ مُلاعِبُ ظِلِّهِ : القِرِلّىٰ ، المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُ في « بابِ القافِ » .

وَرُبَّما قيلَ لَهُ : خاطِفُ ظِلِّهِ ؛ قالَ الكُمَيْتُ[4] : [من الطَّويل]

وَرَيْطَـةِ فِتْيـانٍ كَخـاطِـفِ ظِلِّـهِ جَعَلْـتُ لَهُـمْ مِنْهـا خِبـاءً مُمَـدَّدا

كذا قالَهُ الجَوهريُّ[5] . وقالَ ابْنُ سَلَمَةَ[5] : هو طائِرٌ يُقالُ لَهُ : الرَّفْرافُ ،

---

(١) الأَنساب ٢/ ٢١٢ .

(٢) في اللُّباب ١/ ١٥٢ .

(٣) **قلتُ** : قرية بُسر ، لا تزال معروفة بهذا الاسم ، وتتبع محافظة درعا ، قريبة من بلدة إِزرع بحوران . ويطلق عليها اسم : بُسْر الحرير . وقول ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ٢٨٧ .

(٤) ديوانه ١/ ١٤٠ والصِّحاح .

(٥) الصِّحاح « خطف » ٤/ ١٣٥٢ .

إذا رَأى ظِلَّهُ في الماءِ أَقْبَلَ إِلَيْهِ لِيَخْطَفَهُ .

٩٤٠ أَبُو مُزَيْنَةَ : سَمَكٌ في البَحْرِ على صُورَةِ الرِّجالِ .

يُقالُ : إِنَّهُم يَظْهَرُونَ بالإسكندريَّةِ والبَرَلُّسَ وَرَشِيدٍ ، على صُورَةِ بَني آدَمَ ، بِجُلُودٍ لِزَجَةٍ ، وأَجْسامٍ مُتَشاكِلَةٍ ، لَهُم بُكاءٌ وَعَويلٌ إذا وَقَعَتْ في أَيْدِي النَّاسِ ؛ وَذلكَ أَنَّهم رُبَّما بَرَزُوا من البَحْرِ إلى البرِّ يَتَمَشَّونَ ، فَيَقَعُ بِهِمُ الصَّيَّادُونَ ، فإذا بَكَوْا رَحِمُوهم وأَطْلَقُوهم . كذا ذَكَرَهُ القَزوينيُّ[١] .

٩٤١ ابنة المطر : قالَ في « المُرَصَّعِ »[٢] : إِنَّها دُوَيْبَّةٌ حَمراءُ ، تَظْهَرُ عَقِبَ المَطَرِ ؛ فإذا نَضَبَ الثَّرى عنها ماتَتْ .

٩٤٢ أَبُو المُلَيْحِ : الصِّفْرِدُ[٣] . وَحُكْمُهُ تَقَدَّمَ في « بابِ الصَّادِ المُهملَةِ » .

٩٤٣ ابْنُ ماءٍ : قالَ في « المُرَصَّعِ »[٤] : إِنَّهُ نَوْعٌ من طَيْرِ الماءِ ، وَيُجْمَعُ على بَناتِ ماءٍ ؛ فإذا عَرَّفْتَهُ قُلتَ : ابن الماءِ ، بِخِلافِ ابْنِ عِرْسٍ وابْنِ آوى ، لأَنَّهُ لا يَقَعُ على أَنْواعٍ من طَيْرِ الماءِ ، وَيُطْلَقُ على كُلِّ ما يَأْلَفُ الماءَ من أَجْناسِ الطَّيْرِ ، وَذلِكَ يَدُلُّ كُلَّ واحِدٍ منها على جِنْسٍ مَخْصُوصٍ . واللهُ أَعلمُ .

* * *

(١) لم أَقف عليه في عجائب المخلوقات .
(٢) المرصَّع ٣١٨ .
(٣) المرصَّع ٣٠٣ .
(٤) المرصَّع ٣٠٧ .

فهرس
موضوعات المجلّد الثّالث
من حياة الحيوان الكبرىٰ
للدَّميري
حسب ترتيب المؤلّف
[ط ـ م]

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
	باب الطاء	
٥٦٥	طامر بن طامر	٥
٥٦٦	الطاووس	٥
٥٦٧	الطائر	١٦
٥٦٨	الطبطاب	٢٦
٥٦٩	الطّبّوع	٢٦
٥٧٠	الطّثرج	٢٦
٥٧١	الطُّحَن	٢٦
٥٧٢	الطِّرستوج	٢٦
٥٧٣	طرغلوذس	٢٦
٥٧٤	الطِّرف	٢٧
٥٧٥	الطّغام والطَّغامة	٢٧
٥٧٦	الطِّفل	٢٧
٥٧٧	ذو الطُّفيتين	٢٨
٥٧٨	الطِّلح	٣٠
٥٧٩	الطّلا	٣٠
٥٨٠	الطَّليُّ	٣٠
٥٨١	الطُّمروق	٣٠
٥٨٢	الطِّمْل والطِّمْلال	٣١
٥٨٣	الطُّنبور	٣١
٥٨٤	الطُّوراني	٣١
٥٨٥	الطُّوبالة	٣١
٥٨٦	الطُّوَّل	٣١
٥٨٧	الطُّوطي	٣١
٥٨٨	الطَّير	٣٢
٥٨٩	الطِّيطوى	٤٥
٥٩٠	الطَّيهوج	٤٨
٥٩١	بنت طبق ، وأُمّ طبق	٤٨
	باب الظّاء المعجمة	
٥٩٢	الظَّبي	٥٠
٥٩٣	الظَّربان	٦٦
٥٩٤	الظَّليم	٦٨
	باب العين المهملة	
٥٩٥	العاتق	٧١

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٥٩٦	العاتك	٧٢
٥٩٧	عتاق الطير	٧٣
٥٩٨	العتلة	٧٣
٥٩٩	العاضِه والعاضِهة	٧٣
٦٠٠	العاسل	٧٣
٦٠١	العاطوس	٧٣
٦٠٢	العافية	٧٤
٦٠٣	العائذ	٧٥
٦٠٤	العبقص والعبقوص	٧٥
٦٠٥	العَبور	٧٥
٦٠٦	العترفان	٧٦
٦٠٧	العتود	٧٦
٦٠٨	العُثّة	٧٧
٦٠٩	العَثَمْثَمَة	٧٨
٦١٠	العثمان	٧٨
٦١١	العثوثج	٧٨
٦١٢	العجروف	٧٨
٦١٣	العجل	٧٨
٦١٤	العجمجمة	٨٩
٦١٥	أُمّ عجلان	٨٩
٦١٦	العجوز	٨٩
٦١٧	عدس	٨٩
٦١٨	العذفوط	٨٩
٦١٩	العُربج	٨٩
٦٢٠	عرار	٩٠
٦٢١	العريض	٩٠
٦٢٢	العسجديّة	٩٠

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٦٢٣	العربدّ	٩٠
٦٢٤	العربض والعرباض	٩٠
٦٢٥	العِرس	٩٠
٦٢٦	العُريقصة	٩١
٦٢٧	العُريقطة والعُريقطان	٩١
٦٢٨	العَزّة	٩١
٦٢٩	العيساء	٩١
٦٣٠	العساعس	٩١
٦٣١	العسّاس	٩١
٦٣٢	العساهيل	٩١
٦٣٣	العِسبار	٩١
٦٣٤	العُسبور	٩٢
٦٣٥	العسلق	٩٢
٦٣٦	العسنّج	٩٢
٦٣٧	العُشَراء	٩٢
٦٣٨	العُصاري	٩٤
٦٣٩	العُصفور	٩٤
٦٤٠	العَضَل	١١١
٦٤١	العِرفوط	١١١
٦٤٢	العُريقطة	١١٢
٦٤٣	العَضمجة	١١٢
٦٤٤	العَضرفوط	١١٢
٦٤٥	عطّار	١١٢
٦٤٦	العطاط	١١٣
٦٤٧	العِظرب	١١٣
٦٤٨	العَظاءة	١١٣
٦٤٩	الغفر	١١٥

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٦٥٠	العفريت	١١٥
٦٥١	العفو	١٢٤
٦٥٢	العقاب	١٢٥
٦٥٣	العَقِد	١٤٩
٦٥٤	العِقال	١٥٠
٦٥٥	العقرب	١٥٠
٦٥٦	العُقربان	١٨٥
٦٥٧	العَقف	١٨٥
٦٥٨	العَقعق	١٨٦
٦٥٩	العُقَيب	١٨٨
٦٦٠	العُكاش	١٨٩
٦٦١	العِكرشة	١٨٩
٦٦٢	العِكرمة	١٨٩
٦٦٣	العِلج	١٩٠
٦٦٤	العَلُّ	١٩١
٦٦٥	العُلجوم	١٩١
٦٦٦	العُلاّم	١٩١
٦٦٧	العِلَّوش	١٩١
٦٦٨	العَلْهان	١٩١
٦٦٩	العَلَس	١٩١
٦٧٠	العلامات	١٩٢
٦٧١	العِلهز	١٩٢
٦٧٢	العُلعل	١٩٢
٦٧٣	العَلَق	١٩٢
٦٧٤	العَلهب	٢٠٢
٦٧٥	العُمروس	٢٠٣
٦٧٦	العَمَلَّس	٢٠٣
٦٧٧	العَمَيْثَل	٢٠٣
٦٧٨	العناق	٢٠٤
٦٧٩	عَناق الأَرض	٢١٠
٦٨٠	العَنْبَس	٢١٠
٦٨١	العَنْس	٢١٠
٦٨٢	العنبر	٢١١
٦٨٣	العنتر	٢١٦
٦٨٤	العندليب	٢١٧
٦٨٥	العندل	٢١٨
٦٨٦	العنز	٢١٨
٦٨٧	العُنظب	٢٢٥
٦٨٨	العُنْظوانة	٢٢٥
٦٨٩	عنقاء مُغرب	٢٢٥
٦٩٠	العنكبوت	٢٣٣
٦٩١	العَوْد	٢٤١
٦٩٢	العُوذ المطافيل	٢٤٢
٦٩٣	العَواساء	٢٤٢
٦٩٤	العُوس	٢٤٢
٦٩٥	العُومة	٢٤٢
٦٩٦	العَوهق	٢٤٢
٦٩٧	العلا	٢٤٢
٦٩٨	العُلام	٢٤٢
٦٩٩	العَيثوم	٢٤٢
٧٠٠	العَيْر	٢٤٣
٧٠١	العِيْر	٢٤٨
٧٠٢	العِيْس	٢٤٩
٧٠٣	العَيْساء	٢٥٠
٧٠٤	العَيْلام ، والعَيْلان	٢٥٠
٧٠٥	العَيْثوم	٢٥٠

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٧٠٦	العَيْن	٢٥١
٧٠٧	العَيْهل	٢٥١
٧٠٨	عَيْجَلوف	٢٥١
٧٠٩	ابن عِرْس	٢٥١
٧١٠	أُمّ عجلان	٢٥٥
٧١١	أُمّ عَزّة	٢٥٥
٧١٢	أُمّ عُويف	٢٥٥
٧١٣	أُمّ العَيزار	٢٥٦
	باب الغَين المعجمة	
٧١٤	الغاق	٢٥٧
٧١٥	الغُداف	٢٥٧
٧١٦	الغَذِيّ	٢٥٨
٧١٧	الغراب	٢٥٨
٧١٨	الغُرُّ	٢٨٥
٧١٩	الغُرنيق	٢٨٥
٧٢٠	الغِرْغِر	٢٩٣
٧٢١	الغِرْناق	٢٩٤
٧٢٢	الغزال	٢٩٤
٧٢٣	الغضارة	٣٠١
٧٢٤	الغَضْب	٣٠١
٧٢٥	الغَضَف	٣٠١
٧٢٦	الغضوف	٣٠١
٧٢٧	الغَضيض	٣٠١
٧٢٨	الغَطرب	٣٠١
٧٢٩	الغِطريف	٣٠٢
٧٣٠	الغطلّس	٣٠٢
٧٣١	الغطاط	٣٠٢
٧٣٢	الغُفْر	٣٠٢
٧٣٣	الغَمّاسة	٣٠٣
٧٣٤	الغُنافر	٣٠٣
٧٣٥	الغنم	٣٠٣
٧٣٦	الغوّاص	٣٢١
٧٣٧	الغوغاء	٣٢٢
٧٣٨	الغول	٣٢٢
٧٣٩	الغَيْداق	٣٣٢
٧٤٠	الغَيْطلة	٣٣٢
٧٤١	الغَيْلم	٣٣٢
٧٤٢	العَيْهَب	٣٣٢
	باب الفاء	
٧٤٣	الفاختة	٣٣٣
٧٤٤	الفأر	٣٣٨
٧٤٥	الفادر	٣٥٠
٧٤٦	الفازر	٣٥٠
٧٤٧	الفاشية	٣٥٠
٧٤٨	الفاعوس	٣٥١
٧٤٩	الفاطوس	٣٥١
٧٥٠	الفالج	٣٥٢
٧٥١	فالية الأَفاعي	٣٥٢
٧٥٢	فتّاح	٣٥٢
٧٥٣	القتع	٣٥٣
٧٥٤	الفَحل	٣٥٣
٧٥٥	الفُدْس	٣٦١
٧٥٦	الفَرا	٣٦١
٧٥٧	الفَراش	٣٦٣

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٧٥٨	الفُرافصة	٣٦٦
٧٥٩	الفَرخ	٣٦٦
٧٦٠	الفَرَس	٣٧١
٧٦١	فرس البحر	٤٠٧
٧٦٢	الفَرْش	٤١٠
٧٦٣	الفُرانق	٤١١
٧٦٤	الفُرفُر	٤١١
٧٦٥	الفُرفور	٤١١
٧٦٦	الفَرَع	٤١١
٧٦٧	الفُرعل	٤١٣
٧٦٨	الفَرقد	٤١٤
٧٦٩	الفِرْنِب	٤١٤
٧٧٠	الفُرهود	٤١٥
٧٧١	الفَرُّوج	٤١٥
٧٧٢	الفَرير والفُرار	٤١٥
٧٧٣	فسافس	٤١٦
٧٧٤	الفَصيل	٤١٦
٧٧٥	الفَلْحَس	٤١٨
٧٧٦	الفُلُوُّ	٤١٨
٧٧٧	الفَناة	٤٢٠
٧٧٨	الفَنَك	٤٢٠
٧٧٩	الفَنيق	٤٢٠
٧٨٠	الفَهد	٤٢١
٧٨١	الفُور	٤٢٧
٧٨٢	الفولع	٤٢٧
٧٨٣	الفَيصور	٤٢٧
٧٨٤	الفُويسقة	٤٢٧

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٧٨٥	الفَيّاد	٤٢٨
٧٨٦	الفيل	٤٢٨
٧٨٧	الفَيْنَة [= الفَيْئَة]	٤٥٧
٧٨٨	أَبو فراس	٤٥٧
	باب القاف	
٧٨٩	القادحة	٤٥٩
٧٩٠	القارة	٤٥٩
٧٩١	القارية	٤٥٩
٧٩٢	القاق	٤٦١
٧٩٣	القاقم	٤٦١
٧٩٤	القانب	٤٦١
٧٩٥	القاوند	٤٦١
٧٩٦	القَبْج	٤٦٢
٧٩٧	القُبَّرة	٤٦٤
٧٩٨	القُبَعَة	٤٧٢
٧٩٩	القبيط	٤٧٢
٨٠٠	القَتَع	٤٧٢
٨٠١	ابن قِتْرَة	٤٧٢
٨٠٢	القِذّان	٤٧٢
٨٠٣	القُراد	٤٧٣
٨٠٤	القِرد	٤٧٥
٨٠٥	القُردوح	٤٨٧
٨٠٦	القِرش	٤٨٧
٨٠٧	القِرقس	٤٩١
٨٠٨	القِرشام	٤٩١
٨٠٩	القَرعبلانة	٤٩١
٨١٠	القُرعوش	٤٩٢

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٨١١	القُرقف	٤٩٢
٨١٢	القَرْقَفَنَّة	٤٩٢
٨١٣	القِرلّىٰ	٤٩٢
٨١٤	القِرمل	٤٩٤
٨١٥	القِرميد	٤٩٥
٨١٦	القُرمود	٤٩٥
٨١٧	القَرَنبىٰ	٤٩٥
٨١٨	القَرهب	٤٩٦
٨١٩	القِزَر	٤٩٦
٨٢٠	القَرْم	٤٩٧
٨٢١	القُرَّة	٤٩٨
٨٢٢	القَسورة	٤٩٨
٨٢٣	القُشعمان	٥٠٠
٨٢٤	القِشَّة	٥٠٠
٨٢٥	القُصَيْرى	٥٠٠
٨٢٦	القِطّ	٥٠٠
٨٢٧	القَطا	٥٠٣
٨٢٨	القطّا	٥١٦
٨٢٩	القَطامي	٥١٦
٨٣٠	قُطرب	٥١٦
٨٣١	القُعثبان	٥١٨
٨٣٢	القَعود	٥١٨
٨٣٣	القَعيد	٥١٨
٨٣٤	القُعْقُع	٥١٨
٨٣٥	القِلْو	٥١٨
٨٣٦	القُلقُلاني	٥١٨
٨٣٧	القَلوص	٥١٨

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٨٣٨	القِلِّيب	٥٢٢
٨٣٩	القُمري	٥٢٢
٨٤٠	القَمَعَة	٥٢٧
٨٤١	القُمعوطة والمقعوطة	٥٢٨
٨٤٢	القَمل	٥٢٨
٨٤٣	القَمقام	٥٤٢
٨٤٤	قُنْدُر	٥٤٣
٨٤٥	القُنْدُس	٥٤٣
٨٤٦	القِنْعان	٥٤٣
٨٤٧	القُنفذ	٥٤٣
٨٤٨	القُنفذ البحري	٥٥٠
٨٤٩	القِنْفِشة	٥٥٠
٨٥٠	القَهْبيّ	٥٥٠
٨٥١	القُهَيْبَة	٥٥٠
٨٥٢	القَوافز	٥٥٠
٨٥٣	القُواع	٥٥٠
٨٥٤	القُوب	٥٥٠
٨٥٥	القُوبَع	٥٥١
٨٥٦	القَرْثع	٥٥١
٨٥٧	القُوق	٥٥١
٨٥٨	قُوقيس	٥٥١
٨٥٩	قُوقي	٥٥١
٨٦٠	قَيد الأَوابد	٥٥٢
٨٦١	قِيق	٥٥٢
٨٦٢	أُمّ قَشعم	٥٥٢
٨٦٣	أَبو قِيْر	٥٥٣
٨٦٤	أُمُّ قيس	٥٥٣

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
	باب الكاف	
٨٦٥	الكاسر	٥٥٤
٨٦٦	كاسرُ العظام	٥٥٤
٨٦٧	الكبش	٥٥٤
٨٦٨	الكُبْعَة	٥٦٧
٨٦٩	الكُتفان	٥٦٧
٨٧٠	الكُتَع	٥٦٧
٨٧١	الكُدْر	٥٦٧
٨٧٢	الكَرْكَر	٥٦٨
٨٧٣	الكَرْكَند	٥٦٨
٨٧٤	الكُرْكيّ	٥٧٢
٨٧٥	الكروان	٥٨١
٨٧٦	الكُسْعوم	٥٨٣
٨٧٧	الكُعَيْت	٥٨٤
٨٧٨	الكِكَم	٥٨٥
٨٧٩	الكلب	٥٨٦
٨٨٠	كلب الماء	٦٨٠
٨٨١	الكُلثوم	٦٨١
٨٨٢	الكَلْكَسَة	٦٨١
٨٨٣	الكُميت	٦٨١
٨٨٤	الكِنْدارة	٦٨٢
٨٨٥	الكَنْعَبَة	٦٨٢
٨٨٦	الكَنْعَد	٦٨٢
٨٨٧	الكُنْدُش	٦٨٢
٨٨٨	الكَهْب	٦٨٢
٨٨٩	الكَوْدَن	٦٨٣
٨٩٠	الكَوْسَج	٦٨٣

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٨٩١	الكَهُول	٦٨٤
	باب اللاّم	
٨٩٢	لأَى	٦٨٥
٨٩٣	اللُّبادى	٦٨٥
٨٩٤	اللَّبؤة	٦٨٦
٨٩٥	اللَّجأ	٦٩٢
٨٩٦	اللُّحَكاء	٦٩٣
٨٩٧	اللُّخَم	٦٩٤
٨٩٨	اللَّعْوَس	٦٩٥
٨٩٩	اللَّعْوَة	٦٩٥
٩٠٠	اللِّقحة	٦٩٥
٩٠١	اللَّقْوَة	٦٩٩
٩٠٢	اللَّقّاط	٧٠٠
٩٠٣	اللَّقلق	٧٠١
٩٠٤	اللَّهَق	٧٠٣
٩٠٥	اللِّهْم	٧٠٣
٩٠٦	اللُّوب والنُّوب	٧٠٣
٩٠٧	اللَّوشب	٧٠٤
٩٠٨	اللِّياء	٧٠٤
٩٠٩	اللَّيْث	٧٠٤
٩١٠	اللَّيْل	٧٠٩
	باب الميم	
٩١١	ماريَّة	٧١٠
٩١٢	المازور	٧١٠
٩١٣	الماشية	٧١١
٩١٤	مالك الحزين	٧١٣
٩١٥	المُتَرَدِّيَة	٧١٤

رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة	رقم الحيوان	اسم الحيوان	الصفحة
٩١٦	المُجَثَّمة	٧١٤	٩٣٠	المَلكة	٧٣٤
٩١٧	المَثا	٧١٤	٩٣١	المنارة	٧٣٤
٩١٨	المُدَبَّج	٧١٥	٩٣٢	المُنخنقة	٧٣٤
٩١٩	المرء	٧١٥	٩٣٣	المِنْشار	٧٣٥
٩٢٠	المِرْزَم	٧١٥	٩٣٤	الموقوذَة	٧٣٥
٩٢١	المُرَعَة	٧١٥	٩٣٥	المُوق	٧٣٦
٩٢٢	مُسْهِر	٧١٦	٩٣٦	المُول	٧٣٧
٩٢٣	المَطِيَّة	٧١٦	٩٣٧	المَها	٧٣٧
٩٢٤	المِعْراج	٧٢٥	٩٣٨	المُهر	٧٤٠
٩٢٥	المعز	٧٢٦	٩٣٩	مُلاعب ظلِّه	٧٤٢
٩٢٦	ابن مِقْرَض	٧٢٧	٩٤٠	أَبو مُزَيْنَة	٧٤٣
٩٢٧	المُقَوقس	٧٢٨	٩٤١	ابنة المطر	٧٤٣
٩٢٨	المُكّاء	٧٣١	٩٤٢	أَبو المُلَيْح	٧٤٣
٩٢٩	المُكَلَّفَة	٧٣٣	٩٤٣	ابن ماء	٧٤٣

* * *

